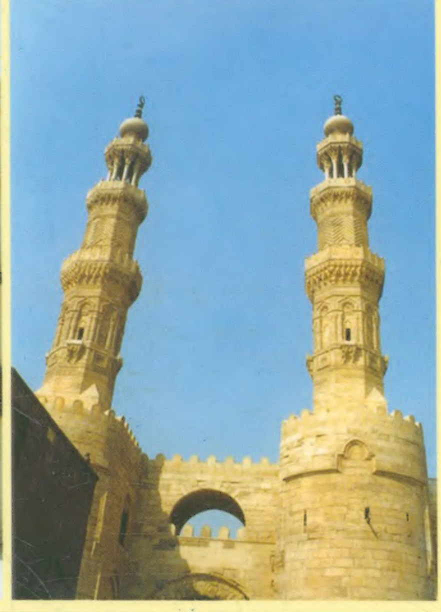
موسوعة العمارة الفاطمية

العمارة الفاطمية

الحربية - المدنية - الدينية

الكتاب الأول





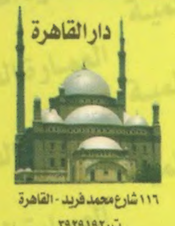


تأليف

أ.د./ محمد عبد الستار عثمان

عميد كلية الآداب بسوهاج

جامعة جنوب الوادي



١١٦ شارع محمد فريد - القاهرة

ت: ٣٩٢٩١٩٢

موسوعة العمارة الفاطمية

العمارة الفاطمية

«الحربية - المدنية - الدينية»

الكتاب الأول

تأليف

أ. د./ محمد عبد الستار عثمان

عميد كلية الآداب بسوهاج

جامعة جنوب الوادي

دار القاهرة

١١٦ شارع محمد فريد - القاهرة

تليفون وفاكس: ٣٩٢٩١٩٢

اسم الكتاب : موسوعة العمارة الفاطمية

الكتاب الأول: العمارة الفاطمية (الحربية – المدنية – الدينية)

اسم المؤلف : أ. د. محمد عبد الستار عثمان

رقم الطبعة : الأولى

السنة : ٢٠٠٦

رقم الإيداع : ٢٠٨٨٩

الترقيم الدولي : I.S.B.N

977 – 6048 – 36 – 6

اسم الناشر : دار القاهرة

العنوان : ١١٦ شارع محمد فريد

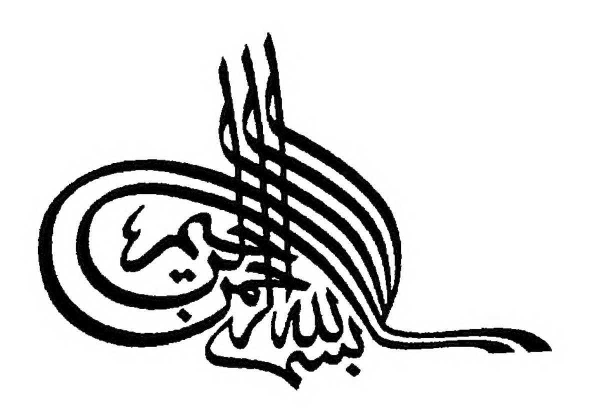
البلد : جمهورية مصر العربية

المحافظة : القاهرة

التليفون : ٠٠٢٠٢٣٩٢٩١٩٢ /٠٠٢٠٢٣٩٣٠٩٢٢

فاكس : ٠٠٢٠٢٣٩٢٩١٩٢

المحمول : ٠٠٢٠١٢٣١٧٧٥١٠



إهـــــداء

أهدي هذا الكتاب إلى:

زوجتي.. «فاطمة»

وأبنائي.. معتز وعمرو ووليد ودينا

وفاءً وحبًا وتقديرًا..

مُقَدِّمَة

تمثل العمارة الفاطمية في مصر تراثًا معماريًا مهمًا، فهي تمثل حلقة مهمة من حلقات تاريخ العمارة الإسلامية ككل، كما أنها تمثل أيضاً مرحلة مضيئة من مراحل تاريخ العمارة الإسلامية في مصر، وبالإضافة إلى ذلك فإن دراسة هذه العمارة في إطار يشمل وظيفتها ويبرز جماليتها يتصل اتصالاً وثيقاً بدراسة تاريخ الفاطميين في مصر وما جرى من أحداث تاريخ الخلافة الفاطمية بعد انتقالها إلى مصر وسيطرتها على بلاد الشام والحجاز.

وقد تناولت دراسات وبحوث سابقة عمائر الفاطميين ومن أهمها ما كتبه كريسويل Creswell في كتابه Muslim Architecture of Egypt وقد ركز كريسويل في دراسته على الجوانب التاريخية بالإضافة إلى الوصف المعماري الدقيق، كما حاول - حسب توجه الدراسات وقت إصدار كتابه وفي إطار اهتمام المستشرقين بهذا التوجه- تأصيل العناصر المعمارية والزخرفية.

وقد صدرت دراسات وبحوث أخرى عديدة عن العمارة الفاطمية اعتمد معظمها على ما كتبه كريسويل دون مناقشة بل إن بعض هذه الدراسات يكاد يكون ترجمة لأجزاء معينة مما كتب، وقليل من الدراسات والبحوث اتجه نحو مراجعة ومناقشة بعض آراء كريسويل.

كما صدرت دراسات أخرى عديدة تغطى الجوانب الحضارية والتاريخية للعصر الفاطمي، كما حققت مخطوطات وكشفت آثار أخرى ولاشك أن مراجعة كل ذلك من شأنه أن يزيح الستار عن كشف كثير من الحقائق التي تساعد على فهم أوضح وأعمق للآثار الفاطمية التي هي بمثابة المرآة الحجرية التي تجسد حضارة الفاطميين وتاريخهم.

وفى إطار هذه الدراسات والبحوث والتحقيقات والكشوفات واتباع مناهج أخرى

أكثر تقدماً وعمقاً تأتي هذه الموسوعة التي بين يدي القارئ بطرح جديد يقدم دراسة تاريخية وصفية وتحليلية للعمارة الفاطمية ويركز-بالإضافة إلى ذلك-على وظيفة هذه العمارة وهذا الطرح استتبع مناقشة آراء سابقة وطرح آراء جديدة، ويفتح الباب من جديد لمناقشة قضايا العمارة الفاطمية.

وتشتمل هذه الموسوعة على ثلاثة كتب الكتاب الأول يتكون من خمسة فصول، يتضمن الفصل الأول منها نبذة عن نشأة الدولة الفاطمية في إفريقية ويركز على دراسة عاصمتها الأولى "المهدية" المدينة البيضاء" تركيزاً يوضح رؤية الفاطميين في تخطيط المدن، كما يجسد كثيراً من الملامح والعناصر المعمارية التي ظهرت في تخطيط هذه المدينة وعمائرها وكانت المثال الذي نحا نحوه تخطيط مدينة القاهرة وعمائرها.

والفصل الثاني يتناول إنشاء مدينة القاهرة، واختيار موضعها وتخطيطها.

والفصل الثالث في هذه الدراسة يتناول العمارة الحربية للفاطميين بالقاهرة وذلك من خلال دراسة أسوارها وبواباتها وغير ذلك من المنشآت التي يفترض أنها أدت غرضاً حربياً.

والفصل الرابع يتناول دراسة العمارة المدنية في القاهرة والفسطاط من خلال ما درس من القصور وما بقى من الدور وغيرها من العمائر المدنية التي كشف عنها وبخاصة في مدينة الفسطاط، وتتسع هذه الدراسة لرصد ما حدث من تغيير وتعديل في النسيج العمراني للمدينة وبخاصة في النصف الثاني من العصر الفاطمي.

والفصل الخامس يتناول العمارة الدينية ويركز على دراسة المساجد الجامعة ومساجد الفروض ومصليات العيد في "مصر القاهرة" أو في البلاد المصرية الأخرى.

والكتاب الثاني من هذا الكتاب خصصه المؤلف للعمارة الجنائزية الفاطمية، وبالرغم من أنه قد جرت العادة بين الباحثين على تصنيف هذه النوعية من العمائر ضمن العمارة الدينية فإن توجه المؤلف نحو فصلها يأتي في إطار تميز هذه النوعية من العمارة في العصر الفاطمي تميزاً خاصاً سواء في أنماطها أو في الغرض من

إنشائها وأيضاً في كثرتها وتنوعها سواء أكانت هذه العمائر في القاهرة أم الفسطاط أم أسوان، وهذا التميز يطرح أبعاداً جديدة في دراسة هذه النوعية من العمائر لم تناقشها الدراسات السابقة.

أما الكتاب الثالث فيعرض صدى طراز العمارة الفاطمية الإسلامية فيما أنشئ من عمائر مسيحية بمصر في العصر الفاطمي خصوصًا أن جميع مفردات هذه العمائر من عقود وأقبية وقباب وواجهات وأساليب ومواد بناء وعناصر زخرفة هي نفسها مفردات العمائر الفاطمية الإسلامية ولكنها صيغت صياغة خاصة تناسب وظيفة المبنى الذي تشكله. ولا شك أن إبراز هذه الحقيقة يثرى أمثلة العناصر المعمارية الفاطمية ويؤكد وحدة نسيج العمارة والفنون الإسلامية والمسيحية في العصر الإسلامي ووحدة طرازها في كل عصر من هذه العصور وهو ما يؤكد أهمية دراستها في إطار هذا الاعتبار.

وتنتهي خطة الجزء الأول بخاتمة تبرز أهم نتائج الدراسة في فصوله الخمسة، ونأمل أن يكون في هذه النتائج إضافة للطالب في مجال الآثار وللباحث والقارئ.

والله الموفق،،

أ.د/ محمد عبد الستار عثمان

سوهاج – يناير ٢٠٠٢

الفصل الأول

عمارة الفاطميين في إفريقية

الفصل الأول

مدينة المهدية وعمارتها

تنتسب الدولة الفاطمية إلى فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ وهو نسب يتضمن فحوى نفى التشكيك في انتساب هذه الدولة لآل البيت، ووسمها بالدولة العبيدية نسبة إلى مؤسسها عبيد الله المهدى، الذي أثيرت حوله أيضاً شكوك في أصل عقيدته[1].

وقد مهد الدعاة لقيام هذه الدولة في إفريقية "تونس الحالية" وكانت البدايات الأولى على يد مجموعة من الدعاة منهم ميمون القداح[2] الذي هرب من سلمية ببلاد الشام عبر مصر متخفياً حتى وصل إلى سلجماسة وهناك بدأ نشاطه في الدعوة حتى استطاع أحد حكام بنى مدرار القبض عليه وسجنه.

ومن هؤلاء الدعاة أيضاً الحلواني وأبو سفيان اللذان اهتما بنشر الدعوة في إفريقية أيضاً، ثم كان الدور بعد ذلك لأبى عبد الله الحسن بن أحمد بن زكريا، وهو من أهل صنعاء، وأرسله الإمام أبو عبيد الله المهدى لتلقى أصول الدعوة على يد ابن حوشب بعدن لاعة مركز الدعوة الإسماعيلية في اليمن ومؤسس الدولة الإسماعيلية الأولى بها، وبعد أن تم إعداده للدعوة أرسله ابن حوشب إلى إفريقية لنشر الدعوة بها، وسرعان ما ازدادت قوته،وكثر أتباعه فبدأ مرحلة الكفاح المسلح لنشر الدعوة الشيعية الإسماعيلية منذ سنة ٢٨٩هـ/٩٠٢م، وأحرز انتصارات كبيرة على

---

(١) ياقوت الحموي (ت ٦٢٢ هـ). معجم البلدان. دار صادر، دار بيروت ١٩٨٥، الجزء الخامس ص ٢٣٠.

(٢) يذكر ياقوت أن ميمون القداح كان زوج أم عبيد الله المهدى وهو الذي رباه ولم يكن له ولد فعهد إليه وعلمه الدعوة وكان اسمه سعيداً، فلما صار الأمر إليه سمى عبيد الله. ياقوت: المصدر السابق، ص ٢٣٠.

الأغالبة، أخبر بها عبيد الله المهدى وأغرته بتوجيه الدعوة له للقدوم من سلمية بمنطقة حمص إلى إفريقية وواصل أبو عبد الله المهدى انتصاراته التي توجت بدخوله رقادة والقيروان وبسقوطهما سقطت دولة الأغالبة[1]، وكان ذلك إيذانا بتأسيس الدولة الفاطمية نسبة إلى فاطمة الزهراء أو العبيدية نسبة إلى عبيد الله المهدى، واتخذت الدولة من رقادة في بداية الأمر عاصمة لها ودخلها عبيد الله المهدى سنة ٢٩٧هـ/٩٠٩م، وأمر بذكر اسمه في الخطبة يوم الجمعة بمسجدها الجامع باعتبار أن الخطبة شارة من شارات الملك،وظلت رقادة مقر الدولة الجديدة حتى تم إنشاء المهدية سنة ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م وأصبحت عاصمة الدولة[2].

وهكذا نجح الفاطميون في إقامة أول دولة شيعية في قلب الامتداد السني من المغرب إلى حدود الشرق في إيران، والحق أن قيام هذه الدولة كان حدثاً خطيراً في تاريخ الإسلام، أوجد خلافة ثالثة تنافس الخلافة العباسية والخلافة الأموية في بلاد الأندلس، خاصة بعد أن قويت شوكة هذه الخلافة بتوسعها شرقاً لتحكم مصر وبلاد الشام والحجاز وامتداد نفوذها إلى اليمن وتهديدها لبغداد.

إنشاء مدينة المهدية:

يعتبر إنشاء مدينة المهدية أول عمل معماري ضخم تقدم عليه الدولة الفاطمية بإفريقية، ويأتي إنشاء هذه المدينة في إطار ظاهرة عامة سادت أغلب الدول الناشئة في العصور القديمة والعصور الوسطى، فقد جرت العادة أن تقوم الدولة الناشئة بإنشاء مدينة جديدة تتخذها عاصمة لها، وأمثلة ذلك كثيرة، فقد أنشأ الإمبراطور

---

(١) حسن سليمان محمود. الملكة أروى سيدة ملوك اليمن. دار الثناء للطباعة والنشر، ص ٦، عبد الله كامل: الفاطميون وآثارهم المعمارية في إفريقية ومصر واليمن، دار الآفاق العربية. القاهرة ٢٠٠١، ص ٣٥.

(٢) التيجاني: (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد)، رحلة التيجاني تونس طرابلس ٧٠٦-٧٠٨هـ، قدم لها حسن حسنى عبد الوهاب، نشر الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس ١٩٨١، ص ٣٢١.

قسطنطين وهو إمبراطور الدولة الرومانية الشرقية مدينة القسطنطينية بعيداً عن شعب السانتو بأثينا والاتجاه نحو الشرق، وفي العصر الإسلامي أنشئت بغداد عاصمة للدولة العباسية والقطائع عاصمة للدولة الطولونية وعلى نفس النهج سارع الإمام عبيد الله المهدى بالتفكير في إنشاء عاصمة لدولته.

ويبدأ إنشاء المدينة باختيار موقعها وتحديد موضعها، وقام الإمام عبيد الله المهدى بنفسه في "سنة ثلثمائة إلى مدينة تونس فاجتاز إلى قرطاجنة وعبرها ومر على جميع السواحل يرتاد موضعاً على ساحل البحر يتخذ فيه مدينة تحصنه وتحصن بنيه من بعده وقد كان عنده علم حدثاني بقيام قائم على ذريته، فأقام يلتمس ذلك مدة، فلم يجد موضعاً أحسن ولا أحصن من موضع المهدية فبناها هنالك وجعلها دار مملكته"[1] ولهذا النص أهميته فهو يشير إلى أن الإمام عبيد الله قام بنفسه باختيار موضع المدينة، وهو أمر يكشف عن مدى حرص عبيد الله المهدى على أن يقوم بنفسه بهذا العمل ولم يعتمد على أعوانه أو المختصين من رجاله بذلك كما فعل غيره من الخلفاء، وهو أمر يكشف كما يوضح النص عن أن عبيد الله المهدى كان حريصاً على تأمين ذريته وأتباعه في هذه الفترة المبكرة من تاريخ دولته الفاطمية الشيعية التي نشأت في قلب الامتداد السني.

كما توضح رواية التيجاني توجهاً آخر في اختيار موضع المدينة حيث إنه حرص على أن يكون على ساحل البحر وهو توجه لم يكن مرغوباً في اختيار مواضع المدن في الفترة الأولى من تاريخ الدولة الإسلامية ولا أدل على ذلك من اختيار مواضع مدن الأمصار كالبصرة والكوفة والفسطاط والقيروان لعدم توفر القوة البحرية اللازمة للدفاع عن هذه المدن، ولمناسبة هذه المواضع البرية الداخلية لطبيعة الجيوش العربية التي ألفت حياة الصحراء[2]. وتوجه عبيد الله المهدى إلى

---

(١) التيجاني، الرحلة، ص ص ٣٢٠-٣٢١.

(٢) محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية.دار الآفاق العربية،القاهرة، ١٩٩٨،ص ١٠٧.

اختيار موضع ساحلي لمدينته يؤكد تغير هذه المفاهيم السابقة التي حكمت اختيار مواضع مدن الأمصار، خاصة أنه توفرت لمنشئها القوة اللازمة للدفاع عنها من جهة البحر، ومع توفر هذه القوة استطاع أن يستفيد من مميزات الموقع الساحلي، تلك المميزات التي تكمن في زيادة تحصين الموضع بإحاطة الماء له من ثلاث جهات، حيث إن موضع المدينة أخذ شكل لسان ممتد في البحر ويرتبط بالبر من الجهة الغربية، والميزة الثانية هي سهولة ارتباط هذه المدينة بالطرق البحرية بالإضافة إلى الطرق البرية، وهى ميزة لا تتوفر للمدن الداخلية. ولاشك أن توفر الاتصال البحري بين هذه المدينة وموانئ البحر المتوسط الكائنة في ذلك الوقت أكسبها مقومات اقتصادية وحربية لا تتوفر أيضاً للمدن الداخلية.

ثم تشير رواية التيجانى أيضاً إلى الرؤية العمرانية التي ارتآها المهدى لهذه المدينة، فقد رأى أن تكون هذه المدينة "دار مملكته" ويتضمن هذا التعبير إشارة إلى ما هدف إليه عبيد الله المهدى من جعل مدينته مدينة ملكية خاصة به وحاشيته وجنده ودواوينه ويؤكد التيجانى هذه الإشارة فيقول: إنه بعد الانتهاء من المهدية أنزل "جنده وخاصته فيها، وابتنى لعامة الناس المدينة الأخرى المسماة بزويلة، وهى إحدى المدينتين وبينهما غلوه سهم، وجعل الأسواق والفنادق فيها، وأدار بها خنادق متسعة يجتمع فيها ماء المطر فكانت كالربض لمدينة المهدية"[1].

وهكذا يتضح أن عبيد الله المهدى كانت له رؤية واضحة في جعل مدينة المهدية مدينة ملكية منذ البداية، وكان لهذا التوجه هدفه المتمثل في تأمين ذريته وحاشيته وأتباعه في هذه الفترة المبكرة من تأسيس دولته، وقد تردد صدى هذا التوجه في مدينة القاهرة التي اتخذتها الدولة الفاطمية عاصمة لها في مرحلة لاحقة، حيث إنشئت القاهرة أيضاً في إطار سياسة واضحة جعلت منها مدينة ملكية خاصة بالخليفة الفاطمي وحاشيته وجنده،بينما لعبت الفسطاط دور مدينة العامة ومركز

---

(١) التيجانى: الرحلة، ص٣٢٤.

النشاط التجاري[1].

واختيار المهدى موضع مدينة المهدية الذي يبدو في هيئة شبه جزيرة ساحلية ترتبط بأرض إفريقية بمسافة قصيرة تبلغ نحو ٤٠٠ متر، بينما يبلغ طولها أو امتدادها في البحر نحو ميل (١٥٨٠ متراً) وهذه المنطقة تقع بين سوسة من الشمال ومدينة صفاقس من الجنوب .

وبعد اختيار الموضع بدأ عبيد الله المهدى في بناء مدينته، واتفق المؤرخون على أن بداية تأسيس المدينة كان في سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م فيما عدا ابن عذارى الذي ذكر أن أساسها وضع سنة ٣٠٤هـ/٩١٦م، واستشار عبيد الله المهدى المنجمين عند وضع أساس المدينة ليختاروا لوضع أساسها طالعاً سعيداً، وهو تقليد اتبع منذ العصور القديمة، فقد عرفه البابليون لمعرفة رغبة الآلهة ثم انتشر في بلاد اليونان قبل القرن الرابع قبل الميلاد ومنها انتقل إلى البلاد الأخرى ومن أشهر الأمثلة على ذلك اختيار الإسكندر الأكبر طالعًا سعيدًا بواسطة المنجمين ليبدأ فيه تأسيس مدينة الإسكندرية بمصر، وورث المسلمون هذا التقليد، ولعل أوضح مثال على ذلك ما فعله الخليفة المنصور عند إنشاء مدينة بغداد عندما استشار نوبخت الفلكي لاختيار طالع سعيد لوضع أساس مدينته وعلى الدرب سار عبيد الله المهدى عند وضع أساس مدينة المهدية حيث اختير لها طالع سعيد هو برج الأسد. ويبدو أنه كان لهذا الأمر علاقته بالنقوش التي مثلت على هيئة الأسد على أبواب مدينته[2].

وقد باشر عبيد الله المهدى بنفسه بناء مدينته حيث "كان يقف على فرسه فيأمر الصناع بما يصنعون"[3] ومباشرة العمل في العمارة أمر مهم يساعد على إنجازه بدقة وسرعة، ويمثل جانباً مهماً من جوانب تنظيم العمل في الإنشاء والعمارة حيث إن العمل المعماري يتطلب لإنجازه جهازاً إدارياً يباشر تنظيم العمل وإدارة العاملين في

---

(١) محمد عبد الستار: المدينة الإسلامية، ص١١٨.

(٢) Creswell. K.A.C. The Muslim Architecture of Egypt. Hacker Book, New York, 1978, V.I. p. 4.

(٣) التيجانى: الرحلة، ص ٣٢١.

البناء من حفارين وحجارين وبنائين ونجارين ومرخمين ومهندسين وغيرهم، وعادة ما يكون هذا العمل موكولاً لأهل الخبرة في هذا المجال. وتشير المصادر أحياناً إلى أسماء هؤلاء كما تنقش أسماؤهم أحياناً على ما يباشرونه من عمائر. ولكن يلاحظ في مدينة المهدية أن الذي تولى الإشراف على بنائها الإمام عبيد الله المهدى بنفسه، بل إنه كما تذكر المصادر كان يشارك في مباشرة النواحي الفنية أثناء البناء مباشرة تساعد على ما لعله يظهر من مشكلات أثناء التنفيذ، وقيام عبيد الله المهدى بمباشرة إنشاء مدينته ومتابعة مراحل إنشائها عمل يذكرنا بالأسوة الحسنة التي تتمثل في قيام الرسول ﷺ بمباشرته بل ومشاركته في إنشاء مسجده بالمدينة المنورة، ومتابعته لتخطيط منشآت المدينة ومرافقها المختلفة[١].

وكان أول ما ابتنى عبيد الله في مدينة المهدية هو "سورها الغربي الذي فيه أبوابها"[٢]، وكان هذا السور يتسع لفارسين متجاورين[٣] وهو ما يعنى إنشائياً أن السور كان سميكاً،وبناء الأسوار بهذا السمك أمر جرت به العادة في إنشاء أسوار المدن الكبرى التي تقوم أسوارها بدور إيجابي في الدفاع عن المدينة كمدينة بغداد. وسمك الأسوار بهذا القياس أنجز في أسوار مدينة القاهرة التي أنشأها جوهر، ولاشك أن سمك الأسوار بهذا القياس أيضاً يرتبط بوسائل وأساليب الدفاع عن المدن في العصور الوسطى حيث يمثل السور خطاً دفاعياً من الرماة الذين يقومون بالدفاع من سطح السور الذي يمثل خط الدفاع الأعلى أو من غيره إذا كان السور يشتمل على خط دفاعي في قلبه وذلك حسب تخطيط السور. كما أن سمك الأسوار يساعد أيضاً على مقاومة التغلب عليها بالنقب من خلال أفراد العدو، ويرتبط سمك السور أيضاً بمدى الحاجة إلى الارتفاع بالأسوار ارتفاعاً يعوق أي محاولة لتسلقها، فكلما كانت الحاجة إلى الارتفاع كلما زاد سمك السور، وهكذا يكشف سمك سور المهدية

---

(١) محمد عبد الستار: المدينة الإسلامية، ص ص ٥١-٥٥.

(٢) التيجاني: المصدر السابق، ص ٣٢١.

(٣) ياقوت: معجم البلدان، جـ٥ ص٢٣٠.

عن مستوى التخطيط الذي نفذ به، ليقوى على تأمين المدينة من الجهة الغربية التي ترتبط بالبر وهى أضعف جهة من ناحية التحصين الطبيعي، ومن ثم اهتم بتحصينها تحصيناً قوياً انعكس في زيادة سمك السور، وبنائه بالحجر، وتدعيمه أيضاً بالروابط الرخامية Marble Ties.

وفى إطار ما بقى من أجزاء السور التي عاينها الآثاريون مثل كريسويل[١] يتضح أن السور قد بنى بحجر "التلاتات: أي حجر الدستور الصغير Ashlar، وهو نوع من الحجر تنحت كتله في هيئة متوازي مستطيلات وبقياسات معينة يحددها البناء،ويختلف فيها قياس الطول لكن غالباً ما يكون قياس عرض الكتلة مساوياً لارتفاعها[٢]، ولاشك أن البناء بهذه النوعية من الأحجار المنحوتة نحتاً جيداً والمحددة في قياساتها تحديداً دقيقاً يساعد على سهولة البناء ومتانته، وساعد على ذلك أيضاً صغر حجم كتلة الحجر المنحوتة،وتجدر الإشارة إلى أن هذه النوعية من الحجر استخدمت في بعض منشآت الفاطميين بالقاهرة كمشهد الجيوشى وجامع الحاكم وغيرها، وهو ما يكشف عن انتقال بعض الأساليب التقنية مع الفاطميين من عاصمتهم المهدية إلى القاهرة.

وقد عاين كريسويل بقايا هذا السور وذكر أنها مبنية بحجارة تشبه حجارة مئذنة القيروان،وقد ظلت أسوار المهدية مع أجزاء من الباب قائمة حتى تحطم سنة ١٨٩٩م[٣].

وتذكر المصادر التاريخية أوصافاً مهمة لسور المهدية، فقد ذكر أن أسوار المهدية كانت مدعمة بستة عشر برجاً ثمانية منها ترجع إلى عصر إنشاء المدينة

---

(١) Creswell, Op. Cit., pp. 3,4 Plate 2-c.

(٢) حسين محمد صالح، أحمد حسين عمر. هندسة المباني والإنشاءات، الطبعة الأولى، مطبعة الاعتماد، القاهرة ١٩٢٨، ص١٠٣، توفيق أحمد عبد الجواد،، معجم العمارة وإنشاء المباني، القاهرة، مؤسسة الأهرام ١٩٧٦م، ص١٢٥.

(٣) Creswell: Ibid. p. 4

والثمانية الأخرى ترجع إلى فترات متأخرة[1]، ولما كانت المهدية محاطة بالماء عن الجهات الشرقية والشمالية والجنوبية ولم يبن لها سور إلا في الجهة الغربية، فإن تدعيم السور بهذا العدد من الأبراج يكشف عن مدى الاهتمام بتحصينه، خصوصًا أن توزيع هذه الأبراج الثمانية الأصلية على سور طوله حوالي ٤٠٠ متر يعني أن تكون المسافة بين كل برج والذي يليه قصيرة ويمكن تغطيتها بسهام الرماة تغطية كثيفة.

ويصف ابن حوقل سور المهدية فيقول "له بابان ليس لهما فيما رأيته من الأرض شبيه ولا نظير غير البابين اللذين على سور "الرافقة" (الرقة) وعلى مثالهما عملا ومن شكلهما اتخذا[2]، ويومئ هذا الوصف إلى أن هناك تأثيراً مشرقياً في اتخاذ مصاريع أبوابها هيئة معينة سواء من الناحية التقنية أو من ناحية الشكل، ولا غرابة في ذلك وبخاصة وأن عبيد الله المهدى نشأ في بلاد الشام في سلمية بمنطقة حمص.

ومن المهم أيضاً أن نشير إلى وصف ياقوت الحموي لسور مدينة المهدية وأبوابها الحديدية فقد ذكر أن عبيد الله المهدى "حصنها بالسور المحكم والأبواب الحديد المصمت، وجعل في كل مصراع من الأبواب مائة قنطار ولها بابان بأربعة مصاريع، لكل باب منها دهليز يسع خمسمائة فارس"[3]، ويؤكد هذا القول لياقوت ما ذكره ابن حوقل من أن للمدينة "بابين" وهو القول الذي فسره كريسويل على أنه يقصد (ابن حوقل) بالبابين المصراعين اللذين يركبان على فتحة باب واحدة، ولكن في ضوء هذا القول الواضح لياقوت يتضح أن تفسير كريسويل يحتاج إلى مراجعة وتصحيح وبخاصة إذا ما وضعنا في الاعتبار وصف مارمول **Marmol** الذي زار المهدية قبل أن يدمرها شارل الخامس سنة ١٥٥٣م، حيث ورد في وصفه ما يشير

---

(١) البكري (أبو عبد الله بن عبد العزيز ت ٤٨٧هـ/١٠٩٧م) المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن،وأندرى فرى. الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٩٢م،جـ٢،ص٦٨٢.

(٢) ابن حوقل، (أبو القاسم بن حوقل النصيبى ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)صورة الأرض ، دار الحياة، ص ٧٣.

(٣) ياقوت الحموي (ت٦٢٢) معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠، جـ٥ ص٢٣٢.

إلى أن السور كان يشتمل على ستة أبراج، برجان طرفيان مسقطهما مستدير، ويتميزا بالارتفاع، بالإضافة إلى أربعة أبراج مربعة المسقط في القطاع الأوسط من السور، والبرج الثاني من جهة الشرق[١]، وهو برج المدخل الرئيسي، ولا يوجد مدخل آخر في هذه الجهة التي تربط المدينة بالبر، ويوجد أسفل هذا البرج قبو ضخم، وست بوابات على خط واحد، وهذه البوابات مغطاة بألواح سميكة من الحديد، والبوابة الثانية بالترتيب من الخارج إلى الداخل، صنعت من قضبان ضخمة من الحديد مثبتة في بعضها بدون أي استخدام للخشب، وثبت على كل مصراع من مصراعيها شكل أسد من البرونز، والأسدان في وضع متقابل أي يواجه كل منهما الآخر، وهذه الأبواب حوافها الخارجية مقوسة وهى مدعمة بالحديد تدعيماً يشبه الأبواب التي تنزلق من أعلى البرج، وعلى بعد ثمان خطوات من السور أو القلعة يوجد سور آخر أكثر انخفاضاً يبلغ سمكه خمسة عشر قدماً، وهذا البناء تسعة أبراج، كل ثلاثة منها رتبت لتقابل برجين من أبراج السور الكبير، وفي البرج الأوسط يوجد بروز بنائي لبوابة في اتجاه الشرق، والمدينة يبلغ محيطها ٣٣٠٠ خطوة ويحصنها أبراج بين كل برج والذي يليه ٣٠ خطوة[٢].

ويكشف هذا الوصف وبخاصة وصف برج المدخل عن أن ما ذكره كل من ابن حوقل وياقوت عن مداخل مدينة المهدية من الأهمية بمكان، وفي ضوء هذه الأوصاف جميعها يمكن أن نرجح أن المدخل الرئيسي الأصلي لمدينة المهدية كان من نوعية المداخل التي تخترق برجاً واحداً ضخماً مثل باب بغداد في مدينة الرقة، كما أن هذا المدخل كان يؤدى إلى ممر ضخم مقبى ركب عليه ست بوابات متتالية إمعاناً في التحصين، كما يستشف من وصف مارمول **Marmol** أن البوابة الثانية في الترتيب كانت بتقنية مختلفة حيث شكلت من قضبان حديدية ضخمة مثبتة إلى جانب بعضها، وثبت على كل مصراع من مصراعيها شكل أسد من البرونز يواجه كل

---

(١) ذكر كريسويل تصحيحاً لهذا الاتجاه أنه بالتأكيد "جهة الغرب".

(٢) **Creswell, Op. Cit., p. 4**

منهما الآخر، كما يؤمئ وصف مارمول Marmol إلى أن البوابات كانت في هيئة مقوسة من أعلى ولها مصاريع قوية.

وقد أشارت المصادر التاريخية إلى استخدام الحديد في صنع أبواب المهدية استخداماً أساسياً دون غيره من المواد[١] كالخشب مما جعل هذه الأبواب ثقيلة الوزن ثقلاً واضحاً بالغ في ذكره بعض المؤرخين مثل البكري وابن حوقل الذي ذكر أن المصراع الواحد كان يزن ألف قنطار[٢]، بينما يذكر المقريزى وغيره أن وزنه كان مئة قنطار[٣]، وهذه الرواية الأخيرة أقرب إلى المنطق، وقد صنعت هذه الأبواب من ألواح من الحديد في هيئة طبقات ثبت بعضها مع بعض بمسامير البرشام، وبلغ وزن المسمار الواحد منها ستة أرطال حسبما ذكر المقريزى في كتابه المقفى الكبير[٤].

وقد أكد التيجانى هذا الأسلوب التقني في صنع مصاريع أبواب المهدية، فقد ذكر أن عبيد الله المهدى "أمر بعمل باب الحديد للمدينة، فجعل صفائح مصمطة، ثم أثبتت فيها المسامير، فبقيت تتقلقل، فقال: للصناع ما عندكم في هذا؟ فقالوا: لا ندرى، فأمرهم بتسميرها كذلك، ثم أمر بإيقاد النار تحت الباب كله حتى التهب واتصلت المسامير بالصفائح، فعادت كلها قطعة واحدة، فكان ذلك مما عد من معارف المهدى، وهذا تعصب ممن نقله، وأدنى معرفة الصناع أن يعرفوا هذا القدر إن كان صحيحاً"[٥].

ومن طريف ما يذكر أن هذا الباب المصنوع من الحديد أحب عبيد الله المهدى

---

(١) إدريس عماد الدين (ت ٨٧٢هـ/١٤٨٨م) تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، تحقيق محمد اليعلاوى، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٥، ص٢٠٩.

(٢) البكري: المصدر السابق، ص ٦٨٣؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص ٧٣.

(٣) البكري: المصدر السابق، ص ٣٨٣؛ ياقوت: معجم البلدان، جـ٥ ص٢٣٠، المقريزى: خطط، جـ١ ص٣٥١، Creswell, Op. Cit., p. 3.

(٤) Creswell, Ibid., p3.

(٥) التيجانى: المصدر السابق، ص ص ٣٢٢، ٣٢٣.

"اختبار وزنه، فكلهم أخبره أن لا سبيل إلى ذلك لإفراط ثقله، فأمرهم أن يضعوا إحدى مصراعيه[١] على ظهر سفينة، ففعلوا ذلك، ونظر إلى منتهى غوص السفينة في الماء، ثم أنزل، وشحنت السفينة بالرمل والحجارة إلى أن وصل منها ما وصل أولاً، واستخرج الرمل منها، فوزن على كرات فكان وزن كل مصراع مائة قنطار، وفي كثير من نسخ المؤرخين ألف قنطار"[٢].

وتكشف هذه الرواية عن مدى ثقل الباب- كما أشرنا- وهو الثقل الذي تسبب بعد تركيب الباب في صعوبة فتحه وإغلاقه "فلم تكن المائة من الرجال تستطيع ذلك، فأمر المهدى أن يكون مداره على الزجاج فهان أمره وعاد الرجل الواحد يتولى منه ما كان المائة تعجز عنه، فعجب من هذا كله من فطنة المهدى ونفوذ فكرته"[٣].

وهذه الفكرة نفسها طبقت كما يذكر المقريزى في أبواب مدينة القاهرة حيث عمل لكل مصراع منها "سكرجة" من زجاج لتسهيل فتح الباب وغلقه، حيث يقول "وسمعت غير واحد يذكر أن فرديته (باب زويلة) يدوران في سكرجتين من الزجاج"[٤]. وهكذا تقدم المهدية للقاهرة تقنية أخرى من تقنيات البناء تؤكد نقل الفاطميين لكثير من أساليب البناء والزخرفة من شمال إفريقية إلى مصر وبخاصة فى عمائر مدينة القاهرة.

ويكشف وصف مارمول Marmol لمصراعي البوابة الثانية من الشرق -الذي سبقت الإشارة إليه- عن أن هذا الباب صنع من قضبان حديدية مثبتة في بعضها، وليس بهيئة الألواح المثبتة بمسامير البرشام، كما ورد في وصف المؤرخين والرحالة المسلمين، وإذا صح وصف مارمول Marmol وصحت نسبة الباب الذي

---

(١) في بعض نسخ مخطوط رحلة التيجانى أحد "مصاريعه" وهذا اللفظ يتوافق وكثرة مصاريع البوابة حسب وصف مارمول Marmol

(٢) التيجانى: الرحلة: ص ٢٢٢.

(٣) التيجانى: الرحلة، ص ٢٢٣.

(٤) المقريزى: خطط، جـ١ ص ٣٨١.

وصفه إلى العصر الفاطمي، وبخاصة فترة حكم عبيد الله، يمكن في هذه الحالة أن نذكر أن هذه البداية تمثل تقنية ثانية في صناعة مصاريع الأبواب من قضبان حديدية متلاصقة.

ويذكر البكري أن نقوشاً مختلفة من حيوانات قد زخرفت بها أبواب مدينة المهدية[١]، ويتوافق وصف مارمول Marmol مع ذلك إلى حد بعيد لكنه يحدد نوعية الحيوانات وأسلوب التنفيذ، فيذكر أنه ثبتت على كل مصراع شكل زخرفي عبارة عن أسد وحدد الوضعة التي كان عليها الأسدان وهى هيئة المواجهة بوضع كل أسد على مصراع في مقابلة الآخر، ويكشف وصف مارمول عن أن الأسدين شكلا بطريقة الصب من البرونز وثبتا على الباب المكون من قضبان حديد متلاصقة ويذكرنا شكل هذين الأسدين بالبرج الذي اختير كطالع سعيد للمدينة، وهو برج الأسد، وكأن اختيار هذين الأسدين لزخرفة مصراعي الباب الرئيسي يشير إلى هذا الطالع.

وتشير المصادر التاريخية إلى أن ارتفاع البوابة الرئيسية الأصلية بلغ ثلاثين شبراً[٢]، أي حوالي ٦,٦٠ متراً، وهو ارتفاع يتوافق والتقليد الإسلامي الذي يحقق المحافظة على حق الطريق باعتبار أن البوابة في الأصل بناء فوق الطريق،وقد جرى العرف بأن يحدد هذا الارتفاع بما يعادل ارتفاع فارس راكباً فرسه ورافعاً رمحه، أو بارتفاع شخص يركب جملاً ويمر بسهولة أسفل بناء البوابة[٣].

وإذا عدنا إلى وصف الممر المقبى الذي يؤدى إليه المدخل الرئيسي والذي كان مظلماً بدرجة دعت إلى وسمه بـ "سقيفة الكحلة" نجد أن ياقوت في وصفه لبابي

---

(١) البكري: المصدر السابق، ص ٦٨٣.

(٢) البكري: المصدر السابق، ص ٦٨٣، الشبر حوالي ٢٣ سم، راجع محمد عبد الستار عثمان: الإعلان بأحكام البنيان لابن الرامي، دراسة أثرية معمارية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩، ص ١٨٦

(٣) للاستزادة، راجع محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية ص ١٧٤.

المدينة ما يشير إلى أن كل "بوابة كانت تؤدى إلى دهليز يسع خمسمائة فارس"[1]، ويصف مارسيه البوابة الباقية في السور الغربي فيذكر أن هذه البوابة يكتنفها برجان كل منهما على هيئة نصف مثمن بارتفاع يبلغ ٢٠ متراً يحصران بينهما ممراً مقبياً طوله ٤٤ متراً ولا يوجد بهذا الممر أي فتحات للإضاءة، ومن ثم أصبح الممر مظلماً ولذا سمى "بسقيفة الكحلة" ويشغل هذا الممر في كل جانب على ست دخلات ويبلغ عرض الفتحة المحصورة بين البرجين ٣,٣٠ متر ثم يلاحظ أنها تتسع في المساحة الداخلية المحصورة بين البرجين بواسطة ارتدادين في البرج الجنوبي ليصل إلى ٤,٧٥ سم تقريباً ويستمر عرض الدهليز في المسافة المحصورة بين الدخلات بنفس القياس ثم ينتهي ببروز في الجانبين في القطاع الأخير من الدهليز الذي يمثل الفتحة التي بصدر الدهليز والتي يبلغ اتساعها حوالي ٣ متر تقريباً، أما الدخلات الست في كل جانب من جانبي الدهليز فهي متساوية الاتساع حيث يبلغ اتساع كل منها حوالي ٣,٥ متر وعمقها حوالي متر واحد، وتبدأ هذه الدخلات على ارتفاع ٦٥ سم من مستوى أرض الدهليز وهذه الدخلات معقودة بعقود نصف مستديرة أيضاً[2]، ويلاحظ أن جانبي الدخلة الأولى من الخارج إلى الداخل وكذلك الدخلة الثالثة والخامسة والسادسة من الخارج إلى الداخل والفتحة التي بصدر الممر في هيئة معمارية تأخذ شكل فتحة البوابة حيث إنها معقودة بالبناء، وهو شكل معماري يمكن معه مراجعة وصف مارمول Marmol الذي ذكر أن القبو الذي كان يمر أسفل برج البوابة في مدينة المهدية كان يشتمل على ست بوابات ذات مصاريع.

وفكرة تعدد البوابات على التوالي فكرة مهمة في التخطيط الحربي هدفها عرقلة العدو الذي ينجح في اقتحام المدخل الخارجي، ويعتبر وجودها في مدينة المهدية من الأمثلة المبكرة في العمارة الإسلامية الحربية وهى فكرة طورت بصيغ أخرى في

---

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان جـ٥ ص٢٣٠.

(٢) وهو عبارة عن مسقط أفقي وقطاع رأسي لسقيفة الكحلة عن مارسيه للاستزادة راجع:
Marcais (Georges) Manuel' D Art Musulman, Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne, Sicile. V.I Paris, 1926, p. 132.

العمارة الحربية المغربية والأندلسية في الأبواب ذات المرافق، لكنها جمعت بين الانكسارات المتعددة والأبواب المتعددة في ذات الوقت مع الصعود إلى أعلى في برج نزوى بسلطنة عمان.

وفى إطار ما سبق من وصف مدخل مدينة المهدية وسقيفة الكحلة يتضح أن أبواب مدينة المهدية كانت ذات تخطيط حربي مميز في العمارة الحربية الإسلامية فإلى جانب حماية البوابة ببرج المدخل، فإن بقية تخطيط الممر وأسلوب التنفيذ يلاحظ أنه كان يؤدى غرض الدفاع والحماية وفق تقدير صحيح يتوافق وأساليب الهجوم والدفاع في العصور الوسطى وأدواتها وأسلحتها، فقد صنعت الأبواب من الحديد حتى تقوى على خطر تعرضها للحريق، وهو أسلوب كان يلجأ إليه المهاجمون لأبواب المدن في العصور الوسطى، والتي كانت تصنع من الخشب، كما أن الحديد يقوى على ضربات المناجيق وكذلك آلات النقب إذا ما قورن بالخشب، كذلك فإن تعدد الأبواب من شأنه تكرار الفكرة الدفاعية للأبواب الحديدية عدة مرات.

كما أن فكرة إظلام الممر واعتماد الرؤية فيه على الضوء الآتي من الفتحة الخارجية والفتحة التي بنهاية الممر وفتحة في منتصف سقف الممر على هيئة شخشخة لعدم وجود أي فتحات للإضاءة بالجدران الجانبية للممر يعتبر أسلوباً مهماً من أساليب التخطيط الحربي حيث إن المهاجم لبوابة المدينة ودهليز مدخلها عندما يدخل فيها يجد نفسه في "سقيفة الكحلة" فلا تتوفر له الرؤية الجيدة، بينما تتوفر للجنود المدافعين الرابضين في الدخلات على جانبي الممر رؤية جيدة لتكيف أبصارهم مع درجة الإضاءة الضعيفة في الممر وبهذا تتوفر فرصة جيدة لهم لينقضوا على المهاجمين.

كذلك فإن الدخلات على الجانبين توفر موضعاً مناسباً لراحة الجند في وقت السلم أثناء حراسة البوابة، حيث إن الجزء السفلي منها بهيئة المسطبة، وتمكنهم أيضاً من مفاجأة العدو الذي يندفع في الممر قاصداً داخل المدينة في غياب التركيز على هذه الدخلات الجانبية التي تكون أيضاً أكثر ظلمة من الممر نفسه.

وإذا كان مدخل مدينة المهدية قد اهتم بتحصينه بهذا المستوى العالي من التحصين فإن بناء سورها وما اتبع فيه من أساليب إنشائية يكشف هو الآخر عن الاهتمام بمتانة هذه الأسوار، وقد أشرنا إلى بعض الملامح التي تؤكد ذلك والمتمثلة في بناء الأسوار بحجر "التلاتات" وبسمك يتسع لفارسين وبارتفاع كبير(1)، لكن الجديد في بناء هذه الأسوار والذي يرتبط بالمحافظة على متانة بنائها ومقاومة خطر نقبها هو استخدام الروابط الرخامية Marble-Ties في بنائها وذلك بوضع أعمدة من الرخام بعرض بناء السور بحيث يبدو قطاع طرفي العمود في وجهي السور الخارجي والداخلي في هيئة قرص مستدير، وذلك على ارتفاع معين أعلى من المستوى الذي يصل إليه الجنود بآلاتهم الثاقبة، وهذه الحيلة المعمارية كانت تساعد على عدم تهدم الأسوار وسقوطها أو سقوط قطاعات كبيرة منها عند نقبها في القطاع السفلي للأسوار وهو القطاع الذي يمكن للمهاجمين أن يتمكنوا من الوصول إلى المنطقة المجاورة للأسوار مباشرة ليبدءوا عملية نقبها فتسقط قطاعات كبيرة من الأسوار تسمح بدخول المحاصرين من الأعداء إلى داخل المدينة وتمنع الروابط الرخامية-ممثلة في الأعمدة الموضوعة بعرض السور-من سقوط البناء الذي يعلوها بسهولة حيث تحمل البناء فوقها من حشو بناء السور كما تربط جيداً وجهي بناء السور وبذلك يقوى بناء السور على عملية نقبه.

وتعتبر الروابط الرخامية في أسوار مدينة المهدية أقدم مثال باق في العمارة الإسلامية، وقد قام لزارد Lizard بنشر صور لها، وقد أشارت الدراسات التي تتجه نحو تأصيل عناصر العمارة الإسلامية إلى أن هذا الأسلوب المتمثل في استخدام الروابط الرخامية في تدعيم أسوار المدن لم يظهر قبل ظهوره في أسوار مدينة المهدية وفى أي أثر باق حتى الآن، وقد أشارت هذه الدراسات أيضاً إلى أن المقدسي ذكر أن جده "أبا بكر" البناء استعمل هذه الروابط في بناء مدينة عكا الذي بناه لابن

---

(١) ياقوت: معجم البلدان، جـ٥ ص٢٣٠.

طولون ما بين ٢٦٤هـ/٢٧٠هـ وسنة (٨٧٨/٨٨٣م) [١]، ولكن هذه الرواية التي حاول كريسويل أن يتوصل بها لاستخدام الروابط الرخامية في العمارة قبل المهدية تشير إلى استخدام الروابط الرخامية في بناء ميناء عكا واستخدامها في بناء مرفأ أو حاجز أمواج أو رصيف هو استخدام في أثر مدني يختلف عن طبيعة استخدامها ووظيفتها في أسوار مدينة المهدية، فالغالب أن الهدف من استخدامها في ميناء عكا هدف إنشائي بحت يساعد على متانة البناء ليقوى على صد أمواج البحر وتحمل ما تحمله هذه الأرصفة من أحمال حية وغيرها،بينما هذه الروابط في أسوار المهدية كان غرضها تقليل مخاطر نقب الأسوار.

الخندق:

يعتبر الخندق من مفردات التخطيط المعماري الحربي للمدن منذ أقدم العصور، بل إنه كان الأساس الذي تبعته كل المفردات الأخرى في عصور ما قبل التاريخ، حيث استخدم ناتج حفر الخندق كساتر بوضعه على الجانب الداخلي للخندق، وكانت توضع فوق هذه السواتر الترابية كتل من الأحجار يرمى من ورائها الجند مستغلين موقعهم المرتفع، وقد تطورت هذه السواتر وتلك الكتل الحجرية إلى فكرة السور والشرافات التي تعلوه، وبمرور الزمن تطورت عملية بناء الخنادق فقد وصلت بمصادر للماء لتملأ فتزداد إعاقتها للجند ويسهل ضربهم أثناء العبور، كما بنيت في بعض الحالات لجوانبها الداخلية حوائط بشكل رأسي بالآجر ليصعب تسلقها بعد عبور الخندق أو تكسيتها بالحجر الأملس، الذي يؤدى إلى انزلاق من يحاول الصعود عليها أيضاً، وكلما زاد اتساع الخندق وعمقه وجهز بالأساليب التي أشرنا إليها كلما زادت صعوبة عبوره، وبناء الخندق في الحقيقة يقوم على فكرة سيطرة الموضع المرتفع على الموضع المنخفض وحفر الخندق يضطر العدو إلى أن يكون في فترة ورغماً عنه موضع منخفض وفى انشغاله بعملية عبور الخندق مما يوفر فرصا جيدة للمدافعين في الموضع المرتفع على الجانب الآخر للخندق أو السور المجاور له

---

(١) Creswell: Op. Cit., p. 5

لضرب العدو وهو في الحالة التي سبقت الإشارة إليها[1]، كما إن إنشاء الخندق كان يساعد على كشف من يحاول أن يصل إلى داخل المدينة من خلال المسارب التي تحفر في باطن الأرض من خارج المدينة وتمتد تحت أسوارها.

وقد أشارت المصادر إلى وجود خندق خارج أسوار المهدية ويعتبر هذا الخندق جزءاً مهماً من منظومة العناصر المعمارية الحربية لهذه المدينة، ولكن يلاحظ أن إنشاء هذا الخندق قد حدث في عهد القائم ابن المهدى حيث يشير التيجانى في حديثه عن حروب القائم بن عبيد الله المهدى مع أبى يزيد عام ٣٣٣هـ/٩٤٤م إلى أن القائم أمر بحفر خندق حول أرباض المهدية وزويلة[2]، وفي موضع آخر يذكر أن أبا يزيد زحف إلى المهدية "فوصل إلى خندقها واقتحم الماء بمن معه فوصل الماء إلى صدور خيولهم، وجيوش القائم في ذلك كله متقهقرة ووصل أبو يزيد في تلك الخطرة إلى مصلى المهدية فلم يبق بينه وبين المهدية إلا رمية سهم"([3])، وهذه الرواية الأخيرة يمكن في ضوئها تصور عمق الخندق وأنه كان مصمما ليملأ بالماء ليزيد إعاقة العدو، كما تشير إلى المسافة التي كانت تفصل بين الخندق وسور مدينة المهدية.

منشآت مدينة المهدية الدينية والمدنية

بقيت بعض آثار مدينة المهدية التي أنشأها الفاطميون كبعض العناصر المعمارية بالمسجد الجامع وميناء مدينة المهدية، وأشارت المصادر كذلك إلى بعض المنشآت الدارسة والى بعض ملامح تخطيطها كقصر الخلافة لعبيد الله المهدى وقصر ابنه وغير ذلك من الجباب والمصانع لتخزين الماء والأهراء لتخزين القمح، ودار الصناعة[4]، هذا بالإضافة إلى المساكن الخاصة بالحاشية والجند، وفى ضوء

---

(١) محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، ص ١٣٧.

(٢) التيجانى: الرحلة ص ٣٢٥

(٣) التيجانى: الرحلة ص ص ٣٢٥ - ٣٢٦.

(٤) التيجانى: الرحلة ص ٣٢٥.

ما تبقى من آثار وما ورد في المصادر يمكن أن نعطى صورة عن المنشآت الدينية والمدنية تضاف إلى ما سبق عرضه عن أسوارها وأساليب تحصين بواباتها.

المنشآت الدينية:

- المسجد الجامع:

أنشأ عبيد الله المهدى بمدينته مسجداً، ومن طريف ما يذكره التيجاني في هذا الخصوص ما يقوله من أن عبيد الله المهدى استصغر موضع مساحة مدينته "فردم من البحر مقدارها وأدخله في المدينة فاتسعت والجامع الأعظم الآن والدار المعروفة في القديم بدار المحاسبات من جملة ما ردم في البحر"(١)، ويكشف هذا العمل عن مدى حرص عبيد الله المهدى على اختيار موضع مدينته المهدية رغم صغره وتغلبه على صغر المساحة بردم جزء من البحر(٢)، يعادل مساحتها الأصلية، أنشأ عليه المسجد الجامع وبعض المنشآت الأخرى، ولعل دافعه إلى ذلك هو حصانة هذا الموضع الذي يحيط به البحر من ثلاث جهات.

وإنشاء المسجد الجامع في أي مدينة إسلامية مبكرة كان من المحاور التخطيطية الأساسية لها، باعتباره أحد المعايير التي تميز المدينة عن غيرها من المستوطنات الصغيرة، واهتم عبيد الله المهدى بإنشاء المسجد الجامع في مدينته من هذا المنطلق ومن منطلق آخر حيث كان للمسجد الجامع دور مهم في تأكيد السلطة السياسية لدولته الناشئة وبخاصة وأنها تختلف في مذهبها عن المذهب السني للخلافة العباسية والخلافة الأموية في بلاد الأندلس، وفى إطار الاهتمام بتأكيد هذا الدور حرص الخلفاء الفاطميون ابتداء من عبيد الله المهدى على دور المسجد الجامع في الدعاية السياسية لدولتهم باعتبار أن الخطبة شارة من شارات الملك وباعتبار أن المسجد الجامع هو مركز الإشعاع الديني للمذهب الشيعي مذهب الدولة.

وقد حدثت بعمارة المسجد الجامع بمدينة المهدية تعديلات معمارية كثيرة غيرت

---

(١) التيجاني: الرحلة ص ٣٢٣.

(٢) إدريس عماد الدين، المصدر السابق، ص ٢٠٩.

معظم وحداته وعناصره، ورغم هذا التعديل فإن تحديد العناصر والوحدات الفاطمية من الأهمية بمكان وبخاصة بالنسبة لدراسة العمارة الفاطمية بمصر.

والمسجد الجامع حالياً يشغل مساحة من الأرض مستطيلة الشكل يبلغ قياسها ٨٢×٦٠ متراً، وتعتبر الواجهة الشمالية للمسجد هي الواجهة الرئيسية وتضم هذه الواجهة بعض العناصر والوحدات المعمارية الأصلية لعمارة المسجد، بالإضافة إلى قطاع حديث نسبياً يمثل واجهة لميضأة ومئذنة حديثتين.

- **المدخل الرئيسي البارز:**

يتمثل المدخل الرئيسي بهذه الواجهة الشمالية للجامع بأنه من النوع البارز عن سمت الواجهة فهو يتكون من كتلتين بارزتين على الجانبين، مسقط كل منهما مستطيل الشكل قياسه ٨,٥×٣ متر بارتفاع ٩ متر ويربط بين الكتلتين من أعلى عقد المدخل، وهو من النوع الذي يشبه حدوة الفرس، ويبلغ اتساع فتحته ٤ متر وتؤدى فتحة المدخل إلى ممر يعلوه قبو، وفى صدر الممر فتحة باب يعلوها عتب يعلوه عقد عاتق Relieving Arch وتؤدى فتحة الباب المذكورة إلى داخل الجامع.

ويكتنف فتحة المدخل الخارجية دخلتان يعلو كلا منهما عقد من النوع الذي يشبه حدوة الفرس، يعلو كل منهما إلى محورهما دخلتان أخريان يعلو كل منهما عقد نصف مستدير.

وفى طرفي الواجهة الشمالية المذكورة يوجد بروزان بنائيان يبلغ طول كل بروز منهما ٧,٨ متر، وهذان البروزان هما الجزءان الباقيان من قاعدتي مئذنتين أصليتين ركنيتين، أنشئتا مع بناء الجامع الأصلي، لكن بناء المئذنتين من أعلى قد تهدم.

ومن الجدير بالذكر أن المدخل البارز والمئذنتين الركنيتين البارزتين أيضاً عن سمت الواجهة سمتان معماريتان في هذا الجامع نجد لهما ما يماثلهما في الواجهة الغربية الرئيسة لجامع الحاكم بأمر الله بمدينة القاهرة.

- **المسجد الجامع من الداخل:**

تؤدى فتحة الباب التي بصدر ممر المدخل الرئيسي إلى الرواق الشمالي، وهو عبارة عن سقيفة تغطيها أقبية متقاطعة، وتطل هذه السقيفة على صحن الجامع ببائكة Arcade تتكون من ثلاثة عشر عقداً ويلاحظ أن القطاع الشرقي على يمين الداخل من الباب الرئيسي في هذا الرواق أعمق نسبياً من الجانب الغربي.

ونصل من هذا الرواق إلى صحن الجامع، وهو مستطيل الشكل يبلغ قياسه ٥٠×٣٥ متراً، ويطل عليه من الجانب الغربي رواق حديث البناء، ويطل هذا الرواق على الصحن ببائكة يتكون من تسعة عقود محمولة على دعامات،وقد غطى هذا الرواق بأقبية متقاطعة بنفس هيئة الرواق الشمالي وهذا السقف حديث البناء أيضاً ولا يوجد أي بناء في الجانب الشرقي من الصحن.

أما رواق القبلة فهو أكبر الأروقة حيث يشغل مساحة مستطيلة يبلغ قياسها ٣٠×٢٣ متراً، ويلاحظ أن هذا الرواق يكتنفه من الجانبين الشرقي والغربي فناءان مكشوفان، ويتكون هذا الرواق من تسع بلاطات عمودية على جدار القبلة، ويلاحظ أن البكري قدم في وصفه ما يشير إلى أن الجامع كان يتكون من سبع بلاطات[١].

ويلاحظ أن بناء هذا الرواق حديث نسبياً كما يلاحظ بناء جدار للقبلة ملاصق لجدار القبلة الأصلي وكذلك بناء سقيفة تتقدم رواق القبلة وبانكتهما تتصل بالرواق الجانبي الشرقي وتستمر في اتجاه الغرب حتى تتصل بالجدار الغربي للمسجد وتطل هذه السقيفة على الصحن ببائكة من خمسة عشر عقداً الأوسط منها يلاحظ أنه محمول على زوجين من الأعمدة وعلى محور البلاطة الوسطى في رواق القبلة.

ويشتمل جدار القبلة الحديث على محراب حديث أيضاً وبهذا المحراب كتابات تشير إلى تجديده سنة ١٣٣٤هـ/١٩١٥م،ويوجد خلف جدار القبلة الحديث جدار القبلة الأصلي ويوجد أيضاً خلف المحراب الحديث المحراب الأصلي لجامع المهدية، ويمكن رؤيته من خلال فتحات نافذة في المحراب الحديث.

---

(١) البكري: المصدر السابق ص ٦٨٣.

والمحراب الاصلي للجامع عباره عن حنيه يبلغ اتساعها ٢ متر وعمقها متر واحد. والقطاع السفلي من المحراب تزخرفه قنوات غائرة تتصل بينها ضلوع بارزة، ويعلو هذه الضلوع البارزة فوقها طواقي صغيرة مفصصة في هيئة الصدفة تتكون بعضها من خمسة فصوص وبعضها الآخر من عشرة فصوص. وقد رتبت هذه الطواقي بحيث تتبادل الصدفة ذات الخمسة الفصوص مع ذات العشرة الفصوص على التوالي. ويوجد ركنان مرتدان يكتنفان حنية المحراب. أما القطاع العلوي الذي يمثل طاقية المحراب فتأخذ شكل نصف القبة وقد اختفت زخارف سطحها، وقد عقد كريسويل مقارنة بين الأجزاء الباقية من هذا المحراب ومحراب صفاقص حتى يخرج بالتصور الكامل الذي كان عليه المحراب في جامع المهدية. وافترض أن يكون هناك شريط بين القطاع السفلي وطاقية المحراب له كتابات كوفية أو زخارف، ويعد عرض هذا الشريط ٨٠-١٠٠ سم[١]

وفى إطار الوصف السابق لجامع المهدية يتضح أن الجامع قد حدثت فيه إصلاحات معمارية شملت معظم أروقته بالإضافة إلى الميضأة والمئذنة الحديثة، ورغم ذلك فما زال الجامع يشتمل على بعض الوحدات والعناصر المعمارية الفاطمية الأصلية يمكن حصرها على النحو التالي:

١) الواجهة الغربية.

٢) المدخل الرئيسي البارز بالواجهة الغربية

٣) جدار القبلة القديم.

٤) المحراب القديم.

ومما سبق يتضح أن هذا الجامع يتميز ببعض الملامح المعمارية المهمة، ولعل أهمها المدخل البارز. والمئذنتان في طرفي الواجهة والمحراب وبخاصة القطاع السفلي ذو القنوات التي تتوجها أشكال صدفية مفصصة

ومن المهم أن نشير إلى أن المدخل البارز في هذا الجامع يعتبر أقدم نموذج من

---

(١) Creswell, Op. Cit., p. 7

المداخل البارزة في العمارة الإسلامية، حيث جرت العادة بإنشاء مداخل المساجد والمساجد الجامعة قبل ذلك في مستوى سمت الواجهات التي بها، وكان ظهور هذا المدخل البارز لأول مرة في عمارة هذا الجامع سنة ٣٠٣هـ/ ٣٠٥هـ(٩١٧/٩١٥م) ثم ظهر بعد ذلك في جامع الحاكم بأمر الله في مدينة القاهرة سنة ٣٨٠هـ/٤٠٣هـ(٩٩٠-١٠١٣م)، ثم في الجامع الأقمر سنة ٥١٩هـ (١١٢٥م) ثم مسجد الصالح طلائع سنة ٥٥٥هـ/١١٤٠م، ثم ذاع وانتشر بعد ذلك في المساجد في العصور التالية.

والمدخل عنصر تصميمي معماري مهم[١] يراعى فيه معايير عدة منها ما يتصل بالنسيج العمراني المجاور للمبنى، ومنها ما يتصل بموضعه من المبنى، ومنها ما يتصل بعلاقته بوحدات المبنى من الداخل، ومنها أيضاً ما يتعلق بشكله وتشكيله، والمدخل البارز في جامع المهدية أو مدخل صريح[٢] في عمارة المساجد باعتبار شكله البارز، وباعتباره أيضاً نموذجاً مميزاً من المداخل المسقوفة، ثم باعتبار تفاصيله المعمارية وبخاصة فتحته الخارجية المعقودة بعقد يشبه حدوة الفرس والحنايا المعقودة التي تزخرف كتلتيه الجانبيتين البارزتين، وهو تشكيل معماري جعل بعض الآثاريين أمثال مارسيه **Marcais** وكريسويل **Creswell** يحاولان أن يبحثا عن أصل لهذا التشكيل المعماري الجديد في هذا المدخل، وانتهت محاولة كل منهما إلى أن هذا الشكل متأثر- على حد قولهما- بشكل أقواس النصر الرومانية(٣)، وهو تأصيل يعتمد على بعض مفردات الشكل، وبخاصة عقد فتحة المدخل، أما بقية عناصر التكوين فإنها تختلف، ومنهجية التأصيل هنا وكما هي في حالات أخرى كثيرة تنكر على المسلمين ملكة الابتكار وتضعهم دائماً في مربع الاقتباس.

وأرى أن شكل المدخل البارز في هذا المسجد الجامع بمدينة المهدية أول

---

(١) توفيق عبد الجواد: المرجع السابق، ص ٤٢٥.

(٢) منظمة العواصم والمدن الإسلامية. أسس التصميم والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية، دراسة تحليلية على العاصمة القاهرة، جدة، ١٩٩٠م، ص ٤٤.

(٣) Creswell: Op. Cit., pp. 8-9.

عاصمة ناشئة للدولة الفاطمية بالشمال الأفريقي ومدى اهتمام هذه الدولة بإبراز جلال خلفائها وخلافتها، واهتمامها بالرسوم وتوظيف العمارة لخدمة هذه الأغراض الدعائية السياسية -كان هو المناخ الذي أدى إلى ابتكار هذا التشكيل الجديد لمدخل المسجد الجامع، أول مسجد جامع من إنشاء هذه الدولة في أول عاصمة لها وبهذه الهيئة التي توافق ما يراد إبرازه من جلال هذه الخلافة، ويتوافق ذلك أيضاً مع الاهتمام بعمارة قصر الخلافة، والتدقيق في رسوم المواكب من القصر إلى الجامع في هيئة تحقق أغراضا دعائية سياسية يلاحظ استمرارها والتأكيد عليها من عمائر الفاطميين المماثلة في مدينة القاهرة.

ويكتمل تكوين الواجهة في إطار هذه الرؤية ببناء مئذنتين بارزتين أيضاً عن سمت الواجهة في طرفيها،وهو تشكيل إن كان قد فقد تأثيره لتهدم الجزء العلوي من بناء المئذنتين إلا أن هذا التأثير يمكن تصوره من خلال رؤية واجهة جامع الحاكم النموذج الثاني الباقي الذي وضع بنفس الهيئة ولكن في مدينة القاهرة.

ولاشك أن ضخامة المدخل وشدة بروزه وارتفاعه وزخرفة كتلتيه بالحنايا المعقودة في مستويين كان له تأثيره على المشاهد والداخل في هذا المدخل، كما أن توازن هذا المدخل البارز مع بروز المئذنتين في طرفي الواجهة وارتفاعهما كان من شأنه إكمال منظومة التوازن المعماري لواجهة هذا المسجد الجامع، هذا بالإضافة إلى القيم الجمالية الأخرى التي تتحقق من خلال السمترية في وضع المئذنتين وبرجي المدخل وزخرفة السطوح بالحنايا وغيرها، وما لذلك وغيره من تأثيرات التشكيل وحسابات الظل والنور وبخاصة مع حركة الشمس الظاهرية من الشرق إلى الغرب وكون هذه الواجهة شمالية الاتجاه.

- **مصلى العيد:**

صلاة العيد سنة مؤكدة، وكان الرسول ﷺ أول من أنشأ مصلى للعيد في المدينة المنورة، فقد أثر عنه ﷺ أداؤه لصلوات الأعياد والجنائز والاستسقاء منذ مقدمه إلى المدينة المنورة في مكان معين في العقيق، وأن المصلى قد خصص لهذه الصلوات

لما رواه أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي ﷺ خرج إلى المصلى يستسقى فبدأ الخطبة ثم صلى وكبر واحدة افتتح بها الصلاة، وقال: هـذا مجمعنـا ومـستمطرنا ومدعانا لعيدنا وفطرنا وأضحانا فلا يبنى فيه لبنة على لبنة[١].

وهكذا حدد الرسول شكل المصلى فهو عبارة عن رحبة من الأرض الفـضاء لا حدود بنائية لها تحصرها ولا سقف يغطيها[٢]، وفى مرحلة لاحقة وعلى وجه التحديد فى عهد الخليفة عثمان بنى للمصلى منبر من الطين، ومع انتشار العمران الإسلامي جرت العادة بإنشاء هذه المصليات عادة في ظاهر المـدن الآهلـة حيـث لا توجـد بيوت[٣].

وفى إطار اهتمام الفاطميين بتأكيد نسبهم إلى فاطمة والتأكيـد علـى التأسـي برسول الله ﷺ والتمسك بسنته فقد اهتموا بإنشاء مصليات العيد بمـدنهم ومدينـة المهدية كانت أول مدينة لهم وحرصوا على إنشاء مصلى للعيد بظاهرها من الجهـة الغربية خارج أسوارها، وكذلك أنشئت مصلى للعيد بمدينة المنصورية أو صبره، وقد حرص الخلفاء على صلاة العيد في هذه المصليات حتى في حالـة سـقوط المطـر وتحول أرض المصلى إلى وحل، فقد ذكر القاضي النعمان بن محمد أنه "حضر عيـد الفطر، وتقدمه نوء عظيم وكثر الوحل والطين، وذكر ذلك للإمام المعز لدين الله، وما بالمصلى منه وما في الطريق إليه من الماء والوحل والطين، وظنوا أنه يصلى العيد في المسجد، فقال، يكون ذلك ما يكون لابد من قضاء فرض الله في البراح، على ما

---

(١) السمهودى (نور الدين أبو الحسن على بن عبد الله بن أحمد بـن أبـى الحـسن علـى الشافعي(٨٤٤هـ/٩١١هـ-١٤٤٠م/١٥٠٥م) وفاء الوفـا، طبـع دار الآداب والمؤيـد بمصر سنة ١٢٢٦ جـ٢ ص ١١، محمد عبد الستار عثمان، مدينة ظفار بسلطنة عمان، دراسة تاريخية أثرية معمارية، دار الوفاء لدنيا النشر والطباعـة، الإسـكندرية، ٢٠٠٢، ص ١١٧.

(٢) طه الولي: المساجد في الإسلام، دار العلم للملايين، بيـروت، الطبعـة ١٩٨٨، د.ت ص ٥٢.

(٣) طه الولي: المرجع السابق. ص ٥٢. محمد عبد الستار، مدينة ظفار،ص ١١٧.

أمر به جل ذكره وسنة رسوله ﷺ. وذكر حديث النبي ﷺ أنه ذكر ليلة القدر من شهر رمضان فقال: رأيت أنى أسجد فيها في ماء وطين، وأن الناس أمطروا بعد ذلك، فوكف المسجد وصلى رسول الله ﷺ فانصرف من الصلاة وقد أثر الطين والماء في جبهته وأنفه لسجوده فيه.

وقال المعز: وهذا أقل ما ينبغي أن يفعل في ذات الله وأكثر منه والله لو حبونا في هذا الطين حبواً على الركب، وكان ذلك مما يرضى الله عنا ويقبله منا لفعلناه. وخرج الناس من غد يخوضون الماء والطين، فما انصرفوا إلا وقد تخضبوا فيه وامتلأت ثيابهم منه وكان مشهداً يرضى الله من وليه ومن ذهب فيه مذهبه"(1).

واهتم المعز لدين الله أيضاً بإنشاء مصلى العيد بمدينة القاهرة خارج باب النصر اهتماماً واضحاً وأثر التمسك بسنة رسول الله في الخروج إلى المصلى من طريق والعودة من طريق آخر على وضع هذه المصلى وارتباطه بشبكة الطرق في القاهرة وبخاصة في القطاع شمال القصر الشرقي.

وقد وردت في بعض الروايات المصدرية إشارات إلى مصلى العيد بمدينة المهدية فقد ذكر التيجانى في ثنايا حديثه عن أحداث الصراع بين أبي اليزيد بن كيداد النكارى- أحد الثوار على القائم- أن أبا يزيد عندما هاجم المهدية في عهد القائم "وصل إلى مصلى المهدية فلم يبق بينه وبين المهدية إلا رمية سهم حسبما أنذر به المهدى عند بناء سورها".

وتكشف هذه الرواية عن أن بناء مصلى العيد في مدينة المهدية كان خارج أسوارها على بعد رمية سهم، وقد جرت العادة - كما أشرنا- بإنشاء مصلى العيد عادة في المدن الإسلامية خارج أسوارها حتى لا تشغل جزءاً من المدينة التي تحيطها الأسوار وبخاصة وأنها لا تستخدم إلا مرتين في العام لصلاة عيد الفطر وعيد الأضحى وأحياناً تستخدم لصلاة الاستسقاء في حالة الحاجة إلى إقامة هذه الصلاة.

وكان إنشاء مصلى العيد خارج أسوار المدينة في إطار تحقيق شرط الاقتصاد

---

(١) إدريس عماد الدين، المصدر السابق. ص ص ٦٢٧-٦٢٨.

في العمارة، حيث إن وضع المصلى خارج الأسوار يوفر مساحتها لإنشاء منشآت أخرى داخل المدينة تحتاج إلى التأمين، كما أن وضع المصلى في خارج أسوار المدينة وفى إطار هذه الرؤية يساعد على التوفير بأسلوب غير مباشر في تكلفة بناء الأسوار في حالة إذا ما قورن هذا الحال بحال افتراض وضعها داخل أسوار المدينة فيضاف عندئذ أطوال للأسوار فتزداد تكلفة البناء.

وظروف مساحة مدينة المهدية التي اتسمت بصغرها حتى إنه ردم فى البحر ما يعادل مساحتها الأصلية لإنشاء المسجد الجامع،وبعض المنشآت الأخرى يضيف سبباً آخر لضرورة وضع مصلى العيد خارج أسوارها.

المنشآت المدنية :

أ - المنشآت المائية :

كان تزويد المدينة بالماء من أهم محاور التخطيط،وقد ذكر ابن الربيع أن على مخطط المدينة الإسلامية أن يراعى توفير مصدر الماء العذب الذي يغذيها بما تحتاج إليه من ماء، ثم يقوم المخطط بعد ذلك بتوصيل الماء إلى المدينة "ليسهل تناوله دون عسف"[١].

وقد حرص عبيد الله المهدى على توفر مصدر الماء لمدينته وتسهيل توصيله إليها وتخزينه بها ويؤكد المؤرخون على هذه الحقيقة فيذكر أن عبيد الله المهدى "جلب الماء الجاري إلى مدينته من قرية ميانش وهى على مقربة من المهدية في أدل وأقداس ويصب في المهدية في صهريج داخل المدينة عند جامعها، ويرفع من الصهريج إلى القصر بالدواليب، وكذلك يسقى أيضاً من قرية ميانش من الآبار بالدواليب يصب في محبس تجرى منه الماء إلى تلك القناة"[٢]. ويكشف هذا الوصف للبكري ولياقوت عن أن مصدر الماء الذي يغذى مدينة المهدية كان من آبار قرية

---

(١) ابن الربيع (شهاب الدين أحمد بن محمد ت ٢٧٢هـ/٨٨٥م) سلوك المالك في تدبير الممالك على التمام والكمال، القاهرة ص١٢١.

(٢) البكري: المصدر السابق،ص ٦٨٣؛ ياقوت: معجم البلدان، جـ٥ ص ٢٣١.

ميانش، ويرفع الماء من هذه الآبار بواسطة الدواليب (السواقي) ويجرى في قناة تنتهي إلى مواجل أو جباب أو صهاريج بالمدينة لتخزينه بكميات تكفى حاجة المدينة لفترة معينة، وكان الماء يرفع من مواضع تخزينه إلى المباني التي يغذيها بالدواليب،وفى ذلك ما يشير إلى وجود منظومة معمارية من المنشآت المائية من الآبار والسواقي والمواجل والقنوات تمثل شبكة مياه متكاملة تبدأ من المصدر في قرية ميانش وتنتهي إلى المنشآت المعمارية بالمدينة كل حسب حاجتها.

ونظراً لأن مصدر الماء كان خارج المدينة، كان التحوط من خطورة السيطرة على هذا المصدر من قبل الأعداء أثناء حصار المدينة،وقد أدرك عبيد الله المهدى هذا الخطر إدراكاً واضحاً فخطط لتجنب هذا الخطر بإنشاء العديد من الصهاريج والمواجل والجباب داخل المدينة لتخزين أكبر كمية من الماء تكفى المدينة أطول مدة ممكنة وقت الحصار، ولعل في هذا ما يفسر سبب كثرة المواجل والصهاريج بهذه المدينة كثرة واضحة حتى أن البكري وياقوت يذكران أن عددها "بلغ ثلثمائة وستين موجلاً غير ما يجرى إليها من القناة التي فيها"[١]. ويؤكد على ذلك أيضاً التيجانى فيذكر أن عبيد الله المهدى "ملأ الجباب بالماء ثم أمر بحفظها لم تفتح إلا في أيام أبى يزيد ولولا ذلك لما أطاقوا الحصار"[٢].

ب- القصور:

أشارت المصادر إلى أن عبيد الله المهدى تابع إنشاء المنشآت الأخرى في مدينته مثلما تابع إنشاء السور والمسجد الجامع وشبكة الماء، ومن أهم هذه المنشآت قصر الخلافة وغيره من القصور فبنى قصره المعروف به الذي كانت به طياق من ذهب[٣].

كما تشير المصادر إلى أن ابنه القاسم "بنى بإزاء قصر أبيه عبيد الله قصره

---

(١) البكري: المصدر السابق، ص ٦٨٣؛ ياقوت : معجم البلدان جـ٥ ص ٢٣١.

(٢) التيجانى: الرحلة ص ٣٢٣.

(٣) التيجانى:: الرحلة ص ٣٢٣.

المعروف به وبينهما فسحة[1]، ويذكر ياقوت بعض الملامح المعمارية لهذه القصور فيذكر أن عبيد الله المهدى بنى بالمهدية "قصوراً عالية".

وهذه الروايات تجسد اهتمام الخلفاء الفاطميين بعمارة القصور الضخمة والفخمة في إطار توظيف العمارة لأغراض دعائية سياسية تعلن عن قيام دولة فتية وخلافة ثالثة أسسها عبيد الله المهدى لتمد نفوذها على العالم الإسلامي السني وتنشر مذهبها الشيعي.

ويهمنا أن نشير إلى سمة تخطيطية مهمة في هذه المدينة تتمثل في بناء قصرين أحدهما للخليفة والآخر لابنه وبينهما ميدان فسيح "فسحة" وهو ذات التخطيط الذي تكرر في مدينة القاهرة، حيث بنى القصر الشرقي الكبير للخليفة المعز وبنى بعد ذلك القصر الغربي لابنه العزيز وترك فيما بين القصرين ميدان عرف بميدان بين القصرين.

وقد تسبب إطلاق مسمى "بين القصرين" في حدوث خلط لدى بعض الباحثين بين استخدام المسمى وبين رؤية التخطيط والمتماثلة في بناء قصر للخليفة، يواجهه قصر لابنه وبينهما "فسحة" أو ميدان، فقد استخدم ابن دقماق مسمى "بين القصرين" أثناء وصفه لمكان بالفسطاط، كان يضم قصراً لعبد الله بن عمرو بن العاص وقصراً آخر لعمر بن مروان بن الحكم كان بينهما مكان سماه ابن دقماق ببين القصرين نسبة إلى هذين القصرين[2].

ورأى أحد الباحثين أن تخطيط قصري المهدية والميدان الذي بينهما وقصري القاهرة والميدان الذي بينهما يمكن تأصيله[3]، بما أشار إليه ابن دقماق عند

---

(١) التيجانى: الرحلة، ص ٣٢٣.

(٢) ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى) الانتصار لواسطة عقد الأمصار، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق العربية، نشر دار الآفاق العربية، بيروت د.ت، ص ص ٦-٧.

(٣) عبد الله كامل، المرجع السابق، ص ٤١.

استخدامه لمسمى "بين القصرين" وهو رأى أظن أنه غير صحيح وذلك لأسباب منها اختلاف الدور السياسي لكل من الخليفة عبيد الله المهدى وابنه وكذلك الخليفة المعز وابنه عن العلاقة والدور السياسي لعبد الله بن عمرو وعمر بن مروان، وكذلك اختلاف طبيعة العلاقة بين هذين الأخيرين والعلاقة بين المهدى وابنه المعز،هذا بالإضافة إلى اختلاف طبيعة مدينة المهدية ومدينة القاهرة الملكيتين عن طبيعة مدينة الفسطاط التي قطن بها الوالي وسط رعيته.

وإذا كان استخدام ابن دقماق للتسمية "بين القصرين" كان هو السبب الرئيسي في هذا الخلط فإنه يجب أن نضع في الاعتبار احتمال أن استخدام هذه التسمية من جانب ابن دقماق كان في إطار شيوع تسمية "بين القصرين" الخاصة بالميدان الفاطمي في قلب القاهرة وبخاصة وأن ابن دقماق قد عاش في فترة تلت إنشاء هذه القصور بستة قرون وألف كتابه في فترة شاعت فيها هذه التسمية وترددت وارتبطت بالقصور الفاطمية في الأدبيات المعاصرة، ولذا فإن اعتبار معرفة مسمى بين القصرين قبل العصر الفاطمي-قبل ثلاثة قرون-وتأثيره في مسمى بين القصرين بالقاهرة يحتاج إلى مراجعة وتوثيق.

وقد ذكر البكري بعض التفاصيل المعمارية الخاصة بقصر عبيد الله المهدى فيذكر أن "قصر عبيد الله كبير، سرى المباني، بابه غربي، وقصر ابنه أبى القاسم بإزائه بابه شرقي بينهما رحبة فسيحة"(١)، ويكشف هذا الوصف عن بعض الملامح المعمارية التي يتسم بها القصر ومنها أنه كان يضم عدة مباني، كما أشار البكري إلى سمة أخرى مهمة، وهى أن هذه المباني تتسم "بالسرية" أي أن فيها عنصرًا ووحدات اهتم بجعلها غير معلومة، وهاتان السمتان يلاحظ أنهما تكررتا في القصر الفاطمي الشرقي الكبير بمدينة القاهرة حيث تعددت بناياته، وكانت تربط بين هذه البنايات سراديب سرية، وكانت تربط هذه السراديب بين القصر وبستان كافور ومنظرة اللؤلؤة على الخليج، وإذا أضفنا إلى هاتين السمتين سمة ارتفاع المباني التي أشار إليها ابن حوقل وهى سمة أيضاً تميزت بها القصور الفاطمية بالقاهرة،

---

(١) البكري: المسالك، جـ٢ ص ٨٦٣.

كما أشار إليها ناصر خسرو[1]، يتضح التأثير المعماري لقصور المهدية على قصور القاهرة.

ومن السمات المهمة في عمارة هذه القصور هو ثراؤها، فقد أشار التيجانى إلى أن قصر عبيد الله المهدى كانت به "طيقان الذهب" ولاشك أن ضخامة القصر وتعدد مبانيه وسريتها وارتفاعها وثرائها ثراء الذي انعكس في طلاء بعض طيقانها بالذهب،يسجل تركيز الفاطميين على توظيف عمائرهم توظيفاً دعائياً سياسياً يصوره بطريقة غير مباشرة قوة هذه الدولة الناشئة وهو أمر يتوافق تماماً وما أشرنا إليه في الحديث عن واجهة جامع المهدية وبخاصة المدخل البارز بهذه الؤاجهة.

ج - دار الصناعة والميناء:

أشارت المصادر التي تحدثت عن المهدية إلى منشأتين مهمتين ترتبطان بالموقع الساحلي لمدينة المهدية، وباهتمام عبيد الله المهدى وخلفائه بتأسيس قوة بحرية لعبت دوراً مهماً في حروب الفاطميين وانتصاراتهم، وكذلك كان لها دور في النشاط التجاري المتصل بنقل السلع والبضائع والركاب بين الموانى المطلة على البحر المتوسط، ثم في مرحلة لاحقة في البحر الأحمر بعد سيطرة الفاطميين على مصر وتحويلهم للتجارة العالمية الآتية من الشرق والتي كانت تمر بالخليج إلى البحر الأحمر.

أولاً: دار الصناعة:

حدد البكري موضع دار الصناعة في مدينة المهدية وبعض ملامحها المعمارية، فذكر أنها شرقي قصر عبيد الله المهدى وتسع أكثر من مائتي مركب، فيها قبوان كبيران طويلان لآلات المراكب وعددها لئلا ينالها شمس ولا مطر"[2]، وقد أكد التيجانى ما ذكره البكري عن موضع دار الصناعة فذكر أنها بشرقي قصر عبيد الله

---

(١) ناصر خسرو: سفر نامه، ترجمة خالد البدلى، نشر عمادة شئون المكتبات بجامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٨١، ص ٩٥.

(٢) البكري: المصدر السابق جـ٢ ص ٦٨٣.

المهدى، حيث كانت هي دار الصناعة الآن، وهو وصف يفيد أن موضع قصر عبيد الله أصبح يحدد بدار الصناعة التي ظلت باقية حتى عهد التيجانى،وهو ما يعنى أن هذه الدار ظلت عامرة لعدة قرون.

وفى إطار وصف البكري لدار الصناعة يتضح كبر حجمها، فقد كانت تتسع لأكثر من مائتي مركب[١]، وهى طاقة ضخمة يكشف عن حجم طاقة العمل بهذه الدار في هذه الفترة المبكرة من تاريخها، كذلك يشير وصف البكري إلى أن هذه الدار كانت تشتمل على مبنيين لحفظ الآلات والعدد التي كانت تستخدم في صناعة السفن وإصلاحها، وهذان المبنيان كانا كبيرين وبهيئة مستطيلة، وكان يعلو كلا منهما سقف معقود قبواً، ويكشف كبر حجم المبنيين عن كثرة الآلات والعدد التي كانت تستخدم في صناعة السفن وإصلاحها، وهو ما يؤكد ضخامة إنتاج هذه الدار من السفن، وضخامة الخدمة التي تؤديها للسفن التي تحتاج إلى إصلاح وهو ما أكده التيجانى عندما قوم عمارة هذه الدار فذكر أنها من "عجائب الدنيا"[٢].

ثانيًا: الميناء:

ذكر البكري وياقوت وصفاً جميلاً للمرسى التي نقره عبيد الله المهدى في الصخر لمرسى للسفن بالمهدية، فقال: "مرسى المهدية منقور في حجر صلد يسع ثلاثين مركباً، على طرفي المرسى برجان بينهما سلسلة حديد"[٣].

وأوضح التيجانى الغرض الذي من أجله أنشأ عبيد الله المهدى هذا المرسى فقال إن عبيد الله المهدى "أمر بحفر مرسى المدينة، وكان حجراً صلداً، فنقره نقراً وجعله

---

(١) لمعرفة المساحة التي كانت تشغلها المراكب المئتين يمكن الاستفادة من النص الذي وصف ميناء المهدية الذي نقره عبيد الله المهدى في الصخر بمساحة ١٢٦×٥٧ متراً وكان يتسع لثلاثين مركباً، وبحساب المساحة التي تشغلها المركب في المتوسط ٢٣٩,٤ متر فتكون المساحة التي كانت تشغلها دار الصناعة والتي تتسع لمائتي مركب ٥٧٨٨ متراً مربعاً.

(٢) البكري: المصدر السابق، جـ٢ ص٦٨٣؛ التيجانى: الرحلة ص ٣٢٣.

(٣) ياقوت: معجم البلدان جـ٥ ص ٢٣١.

حصناً لمراكبه الحربية، وأقام على فم هذا المرسى سلسلة من حديد يرفع أحد طرفيها عند دخول السفن، ثم تعاد كما كانت تحصيناً للمرسى من دخول مراكب الروم"[1].

وما زال هذا الميناء باقياً إلى اليوم وتبلغ مساحته ١٢٦ متراً طولاً و ٥٧ متراً عرضاً، ويكشف الأسلوب الذي نفذ به هذا المرسى وهو أسلوب نقره في الحجر الصلد عن رؤية معمارية مدركة لأساليب إنشاء بعض المباني بالنقر وهو أسلوب عرفه المصريون القدماء ونفذوا به بعض المعابد والمقابر، واستخدم أيضاً في مقابر مدائن صالح وبعض المقابر بقرية الفاو بالمملكة العربية ترجع إلى القرن ٢ ق.م إلى القرن ٣ م وغيرها، ولكن يلاحظ أن استخدام هذا الأسلوب في حفر مرسى للسفن استخدام ذكى لأن الصخر الطبيعي يقوى على الماء وأمواجه أكثر من أي بناء بالأسلوب الذي يعتمد على بناء حوائط.

كذلك فإن فكرة إنشاء برجين على طرفي المرسى تمتد بينهما سلسلة يوفر فرصة جيدة لمراقبة البحر من جهة المرسى ويؤمن المراكب بالمرسى من دخول سفن الروم، وبالرغم من هذه الوظيفة الحربية للمرسى فإن تشكيل البرجين ونقر المرسى بالقياس المذكور أضفى – بلاشك- رؤية جمالية وبخاصة سمترية البرجين.

وبالرغم من كل هذه الحقائق التي تؤكد نسبة مرسى المهدية إلى عبيد الله المهدى فإن بعض الباحثين عرضوا آراء مختلفة من تاريخ هذا المرسى الذي اعتبروه بمثابة ميناء كبير، ومن هؤلاء جيرن Guerin الذي ذكر في كتابه Voyage Archaeologiqe أن هذا الميناء كان فينيقياً[2]، كما يذكر باحث آخر أن ميناء المهدية قديم في تونس من أيام الرومان[3]، وربما يبدو أن هناك تعارضاً بين ما سبقت الإشارة إليه عن مرسى عبيد الله المهدى وبين هذه الآراء التي ترجع

---

(١) التيجاني: الرحلة ص ٣٢٢.

(٢) نقلاً عن: عبد الرحمن فهمي محمد، روائع العمارة الفاطمية، القاهرة ١٩٧٠ ص ٣.

(٣) أنور عبد العليم،الملاحة وعلوم البحار عند العرب، سلسلة عالم المعرفة،الكويت،ص ٨٢.

ميناء المهدية إلى عصور سابقة على العصر الإسلامي، ولكن نظرة متأنية فيما ذكره هؤلاء توضح أن رأى جيرن Guerin وأنور عبد العليم يبدو أنها تقتصر موضع المهدية ككل كميناء قبل أن يبنى عبيد الله مرساه الذي نقره في الصخر كمرسى لمدينة المهدية التي أنشأها على جزء من سواحلها.

مدينة زويلة:

بنى هذه المدينة عبيد الله المهدى كمدينة للعامة، وأنشأها على بعد رمية سهم من مدينة المهدية، المدينة الملكية التي سكن بها هو وحاشيته وجنده، وكان إنشاء هذه المدينة محققاً للخصوصية الملكية لمدينة المهدية، حيث لم يكن هناك بد من إنشاء مدينة للعامة بجوار المهدية يسكنون بها، وقد أشار ياقوت إلى الحكمة من فصل سكن العامة في مدينة قائمة بذاتها عن مدينة المهدية مقر الخلافة فأشار إلى أن عبيد الله المهدى "أسكن العامة في زويلة، وكانت دكاكينهم وأموالهم في المهدية، وبزويلة مساكنهم، فكانوا يدخلون بالنهار للمعيشة، ويخرجون بالليل إلى أهاليهم، فقيل للمهدى: إن رعيتك في عناء من هذا، فقال: لكن أنا في راحة،لأني بالليل أفرق بينهم وبين أموالهم، وفى النهار أفرق بينهم وبين أهاليهم فآمن غائلتهم"[١].

وتكشف هذه الرواية عن أن مدينة المهدية كانت تضم منشآت تجارية يمارس فيها العامة تجاراتهم وصناعاتهم باعتبار أن الدكاكين في تلك العصور كان هي مجال التجارة والصناعة في الغالب الأعم، ورؤية عبيد الله المهدى في بناء مدينة زويلة تختلف عن رؤية الخليفة المنصور الذي أنشأ الكرخ خارج أسوار بغداد لينقل إليها التجار بعد تحذير الزائر الرومي الذي زار بغداد وحذره من وجود النشاط التجاري داخل بغداد لأن من شأنه أن يعرض أمنها للخطر حيث يستطيع الجواسيس بسهولة الولوج إلى هذه الأسواق ويكشفوا أسرار المدينة[٢]، ورغم اختلاف الرؤية إلا أنه في كلتا الحالتين كان حرص الخليفتين واضحاً على توفير الأمن لمدينة كل منهما مع

---

(١) ياقوت: معجم البلدان، جـ٣ ص٦٠.

(٢) محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية ص ١١٨.

توفير ما تحتاجه كل مدينة من أهل الصناع والحرف والتجار الذين لا تستغني عنهم أي مدينة بل إن وجودهم في أي مدينة أو بالقرب منها كما في زويلة والكرخ بالنسبة للمهدية وبغداد عدّ من الشروط الأساسية التي يجب اعتبارها في تخطيط المدن حيث ذكر ابن الربيع في وصاياه للخليفة المعتصم عند إنشاء سامراء أن على الحاكم عند إنشاء مدينته "أن يقدر أسواقها لتنال سكانها حوائجهم عن قرب"[١].

ولم يمنع هذا أن ينشئ عبيد الله المهدى بزويلة جملة من الأسواق والفنادق[٢]، وهذه الأسواق كانت لتكفية حاجات زويلة دون الاضطرار إلى الذهاب إلى أسواق المهدية التي أنشئت لخدمة الحاشية والعسكر القاطنين بالمدينة، كذلك فإن إنشاء الفنادق بمدينة زويلة كان للتجار الغرباء وغيرهم ممن يأتون إلى زويلة أو المهدية من البلاد المجاورة، وهكذا وفر عبيد الله المهدى مواضع مناسبة لسكنى هؤلاء التجار والزائرين من الغرباء بزويلة فطبق عليهم بذلك ما طبق على العامة من أهل زويلة نفسها فى إطار رؤية تأمين المهدية التي سعى إليها عبيد الله المهدى بإنشاء هذه المدينة.

ومن طريف ما يذكر أن عبيد الله المهدى "أدار بها (زويلة) خنادق متسعة تجمع بها مياه الأمطار"[٣]، ويشير هذا القول إلى وظيفة أخرى من وظائف الخنادق فهي هنا لتجميع مياه الأمطار ليشرب منه العامة في أوقات السلم ولا شك أنها كانت رغم ذلك من شأنها أن تعرقل العدو في حالة مهاجمتها من قبل العدو، ولكن في إطار ما أشارت إليه المصادر من أن القائم أدار حول المهدية وزويلة خندقاً أثناء حروبه مع أبى اليزيد يشير إلى أن الخندق الذي أنشأه عبيد الله المهدى حول زويلة كان الهدف الأساسي منه تجميع مياه الأمطار ولم يكن في إطار خطة معينة لتحصين زويلة.

ويؤكد التيجانى على التكامل العمراني بين مدينة المهدية ومدينة زويلة فيذكر

---

(١) ابن الربيع: المصدر السابق ص ١٢١.

(٢) التيجانى: الرحلة، ص ٣٢٤.

(٣) التيجانى: الرحلة، ص ٣٢٤.

أن زويلة "كانت كالربض لمدينة المهدية"[1].

ولمسمى هذه المدينة "زويلة" علاقة معمارية وعمرانية بمدينة القاهرة فقد ذكر ياقوت أن "زويلة محلة وباب بالقاهرة"[2]، وبالفعل كانت لزويلة خطة في خطط القاهرة كما أن أحد أبواب القاهرة في السور الجنوبي الذي أنشأه جوهر سمى "ببابي زويلة" وهو الاسم الذي أطلق على الباب الذي أنشأه بدر الجمالي أيضاً خارج الباب المقابل له في أسوار جوهر.

مدينة المنصورية أو «صبرة»

أسس هذه المدينة المنصور إسماعيل بن القائم بن عبيد الله المهدى سنة ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م، وقد عرفت هذه المدينة باسم صبرة وفى هذا السياق يذكر البكري أن المهدية "لم تزل دار ملكهم (الخلفاء الفاطميين) إلى أن ولى الأمر إسماعيل بن أبى القاسم بن عبيد الله سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٩م فسار إلى القيروان محارباً لأبى اليزيد، واتخذ مدينة صبرة واستوطنها بعده ابنه وملكها وخلا أكثر أرض مدينة المهدية وتهدم"[3].

وتكشف هذه الرواية عن أن انتقال الحكم من مدينة إلى أخرى يؤثر سلباً على عمران المدينة التي انتقل منها الحكم، وقد حدث مثل هذا في سامراء التي خربت بعد إنشاء المتوكلية، ولكن يبقى التساؤل عن سبب هجر المنصور لمدينة المهدية؟ وهل لذلك علاقة بصغر مدينة المهدى التي أنشأها عبيد الله وصعوبة إنشاء قصر له بها لظروف موضعها الذي يحده البحر من جهات ثلاث وبناء سور في الجهة الغربية الرابعة؟ ربما كان الأمر كذلك.

ومن طريف ما يذكر أن هذه المدينة سميت بالمنصورية، وأن هذه التسمية ربما

---

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان جـ٣ ص ١٦٠.

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان جـ٣ ص ١٦٠.

(٣) عن ياقوت: معجم البلدان، جـ٣ ص ٣٩١-٣٩٢.

كانت نسبة إلى مؤسسها المنصور إسماعيل، كما سميت المهدية نسبة إلى عبيد الله المهدى وهو ما يعنى أن تسمية هاتين المدينتين قاعدتي الحكم في هذه المرحلة من تاريخ الفاطميين كان في إطار نسبة المدينة إلى منشئها ويأتي في هذا السياق تسمية مدينة القاهرة في المرحلة الأولى من تاريخها بالمعزية أو مدينة المعز نسبة إلى الخليفة المعز الذي أمر بإنشائها[1].

وربما كانت التسمية كما تشير بعض الروايات في إطار ما حققه المنصور من انتصارات على خصومه"ولم يبق له ما ينازعه أحب الانتقال من المهدية إلى صبرة وهى ملاصقة للقيروان"[2]، خصوصًا أنها سميت في بداية عهدها بُصبرة لصبر المنصور على قتال خصومه ثم غير اسمها إلى المنصورة بعد تحقيق المنصور لانتصاراته ثم شاعت تسميتها بالمنصورية تأكيداً لنسبتها إلى المنصور.

وقد أحيطت المنصورية بالأسوار التي تضمنت بوابات نخص منها بالذكر باب زويلة وباب الفتوح وهى أسماء أطلقت على بابين من أبواب القاهرة الثمانية أحدهما وهو باب زويلة بالسور الجنوبي والآخر هو باب الفتوح بالسور الشمالي.

وقد حرص المنصور على عمران مدينته بسرعة فنقل إليها الأسواق من القيروان ورحل إليها كثير من الصناع وهو ما يدل على الاستقرار والأمن التي نعمت بها المنصورية بعد هزيمة المنصور لخصومه.

وقد أنشأ المنصور لنفسه قصراً بها وانتقل إليها وجعلها مقر خلافته وذلك في سنة ٣٣٧هـ/٩٤٨م وظلت المنصورية أو صبرة دار ملك الفاطميين إلى أن انتقلوا إلى مصر[3].

---

(١) راجع مبحث تسمية القاهرة في الفصل الثاني.

(٢) التيجانى: الرحلة، ص ٣٢٨.

(٣) التيجانى: الرحلة، ص ٣٢٨.

الفصل الثاني

مدينة القاهرة الموضع والتخطيط

الفَصْلُ الثَّانِي

القاهرة موقعها وتخطيطها

الفاطميون والسيطرة على مصر

اهتم الفاطميون منذ نشأة دولتهم في إفريقية بالسيطرة على مصر باعتبار كثرة مواردها الاقتصادية وتوسط موقعها وباعتبار كونها الباب الذي يمكنهم منه الامتداد شرقاً للسيطرة على الأقاليم الأخرى التابعة للدولة العباسية. وقد بدأت محاولات الفاطميين للسيطرة على مصر في عهد عبيد الله المهدى وعلى وجه التحديد سنة ٣٠١هـ/ ٩١٣م حيث أرسل حملة هاجمت الفسطاط، لكن استطاع القائد العباسي مؤنس الخادم أن يطردهم خارج مصر، وتتابعت هذه الحملات في عهد ابنه القائم الذي خرج في حملة ثانية عام ٣٠٧هـ/٩١٩م استولت على الإسكندرية والجيزة والفيوم واستطاع مؤنس الخادم نفسه أن يصد أيضاً هذه الحملة. ثم كانت الحملة الثالثة التي استغرقت زهاء سنوات ثلاث (٣٢١-٣٢٤هـ/ ٩٣٣-٩٣٧م) واستطاع الجيش الفاطمي أن يصل إلى الجيزة وبولاق وبلبيس.

ولكن استطاع الجيش المصري إرغامهم على الخروج في سنة ٣٢٤هـ/٩٣٦م نهائياً ثم هدأت الحملات الفاطمية بعد ذلك في الفترة الأخيرة من حكم القائم، وطوال عهد المنصور للظروف الداخلية التي مرت بها الدولة الفاطمية وما حدث من ثورات الخوارج ضدهم وبخاصة الثورة التي أضرمها أبو يزيد.

وفي عهد المعز لدين الله وبعد أن تغلبت الدولة الفاطمية على الثورات الداخلية تهيأت الظروف لتجهيز الحملة الرابعة التي جاءت إلى مصر، وفي ظل ظروف سياسية واقتصادية سيئة مرت بها الخلافة العباسية وأضعفت قوتها وشغلتها عن مقاومة هذه الحملة، وكذلك كانت الدولة الإخشيدية في مصر تمر هي الأخرى بظروف اقتصادية سيئة لأسباب مختلفة في الوقت الذي فعلت فيه الحرب الدعائية

للفاطميين، والدعوة للمذهب الشيعي فعلها في مصر من خلال ما يبثه الفاطميون من دعاة ضمن الجيوش التي كانت تغير بحملاتها على مصر منذ عبيد الله المهدى حتى قدوم جوهر في حملته الرابعة من قبل المعز.

وتسجل الآثار الفاطمية-التي عثر عليها-بعضاً من أساليب الدعاية السياسية التي نفذها الفاطميون وسجلوا عليها ما يشير إلى سيطرتهم على مصر ومنها قطع النسيج، فقد أشار المقريزى إلى أن المعز لدين الله "كتب اسمه على الطراز بتنيس ودمياط والقيس والبهنسى قبل أن يملك مصر"[1]، والدنانير التي ضربت وما يفيد أنها نقشت في مصر قبل سيطرة الفاطميين النهائية عليها عام ٣٥٨هـ/٩٦٩م، وقد أشار ميلز إلى بعض هذه القطع التي ذكر عليها اسم مدينة الضرب في مصر في السنوات التالية ٣٤١هـ، وسنة ٣٤٣هـ، وسنة ٣٥٣هـ، كما أنه ذكر قطعة ورد عليها ما يشير إلى أنها ضربت بالمعزية سنة ٣٥٦هـ[2]، وفي هذا ما يصل بالدعاية السياسية إلى المستوى الذي يصل إلى ذكر مدينة المعز كمدينة الضرب قبل إنشائها، والقصائد التي حررت في هيئة منشورات تشيد بقوة الفاطميين والكتب التي أرسلها الخليفة القائم وكتبها بخط يده إلى محمد بن الإخشيد يدعوه ويرغبه ويستميله إلى جانبه.

وعلى الجانب الآخر أعد المعز عدته وهيأ الظروف المناسبة لنجاح حملته، فقد شرع في إنشاء الطرق وحفر الآبار وإقامة المنازل لاستراحة جيوش حملته على فترات منتظمة، وبدأ في نفس الوقت يجمع الأموال للإنفاق منها على حروبه، ويجزل الأموال على كتامة ليمدوه بجند من أنصارهم مجهزين بما يحتاجون من معدات[3]

---

(١) المقريزى: اتعاظ الحنفا، جـ١ ص ٢٣٠.

(٢) George.C.Miles,Fatimid Coins in the Collection of the University Museum Philadelphia and American Numismatic Society,New York, 1951, p. 51.

(٣) للاستزادة راجع: حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الرابعة، ١٩٨١، ص ١١٢.

ولتكون عوناً له في تأمين إقامة جيوشه وإنشاء منشآته واستمالة المصريين بعد أن يتم له الانتصار.

ومن المنصورية خرجت جيوش المعز بقيادة جوهر في ١٤ ربيع الآخر عام ٣٥٨هـ/ فبراير ٩٦٩م، وكانت جند جوهر تربو على مائة ألف، وأشارت الروايات إلى أن هذه الجيوش تكلف تجهيزها أربعة وعشرين مليون دينار عدا ما حمله ألف جمل من الذهب الذي رصد للإنفاق عليها.

وفي إطار ما سبق عرضه يتضح أن هذه الحملة توافرت لها أسباب النجاح ووصلت الحملة إلى الإسكندرية وسارت بمحاذاة فرع النيل الغربي حتى وصلت إلى الفسطاط، ولم يستطع الإخشيديون المقاومة وهرب معظمهم مخافة القتل،وطلب الأمان واستجاب القائد الفاطمي للطلب، وأصدر جوهر عهداً للمصرين يوضح سياسته التي يتبعها، والتي تضمنت إغراءات ومزايا مادية تتعلق برفع بعض المكوس، وحقوق الميراث، والاهتمام بعمارة المساجد وحرية الاعتقاد، وإصلاح السكة.

وفي اليوم التالي ١٧ شعبان عام ٣٥٨هـ ٦ يوليو ٩٦٩م تم فتح مصر بعد قبول عهد جوهر وزوال حكم الإخشيديين والعباسيين، وبدأ حكم الفاطميين لمصر وبدأ معه نشاطهم العمراني والمعماري بإنشاء عاصمة جديدة لهم في مصر هي مدينة "القاهرة".

مدينة القاهرة:

بعد أن تم للفاطميين فتح مصر في ١٧ شعبان ٣٥٨هـ/٦يوليو٩٦٩م سارت الجيوش الفاطمية ناحية الشمال لمسافة تقدر بنحو أربعة كيلو مترات وكانت هذه المسافة تشغلها البساتين كما كان بها منازل الضواحي، وكانت تتعرض للغمر بمياه النيل أثناء فيضانه فتتخللها برك الماء، ثم انتهي إلى الموضع الذي أنشأ عليه مدينة القاهرة وكانت عبارة عن سهل رملي لم يخل من بعض المناطق الصخرية المرتفعة يمر به الناس في طريقهم من الفسطاط إلى عين شمس على الشاطئ الشرقي للخليج

ولم يكن بهذا الموضع من مظاهر العمران سوى أماكن خمسة يمكن تحديدها على النحو التالي:

بستان الإخشيد وكان عند الخرنفش مطلاً على الخليج المصري أنشأه الإخشيد أبو بكر محمد بن طغج أمير مصر[١]، ويتكلم المقريزى عن هذا البستان فيذكر أن الإخشيد اعتنى به "وجعل له أبواباً من حديد وكان ينزل به ويقيم فيه الأيام، واهتم به من بعد الإخشيد ابناه أنوجور بن الإخشيد والأمير أبو الحسن على بن الإخشيد في أيام إمارتهما بعد أبيهما، فلما استبد من بعدهما الأستاذ أبو المسك كافور الإخشيدي بإمارة مصر كان كثيراً ما يتنزه به ويواصل الركوب إلى الميدان الذي كان فيه وكانت خيوله بهذا الميدان فلما قدم جوهر القائد من المغرب بجيوش مولاه المعز لدين الله لأخذ ديار مصر أناخ بجوار هذا البستان، وجعله من جملة القاهرة، وكان متنزهاً للخلفاء الفاطميين مدة أيامهم، وكانوا يتوصلون إليه من سراديب مبنية تحت الأرض ينزلون إليها من القصر الكبير الشرقي ويسيرون فيها بالدواب إلى البستان الكافوري ومناظر اللؤلؤ بحيث لا تراهم الأعين، وما زال البستان عامراً إلى أن زالت الدولة فحكر في سنة إحدى وخمسين وستمائة"[٢].

وتشير هذه الرواية إلى أن البستان أنشئ في بداية العصر الإخشيدي واهتم به أمراء الدولة الإخشيدية وكان لكافور بالذات اهتمام خاص به، وعندما أناخ جوهر بجيوشه كان مناخه بجوار هذا البستان دون غيره من المنشآت الأربعة الأخرى التي سنعرض لها، وكأنه كان شبه مطمئن إلى هذا الجوار دون غيره. وربما يفسر ذلك ما تشير إليه بعض المصادر الشيعية في حديثها عن حكام الدولة الإخشيدية وعلاقة كافور بالذات بالفاطميين قبل دخولهم إلى مصر، فقد ذكر الداعي إدريس عماد الدين أن مصر "قد صار ملكها للإخشيدية والخطبة فيها والدعوة للخلفاء العباسية، فلما مات الإخشيد وله ولدان صغيران، صار ملك مصر وأمرها إلى عبده الأستاذ كافور

---

(١) فؤاد فرج، القاهرة، دار المعارف ١٩٤٦، ص ص ٤١٢-٤١٣.

(٢) المقريزى: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار صادر- لبنان جـ٢ ص ٤٥٧.

وكان خصيا، فملك أمرها وهو خادم لسيديه أنوجور وعلى ابني الإخشيد وكان الحل والربط، والتقديم والتأخير إليه دونهما، ثم نزل بهما الموت فصار الأمر لكافور، وعقد له المطيع العباسي على مصر دون الإخشيدية، فهدى الله كافوراً إلى ولاية الأئمة من أهل بيت الرسول وطاعة أمير المؤمنين بمصر، ودخل في الدعوة وكاتب أمير المؤمنين بالطاعة له والعمل بأمره، فأمره أمير المؤمنين بالابتداء في العمارة بالقاهرة فخرج حيث رسم له الإمام، فوجد فيه أساس بناء قديم فشرع في عمارته وأخذ في البناء ثم أتته الوفاة وهو في أول الأمر وبلغت وفاته أمير المؤمنين فترحم عليه وتوسل إلى الله تعالى المغفرة له"(١).

وتشير هذه الرواية إلى أن كافورًا اعتنق المذهب الشيعي ووالى الخلافة الفاطمية، وهو توجه سبق إلى الميل إليه الإخشيد نفسه(٢).

أما ما تذكره رواية إدريس من أن المعز أمر كافوراً ببناء القاهرة حسبما رسم له، وبدأ كافور بالبناء، وكان في الموضع بناء قديم فشرع في عمارته وأخذ في البناء ثم وافته المنية" فهو مع غرابته ربما كان القصد منه الإشارة إلى هذا البستان الذي كان يقضى فيه وقتاً طويلاً، وهو البستان الذي أناخ بجواره جوهر بعد أن دخل الفسطاط واتجه شمالاً إلى موضع مدينة القاهرة.

وتلفت رواية المقريزى عن بستان كافور الانتباه إلى أنه لم يهدم كغيره من الأماكن التي كانت بموضع مدينة القاهرة قبل بنائها بل إنه ترك على حاله بل إن الخلفاء الفاطميين كانوا يتنزهون فيه وربطوا بينه وبين القصر الشرقي بسراديب في باطن الأرض، وربما كانت رواية إدريس تشير إلى هذا البستان باعتباره المنشأة

---

(١) إدريس عماد الدين (ت ٨١٢هـ/١٤٨٨م) تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب- القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار تحقيق محمد اليعلاوى، دار الغرب الإسلامي، بيروت: لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٥ ص ص ٦٦٣-٦٦٤، حسن إبراهيم. المرجع السابق، ص ١٢٥، ١٢٧.

(٢) حسن إبراهيم حسن. المرجع السابق، ص ص ١٢٠-١٢١.

التي اعتنى بها كافور وطور عمارتها وكانت في موضع القاهرة قبل بنائها.

والمبنى الثاني من المنشآت التي كانت في موضع بناء القاهرة دير جرجيوس وهو الدير الذي عرف بدير العظام، وكان يشغل الموقع الذي بنى عليه الجامع الأقمر بشارع المعز لدين الله،وقد هدمه جوهر وبقيت بئره عند الجامع المذكور وتعرف هذه البئر الآن ببئر العظمة، وكانت تعرف في أيام إنشاء القاهرة ببئر العظام لأن جوهر نقل عظاماً كانت بالدير وجعلها بدير الخندق الذي عمره بظاهر القاهرة من الجهة الشمالية عوضاً عن الدير الذي هدمه(١).

ويتضح من هذه الرواية أن جوهر هدم الدير المذكور وعوض رُهبانه موضعاً آخر شمال القاهرة لبناء دير غيره عرف بدير الخندق.

والمبنى الثالث الذي كان بموضع القاهرة قبل بنائها كان عبارة عن حصن يعرف بقصر الشوك كان ينزله بنو عذرة في الجاهلية حسب رواية ابن عبد الظاهر، وأصبح يعرف في العصر الفاطمي بقصر الشوق من جملة القصور الفاطمية(٢)، وفي إطار ما يذكره المقريزى من أن هذا القصر أو الحصن كان موضعه أحد أبواب القصر الفاطمي ويتضح أن هذا المبنى قد هدم، وأدخلت مساحته في مساحة القصر الفاطمي.

والمبنى الرابع كان عبارة عن دير يعرف بدير العذراء وموضع هذا الدير حالياً بحارة زويلة حيث اختطت زويلة مساكنها حول الكنيسة الرئيسية في هذا الدير وهي كنيسة العذراء، ويلاحظ أن هذه الكنيسة لم تهدم وبقيت على حالها، ويذكر المقريزى

---

(١) المقريزى: خطط جـ٢ ، ص ٥٠٧، فؤاد فرج، المرجع السابق ص ٤١٣، وهذا الدير يعرف حالياً بدير الملاك البحري بشارع الملك بحدائق القبة وتمتد من هناك إلى دير رويس بشارع الملكة نازلي حيث توجد كنيسة بطرس باشا غالى (فؤاد فرج، المرجع السابق، ص ٤١٣).

(٢) المقريزى: خطط جـ١ ص ٤٠١، فؤاد فرج، المرجع السابق، ص ٤١٣.

أنها بنيت قبل العصر الإسلامي بنحو مائتين وسبعين سنة[1].

والمبنى الخامس كان أيضاً ديراً للنصارى يعرف باسم دير الأمير تادرس ومكانه اليوم بحارة الروم، وقد اختط الروم مساكنهم أيضاً حول الكنيسة الرئيسية لهذا الدير عند تأسيس المدينة، وتعرف هذا الكنيسة حالياً باسم كنيسة العذراء ومارجرجس بحارة الروم، وقد ذكر المقريزى أنها أنشئت قبل إنشاء جوهر لمدينة القاهرة بأربعة قرون على وجه التقريب[2].

وفي إطار ما سبق يتضح أن جوهرًا هدم بعض المباني التي كانت في موضع مدينة القاهرة هي قصر الشوك ودير العظام الذي عوض أصحابه موضعاً بديلاً عنه ولم يتعرض بالهدم لديرين آخرين والبستان. ويبدو أن ذلك كان في إطار تصوره لتخطيط مدينته فقد هدم ما يدخل في إطار الموضع الذي حدده للقصر أو مجاوراً له بصورة مباشرة، وترك المنشآت الأخرى التي لا تتعارض وتخطيطه لمنشآت المدينة الرئيسة بل إنه في إطار رؤية عمرانية واعية حافظ على بستان كافور وربط بينه وبين القصر الشرقي بسراديب ليكون متنزهاً للخلفاء ولمدينة القاهرة "المدينة الملكية".

تقويم موضع مدينة القاهرة وأسباب اختياره:

تشير المصادر التاريخية إلى أن الخليفة المعز لدين الله ترك لقائده جوهر أمر اختيار موقعها، وعندما قدم الخليفة إلى مصر بعد اكتمال عمارة القاهرة سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٣م انتقد اختيار موقع القاهرة وقال لجوهر "لم فاتك عمارة القاهرة بالساحل؟ كان ينبغي عمارتها بهذا الجبل". وهو الذي يعرف اليوم بتل الرصد، في منطقة "إصطبل عنتر جنوب الفسطاط". ولقد كان أمام جوهر كثير من الحلول: إما يواصل ما اتبعه الطولونيون من قبل ويبتعد عن مجرى النيل ويبحث عن الاحتماء بموقع الجبل حيث يكون الجو جافاً مناسباً وأكثر ملاءمة لأهل البدو، حيث تكثر

(١) المقريزى: خطط جـ٢ ص ٥٥١، فؤاد فرج، المرجع السابق ص ٤١٣.

(٢) المقريزي: خطط جـ٢ ص ٥١١، فؤاد فرج، المرجع السابق ص ٤١٣.

الحجارة لاستعمالها في البناء، وإما أن يحتفظ بالاتصال بمجرى النيل ليستفيد من مائه العذب الوفير، وأن يكون طريقاً لإمداد جيشه بالمؤن والزاد والسلع، أو أن ينتحي لمدينته مكاناً قبلياً بالقرب من حدود بابليون القديمة،حيث يقع تل الرصد ليستفيد من موقع مرتفع يشرف على الأراضي المحيطة به ويكون قريباً من مجرى النهر[١]، وهي المميزات التي رآها الخليفة المعز لدين الله.

والحقيقة أن الموقع الذي اختاره جوهر لمدينة القاهرة توافق والتراث العمراني لعواصم مصر الإسلامية التي بدأت بالفسطاط ثم العسكر إلى الشمال منها ثم القطائع إلى الشمال الشرقي ثم القاهرة أيضاً في اتجاه الشمال وعلى بعد مسافة يتخللها-كما ذكرنا-البساتين والبرك، وكانت معرضة للفيضان، ويتفق هذا وتفضيل "التبحير" أي الامتداد شمالاً في اتجاه البحر للاستفادة من الهواء النقي خصوصاً أن اتجاه الرياح في مصر من الشمال إلى الجنوب، كما أن المساحة الصالحة للامتداد العمراني تتسع بين الجبل والنيل كلما اتجهنا شمالاً، وهو يوفر فرصة جيدة للامتداد العمراني بتوفر الأرض السهلة الصالحة للبناء دون تكاليف، كما أن وقوع تلال المقطم وبخاصة إلى الشرق من القاهرة والنيل غربها وفر ميزة تحصينية مهمة.

وقد تسبب الاتجاه شمالاً في اختيار مواضع عواصم مصر الإسلامية أن زادت المسافة بين النيل والمدينة الناشئة، فبينما كانت الفسطاط لصيقة بالنهر ويسهل جلب الماء من النيل إليها، وكذلك كانت العسكر، فإننا نجد أن القطائع التي تقع إلى الشمال الشرقي من العسكر بعدت عن النيل فتطلب الأمر إنشاء القناطر لتوصيل الماء إليها، وزادت المشكلة حدة بالنسبة للقاهرة التي من أهم مشاكلها تزويدها بمياه الشرب بعد تراجع النهر عن موضعها في اتجاه الغرب فجلب الماء بواسطة الحمالين والسقائين من النهر عند المقس[٢].

---

(١) مصطفى نيازى: القاهرة أساسات تخطيطية في المرور والنقل والمواصلات، مكتبة الأنجلو المصرية، بدون تاريخ ص ١٠.

(٢) فتحي مصيلحى.تطور العاصمة المصرية والقاهرة الكبرى،القاهرة ٢٠٠١،جـ١ ص ٧٩.

ويسجل ناصر خسرو ما يؤكد هذه الحقيقة عن الرواة بقولهم "إن في مدينتي القاهرة ومصر خمسين ألف جمل لجلب المياه إلى جانب السقائين الذين يحملون الماء على ظهورهم، ويستخدم السقاءون القرب لحمل الماء ويتجولون في الحواري الضيقة التي لا تستطيع الجمال ولوجها"[١]، وتؤكد هذه الرواية وجود مشكلة لنقل الماء من النيل إلى القاهرة لبعدها عنه، كما أنها تشير إلى الجهد والطاقة المبذولة لنقل الماء بسبب هذا البعد عن النيل.

ويذكر المقريزى سبباً آخر لاختيار موضع القاهرة، حيث يذكر أن جوهرًا قصد من اختيار هذا الموضع أن تصير مدينته "حصناً فيما بين القرامطة وبين مدينة مصر ليقاتلهم من دونها[٢]، وفي موضع آخر يذكر أن "جوهرًا احتفر الخندق من الجهة الشمالية ليمنع اقتحام عساكر القرامطة إلى القاهرة وما وراءها من المدينة"[٣] ولا شك أن هذا الموضع الذي يقع إلى الشمال من مدينة الفسطاط ويفصله عنها مساحة من الأرض لم تكن تصلح لإنشاء مدينة لما يتخللها من برك وما تتعرض له من غرق أيام الفيضان، وهذا موضع القاهرة الذي اختاره جوهر كان هو أنسب المواضع لتحقيق صد هجوم القرامطة ومنعهم من الوصول إلى الفسطاط.

ويعرض ياقوت سبباً آخر لإنشاء مدينة القاهرة واختيار موضعها شمال الفسطاط حيث يذكر أنه بعد أن دخل جوهر مصر وأطاعه أهلها "اشترطوا عليه ألا يساكنهم، فدخل الفسطاط وهي مدينة الديار المصرية بعساكره، ونزل تلقاء الشام بموضع القاهرة اليوم، وكان هذا الموضع يبرز إليه القوافل إلى الشام، وبنى قصراً لمولاه المعز وبنى الجند حوله فانعمر ذلك"[٤].

ويكشف هذا السبب عن بعد ديني اجتماعي أدى إلى ابتعاد جوهر وجنده عن

---

(١) ناصر خسرو: المصدر السابق، ص ٩٦.

(٢) المقريزى: خطط جـ١ ص ٣٦١.

(٣) المقريزى: خطط جـ١ ص ٣٦١.

(٤) ياقوت: المصدر السابق، جـ٤ ص ٣٠١.

سكنى الفسطاط، خصوصًا أن معظم المصريين لم يكونوا قد تهيئوا بعد للتفاعل مع الفاطميين الشيعة اجتماعياً ودينياً، كما لم يشأ الفاطميون بدورهم أن يضغطوا في هذا الاتجاه وتركوا ذلك لعامل الزمن، وجهود الدعوة والسياسة الداخلية لتحسين أوضاع المصريين.

أسماء مدينة القاهرة:

أطلقت عدة أسماء على مدينة القاهرة في فترات تاريخية مختلفة قبل شيوع هذا الاسم، ولكل اسم منها دلالته، فقد سميت المدينة في بداية الأمر باسم "المنصورية"[١]، وهذه التسمية متأثرة بمسمى قاعدتهم في إفريقية (تونس) التي انطلقت منها جيوش الفاطميين للسيطرة على مصر في الحملة الرابعة بقيادة جوهر، واتخذ الفاطميون هذا الاسم تيمنا باسم المنصورية التي عاصر إنشاؤها هزيمة خصوم الدولة الفاطمية في إفريقية[٢].

وتشير المصادر وقطع المسكوكات[٣] إلى أن اسم "المعزية" نسبة إلى المعز كان الاسم الذي أطلق أيضاً على مدينة القاهرة، وفي إطار المجموعة التي أشار إليها ميلز يتضح أن درهماً منها سجل عليه اسم "المعزية" وضربت سنة ٣٥٦هـ/٩٦٧م[٤]، أي قبل دخول الفاطميين إلى مصر وقبل إنشاء المنصورية أو المعزية نفسها بعامين، وتثير هذه القطعة كثيراً من التساؤلات، فكيف يسجل اسم

---

(١) كريسويل: قصة تأسيس القاهرة. ترجمة عبد الرحمن فهمي (بحث نشر في كتاب تأليف حسن الباشا وآخرون بعنوان: القاهرة تاريخها وآثارها وفنونها، القاهرة مؤسسة الأهرام ص ٢٩، فؤاد فرج: المرجع السابق ص ٤١١.

(٢) ناصر خسرو: المصدر السابق ص

(٣) Miles, op. cit., p. 51

ومحمد أبو الفرج العش، مصر القاهرة على النقود العربية الإسلامية، بحث في كتاب "أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، باريس- أبريل ١٩٦٩، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٧١، ص ص ٩١٧-٩١٩.

(٤) Miles: op. cit., p. 51

مدينة على السكة قبل إنشائها؟ بل وقبل سيطرة الفاطميين سيطرة كاملة على مصر؟ ويمكن طرح تفسيرات مختلفة لضرب مثل هذه القطعة، حيث إن ذكر اسم مدينة الضرب "المعزية" قبل إنشائها يشير إلى اعتزام المعز في هذه الفترة في إنشاء مدينة له بمصر تكون عاصمة لدولته بعد الاستيلاء عليها أكد على تسميتها منسوبة له وذلك في إطار سياسة الفاطميين الدعائية التي رسمت للتمهيد لسيطرتهم على مصر، وربما يكون في العثور على هذه القطعة التي ذكر عليها اسم المعزية سنة ٣٥٦هـ ما يتوافق وما أشار إليه عماد الدين إدريس من أن كافورًا الإخشيدي كاتب أمير المؤمنين (المعز لدين الله) بالطاعة له والعمل بأمره، فأمره أمير المؤمنين بالابتداء بالعمارة في القاهرة، فخرج حيث رسم له الإمام، فوجد فيه أساس بناء قديم، فشرع في عمارته، وأخذ في البناء ثم أتته الوفاة وهو في أول الأمر[١].

وقد تكرر اسم المعزية على المسكوكات بعد إنشائها فقد أشار ميلز إلى وجود اسم المعزية على قطع أخرى ضربت في السنوات ٣٦٢هـ/٩٧٣م، ٤٧٠هـ/١٠٧٧م، ٥٦٤هـ/١١٦٩م[٢]، وهو ما يشير إلى أن اسم المعزية ذكر كاسم رسمي للمدينة على السكة طوال العصر الفاطمي تقريباً.

وورد اسم المعزية موصوفاً "بالقاهرة"[٣] وقد ورد في المصادر ما يبرر هذا الوصف فقد ذكر المقدسي أن "القاهرة بناها جوهر لما فتح مصر وقهر من فيها"[٤]، ويذكر ناصر خسرو أن القاهرة سميت بهذا الاسم "لأن الجيش الفاطمي القاهر نزل

---

(١) إدريس عماد الدين (ت٨٧٢هـ/١٤٨٨م) تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب- القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار،تحقيق محمد اليعلاوى، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٥، ص ص ٦٦٣-٦٦٤.

(٢) Miles: Ibid., p. 51

(٣) أبو الفرج العش: المرجع السابق، ص ٩١٧.

(٤) المقدسي: (شمس الدين أبو عبد الله محمد ت ٣٨٧هـ): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٢٠٠، أبو الفرج العش، ص ٩١٩.

بها"[1]، ويقول المقريزى عند استعداد المعز لدين الله للحملة الرابعة للسيطرة على مصر "أنه جمع المشايخ، وأثنى على جوهر لشجاعته وإخلاصه وذكر لهم (المعز لدين الله) من عزمه على فتح مصر وعلى عزمه أن "تبنى مدينة تسمى القاهرة تقهر الدنيا"[2]، وفي هذه الرواية إشارة ضمنية إلى عزم المعز على إنشاء مدينة تكون قاعدة له في مصر – كما سبقت الإشارة– وأنه عزم أيضاً على تسميتها بالقاهرة تقهر الدنيا، ولكن هذا القول كان في إطار حث الجند وتحميسهم استعداداً للسيطرة على مصر.

وينقل المقريزى في خططه عن ابن سعيد المغربي قوله إن القاهرة سميت بهذا الاسم "لأنها تقهر من شذ عنها، ورام مخالفة أميرها، وقدروا أن منها يملكون الأرض، ويستولون على قهر الأمم"[3]، وقد ظهر الاسم بهذه الصيغة على السكة فقد عثر على قطع ضربت ٥١٨هـ/١١٢٤م، ٥٢١هـ/١١٢٧م، سنة ٥٢٣هـ (١١٢٤م)، ٥٢٥هـ/ ١١٣١م ، ٥٥٥هـ (١١٤٠م)، ٥٥٩هـ (١١٦٤م)، ٥٦٤-٥٦٦هـ/ (١١٦٩-١١٧٠م) [4]، وفي هذا ما يشير إلى شيوع هذا الاسم بجانب اسم "المعزية" على السكة حتى نهاية العصر الفاطمي تقريباً، وقد ورد اسم المعزية القاهرة المحروسة ضمن نص تأسيس باب الإقبال في أسوار بدر الجمالي الذي أنشئ سنة ٤٨٠هـ (١٠٨٧م) كما ورد على محراب الآمر بأحكام الله الذي عمله للأزهر ٥١٩هـ/ ١١٢٥م.

وشاعت هذه التسمية مقارنة بتسمية المعزية القاهرة على أن الصفة نابت عن الموصوف وعلى هذا الشكل ظهرت على النقود، كما وردت في نص إنشاء مسجد

---

(١) ناصر خسرو: المصدر السابق ص ٩٤.

(٢) المقريزى: اتعاظ الحنفا، أخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الشيال، القاهرة، جـ١ ص٢٣٠، أبو الفرج العش، المرجع السابق، ص ٩١٩.

(٣) أبو الفرج العش، المرجع السابق، ص ٩١٩، المقريزى: خطط جـ١ ص ٣٣٦.

(٤) Miles: op. cit., p. 51

الصالح طلائع في الواجهة الشمالية الشرقية بما نصه "بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا المسجد بالقاهرة المعزية المحروسة ... "كما استخدم هذه التسمية كثير من المؤرخين كابن خلكان الذي ذكر في ترجمته للمعز أنه "هو الذي تنسب إليه القاهرة المعزية"(١)، وكثيراً ما وسمها المقريزى في خططه بهذا الاسم "القاهرة المعزية"(٢) وعلى نفس النهج سار القلقشندى الذي ذكر أسماء ثلاثة للمدينة، هي القاهرة، والقاهرة المعزية، والمعزية القاهرة، لكنه أشار إلى أن تسمية المدينة بالقاهرة شاع في عصره حيث يقول "القاهرة ويقال فيها القاهرة المعزية نسبة إلى المعز الفاطمي الذي ينسب له، وربما قيل المعزية القاهرة سميت ذلك تفاؤلاً"(٣). ويشير نص القلقشندى إلى مرحلة أخرى من مراحل تغيير أسماء المدينة حيث صارت في عهده تسمى شيوعاً القاهرة وبالرغم من ذلك أشار إلى اسم القاهرة المعزية، والمعزية القاهرة كأسماء عرفت بها المدينة في العصر الفاطمي وكانت من أسمائها الرسمية كما تشير قطع المسكوكات التي سبقت الإشارة إليها.

وقد سميت المدينة أيضاً في العصر الفاطمي بالقاهرة المحروسة، وقد وردت على السكة بهذه الصيغة في قطعة مؤرخة بسنة ٣٩٤هـ/١٠٠٤م(٤).

وقد شاعت هذه التسمية في العصور التالية للعصر الفاطمي، خاصة في العصرين المملوكي والعثماني، كما ذكرت القاهرة المحروسة على المسكوكات المملوكية بما يشير إلى أن هذه التسمية أصبحت التسمية الرسمية،ويأتي ذلك في إطار إهمال أي إشارة إلى المعز سواء في اسم المعزية القاهرة أو القاهرة المعزية، ويتوافق ذلك مع انتهاء ذكر الشيعة بعد سقوط دولتهم وعودة مصر إلى المذهب

---

(١) ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد ت ٦٨١هـ) وفيات الأعيان، تحقيق محيى الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٤٩، جـ٤ ص ٣١٥.

(٢) المقريزى: خطط جـ١ ص ٣٤٨، ٣٥٤، جـ٢ ص ١٠٨.

(٣) القلقشندى (أحمد بن على ت ٨٢١هـ) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة ١٩١٤، جـ٣ ص ٣٤٨.

(٤) أبو الفرج العش: المرجع السابق، ص ٩١٨.

السني، كما يتوافق مع الشكل الجديد للقاهرة حيث اتسع عمرانها في عصر الأيوبيين والمماليك اتساعاً كبيراً خارج النطاق العمراني للقاهرة الفاطميـــة، بالإضـــافة إلـــى التعديل العمراني والمعماري الذي حدث في القاهرة ابتداء من عهد صلاح الدين حتى الآن،وكان للتعديلات التي أحدثها الأيوبيون والمماليك أثرها في تغيير الشكل الفاطمي إلى حد بعيد وإزالة معظم العمائر المدنية وبخاصة القصور الفاطمية وبنـــاء مبـــان جديدة بطرز معمارية جديدة.

وبالرغم من إطلاق عدة أسماء على مدينة القاهرة في مراحل تاريخية مختلفـــة ومتتابعة ابتداءً من المنصورية فالمعزية، فالمعزية القـــاهرة، فالقـــاهرة المعزيـــة، فالقاهرة المحروسة، فإن تسمية القاهرة هي التي كتب لها الاستمرار، وبالرغم مـــن هذه الحقائق فإن بعض الباحثين كثيراً ما يرددون قصة وردت في العديد من المصادر تشير إلى أن جوهرًا اعتمد على المنجمين عند ابتداء بناء أسوار المدينة، وأمـــرهم باختيار طالع سعيد لتأسيس المدينة وأسوارها وبواباتها وقصورها وهو تقليد أشرنا إلى اتباعه عند بناء المهدية وغيرها.

وقد ذكر المقريزى هذه الرواية فذكر أنه "يقال في سبب تسميتها أن القائد جـــوهر لما أراد بناءها أحضر المنجمين وعرفهم أنه يريد بلد ظاهر مصر ليقـيم بهـــا الجنـــد، وأمرهم باختيار طالع سعيد لوضع الأساس بحيث لا يخرج البلـــد عـــن نـــسلهم أبـــداً، فاختاروا طالعاً سعيداً لوضع الأساس وطالعاً لحفر السور، وجعلوا بدائر السور قوائم خشب، ثم ربط بين كل قائمتين حبل جعل فيه أجراس،وقالوا للعمال إذا تحركت الأجراس فارموا ما بأيديكم من الطين والحجارة، فوقفوا ينتظرون الوقت الصالح لذلك، فـــاتفق أن غراباً وقع على حبل من تلك الحبال التي فيها الأجراس فتحركت كلها، فظن العمـــال أن المنجمين قد حركوها، فألقوا ما بأيديهم مـــن الطـــين والحجـــارة وبنـــوا، فـــصاح المنجمون القاهر في الطالع فمضى ذلك وفاتهم ما قصدوه،ويقال: إن المريخ كان في الطالع عند ابتداء وضع الأساس وهو قاهر الفلك فسموها القاهرة"[١].

---

(١) المقريزى: خطط جـ١ ص ٣٧٧، كريسويل، تأسيس القاهرة ص ص ٢٩-٣٠.

"وقد سلم جميع المؤلفين الذين عالجوا موضوع تأسيس القاهرة مثل: رافيس، لينبول، وبيكر،وأولرى، وريشموند، وغيرهم سلموا بقصة المنجمين والغراب ولم يشكوا في صحتها، ويظهر أنهم فاتهم أن هناك قصة شديدة الشبه بها ذكرها المسعودى المتوفى عام ٣٤٦هـ/ ٩٤٣م في روايته الخرافية عن إنشاء الإسكندر لمدينة الإسكندرية، فقد روى أن العمال وقفوا بأمر الإسكندر في الخطوط التي حددت لإنشاء المدينة الجديدة وأن الأوتاد دقت في الأرض على مسافات بطول هذه الخطوط ثم ربط بها خيط ثبت آخره بعمود من الرخام أمام خيمة الملك، وعلقت بهذا الخيط أجراس، ثم انتظر العمال الإشارة حتى يشرعوا جميعاً في العمل في وقت واحد لإقامة أسس المدينة، وكان الإسكندر يؤمن بهذه الوسيلة أن يتحقق من إنشاء المدينة في طالع سعيد، ولكن مع الأسف حين حان اليوم واللحظة المحددة شعر الإسكندر بثقل في رأسه ونام، فوقع غراب على الحبل، فدقت الأجراس، وبدأ العمال في العمل، ولما استيقظ الإسكندر وعرف ما حدث قال "لقد أردت أمراً وأراد الله أمراً آخر"[١].

وفي إطار ما ذكره كريسويل وفي إطار ما سبق عرضه عن أسماء مدينة القاهرة ابتداء من المنصورية فالمعزية فالقاهرة، فالقاهرة المعزية، فالقاهرة المحروسة، يتضح أن رواية المقريزى تقع في إطار الصياغة الأسطورية لبعض الروايات التي شاعت كثيراً من المصادر العربية، وهي تعتبر ملحاً يتجمل بها الكتاب ولكن لو أرادنا أن نجد تبريراً للتسمية "القاهرة" بالذات فإن انتصار الفاطميين وفوزهم بالوصول إلى المشرق، جعلهم يتمنون ويفاخرون بقهر العباسيين بل بقهر مذهب السنة بعد جهاد طويل، وكانوا يرجون من وراء ذلك أن يستتب لهم الأمر ويوحدوا العالم الإسلامي تحت زعامتهم ومذهبهم بعد أن دب الضعف في الخلافة العباسية"[٢].

---

(١) كريسويل، تأسيس القاهرة، ص ٣٠.

(٢) أبو الفرج العش، المرجع السابق، ص٩٢٠.

تخطيط مدينة القاهرة:

في ضوء الدراسات الأثرية وما ورد في المصادر التاريخية يتـضح أن مدينـة القاهرة في مرحلتها العمرانية الأولى عند تأسيسها اتخذت تخطيطاً مميزاً فقد أنشئت هذه المدينة لكي تكون مدينة ملكية محصنة، ويلاحظ أن تخطيط شبكة شوارعها كان عبارة عن شارع رئيسي يشق المدينة من الشمال إلى الجنوب تبدأ من باب الفتـوح في الشمال ينتهي إلى باب زويلة في السور الجنوبي، ويتفرع مـن هـذا الـشارع الرئيسي شوارع جانبية تخترق المدينة من الشرق إلى الغرب، وتتقاطع مع الشارع الرئيسي "قصبة القاهرة" في زوايا قائمة وهذه الشوارع كانت تفصل بـين المنـاطق التي خصصت لسكنى القبائل التي أنشئت مساكنها داخـل أسـوار المدينـة وهـي المناطق التي عرف اصطلاحاً باسم "الحارات" وكان لكل حارة من هذه الحارات مدخل أو اثنان على هذه الشوارع، ومساكن الحارة تطل في الداخل على شـبكة أدق مـن الأزقة التي تفصل بين الدور وبهذا الأسلوب في التخطيط كانت كل حارة من الحارات المختلفة تحتفظ بخصوصيتها، وكان لا يدخلها إلا سكانها، حتـى إذا أغلـق البـاب الخارجي للحارة ليلاً تعذر دخولها وسهل الدفاع عنها إذا هوجمت، كما أنـه يمكـن السيطرة عليها دون باقي المدينة في حالة إذا ما حدث حادث، وهذا أمر يلاحظ وجود ما يشبهه في أرباع مدينة بغداد.

وقد لفت تخطيط شبكة الشوارع الرئيسة في مدينة القاهرة في هذه المرحلة من تاريخ عمارتها نظر الباحثين فحاولوا تأصيله بمدن سابقة على العـصر الإسـلامي وبخاصة بعض المدن الرومانية في شمال إفريقية، ومنهم من حدد مدينـة "تمجـاد" كنموذج أساسي ذكر أن مدينة القاهرة تأثرت به، وبخاصة في ملمح الشارع الرئيسي والشوارع الجانبية التي تقطعه في زوايا قائمة، وهناك من رأى أن القاهرة في هذه المرحلة كانت تشبه في تخطيطها مدينة الإسكندرية[١].

وتنتهي هذه الآراء إلى أن تخطيط مدينة القاهرة روعي فيه "القواعد المقـررة

---

(١) مصطفي نيازى، المرجع السابق، ص١٢.

لتخطيط المدن التي وضعت في القرن الخامس قبل الميلاد والتي عمل بها اليونان والرومان في إمبراطوريتهم القديمة المترامية الأطراف وترجع كلها في الأصل إلى نماذج مأخوذة من المدن المصرية الفرعونية القديمة ومن المدن الآشورية"[١].

وفي إطار الدراسات المتعمقة لأنماط تخطيط شبكات الطرق والشوارع في المدن في العصور السابقة على العصر الإسلامي، وبخاصة في العصور القديمة التي اتضح فيها الشكل الواضح الصريح لتخطيط شبكة الطرق بالهيئة الشطرنجية التي تتكون من شوارع مستقيمة منتظمة تقطعها طرقات عرضية متعامدة عليها[٢]، يلاحظ أنها تختلف عن نمط تخطيط مدينة القاهرة التي يشقها شارع رئيسي من الشمال إلى الجنوب، تتقاطع معه شوارع عرضية ضيقة نسبياً تفصل بين الحارات، ومظاهر الاختلاف أصلها نسق تقسيم الأرض في المدن القديمة الشطرنجية، ونظام تقسيم الأرض في مدينة القاهرة حيث إن تقسيم الأرض في المدن القديمة اتجه إلى تقسيم أرض المدينة إلى مساحات مربعة أو مستطيلة تحيط بكل مساحة الشوارع من الجهات الأربع المختلفة،وكل مساحة تخصص لإنشاء دار أو منزل أو وحدة سكنية بذاتها،وهذا التقسيم يختلف عن تقسيم الأرض بمدينة القاهرة، حيث إن هذه المدينة قسمت أرضها تقسيماً آخر يوفر مساحة للقصور الملكية لها مميزاتها المحددة سواء في مساحتها أو حدود شكلها أو فيما يفصل بينها أو يجاورها من ميادين، وبالإضافة إلى منشآت كانت موجودة قبل بناء المدينة وشملها التخطيط وتكيف معها مثل البستان الكافوري وبعض الأديرة، وكذلك هناك المساحات-التي خصصت للجامع ومساجد الفروض وحتى مصلى العيد خارج سور المدينة-التي أثرت على تخطيط الطرق الرئيسية في القطاع الشمالي من المدينة وبخاصة الطريق المؤدى من القصر إلى باب النصر إلى مصلى العيد والآتي من مصلى العيد إلى باب الفتوح إلى القصر، كذلك كان توفير مساحات للحارات التي أنشئت داخل القاهرة من العوامل المؤثرة

---

(١) فؤاد فرج، المرجع السابق، ص ٤١٤.

(٢) محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، ص ص ١٧١-١٧٢.

تأثيراً مباشراً في هذا التقسيم، وهكذا اختلفت رؤية تقسيم الأرض في مدينة القاهرة عن رؤية تقسيمها في المدن المصرية القديمة، وكذلك المدن الرومانية، وبالتالي فإن عقد المقارنة في إطار تشابه بعض الملامح دون مراعاة ظروف تقسيم الأرض يكون قد تسببت في هذا التشبيه الخاطئ بين تخطيط المدن المصرية القديمة أو اليونانية أو الرومانية وبين القاهرة، وعقد مقارنة بين المدن الرومانية على وجه التحديد التي خططت على هيئة مربع أو مستطيل يخترقه طريقان عموديان في الوسط ويتجه أحد هذين الطريقين من الشمال إلى الجنوب ويسمى "كاردو" Cardo ويعنى محوراً، أما الطريق الثاني الرئيسي فيتجه من الشرق إلى الغرب ويسمى "ديكومانوس" Decumanus وكان الشارع الرئيسي على جانبيه رواقان بأعمدة كورنثية عرض كل منها ستة أمتار، وفي نقطة التقاطع كان يوجد قوس محمول على أعمدة ساقفة([1])، وهذا التخطيط هو الذي اتبع في تخطيط مدينة تمجاد التي أشار بعض الباحثين إلى أنها النموذج الذي سار عليه تخطيط القاهرة.

ولاشك أن عقد مقارنة بين هذا النمط في التخطيط وبين مدينة القاهرة توضح أن هناك اختلافاً معيناً بالإضافة إلى اختلاف نمط تقسيم الأرض الذي سبقت الإشارة إليه، فإن الشارع الرئيسي في مدينة القاهرة والذي يمتد من الشمال إلى الجنوب موروب بشكل مختلف عن الشكل العمودي في المدن الرومانية، كما أن تصميمه يختلف عن الشارع الرئيسي Cardo المحور في المدن الرومانية، حيث لا يشتمل على رواقين جانبيين، كما أنه لا يوجد شارع ثان عرض "ديكومانوس" Decumanus يتقاطع معه، كما لا يوجد بالتالي قوس في منطقة التقاطع كذلك فإن عرض الشارع في مدينة القاهرة يختلف من منطقة إلى أخرى ويزداد اتساعاً ليشمل ميداناً في المنطقة التي بين القصر الشرقي والقصر الغربي، وهكذا فإن ملامح التخطيط لشبكة شوارع القاهرة تختلف في أسبابها وفي مظاهرها عن شبكة تخطيط المدن الشطرنجية القديمة أو المدن الرومانية، وبالتالي فلا صحة لتأثير هذه المدن

---

(١) محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، ص ١٧٢.

بصورة مباشرة مع تخطيط شبكة الشوارع بمدينة القاهرة، وإن بدت بعض الملامح في هيئة قد تبدو مشابهة فإنها بدت كذلك لأسباب أخرى غير التي كانت تحكم تخطيط المدن القديمة والمدن الرومانية.

فالشارع الرئيسي "قصبة القاهرة" يخترق المدينة من الشمال إلى الجنوب ويمر بميدان بين القصرين ومن القصر يتفرع إلى تفريعتيه إلى باب النصر وباب الفتوح حيث تبدأ طرق القوافل الرئيسة إلى السويس من جهة وإلى دمياط ومدن الوجه البحري من جهة أخرى، كما ينتهي في الجنوب بباب زويلة حيث يبدأ الطريق المؤدى إلى الفسطاط ومدن الوجه القبلي، وهكذا يتضح أن هذا الطريق الرئيسي حكمته ظروف جغرافية مصر وحركة التجارة والنقل فيها وكذلك ثوابت عمران عواصم مصر الإسلامية جنوب القاهرة.

والشوارع العرضية كانت لتربط بين الحارات أو المناطق والتقسيمات السكنية والشارع الرئيس وكانت تصب فيها الأزقة والطرق الفرعية داخل كل منطقة سكنية بما يوفر الخصوصية الإسلامية التي يحققها هذا التخطيط(١)، كما أنه يحقق تدرج كثافة حركة المرور تدرجاً يساعد على تحقيق شبكة الطرق لوظائفها حيث تتدرج مقاييس الشوارع والطرقات من شارع رئيس واسع يشق القاهرة من الشمال إلى الجنوب "قصبة القاهرة" إلى شوارع جانبية أقل اتساعاً إلى أزقة وطرقات تستدق كلما تشعبت داخل تقسيم الحارة الواحدة، وكثافة المرور تزداد مع حركة المرور من داخل تقسيمات الحارة الفرعية إلى طرقاتها الأكبر إلى الشوارع الجانبية إلى الشارع الرئيسي.

كذلك فإن للعوامل المناخية أثرها حيث إن وجود طريق رئيسي يشق القاهرة من الشمال إلى الجنوب مع وجود ووروب به وبعض الازورارات في استقامته يتوافق واتجاه الرياح في فصل الصيف والتي تهب من جهة الشمال فيساعد على تسريب الهواء إلى الشوارع الجانبية التي تفصل ما بين الحارات والتي يساعد عن أن

---

(١) للاستزادة، راجع: محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، ص ص ١٦٩-٢٢١.

تستقبله الدور في هذه الحارات والمطلة على هذه الشوارع الجانبية، وكذلك الطرقات داخل الحارات الموازية لها الرياح فتلطف حرارة الجو، كما أن هذا التخطيط يتوافق أيضاً وحركة الشمس الظاهرية من الشرق إلى الغرب، حيث إن هذه الشوارع الثانوية التـــي تتصل بين الحارات تكون امتداداتها من الشرق إلى الغرب في نفس اتجـــاه حركـــة الشمس فتصل أشعة الشمس إليها وإلى الدور المطلة عليها رغم ضيقها النسبي.

وإذا كان تخطيط شبكة الطرق في مدينة القاهرة قد لفت نظر بعض الباحثين إلى الاتجاه نحو تأصيله، فإن الأصح منهجياً أن يتجه التأصيل إلى النماذج الإسلامية التي يمكن اعتبارها وفق التوصيف السابق لشبكة طرق القاهرة وظروف تقـسيم الأرض السبب الرئيسي في اتخاذها هذا الشكل، ونرى أمثلة واضحة لذلك في الكوفـــة لكـــن أوضح الأمثلة الذي خططت فيه شبكة الطرق لتشتمل على طريق رئيسي تقطعه طرق أو شوارع ثانوية مستقيمة كان في مدينة "سامراء" وهي المدينـــة التـــي احتفظـــت بشكلها الأصلي دونما تعديل، كما يحدث في المدن الإسلامية التي عمـــرت لقـــرون طويلة ويكشف تخطيطها عن نموذج إسلامي واضح ارتبط بظروف نشأتها ووظيفتها وظروف تقسيم الأرض بها.

وإذا كانت ظروف تقسيم الأرض قد حكمت إلى حد بعيد شكل الطرق الجانبية في تخطيط مدينة القاهرة والذي قام أساساً على توفير حارات سكنية لكل قبيلـــة حـــارة خاصة بها، فإن هذا الإطار الاجتماعي القائم على تسكين كل قبيلة في حارة خاصـــة بها هو نمط تتكرر في العديد من المدن وبخاصة في مدن الأمصار واستمر في كثير من المدن التي صاغ حياتها الاجتماعية هذا التوجه القبلي، وإن هذا النمط في تقسيم الأرض أصبح أساساً في كثير من المدن والقرى التي سادت هذا الإطار الاجتمـــاعي، ويمكن أن نرى في بلدة سدوس نموذجاً يشبه إلى حد كبير في تخطيط شبكة طرقـــه مدينة القاهرة في المرحلة الأولى من عمرانها[١].

---

(١) محمد عبد الستار عثمان، عمارة سدوس التقليدية، دراسة أثرية معماريـــة، دار الوفـــاء لدنيا النشر والطباعة، ٢٠٠٠، ص ص ١٣٥-١٧٠.

كذلك فإن السمة النوعية لمدينة القاهرة باعتبارها مدينة ملكية كان لها تأثيرها بلا شك في تخطيط شبكة الطرق التي تميزت بسمات خاصة انتقلت إليها من عاصمة الفاطميين الملكية الأولى بتونس وهي مدينة المهدية.

فقد أنشئت المدينة لتكون حصناً ملكياً يقوى في البداية على دفع خطر القرامطة، ثم يكون بعد قدوم المعز لدين الله من المنصورية في تونس قاعدة الخلافة، ومن ثم كان تحديد المنشآت الأساسية وتقسيم الأرض وفق هذه الرؤية فمساحة القاهرة التي بلغت في المرحلة الأولى من إنشائها في عهد جوهر ٣٧٠ فداناً شغل القصر الشرقي منها سبعون فداناً أي ٢٠,٦% من مساحة المدينة كلها، وشغلت الميادين ٣٠ فداناً أي ٨,٨% من مساحة المدينة ككل، وشغلت البساتين ٣٠ فداناً وبنفس النسبة وبقية المساحة شغلتها الخطط السكنية والشوارع والطرقات، وهي مساحة ٢١٠ فدان أي ٦١,٨% من مساحة المدينة ككل. وهنا يمكن أن نقول أن طبيعة المدينة في كونها مدينة ملكية أدت إلى توجيه تخطيطها نحو خدمة هذا الهدف سواء فيما يتعلق بالقصر أو الميادين أو موقع المسجد الجامع أو مصلى العيد، وكذلك الحارات التي خصصت لسكنى الجند والحاشية، ونلمح هنا بوضوح في بعض السمات الظاهرة المتمثلة في وضع المسجد الجامع الأزهر جنوبي القصر قريباً من باب زويلة الذي يربط القاهرة بالعواصم المصرية الإسلامية السابقة لتسهيل وصول من يريد صلاة الجمعة في هذا المسجد الجامع من أهل هذه المدن دون الولوج إلى منطقة القصر، كذلك كان كبر مساحة القصر ثم بناء القصر الغربي مقابل له وعمل ميدان لاستعراض الجند بين القصرين، وهو تخطيط يرتبط بالرسم الملكي الذي سبق وإن استقر في مدينة المهدية الفاطمية الأولى للفاطميين وهو توجه أكد على وجوده الفاطميون في عاصمتهم الجديدة بمصر، كذلك فإن وضع مصلى العيد خارج باب النصر وتخطيط الطريق الموصل إليها من القصر عن طريق باب العيد إلى طريق يؤدى إلى باب النصر ليصلى الخليفة ويعود من باب الفتوح وإلى القصر حتى لا يرجع من نفس الطريق ويعود إلى القصر من طريق آخر غير الذي يسلكه في الذهاب إلى الصلاة تأسياً بالرسول ﷺ أمر يرتبط بسلوك ملكي للمعز الذي حرص-

كما تشير المصادر التاريخية إلى التأكيد - على أداء السنن والالتزام بها أحسن ما يكون الالتزام لا باعتباره مسلماً فقط ولكن باعتبار رغبته في التأكيد على نسبه إلى رسول الله ﷺ .

كذلك فإن الربط بين القصور وبستان كافور والمناظر على النيل بطرقات وسراديب في باطن الأرض أمر يرتبط والرسم الملكي وحياة الخلفاء الفاطميين ونهجهم في الالتزام بالسرية والتخفي.

الفصل الثالث

العمارة الحربية بمدينة القاهرة

«الأسوار والبوابات»

الفصل الثالث

أسوار وبوابات مدينة القاهرة

اهتم الفاطميون بتحصين القاهرة، وكان هدفهم المباشر من هذا التحصين هو أن تستطيع هذه المدينة مقاومة هجوم القرامطة أول هجوم متوقع على الفاطميين بعد دخولهم مصر، وفي إطار هذا الاهتمام كان إنشاء جوهر للأسوار الأولى لمدينة القاهرة ببواباتها الحصينة.

وفي عهد الخليفة المستنصر وإزاء الظروف التي تعرضت لها الدولة، كان الاهتمام مرة أخرى بتحصين القاهرة فأنشئت أسوار أخرى للمدينة ضمت ما أنشئ خارج أسوار جوهر خاصة في الظاهر الشمالي والظاهر الجنوبي من المدينة، وكان إنشاء هذه الأسوار من الحجر بدلاً من اللبن الذي استخدم في أسوار جوهر.

وفي نهاية العصر الفاطمي وبعد أن استوزر صلاح للفاطميين اهتم صلاح الدين بترميم أسوار القاهرة،وهذه الأعمال المعمارية تختلف عن أعماله المعمارية التي قام بها في القاهرة والقلعة بعد أن سيطر الأيوبيون على الحكم.

وفي إطار ما سبق فإن دراسة أسوار وبوابات القاهرة تتم في إطار مراحل ثلاث أولها في عهد جوهر والثانية في عهد بدر الجمالي، والثالثة في عهد صلاح الدين أيام أن كان وزيراً للفاطميين.

أسوار القاهرة وبواباتها في عهد جوهر الصقلي :

في ضوء ما ورد في المصادر من روايات تاريخية عن إنشاء جوهر الصقلي لأسوار وبوابات القاهرة، يلاحظ أن جوهر كان مهتماً اهتماماً بالغا بسرعة إنشاء هذه الأسوار قبل إنشاء أي نوعية أخرى من المنشآت[١]، وكان هذا الاهتمام فيما

---

(١) المقريزى: الخطط جـ١ ص ٣٦١.

يبدو بسبب توقع هجوم القرامطة، ويؤكد المقريزى على هذه الحقيقة فيقول "وتقيد جوهر باختطاط القاهرة حيث هي اليوم أن يصير حصناً فيما بين القرامطة ومدينة مصر ليقاتلهم من دونها" ثم يذكر في موضع آخر أنه "احتفر الخندق من الجهة الشمالية (بالنسبة لسور القاهرة) ليمنع اقتحام عساكر القرامطة إلى القاهرة وما وراءها من المدينة"[١]، وأكدت الأحداث صدق توقع جوهر فقد هاجم القرامطة مصر في شوال سنة ٣٦٠هـ/ يوليو ٩٧١م، وخرج جوهر من الباب الشمالي بالسور الشرقي هو باب "القنطرة" بعد سنتين من بناء أسوار المدينة وأقام أمامه قنطرة فوق الخليج ليمشى عليها إلى المقس ليدافع عن القاهرة ضد القرامطة[٢].

وانعكس هذا التوجه في بناء الأسوار بسرعة في استخدام اللبن كمادة أساسية في بنائها حيث إن إعداد اللبن من الطين وضربه وتجفيفه أسرع وأسهل من قطع الأحجار ونحتها ونقلها من محاجرها إلى موضع البناء، كذلك فإن الحجم الكبير للطوب اللبن الذي أنشئت به هذه الأسوار يعكس هو الآخر مدى الرغبة في سرعة البناء،وقد لفت كبر حجم الطوب اللبن الذي بنيت به أسوار جوهر نظر المقريزى الذي ذكر أنه أدرك من "هذا السور اللبن قطعاً وآخر ما رأيت (المقريزى) منه قطعة كبيرة كانت فيما بين البرقية ودرب بطوط هدمها شخص من الناس في سنة ثلاث وثمانمائة فشاهدت من كبر لبنها ما يتعجب منه في زماننا حيث إن اللبنة تكون قدر ذراع في ثلثي ذراع.." [٣].

فإذا قارنا بين استخدام الفاطميين للحجر في إنشاء أسوار المهدية وظروف إنشائها وبناء أسوار القاهرة باللبن، رغم توفر الحجر في المحاجر القريبة من موضع القاهرة يتبين أن استخدام اللبن كان الهدف منه إتمام البناء بأسرع وقت ممكن استعداداً للهجوم المتوقع من القرامطة.

---

(١) المقريزى، خطط ص ٣٦١.

(٢) المقريزى: خطط، جـ١ ص ٣٨٢، أحمد عبد الرازق، المرجع السابق، ص ٢١٢.

(٣) المقريزى: الخطط. جـ١ ص ٣٧٧.

كذلك كان حفر الأسوار في ذات الليلة التي أناخ فيها جوهر بعسكره في موضع مدينة القاهرة وقد أدى حفر الأسوار ليلاً إلى وجود بعض الازورارات أو الاعوجاجات بالسور لاحظها جوهر في صباح اليوم التالي، فلم تعجبه، ولكنه تركها على حالها واستمر في البناء معللاً بأن ذلك حدث في ليلة مباركة وساعة سعيدة(١).

وتعكس قياسات حصن القاهرة أيضاً مدى الرغبة في إنجاز عمارته بسرعة فقد بلغت المساحة الكلية للمدينة ٣٧٠ فداناً أحاطها بسور من جوانبها الأربعة مكوناً شكلاً رباعياً طول ضلعه الجنوبي ٩٧٥ متراً وطول ضلعه الغربي ١٢٠٠ متراً وطول ضلعه الشمالي ٩٢٥ متراً وطول ضلعه الشرقي ١١٧٥متراً(٢)، ولاشك أنه كان بإمكان جوهر أن يزيد من مساحة المدينة عن ذلك خاصة وأن السهل الرملي كان يمتد امتداداً مساعداً على التوسع في اتجاه الشمال لكنه اكتفي بهذه المساحة التي تمكنه من إتمام أسوارها في أسرع وقت ممكن ليتقى خطر القرامطة.

وقد أشارت المصادر إلى سمك أسوار القاهرة التي أنشأها جوهر فقد ذكر المقريزى أن "عرض جدار السور عدة أذرع يسع أن يمر به فارسان"(٣)، وهو سمك كبير يقوى على آلات النقب، كما أنه يوفر الحركة السهلة للجند على سطحه، كما أنه من وجهة النظر الإنشائية يساعد على الارتفاع ببناء الأسوار ارتفاعاً يحقق غاية الدفاع ويمنع من سهولة تسلقه، وقياسات السور التي أشار إليها المقريزى تمت فيما يبدو بنفس قياسات سور المهدية أو مقاربة لها حيث إن معايير الدفاع وأساليب القتال واحدة، باعتبار تقارب الفترة الزمنية بين إنشاء المهدية وإنشاء القاهرة،وهي الفترة التي بلغت ما يربو على الخمسين عاماً فقط.

وتضمنت أسوار القاهرة التي أنشأها جوهر ثمانية أبواب، ففي السور الشمالي

---

(١) المقريزى: خطط جـ١ ص ٣٦١، ابن دقماق: المصدر السابق، جـ٥ ص ٣٦، أحمد عبد الرازق، المرجع السابق، ص ٢١١.

(٢) فؤاد فرج، المرجع السابق، ص ص ٤١٥-٤١٧.

(٣) المقريزى: الخطط ، جـ١ ص ٣٧٧.

بابا النصر والفتوح على التوالي من الشرق إلى الغرب، وفي إطار الدراسات التاريخية والأثرية أمكن تحديد موضع هذين البابين رغم اندراسهما فباب النصر الأصلي الذي بناه جوهر كان يقع على بعد ٢٠ متراً تقريباً إلى الشمال من جامع الشهداء المعروف أيضاً باسم وكالة قوصون بشارع باب النصر تجاه زاوية القاصد بين مدخل حارة العطوف وجامع الشهداء، وباب الفتوح الذي أنشأه جوهر كان يقع عند رأس شارع بين السيارج من الجهة القبلية في نقطة تقابل هذا الشارع مع شارع المعز لدين الله(١).

وفي السور الجنوبي بابا زويلة وباب الفرج من الشرق إلى الغرب على التوالي، والباب الأول سمى "بابي زويلة" لاشتماله على فتحتين للمرور وقد نسب هذا الباب أيضاً إلى قبيلة زويلة إحدى القبائل التي شكلت قطاعاً مهماً في جيش جوهر الذي دخل مصر، والموضع الأصلي لهذا الباب كان بجوار زاوية سام بن نوح التي ما زالت باقية إلى اليوم إلى الشمال من باب زويلة بحوالي ١٥٠ متراً(٢).

أما باب الفرج فكان يقع إلى الغرب من بابي زويلة في القطاع المحصور بين بابي زويلة والزاوية الجنوبية الغربية لسور مدينة القاهرة في عهد جوهر(٣).

وفي السور الغربي بابا القنطرة وسعادة من الشمال إلى الجنوب على التوالي، وأمكن تحديد موضع باب القنطرة على مدخل شارع أمير الجيوش الجوانى، وقد عرف هذا الباب بهذا الاسم لأن جوهر أنشأ على الخليج قبالة قنطرة ليعبر عليها الجيش لملاقاة القرامطة عند المقس(٤)، والباب الثاني هو باب سعادة، فقد سمى بهذا

---

(١) فؤاد فرج، المرجع السابق، ص ٤١٧.

(٢) المقريزى: خطط جـ١ ص ٢٨٢، أحمد عبد الرازق، المرجع السابق، ص ٢١٢.

(٣) فؤاد فرج، المرجع السابق، ص ٤١٨.

(٤) المقريزى: خطط جـ١ ص ٣٨٢، يتصور بعض الباحثين أن باب القنطرة أنشئ بعد سنتين من إنشاء أسوار القاهرة أي أنه فتح فيها حسب تصورهم وهو تصور غير صحيح بناء على فهم مغلوط لنص المقريزى، فقد أشار المقريزى أن الذي أنشئ بعد سنتين هو القنطرة على الخليج قبالة هذا الباب وليس الباب نفسه. (راجع: أحمد عبد الرازق: =

الاسم نسبة إلى سعادة بن حيان غلام المعز وأحد قواده، وأمكن تحديد موضعه الأصلي على بعد عشرة أمتار شمال الباب الغربي لمحكمة الاستئناف بباب الخلق[1]، وخلف المحكمة المذكورة حارة تعرف بحارة سعادة ما زالت تحفظ باسمها ارتباطاً بمسمى هذا الباب.

وبالسور الشرقي بابا البرقية والقراطين من الشمال إلى الجنوب على التوالي وباب البرقية سمى بهذا الاسم نسبة إلى جنود برقة الذين حضروا مع جيش جوهر في حملته لفتح مصر وفي ضوء ما تبينه خريطة الحملة الفرنسية يتضح أن هذا الباب تحت تلال البرقية مقابل شارع الدراسة[2]، وقد كشف سنة ١٩٥٧م عند إزالة محافظة القاهرة للأتربة على باب البرقية في أسوار بدر الجمالي وإذا صح أن هذا الباب أنشئ في موضع الباب القديم، وفق الرأي الذي يذكر أن بدر الجمالي دعم بناء السور الشرقي ولم يبنه كله من جديد، فيكون موضع باب البرقية لجوهر قد تحدد، أما إذا كان بدر قد بنى سوراً شرقياً جديداً يبعد خمسة عشر متراً إلى الشرق من سور جوهر فيكون تحديد باب البرقية غرب باب البرقية "باب التوفيق" الذي أنشأه بدر الجمالي بنفس هذه المسافة "سور جوهر".

أما باب القراطين فكان موضعه بالقرب من باب المحروق الحالي في نهاية شارع درب المحروق بقسم الجمالية، وقد ذكر المقريزى أن الباب المحروق عرف بهذا الاسم بسبب الحريق الذي أشعله المماليك سنة ٦٥٢هـ/١٢٥٤م عند علمهم بقتل الأمير أقطاي قائدهم فحاولوا الخروج من هذا الباب ليلاً، وكان يغلق كالعادة المتبعة في هذا العصر من غلق أبواب القاهرة ليلاً، فأوقدوا النار في الباب حتى سقطت من الحريق وخرجوا منه ومن ذلك الوقت عرف الباب المحروق[3].

= المرجع السابق، ص ٢١٢).

(١) فؤاد فرج، المرجع السابق، ص ٤١٨.

(٢) فؤاد فرج، المرجع السابق، ص ٤١٧.

(٣) المقريزى: خطط جـ١ ص ٣٨٣، فؤاد فرج، المرجع السابق، ص ٤١٧، أحمد عبد الرازق، المرجع السابق، ص٢١٢.

وفي ضوء تحديد مواضع أبواب أسوار القاهرة التي أنشأها جوهر وباعتبار امتدادات هذه الأسوار في خطوط مستقيمة بها ازورارات طفيفة، وفي ضوء ما ورد في المصادر من إشارات إلى مواضع هذه الأسوار انتهت الدراسات الآثارية إلى تحديد امتدادات هذه المواضع بصورة تقريبية، وأمكن إلى حد بعيد تحديد المواضع التي كانت تشغلها هذه الأسوار، وتحديد أطوالها تحديداً يوضح في النهاية الشكل الذي كانت عليه هذه الأسوار وشكل حدود القاهرة في عهد جوهر، فالضلع الشمالي من أسوار جوهر انتهت الدراسات إلى أنه كان يبدأ من "نقطة تقاطع مقابل جامع حسن الزركشى عند النهاية الغربية لشارع بين السيارج ثم يسير هذا الشارع شرقاً حتى تقابله مع شارع المعز لدين الله حيث كان باب القوس الأول الذي كان بداخل باب الفتوح ويمتد من هناك إلى باب القوس الثاني الذي كان بداخل باب النصر، وكان بشارع باب النصر إلى شمالي جامع الشهداء المعروف أيضاً باسم وكالة قوصون، ثم يمتد السور الشمالي بخط يمر بسكة العطوف وينتهي إلى حارة الوسايمة عند رأس الحارة من جهتها الشرقية وطول هذا الضلع ٩٢٥ متراً تقريباً[١].

وتحدد الدراسات موضع السور الشرقي لأسوار جوهر بأنه كان "يبدأ من رأس حارة الوسايمة من جهتها الشرقية ويتجه جنوباً حتى باب البرقية، ثم يمتد من هناك جنوباً حتى درب المحروق عند نقطة تقع على بعد خمسين ذراعاً غربي الباب المحروق حيث كان باب القراطين في سور جوهر،وطول هذا الضلع ١١٧٥ متراً تقريباً"[٢].

أما السور الجنوبي فكان يبدأ من باب القراطين ويتجه غرباً إلى بابي زويلة، ثم يمتد من هناك مسايراً شارع المنجلة من الجهة القبلية، ماراً بباب الفرج وينتهي عند الطرف الجنوبي للضلع الغربي حيث يوجد باب سعادة الذي كان في شمال محكمة

---

(١) فؤاد فرج، المرجع السابق، ص ٤١٥.

(٢) فؤاد فرج، المرجع السابق، ص ٤١٦.

الاستئناف بباب الخلق،ويبلغ طول هذا السور حوالي ٩٧٥متراً تقريباً.

أما السور الغربي فيبدأ في الطرف الجنوبي جنوب باب سعادة مباشرة،ويتجه شمالاً من باب الخوخة على رأس قبو الزينية مسايراً لشارع جامع البنات حتى تقابله مع شارع الأزهر ثم يمتد من باب الخوخة إلى باب القوس الثالث الذي كان بداخل باب القنطرة (باب الشعرية الآن، مسايراً لشارع بين النهرين وشارع بين السورين وشارع الشعراني حتى تقابله مع شارع أمير الجيوش الجواني بالقرب من ميدان باب الشعرية، مما يساير ضلع السور الغربي امتداد شارع الشعراني البراني المعروف بشارع بين السيارج (لأن شارع بين السيارج له فرعان على زاوية قائمة) حتى يتقابل مع الطرف الغربي للسور الشمالي ويبلغ طول هذا السور ١٢٠٠ متراً تقريباً[١].

وهنا تجب الإشارة إلى أن اختلاف أطوال أضلاع أسوار القاهرة ساعد على حماية الأسوار بكشف من يلتصق بها حيث يمكن لأي مدافع على السور أن يكشف من يلتصق به من أي نقطة وهو أمر لا يتمكن منه المدافعون في حالة إذا ما كانت الأسوار المحيطة بالمدينة في هيئة مستطيل أو مربع.

ومن خلال هذا التحديد لأسوار جوهر والبوابات الثمانية التي كانت بها يلاحظ أن كثافة مواضع الأبواب المؤدية إلى الثلث الجنوبي من مدينة القاهرة حيث يؤدى إلى هذا الثلث أبواب زويلة وفرج وسعادة والقراطين والبرقية، وتفسير هذه الرؤية في التخطيط مرتبط بلا شك بوضع القاهرة شمالي الفسطاط وكثافة الحركة المرورية من الجنوب إلى الشمال، كما يرتبط ذلك بالموضع الذي اختير للمسجد الجامع "الأزهر" جنوبي القصر في القطاع الشمالي الشرقي من هذا الثلث الجنوبي لمدينة القاهرة، كما يرتبط بالرغبة في تخفيف حركة المرور إلى الثلث الأوسط من القاهرة، والذي تقع به القصر الشرقي الكبير حيث إن وضع المسجد الجامع جنوبي القصر ساعد من يريد الصلاة به من القاطنين خارج القاهرة خاصة صلاة الجمعة إلى

---

(١) فؤاد فرج، المرجع السابق، ص ٤١٦.

الوصول إلى الجامع دون الولوج إلى منطقة القصر حيث يركب الخليفة منـه إلـى الجامع في موكبه الخاص، ويعنى هذا بوضوح أن تحديد مواضع أبواب القاهرة فـي الثلث الجنوبي ارتبط بتحقيق الأغراض التي اتضحت من دراسة العلاقة بين مواضع هذه الأبواب ومواضع العمران جنوب القاهرة وتوزيع منـشآتها العامـة كالجـامع بالإضافة إلى مقر الخلافة.

كذلك فإن وضع الثلاثة الأبواب الباقية اثنين في السور الـشمالي وثالـث فـي القطاع الشمالي من السور الشرقي وهو باب القنطرة يرتبط أيضاً بظـروف الطـرق التي تربط بين القاهرة والطرق الموصلة إلى الشمال الشرقي ودمياط فـي الـشمال وغيرهما من البلاد المصرية في هذا الاتجاه،حيـث إنهـا طـرق التجـارة وطـرق الجيوش، فقد كان كل من باب النصر والفتوح هما همزة الوصل بين عمران القاهرة جنوباً وبين الطرق والبلاد التي تقع إلى الشمال من القاهرة، كذلك ارتـبط تخطـيط هذين البابين بمصلى العيد التي أنشئت خارج باب النصر والتي كان يخـرج إليهـا الخليفة لصلاة العيد من باب النصر ويعود من باب الفتوح تأسياً بالرسول ﷺ الـذي كان يخرج إلى الصلاة من طريق ويعود من طريق آخر ليسلم ويهنئ أكبر عدد مـن المسلمين بقدوم العيد، وقد انعكس ذلك على وجود طريقين رئيسيين يربطـان بـين القصر وكل من بابي الفتوح والنصر.

أما باب القنطرة فقد أنشئ ليربط بين القاهرة والمنطقة شرق القاهرة في القطاع الشمالي حيث الخليج ومنه إلى المقس الميناء النهري والموضع الذي كان ينقل منه ماء الشرب إلى القاهرة لبعدها على النيل، وقد أنشأ جوهر فـي سـنة ٣٦٠ هـ/ ٩٧١م قنطرة على الخليج أمام هذا الباب الذي عرف بها، وهكذا يتضح أن هذا الباب كان هو المنفذ إلى مرفأ المقس الذي كان محطة نهرية مهمة تـصل إليهـا الـسفن النيلية المحملة بالسلع والبضائع والحبوب أو تحمل أيضاً المنتجات التي تنـتج فـي الفسطاط ثم بعد ذلك من القاهرة إلى البلاد الأخرى.

وقد قامت أسوار جوهر بتحقيق الغرض من إنشائها في هذه المرحلة المبكـرة من تاريخ مدينة القاهرة حيث تشير المصادر التاريخية إلى أن هذا السور استطاع أن

يقف حائلاً أمام هجمات القرامطة الذين وصلوا بعساكرهم عن طريق المقس (بولاق حالياً) في شوال سنة ٣٦٠هـ/ يوليو أغسطس ٩٧١م، واستطاع جوهر أن يـردهم عن طريق الجيوش التي خرجت من باب القنطرة في السور الغربي أقرب نقطة إلـى الخليج ومنه إلى المقس وأنشأ على الخليج قنطرة لتسهيل عبور الجيوش إلى الجانب الغربي من الخليج وذلك للدفاع عن المدينة التي لم يكن قد مضى على إنشائها أكثر من عامين، وتحققت بذلك الرؤية الثاقبة لجوهر والتي دفعت لاختيار موضع القاهرة في الشمال حتى تكون رادعاً لهجوم القرامطة أو العباسيين وتحول دون وصـولهم إلى الفسطاط.

كذلك فإن هذه الأسوار ببواباتها حققت الغرض من جعل القاهرة مدينة ملكية فقد حجزت هذه الأسوار والبوابات عامة الشعب من الوصول إلى القصور الملكية، حيث إن جوهرًا لم يكن يسمح لأي فرد باجتياز أبواب هذه المدينة الملكية إلا إذا كان مـن جند الفاطميين أو من كبار الموظفين في الدولة بل وكـان الـدخول إلـى القـاهرة بتصريح خاص يسهل لحامله المرور من بواباتها الثمانية التي فتحها جـوهر فـي أسوار المدينة[١].

ولم تعمر أسوار جوهر أكثر من ثمانين عاماً، وقد لاحظ الرحالة ناصر خـسرو ذلك عند زيارته لمصر فيما بين سنتي ٤٣٩هـ و سنة ٤٤١هـ (١٠٤٧-١٠٤٩م) حيث ذكر أن القاهرة ليس لها سور، كما ذكر فقـط خمـسة أبـواب مـن أبوابهـا الثمانية[٢]، كذلك فإن العمران امتد خارج هذه الأسوار شمالاً وجنوباً مما كـان لـه تأثيره على فقدان هذه الأسوار لوظائفها الحربية وإهمالها إهمالاً ساعد على تهدمها.

وفي عهد الخليفة المستنصر بالله بدت الحاجة ملحة لإعادة بناء أسوار القاهرة لتقوى على الدفاع عن نفسها في حالة تعرضها للهجوم من الشمال أو من الجنـوب خصوصًا أن النوبة المسيحية كان لها نشاطها العدائي المهدد للسلطة الفاطمية، وقام

---

(١) عبد الرحمن فهمي محمد، المرجع السابق، ص ٤٦٩.

(٢) ناصر خسرو، المصدر السابق، ص ٩٦.

بدر الجمالي وزير الخليفة المستنصر بإعادة بنائها في الفترة من ٤٨٠- ٤٨٥هـ (١٠٨٧-١٠٩٢م).

الخندق:

حفر جوهر الصقلي خندقاً شمال السور الشمالي ليكون عائقاً لتقدم القرامطة الذين هددوا الدولة الفاطمية بعد استيلائها على مصر. وهذا الخندق كان بعيداً عن السور الشمالي بمسافة كبيرة نسبياً خصوصًا أن مصلى العيد كانت خارج هذا السور الشمالي في الموضع الذي أنشئت فيه تربة بدر الجمالي خارج باب النصر(١) والتي تعرف بقبة الشيخ يونس .

وتحدد الدراسات الحديثة موضع هذا الخندق بأنه في المنطقة التي كانت تسمى بستان الخندق نسبة إلى هذا الخندق الذي حفره جوهر الصقلي والذي تشغل موضعه حالياً جامعة عين شمس ومنطقة الدمرداش والمحمدي(٢)، وتتفق مع هذا التحديد رواية هدم دير العظام وبناء دير للنصارى بديلاً عنه بظاهر القاهرة عرف بدير الخندق والذي يعرف الآن بدير الملاك بمنطقة حدائق القبة(٣).

أسوار القاهرة في عهد بدر الجمالي

اعتمد الفاطميون على أجناس مختلفة في تأليف جيشهم، ومن هذه الأجناس السودان والأرمن، بالإضافة إلى القبائل المغربية التي كونت عصب جيشهم الذي استطاعوا به السيطرة على مصر. وقد انعكست هذه السياسة على أمن البلاد واستقرارها بسبب التنافس بين هذه الأجناس، ولم يظهر خطر هذه السياسة في النصف الأول من العصر الفاطمي الذي حكمه الخلفاء الأقوياء ولكنه زاد في النصف الثاني من العصر الفاطمي الذي ساده الوزراء العظام وتقلص فيه سلطان الخلفاء

---

(١) المقريزى: خطط جـ٢ ص ١٠٨، سعاد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٧٤،جـ ١،ص ص ٢٨١-٢٨٢.

(٢) فتحي مصيلحى: المرجع السابق ،ص ١٤٤.

(٣) المقريزى: خطط جـ١، ص ٤٠١، فؤاد فرج: المرجع السابق، ص ٤١٣.

لضعفهم وقلة حيلتهم،ويعتبر عصر الخليفة المستنصر بالله الفاطمي مرحلة مفصلية بين الفترة التي حجبت فيها قوة الخلفاء خطر تنافس الأجناس المختلفة التي تكون منها الجيش وبين الفترة التي زاد فيها سلطان الوزراء وضعف فيها أمر الخلفاء.

وكان للظروف الاقتصادية التي مرت بها مصر في عهد المستنصر-خاصة في الفترة التي بدأ فيها انخفاض النيل سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٥م واستمر سبع سنوات- أثرها الواضح في هذا التحول السياسي، فقد أدى انخفاض النيل إلى حدوث أزمة اقتصادية عرفت في التاريخ بالشدة المستنصرية، قلت فيها الأقوات بمصر والقاهرة وغلت الأسعار وحدث شبه انهيار اقتصادي وبدأت الأخطار تهدد الدولة خاصة من جهة النوبة المسيحية على الحدود الجنوبية لمصر.

وقد أدت هذه الظروف جميعها إلى ضرورة الاستعانة بشخصية قوية تساعد الخليفة المستنصر على إدارة الأزمة والتغلب على ما تواجهه الدولة من صعاب وأخطار، فبعث إلى بدر الجمالي والى عكا، يطلب منه القدوم إلى مصر ليتولى تدبير شئون الدولة، ويصلح ما فسد، فاشترط للموافقة أن يحضر معه من يختاره من جنوده وعساكر بالشام حتى يستغني تماماً عن طوائف الجند المتنافسة التي تكون جيش الخلافة بمصر، وقبل الخليفة بشرطه بل رحب به، وعلى الفور جاء بدر الجمالي إلى مصر بحراً عن طريق ميناء دمياط ومنها إلى قليوب، وقبل أن يصل إلى القاهرة طلب من الخليفة القبض على القائد التركي (بلدكوش) فقبض عليه الخليفة وحبسه بخزانة البنود.

وفي أول ليلة قضاها بالقاهرة استطاع أن يتخلص من الأمراء الذين أراد التخلص منهم بمساعدة أصحابه، وبهذه البداية القوية اتضحت قوة شوكته وعظم أمره "وخلع عليه الخليفة المستنصر بالطيلسان المقور وقلده وزارة السيف والقلم، فصارت القضاة والدعاة وسائر المستخدمين من تحت يده، وزيد في ألقابه أمير الجيوش كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين"(١).

---

(١) المقريزى: خطط جـ١ ص ٣٨٢، سعاد ماهر محمد، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون،=

واستطاع بدر الجمالي بعد أن تولى الوزارة أن "يضبط الأمور، أحسن ضبط، وكان شديد الهيبة، وافر الحرمة، محفوف السطوة، قتل من مصر خلائق لا يحصيها إلا خالقها، إلا أنه عمر البلاد وأصلحها بعد فسادها"[١].

وتعتبر أسوار القاهرة من أهم الأعمال المعمارية التي قام بها بدر الجمالي، حيث اهتم بإعادة تحصين القاهرة حماية لها من أي اعتداء، خاصة وأن أسوار جوهر تهدمت - كما أشرنا- وبنى خارجها من الشمال والجنوب منشآت معمارية دعت الحاجة إلى إدخالها ضمن أسوار القاهرة التي اعتزم بدر الجمالي إنشاءها.

وفي إطار الظروف السياسية والاقتصادية التي كانت تمر بها البلاد فإن توسيع القاهرة عند إنشاء بدر الجمالي لأسواره، كان محدوداً حيث ضم إليها مساحة من جهة الشمال يبلغ طولها من أسوار جوهر إلى أسوار بدر ١٥٠ متراً، ويلاحظ أن السور الشمالي لبدر الجمالي بنى ملاصقاً للحائط الشمالي لجامع الحاكم، بما يؤكد التوجه الاقتصادي في بناء الأسوار توجهاً حكمته ضرورة ضم المنشآت خارج أسوار جوهر في هذا الاتجاه دون زيادة، كما أضاف من جهة الجنوب مساحة مشابهة حيث بلغ طول المساحة التي ضمها في الجنوب أيضاً حوالي ١٥٠ متراً من أسوار جوهر حتى السور الذي أنشأه بدر الجمالي في الجهة الجنوبية، وكان الاتساع غرباً وشرقاً محدوداً أيضاً حيث حكمت الملامح الطبوغرافية الاتساع شرقاً وغرباً فبلغ الاتساع شرقاً نحو ٣٠ متراً وبلغ الاتساع في اتجاه الغرب ١٥ متراً حيث إن هذا الاتجاه محكوم بالخليج.

مهندسو أسوار وبوابات القاهرة في عهد بدر الجمالي:

أثارت روايات المؤرخين في حديثهم عن مهندسي أبواب القاهرة كثيراً من

= نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٧٤، جـ١ ص ٧٧-٢٨٧.

(١) ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن ت ٨٧٤هـ) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، بدون تاريخ جـ٥ ص١٦٣.

المناقشات بين الآثاريين، خصوصًا أن عمارة أسوار القاهرة وأبوابها جاءت في غاية من الروعة والجمال والفخامة في فنون التخطيط الحربي وبراعة الإنشاء وجمال التشكيل والزخرفة بصورة لفتت أنظار الرحالة خاصة الأوربيين منهم وما زالت البوابات الباقية تشهد بهذا الجمال وتلك الروعة.

والرواية الأولى عن مهندسي أبواب القاهرة أوردها أبو المكارم في كتابه "تاريخ الكنائس والأديرة" - المنسوب خطأ إلى أبى صالح الأرمني- ففي حديثه عن دير القصير بمنطقة طرا أشار إلى قبر قريب من بيعة مار يوحنا ذكر أنه "قبر يوحنا الراهب الذي هندس صور (هكذا) القاهرة وأبوابها في الخلافة المستنصرية ووزارة أمير الجيوش بدر"(١) وقد تبنى هذه الرواية بتلر **Butler**.

أما الرواية الثانية فهي للمقريزى الذي أشار هو الآخر إلى أنه "يذكر أن ثلاثة إخوة قدموا من الرها بنائين بنوا باب زويلة وباب النصر وباب الفتوح كل واحد بنى باباً"(٢)، وقد اهتم بهذه الرواية كثير من الآثاريين المستشرقين أمثال هوتكير **Heautecour** وفييت **Wiet** وكريسويل وغيرهم، وكان أكثرهم تحمساً إلى هذه الرواية كريسويل حيث حاول جهد الطاقة أن يثبت صحة رواية المقريزى، بل إنه أضاف إلى قول المقريزى نصاً لم يذكره المقريزى فقد ذكر أن الإخوة الثلاثة كانوا "مسيحيين" وكأن أهل الرها جميعهم من المسيحيين، مع أن مدينة الرها في دار الإسلام وظلت الرها تحت الحكم الإسلامي منذ القرن الثاني إلى القرن الخامس الهجري (٨-١١م) إلى أن استولى عليها البيزنطيون في القرن السادس الهجري

---

(١) أبو المكارم (سعد الدين بن جرجس بن مسعود (١١٧٣-١٢٠٤م) تاريخ الكنائس والأديرة في القرن الثاني عشر. إعداد وتعليق الراهب صموئيل السرياني، د.م، د.ت ص ٩١، أبو صالح الأرمني: تاريخ الشيخ أبى صالح الأرمني، نشر. ايفينس وبكر طبعة أكسفورد **OXFORD** سنة ١٨٩٥، ص٦٥.

(٢) المقريزى: خطط جـ١ ص ٣٨١، ل. أسيمينوفا: تاريخ مصر الفاطمية، ترجمة وتحقيق حسن بيومي، نشر المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة سنة ٢٠٠١، ص ١٢٥.

(١٢م) ثم عادت إلى حوزة المسلمين[١].

وفي محاولة لتأكيد رواية المقريزى قام كريسويل بتأصيل العناصر المعمارية في أبواب القاهرة وأبراجها متتبعاً أصولها في بقاع أخرى وفي أزمنة سابقة على العصر الفاطمي والعصر الإسلامي، خاصة في مناطق الشام وأرمينية والعراق، وأغفل أن مصر كان لها تقاليد معمارية عريقة في العصر الإسلامي وقبله، كما تناسى الأعمال الإنشائية الحجرية للفاطميين في القاهرة وفي المهدية التي اتضح من دراستها دراسة عمرانية ومعمارية مدى تأثيرها على العمائر بالقاهرة الفاطمية.

ولا يعنى ذلك نفي وجود تأثيرات مشرقية حيث إن ورودها إلى مصر أمر وارد، خاصة في إطار العلاقات السلمية أو الحربية التي كانت بين الدولة الفاطمية وجيرانها، خصوصًا أن مصر أصبحت مركز جذب حضاري في ذلك العصر بعد تحول تجارة الشرق إلى البحر الأحمر في إطار جهود الفاطميين لذلك، وكذلك بازدهار اقتصادها ازدهاراً جذب الفنانين والصناع إليها من كل حدب وصوب واستمر هذا الجذب طوال العصرين الأيوبي والمملوكي بعد ذلك.

ومراجعة لما ورد في كل من رواية أبي المكارم ورواية المقريزى تكشف عن أن رواية أبى المكارم تحدد أن الذي "هندس" الأبواب والسور هو يوحنا الراهب وهو مصري وفي هذه الرواية ما يشير تحديداً إلى التخطيط المعماري لسور بدر الجمالي كلها، وما تضمنه من بوابات، وتشير رواية المقريزى تحديداً إلى من تولى البناء أو التنفيذ، ويؤكد ذلك ما ذكره تحديداً أن كل بناء من البنائين الثلاثة تولى عملية بناء بوابة من البوابات الثلاثة النصر والفتوح وزويلة.

ويتشابه التخطيط العام للبوابات من حيث اشتمال كل بوابة على برجين يكتنفان فتحة الباب ويحصنانها،ومن حيث تصميم كل برج وبطريقة بنائه مسمطاً إلى الثلثين وبناء غرفة في الثلث العلوي من كل برج، وتشابه العناصر المعمارية الحربية كالمزاغل والسقاطات وكذلك تشابه أسلوب التغطية بالقباب الضحلة والأقبية

---

(١) عبد الرحمن فهمي محمد، روائع العمارة الإسلامية، ص١٥.

المتقاطعة كل ذلك يشير إلى أن مهندس الأبواب كان له تصميم البوابات كلها وكذلك السور، أما البناء فقد اختلفت بعض تفاصيله وهو اختلاف يرجع ربما لتولى التنفيذ خاصة البوابات الثلاث المذكورة ثلاثة بنائين، حسبما تذكر رواية المقريزى.

وفيما يتعلق بمحاولات كريسويل لتأصيل العناصر المعمارية ومحاولة إرجاع عناصر بوابات القاهرة وأسوارها إلى أصول غير إسلامية أو مصرية، فقد أوضحت الدراسات المتعمقة لهذه العناصر ومقارنتها بالتراث المعماري الإسلامي المصري على وجه الخصوص أن ما يذكره كريسويل في هذا الخصوص يحتاج إلى مراجعة وتصحيح، ولعل نظرة فاحصة إلى إحدى بوابات مدينة هابو بالأقصر وباب النصر،وكذلك وجود عنصر المثلثات الكروية في القباب المصرية التي ترجع إلى القرنين ٤-٦م في جبانة البجوات وفي منطقة الشيخ عبادة واستمر في العصر الإسلامي، كذلك مثل قباب جبانة أسوان واستخدام هذه المثلثات في بناء أفران الجير بجوار الدير الأبيض في سوهاج في القرن ٥/٦هـ-١١/١٢م يؤكد تصحيح ما ذكره كريسويل، وفي القبة الأجرية بالركن الجنوبي الغربي من الدير نفسه.

كذلك أوضحت الدراسات المعمارية لعنصر المثلثات الكروية في القباب الحجرية أنه قد ظهر وتوطن في الأردن منذ القرن الثاني الميلادي واستمر في العصر الإسلامي بدلالة ظهوره في قبة حمام قصير عمره.

كما ظهرت بعض العناصر الإسلامية الخالصة في أبواب القاهرة مثل المقرنصات في الدخلة بالبرج الشرقي لباب زويلة التي تطل على الرحبة الداخلية، والنوافذ العلوية التي تشكل الجزء العلوي منها على هيئة طاقية ذات زخارف إشعاعية إسلامية،وكذلك استخدام الروابط الرخامية في بناء الأسوار وهو أسلوب سبقت الإشارة إلى استخدامه في أسوار مدينة المهدية، وهذه العناصر وغيرها تثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن كريسويل قد أخطأ مرتين مرة عندما أضاف إلى ما ذكره المقريزى كلمة "مسيحيين" ومرة ثانية عندما بذل جهداً كبيراً في محاولة تأصيل العناصر المعمارية لأبواب القاهرة لإرجاع الفضل في إنشاء هذه البوابات إلى غير المسلمين.

وخلاصة القول أن بناء أسوار القاهرة وبواباتها قد سار على تقاليد إسلامية كان أساسها محلياً مع تطعيمها ببعض العناصر من الشرق أو الغرب الإسلاميين باعتبار العلاقات وباعتبار الثقافة وأساليب القتال والدفاع المتبعة في عصر إنشاء هذه الأسوار.

وقد بقيت أجزاء من أسوار بدر خاصة السور الشمالي الذي يضم بوابتي النصر والفتوح وبعض الأبراج الأخرى وكذلك باب زويلة في السور الجنوبي، كما كشف عام ١٩٥٧م عن باب البرقية في السور الشرقي،وتعتبر هذه الأجزاء من روائع العمارة الحربية ليس على مستوى العالم الإسلامي بل في العالم كله،، إذ لا يوجد- كما يذكر كريسويل-نظير لهذه الأبواب في أي عمارة أخرى معروفة[١]، وقد امتد أثر هذه البوابات إلى أوربا- كما سبقت الإشارة- حيث بنيت كنيسة في شمال فرنسا تأثرت عقودها ببوابة الفتوح، ويذكر إنلارت **Enlart** تفسيراً لذلك أن أحد سفراء الحملة الصليبية التي أرسلها عمورى إلى الخليفة العاضد الفاطمي بالقاهرة ربما رأي هذه الأبواب،ونقلها في باب تلك الكنيسة تذكاراً لإعجابه[٢].

مواد البناء في أسوار بدر الجمالي :

استخدم بدر الجمالي الحجر في بناء أسواره وبواباته، واستخدم أيضاً الأعمدة الرخامية كروابط في بناء السور Marble-ties. ويكشف فحص السور الشمالي من أعمال بدر خاصة ما نراه في استخدام بعض الأعتاب الجرانيتية ذات النقوش الفرعونية عن أن بدر الجمالي رغبة في سرعة البناء بأقل تكاليف ممكنة هدم كثيراً من المباني المصرية القديمة على الجانب الغربي لنهر النيل واستخدم أحجارها في البناء، كما أن جبل المقطم في الجانب الشرقي كان مصدراً آخر لأحجار البناء التي قطعت من المحاجر في هذه المنطقة ونحتت ونقلت إلى موضع بناء الأسوار والبوابات، ويتضح ذلك جلياً من اختلاف حجم الكتل الحجرية التي استخدمت في بناء

---

(١) **Creswell: Op. Cit., p. 165.**

(٢) عبد الرحمن فهمي: المرجع السابع، ص ١٧

الأسوار خاصة في الأجزاء السفلية منها، وكتل الأحجار التي استخدمت في بناء القباب والأقبية والعناصر المعمارية الدقيقة خاصة في القطاعات العلوية من الأبراج، وكذلك في برج السلم الشرقي المجاور لباب النصر والذي نحتت أحجاره بأشكال وأحجام مختلفة تؤكد قطعها ونحتها وإعدادها للبناء بصورة تؤكد اختلافها عن الكتل الحجرية الكبيرة التي نقلت من المباني المصرية القديمة.

كذلك استخدمت الأعمدة الرخامية والحجرية في البناء والذي استخدم هو بدن العمود الأسطواني بدون القاعدة والتاج، واستخدم هذه الأعمدة كرابط بعرض السور على ارتفاع معين مثلما كان عليه الحال في أسوار مدينة المهدية، وهذه الأعمدة جلبت من عمائر قديمة، وترجع إلى عصور مختلفة سابقة على العصر الإسلامي.

ولاشك أن بناء أسوار القاهرة بالحجر كان له أثره في استغراق مدة طويلة في البناء بدأت سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م، وانتهت ٤٨٥هـ/١٠٩٢م رغم همة بدر الجمالي في البناء واستخدامه أحجاراً وأعمدة جلبت على السرعة من مبان قديمة.، ويشير بعض الآثاريين إلى أن بدر استخدم اللبن في بناء بعض الأجزاء من الأسوار واقتصر استخدامه للحجر على البوابات والسور الشمالي وعلى جانبي باب زويلة وحجة بعضهم في ذلك تهدم هذه الأسوار ومحاولة صلاح الدين ترميمها أو إعادة بنيانها سنة ٥٦٦هـ-١١٧٠م وهو أمر لا يمكن القطع به إلا في حالة الكشف الأثرى عن أجزاء من الأسوار بنيت باللبن[1].

وقد كشف تحليل المونة في بناء باب النصر أثناء الأعمال التي حدثت به عام ١٩٤١م والتي تم تحليلها بمعرفة ألفريد لوكاس أن هذه المونة تتكون من مونة جيرية عادية تشتمل على نسبة قليلة من الرمل ونسبة معينة من القصرمل (رماد

---

(١) فؤاد فرج، المرجع السابق، عبد الرحمن زكى، أسوار القاهرة من جوهر القائد إلى الناصر صلاح الدين، مجلة المجلة، السنة الخامسة، العدد ٥١، ١٩٦١م، ص ١٢٠، أحمد فكرى، مساجد القاهرة ومدارسها، دار المعارف، جـ١ ص ٢٤، فريد شافعي: قاهرة المعز كانت حصن الأمويين، مجلة منبر الإسلام، السنة ٢٢، العدد ٩ ، ١٩٩٥، ص ١٢٠.

الفرن) [1].

وصف وتخطيط السور الشمالي لبدر الجمالي:

تبقى من السور الشمالي لبدر الجمالي أكبر قطاع باق من هذه الأسوار ويضم الجزء المتبقي باب النصر وبرج السلم المجاور له من الجانب الشرقي، ثم قطاع السور الذي يصل بين هذا الباب وباب الفتوح، ويتضمن هذا القطاع برجين بالإضافة إلى سقاطة بارزة قبل البرج الأول التالي لباب النصر، هذا بالإضافة إلى بروز المئذنة الشمالية لجامع الحاكم، والذي يبدو في هيئة برج حيث إن التفاف السور حول هذا البروز وما زود به من مزاغل في الممر الداخلي به وفر له نفس المميزات الدفاعية للبرج، ثم يلي ذلك باب الفتوح الذي يليه على بعد ٢٤ متراً جهة الغرب، برج السلم الغربي المجاور لهذا الباب ثم قطاع من السور يليه برج في شكل ثلاثة أرباع الدائرة ثم قطاع من السور ثم يلي ذلك تجديدات صلاح الدين.

ويتضمن قطاع السور بعد البرج الثاني غربي برج باب النصر ممراً في باطنه يستمر باستمرار السور وباب الفتوح حتى برج السلم الغربي وشكل هذا الممر خطاً دفاعياً ثانياً بالإضافة إلى الخط الذي يمثله الممر الذي بأعلى السور والمزود بالشرافات التي تتبادل مع مواضع لرمى السهام.

ويجدر بنا قبل أن نعرض للملامح المعمارية التي تجسد التخطيط الحربي الذي تمثله عمارة هذا السور أن نقدم وصفاً للوحدات الأساسية التي يشتمل عليها السور.

أولاً: باب النصر:

ذكر المقريزى أن هذا الباب كان يتقدمه "باشورة"[2]، أدرك بعضها "إلى أن

---

(١) Creswell: Op, Cit., p. 169.

(٢) ذكر المقريزى في كتابه اتعاظ الحنفا ما يفسر مصطلح باشورة فذكر أن "عادة الأبواب الحصون أن يكون في أبوابها عطفة تمنع العساكر من الهجوم على الحصن عند الحصار (المقريزى: اتعاظ الحنفا جـ٢ ص ٣٢٧ "وفي تفسير آخر أن الباشورة بناء ذو منعطفات أمام كل باب وخلفه يقصد به تعويق هجوم العساكر على الباب وقت الحصار وتعويق =

احتفرت أخت الملك الظاهر برقوق الصهريج السبيل تجاه باب النصر فهدمته وأقامت السبيل مكانه"[1]، ويشير هذا النص إلى أن باب النصر كان يشتمل على "باشورة" والباشورة هي البناء الذي يبنى أمام الباب لتجعل المرور من فتحة الباب في هيئة منكسرة Bent Entrance ويمنع الدخول مباشرة من فتحة الباب، وبناء الباشورة على هذا النحو جزء من التخطيط الحربي للبوابات في أسوار المدن هدفه عرقلة العدو واضطراره إلى الانعطاف يساراً عند الدخول في الفتحة الجانبية لتكشف يمين المهاجمين الحاملة لأدوات الحرب التي يقاتلون بها دون الدروع التي تكون في يسراهم فتسهل إصابتهم، كما أن وجود هذا البناء أمام الباب يساعد على حماية مصراعي الباب من ضربات المناجيق إلى حد كبير، هذا بالإضافة إلى ما كان يعلق أمام هذه الأبواب من أنواع سميكة من المنسوجات تمتص أحجار المناجيق،ويبدو أن هذا الأسلوب لحماية باب النصر قد استخدم بدلالة وجود مواضع بارزة في جانبي البرجين من أعلى تساعد على تعليق هذه النوعية من المنسوجات السميكة.

ويلاحظ أن هذا الباب ورد له اسم مختلف عن "اسم باب النصر" الذي كان يقابله في أسوار جوهر إلى الجنوب بحوالي ١٥٠ متراً، حيث ورد في نص تأسيس هذا الباب ما يشير إلى أنه سمى "باب العز" ويلاحظ أن باب الفتوح في سور بدر سمى هو الآخر بباب الإقبال كما سمى باب البرقية، "بباب التوفيق" وبالرغم من ذكر هذه الأسماء في النصوص التأسيسية لهذه الأبواب إلا أن الأسماء القديمة للأبواب التي كانت تقابلها في أسوار جوهر هي التي ظلت تطلق عليها، ولم يحدث أي تعديل فيها

= دخول الخيل إلى المدينة في مجموعة كبيرة دفعة واحدة، وقريب من هذا المعنى ما ذكره دوزى من أن الباشورة هي الحائط الظاهري للحصن يختفي وراءه الجند للقتال" ويقول هذا أن الباشورة طريق منعطف بين بابي البلد يجعل لعرقلة السير والهجوم وقت الحصار ليصعب الهجوم على البلد" (راجع المقريزى: اتعاظ الحنفا، جـ٢ هامش ٣ ص ٣٢٧، محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر العربي، بيروت، دار الفكر سورية ص ٣٠.

(١) المقريزى: خطط جـ١ ص ٣٨١.

إلا ما حدث لباب زويلة الذي عرف في العصر العثماني "ببوابة المتولي".

وقد نقشت على باب النصر كتابات بالخط الكوفي ترجع إلى العصر الفاطمي في المنطقة التي أسفل الطنف الذي يعلوه مباشرة مستوى الحجرتين اللتين تعلوان برجي هذا الباب، ويبدأ الشريط من بداية جانب البرج الغربي،ويستمر على واجهة البوابة ثم البرج الشرقي، وقد نشر Kay في مجلة الجمعية الملكية الأسيوية هذه الكتابات عام ١٨٨٢ لكن قراءته للنص يشوبها بعد الهنات، والقراءة الصحيحة لهذا النص هي بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾. بعز الله العزيز الجبار يحاط الإسلام وتنشأ المعاقل والأسوار أنشأ هذا باب العز والسور المحيط بالمعزية القاهرة المحروسة حماها [ا]لله فتى مولانا وسيدنا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الأئمة الطاهرين وأبنائه الأكرمين السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبو النجم بدر المستنصرى عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته الذي حصن الله بحسن تدبيره الدولة والأنام وشمل صلاحه الخاص والعام ابتغاء ثواب الله ورضوانه وطلب فضله وإحسانه وصيانة كرسى الخلافة وإزدلافا إلى الله بحياطة ألطافه وبدئ بعمله في محرم سنة ثمانين وأربعمائة"[١].

وقد ابتدأ النص بآية الكرسي وهي من الآيات القرآنية التي يتبرك بها خاصة في مجال التحصين، كما أشارت بعض مصادر الشيعة إلا أنها من الآيات التـي يفـضل

---

(١) Van Berchem, R. C.E.A. Tome 7, p. 238.

كتابتها في القطاعات العلوية من البناء لإبعاد الشياطين[1]، كما يتضمن النص إشارة إلى الاسم الجديد الذي أطلقه بدر الجمالي على هذا الباب الذي يقابل باب النصر وهو "باب العز"، وفي النص إشارة إلى إطلاق اسم "المعزية القاهرة المحروسة" على مدينة القاهرة بهذه الصياغة في سنة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م، ووسمت فيه المعزية القاهرة بالمحروسة، كما تضمن النص مجموعة من الألقاب والوظائف التي شغلها بدر الجمالي التي تبين ما وصل إليه من مكانة عالية في عهد المستنصر وبسرعة فائقة كما يشير النص إلى سياسة بدر الحكيمة وحسن تدبيره لأمور الدولة وتحقيق مصلحة العامة والخاصة من الخلفاء وذريتهم والرغبة في المحافظة على كرسي الخلافة في إشارة ضمنية إلى ما كان يتهدد الدولة في هذه الفترة من أخطار، كما تضمن النص ما يفيد أن البدء في إنشاء السور والبوابات ومنها باب النصر الذي يحمل هذا النص كان في سنة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م وهو ما يعنى أن العمل بدأ في الأسوار من باب النصر واستمر بعد ذلك في السور وبقية بواباته.

وعلى الجانب الشرقي للبرج الغربي على يمين الداخل من الممر المكشوف المحصور بين البروز الخارجي للبرجين نقش أحد المراسيم المملوكية، وقد نقش نص المرسوم بالخط الثلث المملوكي بما نصه "بحسب ما رسم نائب السلطنة المعظمة المعز العالي سودون من عراقة الجمال بأن يؤخذ على كل حمل خمسة ومعلون من يأخذ أكثر من ذلك، أو يحدث مظلمة في أيام الدولة العلية"[2].

وقد جرت العادة بنقش مثل هذه المراسيم على أبواب المدن أو أبواب المساجد الجامعة أو المنشآت العامة الأخرى كالبيمارستانات وغيرها، خصوصًا أن هذه المواضع يمر من عليها العامة بكثافة عالية، ولذلك استخدمت كمواضع للإعلام

---

(١) الطبرسى (رضى الدين أبى نصر بن أمين الدين على فضل الله) مكارم الأخلاق، المطبعة الخيرية، القاهرة ١٣٠٥هـ، ص٤٩.

(٢) محمد عبد الستار عثمان، المراسيم الحجرية من وسائل الإعلام في العصر المملوكي، مجلة كلية الآداب بسوهاج، جامعة أسيوط، ١٩٨٣، ص١٧٣.

والإعلان[١]، وفي إطار ذلك نقش هذا المرسوم المملوكي الصادر عن نائب السلطنة ومنصبه كان يلي منصب السلطان مباشرة، لكن قوة هذا المنصب ضـعفت بمـرور الوقت حتى أنه لم تعد مهابة ولم تتعد شراء الطعام والوقود للقصر، ثم ألغـى هـذا المنصب أثناء حكم السلطان برقـوق ٧٨٤-٨٠٢هـ (١٣٨٢-١٣٩٩م) وكـان سودون المذكور في هذا المرسوم هو آخر من تولى هذا المنصب وعليه فإنه يمكـن تحديد تاريخ هذا النص بـالفترة المحـصورة بـين ٧٨٤-٧٩٣هـ[٢] (١٣٨٢-١٣٩١م).

ولهذا النص دلالته المهمة خاصة في العصر المملوكي التي تعنى استخدام هذه البوابة في دخول القوافل التجارية، والمحملة بالسلع والبضائع بين البلاد الأخـرى، وغالباً ما ارتبط ذلك بكثافة المنشآت التجارية المملوكية ثم العثمانية فـي المنطقـة التي يؤدى إليها باب النصر، كما أنه يرتبط بلا شك أيضاً بتخصيص بـاب الفتـوح لنوعية أخرى من حركة المرور تناسب اصطفاف منشآت الخلفاء والسلاطين علـى جانبي شارع المعز الذي يؤدى إليه باب الفتوح باعتبـاره الـشارع الرئيـسي،ومن أهمها مواكب السلاطين والحكام أثناء خروجهم إلى بلاد الشام أو عودتهم منها[٣].

وباب النصر عبارة عن كتلة ضخمة من البناء يبلغ عرض واجهتها ٢٥ متـراً، وارتفاعها ٢٥ متراً عن مستوى العتب السفلي للباب، ويبلغ عمق ممر المرور مـن القطاع الخارجي إلى القطاع الداخلي فيها ٢٠ متراً، وتبرز هذه الكتلة البنائية لبـاب النصر عن سمت السور الشمالي ٤,٧٠ متراً ومن الداخل ٩,٩٣ متـراً، والقطـاع البارز عن سمت السور عبارة عن برجين بزوايا قائمة، وهما بهذا الشكل يختلفـان عن شكل برجي باب الفتوح وبرجي باب زويلة، حيث بنيـت تلـك الأبـراج بهيئـة

(١) محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص ١٦٩، ١٧٢.

(٢) عبد الرحمن فهمي، المرجع السابق، ص ١٣.

(٣) للاستزادة، راجع محمد حسام الدين إسماعيل، بعض الملاحظات على العلاقة بين مـرور المواكب ووضع المباني الأثرية في شوارع مدينة القاهرة، مجلة المعهد الفرنسي للآثـار الشرقية "حوليات إسلامية" المجلد ٢٥/ ١٩٩٠، ص ص ١-١٠.

مقوسة، ولاشك أن الأبراج المتوسطة في هيئة نصف مستديرة أو ثلاثة أرباع الدائرة تتميز في إطار التخطيط الحربي عن الأبراج ذات الزوايا القائمة حيث إن الأبراج المقوسة يكشف المدافعون من خلال فتحات المراقبة أو الرمي بها أكبر مساحة ممكنة وهو مالا تتيحه الأبراج ذات الزوايا القائمة حيث إن هذه الزوايا تحجب رؤية كل جانب عن المنطقة المواجهة للجانب الآخر المجاور له، هذا بالإضافة إلى أن الشكل الجمالي للأبراج المقوسة يفوق الأبراج المربعة المسقط، كما أن متانة البناء المقوس أو المستدير تفوق أيضاً متانة البناء المقوس.

وفي إطار ما سبق تتضح مزايا الأبراج المقوسة وهي مزايا حرص معمار أبواب القاهرة على أن يكون بابا الفتوح وزويلة من نمطها وربما ارتبط ذلك بموضع هذين البابين اللذين يؤديان إلى الشارع الرئيسي الذي تطل عليه القصور الفاطمية.

ويحصر القطاع البارز من برجي باب النصر بينهما ممراً مكشوفاً،ويلاحظ أن جانبي البرجين في هذا القطاع يمتدان باستقامة واحدة، وهو ما يعنى أن عرض هذا الممر المكشوف ثابت من بدايته إلى نهايته عند فتحة الباب بين البرجين حيث يبلغ ٧,٦٩ متر، وإذا قارنا بين هيئة هذا الممر المكشوف وبين بروز برجي باب النصر وبين نفس الممر في كل من برجي الفتوح وزويلة، لوجدنا اختلافاً حيث يلاحظ أن الممر في بابي الفتوح وزويلة يضيق كلما اقتربنا من فتحة الباب ثم يعود إلى الاتساع بعد فتحة الباب،وهذا الضيق والاتساع جزء من التخطيط الحربي للبوابات في العصور الوسطى يضيق المساحة التي تتقدم الباب مباشرة ويوفر فرصة للمدافعين لضرب العدو في هذه المنطقة التي تشبه عنق الزجاجة، وإذا كان باب النصر في القطاع الخارجي قد فقد هذه الميزة فإن المعمار لم يفته أن يعوض ذلك أمام فتحة الباب مباشرة حيث برز بناء البرجين في الجانبين بروزاً خفيفاً بلغ ٩٨ سم في الجانب الغربي ومتراً واحداً في الجانب الشرقي ثم ضاقت فتحة الباب نفسها بعد ذلك بوجود بروز ثان طفيف بلغ حوالي نصف المتر في كل جانب ثم اتسع الممر بعد فتحة الباب بنفس القيمة،وامتد بناء البرجين باستقامة المسافة ٢,٩٤ سم ثم ارتد ليتسع الممر وبلغ الارتداد في الجانب الغربي ١,٢٢ وفي الجانب الشرقي

١,٠٣ ثم امتد بناء جانبي البرجين إلى آخر عمق البوابة باستقامة واحـدة بلغـت حوالي ١٠,٤٧ في الجانب الغربي، ١٠,٧٧ في الجانب الشرقي، ولاشك أن التوجه في التخطيط لتضييق الممر ثم لتوسيعه بالتدريج بعد فتحة الباب من شأنه أن يعرقل العدو خاصة في حالة نجاحه في تحطيم الباب والدخول من الباب الخارجي.

ويرتفع كل برج من البرجين البارزين عن سمت السور في بناء مسمط إلـى مستوى ثلثي الارتفاع الكلى للواجهة وبنفس مستوى ارتفاع السور، ويلاحـظ أنـه على ارتفاع ستة مداميك من الأرضية الحالية تبدو أطراف الأعمدة الرخاميـة التـي استخدمت في تدعيم بناء برجي البوابة والسُور في هيئة أقراص مسُتديرة،وقد سبقت الإشارة إلى أهمية هذه الروابط في التغلب على محاولات العدو لنقب الأسوار، كمـا سبقت الإشارة إلى أن هذا الأسلوب الإنشائي الحربي عرفته مدينة المهدية، ثم يعلو هذا البناء المسمط في كل برج حجرة يغطيها قبة ضحلة، محمولة على مثلثات كروية في الأركان الأربعة، وكل حجرة مزودة بمزاغل لرمى السهام في الواجهة الأماميـة، وفي كل من الجانب الخارجي والجانب المطل على الممر المكشوف الذي يتقدم فتحة الباب، وتمكن هذه الفتحات من الدفاع عن البوابة، وعن برجيها وكذلك عن قطـاع السور شرقي وغربي البوابة إلى المسافة التي تطولها سهام الرماة .

وينتهي الممر المكشوف بين بروز البرجين إلى فتحة الباب الذي يبلغ اتساعها ٤,٧٦متر وارتفاعها ٦,٤٧ متراً ويتقدم أعلى هذه الفتحة عقد نصف مستدير يرتكز على الكتفين البارزين للفتحة، ويوجد بكل من كوشتيه صرة زخرفية بارزة ويحيط به زخرفة قالبية من الجوانب الغربية والشرقية،ومن أعلى ثم يعلو ذلك مباشرة شـريط الكتابة الكوفية- الذي سبقت الإشارة إليه- ويعلو الطنف الزخرفي البارز الذي يفصل بين القطاع المسمط بين البرجين وبين الثلث العلوي الذي يـشتمل علـى حجرتـي البرجين. أما فتحة الباب نفسها فيعلوهـا مباشـرة عقـد مـسطح مـن صـنجات معشقة،ويعلو هذا العقد عقد عاتق من صنجات معشقة أيضاً، ويعلو ذلك مستطيل به كتابات كوفية، ثم يرتفع البناء إلى مستوى أرضية السقف الذي يعلو القطاع الداخلي من البوابة،وبين العقد الذي يتقدم أعلى فتحة الباب والبناء الذي يعلو العقد المستقيم

ثم العقد العائق يوجد فاصل به من أعلى فتحات "سقاطات" تمكن المدافعين في المستوى العلوي من المساحة المحصورة بين حجرتي البرجين من كشف من يلتصق بالبوابة فيمكن رميهم بالسهام والحراب وإسقاط السوائل الملتهبة فوق رءوسهم وغير ذلك من وسائل القتال وتعويق المهاجمين، ثم يعلو ذلك بناء يصل بين الحجرتين اللتين في أعلى البرجين .

ويتوصل من فتحة الباب إلى المنطقة التي يتحرك فيها مصراعا الباب ويبلغ طولها تقريباً نصف فتحة الباب حتى يمكن في حالة فتح الباب أن يكون الحائط على كل جانب بنفس طول مصراع الباب الذي يستند على الجانب بسهولة ويسر ولا يؤثر في البناء بالسوء كل مصراع من مصراعي الباب ثقيلي الوزن، لتصفحهما بالحديد، وهنا تجب الإشارة إلى أن المقريزى قد ذكر أن فكرة عمل "سكرجة" من الزجاج أسفل صاري كل مصراع لتسهيل تحريكه قد اتبعت في أبواب القاهرة وقد أشرنا إلى أن ذات الفكرة سبقت إليها مدينة المهدية.

ويعلو هذه المنطقة سقف مقبي بقبو قطاعه نصف مستدير، وبعد عبور هذه المنطقة تصل إلى الرحبة الداخلية لباب النصر، وهي مستطيلة الشكل، حيث يبلغ عرضها ٨,١٧ متراً من الشرق إلى الغرب وطولها من الشمال إلى الجنوب ١٠,٤٧ في الجانب الغربي و ١٠,٧٧ في الجانب الشرقي،ويغطى هذه الرحبة قبو متقاطع.

ويلاحظ أن الجانب الشرقي من هذه الرحبة قد فتح به باب في عهد الحملة الفرنسية التي سيطرت على مصر ونفذت بأبواب القاهرة بعض التعديلات المعمارية التي تناسب أسلحتها خاصة المدافع،وهذا الباب مثال لهذه التعديلات، ويعلو هذا الباب سقاطة بارزة في هيئة شرفة من الحجر بأرضيتها فتحات للضرب.

برج السلم الشرقي:

ويلتصق ببناء الجانب الشرقي لبوابة النصر من الداخل برج السلم الشرقي،وهو برج كبير بداخله سلم حلزوني دائري من الحجر يعلوه قبو قطاعه نصف مستدير، ويعتبر هذا البرج عملاً معمارياً رائعاً من وجهة النظر المعمارية الإنشائية، ومن

وجهة نظر الباحثين في مجال الهندسة الوصفية بالذات، حيث إن تنفيذه تطلب إعداد أحجار قبوه بأشكالها المختلفة وتحديد موضع كل قطعة منه تحديداً دقيقاً قبل إتمام بنائه. ويلاحظ أن ارتفاع هذا القبو عن السلم الصاعد ارتفاعاً ثابتاً بما يكشف عن حسابه حساباً هندسياً دقيقاً ييسر استخدامه بواسطة المدافعين، كما يلاحظ براعة دوران القبو وارتكازه على العمود المركزي الذي يدور حوله السلم، وقد بنيت درجات السلم والعمود والقبو بقطع من الأحجار الدقيقة النحت سواء كانت متعامدة الأوجه أو مائلة أو مستقيمة أو مقوسة، وهو ما يكشف عن قدرة فائقة في نحت الأحجار وتجميعها،وبنائها في إطار التصميم الهندسي الوصفي الذي أعده المهندس الذي أعد تصميم هذا البرج، وفي هذا ما يعكس أمرين مهمين، أولهما أن أسوار القاهرة لم يكن كل بنائها من الأحجار الذي جلبت من المباني القديمة في الجيزة أو غيرها، ولكن هناك بعض المواضع التي نحتت أحجارها خصيصاً لاستخدامها في بناء الوحدات والعناصر التي تتطلب تجهيز الحجر بمواصفات وقياسات معينة، والأمر الثاني هو أن هذا السلم يكشف عن مستوى المعمار الفاطمي وما توصل إليه من علم في مجال الهندسة الوصفية.

واشتمل هذا البرج أيضاً على دخلات في هيئة ممرات تنتهي بفتحات مزغلية للدفاع عن البرج نفسه، كما أن هذه الفتحات وظفت أيضاً لتزويد السلم بما يحتاجه من إضاءة طبيعية تسهل استخدامه أثناء الصعود والهبوط.

ويدخل إلى برج السلم من باب في الجهة الجنوبية المطلة على داخل المدينة ويتوصل إليه من قلبة سلم تتكون من عشر درجات يبلغ اتساعها ٢,٧٧ متراً يتوصل منها إلى فتحة الباب التي يبلغ اتساعها ١,٥٥ متراً وارتفاعها ٢,٤٦ متراً يؤدى إلى سلم حلزوني رائع لا يقل اتساعه عن ١,٦٥ متراً يعلوه قبو برميلي قطاع نصف مستدير يتكون من تسع صنجات تبدأ من مأخذ القبو،ويبلغ ارتفاع القبو ٣ متراً، بعد صعود قلبة تتكون من سبع درجات نصل إلى "بسطة" على ارتفاع ١,٣ متر من عتب الباب المؤدى للبرج،وبصعود ٢٤ درجة أخرى وعند الدرجة رقم ١٤ وأيضاً الدرجة رقم ١٩ نلحظ وجود نافذة يعلوها عتب منحوت، وتؤدى البسطة إلى بابين يؤدى كل

منهما إلى ممر على هيئة حرف "L" يبلغ اتساعه ١,٤٥ متـراً وارتفاعـه ٢,٤٤ متر، يعلو كل منهما سقف من ألواح حجرية مسطحة يرتكـز علـى طنـف بـارز والممران يشغلان الركن الشمالي والشرقي للبرج،ويبلغ طول كل منهما على التوالي ٨,٥١، ٥,٠٦ متراً ويشتمل كل منهما على مزاغل لرمى السهام،والبرج يبلغ سمك جدرانه الخارجية ١,٤٤ متراً، وفي الجانب الجنوبي الغربي من الذراع الشرقي لـه فتحة أخرى على الداخل.

ثم بعد صعود خمس درجات أخرى يكمل صعود السلم الحلزوني حيـث ينتهـي بعقد نصف مستدير من خمس صنجات، تنتهي إلى بسطة حيث توجد نافذة، تطل على الجهة الجنوبية يعلوها عتب منحوت وعليه نقوش هيروغليفية وبصعود قلبة أخرى من خمس درجات نصل إلى قمة السلم الحلزوني ثم نصعد عشر درجات لنصل إلـى المنطقة المكشوفة للسماء حيث سطح البرج[١].

وهذا البرج ذو السلم الحلزوني عنصر أساسي مكمل لبوابة النصر حيـث إنـه يمثل أقرب عنصر اتصال وحركة من مستوى الأرض في القطاع الداخلي المجـاور للبوابة من داخل المدينة، والقطاع العلوي من البوابة حيث يؤدى السلم إلى مستوى منصة تعلو رحبة بوابة النصر ومنها إلى الحجرة التي تعلو كل بـرج مـن برجـي الباب، ومن السلم الذي يوجد بجوار كل حجرة يصعد إلى أعلى كل منهما حيث يوجد السطح الذي يمثل مستوى ثالثاً أعلى لضرب العدو المهاجم للبوابة،ويلاحظ أن دروة سطح كل من الحجرتين قد حدثت فيه تعديلات خاصة في فتحات الرمي حيث وسعت الفتحات لتناسب فوهات المدافع، ويوجد سلم آخر ملاصق للسور في الجهة الغربيـة من البرج الغربي لباب النصر من الداخل، وهذا السور من قلبتين على محور واحد، ويتوصل منه إلى المنصة التي تعلو سقف رحبة المدخل في باب النصر.

ويوجد بأرضية المنصة التي تتقدم الحجرتين اللتين تعلوان البرجين حفر غائر، ربما كانت لتثبيت قوائم المنجنيق، الذي كان يوضع على مثل هذه المنـصة لرمـى

---

(١) Creswell: Op. Cit., pp. 171-172.

الأحجار على من يحاول الهجوم على البوابة، ومما يرتبط بأدوات الحرب في العصور الوسطى ما نراه معلقاً على باب النصر من كرة مثبتة على طرف قضيب حديدي طوله نحو متر، وذلك في أعلى عقد المدخل من الجهة الغربية، وتشير المصادر المتخصصة في الحيل في الحروب في العصور الوسطى إلى أن مثل هذه الأدوات كانت تستخدم في مقاومة العدو الذي يحاول تسلق الأسوار بالسلاليم[١]، كما يوجد في أعلى واجهة البوابة وفي مستوى أسفل الحجرتين اللتين فوق كل برج أشكال زخرفية في هيئة الصرر والدروع منحوتة في الحجر نحتاً بارزاً وتغطى سطحها زخارف هندسية،وبعض هذه الصرر يأخذ شكلاً مستديراً وبعضها ممطوط في هيئة مدببة في طرفه السفلي، وقد تكررت مثل هذه الصرر ولكن بمستوى أكثر تطورًا في العمائر الدينية الفاطمية، ولعل ما نراه في الجامع الأقمر أروع مثال على ذلك.

باب الفتوح:

يشير المقريزى إلى أن باب الفتوح الذي بناه بدر الجمالي شمال باب الفتوح في أسوار جوهر بحوالي ١٥٠ متراً كانت له "باشورة" بنفس الشكل الذي كان عليه تخطيط باب النصر وقد ذكر أن هذه الباشورة كانت قائمة في عهده لكن "ركبها الناس بالبنيان لما عمر ما خرج عن باب الفتوح"[٢]، وقد تهدمت هذه الباشورة ولم يعد لها أثر وربما كان ذلك بسبب ازدياد العمران ظاهر هذا الباب خاصة في العصر المملوكي الذي لم تعد فيه الحاجة ضرورية لبقاء هذه الباشورة على ما كانت عليه وقت إنشائها فركب الناس بالبناء عليها ومع مرور الزمن انتفت وظيفتها ثم درست.

ويوجد نص تأسيس لهذا الباب ضمن شريط كتابي نفذ على السور الشمالي في المسافة المحصورة من البرج الشرقي لباب الفتوح وبروز المئذنة الشمالية لجامع

---

(١) للاستزادة، راجع محمد بن منكلى الناصري (٧٧٨هـ/١٣٧٦م) الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب، دراسة وتحقيق نبيل عبد العزيز، القاهرة، دار الكتب المصرية ٢٠٠٠، ص٣٩٩.

(٢) المقريزى: خطط جـ١ ص ٣٨١.

الحاكم بأمر الله، وقد ورد في هذا النص ما يشير إلى تسمية هذا الباب بباب الإقبال. وهذا الاسم واسم "باب العز" ثم اسم "باب التوفيق" هي الأسماء التي أطلقها بدر على الأبواب التي أنشأها في أسواره مقابلة لأبواب الفتوح والنصر والبرقية في أسوار جوهر ويلاحظ أن صياغة هذه الأسماء تأتى جميعها في إطار الاستبشار المرتبط بالعزة في أسماء بوابتي السور الشمالي وحسن تمام العمل بتوفيق الله "وما توفيقي إلا بالله" في باب المقابل لباب البرقية في السور الشرقي وهذا الباب الذي كان في المراحل النهائية في إتمام بناء الأسوار، وتبدو صياغة الأسماء على هذا النحو كأنها تسجل مناخاً دعائياً قصده كاتبو نصوص التأسيس لأبواب أسوار بدر الجمالي.

ونص التأسيس لباب الفتوح نصه "بسم الله الرحمن الرحيم..... لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله على ولى الله صلى الله عليهما، وعلى الأئمة من ذريتهما أجمعين [آية الكرسي كاملة] بعز الله العزيز الجبار يحاط الإسلام وتنشأ المعاقل والأسوار أمر بإنشاء هذا الباب الإقبال بالسور المحيط بالمعزية القاهرة المحروسة حماها الله فتى مولانا وسيدنا محمد أبو تميم المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام بعمله في محرم سنة ثمانين وأربعمائة الحنيفية وصلى الله على سيدنا محمد النبي وعلى آله الأئمة الطاهرين وسلم تسليماً إلى يوم الدين وحسبي الله ونعم الوكيل".

ويتضمن هذا النص للمرة الثانية -بعد الإشارة التي وردت بنفس الصيغة في باب النصر - إشارة إلى أن إنشاء أسوار بدر يأتى في إطار الرغبة في حماية الإسلام وهي إشارة ضمنية إلى أن الخطر الذي كان يتهدد مصر في ذلك الوقت كان خطراً من جانب عدو غير مسلم، كما يلاحظ أن صياغة هذا النص تبتدئ بالبسملة، فشهادة التوحيد، فالرسالة المحمدية بالصيغة الشيعية ثم يعقب ذلك إشارة إلى المذهب الشيعي الذي يقوم بالولاية لعلى ويدعو إلى الصلاة عليه ثم إشارة واضحة إلى نسب الخليفة إلى آل البيت وهو أمر طالما أكدته النصوص الكتابية على الآثار الفاطمية ومنها أسوار بدر، ثم ورد في نهاية النص أيضاً وللمرة الثانية -كما ورد

في نص تأسيس باب النصر -إشارة واضحة إلى أن البدء في بناء الأسوار كان في المحرم سنة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م وهو ما يعنى أن السور الشمالي للقاهرة الذي بناه بدر الجمالي كان هو القطاع الأول من أسواره التي أحاط بها القاهرة بعد إضافة حوالي ثلاثين فداناً.

وباب الفتوح عبارة عن كتلة معمارية ضخمة يبلغ طول واجهتها ٢٢,٨٥ متراً وارتفاعها ٢٢,٣٣ متراً من مستوى العتبة الأصلية السفلى لفتحة الباب وعمقها ٢٥,٢٢ متراً، وتتكون من برجين مقوسين على قاعدة مستطيلة ويبرز بناء البرجين عن سمت السور من الخارج ٨,٣١ متراً، وقد بنى البرجان بمداميك حجرية يبلغ متوسط ارتفاعها ٥٢ سم ويبلغ طول قطعة الحجر المبنية بطولها في المدماك ٨٠سم و١,٣ متراً وقطعة الحجر المبنية بعمق السور ويظهر منها الجانب الضيق من ٢٣ – ٧٠ سم، وتكشف هذه المقاسات المختلفة لقطع الأحجار عن أنها هيئت بطريقة النحت في إطار ضبط ارتفاعها بغض النظر عن طولها أو عرضها وهو أمر يرتبط بمصدر هذه الأحجار سواء أكان من مبان قديمة أم من المحاجر،ويظهر على ارتفاع ستة مداميك من مستوى الأرض أقراص مستديرة تمثل أطراف الأعمدة التي استخدمت كروابط، ويتراوح قطرها ما بين ٠,٩٠ – ١,٤٥ متراً يكشف اختلاف أقطار هذه الأعمدة عن تنوع مصدرها، وقد استخدمت هذه الأعمدة لربط وجهي بناء السور المبنيين بالحجر المنحوت والحشو بين هذين الوجهين الذي يبنى عادة بحجر غير مروم (دقشوم) Rubble Stone، ويرتفع بناء البرجين في هيئة بناء مسمط حتى مستوى الارتفاع الكلي للبرجين وبنفس ارتفاع السور، كما هو الحال في برجي باب النصر ثم يعلو كل برج في هذا المستوى حجرة مزودة بمزاغل لرمى السهام ويعلو كل حجرة سقف عبارة عن قبو متقاطع ويلاحظ أن واجهة كل من البرجين تأخذ هيئة دخلة ضحلة مقوسة من أعلى في هيئة العقد نصف المستدير ويصعد إلى سطح كل حجرة من سلم في الطرف الجنوبي للحجرة التي تعلو البرج الشرقي، ويحيط بسقف كل حجرة من أعلى دروة مزودة بمرامي للسهام وتم توسيع بعضها أثناء سيطرة الحملة الفترة على القاهرة لتناسب فوهات المدافع.

ويحصر البرجان بينهما من الخارج ممراً مكشوفاً يبلغ اتساعه من ٧,٦٧ متراً وهو أقصى اتساع للممر في المنطقة بين الجانبين المقوسين من الداخل لكل من البرجين ثم يلاحظ أن هذا الممر يأخذ في الضيق بوجود بروز بنائي في كل من جانبي البرجين يبلغ عرضه ٨٧سم ثم يرتد هذا البروز إلى الداخل ارتداداً خفيفاً ثم يزداد الاتساع أكثر بوجود دخلتين في جانبي البرجين،وهاتان الدخلتان ترتفعان إلى مستوى ثلثي البرجين ويتوج كل منهما عقد نصف مستدير ذو صنجات تشبه المخدات وهو نمط من العقود يظهر لأول مرة في العمارة الإسلامية في مصر وتكررت بعد ذلك في بعض العمائر المملوكية كجامع الظاهر بيبرس وضريح سلار وسنجر الجاولى وخانقاه بيبرس الجاشنكير، ثم يأخذ الممر في الضيق مرة أخرى بهيئة البناء البارز بهيئة مائلة حتى يصل اتساع الممر ٦,٤٦ متراً، ثم يمتد بناء جانبي البرجين باستقامة حتى فتحة الباب التي يكتنفها عضادتان، ويبلغ اتساع فتحة الباب ٤,٨٥ متراً ويبلغ ارتفاعها ٦,٤٩ متراً، ويلاحظ أن ارتفاع فتحة باب الفتوح بنفس قياس ارتفاع فتحة باب النصر، وهو ارتفاع حكمته- كما سبقت الإشارة- مقاييس إسلامية تحافظ على حق الطريق باعتبار أن البوابة بناء يعلو الطريق وهو ارتفاع فارس رافعاً رمحه، أو فرد عادى راكباً جمله، والارتفاع الذي تحقق في أبواب القاهرة بأسوار بدر يسمح بهذه النوعية من المرور من فتحة الباب،وهكذا تحقق التزام المعمار الفاطمي بحق الطريق وهو التزام تحقق قبل ذلك في باب المهدية وفي أبواب بغداد.

ولفتحة الباب مصراعان من الخشب المصفح بالحديد المثبت بمسامير البرشام، ويعلو فتحة الباب عقد مسطح من صنجات معشقة يلاحظ شدة ارتفاعها يعلوه عقد عاتق من صنجات معشقة أيضاً وقد سد النفيس بين العقد المسطح والعقد العاتق، ثم يرتفع البناء إلى مستوى أرضية الليوان بين حجرتي البرجين، ويتقدم أعلى واجهة البناء الذي يعلو فتحة البناء عقد نصف دائري ذو حافة عريضة مشطوفة تزخرفها معينات غائرة، تملؤها زخارف بنائية وهندسية تعكس تأثيراً في مجال الزخرفة جاء مع الفاطميين من تونس، ويوجد فاصل بين هذا العقد والبناء الذي يعلو فتحة الباب،

ويصل هذا الفاصل إلى مستوى أرضية السطح أعلى المدخل، وبهذه الأرضية فتحات (سقاطات) تمكن المدافعين من رؤية من يستطيع أن يصل إلى الباب فيتم رميهم بالسهام والحراب والمواد الحارقة،وقد وجدت مثل هذه الفتحات و "السقاطات" في باب النصر كما سنلاحظ وجودها في كل من بابي زويلة والبرقية باعتبارها عنصراً مهماً من عناصر التحصين الحربي للدفاع عن أبواب المدن ضد من يحاول الوصول إليها لحرقها أو لثقبها أو تدميرها بأي وسيلة من الوسائل المتبعة في مهاجمة أبواب المدن في العصور الوسطى(١).

ويلاحظ أن باب الفتوح ينفرد بوجود ممر داخلي، هو استمرار للمر الداخلي في السور شرقي هذا الباب ويخترق هذا الممر باب الفتوح فوق قبو الممر خلف المدخل، ويستمر إلى أن يصل إلى برج السلم غرب باب الفتوح، ويوجد بين برجي باب الفتوح بناء عبارة عن ليوان بين البرجين من أعلى، ويبرز بناء هذا الليوان عن واجهة المدخل أسفله ويحمل هذا البروز ستة كوابيل تأخذ شكلاً زخرفياً معمارياً جميلاً، كما يوجد بينها اثنان على هيئة رأس كبش ذي قرنين في تشكيل معماري زخرفي مبتكر.

وتؤدى فتحة الباب إلى رحبة يعلوها قبو نصف مستدير، يبلغ اتساعها ٦,٠٨ متراً يستند على جانبيها الشرقي والغربي مصراعا الباب عند فتحتهما وهو نفس التصميم الذي سبقت الإشارة إليه عند وصف باب النصر، ويتوصل من هذه المنطقة إلى الرحبة الداخلية لباب الفتوح،ويلاحظ ارتداد الجدار في الجانبين مرتين ليزداد اتساع الرحبة التي تأخذ شكلاً مربعاً طول ضلعه ٧,٥٤ متراً، ويعلو هذه الرحبة قبة ضحلة محمولة على مثلثات كروية تعتبر من أضخم القباب الضحلة التي أنشئت بالحجر في مصر، ويكتنف هذه الرحبة من الجانبين الشرقي والغربي دخلة عميقة نسبياً يبلغ ارتفاعها ٤,٥ متر تقريباً وعمقها ٢,٧٥ متر تقريباً،ويعلو كلا منهما قبو ذو ثلاثة جوانب يظهر أيضاً لأول مرة في العمارة الإسلامية بمصر ويعتبر المثال

---

(١) للاستزادة، راجع: ابن منكلى، المصدر السابق، ص ٣٩٢ وما بعدها.

الأول لهذه النوعية والذي تكرر بعد ذلك بكثرة في العصر المملوكي،خاصة في الدخلات التي بصدرها نوافذ في الأواوين أو الأروقة بالمنشآت الدينية المملوكية، ثم يبرز بناء البرجين في طرفيهما الداخليين بروزاً يضيق مرة أخرى فتحة الرحبة المطلة على المدينة حتى يصل اتساعها إلى ٧,٥٧ متراً ويعلو هذه الفتحة عقد نصف مستدير.

وبمراجعة قياسات اتساع الممر الخارجي المكشوف بين البرجين والتدرج من الاتساع إلى الضيق إلى الاتساع إلى الضيق إلى الاتساع إلى الضيق ثلاث مرات يتضح مدى رغبة المعمار في تحقيق ذلك لزيادة عرقلة المهاجمين لهذا الباب وهي سمة في التخطيط الحربي تبرز في هذه البوابة أكثر مما كان عليه الحال في باب النصر.

كما يلاحظ وجود الدخلات الجانبية سواء في القطاع الخارجي للبرجين أو في جانبي الرحبة الداخلية وهذه الدخلات تستخدم بواسطة الجند والحراس بالإضافة إلى ما تعطيه من قيمة جمالية في شكلها المادي وفي تشكيل حيز الفراغ للبوابة.

كذلك يلاحظ الاهتمام بالشكل الجمالي في تشكيل عناصر هذه البوابة، ونلحظ ذلك في الشكل المقوس للبرجين والحنيتين بواجهة كل من البرجين المتوجتين بهيئة العقد نصف المستدير، كما يلاحظ التشكيل الجمالي في عقدي الدخلتين على جانبي الممر المكشوف المؤدى إلى الباب، والذي يعلو كلا منهما عقد من صنج تشبه المخدات، وكذلك في تشكيل العقد نصف مستدير المشطوف ذي الحافة العريضة ذات المعينات التي تكسوها الزخارف النباتية والهندسية الجميلة التي نقشت في الحجر نقشاً غائراً، ولاشك أن التشكيل المشطوف المائل لهذا العقد يعتبر في حد ذاته إبداعاً جمالياً يكشف عن براعة في تشكيل البناء بالحجر، وهو التشكيل الذي يظهر مرة أخرى في الكوابيل التي تحمل بروز الليوان بين البرجين، وأن مجموع التشكيل البناء فوق فتحة الباب وتدرجه بالبروز كلما ارتفع البناء زاد من القيمة الجمالية لواجهة هذه البوابة التي أدهشت كل من رآها حتى أنها قلدت كما أشرنا في إحدى واجهات إحدى الكنائس في فرنسا.

برج السلم الغربي بجوار باب الفتوح:

في نفس إطار الرؤية التخطيطية لباب النصر ووجود برج سلم ملاصقاً له كان إنشاء برج سلم آخر على بعد ٢٤ متر غربي باب الفتوح لكن هذا البرج يختلف في تخطيطه ووظيفته أيضاً، حيث إنه يشتمل على قاعة كبيرة مزودة بدخلات لرمي السهام،وتصلح كثكنة للجند، وهو مستطيل المسقط يبلغ طوله من الشرق إلى الغرب ٢٦,٢٥ متراً وعرضه من الشمال إلى الجنوب ٢٢,١٧ متراً وارتفاعه بنفس ارتفاع بناء السور،ويبرز عن سمت السور من الخارج من الجهة الشرقية ٨,٨٨ متراً، ومن الجهة الغربية ٨,٣٦ متراً، ويبرز من الداخل عن السور من الجهة الشرقية ٨,٥ متراً ومن الجهة الغربية ٩,٨٩متراً، ويوجد بالجانب الجنوبي الشرقي من البرج سلم رائع، والمدخل المؤدى إلى هذا البرج من الداخل يبلغ اتساعه ١,٨٧ متراً وارتفاعه ٢,٩٠ متراً، ويعلو فتحة الباب عتب من الحجر الجرانيتي عليه نقوش هيروغليفية بما يؤكد استخدام أحجار من مبان فرعونية قديمة في إنشاء أسوار بدر، ويكشف استخدام الجرانيت في عتب الباب عن براعة المعمار الفاطمي في توظيف كل نوعية من نوعيات الحجر في الموضع المناسب حيث يعتبر الجرانيت من أصلب الأحجار التي تناسب استخدامها في عتب الباب.

والسلم يبلغ عرضه ٢,٣٥ متراً وارتفاعه ٣,٦٢ متراً وتدور قلباته حول دعامة مركزية مستطيلة يبلغ طولها ٣,٩٠ متراً من الشرق إلى الغرب وعرضها ١,١٨ متراً من الشمال إلى الجنوب، والقلبة الأولى من السلم تتكون من ١١ درجة تنتهي عند البسطة الأولى، والتي تعلو المدخل بحوالي ٢,٣٢ متراً، ويفتح على هذه البسطة فتحتا بابين أحدهما على يمين الصاعد والأخرى في مواجهته،ويعلو كلا منهما عقد مسطح من خمس صنجات، وتؤدى كل منها إلى حجرتين مقبيتين، وبعد صعود أربع درجات أخرى نصل إلى بسطة ثانية حيث يوجد دخلة عمقها ١,٤ متراً بها نافذة تطل على الجهة الجنوبية لإضاءة السلم ولاستخدامها في الاتصال بين الجنود ومن بداخل المدينة، ثم نصعد قلبة أخرى من ١١ درجة حيث نجد نافذة تطل على الجهة الشرقية يعلوها عتب ثم نصعد أربع درجات أخرى تؤدى إلى دخلة عمقها

٣٩ سم واتساعها ١,٣٦ متراً، ثم نصعد أربع درجات أخرى تؤدى إلى بسطة أخرى حيث يوجد نافذة أخرى مشابهة تطل جهة الشرق.

وبصعود ١١ درجة أخرى نصل إلى البسطة الخامسة التي تشغل كامل اتساع الجانب الغربي، ويوجد نافذة صغيرة في نهايتها الجنوبية، ومن خلالها نستطيع أن نعرف سمك الجدار حيث يبلغ ٢,١٩ متراً، ثم نصعد عشر درجات أخرى تنتهي إلى البسطة السادسة، وهي تشبه سابقتها حيث تشغل الجانب الغربي كله،وتفتح عليها نافذتان تطلان على الجانب الشرقي، ومن خلالها يمكن أن نعرف أن سمك الجدران في هذا الجانب ٩٢ سم،وفي النهاية الشمالية من هذه البسطة نلحظ وجود باب يبلغ اتساعه ١,٥٦ متراً وارتفاعه ١,٧٦ متراً، وهذا هو المخرج المؤدى إلى الممر في داخل السور والذي ينتهي هنا في هذه المنطقة من سلم البرج الغربي، ثم نصعد عشر درجات أخرى لنرى السماء، وينهي قبو السلم هنا بعقد نصف مستدير من إحدى عشرة صنجة، ومن هذه البسطة التي تشغل كل هذا الجانب نصل إلى مستوى سطح بعد صعود ست درجات أخرى.

حجرتا برج السلم الغربي:

ثم نعود لندخل الحجرتين اللتين سبقت الإشارة إليهما عند الدخول إلى القلبة الأولى من السلم والحجرة الخارجية حجرة كبيرة يعلوها قبو يبلغ طولها ١٨,٥٥ متراً وعرضها ٨,٢٣ متراً، أما الحجرة الداخلية مشابهة للسابقة لكنها أصغر نسبياً، حيث يبلغ قياسها ١٢,٦٣× ٥,٩٣ متراً، ويصل ما بين الحجرتين فتحتان معقودتان يبلغ اتساع كل منهما ٢,٨٣ متراً في الحائط الذي يفصل بينهما، وبالحجرة الخارجية في كل من طرفيها نافذة مستطيلة للإضاءة بعتبة منحدرة بينما يضئ الحجرة الداخلية نافذة واحدة في الطرف الغربي.

والحجرة الخارجية مزودة بخمس دخلات بها مزاغل لرمى السهام يصعد إليها بسلالم لارتفاعها، ثلاث في الحائط الخارجي وواحدة في كل جانب من جانبيها، المطلان على الجهة الشرقية والغربية، ونظراً لسمك الجدران الذي يبلغ حوالي ٤

متر فإن هذه الدخلات عميقة حيث تبلغ عمقها ٢,٦٢ متراً، ويلاحظ أن صف أطراف الأعمدة المستخدمة كروابط بنائية في هذا البرج يوجد عند المدماك الثاني أسفل الكورنيش الذي يوجد أسفل القبو الذي يغطيها مباشرة، كما يمكن رؤية أطراف هذه الروابط في الحجرة الصغرى أيضاً، أما الحجرة الداخلية فلا يوجد بها مزاغل ولكن يوجد ثلاث دخلات بأعتاب سفلية مرتفعة،ويوجد بها فتحات للإضاءة(١).

وفي إطار هذا الوصف لبرج السلم غربي باب الفتوح والذي يتوصل منه إلى منصة باب الفتوح عبر خطين للمرور أحدهما الممر داخل السور والذي ينتهي عند هذا البرج وكذلك من مستوى سطح السور، يتضح أن هذا السلم فيَ هذا البرج من عناصر الاتصال المهمة التي يمكن من خلالها تزويد المدافعين بالبوابة بما يحتاجون إليه ويسهل حركتهم من أعلى البوابة إلى داخل المدينة.

وهنا تجب الإشارة إلى أن هناك سلماً آخر ملاصق لبناء السور بجوار الجانب الداخلي للبرج الشرقي ويؤدى مباشرة إلى المنصة التي تعلو رحبة باب الفتوح، وهكذا يتضح أن هناك ثلاثة عناصر للاتصال تربط باب الفتوح يتمثل في سلم البرج الغربي، وفي الممر داخل السور الذي يخترق البوابة ويتصل بالبرج الغربي، وفي الممر داخل السور الذي يخترق البوابة ويتصل بالبرج الغربي ثم في السلم الذي بنى ملاصقاً للسور من الداخل بجوار البرج الشرقي لباب الفتوح، ولاشك أن عناصر الاتصال هذه مهمة جداً خاصة أثناء الحروب بالإضافة إلى استخدامها بواسطة جند الحراسة الذين يقومون على حراسة البوابات في أيام السلم.

كذلك يلاحظ أن هذا البرج يتضمن حجرتين بالإضافة إلى السلم، يمكن استخدامها كثكنات للجند، ويلاحظ أن الحجرة الخارجية بما تشتمل عليه من دخلات مزودة بمرامي للسهام أكسبت هذا البرج ميزة الدفاع عن نفسه وعن قطاع السور إلى الشرق وإلى الغرب منه، وهنا تجدر الإشارة إلى أن الحائط الخارجي للبرج في هذه الحجرة الخارجية بنى بسمك مقارب لسمك السور في الجانب الشرقي من السور

---

(١) Creswell, Op. Cit., pp. 189-190.

حيث يبلغ سمك السور في القطاع ٤,٨٥ متراً بينما بلغ سمك حائط البرج ٤ متر، كما أنه زاد من سمك السور في القطاع غربي البرج حيث بلغ ٣,٨٥ متراً، وهذا السمك ساعد على متانة البناء والتصدى لمقاومة أي محاولة لنقبه.

وقد استخدم المعمار الروابط الرخامية في مستوى مرتفع في هذا البرج حيث ظهرت أطرافها بمستوى من أماكن أسفل الكورنيش الذي يوجد أسفل القبو الذي يعلو البرج مباشرة وهو مستوى مرتفع بالنسبة لمحاولات المهاجمين لنقب السور وهو أمر يكشف عن أن الروابط الحجرية استخدمت في هذا البرج لغرض إنشائي بحت، كذلك يلاحظ مدى الاهتمام بتزويد البرج والسلم بدرجة إضاءة طبيعية كافية، سواء من النوافذ التي فتحت في الحجرة الداخلية أم في الجنوبي والشرقي للركن الذي يشغله برج السلم، كما أن الحجرة الخارجية استمدت إضاءتها من فتحات المزاغل بالدخلات الخمس بالإضافة إلى الضوء غير المباشر من الفتحتين اللتين تربطان بين الحجرة الخارجية والداخلية، زاد نسبة الإضاءة وضعت النوافذ التي بجدارها الجنوبي على محاور واحدة مع الفتحات في الجدار الفاصل بين الحجرتين، وكذلك الحال بالنسبة للفتحة بالجانب الشمالي برج السلم والفتحة التي على محورها في الحائط الشرقي المقابل، وهو تخطيط مقصود في ترتيب الفتحات على محاور واحدة لزيادة نسبة الإضاءة في الحجرة الخارجية للبرج والتي لا يمكن عمل فتحات للإضاءة بها، واقتصر الأمر بالضرورة على فتحات المزاغل.

السور وأبراجه بين بابي النصر والفتوح:

من المهم جداً أن نعرض بالوصف للسور بين بابي النصر والفتوح حيث إن هذا الجزء الباقي من السور الشمالي يوضح إلى حد كبير منظومة الدفاع والتحصين في السور الشمالي، بالرغم مما حدث من تعديل في القطاع غربي باب الفتوح وكذلك ما حدث في الطرف الشرقي من هذا السور.

وهذا القطاع من السور الذي يربط بين بابي النصر والفتوح يمكن تقسيمه إلى أربعة أقسام يفصل بينها برجان،وبروز الكتلة البنائية السفلى للمنذنة الشمالية لجامع

الحاكم، ويبلغ طول القسم الأول غرب باب النصر مباشرة وحتى البرج الأول الــذي يليه ٢٨,٩١ متراً،وهذا القطاع من السور يبلــغ اتــساعه ٣,١٤ متــراً، ومــزودة بدراوى وشرافات، بينها فتحات تستخدم للرمى،ويوجد بهذا القطاع سقاطة بارزة عن السور بأرضيتها فتحات لتوجه سهام إلى أسفل أو إسقاط الــسوائل الملتهبــة لمــن يحاول الالتصاق بالسور في هذا القطاع، وهذه السقاطة تقع في منتصف هذا القطاع تقريباً، والبرج الأول الذي يقع على بعد ٢٨,٩١ متراً من بــاب النــصر مــستطيل المسقط ويبلغ طوله من الشرق إلى الغرب ٨,٧ متراً، ويبرز عن سمت السور مــن الخارج من الجهة الشرقية ٤,٧٣متراً، ومن الجانب الغربي ٢,٧٦ متراً، وقد ضغط هذا البرج على بناء القبة الشمالية في بلاطة المحراب في جامع الحــاكم بــأمر الله، وهذا البرج يعلوه حجرة يؤدى إليها باب من مستوى سطح الــسور يبلــغ اتــساعه ١,٢١ متراً وارتفاعه ٢,٢٢ متراً، ويلاحظ وجود درج في الجانب الشرقي والغربي يؤدى إلى الممر الذي يتقدم البرج، كما يوجد سلم في الجانب الجنوبي الداخلي يؤدى إلى أعلى البرج.

ثم يمتد السور بعد هذا البرج الأول حتى البرج الثاني وهذا الامتداد يمثل القسم الثاني من السور الشمالي وقبل الوصول إلى هذا البرج مباشرة يوجد سلم هابط من مستوى سطح السور من ثمان درجات يؤدى إلى الممر داخل السور والذي يمثل خط الدفاع الثاني في السور، ويذكرنا بالممر الذي كان بالسور الداخلي لمدينــة بغــداد، والهابط من هذا السلم ينعطف يمينا ليجد أمامه بداية الممر في داخل الــسور علــى يساره في البداية مباشرة فتحة باب تؤدى إلى البرج الثاني الذي يبدو أكثر انخفاضاً من البرج الأول، ويبرز بناء هذا البرج عن السور بمقــدار ٤,٧٠ متــراً واتــساع واجهته ٥ متراً، وهو عبارة عن حجرة مستطيلة مزودة بثلاثة مزاغل أحدها أمامي والآخران جانبيان ويصعد إلى سطح هذا البرج بست درجات مــن مــستوى ســطح السور.

ويستمر السور بعد هذا البرج بمستويين مستوى سطح السور بارتفاعه العادي ومستوى الممر داخل السور،وهذا الممر معقود بقبو قطاعه نصف مستدير، وجداره

الخارجي مزود بمزاغل لرمى السهام مفتوحة في الجدار مباشرة بدون دخلات في القطاع الثالث من السور الممتد بين البرج الثاني وبروز المئذنة الشمالية للحاكم، ويبلغ طول هذا القطاع من السور ٤٩,١٣ متراً حتى بداية بروز المئذنة الشمالية والذي يبلغ طوله ٢٤,٨٠ متراً، ثم يرتد السور مرة أخرى بمقدار ٩,٧٦ متراً ثم يمتد في استقامة إلى باب الفتوح يبلغ طولها ٢٤,٩٥ متراً يمثل القطاع الرابع من السور بين بابي النصر والفتوح،ويلاحظ أن المزاغل في الممر المحيط بجوانب المئذنة الشمالية البارزة لجامع الحاكم من الجهة الشرقية والشمالية والغربية، وكذلك القطاع غربي هذا البروز حتى باب الفتوح وضعت المزاغل فيه في صدر دخلات يبلغ اتساعها ما بين ١,٦٢ – ١,٦٧ متراً، كما يلاحظ أن القطاع الذي يحيط بالمئذنة زوده المعمار بفتحات للإضاءة بالجدار الخارجي للممر في مستوى أعلى من مستوى المدافعين الواقعين في الممر الداخلي للسور، كما أن هذه الفتحات صممت بطريقة تحمى المدافعين في حالة مرور سهم منها لسبب أو لآخر، حيث إن قطاعها السفلي ينحدر من أعلى لأسفل من الخارج للداخل، وقد اضطر المعمار لعمل هذه الفتحات الصغيرة للإضاءة بالجانب الخارجي للممر لأن بناء المئذنة الشمالية للحاكم منع عمل نوافذ على الداخل كما هو الحال في بقية أجزاء الممر الداخلي. ولاشك أن إحاطة السور بالجوانب الثلاثة لمئذنة الحاكم وما زود به من ممر داخلي يمثل خطاً دفاعياً ثانياً للخط على سطح السور، كما أنه قد جعل هذا البروز في هيئة البرج حيث إن إحاطة السور ببروز المئذنة ساعد في قيام السور في هذا القطاع بتوجيه سهام أمامية وجانبية مثلما هو الحال في أي برج من أبراج السور.

ويستمر الممر داخل السور ليخترق بوابة الفتوح ولكن في مستوى أقل انخفاضاً مما هو عليه قبل الباب من جهة الشرق حيث ينخفض الممر بتسع درجات ليمر فوق فتحة الباب وأسفل مستوى الليوان المحفور بين البرجين، ثم يستمر بعد بوابة الفتوح ليصل إلى برج السلم الغربي- كما سبقت الإشارة- إلى ذلك عند وصف هذا البرج.

وفي إطار الوصف السابق يلاحظ كثافة العناصر التحصينية الحامية للسور

ممثلة في البرجين، وبروز السور حول المئذنة الشمالية لجامع الحاكم الذي يبدو في هيئة البرج تماماً، وتغطى هذه الأبراج بمزاغلها الجانبية المسافات بين الأبراج، كما ساهمت السقاطة بين البرج الغربي لباب النصر والبرج الأول الذي يليه في الـدفاع عن السور بإسقاط مقذوفات هابطة للدفاع عن قطاع السور في هذه المنطقة، ولاشك أن تزويد السور بممر داخلي يعتبر بمثابة خط دفاع ثان ساهم في حماية السور قدر مساهمته في ضرب العدو الذي يهاجم المدينة من جهة الشمال.

وساعد أيضاً على سهولة الحركة ما سبق وصفه من عناصر الاتصال والحركة سواء في السلم المجاور لباب النصر من الجهة الشرقية أو السلم الذي يلـي برجـه الغربي ملاصقاً للسور مباشرة، وكذلك في الممر أعلى سطح السور والممر في قلبه، وأيضاً في برج السلم غربي باب الفتوح، وكذلك السلم الملاصق للبرج الشرقي لباب الفتوح، وهذه السلالم توفر اتصالاً كاملاً بين عناصر السور ابتداء من طرفه الشرقي وحتى الطرف الغربي، كما تربط من داخل المدينة والأبراج والمنصات فوق رحبتـي بابي النصر والفتوح من خلال أربعة منافذ من أربع نقاط مختلفة موزعـة توزيعـاً يقرب المسافة بين كل منفذ والآخر، وهذه المنافذ هي برج السلم الـشرقي وبـرج السلم الغربي والسلمان الجانبيان الملتصقان بالسور بجوار البرج الغربي لباب النصر والشرقي لباب الفتوح، وهو توزيع مدروس يسهل الوصول إلى أي نقطة من السور، وعلى مسافات متقاربة بسهولة وهو أمر ييسر إلى حد بعيد التزويد بالجند والعتـاد، ويساعد على توفير البديل في حالة تعرض أحد عناصر الاتصال للهدم أو التـدمير، كما أن كثرة عناصر الاتصال بهذه الصورة يتبعه حتماً كثرة فرص المـرور خلالهـا وقت الحاجة.

وتمثل عناصر الإضاءة خاصة في المواضع المظلمة نسبياً أهمية خاصة، وقـد اتضح من الوصف براعة المعمار الفاطمي في توزيع فتحاتها سواء في البرج الغربي أو في الممر الداخلي بالسور واشتمل السور أيضاً على جميع العناصـر المعماريـة الحربية التي شاع استخدامها في العصور الوسطى من أبـراج مربعـة المـسقط أو مقوسة،ومزودة بالمزاغل في مـستويين مـستوى الحجـرات ومـستوى سـطوح

الحجرات، كما وجدت السقاطات التي تعلو مقدم فتحتي باب النصر والفتوح والقطاع المحصور بين البرج الشرقي لباب النصر والبرج الأول الذي يليه.

كما وجدت منصات إطلاق المناجيق التي تعلو كلا من رحبتي بابي النصر والفتوح، واشتمل السور أيضاً على خطين للدفاع أحدهما أعلى السور مزود بشرافات بينها فتحات معدة للرمى وكذلك الممر الداخلي الذي يمثل خطاً دفاعياً ثانياً زود بمزاغل على مسافات منتظمة لضرب العدو من الأمام ولاشك أن لكل من الخطين قدرات مختلفة على كشف العدو، ورميه، فالمستوى العلوي يكشف ويضرب العدو وهو على مسافة أبعد والخط الدفاعي في قلب السور يساعد على تقليل الزاوية الميتة التي يصعب على المدافعين تغطيتها من أعلى السور، كما أنه يكشف ضرب العدو ورميه في حالة اقترابه من السور.

وتمثل الباشورة عنصراً مهماً من عناصر الدفاع عن البوابة التي كانت تمثل أضعف النقاط التي يدافع عنها باعتبار إمكان فتحها بعد كسر الأبواب،وتخطيط الممر المنكسر مما يضطر العدو إلى الانعطاف يساراً فينكشف يمينه فيسهل ضربه، كما أن تخطيط ممرات البوابات تخطيط يختلف من الاتساع إلى الضيق وتكرار ذلك من شأنه عرقلة العدو في حالة تجمعه ومهاجمته أبواب المدينة أو حتى اقتحامها.

وتكتمل منظومة الدفاع عن الأسوار بالخنادق التي كانت تحفر خارجها وهذه الخنادق تقوم على فكرة توفير موضع أعلى للمدافعين بركب المهاجمين عند نزولهم إلى الخندق لعبوره ثم الصعود للوصول إلى الأسوار، كما أن هذا الهبوط والصعود يقلل فرصة المهاجمين من الاحتراس ويشغلهم نسبياً بينما يوفر فرصة للمدافعين في ضرب المهاجمين وهم في هذه الحال.

ويكشف ابن منكلى عن وظيفة أساسية أخرى للخنادق وهي أنها تمكن من كشف حافري السراديب من خارج المدينة بغية الوصول إلى داخل المدينة سراً، وكان حفر هذه الخنادق خارج أسوار المدن وبعمق معين يؤدى إلى أن تفتح هذه السراديب من الوصول إلى الخندق فيتم كشفها فيمكن الهجوم عن حافريها أو

إغراقهم بالماء الذي قد تملأ به هذه الخنادق في حالة توفر مصدر لملئها بالماء كما هو الحال في كثير من المدن(١).

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن استخدام الروابط الرخامية أو الحجرية في بناء الأبراج والسور الشمالي على مستوى أعلى من الرماة في السور كله وبواباته وأبراجه، كان هدفه التغلب على مشكلة نقب الأسوار التي كانت من وسائل التغلب على أسوار المدن في العصور الوسطى، كما أن الارتفاع ببناء الأسوار-التي أدى إلى زيادة سمكها-زاد من متانة هذه الأسوار ومن إكسابها فرصة أكبر للدفاع عما لو كانت أقل من هذا الارتفاع.

ولاشك أن بناء الأسوار بالحجر ساعد على متانتها ومقاومتها للنقب، عما لو كانت مبنية باللبن، لكن هذه الأسوار حجرية كان ضعفها يتمثل في التغلب عليها في الحرب بإشعال النار بجوارها وإلقاء الخل "الثقيف أي الحامض جداً عليها فتحول أحجارها إلى جير متفكك(٢)، وإزاء هذا الخطر كان الاهتمام بعملية الدفاع عن الأسوار ممن قد ينجح في الوصول إلى جوارها مباشرة لحرقها أو نقبها ونلحظ ذلك في السقاطات والمزاغل الجانبية التي تحمى المسافة بين الأبراج في قطاعات السور المختلفة.

وبقية السور الشمالي غربي برج السلم غربي باب الفتوح قد أعيد بناؤه في مرحلة لاحقة، عندما أصبح صلاح الدين وزيراً للدولة الفاطمية واستكمله بعد ذلك ضمن مشروعه الكبير بعد ذلك لإحاطة القاهرة والفسطاط بسور واحد بعدما آل إليه الحكم، وسنعود لوصفه بعد الانتهاء من بقية أعمال بدر الجمالي الخالصة.

باب زويلة :

يشير المقريزى في حديثه عن باب زويلة الذي أنشأه بدر الجمالي على بعد ١٥٠ متراً جنوبي "بابي زويلة" في سور جوهر إلى أن هذا الباب كان على عكس

---

(١) ابن منكلى: المصدر السابق، ص ٤٠٧ وما بعدها.

(٢) ابن منكلى، المصدر السابق، ص ٤٠٧.

بابي النصر والفتوح حيث لم ينشأ له "باشورة كما هي العادة في أبواب الحصون من أن يكون في كل باب عطف حتى لا تهجم عليه العساكر في وقت الحصار ويتعذر سوق الخيل ودخولها جملة لكن عمل في بابه زلاقة كبيرة من حجارة صوان عظيمة بحيث إذا هجم عسكر على القاهرة لا تثبت قوائم الخيل على الصوان، فلم تزل هذه الزلاقة باقية إلى أيام السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب، فاتفق مروره من هنالك فاختل فرسه وزلق وأحسبه سقط فأمر بنقضها فنقضت وبقى منها شئ يسير.."[1].

ويتضح من هذه الرواية للمقريزى أن باب زويلة في الأسوار التي أنشأها بدر لم يكن له باشورة أي لم يكن مدخلاً منكسراً، كما هو الحال في بابي النصر والفتوح، وكما هو التخطيط المتبع في معظم مداخل المدن، كما توضح الرواية الهدف الذي كان من أجله تنشأ الباشورة ويتمثل هذا الهدف في تعويق دخول خيول العدو منها فلا تدخل الخيول جملة كما لو كان الدخول من المداخل في هيئة ممر مستقيم، ثم تشير الرواية إلى أن المعمار الفاطمي حتى يحقق هذا الهدف من إنشاء الباشورة عمل بدلاً عنها "زلاقة" من "حجارة صوان عظيمة" أي جعل أرض الممر إلى البوابة في هيئة منحدرة ملساء مستخدماً حجر الصوان الذي إذا نحت نحتاً جيداً صار أملساً، فإذا مرت الخيول من على هذه الأرضية المنحدرة الحجرية الملساء انزلقت وبذلك تعوق هذه الزلاقة دخول خيول العدو من الباب فيتحقق الهدف الذي كان يتحقق بإنشاء الباشورة ولكن بصورة وبهيئة معمارية مختلفة، وقد أشار المقريزى إلى بيان عملي لهذه الزلاقة عندما انزلق من عليها فرس الملك الكامل وسقط فأمر بنقضها.

وقد تحدث المقريزى عن ضخامة أحجار هذه الزلاقة، حيث يقول إنه "لما ابتنى الأمير جمال الدين يوسف الاستادار المسجد[2] المقابل لباب زويلة وجعله باسم

---

(١) المقريزى: خطط جـ١ ص ص ٣٨٠-٣٨١، اتعاظ الحنفا، جـ٢ ص ٣٢٧.

(٢) يسمى هذا المسجد الآن زاوية الدهيشة، وهي تسمية غير صحيحة، حيث إن المبنى كان=

الناصر فرج ابن الملك الظاهر برقوق ظهر عند حفره الصهريج الذي به بعض هـذه الزلاقة وأخرج منها حجارة من صوان لا تعمل فيها العدة الماضية وأشكالها في غاية الكبر لا يستطيع جرها إلا أربعة رءوس بقر فأخذ الأمير جمال الدين منها شيئاً وإلى الآن حجر منها ملقى تجاه قبو الخرتشف"[١].

وفي إطار هذا الوصف يتضح أن الزلاقة بنيت من قطع ضـخمة من الحجـر الصوان الذي أشار المقريزى إلى متانته حيث ذكر على حد تعبيره أنه "لا تعمل فيها العدة الماضية"، وهو أمر يكشف عن توظيف استخدام حجر الصوان[٢] الضخم فـي عمل الزلاقة باعتبار تعرضها لأقدام الداخلين والخارجين من هذا الباب فكان استخدام حجر الصوان فيها- وهو أمتن أنواع الحجر - مناسباً لهذا الاستخدام، كما أن حجر الصوان - كما سبقت الإشارة- بعد نحته يصبح أملساً ومع الانحدار في شكل بنـاء الزلاقة يصبح أمر انزلاق أرجل الخيل أمراً متوقعاً، ويصبح دخولها من باب زويلـة الذي تتقدمه من الزلاقة صعباً على خيول العدو.

وقد أشار الجبرتي إلى الزلاقة التي كانت تلي باب العزب بالقلعة والتي انحـصر فيها المماليك في إطار خطة محمد علي لذبحهم،وما زالت هذه الزلاقـة قائمـة،وهي عبارة عن منحدر حجري منخفض يلي الزلاقة،وتمتد لمسافة تربو على عشرين متراً ثم ترتفع إلى مستوى الأرض.وكانت في إطار التخطيط الحربي لتعرقل أي هجوم على هذا الباب.وتعتبر هذه الزلاقة مثالاً يمكن في إطاره تصور زلاقة باب زويلة[٣].

وفكرة استخدام تكسية الأرضيات المنحدرة بالحجر لإعاقة تقدم خيول الأعـداء

= مسجداً، وألحق به سبيل فهو مسجد وليس زاوية (أثر رقم ٢٠٣).

(١) المقريزى: الخطط جـ١ ص ٣٨١.

(٢) للاستزادة عن حجر الصوان، راجع ألفريد لوكـاس، المـواد والـصناعات عنـد قـدماء المصريين، ترجمة زكى اسكندر، محمد زكريا غنيم، مراجعة عبد الحميد أحمـد، الطبعـة الثالثة، القاهرة د.ت ص ص ٩٩-١٠٢.

(٣) الجبرتى (عبد الرحمن) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبـار، دار الجيـل، بيـروت جـ٣،ص ٣٢٠ .

فكرة عرفت في العمارة الحربية في العصور الوسطى حيث كانت تكسى جوانب الخنادق ببلاطات من الحجر المنحوت نحتاً جيداً ليصعب تسلق الخيول والأفراد لها، كما عمل نفس الشيء في بعض جوانب الهضاب والجبال التي أنشئت فوقها القلاع، فنحتت سطوحها نحتاً جيداً أملساً ليعيق صعود الجيوش لها، ونرى هذه الأفكار مطبقة في الخور الذي كان يقع شمال مدينة ظفار[١]، كما أنه طبقت في بعض الروابي المرتفعة التي كانت بنيت فوقها بعض القلاع في سلطنة عمان..

ولاشك أن كبر وضخامة الكتل الحجرية الصوانية كان من شأنه زيادة متانة الزلاقة، ومن طريف ما يذكر بهذا الخصوص أن السلم الخارجي لمسجد فرج بن برقوق الذي أنشأه في الأصل جمال الدين الاستادار لنفسه ثم وهبه للسلطان فرج تجاه باب زويلة بنى من بعض أنقاض هذه الزلاقة وهو أمر انعكس في تسجيل الموثق له في وثيقة وقف هذا الأثر فوصفه "بالزلاقة"[٢]، لا لأن شكله كان في هيئة زلاقة ولكن لأنه بنى ببعض الأحجار الضخمة التي كان من أنقاض زلاقة باب زويلة بعد أن أنقضها الملك الكامل.

والمعروف أن محاجر حجر الصوان في أسوان والصحراء الشرقية وسيناء واستخدام هذه النوعية من الحجر في زلاقة باب زويلة يكشف عن أن هذا الحجر جلب من عمائر مصرية قديمة وهو أمر ثبت من خلال ما سبقت الإشارة إليه في وصف السور من استخدام أعتاب من حجر الجرانيت جلبت من مبان مصرية قديمة ويؤكد ذلك ما نقش عليها من نقوش هيروغليفية.

ويبقى التساؤل لماذا استخدم المعمار الفاطمي الزلاقة كحل معماري ولم يستخدم الباشورة- كما جرت العادة- في باب زويلة لإعاقة تقدم خيول العدو؟ والإجابة على هذا التساؤل ترتبط في الغالب بأهمية باب زويلة كنقطة اتصال مهمة بين عواصم

---

(١) محمد عبد الستار عثمان، مدينة ظفار بسلطنة عمان، دراسة تاريخية أثرية، دار الوفاء لدنيا النشر والطباعة، الإسكندرية ٢٠٠٠، ص ٨١

(٢) وثيقة فرج بن برقوق، ١٠٦/١٧ محكمة.

مدن مصر الإسلامية السابقة على القاهرة في الجنوب وبين مدينة القاهرة حيث كان معظم حركة المرور الآتية من جنوب المدينة تمر من هذا الباب وبالتالي فإن بناء الباشورة كان من شأنه أن يعرقل هذه الحركة إلى حد ما خاصة للراجلين من العامة وغيرهم، كما أن استخدام الزلاقة وافق هذه الحركة للمرور الراجل غالباً وأعطى إحساس الأمان والسلام للداخلين والخارجين من هذا الباب، بالرغم من أنه يحقق نفس الهدف الدفاعي من الباشورة، ومن ثم فضل المعمار الزلاقة في باب زويلة عن الباشورة.

ويكشف هذا التنوع في بناء عناصر مختلفة في الشكل وتحقق نفس الغرض عن مدى خبرة المعمار الفاطمي بفنون العمارة الحربية.

ويثير المقريزى قضية أخرى تتعلق بتاريخ عمارة هذا الباب فيذكر أن ابن عبد الظاهر ذكر في كتابه خطط القاهرة أن باب زويلة هذا بناه العزيز بالله نزار بن المعز [٣٦٥-٣٨٦هـ/ ٩٧٥-٩٩٦م] وتممه أمير الجيوش[١]، وهي رواية لم يشر إليها -حسب ما بين أيدينا- أي مصدر آخر كما أن ناصر خسرو الذي زار القاهرة في الفترة فيما بين سنتي ٤٣٩-٤٤١هـ (١٠٤٧-١٠٤٩م) أي في الفترة التي تلت فترة حكم العزيز وسبقت الفترة التي أتم فيها بدر الجمالي غالباً بناء أسواره سنة ٤٨٠ - ٤٨٥هـ (١٠٨٧-١٠٩٢م) لم يشر إلى ذلك، بالرغم من إشارته إلى أن أسوار جوهر كانت قد تهدمت، كما إن إشارة ابن عبد الظاهر إلى أن بدر الجمالي هو الذي أتم بناء هذا الباب لا تدل على تحديد الأجزاء التي كان بناؤها في عهد العزيز، ويكشف الواقع الأثرى لباب زويلة بتفاصيله المعمارية من أساسه إلى أعلاه أن هذا البناء كله يرجع إلى نفس الفترة التي أنشأ فيها بدر الجمالي بابي النصر والفتوح وأسوار القاهرة لتشابه العناصر المعمارية والزخرفية والأساليب الإنشائية وفكرة التخطيط المعماري الحربي.

ويساند الواقع التاريخي لفترة حكم العزيز انتفاء أي سبب لإنشاء أسوار تحيط

---

(١) المقريزى: الخطط جـ١ ص ٣٨١.

بالقاهرة ولا أدل على ذلك من بنائه لجامعه الذي أتمه الحاكم بأمر الله خارج السور الشمالي لجوهر وبتخطيط مفتوح للواجهة الشمالية لا يدل على بناء أي أسوار في هذا الاتجاه، كما لا يعقل أن يبدأ العزيز في بناء باب زويلة كبوابة منفصلة مستقلة، ويكشف ما ورد في المصادر من سور بدر الجنوبي وما حدث عليه من اعتداءات معمارية وما بقى من أجزاء يجب الكشف عنها وحمايتها،خاصة في الاتجاه الشرقي من باب زويلة عن أن باب زويلة كان جزءًا من منظومة السور الجنوبي للقاهرة الذي أنشأه بدر.

ويؤكد ذلك أيضاً ما ذكره المقريزى من أنه من "تأمل الكتابات التي على أعلاه من خارجه فإنه يجد اسم أمير الجيوش والخليفة المستنصر وتاريخ بنائه"[1] وفي واجهة المدخل أعلى عقد فتحة الباب منطقة مؤطرة كانت تشتمل على هذه النصوص وفي ذلك دليل مادي رآه المقريزى يؤكد نسبة عمارة هذه البوابة إلى بدر الجمالي في عهد الخليفة المستنصر.

وقد ذكر ابن عبد الظاهر أن بناء باب زويلة كان سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م[2] بينما ذكر المقريزى نفسه الذي نقل عن ابن عبد الظاهر ما ذكر أنه لما "كانت سنة خمس وثمانين وأربعمائة بنى أمير الجيوش بدر الجمالي باب زويلة الكبير الذي هو باق الآن"[3]، وللأسف الشديد لم يبق أي جزء من نص التأسيس لهذا الباب يتضمن تاريخ الإنشاء وحيث لم يتبق منه سوى أجزاء من "آية الكرسي"[4] مع بعض الكلمات الشيعية نصها في سطرين:

١- .... [شر]يك له محمد.... ولى الله

---

(١) على مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة الشهيرة، القاهرة، الطبعة الثانية،نقلاً من الطبعة الأولى ١٩٧٠ ، جـ٣ ص ٢٠٢.

(٢) المقريزى: خطط جـ١ ص ٣٨١.

(٣) المقريزى: اتعاظ ، جـ٢ ص ٣٢٧. على باشا مبارك، الخطط الجديدة ، جـ٣ ص ٢٠٢.

(٤) قرآن كريم: سورة البقرة آية رقم ٢٥٥.

[صلـ]ـى الله عليه ....

٢- ما شا .... كرسيه الـ .....

وفي إطار ما ذكره المؤرخون يتضح أن إتمام إنشاء باب زويلة كان بعد خمس سنوات من بدء بدر الجمالي في بناء أسوار القاهرة، كما يشير هذا التاريخ إلـى أن باب زويلة كان بناؤه في المراحل النهائية من أسوار القاهرة.

وقد أفقدنا ضياع هذه الكتابات بالإضافة إلى ضياع التاريخ اسـم البـاب الـذي سجله بدر الجمالي ضمن نص التأسيس ولا نستطيع الآن إلا أن نـذكر أن احتمـال إطلاق اسم جديد على هذا الباب مثلما حدث في أبواب بدر الجمالي الأخرى الباقيـة أمر وارد، لكن المقريزى ذكر أن بدر سجل اسم الخليفة المستنصر واسمه على هذا الباب وكذلك تاريخ البناء[1].

ومن طريف ما يذكر أن هذا الباب رغم أنه عرف باسم باب زويلة بذلك الاسـم القديم الذي أطلقه جوهر على الباب المقابل له من الجهة الشمالية على بعـد ١٥٠ متراً في المصادر التاريخية حتى العصر العثماني وإن هذا الباب تغير اسمه غالباً في العصر العثماني وصار يعرف "ببوابة المتولي"، وما زال يعرف عنـد العامـة بهـذه التسمية حتى الآن، وهناك تفسيرات مختلفة حول سبب إطلاق هذا الاسم على بـاب زويلة، فقد ذكر كريسويل أن سبب التسمية ربما يرجع إلى ما جرت به العـادة مـن وجود أضرحة عند أبواب المدن لبعض الأولياء والصالحين، وقد وجد مثل هذا فـي باب الفتوح في رحبة المدخل وفي أبواب مدن أخرى كحلب وأنطاكيـة وقنـسرين، فربما دفن أحد الأقطاب عند هذا الباب فعرف به، ويذكر يعقوب أرتين باشا رأياً آخر يذكر فيه أن أصل هذه التسمية أن طومان باي الذي جعل السلطان الغورى نائباً لـه في السلطنة بمصر لقب بالمتولي- أي متولي نائب السلطنة- فسمى هذا الباب باسم وظيفته خاصة بعدما شنق طومان باي وعلق على باب زويلة بعد الفتح العثماني عام ١٥١٧م، وكان أن نسى الناس طومان وشنقه وظنـوا أن التـسمية تتعلـق بأحـد

---

(١) على باشا مبارك، الخطط الجديدة، جـ٣ ، ص٢٠٢.

الصالحين اسمه القطب متولي، وهناك آراء أخرى في سبب هذه التسمية(١)- لعل أكثرها وجاهة- هي أن متولي الحسبة كان يجلس عند هذا الباب لتحصيل الضرائب ومن هذا المكان كان يشرف على السقائين وغيرهم ممن يحملون قرب الماء لإطفاء ما لعله يحدث من حرائق(٢).

الوصف المعماري لباب زويلة :

يتكون باب زويلة بشكله الحالي من كتلة من البناء ضخمة، يلاحظ أنها أكبر قليلاً من بابي النصر والفتوح، إذ يبلغ عرض واجهة البوابة ٢٥,٧٢ متراً وعمقها ٢٥,٣٦ متراً وارتفاعها ٢٠,١٠ متراً من مستوى الأرض الأصلية الذي ينخفض عن مستوى الأرض الحالية بمقدار ٣,٥ متراً، ويمكن ملاحظة مستوى الأرض الأصلية من خلال الخندق الذي يحيط بمسجد الصالح طلائع أمام هذه البوابة من الجهة الجنوبية.

والبوابة عبارة عن برجين مقوسين يشبهان إلى حد كبير برجي باب الفتوح وإن اختلفا في زخرفة واجهة كل برج، حيث أطرت الواجهة بإطار مربع مقوس من أعلى في هيئة شكل عقد مدبب، ويبلغ اتساع واجهة كل من البرج الشرقي ٨,٢٥ متراً بينما يبلغ اتساع واجهة البرج الغربي ٨,٣٠ متراً، ويحصران بينهما ممراً مكشوفاً يبلغ اتساعه في الطرف الخارجي ٩,١٧ متراً، يلاحظ في بناء جانبي البرجين اللذين يحصران الممر سمة البروز ثم الارتداد لتضييق ثم توسيع الممر، كما يوجد بكل من جانبي البرجين دخلة يتوجها عقد مفصص يناظر العقود، والعقدين بصنج تشبه في كل دخلة من دخلتي برجي باب الفتوح، وتمثل هاتان الدخلتان أوسع نقطة في الممر بين البرجين، وفي أعلى الدخلة بالبرج الغربي علقت كرة حديدية كبيرة مثبتة في عصا حديدية **Dumb-bell** سبقت الإشارة إلى استخدام أدوات

---

(١) ديزموند ستيوارت. ترجمة يحيى حقي، دار المعارف،١٩٧٧،القاهرة، ص٢١٤.

(٢) آمال العمرى، على الطايش، العمارة في مصر الإسلامية (العصرين الفاطمي والأيوبي)، مكتبة الصفاء والمروة، ديرب نجم، الشرقية ١٩٩٩، ص ٢١.

تشبهها في ضرب محاولات تسلق الحصون[1].، وقد جرت العادة في العصور الوسطى بتعليق هذه الأدوات على أبواب الحصون والقلاع في إطار التأثير النفسي على العدو وفي إطار هذا التفسير لا يحظى رأي كريسويل بأنها أدوات للرياضة بالقبول.

ثم يبرز البناء بعدهما في خمسة انكسارات متتالية حتى نصل إلى فتحة الباب الرئيسي التي يبلغ اتساعها ٤,٨٤ متراً ولها مصراعان من الخشب المصفح بالحديد والمثبت بمسامير البرشام[2]، وقد ذكر المقريزى أنه سمع "غير واحدٍ يذكر أن فرديته (مصراعيه) يدوران في سكجرتين من زجاج"[3].

ويتقدم أعلى واجهة فتحة الباب عقد نصف مستدير، جمع المعمار في بنائه بين الصنجات المعشقة والصنجات العادية، ثم يرتفع البناء فوق هذا العقد بأربعة مداميك للنلحظ فتحة معقودة بعقد نصف مستدير تمثل واجهة الليوان الذي بين الحجرتين العلويتين فوق كل برج، حيث يعلو كل برج حجرة مزودة بمرامي للسهام في الواجهة والجانبين بنفس هيئة الحجرات في بابي النصر والفتوح، وكان يغطى كل حجرة قبو متقاطع خرقه المعمار في العصر المملوكي لبناء منذنتي جامع المؤيد شيخ سنة ٨١٨هـ /١٤١٥م أعلى الجزء المسمط من بناء البرجين والذي يمثل أرضية كل من هاتين الحجرتين، ثم يرتفع البناء فوق عقد الليوان مدماكين لنلحظ الشرافات التي تتوج واجهة البوابة في هيئة مستطيلة ومقوسة من أعلى بينها فتحات كانت تستخدم لرمى السهام.

ويوجد فاصل بين بناء العقد الذي تتقدم فتحة الباب وما يعلو فتحة الباب من بناء وهذا الفاصل عبارة عن شق يعلوه فتحات أو سقاطات لقذف الأعداء بالسهام أو القذائف أو السوائل الملتهبة وهو تخطيط لاحظنا اتباعه في أبواب بدر الجمالي

---

(١) ابن منكلى، المرجع السابق، ص ٣٩٩.

(٢) عبد الرحمن فهمي محمد، المرجع السابق، ص ٨.

(٣) المقريزى: خطط جـ١ ص ٣٨١.

الأخرى.

أما فتحة الباب فيعلوها عقد مسطح من صنجات معشقة يعلوه منطقة مؤطرة بإطار مستطيل كان يشتمل على نقوش كتابية تآكلت- سبقت الإشارة إليها- ويذكر المقريزى أنها كانت تتضمن اسم بدر الجمالي والخليفة المستنصر وتاريخ البناء(١).

وتؤدى فتحة الباب إلى منطقة يعلوها قبو قطاعه نصف مستدير يستند على جانبيها مصراعا الباب عند فتحهما مثل ما هو قائم في كل من بابي النصر والفتوح، ونصل من هذه المنطقة إلى الرحبة الداخلية لباب زويلة وهي مستطيلة المسقط، حيث يبلغ عرضها من الشرق إلى الغرب ٧,٣٥ متراً وطولها من الشمال إلى الجنوب ٩,٥٩ متراً يغطيها قبة ضحلة ضخمة محمولة على مثلثات كروية يعلوها منصة البوابة،ويكتنف هذه الدخلة من الجانبين دخلتان عميقتان يلاحظ أن الدخلة الغربية قد حدث بها تعديل فحولت إلى إيوان في عهد المؤيد شيخ ليجلس به ويشاهد موكب الحج أثناء مروره من هذه البوابة(٢). أما الدخلة المقابلة فما زالت تحتفظ بعناصرها الأصلية حيث بلغ اتساعها ٤,٦٢ متر وعمقها ٢,٥٠ متراً وبها من أعلى حطات من المقرنصات الجميلة وهي المثال الثاني من المقرنصات في أبواب وأسوار القاهرة في عهد بدر، حيث يوجد نافذة بالسور الشمالي بالقرب من باب الفتوح تطل على داخل المدينة، يعلوها حطات من المقرنصات، لكن مستوى تنفيذ مقرنصات هذه الدخلة غاية في الروعة والإتقان، وتنتهي الرحبة بفتحة كبيرة على داخل المدينة يبلغ اتساعها ٧,٥٨ متراً يعلوها عقد نصف مستدير كبير.

وفي إطار الوصف السابق يتضح أن هناك أكثر من تعديل معماري حدث في عمارة هذه البوابة، وكانت هذه التعديلات من الأعمال المعمارية التي حدثت على وجه الخصوص في عهد المؤيد شيخ المحمودى الذي استغل المعمار في عهده البوابة استغلالاً كبيراً في بناء مئذنتين من مآذن الجامع الثلاث على برجي

---

(١) على باشا مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة، جـ٣ ص ٢٠٢.

(٢) للاستزادة: راجع محمد حسام إسماعيل: المرجع السابق، ص ص ١-١٠.

البوابة،وفتح فيها إيوانا لجلوس المؤيد لمشاهدة المواكب، كما فتح في الجانب الشمالي من هذا الإيوان دخلة كبيرة أيضاً، ولاشك أن هذه التعديلات قد أفقدتنا الصورة الكاملة التي كان عليها بناء البرجين بالذات،والذي تميز بالارتفاع حسبما يسجل ذلك المؤرخون مثل المقريزى الذي قال: "وقد أخبرني من طاف البلاد ورأي مدن الشرق أنه لم يشاهد في مدينة من المدائن عظم باب زويلة، ولا يرى مثل بدنتيه اللتين على جانبيه (برجيه) وقد كانت البدنتان أكبر مما هما الآن بكثير هدم أعلاهما المؤيد شيخ لما بنى الجامع داخل باب زويلة، وعمل على البدنتين منارتين[١].

ويؤكد هذه الحقيقة نظم أحد الشعراء ويدعى على محمد بن النيل لأبيات من الشعر تسجل عظمة عمارة هذه البوابة حيث قال:

يا صاح لو أبصرت باب زويلة	لعلمت قدر محله بنيانا
باب تآزر بالمجرة وارتوى	الشعرى ولاذ برأسه كيوانا
لو أن فرعوناً بناه لم يرد	صرحاً ولا أوصى به هامان[٢]

وفي إطار هذا الوصف الشاهد بضخامة وروعة بناء باب زويلة يتضح رغبة المعمار الفاطمي في تحقيق ذلك للتأثير في مشاهد عمارة هذه البوابة وبالذات هؤلاء القادمين من الفسطاط وما يجاورها من مناطق سكنية باعتبارها البوابة الرئيسية التي يدخلون منها إلى القاهرة.

ويعكس تاريخ هذه البوابة تميزاً خاصاً فقد دخل من بابي زويلة القديم الخليفة المعز لدين الله عندما أتى إلى مصر ناقلاً مقر الخلافة الفاطمية من المنصورية في تونس إلى القاهرة،وكان هذا الباب يشتمل على فتحتين معقودتين، ولما جاء المعز لدين بعد تأسيس القاهرة بأربع سنوات ٣٦٢هـ/ ٩٧٣م دخل من الفتحة اليمنى، ويبدو أن ذلك في إطار التوجيه الإسلامي للرسول ﷺ "تيامنوا" فتفاعل الناس

---

(١) المقريزى: خطط جـ١ ص ٣٨١، على باشا مبارك،المرجع السابق، جـ٣ ص ٥٠.

(٢) المقريزى: خطط جـ١ ص ٣٨١.

واستعملوا هذه الفتحة التي عرفت "بباب القوس" وأهملت الفتحة الأخرى حتى سدت بعد ذلك[1].

واهتم بدر الجمالي بعمارة الباب الذي يقابل هذا الباب في أسواره والذي عرف بباب زويلة أيضاً، كما يلاحظ من الوصف المعماري وأقوال المؤرخين. وتشير المصادر إلى حادثة سقوط فرس السلطان الكامل بسبب زلاقتها فنقضها، وفي عهد الناصر محمد بن قلاوون ولقرب الباب من المناطق الآهلة بالسكان كانت تقوم فرقة خاصة من حراس الباب والأسوار بدق الطبول فوق سطحه بعد صلاة العصر،وفي عهد المؤيد شيخ حدث تعديل معماري استغل فيه المعمار برجي الباب لبناء منارتين ولأهمية موقعه عمل في الجانب المطل على الرحبة من البرج الغربي إيواناً لجلوس السلطان لمشاهدة موكب الحج، وعلى هذا الباب شنق طومان باي بعد أن تم للعثمانيين السيطرة على مصر وإنهاء حكم المماليك،واستغل هذا الباب منذ وقت مبكر للتشهير بالمجرمين بتعليق رءوسهم عليه ليشاهدها المارة بكثافة من هذه البوابة، وتغير اسمها من باب زويلة إلى بوابة المتولي في إطار ما سبقت الإشارة إليها يسجل صوراً أخرى من تاريخها.

أما بالنسبة للسور الجنوبي فإن القطاع شرقي باب زويلة ما زالت بقاياه خلف المنازل التي تطل على شارع الدرب الأحمر ويمكن الكشف عنها وتحريرها من الاعتداءات التي حدثت عليها، أما القطاع غربي باب زويلة فقد هدم عند إنشاء جامع المؤيد ٨١٨هـ/١٤١٥م وحل محله الجدار الجنوبي للجامع[2].

باب البرقية:

كشف عن هذا الباب سنة ١٩٥٧م في إطار ما كانت تقوم به محافظة القاهرة من إزالة لبعض تلال البرقية في منطقة الدراسة، ولم يرد في كتاب الخطط للمقريزى- الذي بين أيدينا- أي تفاصيل معمارية عن هذا الباب سوى الإشارة إلى

---

(١) المقريزى: خطط جـ١ ص ٣٨٠، عبد الرحمن فهمي محمد، المرجع السابق، ص ١٧.

(٢) المقريزى: خطط جـ١ ص ٣٧٩.

اسمه، ولكن اللوحة التأسيسية التي كشف عنها عند كشف هذا الباب نقشت عليها كتابات تتضمن بعض المعلومات المهمة عن هذه البوابة وقد نقش نص التأسيس في خمسة أسطر نصها:

١) بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله على ولى الله صلى الله عليهما وعلى الأئمة من ذريتهما أجمعين (آية الكرسي).

٢) بعز الله العزيز الجبار يحاط الإسلام وتنشأ المعاقل والأسوار رأي إنشاء هذا باب التوفيق والسور المحيط بالمعزية القاهرة المحروسة حماها الله فتى مولانا وسيدنا معد أبى تميم الإمام المستنصر.

٣) بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبى النجم بدر المستنصرى عضد الله به الدين ومتع بطول بقائه.

٤) أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته الذي حصن الله بحسن تدبيره الدولة والأنام وشمل صلاحه الخاص والعام ابتغاء ثواب الله ورضوانه وطلب وصلة وإحسانه وصان كرسى الخلافة وازدلافاً إلى الله بحياطة الكافة بدئ بعمله في محرم سنة ثمانين وأربع مائة للهجرة الحنيفية.

وبمراجعة النص نجد أنه يبتدئ بالصلاة على النبي وعلى عَلِيَ وعلى الأئمة من ذريتهما وهي إشارة تؤكد نسب الفاطميين إلى على وأنهم من آل البيت وهو أمر درج على التأكيد عليه كاتبو معظم نصوص التأسيس الفاطمية خاصة في أبواب القاهرة أبرز مواضع الإعلام.

كما تتضمن الكتابة نصاً قرآنياً هو آية الكرسي ولاختيار هذه الآية دلالات سبقت الإشارة إليها، ثم يلي ذلك الإشارة المهمة إلى أن بدر اختار لهذا الباب اسم "باب التوفيق" وهو أمر يدل من جهة على أن بدر الجمالي للمرة الثالثة يختار أسماء جديدة لأبواب أسواره، ومن جهة أخرى يشير مسمى هذا الباب "باب التوفيق" إلى الروح والمناخ الذي كان يتم فيه بدر الجمالي أعماله، خصوصًا إذا قارنا بين هذا

المسمى لهذا الباب وبعض النصوص التأسيسية الأخرى الذي أنشئت في فترة معاصرة على يد بدر الجمالي نفسه وذكر فيها اسمه ابتدأها بالبسملة ثم بالنص القرآن "وما توفيقي إلا بالله" ومنها نص تأسيس جامع الروضة بالمقياس"(١).

ثم وردت الإشارة إلى أن هذا الباب والأسوار المحيط بالمعزية القاهرة من إنشاء بدر الجمالي ثم وردت بعد ذلك الإشارة إلى ألقابه وسياسته كما وردت في نصوص بابي النصر والفتوح، كما وردت الإشارة إلى البدء في تاريخ البناء في محرم ٤٨٤هـ، وإذا كان هذا التاريخ يشير إلى بناء هذه البوابة بدأ في المحرم ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م فإنه يبدو أن أعمال البناء في الأسوار قد استمرت حتى بعد وفاة بدر الجمالي نفسه سنة ٤٧٨هـ/١١٩٤م حسبما ذكر الصيرفي(٢).

ومن المهم أن نشير إلى تسمية المدينة في هذا النص هو تكرار لما سبقت الإشارة إليها في نصوص بابي النصر والفتوح بأن المدينة سميت في النص "المعزية القاهرة المحروسة".

ومن الجدير بالذكر أنه على بعد مترين من الجهة الجنوبية لهذا الباب كشف الدكتور فريد شافعي عن بقايا ذكر أنها لسور من اللبن، ولاحظ أن قوالب اللبن ذات حجم كبير حيث يبلغ طولها ٤٠ سم، وعرضها نحو ٢٠ سم، وسمكها ٨ سم، مبنية بمونة سميكة، ويبلغ عرض السور نحو ٣,٥ متر وهذه أبعاد أعتقد أنها توافق إلى حد ما ذكره المقريزى في وصفه لسور جوهر، مما يوحي بالظن بأن هذا السور هو من بقايا السور الأول لجوهر وفي إطار ذلك فإن بدر الجمالي ربما دعم السور أو أعاد بناءه بنفس مادة الطوب اللبن، ولا يمكن الجزم بأنه أعاد ترميم السور القديم أو

---

(١) Van Berchem: Op. Cit., V. 7, pp. 266-276.

(٢) الصيرفي (أمين الدين أبو القاسم على بن منجب بن سليمان ت ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م)، الإشارة إلى من نال الوزارة،تحقيق أيمن فؤاد السيد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٩٠، ص ٩٧، أسامة طلعت عبد النعيم خليل، أسوار صلاح الدين وأثرها في امتداد القاهرة حتى عصر المماليك، ماجستير مقدم لكلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٢، ص ١٧.

أنه بنى سوراً جديداً من اللبن أو الحجر لأن السور الشرقي من أسوار القاهرة لبدر الجمالي لم يتم الكشف عنه حتى الآن بطريقة علمية سليمة نطمئن معها في القول برأي واضح(١).

وباب التوفيق عبارة عن بوابة صغيرة نسبياً إذا ما قورنت بمباني زويلة والفتوح والنصر، ولم يتبق منها سوى قطاع من واجهتها الخارجية الشرقية كشفت عنه أثناء أعمال إزالة الأتربة المكونة لتلال البرقية في الفترة من سنة ١٩٥٥ إلى سنة ١٩٥٧ بمعرفة مصلحة الآثار في ذلك الوقت، ففي شهر مايو عام ١٩٥٧م تم الكشف عن بقايا الباب الذي أنشأه بدر وورد اسمه في نص التأسيس- كما سبقت الإشارة- بباب التوفيق، وهذا الباب بنى في مقابلة باب البرقية بأسوار جوهر.

ولم يتبق من البوابة سوى عضادتيها اللتين تكتنفان فتحة باب يبلغ اتساعها ٤,٥ متراً، ويتقدم أعلى فتحة الباب عقد يليه العقد الذي يعلو فتحة الباب وهو مدبب الشكل، وبين العقدين شق يرتفع إلى أعلى حتى مستوى سطح البوابة وبه من أعلى أربع فتحات "سقاطات" ويعلو العقد الذي يعلو فتحة الباب اللوحة التأسيسية التي سبقت الإشارة إلى نصها كاملاً، ويتوصل من فتحة الباب إلى رحبة المدخل التي يعلوها قبو برميلي بصدرها بفتحة معقودة بعقد مدبب ويبلغ اتساع طولها من الشرق إلى الغرب ٦ أمتار وعرضها من الشمال إلى الجنوب ٥,٨٠ متر تقريباً.

وفي إطار ما ورد في المصادر التاريخية والأدلة الأثرية يتضح أن هذا الباب ظل مستخدما حتى زمن الحملة الفرنسية (١٢١٦-١٢١٩هـ - ١٧٩٨-١٨٠١م) بدليل وجود حرف (A) اللاتيني محفوراً على صنجة مفتاح عقد المدخل حتى الآن وبنفس الأسلوب الذي سجلت به أسماء ضباط الحملة الفرنسية على باب النصر،وكان يطلق على هذا الباب في زمنهم اسم باب الغريب نسبة إلى ضريح بالقرب منه يقال له ضريح سيدي محمد الغريب، أو نسبة إلى جامع عبد الرحمن كتخدا المعروف باسم

---

(١) عبد الرحمن فهمي محمد، المرجع السابق، ص ١٨.

جامع الغريب بالقرب منه[1]، ويذكر الجبرتى "أن الفرنسيين سدوا هذا البـاب سـنة ١٢١٩هـ/١٨٠٠م ثم فتح سنة ١٢١٨هـ/١٨٠٣م لمرور الجنازات منه"[2].

أسوار القاهرة في عهد وزارة صلاح الدين للخليفة العاضد

أولاً: وصف السور غربي برج السلم الغربي بالسور الشمالي

يمتد السور غربي برج السلم الغربي ويتوصل إلى هذا القطـاع مـن السـور بواسطة مدخل أعلى السور ملاصق للضلع الغربي لبرج السلم الغربـي مـن أعلـى السطح، وهذا المدخل يبلغ قياسه من الداخل ٣,٤٠ متر طولاً من الشرق إلى الغرب و ١,٤٥ متراً عرضاً من الشمال إلى الجنوب، وهو يتكون من حائطين جانبيين يبلغ سمك كل منهما ما يزيد عن المتر، بينهما قلبة سلم يتكون من ست درجات وبسـطة يبلغ اتساعها ١,٤٤ متر، وفي صدر هذا السلم يوجد باب وهـذه البسـطة مغطـاة بسقف مسطح، ويتوصل من هذا الباب إلى بسطة أخرى يبلغ طولهـا ٣,٠٨ متـر وقلبه من ثلاث درجات هابطة إلى ممر السور والذي ينخفض عن مسـتوى سـطح البرج الغربي بحوالي ٢,١٦ متراً، ويلاحظ أن الممر ينحدر منخفـضاً قلـيلاً إلـى الخارج لأغراض صرف الماء.

البرج ذو الواجهة المستدير:

على بعد مسافة ٦٢,٤٤ متراً من برج السلم الغربي نصل إلى بـرج مختلـف نوعاً عن الأبراج التي سبقت الإشارة إليها حيث إن قطاعه الداخلي مسـتطيل يبلـغ اتساعاً قدره ١١,٦٣ متراً وواجهته من الخارج تأخذ شكل ثلاثة أرباع الدائرة بقطر يصل في أقصى اتساع إلى ٩,٣٠ متراً، ويبلغ قياس هذا البرج مـن الشمال إلـى الجنوب (من الواجهة إلى الجانب الخلفي) ١٥,٨٤ متراً وارتفاع هذا البرج ودروته

---

(١) آمال العمرى، على الطايش: المرجع السابق، ص ٢٦.

(٢) الجبرتى (عبد الرحمن) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبـار، دار الجيـل، بيـروت جـ٢ ص ٤٣٢، ٦٠٩، آمال العمرى، على الطايش: المرجع السابق، ص ٢٦.

١٧,٢٩ متراً ويبلغ ارتفاعه عن ممر السور من أعلى ٨,٤٨ متراً،وبناء البرج مسمط إلى مستوى السور فيما عدا بناء السلم في الجانب الخلفي، ويتوصل إلى داخل هذا البرج من أعلى السور من خلال ممر يعلوه قبو قطاعه نصف مستدير ويؤدى هذا المدخل إلى حجرة كبيرة يبلغ طولها ١١,١٦ متر وعرضها ٥,٦٩ متر وارتفاعها ٥,٤٥ متر وهذه الحجرة جانبها الخارجي في هيئة مقوسة، ويوجد في هذا الجانب من الواجهة خمس دخلات بصدر كل منها مزاغل، وقد حدث تعديل في فتحات المزاغل ليتناسب مدافع الحملة الفرنسية وترتفع أرضية هذه الدخلات من أرضية الحجرة بمقدار ٢٧ سم، ويلاحظ أن هذه الدخلات مغطاة بأقبية طولية ثلاثة منها قطاعها مدبب وفي الجانب الجنوبي (الخلفي) من الحجرة يوجد دخلة طويلة مغطاة بقبو وبها نافذة اتساعها ٤٧ سم، وارتفاعها ٨٢ سم تطل على داخل المدينة من الجهة الجنوبية، كما يوجد سلم في القطاع الداخلي من الدخلة جهة اليمين يبلغ اتساعه ١,٢٢ متر، ومن سلم هذا البرج نهبط ١٤ درجة إلى بسطة يضيئها نافذة قياسها ٢٦×٩٦سم يعلوها عتب منحوت بهيئة مقوسة وتطل هذه النافذة مع الجانب الجنوبي، كما توجد نافذتان أخريان في الجهة الغربية ثم يهبط السلم إلى مستوى الشارع. حيث يوجد باب في الجهة المقابلة للسور.

وبالعودة إلى الحجرة التي تعلو البرج، ومنها نصل إلى ممر مقبى يشبه الممر الذي دخلنا منه إلى هذا البرج يؤدى إلى بقية أعلى السور في الاتجاه الغربي،والسلم المؤدى إلى السطح من الجانب الجنوبي لهذا الممر ووضع هذا السلم بهذا الشكل يوضح أن البرج أسمك في هذا الجانب من الجانب الآخر المقابل ويتوصل من هذا السلم إلى سطح البرج بصعود خمس درجات تؤدى إلى بسطة يضيئها نافذة تطل على الجهة الجنوبية، ويبلغ قياسها ٣٦×٨٤ سم، ثم يصعد قلبة أخرى من ١٩ درجة حتى نصل إلى سطح البرج، ويلاحظ أن الأرضية الأصلية للسطح بحالة جيدة ولكن فتحات الرمي من الشرافات قد أزيلت في سنة ١٨٠٠م وبنى بدلاً منها دروة ارتفاعها ١,٨٦ متر مهيئة للضرب بالمدافع(١).

---

(١) Creswell, Op. Cit., pp. 182-184..

وبعد الخروج من هذا البرج من الممر الغربي نصل إلى بسطة طولها ٢,٣٨ متراً تنتهي إلى ثلاث درجات هابطة ولهذا القطاع سترة خارجية بها مزغلان ويعلوها شرفات، ويبلغ سمك السور في هذا القطاع ٤,٠٥ متراً والمسافة بين هذا البرج والبرج الذي يليه ٨٩,٠٤متراً، وفي منتصف هذه المسافة توجد سقاطة محمولة على خمسة كوابيل تشبه تلك السقاطة التي سبقت الإشارة إليها عند وصف باب النصر وإن كانت الكوابيل أكثر بساطة[١]، وينتهي السور ببرج الزاوية المضلع وهو البرج الذي ينعطف عند السور في اتجاه الغرب وهذا البرج من إنشاء صلاح الدين في العصر الأيوبي.

وفي إطار هذا الوصف يتضح أن هناك اختلافاً معمارياً في شكل الأحجار حيث ظهر استخدام الحجر المبوص يظهر بكثرة في البناء فوق قطاعات مبنية بالحجر المنحوت، وأخذ عددها يزداد في البناء ابتداء من انقطاع السور من غرب البرج الغربي للسلم حتى أنه في المنطقة التي تجاور البرج النصف المستدير الذي يلي برج السلم يبدو النصف العلوي من السور مبنى بهذه النوعية من الحجر. كما أن ثلثي بناء البرج نصف المستدير من أعلى بنيت بهذه النوعية من الحجر.

وتزداد هذه النسبة من الأحجار في البناء كلما اتجهنا غرباً حتى منتصف المسافة من البرج النصف مستدير وبرح الزاوية تقريباً حيث نصل إلى خط متعرج مائل تختلف من أحجار البناء في شرقيه عن غربيه حيث أصبح ارتفاع المداميك أقل كما أن قطع الحجر المستخدمة أصبح طولها أيضاً أقل إذا ما قورنت بقطع الحجر الكبيرة في شرقي هذا الخط المتعرج، وقد بنى هذا الجزء أيضاً بأسلوب السهل والحمل وهو الأسلوب الذي شاع في العصر الأيوبي بعد ذلك،واستمر البناء بهذا الأسلوب غربي هذا الخط في الجزء الباقي من السور حتى برج الزاوية الشمالية الغربية، وفي السور الذي ينعطف بعد ذلك في الاتجاه الجنوبي الغربي أيضًا، ويحتمل أن تكون السقاطة التي وضعت في منتصف السور بين البرج النصف مستدير وبرج

---

(١) Creswell: Op. Cit., p. 195.

الزاوية المضلع من عمل صلاح الدين، ولم تكن هناك قبل ذلك[1].

كما يلاحظ أن بناء برج الزاوية استخدم فيه عناصر مختلفة من التغطية في أسوار بدر خاصة الأقبية الطولية، ذات القطاع المدبب والأقبية المتقاطعة المتداخلة، كما أن شكل المزاغل والسلالم مختلف وهو أمر معه يمكن نسبتها جميعاً إلى أعمال صلاح الدين في العصر الأيوبي.

وفي إطار ما سبق يتضح أن أعمال بدر الجمالي في السور الشمالي الباقية غرب برج السلم الغربي المجاور لباب الفتوح تتمثل في القطاعات السفلية من السور وكذلك الأجزاء السفلية من البرج النصف المستدير، والأجزاء القبلِية من السور غربية على بعد حوالي ٥٠ متراً إلى حدود الخط المتعرج الذي يختلف بعده أسلوب البناء تماماً.

ثانياً: أعمال صلاح الدين في أسوار القاهرة في العصر الفاطمي:

تشير المصادر التاريخية إلى أن صلاح الدين الأيوبي الذي تولى الوزارة في العصر الفاطمي في الفترة من (٥٦٤-٥٦٧هـ / ١١٦٩-١١٧١م) قام في سنة ٥٦٦هـ ١١٧٠م بإصلاح أسوار القاهرة خصوصًا أن الخطر الصليبي كان يتهدد الدولة الفاطمية بقوة، وأحس صلاح الدين بخطورته بعد فشل حملتهم سنة ٥٦٤هـ/١١٦٩م وقد بدأ هذا الإصلاح بعد ما تهدم الجزء الأكبر منها حيث لم تعد الأسوار تمنع غادياً ولا رائحاً[2]، وفي ذلك إشارة واضحة إلى أن أسوار بدر لم تقم بوظيفتها التي أنشئت من أجلها أكثر من ثمانين عاماً.

وفي إطار هذه الحقيقة يرى الدكتور فريد شافعي وغيره "أن أسوار بدر لم تكن كلها بالحجر وإلا لما كانت هناك حاجة إلى أن يقوم صلاح الدين وهو وزير فاطمي

---

(١) عبد الرحمن فهمي محمد، المرجع السابق، ص ٢٠.

(٢) أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق محمود حلمي أحمد محمد، لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٧٦، جـ١ ق ٢، ص ٤٨٨.

ببناء أسوار جديدة بعد ثمانين عاماً من أسوار بدر الجمالي،وكان يكفيه على سبيل المثال أن يقوم بتدعيم بناء هذه الأسوار أو إعادة بناء ما تطرق إليه التلف من أسوار بدر كما فعل في الطرف الغربي من السور الشمالي، ولعل مما له دلالته أن الظروف المالية التي تولى فيها صلاح الدين الوزارة للعاضد كانت أفضل بكثير مما كانت عليه في عهد بدر الجمالي ولعله عمل أجزاء من أسوار القاهرة أسست باللبن توفيراً للنفقات"[١].

وكما هو واضح فإن الدكتور فريد شافعي بنى رأيه في إطار ما كشف من بناء باللبن جنوبي باب البرقية على بعد مترين يبلغ عرضه ثلاثة أمتار وبنى بطوب قياسه ٤٠×٢٠×٨سم، وهو بناء ظن معه أنه قطاع من أسوار جوهر دعمها بدر توفيراً للنفقات وهذا التفسير لا يقبله كثير من الآثاريين خاصة وأنه أثناء بناء مستشفي الحسين الجامعي كشف عن بقايا من أسوار جوهر تم تدميرها للأسف الشديد[٢]، وهو أمر غير مقبول من وجهة النظر الأثرية التي تحدد امتداد مسار السور الشرقي لجوهر، وكذلك ما أشار إليه المقريزى عن حجم الطوب في أسوار جوهر والذي بلغ ذراعًا عرضاً أي (٥٢ × ٢٦سم) حسب قياس الذراع الشرعي على الأقل[٣].

وإذا كانت أسوار بدر قد تهدمت في كثير من أجزائها، فإن صلاح الدين بدأ في إصلاح وإعادة ما تهدم منها في الفترة التي كان فيها وزيراً للفاطميين وعلى وجه التحديد عام ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م[٤]، وهي فترة كانت قد اقترب منها صلاح الدين من

---

(١) عن عبد الرحمن فهمي: المرجع السابق، ص ٣١

(٢) رواية شفهية عن : الآثارى خالد العزب، نقلاً عن بعض المشاركين في بناء هذه المستشفى.

(٣) محمد عبد الستار عثمان: الإعلان بأحكام البنيان لابن الرامي، دراسة أثرية معمارية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٩، ص ٢٢١
أبو شامة: المصدر السابق، جـ١ ق ٢ ص ٤٨٨.

(٤) أبو شامة، المصدر السابق، جـ١ ق ص ص٤٨٨، عبد الرحمن زكى، القاهرة تاريخها =

الوصول إلى كرسى الحكم، ولم يعد فيها للخليفة العاضد حولاً ولا قوة، ويبدو أن هذه الرؤية في إصلاح ما بقى من أسوار بدر كانت الإرهاصة الأولى لمشروعه الكبير الذي نفذه بعد الوصول إلى السلطة عندما شرع سنة ٥٦٩/٥٧٢هـ (١١٧٣-١١٧٧م) في بناء سوره الذي يضم القاهرة مع عواصم مصر الإسلامية جنوبها، وبناء مركز للحكم بعيداً عن قلب القاهرة تمثل في قلعته على المقطم جنوب شرق القاهرة.

ورغم قصر المدة بين أعمال صلاح الدين في أسوار القاهرة أثناء ولايته للوزارة وبين البدء في مشروعه لإنشاء سوره الذي يضم عواصمَ مصر الإسلامية وقلعته فإن فحص ما تبقى من منشآت صلاح الدين في الفترتين فحصاً معمارياً واعياً يساعد إلى حد كبير على تحديد أعمال صلاح الدين في أسوار القاهرة في العصر الفاطمي بصورة واضحة إلى حد كبير خاصة في السور الشمالي في القطاع الذي يقع غربي البرج الغربي للسلم المجاور لباب الفتوح.

فمن خلال الوصف المعماري لهذا القطاع أمكن بسهولة تحديد عمل إصلاح وإعادة بناء للأجزاء التي تهدمت من سور بدر حيث بقيت الأجزاء السفلى من بناء بدر الجمالي والتي يمكن تمييزها بمقاييس مداميك أحجارها الكبيرة إذا ما قورنت بأعمال صلاح الدين في العصر الأيوبي، وكذلك نحت هذه الأحجار نحتاً أملساً يختلف عن شكل الحجر المبوص الذي وضح في أعمال صلاح الدين في ترميم وإعادة بناء السور وكذلك شكل الأحجار المبوصة في أعمال صلاح الدين التي أنشئت ويمكن نسبتها بصراحة إلى العصر الأيوبي.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الحجر المبوص في أعمال الترميم وإعادة البناء في أعمال صلاح الدين حتى الخط المتعرج الذي يبعد خمسين متراً تقريباً عن البرج نصف المستدير بالسور الشمالي من جهة الغرب يختلف من شكل الحجر المبوص في أعمال صلاح الدين التي ترجع إلى العصر الأيوبي والمتمثلة في قطاع السور

= وآثارها ٩٦٩/١٨٢٥م، من جوهر القائد إلى الجبرتى المؤرخ، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦، ص٦٦.

الشمالي غربي الخط المذكور وبرج الزاوية وأعمال صلاح الدين في القلعة، حيث إن الأحجار في القطاع الأول المحصور بين برج السلم الغربي والخط المتعرج قياساتها أكبر، كما أن الحواف المنحوتة عرضها ٨سم، كما أن السطح المبوص للحجر لا يزيد بروزه عن سنتيمتر واحد، وهو شكل يختلف عن شكل الحجر المبوص في أعمال صلاح الدين التي ترجع إلى العصر الأيوبي.

كذلك يلاحظ أن العقود التي تعلو الفتحات في هذا القطاع من السور من النوع نصف المستدير وكذلك الأقبية قطاعاتها نصف مستديرة وهي تختلف عن العقود والأقبية التي استخدمت في المنشآت الحربية المنسوبة صراحة إلى صلاح الدين والتي تتمثل في القطاع غربي الخط المتعرج، وبرج الزاوية الشمالية الغربية المضلع والتي أصبحت مدببة القطاع، كما استخدم في هذه الأعمال أنواعاً أخرى من الأقبية مثل الأقبية المتداخلة المتقاطعة.

كما أن ظهور الروابط الرخامية في القطاعات السفلى من البرج نصف المستدير يشير إلى أن هذا القطاع يرجع إلى بدر الجمالي وأن صلاح الدين استكمل بناء البرج في هذه الفترة، كذلك فإن اختلاف أسلوب البناء في غرب الخط المتعرج وشيوع استخدام أسلوب البناء بالسهل والحمل في هذا القطاع بشكل مختلف عما كان عليه الحال في أسوار بدر الجمالي يجعل من السهولة بمكان نسبة هذه الأعمال الترميمية من السور الشمالي حتى المسافة التي تلي البرج نصف المستدير لصلاح الدين عندما كان وزيراً للفاطميين، ويمكن القول بأن ما بنى غرب هذا القطاع والذي بنى بأسلوب مختلف يشبه بناء برج الظفر يرجع إلى أعمال صلاح الدين عندما أصبح سلطاناً وبدأ مشروعه الكبير لإنشاء سوره حول عواصم مصر الإسلامية، ويرجع ذلك أسلوب بناء برج الزاوية المضلع وعناصره وكذلك بقايا السور الغربي الذي يبدأ من برج الزاوية في الركن الشمالي الغربي ويتجه جنوباً حتى باب القنطرة ومنه إلى باب الشعرية ويستمر حتى باب البحر حيث البرج الذي أشارت المصادر إلى أنه بنى عند المقس على النيل في موضع مسجد أولاد عنان الذي يطل الآن على ميدان رمسيس

في مقابل محطة السكة الحديد[١].

وإذا كان كريسويل يعتقد في إطار ما سبق عرضه من وصف لقطـاع الـسور غربي برج السلم الغربي واستمراراً حتى البرج نصف المستدير والمسافة من السور التي تليه على بعد ٥٠ متراً من هذا السور، أن هذا القطاع يمكن نسبته إلـى بـدر الجمالي في إطار ما عرضه من إمكان إعادة استخدام مواد بناء ترجع إلـى مبـان مصرية قديمة[٢]. فإن هذا الرأي يمكن مراجعته وتحديداً أن القطاعات السفلية منـه كانت لبدر الجمالي ولكنهـا تهـدمت وأعـاد بناءهـا صـلاح الـدين فـي عـام ٥٦٦هـ/١١٧٠م، ثم أكمل بناء السور الشمالي في طرفه الغربي،وبـرج الزاويـة والسور الغربي وكذلك الزاوية في الركن الشمالي الـشرقي،وبرج الظفـر والـسور الشرقي بأبراجه في المرحلة التي أصبح فيها سلطاناً ضم مشروعه لإحاطة القـاهرة وعواصم مصر الإسلامية بسور واحد، ويؤكد ذلك ما كشف من أبراج فـي الـسور الشرقي وما كشف حديثنا سنة ٢٠٠٠م من بعض قطاعات هذا السور وأبراجه عند إنشاء نفق الأزهر وفي القطاع الجنوبي منه والذي تشرف على توثيقـه وترميمـه مؤسسة الأغاخان.

وفي إطار ما سبق يتضح أن أعمال صلاح الدين في أسوار القاهرة في العـصر الفاطمي والذي يمكن نسبتها إليه هي قطاعين من السور الشمالي القطاع غربي برج السلم وحتى البرج نصف المستدير الذي يليه ومسافة حوالي ٥٠ متراً غربـي هـذا البرج، وكذلك القطاع شرقي باب النصر حتى برج الزاويـة فـي الـركن الـشمالي الشرقي "برج الظفر"، أما طرف السور الشمالي الغربي والبرج في الركن الـشمالي الغربي المضلع، ثم بقايا السور الغربي التي بقيت منه بعض الأجـزاء قـرب بـاب الشعرية،وكذلك برج الزاوية في الركن الشمالي الشرقي "برج الظفر" وكذلك الأبراج الثلاثة بين برج الظفر وشارع المنصورية، والبرج الذي كشف عنه أثناء عمل نفق الأزهر ٢٠٠١م ثم ما كشف عن أسوار في اتجاه الجنوب حتى برج الزاوية الجنوبية

---

(١) Creswell, Op. Cit., p. 195.

(٢) Ibid. p. 196.

الشرقية الذي يطلق عليه البرج المحروق وما كشفته فهو في الغالب من أعمال صلاح الدين حيث إن تفاصيله المعمارية تنتمي إلى هذا العصر.

ويعتقد بعض الآثاريين أن أعمال صلاح الدين في السور الشرقي كانت تدعيماً وتجديداً لأعمال بدر الجمالي[1]، وهو رأي تخالفه الكشوفات الأثرية الحديثة في القطاع الجنوبي من هذا السور والتي يتضح من توثيقها المبدئي أنها ترجع إلى صلاح الدين في الغالب.

---

(١) عبد الرحمن فهمي محمد، المرجع السابق، ص ٢٥.

الفصل الرابع

العمارة المدنية في القاهرة والفسطاط

المبحث الأول

العمائر المدنية الفاطمية في القاهرة

تنوعت العمائر المدنية الفاطمية وازداد هذا التنوع في كل مرحلة من مراحل عمران المدينة في العصر الفاطمي، والعمائر المدنية الفاطمية تتنوع ما بين منشآت إدارية ومنشآت سكنية منها ما يخص رجال الحكم والإدارة ومنها ما هو ملكية خاصة لأصحابها من سكان القاهرة، وفي مرحلة لاحقة أنشئ بالقاهرة منشآت تجارية كبيرة كدار الوكائل والقيساريات، بالإضافة إلى ما كان بها من الحوانيت والأسواق وغيرها.

ويأتي على رأس العمائر المدنية بالقاهرة القصور الفاطمية وأهمها القصر الشرقي الكبير والقصر الغربي الصغير، ومن هذه القصور ما أنشئ خارج أسوار القاهرة كالمناظر والقصور على شاطئ الخليج غربي القاهرة، أو في الروضة، هذا بالإضافة إلى المتنزهات والبساتين الأخرى.

وبديهي أن نبدأ في دراسة العمائر الفاطمية بالقصور الفاطمية وبخاصة وأن مدينة القاهرة كانت مدينة ملكية وخططت على الرسم الملكي -كما سبقت الإشارة- وبالرغم من أن هذه القصور قد درست وزالت فإن ما ورد في بطون المصادر من كتب الرحلات والخطط، وكذلك ما تناثر في المصادر الأخرى من أخبار عن هذه القصور، هذا بالإضافة إلى قليل مما كشف عنه من عناصر معمارية من هذه القصور يمكن أن يعطى تصوراً ما عن عمارة هذه القصور.

ويجدر قبل أن نعرض للتفاصيل المعمارية الخاصة بهذه القصور أن نقدم بعض الأوصاف العامة التي وردت في المصادر كوصف ناصر خسرو الرحالة الفارسي، وغليوم رئيس أساقفة صور الذي سجل مشاهدات زيارة السفراء الفرنج لقصر الخلافة صحبة الوزير شاور، وما سجله المسبحى أيضاً من أحداث في كتابة أخبار مصر في سنتين ٤١٤-٤١٥هـ/ (١٠٢٣-١٠٢٤م) الذي أورد بعض الأحداث التي

تشير ضمنا على عظمة قصر الخلافة الفاطمية، وقد آثرنا اختيار ما ذكره هؤلاء الثلاثة بصفة خاصة باعتبار معاصرتهم للعصر الفاطمي الذي كانت القصور فيه ما زالت محتفظة برونقها وعظمتها، ولم تتعرض بعد للإهمال والاندثار والتغيير والتعديل والهدم لإنشاء مبان أخرى في مواضعها في العصرين الأيوبي والمملوكي.

وقد وردت في رحلة ناصر خسرو أوصاف عامة للقاهرة وأبوابها وقصورها ودورها، ويهمنا الآن أن نعرض ما ذكره بصفة خاصة عن القصور الفاطمية بالقاهرة، ففي بداية حديثه عن بناء القاهرة بواسطة جوهر في موضع القاهرة التي كان فضاء خالياً من البناء أشار ناصر خسرو إلى أن جوهر "بنى في ذلك الفضاء الواسع للمعز لدين الله قصراً وأمر أفراد حاشيته باتخاذ المنازل وصار الموضع مدينة عديمة النظير"[1].

ثم أشار إلى أن هذا القصر الذي هو قصر الخلافة يقع في قلب مدينة القاهرة،وحوله فضاء واسع من جميع جوانبه ولا يسمح لأي شخص بالبناء بالقرب منه، ولقد ذكر المعماريون أن المساحة المحيطة بالقصر تعدل مدينة "ميافارقين"[2])، ويقوم على حراسة القصر ليلاً ألف حارس مسلح، خمسمائة فارس وخمسمائة راجل، وتظل أصوات الطبل والمزامير السلطانية تسمع في كل أنحاء المدينة منذ غروب الشمس حتى طلوع الفجر"[3].

وفي إطار ما ذكره ناصر خسرو في النصين السابقين يتضح أن القصر كان من أول المنشآت التي بدأ بها جوهر في إنشاء المنشآت المدنية، وكان البدء في إنشاء

---

(١) ناصر خسرو، الرحلة، ص ٩٤.

(٢) هي مدينة الرقة وتقع على بعد كيلو متر من نهر الفرات بشمال العراق، أنشأها المنصور سنة ١٥٥هـ وقد بقيت بعض آثارها ونحت بها كثير من التحريات والتنقيبات الأثرية التي أوضحت معالم أسوارها وبواباتها، حسنى نويصر، المرجع السابق، ص ص ١٥٤-١٥٧.

(٣) ناصر خسرو، الرحلة، ص ٩٤.

هذا القصر ليلة الثامن عشر من شعبان سنة ٣٥٨هـ/ يوليو ٩٦٩م، أي مع بناء الأسوار وفي ذات الليلة حيث تم حفر الأساس.

كما توضح رواية ناصر خسرو أيضا موضع القصر في قلب المدينة،واستحواذه على مساحة كبيرة من المدينة، والحفاظ على بقاء المناطق المحيطة خالية من البناء وهو ما يشير إلى أن القصر الذي بلغت مساحته سبعين فداناً كان يحيط به مساحات خالية من البناء تسهل حراسته ودخول وخروج المواكب منه، كما أنه في ذكر عدد أفراد الحراسة ليلاً الذي بلغ ألفاً نصفهم راكبون ونصفهم راجلون ما يشير إلى ضخامة هذا القصر وتعدد بناياته وأبوابه وممراته،وطرقاته وسراديبه التي تحتاج كل هذا العدد من الحراس.

ثم يواصل ناصر خسرو وصفه لقصر الخلافة فيذكر أنه يبدو "من خارج القاهرة كجبل عظيم شديد الارتفاع، شامخ الشرفات، أما من داخل القاهرة فلا يكاد المرء يرى شيئاً منه لأن حوائطه عالية جداً"[(١)]، وفي هذا القول ما يشير إلى بناء القصر بالحجر، وارتفاع مبانيه حتى أن من يكون خارج القاهرة يستطيع رؤية القصر كجبل مرتفع لشدة ارتفاعه، وارتفاع مباني القصر دليل على تقدم أساليب الإنشاء في عمارة هذه القصور تلك الأساليب التي تساعد على إنشاء مبان بهذا الارتفاع كما تدل على أن بنايات القصر ربما كانت تتكون من أكثر من طابق،وفي هذا الوصف ما يشير أيضاً إلى أن أسوار القصر "حوائطه" كانت عالية جداً حتى أن من يكون داخل القاهرة قريباً من هذه الأسوار لا يستطيع رؤية البنايات الداخلية لارتفاع هذه الأسوار، ولاشك أن ارتفاع الأسوار وبناءها من الحجر وما اشتملت عليه من بوابات كان يضيف مظهر الفخامة على هذا القصر.

ويواصل ناصر خسرو حديثه عن قصر الخلافة، فيذكر أن الناس "يزعمون أن في القصر اثنى عشر ألف خادم، أما نساء السلطان وجواريه فلا يعلم أحد عددهم إلا

---

(١) ناصر خسرو، الرحلة، ص ٩٥.

تخميناً ويقولون إن تعداد كل من بالقصر يصل إلى ثلاثين ألفاً"[1]، وهذا القول وإن بدت فيه سمة المبالغة في تحديد العدد إلا أن القصور الفاطمية بما اشتملت عليه من مبان إدارية وخزانات يعمل بها كثيرون ويخدمهم كثيرون، وكذلك ما به من مبان سكنية خاصة بالخليفة وحريمه وخدمه يكشف عن أن هذه القصور كانت كثيرة البنيان زائدة العمران.

ثم ينتقل ناصر خسرو لذكر أبواب القصر ويحددها بعشرة أبواب ذكر أنها باب الذهب وباب البحر وباب الريح وباب الزهومة وباب السلام وباب الزبرجد وباب العيد وباب الفتوح وباب الزلاقة وباب السرية[2]، وإحصاء ناصر خسرو يزيد على إحصاء المقريزى بباب واحد، كما أن بعض الأسماء تختلف وهو ما سنعرض إليه في دراستنا عن أبواب القصر، لكن ما يهمنا هو أن نشير إلى أن زيادة عدد الأبواب-الذي وصل حسب رواية ناصر خسرو إلى عشرة-أمر له دلالته المتصلة بضخامة مساحة القصر من ناحية، وكثافة وتنوع حركة المرور من خلال هذه البوابات من ناحية أخرى، كما أنه من ناحية ثالثة يتصل بتحديد وظيفة معينة لكل باب من هذه الأبواب وارتباط هذه الوظيفة ببنايات القصر من الداخل أو بالمنشآت الأخرى خارجة كما ستوضحه الدراسة التفصيلية لهذه البوابات.

ثم يشير ناصر خسرو إلى أنه "يوجد تحت أرض القصر باب سرى يخرج منه السلطان عندما يغادر القصر، وللسلطان (يقصد الخليفة) قصر آخر خارج المدينة يتصل بهذا القصر الرئيسي بممرات سرية تحت الأرض، وبين القصرين نفق يربط بينهما"[3]، وفي هذه المشاهدة يوضح ناصر خسرو ما ذكره سابقاً من أن أبواب القصر بينها باب يسمى "باب السر" حيث يحدد هنا أن هناك باباً سرياً يؤدى إلى سرداب في باطن الأرض يصل قصر الخلافة بقصر آخر خارج المدينة، ويقصد هنا

---

(١) ناصر خسرو، الرحلة، ص ٩٥.

(٢) ناصر خسرو، الرحلة، ص ٩٥.

(٣) ناصر خسرو: الرحلة ص ٩٥.

"قصر اللؤلؤة" على شاطئ الخليج خارج السور الغربي، حيث كان هناك بالفعل سراديب تصل ما بين قصر الخلافة،والقصر الغربي الصغير، وقصر اللؤلؤة على الخليج.

ويكشف هذا الوصف عن نوعية أخرى من الأنفاق في باطن الأرض كانت تصل بين قصر الخلافة والقصر الغربي، وقصر اللؤلؤة على الخليج غربي السور الغربي للقاهرة، غير تلك الطرقات التي فوق سطح الأرض وهو ما يعنى وجود شبكتين من الطرق إحداهما فوق سطح الأرض على هيئة ممرات وطرقات،وشبكة أخرى من الأنفاق في باطن الأرض توفر مروراً سرياً آمناً للخليفة عند رغبته في الوصول إلى القصر الغربي أو قصر اللؤلؤة، وقد كشف عن قطاعات من هذه السراديب وآخر ما كشف عنه سرداب في موضع مسجد سليمان أغا السلحدار[١].

وينتقل ناصر خسرو لوصف السمة الرئيسية لقصور القاهرة ومنازلها، وهذه السمة تتمثل في وجود حدائق ملحقة بالدور والقصور حتى إنه يمكن القول بأن مساكن القاهرة في بداية عمرانها كانت من نمط المساكن الحدائقية، وهي سمة معمارية سادت في بلاد المغرب والأندلس ويبدو أنها من التأثيرات المعمارية المغربية.

ويسجل ناصر خسرو هذه الحقيقة المعمارية فيقول إن الإنسان يرى "في قلب القاهرة كثيراً من الحدائق التي تتخلل المنازل وتسقى من مياه الآبار، في الحرم السلطاني، "يقصد قصر الخليفة" حدائق كثيرة تصل إليها المياه عن طريق "الطواحين المائية"[٢].

---

(١) أثر رقم ٣٨٢ ويقع هذا المسجد على الجانب الغربي بشارع المعز شمال موضع القصر الغربي، وإلى الشمال الغربي من موضع قصر الخلافة، وهو ما يشير إلى اتجاه النفق في هذا الاتجاه نحو الخليج الذي كان يقع إلى الغرب.

(٢) يقصد السواقي التي ترفع الماء وربما كان ذلك خطأً من المترجم.

ناصر خسرو،الرحلة ص ٩٦.

ويأتي في هذا السياق محافظة الفاطميين على البستان الكافوري الذي تم ضمه في مرحلة لاحقة لعمارة القصر الغربي الصغير، كما تكشف اهتمام الفاطميين بإنشاء البساتين والمتنزهات الخضراء خارج القاهرة عن ثقافتهم التي تميل نحو إنشاء الحدائق كمكون أساسي في عمارة مساكنهم.

ويكشف وصف وليم الصوري لمشاهدات سفراء الفرنج في قصر الخلافة أيام الخليفة العاضد آخر خلفاء الفاطميين بصحبة الوزير شاور عن صورة للقصر الفاطمي الكبير في نهاية العصر الفاطمي، وفي هذا السياق يذكر أن السفراء الفرنج ساروا "يقودهم الوزير شاور إلى قصر له رونق وبهجة عظيمان، وُفيه زخارف أنيقة نضرة، وكان هؤلاء المبعوثون متأثرين بما حولهم حد التأثر دون أن يتطرق إلى نفوسهم أي خوف أو رهبة، ووجدوا في القصر حراساً عديدين، وسار الحراس في طليعة الموكب وسيوفهم مسلولة، وقادوا الفرنج في ممرات طويلة وضيقة وأقبية حالكة الظلمة، لا يستطيع الإنسان أن يتبين فيها شيئاً، ربما كان المقصود بذلك بعث الرهبة إلى قلوبهم وزيادة التأثير فيهم، فلما خرجوا إلى النور اعترضتهم أبواب كثيرة متعاقبة، كان يسهر على كل منها عدد من الحراس المسلمين الذين كانوا ينهضون عند اقتراب شاور ويحيونه باحترام، ثم وصل الموكب إلى فناء مكشوف تحيط به أروقة ذات أعمدة وأرضيته مرصوفة بأنواع الرخام متعددة الألوان، وفيها تذهيب خارق للعادة بنضارته وبهائه، كما كانت ألواح السقف تزينها الزخارف الذهبية الجميلة.

وكان كل ذلك موقفاً رائعاً وبهياً رائعاً، بحيث لا يملك أشغل الناس بالاً، وأكثرهم هماً، إلا أن يقف للإعجاب به، وكان في وسط كل فناء نافورة يجرى الماء الصافي منها في أنابيب من الذهب والفضة، إلى أحواض وقنوات مرصوفة بالرخام، وكانت ترفرف في الفناء أنواع لا حد لها من الطيور الجميلة ذات الألوان المغرقة في الندرة، مجلوبة من شتى أنحاء الشرق، ولم يكن أحد يرى هذه الطيور دون أن تصيبه الحيرة والدهشة إعجاباً بها، ودون أن يقول إن الطبيعة كانت تمرح وتلعب حين كونت هذه المخلوقات، ومن هذه الطيور ما كان يلزم النافورة، ومنها ما كان

يظل بعيداً عنها كل بحسب طبيعته، وكان لكل منها من الغذاء ما يوافقه.

وهنا استأذن الحراس الذين كانوا يسيرون في معية الفرسان الفرنج حتى ذلك الوقت في الرجوع وحل محلهم بعض العظماء من الأمراء المقربين للخليفة.

وسار هؤلاء الأمراء بالسفيرين الفرنجيين في أفنية أشد جمالاً وإبداعاً، ثم إلى حديقة لطيفة غناء لم تكن الحديقة الأولى شيئاً بجانبها، ورأوا في هذه الحديقة أنواعاً من الحيوانات ذوى الأربع غريبة بحيث يتهم المرء بالكذب إذا وصفها أو تحدث عنها، وبحيث لا يستطيع أي مصور أن يتخيل أو أن يحلم بمثل هذه الكائنات العجيبة، فإن الغرب لم ير قط مثل هذه الحيوانات، ولم يكن يعرفها إلا بما كان يسمع في الأقوال.

وبعد أن عبروا أبواباً عديدة أخرى،وساروا في تعاريج كثيرة كانوا يرون فيها أشياء جديدة تزيدهم دهشة وإعجاباً، وصل الفرنج إلى القصر الكبير حيث يقطن الخليفة وفاق هذا القصر كل ما رأوه قبل ذلك، وكانت أفنيته تفيض بالمحاربين المسلمين متقلدين أسلحتهم، وعليهم الزرد والدروع تلمع بالذهب والفضة، وعليهم سيماء الافتخار بما كانوا يحرسون من الكنوز، وأدخل المبعوثون في قاعة واسعة تقسمها ستارة كبيرة من خيوط الذهب والحرير المختلف الألوان، وعليها رسوم الحيوان والطيور وبعض صور آدمية، وكانت تلمع بما عليها من الياقوت والزمرد والأحجار النفيسة، ولم يكن في هذه القاعة أحد، ولكن شاور خر راكعاً فور دخوله، ثم نهض واقفاً ثم قبل الأرض ثانية وخلع السيف الذي كان يلبسه في عنقه، ثم خر ساجداً مرة ثالثة في ذلة وخشوع كأنه يسجد لله، وارتفعت الحبال فجأة وانكشفت الستارة الحريرية الذهبية بسرعة البرق كأنها ملاءة خفيفة. وظهر الخليفة الطفل "الخليفة العاضد" لأعين الفرنج المبعوثين، وكان على وجه هذا الأمير نقاب يخفيه تماماً وهو جالس على عرش من الذهب مرصع بالجواهر والأحجار الثمينة"[١].

---

(١) زكى محمد حسن،كنوز الفاطميين، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨١، ص ص ٧١-٧٥، عبد الرحمن زكى، القاهرة تاريخها وآثارها، ص ص ٢٠-٢١، أحمد عبد الرازق: المرجع السابق، ص ٢١٨.

ويكشف هذا الوصف عن بعض العناصر التخطيطية المهمة للقصر الشرقي الكبير كالممرات السطحية والأنفاق في باطن الأرض والأبواب المتعددة والأفنية التي يحيط بها أروقة بواسطة بائكات وما كان بهذه الأفنية من فساقي وأحواض للماء وتكرار هذه الأفنية الحدائقية مرتين قبل الوصول إلى "قصر الذهب" وما بينها من ممرات وأبواب متعددة، كما يكشف الوصف عن استخدام الرخام في تكسية الفساقى وفرش الأرضيات وزخرفة الرخام بالتذهب، كما وردت إشارات في الوصف إلى الأسقف الحجرية المسطحة المزخرفة بأجمل أنواع الرخام.

ولهذا الوصف أهمية خاصة حيث إنه يكشف عن منظومة المباني والطرقات التي تبدأ من بوابة القصر الرسمية حتى قصر الذهب التي تشتمل على الطرقات السطحية والأنفاق في تخوم الأرض، وما بهذه الطرقات من انكسارات، وما يشتمل عليه من مواضع للحرس، ثم البوابات المتعددة التي يتخللها فناءان حدائقيان أحدهما يشتمل على أندر أنواع الطيور،والآخر به أندر وأغرب أنواع الحيوانات، هذا بالإضافة إلى روعة الفساقى وأحواض الماء بكل فناء، وهنا تجب الإشارة إلى ارتفاع مستوى الروعة والجمال والأناقة المعمارية كلما اقتربت المنظومة من "قصر الذهب" مقر الخليفة.

ثم يشير الوصف إلى "قاعة الذهب" بقصر الذهب قصر الخليفة، الذي يمثل ذروة الجمال المعماري والفنى ومنتهاه وكرسى العرش الذي في صدر هذه القاعة وهو القصر الذي وردت أوصافه بصورة أكبر تفصيلاً في خطط المقريزى،ويتضمن الوصف بعض ملامح الرسوم "البروتوكول" المتبعة في هذه المنظومة المعمارية الرائعة سواء في اصطفاف الحرس وسيره إلى مواضع محددة،وفي ذكر مواضع الأمراء وكبار رجال الدولة، ثم في ما نفذه الوزير شاور من رسوم عند دخوله قاعة الذهب وسجوده للاستئذان أمام كرسى العرش.

وقد كرر وليم الصوري أكثر من مرة دون أن يدرى ما كان يقصده الفاطميون من تأثير تحدثه هذه العمارة الرائعة والرسوم في نفوس زائري القصر، لكنه بالرغم من محاولة نفيه هذا التأثير، نجد أنه صرح بوقوعه في أكثر من موضع بعد ذلك،

وهذا التأثير قصده الفاطميون في ترتيب منظومة القصور الفاطمية وبخاصة ما يتصل منها بقصر الخلافة وهو تأثير زاد من وقعه ما يناظره من رسوم اهتم بتنفيذها الفاطميون اهتماماً واضحاً.

ويؤكد هذا التوجه الدعائي السياسي في عمارة قصور الفاطميين ما يذكره المسبحى أحد مؤرخي العصر الفاطمي في كتابه أخبار مصر في سنتي ٤١٤-٤١٥هـ/ ١٠٢٣-١٠٢٤م، أي قبل زيارة السفراء الفرنج بحوالي مائة وخمسين عاماً، حيث يذكر أنه في يوم السبت لعشر بقين منه (صفر ٤١٥) جلس أمير المؤمنين- عليه السلام في قصر الذهب، بعد أن زين وبسط وعلقت فيه ستائر الديباج والستور المذهبة الحسان، وعلق جميع السقائف كلها بالستور،وفرشت بالفروش، واستحضر أمراء الأتراك، وأمروا أن يلبسوا أفخر ثيابهم، فلبس جميعهم المثقل والطميم، وأمر سائر الكتاميين والجند أن يأخذوا الأقبية للحضور، ودخل الناس أجمعون، ووقف شمس الدولة على يمين السرير، وسائر الناس وكافة عبيد الدولة قياماً والأشراف، ولم يجلس أحد بين يديه، وعلى سائر الخدم المصطنعة الثياب الطميم، والعمائم الطائرة، وحضر الرسول الوارد من خراسان ومعه ولد له صغير، فدخل وقبل الشراب لأمير المؤمنين- عليه السلام- ثم أمر بأن يطوف به القصر كله. فطيف به سائر القصور المعمورة وقام أمير المؤمنين وانصرف الناس"[١]، وكثيراً ما كرر الخلفاء الفاطميون إحداث التأثير في نفوس زائري القصر من كبار الزائرين سواء من الولاة في الأقاليم التابعة للدولة وبخاصة بلاد الشام[٢]، أو من جاء من خارجها كما حدث في زيارة الأمراء والأتراك.

ويكشف هذا النص على اهتمام الفاطميين بالبروتوكول اهتماماً واضحاً بغية التأثير في الداخلين إلى قصر الذهب، وهو تأثير أكمله كما أشرنا المنظومة المعمارية

---

(١) المسبحى (محمد بن عبد الله) أخبار مصر بين سنتين ٤١٤هـ/٤١٥هـ تحقيق وليم. ج، رميلور. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠، ص ٥٨.

(٢) المسبحى: المصدر السابق، ص ٤٩.

لقصر الخلافة التي حرص الخليفة أيضاً على توظيفها للتأثير في نفوس الواردين في القصر سواء من خارج الدولة أو من موظفيها.

وإذا كانت الأوصاف السابقة لكل من ناصر خسرو ووليم الصوري والمسبحى تعطى تصوراً لما كان عليه قصر الخلافة الفاطمية فإن ما أورده المقريزى في خططه والقلقشندى في صبح الأعشى وغيرهما من المؤرخين في العصور التالية للعصر الفاطمي يكشف هو الآخر عما كان لهذه القصور من سموق بنيان،وبراعة نقوش،وجمال أثاث، وحسن تنسيق،وما كانت توحي به من عظمة ملك، وقوة سلطان،وفخامة ثروة، وسطوة دولة،وإسراف في الترف، وإغراق في النعيم،مما تخلف منها من أخشاب محلاة بنقوش بارزة تمثل حفلات الرقص والطرب، وحلبات الصيد،والطيور والحيوانات"[١].

وينفرد ناصر خسرو في رحلته والمقريزى في خططه بتفاصيل معمارية مهمة عن أسوار القصور وبواباتها وعن البنايات داخلها،وهي تفاصيل تكمل بلا شك صورة العمارة الفاطمية،ويمكن أن تساعد في دراسة ما بقى من آثار الفاطميين،وانطلاقاً من هذه الرؤية نعرض تفصيلاً للقصور الفاطمية من خلال ما أورده كل منهما تحقيقاً لهذا الهدف.

أبواب القصر الفاطمي الكبير الشرقي:

يذكر ناصر خسرو الذي زار القاهرة فيما بين سنتي ٤٣٩/٤٤١هـ/ (١٠٤٧-١٠٤٩م) أن قصر الخليفة له "عشرة أبواب ولكل باب منها اسم على النحو الآتي، باب الذهب[٢]- باب البحر- باب الريح[٣].- باب الزهومة- باب السلام- باب

---

(١) فؤاد فرج، المرجع السابق، ص ٤١٩.

(٢) ذكر مترجم رحلة ناصر خسرو هذا الباب في ترجمة "باب الذهاب" ناصر خسرو، الرحلة، ص ٩٥.

(٣) ذكر مترجم رحلة ناصر خسرو أن هذا الباب هو باب "السريح"، ناصر خسرو، الرحلة، ص ٩٥.

الزبرجد[١]- باب العيد- باب الفتوح- باب الزلاقة- باب السرية"[٢]، وهو عدد من الأبواب تختلف عن عدد الأبواب الذي ذكرها المقريزى الذي أشار إلى أن عدد أبواب القصر الشرقي الكبير تسعة أبواب هي باب الذهب أكثر هذه الأبواب وأجلها ثم باب البحر ثم باب الريح ثم باب الزمرد، ثم باب العيد، ثم باب قصر الشوك، ثم باب الديلم، ثم باب تربة الزعفران، ثم باب الزهومة"[٣].

وبمقارنة ما ذكره المقريزى بما ذكره ناصر خسرو قبله بأربعمائة سنة يتضح أن كلاً منهما يتفق في ذكر ستة أسماء من أسماء الأبواب وهي باب الذهب،وباب البحر وباب الريح، وباب الزهومة، وباب العيد، وباب الزبرجد أو الزمرد، كما يلاحظ أنهما يختلفان في ذكر عدد الأبواب حيث يذكر ناصر خسرو أن الأبواب عشرة بينما يذكر المقريزى أنها تسعة أبواب، كما يختلفان في مسميات الأبواب الباقية.

واختلاف الأسماء وارد حيث من الممكن أن تتغير الأسماء من فترة إلى أخرى، واختلاف العدد بزيادة باب في إحصاء ناصر خسرو عن إحصاء المقريزى، ربما يفسره وجود باب "باب السر" لم يتمكن المقريزى من معاينته لتهدم الأبواب في عهده وللبناء على ساحة القصر في كل من العصرين الأيوبي والمملوكي. وربما كان هذا الباب في ضوء تسميته من الأبواب غير الظاهرة والأرجح أنه كان من داخل القصر ويؤدى إلى خارجه عبر السراديب.

---

(١) هذا الباب سمى باب الزمرد بواسطة المقريزى (المقريزى، خطط جـ١ ص٤١٢) ويلاحظ أن كثيراً من اللغويين وغيرهم يخلط ما بين الزمرد والزبرجد، ويعتبرهما شيئاً واحداً، ولكن الحقيقة أنهما نوعان مختلفان من الأحجار الكريمة (راجع: أحمد بن يوسف التيفاشى (ت ٦٤١هـ/١٢٥٣م) كتاب الأفكار في جواهر الأحجار، تحقيق محمد يوسف حسن، محمد بسيونى خفاجى، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٧م، ص ٢٥٥، الفريد لوكاس، المواد والصناعات عند قدماء المصريين، ترجمة زكى اسكندر، محمد زكريا غنيم، مراجعة عبد الحميد أحمد، مطبعة مدبولى، القاهرة، الطبعة الثالثة، ص ٩٥.

(٢) ناصر خسرو، الرحلة، ص٩٥.

(٣) المقريزى: خطط، جـ١ ٤٣٢.

وقبل أن نعرض للملامح المعمارية لأبواب القصر الشرقي الكبير من المهم أن نعرض لبعض الأوصاف والأحداث التاريخية المتصلة بهذه الأبواب.

باب الذهب:

كان من أكبر أبواب القصر وأجلها، ويمكن اعتباره بناء على هذا الوصف الباب الرئيس للقصر وبخاصة وأنه كان يؤدى إلى قصر الذهب الذي يجلس به الخليفة كل يوم اثنين وخميس من كل أسبوع.

ويشير المقريزى إلى روايات أسطورية حول سبب تسمية هذا الباب بهذا الاسم منها أن المعز عندما حضر إلى مصر ومعه كميات كبيرة من الذهب شكلها في هيئة أحجار الأرحية، لما دخل القصر ألقيت على بابه، ولم تزل على الباب حتى كانت أيام الشدة المستنصرية، فصرح الخليفة للناس بالأخذ منها، فأخذوا يقطعون منها بالمبارد ما يستطيعون. أما الرواية الأخرى فتشير إلى أن الباب سمى بهذا الاسم لأن عضادتيه بنيتا بأحجار الذهب(١).

وكان هذا الباب هو الباب الرسمي للقصر حيث تمر منه المواكب والعسكر وجميع أهل الدولة، وكان يطل على ميدان بين القصرين الذي يؤدى شمالاً وجنوباً إلى الشارع الرئيسي في مدينة القاهرة، الذي يربط ما بين باب الفتوح في السور الشمالي وزويلة في السور الجنوبي.

واكتسب هذا الباب أهميته أيضاً من تلك المنظرة التي أنشئت علو هذا الباب،وكان الخليفة الآمر بأحكام الله يجلس بها ويكثر العطايا وبخاصة في الموالد، وكان بهذه المنظرة طاقتان يطل منهما الخليفة على رجال دولته وغيرهم الذين كانوا في انتظار عطاياه.

---

(١) المقريزى، خطط جـ١ ص ٤٣٢-٤٣٣.

باب البحر

أنشأ هذا الباب الخليفة الحاكم بأمر الله وفي ذلك إشارة واضحة إلى أن أبـواب الأسوار المحيطة بالقصر لم تنشأ كلها في عهد جوهر الصقلي الذي أنشأ هذا القصر، وقد هدم هذا الباب في عهد السلطان الظاهر بيبرس، وكان موضعه فـي الموضـع المقابل للمدرسة الكاملية، أي أنه يطل على الشارع الأعظم، وقد ذكر المقريزى أنـه عند هدم هذا الباب تخلف من أنقاضه أعمدة ضخمة بما يشير إلـى أحـد العناصـر المعمارية الإنشائية وبخاصة وأن الأعمدة الضخمة قد جرى استخدامها في دهـاليز الأبواب في هذا القصر.

- باب الريح:

أشار المقريزى إلى أن هذا الباب كان يقع تجاه سور خانقاه سعيد السعداء وهو ما يشير إلى أن هذا الباب كان يقع في القطاع الشمالي الشرقي من أسـوار القـصر الخارجية، ويحدد المقريزى موضعه بدقة أكثر فيقول إنه كان "على يمنة السالك من الركن المخلق إلى رحبة باب العيد" ثم يذكر بعض الأوصاف المعمارية المهمة لهـذا الباب فيذكر أنه "كان باباً مربعاً يسلك منه إلى دهليز مـستطيل مظلـم إلـى حيـث المدرسة السابقية"[1]، وفي هذا الوصف ما يشير إلى أن هذا الباب كـان يقـع فـي الجهة الجنوبية من خانقاه سعيد السعداء وإلى الشمال من مدرسة الأمير مثقـال[2] مباشرة، ومن الناحية المعمارية يحدد وصف المقريزى شكل فتحة هذا الباب بأنهـا كانت بهيئة مربعة أي يعلوها عتب مستقيم غير معقود بأي نوع من العقود المقوسة، وهو شكل معماري يؤكده المقريزى في موضع آخر حيث يذكر أن هذا الباب يتكون من عضادتين من الحجر يعلوهما عتب حجري "أسكفة"[3] نقش عليها كتابات بـالخط

---

(١) المقريزى، خطط جـ١ ص ٤٣٤.

(٢) أثر رقم ١٣٣.

(٣) الإسكفة عتب الباب: المعجم الوسيط، إصدار مجمع اللغة العربية، القاهرة، الطبعة الثالثة، جـ١ ص ٤٥٦.

الكوفي.

ويذكر المقريزى أن فتحة الباب التي سبقت الإشارة إليها تؤدى إلى دهليز مظلم بلغ عرضه عشرة أذرع أي ما يربو على خمسة أمتار، كما لاحظ المقريزى أن هـذا الدهليز "طويل جداً"(١)، وفي إطار وصف المقريزى للدهليز بأنه مظلم وأنه طويل جداً وأن عرضه كان يربو على خمسة أمتار، يتضح أن هذا الباب لم تكن تتخلله فتحـات للإضاءة وأن جانبي الدهليز كان في هيئة حائطين خاليين من النوافذ غالباً، وكـذلك كان سقفه، ويذكرنا هذا الشكل بباب مدينة المهدية الذي كان مظلمـاً، لدرجـة أنـه سمى- كما سبقت الإشارة- بسقيفة الكحلة.

وقد سمى هذا الباب في مرحلة تالية للعصر الفاطمي بباب قصر الشيخ، وذلـك لأنه كان يؤدى إلى أحد بنايات القصر الفاطمية التي سكنها في العصر الأيوبي ابـن الشيخ، كما يشير المقريزى إلى تسمية ثالثة شاعت في عصره وهي "باب القـصر" وقد هدم هذا الباب جمال الدين الاستادار الذي استولى على كثيـر مـن المنـشآت السابقة على عهده في المنطقة وأنشأ فيها العديد من منشآته التي لم يتبـق منهـا سوى خانقاته التي تعرف بمدرسة جمال الدين الاستادار، وقد شيدت هذه المنـشآت التي أنشأها جمال الدين الاستادار فيما بعده بتسمية المنطقة كلها باسم الجمالية نسبة إليه(٢).

---

(١) المقريزى: خطط، جـ١ ص ٤٣٤.

(٢) للاستزادة، راجع محمد عبد الستار عثمان، وثيقة وقف جمال الـدين الاسـتادار، دراسـة تاريخية أثرية وثائقية، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٨٣، ص ٤٨-٦٤

وقد ذكر الدكتور عبد الرحمن فهمي أن الجمالية يقال إنه سمى بهذا الاسم نسبة إلى بـدر الجمالي وزير الخليفة المستنصر بينما يذهب رأي آخر إلى أن الحي لم يعرف بهذا الاسم إلا نسبة للأمير جمال الدين محمود الاستادار في عهد المماليك الشراكسة بعد أن أنشأ في هذا الحي مدرسة سنة ٨١١هـ/١٤٠٩م، كانت من أعظم مدارس القـاهرة ثـم غلبـت التسمية على المنطقة المحيطة بالمدرسة، راجع عبد الرحمن فهمي محمد، الجمالية، بحث في كتاب القاهرة تاريخها- آثارها- فنونها، ص ٥٢، والصحيح "أن باني المدرسة هو =

باب الزمرد:

ذكر ناصر خسرو هذا الباب باسم "باب الزبرجد" وقد أشرنا إلى أن كثيراً من اللغويين يخلط بين الزبرجد والزمرد وهما نوعان مختلفان من الأحجار الكريمة.

وكان هذا الباب يؤدى إلى أحد بنايات القصر التي عرفت بقصر الزمرد والذي بنى في موضعه مدرسة تتر الحجازية برحبة باب العيد[1]، وفي إطار هذا الوصف يتضح أن هذا الباب كان في القطاع الشرقي من أسوار القصر.

باب قصر الشوق:

قصر الشوك كان أحد المباني القديمة التي أنشئت قبل العصر الفاطمي في الموضع الذي أنشئت عليه القاهرة، وذكر المقريزى أنه كان منزلاً لبني عذرة، ويشير المقريزى إلى أنه "الآن أحد أبواب القصر"[2].

وفي حديث المقريزى عن الركن المخلق والجامع الأقمر يتضح أن هذا الباب كان في المنطقة المجاورة لهما[3]، وفي إطار هذا التحديد يتضح أن هذا الباب كان يقع في القطاع الشمالي في الاتجاه الغربي من سور القصر.

- باب العيد:

يحدد المقريزى موضع هذا الباب بخط رحبة باب العيد شرق خانقاه أو مدرسة جمال الدين الاستادار، وفي هذا التحديد إشارة واضحة إلى أن هذا الباب كان يقع في الطرف الشمالي من القطاع الشرقي لأسوار القصر،وقد سمى هذا الباب بباب العيد، حيث كان يخرج منه الخليفة لصلاة العيد بمصلى العيد خارج باب النصر، وقد ارتبط موضع هذا الباب بالطريق الذي يؤدى إلى باب النصر ومنه إلى المصلى، وكان

= يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن قاسم الأمير جمال الدين الاستادار". (راجع، محمد عبد الستار، المرجع السابق، ص ١٠).

(١) أثر رقم (١١٩).

(٢) المقريزى، خطط، جـ١ ص ٤٠٤.

(٣) المقريزى، خطط جـ٣ ص ٢٩٠.

الخليفة يعود من باب الفتوح ويدخل من أحد الأبواب المطلة على الشارع الأعظم، وغالباً "باب الذهب" الذي كان يؤدى إلى قصر الذهب محل سكناه، وقد اهتم الفاطميون -كما سبقت الإشارة - بهذا السير للصلاة من طريق والعودة من طريق آخر تأسياً بالرسول ﷺ وهكذا يرتبط موضع هذا الباب ووظيفته ومسماه بتقليد ديني أثر على تخطيط الشوارع الرئيسية في القطاع الشمالي من القاهرة حيث صمم الطريق في هذا القطاع الذي يربط بين باب العيد وباب النصر تصميماً يتفق وموكب الخليفة المتجه إلى الصلاة في المصلى، وفي ذلك ما يوضح أثر الرسوم الفاطمية على تخطيط منشآت القاهرة سواء أبواب القصر أو الطريق الذي يربط بين باب العيد وباب النصر وكذلك موضع المصلى خارج باب النصر.

وقد أشار المقريزى إلى الشكل المعماري لهذا الباب، فذكر أنه "على هيئة عقد محكم البناء ويعلوه قبة، وقد أدركت الناس وهم يسمون هذه القبة بالقاهرة"(١). وفي هذا الوصف ما يحدد نمطاً آخر من أنماط فتحات أبواب القصر، ففتحة الباب في هذا النمط معقودة بعقد محكم البناء،ويبدو أن التكوين المعماري لفتحة الباب كان رائعاً للدرجة التي أغرت السلطان الظاهر بيبرس بتفكيكها ونقلها إلى مدينة القدس سنة ٦٦٢هـ/١١٦٧م(٢)، ولكنه درس للأسف الشديد.

كما يلفت النظر أيضاً في وصف المقريزى ما ذكره عن القبة التي أنشئت فوق هذا الباب وهي القبة التي تذكرنا بالقباب التي كانت تعلو مداخل مدينة بغداد.

وما ذكره المقريزى عن اسم هذه القبة التي تعلو الباب بالقاهرة يذكرنا بما ذكره صاحب كتاب "السكردان" (مخزن السكر) من أن "بعض الناس يزعم في القاهرة أنها سميت باسم قبة في قصور الفاطميين تسمى القاهرة وهي موجودة إلى الآن"(٣).

---

(١) المقريزى، خطط جـ١ ص ٤٣٥.

(٢) للاستزادة عن هذا الخان، راجع كامل جميل العسيلي: من آثارنا في بيت المقدس، عمان ١٩٨٢، ص ص ٩٢-٩٤.

(٣) ابن ظهيرة، المصدر السابق، ص ١٨٢.

باب الديلم:

أشار المقريزى إلى أن موضع هذا الباب كان في موضع قريب جداً من المشهد الحسيني[1]، وكان يؤدى إلى تربة الزعفران، التي كان لها باب خاص بها يسمى باب تربة الزعفران، وقد كان هذا الباب يؤدى إلى دار الفطرة التي أنشئت في خارج القصر قريباً من هذا الباب، وفي إطار هذا التحديد يتضح أن هذا الباب كان في القطاع الشرقي في الطرف الجنوبي، وقد وردت الإشارة إلى قبة نسبت إلى الديلم ودهليز للخدمة مجاورة لهذا الباب.

- باب الزعفران:

حدد المقريزى موضع هذا الباب بأنه كان يقع بجوار خان الخليلى[2] من الجهة الشمالية وهو ما يعنى أن هذا الباب كان في السور الشرقي للقصر قرب باب الديلم، والراجح أنه يقع إلى الشمال منه بمسافة يسيرة حسب تحديد المقريزى.

- باب الزهومة:

كان هذا الباب يؤدى مباشرة إلى سطح القصر[3] الذي كان يقع بجوار القصر الغربي على الجانب الغربي للشارع الأعظم (شارع المعز لدين الله) والذي كان يقع موضعها تجاه المدارس الصالحية[4]، وفي إطار هذا التحديد يتضح أن هذا الباب كان يقع غالباً في القطاع الغربي الجنوبي من السور، وسمى هذا الباب أيضاً بباب "الزفر" وما زالت كلمة "الزفر" تطلق حتى الآن على ما يذبح من الطيور للطعام.

ومن العرض السابق لما ورد من أوصاف معمارية لأبواب القصر الفاطمي الشرقي الكبير كانت محاولة تحديد مواضعها تحديداً في إطار الترجيح في ضوء ما ورد من معلومات وفي إطار آخر يجب وضعه في الاعتبار وهو أن أسوار القصر

---

(١) أثر رقم (٢٨).

(٢) أثر رقم (٥٣).

(٣) المقريزى، خطط جـ١ ص ٤٦٢.

(٤) أثر رقم ٣٨.

كان بها ازورارات اكتشف جوهر وجودها بعد حفر الأسوار ليلة الثامن عشر من شعبان سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م،وهو ما جعلنا نحدد موضع الباب تحديداً يستوعب وجود مثل هذه الازورارات باستخدام كلمة "قطاع من السور" مع تحديد الاتجاه الأصلي شرقاً أو شمالاً أو غرباً مع إبراز الاتجاه الذي يقع فيه الباب سواء كان اتجاهاً غربياً أو شمالياً أو جنوبياً من الضلع الرئيسي الذي أشرنا إليه بالاتجاه "الأصلي"

وفي إطار ما ورد من أوصاف نستطيع أن نحدد أن الحجر كان مادة البناء الرئيسية لأبواب القصر الشرقي الكبير، وهو أمر يتوافق وبناء بنايات القصور من الداخل أيضاً بالحجر[١]، ومتانة واستخدام الحجر في بناء القصر وأسواره مقارنة ببناء أسوار القاهرة باللبن تكشف كما ذكرنا أن دور عامل الزمن في تفضيل استخدام اللبن في الأسوار والحجر في القصر وقد أشرنا إلى أن إنشاء جوهر لأسوار المدينة باللبن كان في إطار رغبته في سرعة الانتهاء من بناء الأسوار تحوطاً من هجوم القرامطة وهو ما حدث بالفعل سنة ٣٦٢هـ/٩٧٣م، وفضل الحجر في بناء القصر لأن بناء القصر تم على مهل وكان من الأفضل بناؤه بالحجر باعتباره المقر الذي يسكن فيه الخليفة ويدير منه دولته، ومن ثم لابد أن يكون بهيئة معمارية تناسب عظمة هذه الدولة، وبمستوى لا يقل معمارياً عن مستوى قصري المهدية وقصر المنصور بالمنصورية إن لم يكن بمستوى أرقى وهو ما أكدته أوصاف ناصر خسرو الذي ذكر "أن هذا القصر يبدو "من خارج القاهرة كجبل عظيم شديد الارتفاع شامخ الشرفات، أما من داخل القاهرة فلا يكاد المرء يرى منه شيئاً لأن حوائطه عالية جداً"[٢]، ويكشف هذا الوصف عن ارتفاع بنايات القصر حتى أنه يمكن رؤيتها من بعيد من خارج القاهرة، كما يكشف أيضاً عن ارتفاع أسوار القصر حتى أنه لا يمكن رؤية هذه البنايات العالية عندما يراها المشاهد من قرب من داخل القاهرة.

---

(١) ناصر خسرو، المصدر السابق، ص ٩٥.

(٢) ناصر خسرو، المصدر السابق، ص ٩٥.

ولاشك أن بناء الأسوار الخارجية للقصر بالحجر ساعد على بنائها بهذا الارتفاع، وتنساب مع أوصاف البوابات-التي سبقت الإشارة إليها - التي اتسع أحد دهاليزها إلى ما يربو على خمسة أمتار.

وتكشف أوصاف البوابات عن أنها لم تكن بنمط واحد ولكن تنوعت تكويناتها المعمارية، فمنها ما كان مربعاً ومنها ما كان معقوداً بعقد محكم البناء، كذلك لوحظ أن بعض هذه الأبواب يتميز بملامح معمارية خاصة كباب الذهب الذي كانت تعلوه منظرة، وباب العيد الذي كانت تعلوه قبة وهي وحدات معمارية، تذكرنا بما كان يعلو أبواب مدينة بغداد التي أنشأه الخليفة المنصور سنة ١٤٩هـ/٧٦٦م من قباب، وتكشف هذه العناصر عن الارتفاع الكبير الذي كانت عليه هاتان البوابتان لما يعلو كل منهما من منظرة أو قبة تمثل مجلساً للخليفة وهو ما يعنى أيضاً مدى الروعة التي كان عليها باب الذهب الذي كان يعلوه منظرة يجلس بها الخليفة الآمر بأحكام الله.

كما يتضح من وصف كل من باب الريح الذي كان يؤدى إلى دهليز مظلم عرضه يربو على خمسة أمتار وطويل جداً، وكذلك باب البحر الذي تخلف عن هدمه أعمدة ضخمة غالباً ما كان تشكل دهليزاً لهذا الباب بنمط آخر عبارة عن بائكات محمولة على هذه الأعمدة أي غير ذلك من أنواع التشكيل المعماري التي تتطلب استخدام أعمدة بهذا الحجم، كما أن باب العيد الذي سبقت الإشارة إلى أنه يعلوه قبة كان هو الآخر غالباً ذا دهليز أسفل هذه القبة، ونفس الحال بالنسبة لباب الذهب الذي تعلوه منظرة كان أسفلها دهليز في الغالب، وهكذا يتضح أن الدهليز الذي يلي فتحة باب السور كان يمثل وحدة مهمة في تصميم بوابات القصر وتنوعت أشكال هذه الدهاليز تنوعاً يماثل تنوع أشكال فتحات البوابات نفسها.

وفي إطار التشكيل الزخرفي كان نقش كتابات بالخط الكوفي الفاطمي الجميل على بعض هذه البوابات، وإذا كانت نصوص هذه الكتابات قد نفذت فإن الإشارة إلى نقشها بالخط الكوفي يمكن مقارنته بالكتابات الكوفية على المنشآت الفاطمية الأخرى الدينية والحربية والمدنية لتصور مدى جمالها، وإذا وضعنا في الاعتبار نقش هذه

الكتابات على أبواب قصر الخلافة فإن ذلك ما يشير مضمناً إلى مستوى تنفيذ هـذه الكتابات بجماليات تفوق الآثار الفاطمية الأخرى.

بنايات القصر الشرقي الكبير

تعددت بنايات القصر الشرقي الكبير داخل أسواره وكذلك كـان هنـاك بعـض المباني التي تخدم القصر ولكن أنشئت خارج أسواره، فقد ذكر ناصر خسرو حـصراً لبنايات القصر عندما زاره حيث يذكر أنه رأي "اثنى عشر قصراً يؤدى كـل منهمـا للآخر، وكل قصر يفوق الآخر بمحتويات لا تصدق وسعة قاعات تلك القصور نحـو من مائة أرش[١] في مائة أرش ولكنها مربعة المسافة[٢]، وفي هذا الوصف ما يشير إلى أن القصر كان مكوناً من اثنتى عشر بناية، كما أن هذه البنايات كانت تربط بينها ممرات ودهاليز، وكانت البنايات تضم قاعات مربعة الشكل، كما أنه أشار بالإضـافة إلى البنايات أو القصور إلى وجود أواوين لو استطرد في وصفها لطال الوصف إلـى غير نهاية[٣].

وقد عرض المقريزى لكل أنواع هذه البنايات عرضاً جـاء غنيـاً بالأوصـاف المعمارية لبعض البنايات، وركز على النشاط الإنساني في بعض البنايـات الأخـرى أكثر من تركيزه على شكلها المعماري، ويهمنا أن نعـرض بالتفـصيل لمـا وردت الإشارة إليه من الناحية المعمارية، وسنعرض بإيجاز للنوعيـة الأخـرى بغـرض استكمال التصور العمراني.

كما يلاحظ أن القصر الشرقي الكبير وكذلك القـصر الغربـي وغيرهمـا مـن

---

(١) الأرش اسم الذراع باللغة الفارسية، وقد ذكر ناصر خسرو أن ذراع الملك اقـل مـن ١,٥ أرش،وذراع الملك تم تحديده بـ ٩٥سم وبناء على ذلك فإن الأرش يقدر بحوالي ٦٤ سم (راجع فالترهنس، المكاييل والأوزان وما يعادلها فـي النظـام المتـري، ترجمـة كامـل العسيلي، نشر الجامعة الأردنية، ص٨١).

(٢) ناصر خسرو، سفر نامة، ص ١١٣.

(٣) ناصر خسرو، سفر نامة، ص١١٣.

المنشآت تعكس ما حدث من نشاط معماري وعمراني بالقصور طوال العصر الفاطمي الذي امتد لأكثر من قرنين من الزمان، تطورت فيهما أساليب العمارة والإنشاء والزخرفة تطوراً ملحوظاً تعكسه آثار الفاطميين الباقية، كما تغيرت رؤية عمران القاهرة بتغير الزمن وزيادة ثراء الدولة مع اتساع نفوذها،وكذلك حدث بعض التقلص في فترات الشدة الاقتصادية والحروب وهو أمر نضعه في الاعتبار وفي إطار دراسة العمارة المدنية للفاطميين وكذلك أنماط العمارة الفاطمية الأخرى.

وسنحاول قدر الإمكان رصد هذا التطور والتعديل في عمران القصور الفاطمية وعلاقته ببنايات القصور ووظيفتها في ضوء ما توفر من معلومات، وسنعرض لهذه البنايات في إطار أهميتها الوظيفية في العصر الفاطمي، وفي إطار أهمية ما تعكسه من تصور معماري يساعد على وضع صورة أوضح لهذه النوعية من العمائر الفاطمية.

قصر الذهب:

يصف ناصر خسرو هذا القصر حيث يذكر أنه بعد ما مر به من ممرات ودهاليز وأواوين وقصور انتهي إلى هذا القصر وهو ما يشير إلى أن الترتيب المعماري قد وضع على هذا النحو بطريقة مقصودة،وهو أن يمر الداخل إلى القصر بوحداته وممراته المتعددة التي يتدرج عمرانها في الرؤى كلما اقترب الزائر من قصر الذهب،وهذا ما أحس به وأشار إليه ناصر خسرو حيث يذكر "وأخيراً وصلت إلى صالون قدسي جليل مربع الشكل ستين ذراعاً في ستين ذراعاً، وفي صدره عرش ممرد يحتل صدر المكان بارتفاع أربعة أذرع من سطح الأرض وكرسى العرش من الذهب الخالص، وعلى الحائط في أعلى العرش ميدان صيد تتعارك فيه الفرسان والطرائد وكلاب الصيد، والصورة تكاد تنطق وأكاد ألم ثيابي حتى لا تصاب أطرافي بدماء طرائد الصيد أو تدوسني الخيل وخلف كرسى العرش مباشرة لوحة عليها كتابات بارزة وواضحة.

أما بسط الصالون فحريرية بالغة النعومة حتى إن المرء ليعجب كيف يمكن

للأقدام أن تثبت عليها، وقد علتها ألوان لا تكاد تحصرها العين،وتحيط بهذا الصالون شبابيك ذهبية تكاد تذهب بالأبصار، أما أنا فأعترف بعجزى عن وصـفها، وخلـف العرش مباشرة مدخل جليل بدرجات ذهبية، أما العرش الذهبى فلا يقدر أحـد علـى وصفه"[1].

وفي وصف ناصر خسرو ملامح معمارية مهمة لقاعة الذهب فهي مربعة طول ضلعها ٣٠ متراً أي أن مساحتها ٩٠٠ متر مربع، ويرتفع العرش الذي بصدرها عن أرضية القاعة أكثر من ٢ متراً ولها بابان أحدها خاص بالخليفـة خلـف العـرش، وصورت جدرانها بمناظر للصيد رائعة، كما توجد لوحة كتابية بالخط الكوفي البـارز خلف كرسى العرش، كما أوضح الوصف وجود شبابيك للإضاءة في الجدران الجانبية للقاعة نفذت بالذهب.

وفيما أورده المقريزى والقلقشندى عن قصر الذهب إشارات مهمة يمكـن فـي ضوئها التعرف على بعض السمات المعمارية لهذا القصر، فقد كان هذا القصر أحـد المباني العديدة التي يتضمنها القصر الشرقي الكبير،وقد أنشئ ليكون مقـراً رسـمياً للخليفة وسكناً خاصاً له، وقد حل بذلك محل الإيوان الكبير الذي استخدم لهذا الغرض قبل إنشاء هذا القصر.

ويقع هذا القصر داخل السور الخارجي الذي كان يحيط بمباني القصر جميعهـا، وكان يؤدى إليه بابان رئيسيان من أبواب هذا السور الخارجي هما بابا الذهب الذي كان يوصل إلى القصر مباشرة، وربما سمى بباب الذهب نسبة إلى قصر الذهب الذي يؤدى إليه- وباب البحر الذي كان موضعه في مواجهة دار الحديث الكاملية- وكان قريباً من باب الذهب،وتعنى هذه الإشارة إلى أن طرقات القصر الداخلية كانت لتربط بين وحدات ومباني القصر المختلفة وترتبط بعضها ببعض في شبكة لتسهل الاتصال بين هذه الطرقات بعضها ببعض وكذلك من المباني بعضها بـبعض وبـين المبـاني والبوابات الخارجية للقصر ومنها إلى شوارع المدينة.

---

(١) ناصر خسرو، سفر نامة، ص ١١٣.

وفي ضوء ما ورد من وصف للاحتفالات والمراسيم التي كانت تتم في قصر الذهب أمكن التعرف على بعض الملامح المعمارية لهذا القصر، ويمكن تقسيم العناصر المعمارية التي وردت الإشارة إليها على قسمين، القسم الأول يتصل بالعناصر والوحدات المعمارية الخارجية والقسم الثاني يعرض للعناصر المعمارية التي يشتمل عليها القصر من الداخل.

كان باب الذهب هو الباب الرئيسي بالسور الخارجي الذي يؤدى إلى قصر الذهب، وكان هو الباب الذي يدخل منه أرباب الوظائف،وكان هناك دهليز يسمى "دهليز العمود"، يمر منه الوزير وأرباب الوظائف الكبرى الذين يحضرون، مجلس الخليفة، وينتهي هذا الدهليز إلى باب القصر المخصص لدخول هؤلاء الرسميين وكان هذا الباب يسمى "باب المجلس" كما كان للقصر باب آخر يسمى "باب الملك" وهو الباب الذي كان يخرج منه الخليفة يوم العيد إلى باب العيد، في السور الخارجي للقصر ومنه إلى مصلى العيد.

وفي ذلك إشارة واضحة إلى بابين من أبواب قصر الذهب أحدهما كان يؤدى إلى دهليز العمود ومنه إلى باب الذهب بالسور الخارجي، ويسمى "بباب المجلس" والباب الثاني هو "باب الملك" الذي كان يخرج منه الخليفة من قصر الذهب إلى باب العيد بالسور الخارجي للقصر، وهو ما يعنى أن هذا القصر كان يرتبط بطرقات وممرات تؤدى إلى ثلاثة من الأبواب بالسور الخارجي للقصر وهي باب الذهب وباب البحر وباب العيد.

كذلك كان لهذا القصر شبكة من الأنفاق التي أنشئت في تخوم الأرض والتي تعرف اصطلاحاً باسم السراديب والتي كانت تربط مباني القصر الشرقي الكبير بالقصر الغربي الصغير، وبالمناظر التي أنشئت على الخليج خارج أسوار القاهرة وغيرها من الأماكن، وقد وصف المقريزى هذه السراديب ذاكراً أنها كانت "قصيرة الأقباء" كما ذكر أنه كانت تبتدئ وتنتهي"بزلاقات"، وقد عثر في أكثر من موضع في القاهرة الفاطمية على بعض هذه السراديب وكان آخر ما كشف عنه سرداب في باطن أرض جامع سليمان أغا السلحدار، قرر المشرفون على ترميم القاهرة

التاريخية طمره مرة أخرى لأسباب غير مفهومة للأسف الشديد.

أما القصر من الداخل فكان يشمل بالإضافة إلى قاعة العرش على محلات لسكنى الخليفة، أي أنه ينقسم إلى قسمين قسم يختص بالعمل الإداري وقسم آخر لسكنى الخليفة وحريمه، والقسم الأول يتمثل في قاعة الذهب، أو قاعة العرش، وهذه القاعة تشتمل في صدرها على عرش الخليفة وهذا العرش كان في صدر القاعة ويرتفع حوالي ٢ متر(١) عن مستوى أرض القاعة، كما أنه كان فيما يبدو هناك حاجز يحجز قطاع العرش عن بقية القاعة تميزاً لموضع العرش. ويلي العرش بقية القاعة التي كانت تنتهي في القطاع المقابل لكرسي العرش برواق ترتفع أرضيته قليلاً عن أرضية القاعة وعلى محور واحد مع كرسى العرش في صدر القاعة حتى يرى الخليفة المصطفين في هذا الرواق من الحاشية ورجال الديوان ويكون هؤلاء الآخرين في موضع يمكنهم من تلقى إشارات الخليفة ووزيره.

وهذا الرواق كان يطل على ساحة القاعة ببائكة من أعمدة تعلوها عقود تحمل فوقها ساباطاً، وهو ما يشير ضمناً إلى أن القطاع المقابل لكرسي العرش كان يتكون من مستويين مستوى الرواق السفلي ومستوى الساباط الذي يعلوه، كما أشارت المصادر إلى أنه بالإضافة إلى وجود الشبابيك في الإضاءة والتهوية كان بالقاعة باذاهنج سجل عليه الخليفة الآمر اسمه(٢).

أما القسم الخاص بسكنى الخليفة فإن ما ورد عنه من إشارات يكاد يكون

---

(١) ناصر خسرو، سفر نامة، ص ٨١٣.

(٢) الباذاهنج كلمة فارسية من قطعتين "باذ" بمعنى ساحب" وهنج" بمعنى هواء أي ساحب الهواء (محمد دهمان) المرجع السابق، ص ٢٩، وهو من عناصر التهوية التي كانت تنشأ في مستوى أعلى من سطح الوحدة التي تخدمها. وتنشأ بهندسة خاصة وهناك من كتب رسائل في هندسة الباذاهنج كابن رجب وهو يبنى بأشكال متعددة (راجع، محمد عبد الستار عثمان، نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية بالقاهرة،دار الوفاء لدنيا النشر والطباعة، الإسكندرية ٢٠٠٠، ص ٤١٩، ص ص ٤٣١-٤٣٢)، المقريزى: خطط جـ١ ص ٣٨٧.

محدوداً، وفي ضوء ما ذكره المقريزى يتضح أن هذا القسم كان يشتمل على وحدات متعددة لأغراض المعيشة والنوم وغيرها وهي الوحدات التي أطلق عليها كل من المقريزى والقلقشندى اسم "محلات" وهو ما يعنى ضخامة عمران هذا القصر الذي يشتمل بالإضافة إلى قاعة العرش- التي سبق وصفها- على محلات أخرى متعددة لأغراض سكنى الخليفة وحريمه وخدمه وحراسه[1].

ومن خلال ما ذكره المقريزى والقلقشندى أيضاً نعرف أن كل وحدة من وحدات القسم الخاص بالسكنى من القصر كان يتوسطها فسقية،وفي ذلك إشارة ضمنية إلى احتمال إطلال هذه الوحدات على صحون مكشوفة تنشأ بها هذه الفساقى وكذلك كما أن احتمال وضع هذه الفساقى في مواضع مسقوفة أمر وارد.

ومن المهم أن نشير إلى أن الغرض الأساسي الذي أنشئت من أجله هذه الفساقى كان هو لاستخدام مائها في إطفاء ما لعله يحدث من حريق في القصر وبخاصة أثناء الليل[2]، وتكشف هذه الرؤية في التخطيط المعماري عن تضمين قصر الذهب عناصر الوقاية ما يضمن حمايته من الحريق.

وإذا كانت هذه الفساقى تحقق هذا الغرض الوقائى فإنها أيضاً كانت تحقق قيمة جمالية بالإضافة إلى وظيفتها المتعلقة أيضاً بتلطف حرارة الجو في فصل الصيف،كما أن منظر الماء في هذه الفساقى من شأنه أن يحقق الراحة النفسية[3].

---

(١) المقريزى: خطط ، جـ١ ص ٣٨٦.

(٢) المقريزى: خطط جـ١ ص ٣٨٧، القلقشندى: صبح الأعشى جـ٢ ص٥١٨، عبد المنعم عبد الحميد سلطان، الشرطة والأمن الداخلي في العصر الفاطمي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية ١٩٩٨، ص ٧٢.

(٣) راجع: محمد عبد الستار عثمان، فقه عمارة الحمامات في العصر العثماني، دراسة تطبيقية على ثلاثة من الحمامات في صعيد مصر، بحث بكتاب المؤتمر العالمي الرابع لمدونة الآثار العثمانية، حول "التأثيرات الأوربية على العمارة العثمانية وآليات الحفظ والترميم" إشراف وتقديم عبد الجليل التميمى، نشر مؤسسة التميمى للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس ٢٠٠١ ص ٢٨١.

وتبدو أهمية استخدام الفساقى في القصور الفاطمية وبالذات قصر الذهب في أنه يكشف بالقياس عن السبب وراء كثرة الفساقى بدور الفسطاط التي ترجع إلى العصر الفاطمي، وكذلك كثرة إنشائها في بيمارستان قلاوون والحرص على تكرار إنشائها في المنشآت الدينية المملوكية وبخاصة في صحون هذه المنشآت، ولعل ما نراه في مدرسة السلطان حسن مثال يؤكد الاهتمام بتكرار إنشاء الفسقية في الصحن الذي يتوسط المدرسة، وكذلك في الأقبية الصغيرة للمدارس في الأركان.

ولاشك أن تضمين القصور والدور والبيمارستانات والمنشآت الدينية مثل هذه الفساقى كان في إطار رؤية تخطيطية تعالج سلبية ضيق الشوارع والطرقات والأزقة التي لا توفر إمكانية لحركة سهلة للسيطرة على الحريق، فكان إنشاء الفساقى في وسط هذه المنشآت أي في أقرب موضع لكل موضع فيها وتوصيل هذه الفساقى بمصادر الماء التي تغذيها الآبار أو السواقي الملحقة بهذه المنشآت أو المنشآت المجاورة لها لتحقق السيطرة على أي حريق قد ينشب في هذه المنشآت وبسهولة وسرعة تمكن من إطفاء الحريق لقرب الماء من كل موضع ولاستمراره برفعه من الآبار والسواقي إلى الفساقى في حالة حدوث الحريق[1].

الإيوان الكبير:

أحد منشآت القصر الشرقي الكبير، وقد أنشأه الخليفة العزيز بالله الفاطمي سنة ٣٦٩هـ/٩٧٩م ليكون مقراً لجلوس الخليفة، واستمر في تأدية هذا الغرض حتى نقل المجلس إلى قصر الذهب الخليفة الآمر بأحكام الله الفاطمي، فاستخدم هذا الإيوان بعد ذلك لتخزين السلاح ومن ثم عرف بخزائن السلاح.

ويتصل هذا الإيوان بشبكة الطرق التي تربط بين منشآت القصر الشرقي الكبير ،وكان يرتبط مباشرة ببابي الزهومة، والديلم بالقرب من موضع مشهد الحسين

---

(١) من طريف ما يذكر أن هذه الفكرة ضمنت في العمارة الحديثة بالولايات المتحدة الأمريكية من خلال إنشاء حمامات السباحة وسط العمارات الضخمة، وتضمينها مضخات لرفع الماء لاستخدامه في إطفاء الحرائق التي قد تحدث.

حالياً "تربة الزعفران" من خلال طريقين يربطان هذا الإيوان بهذين البابين من أبواب السور الخارجي للقصر.

كما كان يتقدم هذا الإيوان دهليز وهي سمة معمارية وجد ما يماثلها- كما سبقت الإشارة- في قصر الذهب الذي كان يتقدمه دهليز العمود.

وهذا المبنى كما يومئ اسمه عبارة عن إيوان كبير بل إنه في ضوء هذا المسمى يمكن اعتبار إيوانه أكبر إيوان من مباني القصر حيث إن صياغة مسماه المعرفة "الإيوان الكبير" توحي بذلك، وكان بصدر هذا الإيوان كرسى العرش وكان يطلق على هذا الموضع "الشباك" وكان يعلوه قبة كما كان بجواره باب يسمى "باب الملك" وكان للإيوان باب آخر يسمى "باب خورنق"[1].

وهنا تجب الإشارة إلى التشابه بين كرسى الخليفة في هذا الإيوان وكرسى العرش للخليفة العباسي ببغداد وإطلاق مصطلح الشباك على كل منهما، كما كان هذا الشباك رمزاً معمارياً للخلافة في بغداد حرص البساسيرى على نقله إلى القاهرة ليستخدم لذات الغرض، ولكن في دار الوزارة الكبرى ليجلس عليه الوزير ويتكئ.

نوعيات أخرى من بنايات القصر:

أشار المقريزى إلى نوعيات أخرى من بنايات القصر منها القاعات كقاعة الفضة وقاعة السدرة التي كان يؤدى إليها باب البحر وقاعة الخيم شرقى قاعة السدرة،وهاتان القاعتان الأخيرتان كانتا في الموضع الذي أنشئت عليه مدرسة الظاهر بيبرس[2].

كما أشار المقريزى إلى نوعية أخرى من المنشآت التي كانت داخل سور القصر الشرقي الكبير وهي المناظر. وأشار تحديداً إلى ثلاث مناظر أو "المناظر الثلاث" فذكر أن إحداها بين باب الذهب وباب البحر بناها الخليفة الآمر وهو ما يشير إلى استمرار

---

(١) المقريزى، خطط ص ص ٣٨٩-٣٩٠.

(٢) المقريزى: خطط، جـ١ ص ٤٠٤، وهذه المدرسة ما زالت بعض أجزائها باقية حتى الآن. أثر رقم (٣٧).

الإضافات المعمارية بالقصر الذي تمت عمارته في المراحل التاريخية التالية في العصر الفاطمي، والأخرى على قوس باب الذهب،وقد سبقت الإشارة إليها عند ذكر أبواب القصر، أما الثالثة فيقال لها الزاهرة أو الناضرة، وكان يجلس فيها الخليفة يوم الغدير[١]، ويكشف وجود هذه المناظر بالقصر وكذلك المناظر الذي أنشئت خارجه في داخل المدينة كمنظرة الجامع الأزهر أو خارج أسوارها كمنظرة باب الفتوح، وغيرها عن نوعية من المناظر التي أحب الخلفاء الفاطميون إنشاءها ليستمتعوا بمشاهدات معينة من خلال هذه المناظر يختلف باختلاف ما يرغب الخليفة مشاهدته سواء كان ذلك في إطار رسوم فاطمية بعينها أو مشاهدات حرة بعيداً عن الرسوم.

وقد أشار المقريزى إلى نوعية أخرى من المباني سماها بالقصور مثل قصر الذهب - والذي سبقت الإشارة إليه-وقصر الأفيال وقصر الظفر وقصر الشجرة وقصر الشوك وقصر الزمرد وقصر النسيم وقصر الحريم[٢]، وقصر أولاد الشيخ وكان قاعة سكنها شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب، أي بعد سقوط الخلافة الفاطمية بزمن، حيث آلت ملكية هذه القاعة إلى هذا الشيخ فعرفت به وكان يؤدى إليها باب الريح -كما سبقت الإشارة- كما يشير إلى قصر آخر عرف بقصر الزمرد لما هدم تخلف من أنقاضه أعمدة ضخمة[٣].

وتعتبر سقيفة المتظلمين من الوحدات المعمارية التي تعكس مدى اهتمام الخلفاء الفاطميين بمظالم الرعية حيث كان الرعية المتظلمون يأتون إلى القصر ويقفون تحت هذه السقيفة ويعلن كل منهم بشكواه، وكان الخليفة يستمع إلى هؤلاء المتظلمين ويأمر برفع المظالم عنهم، وقد ذكر المقريزى حكاية لأحد هؤلاء المتظلمين تظلم من أحد كتبة الدولة وأنصفه الخليفة وعاقب المشكو في حقه بعد أن ثبتت مظلمة

---

(١) المقريزى، خطط جـ١ ص٤٠٤.

(٢) المقريزى، خطط جـ١ ص ٣٨٤.

(٣) المقريزى: خطط، جـ١ ص ٥٠٥.

المتظلم[1].

وتعددت الخزانات التي كانت بالقصر الشرقي الكبير ومنها خزانة الكتب وخزانة البنود وخزانة السلاح والدرق وخزائن السروج وخزانة الفرش وخزانة الكسوات وخزائن الآدم وخزانة الشراب، وخزانة التوابل، وخزائن الخيم ودار التعبية وخزانة الجوهر والطيب وغيرها، وهذه الخزانات كانت لخدمة القصر وساكنيه، والدولة، وكان بكل خزانة دكة عليها طراحة ولها فراش وكان الخليفة يمر عليها واختلفت بالطبع الأنماط المعمارية لهذه الخزانات سواء في مساحتها أو في شكلها المعماري، فخزانة الكتب كانت تتسع لثمانية عشر ألف كتاب وكان بها قاعات للإطلاع والنسخ وحواصل لحفظ مستلزمات ذلك بالإضافة إلى رفوف الكتب التي في حنايا الجدران وهي تختلف بالطبع عن خزانة الفرش التي تضمنت قاعاتها رفوفاً لحمل أنواع الفرش، كما كانت خزانة السلاح تختلف في شكلها المعماري حيث اشتملت على حواصل متعددة لتخزين أنواع السلاح المختلفة[2].

وتعتبر دار الضرب من المنشآت المهمة التي أشار المقريزى إليها. فقد أنشئت في بداية الأمر دار للضرب كان في موضعها خزانة بجوار الإيوان الكبير[3]. ثم في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله وعلى وجه التحديد سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م أنشئت دار الضرب الجديدة بجوار خزانة الدرق في موضع البيمارستان العتيق[4].

وتعتبر تربة الزعفران التي أنشأها الخليفة المعز لدفن آبائه من الخلفاء الذين أحضر رفاتهم في توابيت معه عند قدومه إلى مصر، واستمرت هذه التربة كتربة لدفن من يتوفى من الخلفاء الفاطميين وأبنائهم. وكان لهذه التربة -كما أشرنا- باب في أسوار القصر يسمى بباب تربة الزعفران، كما كان يؤدى إليها أيضاً.

---

(١) المقريزى: خطط جـ١ ص ٥٠٥.

(٢) المقريزى: خطط. جـ١ ص ٤٠٨.

(٣) المقريزى: خطط. جـ١ ص ٤٠٦.

(٤) المقريزى: خطط. جـ١ ص ٤٠٦.

وقد أشار المقريزى إلى بعض الأحداث المتعلقة بهذه التربة في وقت الشدة المستنصرية، حيث ذكر أن الأتراك طلبوا من المستنصر في وقت الشدة نفقة فماطلهم "وأنهم هجموا على التربة المدفون فيها أجداده (تربة الزعفران) فأخذوا ما فيها من قناديل الذهب وكان قيمة ذلك مع ما اجتمع إليه من الآلات الموجودة هناك من المداخن والمباخر وحلى المحاريب وغير ذلك خمسين ألف دينار"(١) ويشير هذا النص وبخاصة المحاريب إلى أن تربة الزعفران كان بها مشاهد تضم محاريب ولعلها تشبه المشاهد الفاطمية أو تربة يعقوب بن كلس التي بناها بداره إن لم تفقها ويؤكد ذلك ما ذكره المقريزى عن كبر المساحة التي تشغلها هذه التربة(٢)، وقد أنشئ في موضع قريب منها المشهد الحسيني سنة ٥٤٩هـ /١١٥٤م بواسطة الخليفة الفائز بعد نقل رأس الحسين رضى الله عنه من عسقلان إلى مصر، بعد أن خيف من سيطرة الصليبيين على عسقلان، وكان الصالح طلائع وزير الخليفة قد رغب في إنشاء ضريح له بمسجده خارج باب زويلة لكن رأي الخليفة انتهي إلى بناء مشهد له داخل أسوار القصر، وتم ذلك بالفعل وهو أمر أحزن الصالح طلائع(٣)، وكان هذا الموضع الذي دفن به الحسين عند "قبة الديلم بباب دهليز الخدمة"(٤)، وهو وصف يشير إلى قبة عرفت بقبة الديلم، غالباً كانت تعلو باب الديلم، أو أنها كانت قبة مستقلة قريباً من هذا الباب، كما يشير النص إلى باب يؤدى إلى دهليز يسمى دهليز الخدمة وهو دهليز من دهاليز كثيرة كانت تؤدى إليها أبواب السور الخارجي أو أنها كانت عناصر معمارية تؤدى إليها مداخل البنايات أو القصور الأخرى في داخل القصر.

---

(١) المقريزى، خطط جـ١ ص٤٠٨.

(٢) المقريزى، خطط جـ١ ص٤٠٧.

(٣) المقريزى: خطط، جـ١ ص ص ٤٠٧، ٥٢٧.

(٤) المقريزى: خطط، جـ١ ص ٥٢٧.

القصر الغربي الصغير

يذكر المقريزى أنه كان تجاه القصر الكبير الشرقي الذي تقدم ذكره في غربيه، قصر صغير يعرف بالقصر الغربي ومكانه الآن حيث البيمارستان المنصورى، وما في صفه من المدارس ودار الأمير بيسرى وباب قبو الخرتشف وربع الملك الكامل المطل على سوق الدجاجين المعروف اليوم بالتبانين وما يجاور ذلك من الدروب المعروف اليوم بدرب الخضيرى تجاه الجامع الأقمر، وما وراء هذه الأماكن إلى الخليج"[1]، ويشير هذا النص إلى المساحة التي كان يشغلها هذا القصر وهي مساحة كبيرة نسبياً ويكشف عن كبرها ما كان من حقوق هذا القصر كالميدان الذي يعرف بالخرتشف والبستان الكافوري وقاعة ست الملك التي كانت من القاعات المتسعة الضخمة والتي شغل موضعها الآن بيمارستان قلاوون.

ولتفسير التناقض بين مسمى هذا القصر بالقصر الغربي الصغير وكبر المساحة التي كان يشغلها فلابد من الإشارة إلى أن هذا القصر الذي بناه العزيز بالله ابن المعز لدين الله في اتجاه قصر أبيه الشرقي الكبير في إطار ثنائية القصور التي وجدت قبل ذلك في المهدية مثل قصر عبيد الله المهدى وقصر ابنه القائم وكان بالفعل قصر العزيز صغيراً إذا ما قورن بقصر المعز الكبير إلى الشرق منه ثم أحدثت إضافات معمارية كبيرة في هذا القصر وبخاصة في عهد الخليفة المستنصر الذي أنشأ في سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م قصراً أتمه في سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٥م، وصرف على بنائه ألفي ألف درهم، وتكشف المدة التي تم فيها بناء القصر وهي سبع سنوات وكذلك ما أنفق في بنائه عن ضخامة هذا البناء وفخامته.

وتشير الرواية التي ذكرها ابن أبى طي أن سبب بناء المستنصر لهذا القصر هو أنه عزم على أن يجعله منزلاً للخليفة القائم بأمر الله صاحب بغداد ويجمع بني العباس إليه ويجعله كالمجلس لهم، فخانه أمله، وتممه في هذه السنة

---

(١) المقريزى، خطط جـ١ ص٤٥٧.

(٤٥٧هـ/١٠٦٥م) وجعله لنفسه"[١]، وفي هذه الرواية ما يكشف عن أن هناك هدفاً سياسياً كان وراء إنشاء هذا القصر بهذا المستوى ثم انتهي الأمر بسكنى الخليفة المستنصر له وهو ما يعني أن الخليفة المستنصر انتقل من القصر الشرقي ليسكن هذا القصر.

ثم يستطرد المقريزى ليذكر أن ابن ميسر أشار إلى أن ست الملك أخت الحاكم كانت أكبر من أخيها الحاكم،وأن والدها العزيز بالله كان قد أفردها بسكنى القصر الغربي وجعل لها طائفة برسمها كانوا يسمون القصرية، وهذا يعني أن القصر الغربي كان قد بنى قبل المستنصر وهو الصحيح[٢].

وقد ذكر المقريزى أن هذا القصر كان يشتمل على عدة أماكن منها الميدان والبستان الكافوري والقاعة التي كانت مقر سكنى ست الملك، وقد حدد المقريزى موضعها بأنها كانت في المكان الذي بنى فيه فيما بعد بيمارستان قلاوون[٣]، وأشار إلى كبر مساحتها، وقيل إن البيمارستان أنشئ على هذه القاعة وتمثل جدران القاعات الفاطمية أساساً لقاعات البيمارستان، وذلك على رواية المقريزى التي تشير أن قلاوون أبقى القاعة على حالها وعملها مارستاناً وهي ذات إيوانات أربعة بكل إيوان شاذروان وبدور قاعة فسقية يصير إليها من الشاذروانات الماء[٤].

وإذا كان موضع البيمارستان إلى الغرب من مدرسة قلاوون ومدرسة برقوق[٥]، والمدرسة الكاملية[٦]، ومدرسة الناصر محمد[٧] إلى الشمال الشرقي منه فإن ما ذكره

---

(١) المقريزى: خطط جـ١ ص٤٥٧.

(٢) المقريزى: الخطط جـ١ ص٤٥٧.

(٣) أثر رقم ٤٣.

(٤) المقريزى: خطط جـ٢ ص٤٠٦.

(٥) أثر رقم ١٨٧.

(٦) أثر رقم ٤٢٨.

(٧) أثر رقم ٤٤.

المقريزى عن بناء قصر المستنصر في موضع هذه المدارس ودار البيسرى التي كانت بجوار حمام إينال حالياً[١] يكشف عن أن بناء قصر المستنصر بالله كان إلى الشرق من بناء القصر الغربي الصغير الأقدم الذي بناه العزيز وسكنت فيه ست الملك.

وقد كان هذا القصر كما يذكر المسبحى بمستوى معماري رائع تعكسه أوصاف المسبحى له بأنه "لم يبن مثله في شرق ولا غرب"[٢].

وقد أجرى الأستاذ عبد الرحمن عبد التواب تنقيبات أثرية عام ١٩٧١ في الإيوان الغربي لمدرسة قلاوون إحدى المدارس التي أنشئت في موضع من مواضع هذا القصر وكشف عن فسقية فاطمية الطراز تمثل العنصر المعماري الباقي من هذا القصر في هذا الموضع، كما كشفت أعمال التنقيب التي حدثت مؤخراً أثناء تنفيذ مشروع ترميم ضريح قلاوون عن أساسات مبان فاطمية تنتهي إلى الغرب من جدار القبلة بحوالي ٢ متر.

وكان لهذا القصر عدة أبواب ذكر المقريزى منها ثلاثة أبواب هي باب الساباط، وباب التبانين وباب الزمرد، وأشار إلى أن باب الساباط هو الآن باب سر البيمارستان، أي أنه في الغرب من مدرسة قلاوون، وذكر المقريزى أنه بجوار حمام الساباط الذي كان في الأصل حمام القصر الغربي[٣]، وفي ذلك إشارة إلى وحدة معمارية أخرى من وحدات القصر، حدث عليها تعديل وأصبحت تستخدم كحمام مستقل في العصر المملوكي.

وكان هذا القصر يرتبط بالقصر الشرقي بسرداب في باطن الأرض، وكلاهما يتصل بمنظرة اللؤلؤة على الخليج غربي السور الخارجي للمدينة بسرداب.

وقد فتحت رواية المقريزى عن إبقاء قلاوون على قاعة ست الملك وعملها

---

(١) أثر رقم ٥٦٢.

(٢) المقريزى: خطط جـ١ ٤٥٧.

(٣) المقريزى: خطط جـ٢ ص٨٠.

مارستاناً- الباب واسعاً أمام الباحثين لمناقشة تأريخ القاعة وانقسم الباحثون إلى قسمين رئيسيين قسم يرى أنها ترجع إلى العصر الفاطمي معتمدين في الأساس على رواية المقريزى الصريحة والتي لا يوجد ما يبرر لإنكارها خصوصًا أن المقريزى كان دقيقاً إلى حد بعيد فيما ذكر من آثار وخطط القاهرة، وقسم يرى أنها ترجع إلى العصر المملوكي دون اعتبار لرواية المقريزى.

ومن الذين اعتمدوا على رواية المقريزى هرتز باشا الذي انتهي إلى أن ما بقى من القصر الفاطمي هو القاعة ذات الإيونات الأربعة وأن هذه القاعة أدخلت في عمارة البيمارستان الذي أنشأه قلاوون وهو رأي يعنى أن قلاوون أبقى على القاعة الفاطمية وبخاصة القطاعات السفلية من جدرانها التي أتمها وفق الطراز المملوكي، ويؤكد ذلك شكل النوافذ والزخارف في القطاعات العلوية من الجدران، كما يعنى أن البيمارستان شمل هذه القاعة ووحدات أخرى بنيت أي أنه قد حدث تكييف لعمارة القاعة الفاطمية التي أدخلت ضمن التخطيط العام للبيمارستان[١].

وإذا صح هذا الرأي فإن هذا المثال يمكن اعتباره من الأمثلة الواضحة على: تدوير العمارة" تمثل في استغلال قاعة قديمة أنشئت للسكنى لتحول إلى قاعة للعلاج في مبنى بيمارستان قلاوون. وهو أمر يكشف عن براعة المعمار الذي أدخل هذه القاعة ضمن تخطيط البيمارستان لتؤدى هذا الغرض الجديد، كما أنه يكشف عن بعد اقتصادي مهم حيث إن الإبقاء على هذه القاعة وإعادة استغلالها كوحدة من وحدات البيمارستان يوفر في تكاليف الإنشاء ومن جهة أخرى يكشف عن متانة وجمال العمارة الفاطمية.

ومن جهة النظر المعمارية يعد إدخال هذه القاعة في عمارة البيمارستان مثالاً جيداً لتكييف وحدات معمارية قديمة في بناء جديد يؤدى وظيفة جديدة.

كما أن تخطيط القاعة بإيواناتها الأربعة في هذه الحالة والذي يثبت إرجاعه إلى

---

(١) Comite, Exercice 1910, Le Caire, 1911, pp. 143-145 & Creswell, Op. Cit, p. 208.

العصر الفاطمي- وفق رأي هرتز باشا- يؤكد من جديد وبمثال واضح وجود تخطيط الإيوانات الأربعة المطلة على صحن في الوسط وهو التخطيط الذي استمد فيما بعد في المدارس، ويحاول الآثاريون تأصيله وفي هذا الأصل إضافة لما يذكره هؤلاء الآثاريون من آراء.

وفي إطار هذا التوجه البحثي المتعلق بدراسة أصول تخطيط المدارس أكد كل من فريد شافعي(١)، وعباس حلمي(٢) رأي هرتز باشا، كما أيد هذا الرأي محمد سيف النصر أبو الفتوح في إطار دراسته للبيمارستان لكن اتجه إلى إمكانية إضافة وحدات معمارية أخرى للقاعة ليكتمل بناء البيمارستان بوحداته التي كانت تخدم أنماط العلاج المختلفة، وهو رأي صحيح في إطار وظائف البيمارستان العلاجية التي تطلبت وجود وحدات أخرى.

ويمثل الرأي المخالف لهذه الآراء رأي كريسويل الذي يذكر صراحة أنه لم يتبق من قاعة ست الملك أو من العمارة الفاطمية أي أجزاء ضمن عمارة البيمارستان الذي أنشأه قلاوون، كما أنه يشير أيضاً إلى أن أي جزء من جدران القاعة ذات الأواوين الأربعة لا يمكن إرجاعه إلى العصر الفاطمي في إطار تأكيد واضح ويتفق مع هرتز باشا في أن الأجزاء العلوية من الإيوانات بنوافذها وزخارفها تنتمي إلى العصر المملوكي(٣)، وهذا الرأي ساقه دون أن يذكر أدلة واضحة تدعمه.

وإذا كانت آراء الدارسين على هذا النحو بين مؤيدين ومعارضين اعتقاداً في رواية المقريزى أو إهمالها فإن مراجعة هذه الآراء مراجعة واضحة تدفع إلى أهمية الكشف الأثرى عن القطاعات السفلية للجدران وتحليل مواد بنائها لقطع الشك باليقين

---

(١) فريد شافعي: المرجع السابق ص ٤٦١.

(٢) عباس حلمي: المدارس الإسلامية ودور العلم وعمارتها الأثرية، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، العدد ٣، ١٣٩٧- ١٣٩٨هـ، ص ص ١٥٦-١٥٧.

(٣) Creswell (K.A.C) The Muslim Architecture of Egypt, Oxford, 1959, Vol. II,, p. 208

ويمكن أن يستكمل هذا العمل أيضاً بإجراء حفريات أسفل الإيوانات الباقية والتي تشير الروايات إلى أنها من بقايا بناء قاعة ست الملك[1].

وأوضحت أعمال الحفر بأواوين البيمارستان أثناء مشروع الترميم الأخير أن القطاعات السفلى من الجدران بمواد بنائها وأسلوب البناء وما وجد بها من بعض الفتحات التي تنخفض كثيراً عن الأرضية المملوكية صحة رأي هرتز باشا.

---

(١) محمد حمزة الحداد، السلطان قلاوون (تاريخ - أحوال مصر في عهده - منشآته المعمارية) مكتبة مدبولي، القاهرة عام ١٩٩٣ ص ١٨٥.

ملحقات القصور الفاطمية خارج أسوارها وبواباتها

أنشئت ملحقات القصر الشرقي الكبير وكانت تخدم أيضاً القصر الغربي الصغير خارج أسوار القصر، ومن أهم هذه الملحقات المطبخ السلطاني، ودار الفطرة والمنحر، وهذه المنشآت الثلاث تشترك في أنها تتصل بالطعام الذي يعد للقصر وما كان يوزع منه على رجال الدولة والرعية في مناسبات الأعياد.

ومطبخ القصر كان بجوار القصر الغربي في مقابل باب الزهومة تجاه المدارس الصالحية[١]، وكان هناك سرادب يصل ما بين هذا المطبخ والقصر الشرقي الكبير لنقل الطعام الذي يجهز في هذا المطبخ[٢]، ويكشف هذا الموضع للمطبخ عن رؤية جيدة لاتجاه الرياح التي تهب على القاهرة حيث إن غالب اتجاه حركة الرياح من الشمال الغربي ووضع المطبخ في هذا الموضع يعنى أن ما قد يصدر عن هذا المطبخ من أدخنة وروائح للطعام لا يؤثر على القصر الشرقي الكبير أو القصر الغربي الصغير.

ويقدم ناصر خسرو وصفاً لهذا المطبخ فيقول إن "المطبخ السلطاني خارج القصر ويقوم على خدمته خمسون خادماً بصفة دائمة ويربط المطبخ بالقصر نفق تحت الأرض ويحملون إلى القصر كل يوم حمل أربعة عشر بعيراً عن الثلوج لتبريد المياه السلطانية[٣]، وهو وصف بالإضافة إلى أنه يكشف عن كبر هذا المطبخ فإنه يشير أيضاً إلى وجود نفق في باطن الأرض يربط بين المطبخ والقصر وهكذا كان التوصل بين القصر والمطبخ من هذا النفق بالإضافة إلى باب الزهومة المقابل له.

ويكشف موضع دار الفطرة التي كانت لإعداد الفطائر والحلوى التي توزع في الأعياد والمناسبات بالقصر وخارجه عن نفس الرؤية التي تعنى تجنب القصور

---

(١) أثر رقم ٣٨.

(٢) ناصر خسرو: سفر نامة، ص ١١٤، المقريزى: خطط جـ١ ص ٤٦٢.

(٣) ناصر خسرو: سفر نامة، ص١١٤.

للدخان الصادر عن الأفران التي بهذه الدار والتي يتم فيها إنضاج تلـك النوعيـات المختلفة من الفطائر والحلوى، فقد ذكر المقريزى أنها كانت تقع قبالة باب الديلم في القطاع الشرقي في الاتجاه الجنوبي، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

أما المنحر فكان يقع إلى الشمال الشرقي من القصر في موضع كان تجاه خانقاه بيبرس الجاشنكير(١)، وكان ينحر فيه الخلفاء الذبائح في أيام الأعياد، وهنـا تجـب الإشارة إلى أن الخلفاء أيضاً كانوا ينحرون في أيام الغدير عند بـاب الـساباط فـي القصر الغربي(٢).

ومن المنشآت التي كانت توفر الحبوب اللازمة للقصر وأيـضاً لكـل المدينـة الأهراء السلطانية وكانت تقع في موضع خزانة شمائل في موضع جامع المؤيد شيخ حالياً وكانت تتسع لثلثمائة ألف أردب، وكان بها مخازن لأنواع الحبوب المختلفة(٣).

ومن المنشآت التي ارتبطت بخدمات القصر "المناخ السعيد"، وكان يضم مطاحن القصر ومخازن الأخشاب والحديد وغيرها، ويقع في القطاع الشمالي الـشرقي مـن المدينة قرب باب النصر(٤)، وقد تضمن هذا المناخ العديد من الحواصل التي أعـدت لتخزين ما كان يخزن في هذه المنشأة.

وتعتبر الاصطبلات من الوحدات الخدمية المهمة للقصور الفاطمية، وكان يؤدى هذه الخدمة اصطبل الطارمة وكان يقع في الجهة الجنوبية الشرقية من القصر تجاه باب الديلم شرق الجامع الأزهر. واختيار موضع هذا الاصطبل في هذا المكان يعتبـر اختياراً متوافقاً في اتجاه الرياح لمدينة القاهرة شأنه شأن التوفيق في اختيار موقـع دار الفطرة، وكذلك المطبخ السلطاني، وقد سمى هذا الاصطبل باصـطبل الطارمـة،

---

(١) المقريزى: خطط جـ١ ص ص ٤٣٦-٤٤٧.

(٢) أثر رقم ٣٢.

(٣) المقريزى: خطط جـ١ ص ٤٦٤

(٤) المقريزى: خطط جـ١ ص ٤٤٤

والطارمة كما يذكر المقريزى البيت من الخشب[1]، وربما كشفت التسمية عن أسلوب ومواد إنشاء هذا الاصطبل.

كما كان هناك اصطبل آخر هو اصطبل الجميزة وسمى بذلك نسبة إلى شـجرة من الجميز كانت في موضعه، وكان هذا الاصطبل في موضع مجاور لباب الساباط في القصر الغربي، وكان به ساقية لرفع الماء لسقى الخيول[2].

ويكمل المقريزى منظومة الاصطبلات التي أنشئت في العصر الفاطمي اصـطبل الحجرية وكان موضعه بجوار باب الفتوح القديم أي على بعد ١٥٠ متراً جنوبي باب الفتوح في سور بدر الجمالي، وكان هذا الاصطبل مخصصاً لخدمة خيـول الـصبيان الحجرية أي من طوائف العسكر في زمن الخلافة الفاطمية وهو يخدم هذه الفئة التي كان لها دورها في تأمين القصور الفاطمية، وكان لهؤلاء الصبيان الحجريـة حجـر تسمى حجر الصبيان، تذكر بالأبراج الذي كان يربى فيها المماليك بالقلعـة، وكـان موضع هذه الحجر في موضع باب الجامع الحاكمى الذي يؤدى إلى باب النصر[3].

---

(١) المقريزى: خطط جـ١ ص٤٦٤.

(٢) المقريزى: خطط جـ١ ص ٤٦١.

(٣) المقريزى: خطط جـ١ ص٤٤٣.

مناظر ومتنزهات الخلفاء الفاطميين

أنشأ الخلفاء الفاطميون بالإضافة إلى قصورهم وملحقاتها الخدمية مجموعة كبيرة من المناظر والمتنزهات تكشف عن جانب مهم من حياتهم غلب عليه الطابع الترفيهي وكان بعض هذه المناظر يتصل ببعض الرسوم الفاطمية والاحتفالات في بعض الأعياد ولم تخل هذه أيضاً من بعد ترفيهي أساسي لأن النسبة الغالبة من هذه المناظر أنشئت للغرض الترفيهي.

وقد اختلفت مواضع هذه المناظر باختلاف الغرض من إنشائها، وقد تحكم هذا الغرض في مواضعها تبعاً لذلك، فعلى سبيل المثال:أنشئت منظرة الجامع الأزهر ليشاهد فيها الخليفة ليالي الوقود بالجامع المذكور، كما أنشئت منظرة باب الفتوح خارجه ليشاهد منها الخليفة استعراضات الجند عند خروجهم للحروب في بلاد الشام.

وهناك نوعية أخرى من المناظر اهتم بها الخلفاء الفاطميون اهتماماً كبيراً حيث إنشئت على شاطئ الخليج الشرقي أو على شاطئ النيل ليستمتع الخلفاء بالإقامة بها في بعض الوقت وبخاصة في الأيام التي تعقب الفيضانات الآمنة، وقد عوضت هذه المناظر بعد موضع القاهرة، وبالتالي قصور الخلفاء بداخلها عن رؤية صفحة مياه الخليج أو النيل، وقد كانت عمارة هذه المناظر بمثابة قصور جميلة تضمنت من الحدائق والبساتين ما وفر للخلفاء عنصرين طبيعيين من العناصر التي تروح عن النفس وتشع فيها البهجة والسرور وهما الماء والخضرة، ومن هذه المناظر منظرة اللؤلؤة التي عرفت بقصر اللؤلؤة وكانت تقع على الخليج بالقرب من باب القنطرة وقد أشرنا إلى أنها كانت ترتبط بالقصور الفاطمية داخل أسوار القاهرة بسراديب في باطن الأرض، وكان هذا القصر يضم بستاناً رائعاً وبركة ماء وكان يمكن للخلفاء من مبانيها أن يروا صفحة ماء النيل خلف البساتين.

ويرجع إنشاء هذه المنظرة إلى الخليفة العزيز عام ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م وقد هدمها بعد ذلك بقليل عام ٤٠٢هـ/١٠١١م ويقال إن الخليفة الظاهر بن الخليفة الحاكم أعاد عمارتها، كما اهتم الخليفة الآمر بأحكام الله بعمارتها اهتماماً خاصاً جعلها موئل

الخلفاء حيث كانوا يقيمون بها وقتاً طويلاً، وقد مات بها كل من الخليفة الآمر بأحكام الله والحافظ لدين الله والفائز وحملوا إلى القصر الشرقي من خلال السراديب التي تربط القصر بهذه المنظرة، ويشير المقريزى إلى أنه عندما جاء إلى القاهرة نجم الدين شادي أخو صلاح الدين أنزله بهذه المنظرة عام ٥٦٧هـ/١١٧١م(١).

ومنظرة الغزالة أيضاً من المناظر التي أنشأها الخلفاء الفاطميون على الخليج بجوار منظرة اللؤلؤة عند موضع قنطرة الموسكى وكان يجاورها أيضاً دار الذهب على يسرة الخارج، من باب الخوخة بينما بينه وباب سعادة في منطقة بين السورين وقد بنى هذه المنظرة الوزير الأفضل شاهنشاه.

وفي إطار ما سبق يتضح أن المناظر الثلاث السابقة اللؤلؤة والغزالة ودار الذهب قد أنشئت متجاورة على الخليج من الشمال إلى الجنوب بالترتيب، وكانت تشكل منتجعاً ترفيهياً على الخليج غربي القاهرة خارج أسوارها في أقرب موضع للماء خارج أسوار القاهرة.

وبجانب هذه المناظر أنشأ الفاطميون مجموعة أخرى من المناظر في مواضع أخرى منها منظرة السكرة في بر الخليج الغربي، وقد أنشئت هذه المنظرة ليجلس بها الخلفاء عند فتح الخليج، وكانت تضم بستاناً رائعاً، وقد أنشأ هذه المنظرة الخليفة العزيز بالله بالقرب من منظرة السد بالقرب من جامع السيدة زينب، وقد أشار المقريزى إلى ما ذكر عن هذه المنظرة وجمالها زخرفتها فقال إنها "من جنات الدنيا المزخرفة"، وهو أمر يشير إلى الاهتمام بالنواحي الجمالية في عمارة هذه المناظر، كما يشير المقريزى إلى أن هذه المنظرة كانت تضم بالإضافة إلى المواضع المخصصة للخليفة أماكن لنزول الوزير وغيره من الأستاذين(٢).

ومن هذه المناظر منظرة الدكة بجوار المقس أي أنها كانت تقع عند مرفأ المقس مطلة على النيل، فيما بينه وأرض اللوق ، ومن المناظر الأخرى التي أنشئت

---

(١) المقريزى، خطط جـ١ ص٤٧٠.

(٢) المقريزى، خطط جـ١ ص٤٦٨.

في هذا الموضع منظرة المقس التي كانت تقع بجوار جامع المقس أي إلى الشمال من المنظرة السابقة في الموضع المجاور لجامع أولاد عنان بميدان رمسيس والذي يسمى الآن "جامع الفتح" وكانت هذه المنظرة معدة لجلوس الخليفة لمتابعة تجهيز الأسطول الذي كان يعد لمحاربة الفرنج(١)، ومثل هذه المنظرة كانت توجد منظرة أخرى تسمى "منظرة الصناعة" بالساحل القديم في مصر (الفسطاط) وكان يجلس بها الخليفة في بعض الأحيان(٢).

وإذا كانت منظرة الدكة ومنظرة الصناعة وكذلك منظرة باب الفتوح مواضع يتابع فيها الخليفة استعدادات الجند للحرب، فإن هناك مناظر أخرى أنشئت لتحقيق رغبات عاطفية مثل منظرة "الهودج" التي كانت بمثابة متنزه بناه الخليفة الآمر بأحكام الله لمحبوبته البدوية(٣).

وفي إطار العاطفة الدينية وارتباط بعض أفراد الأسرة الحاكمة الفاطمية بمنطقة القرافة كان إنشاء السيدة تغريد ابنة الخليفة العزيز لقصر القرافة عام ٣٦٦هـ/٩٧٦م وكان هذا القصر واحداً من عدة منشآت أنشأتها هذه السيدة منها الجامع والبستان والبئر والحمام، بجانب القصر، وقد جدد الخليفة الآمر بأحكام الله هذا القصر وجعل له منظرة محمولة على قبو تمر المارة من تحته وبه طاق، ويجلس بهذه المنظرة الخليفة ويشاهد مصطبة الصوفية، ويتجاوب مع الصوفية وشيخهم(٤)، وهو أمر يكشف عن جانب آخر من الجوانب العاطفية للخليفة الآمر الذي يلاحظ أن له فضلاً كبيراً في إنشاء العديد من المناظر الفاطمية أو إعادة عمارتها لتزدهر من جديد.

وإلى الشمال من ميناء المقس أنشأ الفاطميون مناظر أخرى على الشاطئ

---

(١) المقريزى، خطط جـ١ ص٤٨٠.

(٢) المقريزى، خطط جـ١ ص٤٨٣.

(٣) المقريزى، خطط. جـ١ ص٤٨٥.

(٤) المقريزى، الخطط جـ١ ص٤٨٦.

الشرقي للنيل منها منظرة البعل[1] في منطقة أرض البعل التي تقـع إلـى الـشمال مباشرة من أرض الطبالة والتي تقع بدورها إلى الشمال من المقس (منطقة ميـدان رمسيس حالياً) وإلى الشمال الغربي من هذه المنظرة وفي منطقة مدينة السيرج التي تقع في القطاع الشمالي من حي شبرا قرب منطقة الخلفاوى أنشأ الفاطميون منظرة التاج وهاتان المنظرتان كانتا من إنشاء الوزير الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمـالي، وهو الذي أنشأ أيضاً منظرة خمسة الوجوه حيث كان بها خمسة وجوه من أعمـال الخشب (السواقي) كانت تسقى البستان العظيم الملحق بهـا، وقـد جـدد الـسلطان المملوكي المؤيد شيخ عمارة هذه المنظرة عام ٨٢٣هـ/١٤٣٠م[2].

وأنشأ الفاطميون أيضاً على بركة الحبش جنوب القاهرة منظرة عرفت بمنظـرة "بركة الحبش" بناها الخليفة الآمر من خشب مدهون وفيها طاقات تشرف على خضرة بركة الحبش وصور فيها الشعراء كل شاعر وبلده، وكان يجاور كـل صـورة رف مذهب[3]، ويكشف هذا الوصف عن نوعية مختلفة من نوعيات المناظر التي تكشف عن الترفيه الثقافي،وبخاصة ثقافة الشعر حيث كان الخليفة يكافئ كل شاعر بوضـع صرة من النقود على الرف المجاور لصورته وشعره تقديراً له، كمـا يكـشف هـذا الوصف عن الاهتمام بالتصوير الجدارى في مناظر الفاطميين وهو تصوير نفذ على الجص بالفرسكو بحماماتهم أيضاً ومنها حمام أبو السعود الذي كشف عـن بعـض تصاويره.

وبالغ الفاطميون في إنشاء البساتين التي جعلوها أيضاً من منتزهـاتهم ومنهـا بستان أبى المنجا وبستان قصر الورد بالخاقانية قرب قليوب، وكذلك كانـت بركـة الجب في ظاهر القاهرة الشمالي واحدة من هذه المتنزهات.

ولاشك أن هذه النوعية من المنشآت الترفيهية كانت تلبى حاجات الفاطميين من

---

(١) المقريزى، الخطط جـ١ ص٤٨٠ ، فتحى مصيلحى، المرجع السابق، ص١٣١.

(٢) المقريزى، الخطط جـ١ ص٤٨١.

(٣) المقريزى، خطط جـ١ ص٤٨٦.

الخلفاء والوزراء، ورجال الدولة في هذا الجانب الذي لا غنى عنه لجعل الحياة أكثر راحة ومتعة ولتخفيف عناء العمل وجهده، ولاشك أن بناء المناظر الترفيهية على شاطئ الخليج أو النيل أو شبرا كان فيه التوجيه للبناء والتوسع العمراني على هذه الأراضي في العصور التالية.

المنشآت الإدارية الأخرى بمدينة القاهرة:

- الدواوين:

عندما سيطر الفاطميون على مصر استخدموا دار الإمارة التي أنشأها أحمد بن طولون كمقر للإدارة ثم نقلت الدواوين منها إلى دار يعقوب بن كلس وزير الخليفة العزيز الذي أنشأ بعد موت يعقوب داخل القصور إيواناً لهذا الغرض عرف "بالإيوان الصغير"نقلت إليه دواوين من الإدارة مثل ديوان الجيش والإنشاء والنظر وغيرها[١].

ونزل أمير الجيوش بدر الجمالي في دار الظفر بحارة برجوان، ثم أنشأ الأفضل شاهنشاه دار الوزارة الكبرى التي سميت أيضاً بالدار الأفضلية، والدار السلطانية، وكان في موضعها دار تسمى دار القباب وأملاك لبنى هريسة، في موضع تجاه خانقاة سعيد السعداء، مجاورة للقصر الشرقي الكبير من الجهة الشمالية الشرقية، وكان لها سور من الحجر يفصلها عما جاورها من مبان، واشتملت عن قاعة جعل الصالح طلائع بن رزيك بصدرها سراديب، كما استغل في بنائها شباك كبير جاء به البساسيرى من بغداد قيل هو شباك الخليفة العباسي، وقد أدخل هذا الشباك في عمارة هذه الدار وصار يتكئ عليه الوزير مثلما كان يفعل الخليفة العباسي، وكان موضع هذا الشباك في موضع ضريح خانقاه بيبرس الجاشنكير[٢]، وظلت هذه الدار سكن الوزراء الفاطميين حتى نهاية العصر الفاطمي، وكان بها العديد من القاعات ومساكن وبستان وكان فيها مائة وعشرون مقسماً للماء الذي يجرى في بركتها

---

(١) المقريزى. خطط جـ١ ص٣٧١.

(٢) أثر رقم ٣٢.

ومطابخها[1].

ثم أنشأ الأفضل نفسه داراً أخرى أطلق عليها اسم "دار الملك" عام ٥٠١هـ/١١٠٧م تحول إليها من دار القباب "دار الوزارة الكبرى" التي سبقت الإشارة إليها، وحينما كملت سكنها ونقل إليها الدواوين، ولما مات الأفضل صارت هذه الدار من جملة متنزهات الخلفاء وهو ما يعنى عودة الوزارة إلى دار الوزارة الكبرى التي ظلت على حالها مقراً للوزارة حتى نهاية العصر الفاطمي، وكان بهذه الدار بستان عظيم وبعد العصر الفاطمي حولها الملك الكامل الأيوبي إلى دار متجر ثم عملت في أيام الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى دار وكالة، ويذكر المقريزى أن موضع هذه الدار كان ما وراء حبة الخروب بجوار المدرسة المعزية على النيل[2].

ومن المنشآت الرسمية دار الضرب التي أنشأها الآمر بأحكام الله عام ٥١٦هـ/١١٢٢م في منطقة مجاورة لخزانة الدرق في موضع من البيمارستان العتيق وهي غير دار الضرب التي كانت داخل القصور وسبقت الإشارة إليها.

دار العلم الجديدة:

هذه الدار أنشئت في ظهر خزانة الدرق قرب باب تربة الزعفران عام ٥١٧هـ/١١٢٣م، وهي غير دار العلم التي فتحها الحاكم عند باب التبانين بالقصر الغربي، مقابل الجامع الأقمر عام ٣٩٥هـ/١٠٠٥م واستمرت هذه الدار حتى نهاية الدولة الفاطمية، وتكشف قصة إنشاء هذه الدار وغلق الدار التي أنشأها الحاكم على أن دار الحاكم أغلقت بسبب اتخاذها مركزاً من جانب المناوئين للخلافة من النزارية[3] والخشبية أي أن غلقها كان لأسباب سياسية، ثم كان إنشاء الدار الجديدة بعيداً عن القصر وبعد أن طالب رجال العلم بإنشائها تحقيقاً للأغراض العلمية بعيداً من أي نشاط سياسي، وتكشف هذا الأمر عند تأثير الوضع السياسي في النصف

---

(١) المقريزى، خطط جـ١ ص٤٣٩.

(٢) المقريزى، خطط جـ١ ص٤٨٤.

(٣) المقريزى، خطط جـ١ ص٤٤٥.

الثاني من العصر الفاطمي على عمارة هذه النوعية من المنشآت العلمية.

- دار الحسبة والعيار:

وهي من المنشآت الرسمية المهمة المتعلقة بمراقبة الموازين والمكاييل والإشراف على الأسواق وكانت هذه الدار بجوار منشأة رسمية أخرى هي حبس المعونة التي خصص لحبس أصحاب الجرائم من العامة، أما المخالفين من رجال الدولة فكان يتم حبسهم في خزانة البنود، واستمر هذا السجن طوال القصر الفاطمي وكذلك العصر الأيوبي حتى تم هدمه في العصر المملوكي، وأنشئ في موضعها قيسارية القصر بواسطة السلطان قلاوون عام ٦٨٠هـ/١٢٨١م(١)، ويمكن تحديد موضعه في الموقع الذي يقع إلى شمال مدرسة الأشرف برسباي بالأشرفية مباشرة.

- حارات القاهرة الفاطمية :

استخدم مصطلح "الحارة" استخداماً واضحاً في التخطيط أو التقسيم العمراني للمدن العربية الإسلامية، وظل مستخدماً إلى وقت قريب في المدن والبلاد بالجزيرة العربية التي يغلب الطابع القبلي على تصنيف سكانها، والحارة وحدة تقسيم في التخطيط العمراني أكبر من "الخطة" والتي هي وحدة تقسيم أخرى ولكن بحجم أصغر عرفت في التخطيط أو التقسيم العمراني للمدن العربية الإسلامية منذ عهد الرسول ﷺ وهو تقسيم له سوابقه العربية في المدن العربية القديمة تتمثل في أرباع المدن جمع "ربع"، وفي إطار ما سبق كانت الحارة وحدة التقسيم أو التخطيط العمراني للمناطق السكنية في مدينة القاهرة.

وفي إطار هذه الرؤية للتخطيط العمراني للمناطق السكنية في مدينة القاهرة كان توصيف الرحالة والمؤرخين والجغرافيين لهذه المناطق واستخدم مصطلح "الحارة" كأكبر وحدة في التقسيم حيث إنها يمكن أن تضم وحدات تخطيطية بتقسيم أصغر كالخطة وفي إطار ذلك يمكن أن تستوعب الحارة أكثر من خط، وزاد التوجه نحو استخدام هذا المصطلح الأخير كلما تقدم وزاد عمران المدينة وتشعبت تقسيمات

---

(١) المقريزى، خطط جـ١ ص٤٦٣.

حارتها ونلحظ هذا بصفة خاصة في أوصاف المقريزى لما حدث بحارات القاهرة في النصف الثاني من العصر الفاطمي، وكذلك العصرين الأيوبي والمملوكي.

وانتظاماً مع التطور العمراني للقاهرة الفاطمية في حدود الإطار الزمني فإن البداية الصحيحة لمناقشة التخطيط العمراني لمدينة القاهرة تبدأ مع تقسيم هذه المدينة إلى حارات.

وقد ذكر ناصر خسرو أسماء حارات القاهرة حيث ذكر أن "في القاهرة محلات ويسمون المحلة "حارة" وحارات القاهرة هي: حارة برجوان، حارة زويلة، حارة الجودرية، حارة الأمراء، حارة الديالمة، حارة الروم، حارة الباطلية،حارة قصر الشوق، حارة عبيد الشراء، حارة المصامدة"[١].

ويصف المقريزى حارات القاهرة وصفاً تفصيلياً، وهو وصف يسجل بالإضافة إلى ما كانت عليه حارات القاهرة في العصر الفاطمي، ما حدث لها من تطور أو تغير عمراني، ومعمارى في العصرين الأيوبي والمملوكي فيذكر أن حارة برجوان منسوبة إلى الخادم برجوان أحد رجال الدولة الفاطمية، وهذه الحارة كان بها الدار التي سكنها أمير الجيوش بدر الجمالي، وتعتبر داره من أهم المنشآت[٢] المعمارية بمدينة القاهرة، وهذه الحارة تشغل قطاعاً كبيراً من القاهرة في الجهة الشمالية الغربية، وهي تشغل اليوم شارع برجوان وحارة برجوان وما يتفرع منها من العطف والأزقة[٣]، وهو ما يعنى أن هذه الحارة ظلت بعض مناطقها محتفظة بمسماها حتى الآن.

وحارة زويلة كانت أيضاً من أهم حارات القاهرة الفاطمية، وتنسب هذه الحارة إلى قبيلة زويلة وهي قبيلة من البربر، شكلت قطاعاً مهماً من جيش جوهر الذي استولى على مصر، وتقع هذه الحارة بالقرب من باب زويلة في القطاع الجنوبي

(١) ناصر خسرو، الرحلة، ص١٠٤.

(٢) المقريزى، خطط جـ٢ ص٣.

(٣) فؤاد فرج، المرجع السابق، ص ٤٢١.

الغربي، وقد انعكس العدد الكبير لهذه القبيلة على كبر مساحة هذه الحارة حيث إن هذه الحارة يمكن تحديد موضعها حالياً بالمساحة التي يحدها من الشمال شارع الخرنفش ومن الغرب شارع زويلة ودرب الكتاب، ومن الجنوب شارع الصقالبة، ومن الشرق شارع اليهود القرائين وحارة خميس العهد[١]، ويتخللها عدة شوارع وحارات وعطف، وقد تضمنت هذه الحارة كنيسة العذراء- التي سبقت الإشارة إليها- باعتبارها أحد المباني القديمة التي وجدت في موضع مدينة القاهرة واستوعبها عمران القاهرة.

وفي الوصف السابق لحارة زويلة ما يشير إلى أن تقسيم الأرض في مدينة القاهرة إلى حارات أثر عليه حجم القبائل التي شكلت هذه الحارات فقد اتسعت الحارة أو صغرت بحسب حجم القبيلة أو الفئة الاجتماعية التي تسكنها، وقد أثر هذا بلا شك على تخطيط شبكة الطرق التي تربط بين مساكنها بعضها ببعض، وكذلك بين هذه الطرق وشبكة الطرق الرئيسية بالمدينة كالطريق الأعظم والطرق الأخرى المؤدية إلى المنشآت العامة الأخرى، كما أن وجود كنيسة العذراء-كمبنى سابق-كان له تأثيره أيضاً على تخطيط المباني السكنية من حولها مع المحافظة على عمارة هذه الكنيسة،وتنسيق وجودها مع النسيج العمراني الجديد لحارة زويلة التي تضمنتها.

وحارة الجودرية من حارات القاهرة، وقد نسبت إلى طائفة انتسبت بدورها إلى جودر خادم عبيد الله المهدى، مؤسس الدولة الفاطمية في إفريقية، وكان عدد رجال هذه الطائفة الذين حضروا مع جوهر أربعمائة رجل، واختطوا حاراتهم في المنطقة التي يخترقها اليوم شارع الجودرية وفروعه حارة الجودرية الكبيرة وحارة الجودرية الصغيرة وعطفة الجودرية بقسم الدرب الأحمر[٢].

أما حارة الأمراء فكانت تقع بالقرب من باب الزهومة أحد أبواب القصر الشرقي

---

(١) مصطلح حارة هنا. مصطلح حديث. يعنى طريق فرعى متفرع من طريق رئيسي غير المصطلح الأثرى للحارة الذي سبقت الإشارة إليه.

(٢) فؤاد فرج. المرجع السابق. ص ٤٢٢.

الكبير في القطاع الجنوبي الغربي من أسواره وموضعها اليوم الدكاكين الموجودة في أول شارع خان الخليلي على يسار داخله من شارع القمصانجية المتفرع من شـارع المعز لدين الله(١).

أما حارة الديلم أو حارة الأتراك فتنسب إلى الديلم الذين جاءوا إلى مصر بصحبة هفتكين غلام المعز بن بويه الديلمي الذي تغلب على الشام أيام المعز الفاطمي وقاتل جوهر واستنصر بالقرامطة ثم خرج إليه العزيز بالله فأسره في الرملة وقدم به إلـى القاهرة عام ٣٦٨هـ/٩٧٨م مما أجزل له العطاء، وأنزلـه هـو وأصـحابه بهـذه المنطقة من القاهرة، حيث نزل الديلم مع أصحابهم في موضع حارة الـديلم ونـزل الأتراك ونزل هفتكين مع أتراكه في هذا المكان أيضاً فصار يعرف بحارة الأتراك وهو ما يعنى أن حارة الديلم والأتراك منطقتان سكنيتان متجاورتان الأصل فيهمـا حـارة الديلم، وكانت حارة الأتراك منها، ومن أهم المنشآت التي أنشئت في مرحلة متأخرة في العصر الفاطمي في هذه الحارة دار الصالح طلائع بن رزيق، وكان يسكنها قبـل أن يتولى الوزارة، وكانت هذه الحارة كبيرة جداً، وقد نزل الأتراك في الموضع الذي يشغله اليوم حارة الكحكيين ودرب الأتراك وحارة حوش قدم وإلى اليوم يوجد بحارة حوش قدم زقاق مشهور بحبس الديلم(٢).

وحارة الروم تنسب إلى جند جوهر من الروم الذين جلبهم الفاطميون من بـلاد الروم التي خضعت لحكمهم، وشكل هؤلاء الجند الروم نسبة كبيرة في جنس جـوهر الذي سيطر على مصر، وإزاء ضخامة عدد هؤلاء الجند فقد خصص لهم حارتين من حارات القاهرة هما حارة الروم السفلى في القطاع الجنوبي الشرقي مـن القـاهرة، ومن أهم المباني القديمة التي كانت في موضعها قبل إنشاء القاهرة كنيسة العـذراء بحارة الروم التي ترجع إلى القرن ٦م، ونسج عمران الحارة حولها في اتساق كامل، أما الحارة الثانية التي خصصت للروم فموضعها في المنطقة جنوب باب النصر إلـى

---

(١) فؤاد فرج، المرجع السابق، ص ٤٢٢.

(٢) المقريزى، خطط جـ٢ ص١، فؤاد فرج، المرجع السابق، ص٤٢٢.

الغرب قليلاً، ويشير المقريزى إلى أن الحاكم أمر عام ٣٩٩هـ/١٠٠٨م بهدم حارة الروم تهدمت ونهبت[١]، وتومئ هذه الرواية إلى وجود حارتين للروم إحداهما عليا في القطاع الشمالي من المدينة والأخرى سفلى في القطاع الجنوبي، بالإضافة إلى ضخامة عددهم الذي كان السبب في إنشاء حارتين لهم فضلاً عن أن هناك أسباباً أخرى أدت إلى تسكينهم في حارتين متباعدتين بهذا الشكل يرجح كان منها المساحة الفضاء اللازم للإنشاء.

وحارة الباطلية من الحارات المهمة في القاهرة وتنسب إلى طائفة من المغاربة جاءوا إلى مصر مع المعز، فلما قسم العطاء في الناس جاءت هذه الطائفة فسألوا العطاء فقيل: فرغ المال، فقالوا: رحنا نحن في الباطل، فسموا الباطلية، وعرفت الحارة بهم، ويدل على موضع هذه الحارة شارع الباطنية وحارة الباطنية في الجهة الجنوبية الشرقية من الجامع الأزهر[٢].

أما حارة قائد القواد فتنسب إلى حسين بن جوهر الملقب بقائد القواد، ثم عرفت في مرحلة لاحقة باسم حارة ملوخية نسبة إلى ملوخية أحد فراشي القصر، وكان صاحب ركاب الخليفة الحاكم بأمر الله ويعرف مكانها اليوم باسم حارة قصر الشوق المتفرعة من شارع قصر الشوك بالجمالية[٣].

وحارة كتامة من الحارات المهمة في القاهرة وهي منسوبة إلى قبيلة كتامة، والتي كان لها دورها في قيام دولة الفاطمية ونشأتها، وقد كانوا -كما أشرنا- يشكلون قطاعاً مهماً في جيش جوهر الذي فتح مصر[٤]، وموضع هذه الحارة حالياً يحدد بالمنطقة التي تتوسطها حارة الأزهري وعطفة الدويداي، وما يتفرع منها العطف

---

(١) المقريزى، خطط جـ٢ ص٨.

(٢) المقريزى، خطط جـ٢ ص٨، فؤاد فرج، المرجع السابق، ص ٤٢٣.

(٣) المقريزى، خطط، جـ٢ ص ص ١٤-١٥، فؤاد فرج، المرجع السابق، ص٤٢٣.

(٤) المقريزى، خطط جـ٢ ص١٠

والدروب في المنطقة الواقعة في الجهة الجنوبية من الجامع الأزهر[١] في المنطقة المجاورة لحارة الباطلية، وقد زاد عدد القادمين من كتامة إلى القاهرة في عهد العزيز بالله فزاد عمران حارتهم.

وحارة البرقية نسبت إلى أهل برقة الذين أتوا مع المعز لدين الله لما قدم إلى مصر وبنوا مساكنهم في المنطقة التي يخترقها اليوم شارع الدراسة وهي تحد من الشمال بسكة كفر الطماعين وعطفة بير العلوة ومن الغرب بشارع العلوة وشارع الكفر وسكة السويقة ومن الجنوب شارع الغريب ومن الشرق بشارع قرافة المجاورين وبرج الصفر[٢].

وحارة الوزيرية عرفت أولاً باسم بستان المصمودى ثم حارة الأكراد، ثم نسبت إلى طائفة الوزيرية نسبة إلى الوزير أبى الفرج يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله، وهذا الرجل كان له دور بارز في تاريخ الدولة الفاطمية حيث إنه كان في الأصل تاجراً يهودياً أفلس بالشام وجاء إلى مصر وأسلم في عهد كافور الإخشيدي والتحق بخدمته وأثرى فكثر حساده فهرب إلى إفريقية وتقرب من الخليفة المعز هناك، وكان له دوره في تعريف المعز لدين بأحوال مصر قبل سيطرة الفاطميين عليها، ولما تمت سيطرة الفاطميين على مصر جاء إليها صحبة المعز لدين الله وارتقى أمره حتى تقلد الوزارة للعزيز بالله[٣].

وتحدد الدراسات حارة الوزيرية في العصر الفاطمي بالمنطقة التي يحدها اليوم من الشمال سكة اللبودية وشارع الوزير الصاحب، ومن الغرب شارع درب سعادة، ومن الجنوب الجزء الغربي من سكة النبوية، والجزء الشمالي من حارة الجودرية ومن الشرق بشارع بيبرس[٤].

---

(١) فؤاد فرج، المرجع السابق، ص ٤٤.

(٢) المقريزى، خطط جـ٢ ص١٢، فؤاد فرج، المرجع السابق ص٤٢٤.

(٣) المقريزى، خطط جـ٢ ص ٥.

(٤) فؤاد فرج، المرجع السابق، ص٤٢٤.

أما حارة المحمودية منسوبة إلى الطائفة المعروفة بالمحمودية التي قدمت إلى القاهرة في أيام العزيز بالله إلى مصر وكانت هذه الحارة تشغل المنطقة التي يتوسطها اليوم شارع الأشرافية والنصف الشرقي من سكة النبوية[1].

وفي إطار ما سبق ذكره من حارات القاهرة يتضح أن بعض هذه الحارات أنشئت فور إنشاء وتخطيط القاهرة على يد جوهر عام ٣٥٨هـ/٩٦٩م لسكنى القبائل والفئات التي تشكل منها جيشه الفاتح، ثم لما قدم المعز أتت معه قبائل وفئات أخرى اختطت لهم حارات وكان ذلك عام ٣٦٢هـ/٩٧٣م، وازداد عمران حارات القاهرة بتقدم الزمن وقدوم فئات أخرى من خارج مصر للسكنى بالقاهرة لأسباب مختلفة، كما كان لزيادة سكان القاهرة وزيادة عمرانها بعد أن استقرت الدولة أثر مهم في زيادة عدد الحارات وتشعبها.

وفي رواية ناصر خسرو عن عدد الجند المشاركين في احتفال فتح الخليج من كل فئة من الفئات التي أشرنا إلى سكنى بعضها في حارة خاصة بهم، يوضح ما نذهب إليه فقد ذكر أن المشاركين من كتامة عشرون ألف فارس ومن الباطلية خمسة عشر ألف فارس، ومن المصامدة عشرون ألف فارس ومن المشارقة وجمهرتهم من الأتراك والأعاجم (الديلم والأتراك) عشرة آلاف فارس، وفريق عبيد الشراء يقولون إنهم من نسل مماليك السلطان ثلاثون ألف فارس، وفريق من البدو وهم أهل الحجاز وكلهم من الرماة خمسون ألف رام وفريق يسمى القصريون نسبة إلى القصر وهم خليط من الجند جاءوا من كل الولايات، وفريق من الزنوج ثلاثون ألف محارب[2].

واستمر الحال على ذلك طوال العصر الفاطمي، ولا أدل على ذلك مما يذكره المقريزى عن حارة المصامدة، التي عرفت بطائفة المصامدة، إحدى طوائف عساكر الخلفاء الفاطميين التي اختطت في وزارة المأمون البطائحى وخلافة الآمر بأحكام الله

---

(١) المقريزى، خطط جـ٢ ص ٤ ، فؤاد فرج، المرجع السابق ص٤٢٤.

(٢) ناصر خسرو، سفر نامة، ص ٩٩-١٠٠.

عام ٥١٥هـ/١١٢١م[1]، وكان لزيادة الحاجة إلى العمران أن أنشئت حارات خارج أسوار القاهرة التي أنشأها كل من جوهر وبدر الجمالي.

وفي إطار ما سبق يتضح أن التصنيف الاجتماعي والوظيفي كان هو المسيطر على تقسيم الأرض في مدينة القاهرة وتخطيط حاراتها التي انسحبت على مسمياتها في إطار هذا البعد المؤثر على التخطيط العمراني للقاهرة، كما اتضح أن الحارات لم تنشأ كلها في وقت واحد، وإنما كان ذلك في مراحل مرتبطة بزيادة عمران القاهرة، وبأحداث التاريخ الفاطمي ذاته وهو التاريخ الذي شهد ازدهاراً أدى إلى زيادة العمران حتى الشدة المستنصرية التي كان لها أثرها في انحدار العمران، لفترة من الزمن استطاع فيها بدر الجمالي أن يضبط الأمور واستطاع الوزراء من بعده كالأفضل والمأمون البطائحى أن يعودوا بعمران القاهرة إلى مستوى أفضل.

المساكن بالحارات في مدينة القاهرة:

اشتملت الحارات على الدور السكنية، بالإضافة إلى المنشآت العامة الأخرى كالمساجد والحمامات وغيرها، وقد وردت إشارات وأوصاف مهمة للدور والمنازل بالقاهرة منها ما ذكره ناصر خسرو أنه سمع "أن بالقاهرة ثمانية آلاف منزل كلها من أملاك السلطان تؤجر شهرياً للناس حسب رغبة المستأجر وتحصل منهم الأجور في آخر كل شهر دون قهر وتعد وتظلم"[2]. وفي ذلك إشارة مهمة إلى أن الخليفة أو الوزراء كان لهم دور مهم في إنشاء الدور بالقاهرة وتأجيرها لمن لا يستطيع أن يقوم بإنشاء دار لسكناه، وهي سياسة مهمة من جانب السلطة ساعدت على عمران القاهرة.

ويكشف ناصر خسرو - بصورة غير مباشرة-عن زيادة عمران القاهرة ومصر وكثرة الدور التي بها حتى أنه يقول "إن بمدينتي القاهرة ومصر خمسين ألف جمل لجلب المياه إلى جانب السقائين الذين يحملون الماء على ظهورهم، ويستخدم

---

(١) المقريزى، خطط جـ١ ص٢٠.

(٢) ناصر خسرو، سفر نامة، ص٩٤.

السقاءون القرب لحمل الماء ويتجولون في الحواري الضيقة التي لا يستطيع الجمال دخولها"[١]، وفي ذلك إشارة واضحة إلى أن دور القاهرة كان بها مواضع لحفظ مياه الشرب، أما الماء الذي يستخدم في الأغراض الأخرى بالدور وغيرها فكان يرفع من الآبار بواسطة السواقي.

ومن الروايات التي ذكرها ناصر خسرو تكشف عن ارتفاع المباني السكنية في مدينة القاهرة وتعدد طوابقها ما يذكره من أنه في الوقت الذي كان فيه في القاهرة "كانت تؤجر قطعة الأرض التي مساحتها عشرون ذراعاً في اثنى عشر ذراعاً بخمسة عشر ديناراً تقريباً ويوجد في مثل هذه المساحة (حوالي ٦٠ متراً) بناء ذو أربعة أدوار، وكان صاحب المنزل يسكن في أعلى العمارة ويؤجر الأدوار الثلاثة الباقية للراغبين من الناس، وقيمة الأجر الشهري لكل دور خمسة دنانير مغربية في الشهر، وأراد أحد السكان أن يستأجر الدور العلوي الخاص بصاحب المنزل على أن يدفع خمسة دنانير مغربية كل شهر إلا أن صاحب المنزل رفض مع أنه لم يسكن في ذلك الدور خلال العام إلا مرتين فقط"[٢].

ولهذه الرواية أهميتها في الكشف عن أن الامتداد الرأسي بالمباني كان ظاهرة معمارية في القاهرة في هذه الفترة التي زار فيها ناصر خسرو القاهرة ٤٣٩-٤٤١هـ (١٠٤٧-١٠٤٩م) والامتداد الرأسي بالمباني له بعده الاقتصادي في استغلال مساحة الأرض التي يبنى عليها أمثل استغلال كما أنه يكشف من جهة أخرى عن ارتفاع ثمن الأرض وعدم توفرها وهو أمر حدث بالقاهرة مع زيادة أعداد القاطنين بها واستمرار زيادتهم بعد ذلك كما سبقت الإشارة في الحديث عن حارات القاهرة.

كما إن للامتداد الرأسي دلالاته المعمارية المتصلة بأساليب التخطيط وأساليب ومواد الإنشاء التي يمكن من الارتفاع بالبناء لأربعة طوابق، وقد ذكر ناصر خسرو

---

(١) ناصر خسرو، سفر نامة، ص٩٦.

(٢) ناصر خسرو، سفر نامة، ص٩٧.

معلومة مهمة عن مساحة بعض هذه الدور بلغ نحو ستين متراً (٢٠×١٢ ذراع) وهي المساحة التي كان يسكنها صاحب الدار أو يؤجر في كل طابق، ولاشك أن إنشاء وحدة سكنية بهذه المساحة تضم حجرات النوم والمعيشة والمرافق الأخرى يتطلب براعة في تخطيط هذه المساحة الضيقة لتوزيع هذه العناصر، هذا بجانب تخطيط عناصر الاتصال كالسلالم وعناصر الصرف وغيرها.

ويتضح من رواية ناصر خسرو أيضاً أن الاستثمار العقاري في القاهرة كان من مجالات الاستثمار المهمة حيث جرت العادة بأنه يؤجر صاحب الدور لمن يريد من السكان بعض الوحدات السكنية في داره وإن احتفظ بالطابق العلوي لسكناه، ولاشك أن مشاركة العامة في هذا الاستثمار بجانب رجال الدولة الذين اتجهوا - كما سبقت الإشارة- لهذه النوعية من الاستثمار العقاري كان من شأنه زيادة عمران القاهرة وحل مشكلة الإسكان بها.

ومن طريف ما تدل عليه رواية ناصر خسرو أن الإيجار في الشهر وصل إلى خمسة دنانير "مغربية" للوحدة السكنية التي مساحتها حوالي ٦٠ متراً مربعاً وقد رأي ناصر خسرو في ذلك قيمة مرتفعة.

ومن المهم أيضاً في رواية ناصر خسرو أن صاحب الدار كان يصر على سكنى الطابق العلوي ولا يؤجره ولاشك أن ذلك يرتبط بالخصوصية في مبنى يسكنه أربع أسر مختلفة، كما أنه مع ارتفاع الامتداد الرأسي للمباني يصبح الطابق الأعلى مميزاً في هوائه وضوئه، كما أنه يبعد عن ضوضاء الشوارع الذي يزدحم بالمارة وكذلك عن الغبار الذي تثيره الدواب والمارة وذلك إذا ما قارنا بين وضع هذا الطابق العلوي والطابق الأرضي على سبيل المثال.

وكما تحدث ناصر خسرو عن الدور التي تسكنها الفئات المتوسطة تحدث أيضاً عن الدور والقصور التي أنشئت بالقاهرة لعلية القوم من الوزراء ورجال الدولة وغيرهم من الأثرياء والتي أسماها بالقصور، حيث يذكر أن قصور القاهرة نظيفة متسقة كما لو كانت مبنية من الجواهر وليست من الطين، وهي قصور متباعدة عن

بعضها الآخر بشكل منفصل بحيث إن أشجار أي بيت لا تتدلى على البيت الآخر، فإذا أراد إنسان هدم بيته وإعادة عمارته لم يسبب أذى لأي جار من جيرانه"[١]، ويكشف هذا النص عن أكثر من حقيقة منها أن هذا القصور بنيت باللبن، وأنها كانت تشتمل على حدائق أي أنها دوراً حدائقية، وهي سمة سبقت الإشارة إلى وجودها في قصري الخلافة ومناظر الخلفاء والوزراء، كما يلاحظ أن هذه القصور كانت "نظيفة ومنسقة" وهما سمتان معماريتان تكشفان عن مستوى العمارة السكنية في القاهرة الفاطمية.

ومما تجدر الإشارة إليه تلك المساحات الخضراء في عمارة المساكن بالقاهرة وهي المساحات التي لفتت انتباه ناصر خسرو فسجل ملاحظاته عليها بقوله أن الإنسان يرى في "قلب القاهرة كثيراً من الحدائق التي تتخلل المنازل وتسقى من مياه الآبار" ويستطرد ناصر خسرو في حديثه عن هذه الحدائق فيقول "ولم أر في حياتي أجمل من هذه الحدائق الناضرة المنتشرة في كل حارات القاهرة، ويصدق ما ذكره ناصر خسرو عن الحدائق بالدور السكنية ما كشف عنه من منازل بمدينة الفسطاط يتوسط أفنيتها الفسقيات وأحواض الزهور.

وإذا كانت الحدائق الأرضية قد لفتت انتباه ناصر خسرو وعبر عن إعجابه بها فإنه أيضاً أشار إلى حدائق السطوح التي تعلو المنازل بالقاهرة حيث يذكر أنه رأي "في أعلى الأسطح كثيراً من الحدائق الجميلة بهجة للناظرين"[٢]. ويكشف هذا التوصيف عن مدى الاهتمام بتوفير المسطحات الخضراء في حدائق المنازل أو على سطوحها، وهو ما يعرفه اليوم بحدائق السطح Roof Garden.

المنشآت التجارية بالقاهرة الفاطمية:

أنشئت بالقاهرة كثير من المنشآت التجارية كالدكاكين والأسواق التي توفر لسكان القاهرة ما يحتاجونه، وقد كان إنشاء هذه المنشآت نوعاً من الاستثمار العقاري للدولة، ويذكر ناصر خسرو بهذا الخصوص أنه قدر عدد الدكاكين في مدينة

---

(١) ناصر خسرو، سفر نامة، ص٩٧.

(٢) ناصر خسرو، سفر نامة، ص ٩٦.

القاهرة فوجدها "لا تقل عن عشرين ألف دكان وكلها ملك خاص للسلطان، وأجرة أغلب هذه الدكاكين عشرة دنانير مغربية في الشهر ولا تقل عن دينارين بحال من الأحوال"[١]، وقد أشار المقريزى أيضاً إلى بعض أسواق القاهرة في العصر الفاطمي مثل سوق حارة برجوان الذي عرف في مرحلة تالية بسوق أمير الجيوش بدر الجمالي[٢]، وسوق القماحين الذي عرف في مرحلة لاحقة بسوق الشماعين[٣]، وسوق الصيارف التي كانت توفر الخدمات المصرفية اللازمة لتسهيل التعامل في كل أسواق ودكاكين القاهرة،وكانت هذه السوق كما يذكر المقريزى عند باب الزهومة[٤]، أي في موقع متوسط للمدينة بما يسهل لجميع ساكني المدينة الوصول إليه.

ومن أسواق المواد الغذائية سوق الشرائحين والذي عرف بعد ذلك بسوق الشوايين، وكان هذا السوق من أول الأسواق التي أنشئت بالقاهرة[٥]، كذلك وجدت السويقات أي الأسواق الصغيرة مثل سويقة الوزير[٦].

ومن المنشآت التجارية المهمة التي أنشئت بالقاهرة في العصر الفاطمي القياسر. والقياسر من المنشآت التجارية المهمة والكبيرة وقد جرت العادة في إنشائها في المدن الإسلامية منذ عهد مبكر[٧]. ومن القيساريات التي أنشئت بالقاهرة في العصر الفاطمي قيسارية ابن أبى أسامة[٨].كما أنشئت دار للوكائل تعتبر إرهاصة مهمة لإنشاء الوكالات بمصر .

---

(١) ناصر خسرو، سفر نامة، ص ٩٤.

(٢) المقريزى، خطط جـ٢ ص ٩٥.

(٣) المقريزى، خطط جـ٢ ص٩٦.

(٤) المقريزى، خطط جـ٢ ص ٩٧.

(٥) المقريزى، خطط جـ٢ ص ١٠٠.

(٦) المقريزى، خطط جـ٢ ص ١٠٤.

(٧) محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، ص٢٤٢-٢٦٧.

(٨) المقريزى، خطط جـ٢ ص ٨٩.

ولاشك أن إنشاء الدكاكين والقياسر والأسواق وغيرها من المنشآت التجارية كان في بداية الأمر على جانبي الشارع الأعظم الذي يشق القاهرة من باب الفتوح شمالا إلى باب زويلة جنوبا. وقد زاد نمو هذه المنشآت التجارية في العصر الفاطمي وما تلاه من عصور أدت إلى امتداد عمارة هذه المنشآت تجاه الشرق والغرب وحلت كثير من المنشآت محل نوعيات أخرى من العمارة في إطار التطور والنمو العمراني للقاهرة بعد العصر الفاطمي[١].

- **الحمامات:**

تعتبر الحمامات العامة من أهم المنشآت التي جرت العادة بإنشائها في المدن الإسلامية. وكان من أهم نوعيات المباني جذباً في الاستثمار العقاري لزيادة قبول المجتمع الإسلامي على استخدامها بسبب تعاليم الإسلام الداعية إلى النظافة والتطهر، وبسبب عدم توفر حمامات بكل الدور وبخاصة دور الطبقات الدنيا في المجتمع[٢]

وقد أنشئت بالقاهرة في العصر الفاطمي حمامات يلاحظ أن منشئيها من رجال الدولة. وفي ذلك ما يتم منظومة المنشآت العامة والمساكن التي تنشأ بغرض الاستثمار العقاري من جانب رجال الدولة لتوفير الحياة الكريمة للفئات غير القادرة عن إنشاء المساكن وغيرها. ومن أمثلة الحمامات التي أنشئت في العصر الفاطمي حمام القاضي وحمام الخشيبة وحمام الكويك وحمام لؤلؤ الحاجب[٣]

وفي إطار ما سبق يتضح أن عمران القاهرة وكثرة مبانيها بنوعياتها المختلفة كان في إطار سياسة واضحة قامت على تبني الدولة ورجالها - ابتداء من الخليفة فالوزراء والأمراء والقضاة والأثرياء بإنشاء المنشآت السكنية والتجارية والصحية

---

(١) للاستزادة راجع:

A. Raymond et . G. Wiet Les Marches du Caire, Traduction de texte de Maqrize Institut Français d' Archéologie Oriental du. Caire, 1979.

(٢) محمد عبد الستار عثمان. المدينة الإسلامية. ص ص ٢٤٦-٢٥٢

(٣) المقريزي. خطط جـ٢ ص ص٨٣، ٨٥

لقدرتهم على ذلك واعتبار ذلك نوعاً من الاستثمار العقاري الذي يكسبهم دخلاً ويوفر في ذات الوقت المسكن والمتجر والحمام للفئات الأخرى من سكان المدينة التي لا تقوى على إنشاء هذه المنشآت لكنها تستفيد منها بدفع إيجار شهري نظير استغلالها وهو ما ساعد على ازدهار العمران وتخطى أي مشكلات قد تنتج عن عدم توفر هذه النوعيات من المباني.

وإذا كانت مباني القاهرة المدنية قد اندثرت بسبب ما اعترى القاهرة من أعمال التغيير والتطوير والتعديل والهدم والبناء في العصور التالية للعصر الفاطمي، فإنه بقى من هذه العمائر قاعة من دار تنسب إلى العصر الفاطمي هي قاعة الدردير وبعض الألواح الخشبية التي استخدمت في عمائر أخرى،ويعوض نقص أمثلة العمائر السكنية في القاهرة إلى حد ما كشف عنه من المنازل في مدينة الفسطاط، والتي ترجح نسبتها إلى العصر الفاطمي.

وهذه النماذج من الآثار الباقية نعرض لها بالدراسة في ضوء الصورة التي سبق عرضها عن العمائر الفاطمية وهي أمثلة تصدق ما ورد عن هذه العمائر الدارسة كما أنها تعطى بعض الملامح التفصيلية المعمارية التي توضح كثيراً مما ورد عن المباني الدارسة وتوضح أيضاً جانباً من جوانب التخطيط المعماري في العصر الفاطمي وكذلك مواد وأساليب الإنشاء المتبعة.

قاعة الدردير

تقع قاعة الدردير[١] في حي الغورية، ويتوصل إليها من شارع الكحكيين فشارع ضريح الشيخ الدردير الذي عرفت هذه القاعة باسمه بحكم جوار هذه القاعة لضريح الشيخ الدردير.

وقد اعتبرت هذه القاعة أثراً مملوكياً منذ عام ١٩٣٢ حتى كشف الأستاذ حسن عبد الوهاب عام ١٩٤١م عن إزار خشبي تتسم كتاباته وزخارفه بالسمات الفاطمية

---

(١) أثر رقم ٤٨٨.

مما جعله ينتهي إلى نسبة هذه القاعة للعصر الفاطمي.

وإذا كنا نخالف هذا الرأي الذي انتهي إليه حسن عبد الوهاب فإنه من الأجدر أن نعرض بالوصف المعماري لهذه القاعة نعتمد عليه وعلى غيره من الأدلة على إثبات صحة ما نذهب إليه من أن هذه القاعة بالرغم من وجود هذا الإزار الذي أشار إليه حسن عبد الوهاب يمكن إرجاعها إلى ما بعد العصر الفاطمي وإلى العصر المملوكي، كما كان الاعتقاد أولاً.

ويتوصل إلى القاعة عن طريق ممر منكسر يؤدى إلى قاعة تتكون من درقاعة في الوسط مربعة المسقط طول ضلعها ٦ متر وإلى الشمال والجنوب من هذه الدر قاعة إيوانان كبيران ترتفع أرضية كل منهما قليلاً عن أرضية الدرقاعة، والإيوانان يطل كل منهما على الدر قاعة بكامل اتساعهما بعقد يبلغ اتساع فتحته ٥,٥ متراً ويغطى كلا منهما قبو برميلي قطاعه مدبب قليلاً يبلغ ارتفاعه عن مستوى الأرض ١١,٥ متراً وينتهي القبو الجنوبي عن الحائط الجنوبي وكذلك القبو الشمالي عند الحائد الشمالي للقاعة بنصف قبة ترتكز في كل من الركنين على مثلثات كل مثلث منها متساوي الساقين يشبه المثلثات في العمائر السلجوقية والتركية، وعند رأس وقاعدة كل مثلث في ركني الإيوان الجنوبي عقد من النوع المنكسر Keel- arch كما يلاحظ وجود نافذة في الجدار الجنوبي لها ستارة خشبية.

وحوائط القاعة كلها مبنية بالحجر حتى بداية مآخذ القبوات، أما القبوات والمثلثات مبنية بالآجر، وهذه السمة انتشرت انتشاراً واضحاً في العصرين الأيوبي والمملوكي.

كما يلاحظ وجود دخلات بجدران الدر قاعة وهذه الدخلات ضيقة يبلغ اتساع كل منها ٢,٥متر وعمقها ٥٠ سم،ويبدو ذلك بوضوح في الجدار الشرقي، حيث يكتنف هذه الدخلات فتحتا بابين لكل منهما عتب خشبي ويبلغ اتساع كل فتحة متر واحد، ويعلو كل فتحة باب وعلى محورها الرأسي دخلة معقودة من أعلى بعقد منكسر، وهذا التصميم للدخلات يماثل ما هو قائم في بعض القاعات التي ترجع أيضاً إلى

العصر المملوكي.

وعلى ارتفاع ٣,٥ متر من أرضية الجدار الشرقي للدر قاعة بما يشتمل عليه من دخلات يوجد الإزار الخشبي الفاطمي الذي كشفه الأستاذ حسن عبد الوهاب ويبلغ عرضه ٥٥ سم ويبلغ طوله ٢,٨٣ متر وهذا الإزار مقسم إلى ثلاثة أشرطة الأوسط أعرض من العلوي والسفلي ويضم نقوشاً كتابية كوفية فاطمية على أرضية من الأوراق النباتية الخماسية والثلاثية النصوص والتي تخرج من تموجات لفروع نباتية، أما الشريطان السفلي والعلوي فضيقان بالنسبة للشريط الأوسط ويزخرف كلا منهما عروق على هيئة أمواج مطردة أو متقابلة في تماثل وتخرج منها أوراق نباتية وأنصاف مراوح نخيلية.

ونص الكتابات في الشريط الأوسط "[بـ]سم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ .....﴾[1].

ومن الملاحظات المهمة التي تجب الإشارة إليها أن كلمة "بسم" في بداية النص والشريط ينقصها حرف الباء والسن الأول من حرف السين ويتضح من ذلك أن اللوح المثبت في هذه القاعة يبدو واضحاً أنه لم يصنع خصيصاً لها وفي الغالب نقل من مبنى آخر وأعيد استخدامه في هذه القاعة.

واستخدام الأشرطة الخشبية وغيرها من عناصر مواد الأشياء والزخرفة في العمائر القديمة أمر معروف في تاريخ العمارة ومنها العمارة الإسلامية،ولعل أوضح مثل من العصر الفاطمي هو تلك الأشرطة الخشبية التي أعيد استخدامها في بيمارستان قلاوون والحشوات الخشبية الفاطمية التي أدخلت في منبر الجامع الأقمر الذي قام بعمله يلبغا السالمى في العصر المملوكي.

وفي إطار هذه الحقيقة يتضح أن الشريط الكتابي في قاعة الدردير نقل من مسجد فاطمي في الغالب، وأعيد استخدامه في هذه القاعة خصوصا أن النص

(١) قرآن كريم سورة التوبة آية رقم ١٨.

القرآني المنقوش فيه جرت العادة بنقشه في المساجد.

ومن المهم أن نشير أيضاً إلى أن الأستاذ حسن عبد الوهاب اعتمد أيضاً على شكل العقود المنكسرة في القاعة على نسبتها إلى العصر الفاطمي،وإذا كانت هذه العقود قد عرفت في العصر الفاطمي وينسب شكلها إليه إلا أن شكل العقد المنكسر استمر في العمارة الأيوبية والمملوكية البحرية بصورة متكررة وبنفس السمات مع بعض التطوير في التفاصيل أحياناً.

ومما سبق يتضح أن قرائن حسن عبد الوهاب التي اعتمد عليها في نسبة القاعة إلى العصر الفاطمي لا تقوى أمام أدلة وقرائن أخرى ترجع نسبة القاعة إلى عصر لاحق للعصر الفاطمي سواء العصر الأيوبي أو المملوكي.

وأول الأمور الملفتة للانتباه هو أن نظرة لطبوغرافية الموضع الذي أنشئت عليه هذه القاعة مقارنة ذلك بمستوى الأرضيات الأصلية للمباني الفاطمية الباقية كمسجد الصالح طلائع على سبيل المثال تشكك في صحة نسبة هذه القاعة إلى العصر الفاطمي، حيث إن أرضيتها ترتفع كثيراً عن أرضية المنشآت الفاطمية.

وربما يعترض أحد على هذا الأمر في إطار احتمال أن تكون الأرضية الأصلية التي أنشئت عليها القاعة مرتفعة في الأصل خصوصًا أن بعض المصادر أشارت إلى أن القاهرة كان يتخللها بعض الربى وهو اعتراض قائم الاحتمال وظل كذلك حتى أجريت أخيراً جسات للتربة في إطار إعداد مشروع ترميم القاعة[١]. وقد ظهر من خلال تحليل عينات هذه الجسات أن "طبيعة التربة بالمنطقة محل الدراسة من واقع الجسات يمكن تشخيصها كالتالي:

١) ظهرت من سطح الأرض طبقة بعد الردم غير المنظم والذي يتكون من جيوب الطين الطمي والرمل وكسر الحجر الجيري والطوب الأحمر وتختلف نسب تلك المكونات مع العمق وقد انتهت هذه الطبقة على عمق من ٤-٥ متر أسفل سطح الأرض الطبيعية.

(١) يقع هذا المشروع ضمن مشروع تطوير القاهرة التاريخية.

٢) تلت طبقة الردم السطحية طبقة من خليط الرمل الناعم والطين الطمي المتوسط الكثافة في مكان الجسة رقم (١) وبسمك ٢,٥متر ولم تظهر هذه الطبقة في مكان الجسة رقم (٢).

٣) تلت الطبقات السابقة طبقة من الطين الطمي الرملي عن عمق يتراوح بين ٥-٦,٥ متر وامتدت على عمق يتراوح من ٧-٨ متراً أسفل سطح الأرض الطبيعية.

٤) تلت الطبقات السابقة طبقة من خليط الزلط والرمل على عمق يتراوح بين ٤-٥ متراً وقد امتدت تلك الطبقة حتى عمق ١٢ متراً من الأرض الطبيعية بمكان الجسات وقد تخلل هذه الطبقة طبقات من الرمل الناعم المحتوى على جيوب الطين الطمي وبسمك يتراوح من ١-٢ متر.

٥) تلت الطبقات السابقة طبقة من الرمل الكثيف الناعم إلى المتوسط التدرج والمحتوى على آثار من الطمي، وقد استمرت تلك الطبقة حتى نهاية عمق الجسات عند ١٥ متر من سطح الأرض الطبيعية.

ويستطرد التقرير ليذكر :توصيات التأسيس" بما نصه "من واقع الجسات التي تم تنفيذها فإن طبيعة التربة الموجودة بالمنطقة تبين وجود طبقات من الردم غير منتظم الخواص والتكوين على عمق يتراوح بين ٤-٥ متر وتلي طبقة الردم طبقات متتالية من الطين وخليط الرمل حتى عمق يتراوح من ٧-٨ متر ثم يليها طبقة من خليط الزلط على عمق ١٢ متر،وقد ظهرت طبقة من الرمل الكثيف على عمق ١٢ متر حتى نهاية حفر الجسات على عمق ١٥ متر. ومن المعلومات المتاحة لدينا أن الأساسات المنفذة على هيئة قصات من الحجر متداخل مع مداميك من الطوب البلدي على عمق يتراوح بين ٣-٤ متر أسفل الحوائط"(١).

ويكشف هذا التقرير عن حقيقتين مهمتين الأولى تشير إلى وجود طبقة من الردم في الأرضيات تتراوح بين ٤-٥ متر وهو ردم ناتج في الغالب من هدم وإعادة

---

(١) راجع ص٢ من تقرير جسات المشروع.

بناء، والحقيقة الثانية هو أن جدران القاعة لها أساسات مبنية بهيئة قصات من الحجر المتداخل مع مداميك من الطوب البلدي على عمق يتراوح بين ٣-٤ متر وهو عمق مقارب لعمق طبقة الرديم الناتج عن الهدم وإعادة البناء.

وفي ضوء هاتين الحقيقتين يتضح أن مستوى أرضية القاعة الحالية لا ينتسب إلى مستوى أرضيات العصر الفاطمي وبالتالي فإن الراجح نسبتها إلى عصر لاحق، كما يتضح من أسلوب بناء الأساسات وعمقها أن هذه الأساسات يمكن أن تكون أساسات بناء فاطمي بنى عليها بعد هدم الأجزاء العليا من البناء وإعادة البناء على هذه الأساسات وبخاصة وأن الجمع بين الحجر والطوب في البناء يماثل الأسلوب المستخدم في بناء القطاعات السفلى الفاطمية في بيمارستان قلاوون "قاعة ست الملك" وإن صح هذا التفسير فإن تخطيط القاعة فقط يمكن نسبته إلى العصر الفاطمي، حيث إن أساساتها التي تحمل جدرانها ترتد إلى هذا العصر .

المبحث الثاني

العمارة السكنية بالفسطاط

- منازل الفسطاط:

قبل أن نتحدث عن منازل الفسطاط لابد من الإشارة إلى أن التاريخ العمراني لهذه المدينة تخلله فترات انحدار وانحسار بسبب ما تعرضت له من حرائق على وجه التحديد، وقد جرت العادة في العصور الوسطى على أن يقدم حكام المدن على حرقها في حالة خوفهم من سيطرة الأعداء عليها[1]، وقد مرت الفسطاط بهذه التجربة الأليمة أكثر من مرة، فعندما فر مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية إليها أمام جيوش العباسيين في عام ١٣٢هـ/٧٥٠م اضطر إلى حرقها أثناء انسحابه منها[2].

وتعرضت مدينة الفسطاط للنهب أيضاً عندما قدم محمد بن سليمان على رأس الجيوش العباسية في عام ٢٩٢هـ/٩٠٥م بهدف القضاء على الدولة الطولونية إذ نهب أصحابه الفسطاط ودمروا بعض أجزائها وامتد تخريبهم إلى القطائع فأحرقوا دورها.

وفي العصر الفاطمي ورغم ازدهار الفسطاط كعاصمة تجارية للدولة باعتبار أن القاهرة كانت مدينة ملكية إلا أنها نهبت وسلبت على يد الجنود الفاطميين، وبخاصة في زمن الحاكم بأمر الله وأبيه العزيز بالله، وشهدت الفسطاط آثار الشدة المستنصرية التي شهدتها مصر كلها في زمن هذا الخليفة في المدة من ٤٥٧-٤٦٤هـ (١٠٦٥-١٠٧١م) ولكن آثار الشدة كانت عليها أكثر من غيرها باعتبارها

---

(١) راجع ابن المجاور: صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر لابن المجاور، نشور أوسلر لوفقرين- المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٩٨٦، ص٢٦.

(٢) أحمد عبد الرازق، بيوت الفسطاط الأثرية، مجلة المتحف العربي، السنة الرابعة، العدد الأول، الكويت، ١٩٨٨، ص٧.

مركز النشاط التجاري وباعتبار تأثر هذا الفسطاط تأثرا بالغاً بسبب هذه الشدة وباعتبار كثرة ساكنيها[1].

وفي نهاية العصر الفاطمي كانت الطامة الكبرى حيث أمر الوزير شاور وزير الخليفة العاضد بحرقها في عام ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م بهدف منع الجيش الصليبي عمورى من السيطرة عليها، وتم حرقها بإشعال عشرين ألف قارورة نفط في جميع أنحائها، وقد تسبب هذا الحريق في أفول نجمها العمراني وأصبحت المدينة منذ ذلك التاريخ خراباً[2]. فلم يمتد العمران إليها رغم المحاولات التي جرت لدفعه إليها في العصرين الأيوبي والمملوكي، حيث مال الناس لإعمار بمنطقة الساحل وبقيت المنطقة شرق وشمال جامع عمرو أطلالاً إلى العصر الحديث حيث بدأت أعمال التنقيب التي كشفت جانباً منها بما يضمه من منازل وصهاريج وحمامات وغيرها.

وتكشف المصادر التي سجلت مراحل ازدهار عمران الفسطاط عن الصورة التي كانت عليها منازل الفسطاط، فقد ذكر المقدسي عام ٣٨٠هـ/٩٩٠م في حديثه عن دور الفسطاط أنها "أربع طبقات وخمس كالمنابر يدخل إليهم الضياء من الوسط وسمعت أنه يسكن بالدار الواحدة مائتا نفس"[3]، وفي ذلك إشارة واضحة إلى الامتداد الرأسي لدور الفسطاط حتى أنها بلغت أربعة أو خمسة طوابق كما يشير إلى أن هذه الدور كان تخطيطها بنمط الدور ذات الفناء في الوسط والذي يعتمد عليه في الإضاءة والتهوية لضيق شوارع، وسكك الفسطاط، ومن ناحية ثالثة يشير وصف المقدسي إلى ضخامة عمارة هذه الدور حتى أن الدار الواحدة كانت تتسع لمائتي فرد.

ويضيف ناصر خسرو بعداً آخر لتخطيط تلك الدور التي يسكنها هذا العدد الغفير فيقول إنه سمع "من أحد التجار المعتبرين أن في مصر (يقصد الفسطاط) بعض

---

(١) المقدسي (النيسابورى) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولى، الطبعة الثالثة، ١٩٩١، ص١٩٨، ابن حوقل (أحمد بن على الموصلي) صورة الأرض، ص ١٣٧.

(٢) المقريزى، خطط جـ١ ص ٣٣٥-٣٣٦، أحمد عبد الرازق، المرجع السابق، ص٧.

(٣) ناصر خسرو، سفر نامة، ص ١٠٥

القصور التي تشتمل على غرف للإيجار تتسع الواحدة من هذه الغرف لسكن ثلثمائة وخمسين شخصاً ومساحة تلك الغرف ثلاثون ذراعاً في ثلاثين ذراعاً"(١)، وتكشف هذه الرواية- رغم المبالغة في ذكر عدد ساكني الغرف بالقصور المذكورة- عن أن وجود نوعية من الدور أو القصور صممت بغرض تأجير بعض غرفها لمثل هذا العدد الكبير من العزاب الذين كانت تزدخر بهم مدينة الفسطاط للعمل في مجالات الفسطاط الحياتية المختلفة ولم تكن لهم دخول كبيرة تساعدهم على السكنى منفردين مستقلين عن غيرهم.

وقد سبقت الإشارة إلى الدور في مدينة القاهرة في العصر الفاطمي التي ارتفعت مبانيها إلى طوابق كثيرة ذكر ناصر خسرو أنها بلغت أربعة عشر دوراً يعلو بعضها بعضاً وهناك منازل من سبعة أدوار(٢). وقد سبقت الإشارة إلى أن العمران الرأسي عندما يصبح ظاهرة - كما كان عليه الحال في القاهرة والفسطاط في العصر الفاطمي- فإن ذلك الأمر له دلالاته المتعلقة بارتفاع ثمن الأرض ومحاولة استغلالها الاستغلال الأمثل بارتفاع المباني التي تبنى عليها، كما أن الارتفاع بالمباني عدة طوابق يتطلب استخدام أساليب في التخطيط والإنشاء وكذلك استخدام مواد للبناء تحقق هذه الأغراض ولاشك أن القدرة على تحقيق ذلك ترتبط بالتقدم العلمي في مجالات أخرى كالهندسة المعمارية وغيرها.

وقد كشفت التنقيبات التي أجريت في مدينة الفسطاط على يد كل من على بهجت وألبير جبرائيل عن كثير من أطلال عمائر الفسطاط من بينها عدد من الدور الأثرية بلغ عددها ستة عشر داراً، واستمرت أعمال التنقيب بعد ذلك تكشف من خلال أعمال التنقيبات التي قامت بها هيئة الآثار المصرية عن منازل أخرى كما اهتمت البعثات الأجنبية بالكشف عن مباني الفسطاط وأطلالها مثل بعثة الجامعة الأمريكية التي أولت اهتماماً خاصاً بكشف ودراسة شبكات الصرف في دور الفسطاط ومنشئاتها الأخرى،

---

(١) ناصر خسرو، سفر نامة، ص ١٠٥.

(٢) ناصر خسرو، سفر نامة، ص ١٠٥.

وكذلك بعثة جامعة وسادا اليابانية .Wesada Uni

وقد ثار حول تاريخ دور الفسطاط جدل كبير وتأرجح تأريخها في الفترة الممتدة من النصف الثاني من القرن الثالث الهجري وحتى النصف الأول من القرن السادس الهجري (٩/١٢م) لكن مشكلة تأريخ هذا الدور نتركها الآن وسنعود إلى مناقشتها بعد الانتهاء من الدراسة المعمارية لهذه المنازل.

اعتبارات التوثيق الأثرى للدور:

قبل أن نعرض لوصف نماذج من دور الفسطاط تجب الإشارة إلي أن كثيراً من الآثاريين عند عرضهم للوصف المعماري للدور الأثرية لابد من التنويه إلى أمور مهمة تتصل بتاريخ عمارة الدور لكنها مهمة جداً بالنسبة للتوثيق الأثرى لعمارة الدور على وجه التحديد، ومن هذه الأمور ما قد يحدث من تعديل في الدور، بسبب التوريث أو البيع قد ينتهي إلى تقسيم الدار الواحدة إلى أكثر من دار مع إحداث بعض التعديلات التي تمكن من ذلك كسد بعض الفتحات أو فتح أبواب جديدة، أو عمل مدخل وممرات مضافة إلى غير ذلك من التعديلات، كما يمكن أن يحدث العكس بضم دار إلى أخرى ولنفس الأسباب ويحدث نتيجة لهذا الضم إحداث تعديلات معمارية تمكن من استغلال الدارين كدار واحدة بالوصل بينهما لتسهيل حركة التنقل بين الوحدات المعمارية في كل من الدارين.

كذلك فإن التقليد الاجتماعي الذي يؤدى إلى رغبة بناء ذوى الرحم لدورهم متجاورة في منطقة واحدة تئول إليهم ملكيتها بالميراث أو الشراء أو الهبة أو غير ذلك ويكون بناؤها بتخطيط شامل له مدخل أو أكثر يؤدى إلى ممر داخلي تفتح عليه الدور فتبدو مجموعة الدور كدار واحدة، من خلال مظاهر عناصر الاتصال الخارجية كالمداخل والممرات والجدران الخارجية وكذلك عناصر الإنشاء الداخلية كالجدران المشتركة وكذلك السابطات فوق الممرات الداخلية والأفنية الداخلية والساقية وما يرتبط بها من مصانع للماء وقنوات لتزويد المطابخ والمراحيض والحمامات، وكذلك شبكة الصرف التي تصرف في خزان أو أكثر وغير ذلك من العناصر التي تبدو

مشتركة لتحقيق أغراض اقتصادية في البناء من حيث التكاليف المادية وتوفير المساحة، وتوجد أمثلة رائعة لذلك في البلاد التي ما زالت محتفظة بعمائرها التقليدية كمنح وأدم بسلطنة عمان وإسنا بمصر وغيرها.

كما يجب على الموثق لهذه الدور أن يدرك احتمال وجود أكثر من دار ترجع لأكثر من عصر في منطقة واحدة بمدينة واحدة، وقد أشار ابن حوقل إلى ذلك فقد ذكر أن بالفسطاط – موضع البحث– كانت دار عبد العزيز بن مروان، وكان يسكنها ويصب فيها لمن فيها كل يوم عهدنا هذا أربع مايه رواية ماء"[1]، وإذا كان ابن حوقل قد سجل مشاهداته في مصر والقاهرة في حدود عام ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م، فإن في ذلك ما يشير إلى وجود دار أموية استمرت معمورة حتى العصر الفاطمي،وهو أمر نراه في كثير من الآثار المعمارية السكنية التي مازالت باقية في المدن الإسلامية، وترجع إلى عصور سابقة بجوار مبان حديثة.

وكما تبقى مباني من عصور سابقة يحدث تغير في المباني المجاورة لها فتهدم ويعاد بناؤها لسبب أو لآخر وتساعد عوامل التقسيم لأسباب الميراث وكذلك البيع والشراء، وتطور أساليب الإنشاء والعمارة على سرعة التغيير والهدم وإعادة البناء على العمائر السكنية على وجه الخصوص، وقد تشمل هذه العملية هدم دور بأكملها وإعادة بنائها أو هدم قطاع بعينه وإعادة بنائه لسبب أو لآخر.

كذلك فإن إحداث تعديل معماري في دار ما في فترة لاحقة لفترة إنشائها لتحقيق غرض وظيفي جديد من الأمور الواردة فقد تحول بعض القاعات في الأدوار السفلية التي بمستوى الشارع إلى حوانيت، كما أنها قد تعدل لتستخدم كمخازن تجارية ويحدث هذا في الفترات التي يتطلب فيها العمران إحداث مثل هذا التعديل الذي يتأثر بلا شك بالأحوال الاقتصادية والسياسية العامة.

ومن الأمور المهمة أيضاً أن أعمال الترميم والإصلاح والتجديد في الدور قد يتبعها استخدام أساليب ومواد وتقنيات جديدة شاع استخدامها في فترات التجديد ولم

---

(١) ابن حوقل. المصدر السابق. ص ١٣٧.

تكن قائمة في الفترة التي تم فيها البناء الأصلي، ويمكن أن يحدث العكس حيث يمكن أن تستخدم ترفاً من العناصر المعمارية من دور قديمة لتوضع في الدور الحديثة نتيجة إعادة استخدام هذه المواد القديمة في بناء مبان جديدة، وقد تكرر ذلك في كل العصور ومن ثم فإن الاعتماد على بعض هذه المظاهر في تأريخ المباني يجب أن يكون في حدود إطار هذه الظروف.

ومن المهم أن نشير أيضاً إلى أن ملامح الطراز المعماري سواء المتعلقة بفكرة التصميم والتخطيط وأساليب التنفيذ أو المجسدة في العناصر المعمارية والزخارف تستغرق بلورتها فترة طويلة من الزمن، كما أن تطوير هذه الفكرة أو تلك يستغرق أيضاً فترة طويلة من الزمن، ولعل ما نراه في فكرة تخطيط الأواوين المتقابلة في العمارة المصرية في العصر الإسلامي ما يؤكد هذه الحقيقة، فرغم البداية المتكررة الصريحة لهذه الفكرة في التخطيط في العصر الفاطمي، إلا أنها استمرت وبصياغات مختلفة في العصور التالية، ووصلت قمة تطورها في نهاية العصر المملوكي، وكما تتطور فكرة التصميم بتطور تشكيل العناصر المعمارية حسب الاحتياج ويحكم هذا التطور تطور التقنيات والعلوم التي تخدم العمارة، ولهذا الأمر أهميته القصوى في حل مشكلة التأريخ وبخاصة في بعض العناصر التي تجسد تطبيقاً عملياً لنظرية علمية.

ومن المهم أيضاً أن نشير إلى أن أحكام الفقه الإسلامي المعالجة لمظاهر العمران والعمارة لها أثرها في تشكيل العمارة الإسلامية تشكيلاً يتفق وهذه الأحكام وبخاصة ما يتعلق بالجدران المشتركة أو حق استخدام جدار الجار لوضع خشب السقف، أو تنكيب الأبواب، أو فتح المطلات والكوى والنوافذ، والمناور الحائطية وبناء الساباطات فوق الطرقات وعمل الآبار، والأروية والطواحين، وبناء الدروب، والارتقاع بالمباني بجوار مباني الجيران المنخفضة. وعلاقة هذه الدور بما جاورها من منشآت أخرى سكنية أو غير سكنية وغير ذلك من الأمور التي تنعكس بصورة أو بأخرى في الشكل المعماري للدور وفي تشكيل النسيج العمراني للمدينة ككل، ولاشك أن إدراك هذه الجوانب يساعد كثيراً في تحقيق التوثيق الصحيح للدور وحل

كثير من غوامض أطلالها وبخاصة الجدران المشتركة[1].

كما أن تخطيط شبكة الطرق في المدينة من ملامح جغرافية عمرانها والمراحل المتتابعة لهذا العمران له أثر واضح بلا شك في الشكل النهائي لمبانيها في مراحلها المختلفة واختلاف هذه الأشكال تبعاً لهذه المؤثرات واختلاف بعضها من عصر إلى عصر.

(١) للاستزادة راجع: محمد عبد الستار عثمان، الإعلان بأحكام البنيان لابن الرامي، دراسة أثرية معمارية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٩،ص ١٥، ٢٩، ٤٣-٤٤ .

الوصف المعماري لنماذج من دور الفسطاط

وصف الأستاذ كريسويل نماذج من الدور التي كشف عنها في الفسطاط كل من على بهجت وجبرائيل،وهي نفس النماذج التي عرض لها فريد شافعي محاولاً دراستها لتحديد تأريخها. وأضاف إلى ما تحدث عنه كريسويل دارين كشف عنهما في موضع "العسكر" ويرجع تاريخهما إلى العصر الطولونى، وإحدى هاتين الدارين كشف عنها عباس حلمي بعد نشر دراسة كريسويل.

وفي إطار ما سبق عرضه من مشاهدات وأوصاف البلدانيين والرحالة لدور الفسطاط والدور والقصور في القاهرة في العصر الفاطمي وكذلك ما ذكر عن اعتبارات التوثيق الأثرى للدور يبدو مهما أن تقدم هذه الدراسة وصفاً لنماذج من هذه الدور في إطار رؤية أثرية مستفيدة مما ذكره الآثاريون من المهندسين وما ورد في التراث الإسلامي.

مواد البناء:

بنيت دور الفسطاط بالآجر وبمونة من خليط من الجير والرمل والقصرمل وقد بقى من هذه الدور أطلال بعض جدرانها في الدور الأرضي يتراوح ارتفاعها من ١-٢ متر كما فقدت بعض الدور جانباً كبيراً من أساسات جدرانها،ويمكن إلى حد ما تتبع حدودها. وقد بنيت هذه الجدران بأساسات سميكة اختلف سمكها من دار إلى أخرى بل إنه اختلف في الدار الواحدة لكن هذه الأساسات بلغت في المتوسط المتر وهو سمك كبير يتوافق وما ذكره الرحالة والبلدانيون من أن دور الفسطاط كانت ترتفع إلى عدة طوابق،وهو ارتفاع بالغ فيه هؤلاء الرحالة مبالغة كبيرة، حيث أشارت رواية ناصر خسرو إلى وصول عدد الطوابق في القاهرة إلى أربعة عشر طابقاً[(١)]، وأشارت المصادر الأخرى إلى أن طوابق الفسطاط بلغت ستة أو سبعة،

---

(١) من الممكن جداً أن يكون إحصاء ناصر خسرو للطوابق معتمداً على صفوف النوافذ الخارجية بالدور والتي يمكن جداً أن يكون منها صفان في مستوى كل طابق لتخفيف =

وهو أمر لا تعكسه أساليب الإنشاء في هذه الفترة والتي تعتمد على الحوائط الحاملة، كما لا تتوافق معه عناصر الاتصال المؤدية إلى الطوابق العليا وبخاصة السلالم وأسلوب إنشائها وطريقة بنائها، كما أن صعود هذا الدرج بهذا الارتفاع -على فرض إمكانية إنشائه- يومياً بواسطة السكان كان من الصعوبة بمكان.

وفي إطار هذه البقايا التي يمكن من خلالها ومن خلال أوصاف المصادر أن نقر بأن الطوابق التي كانت تحملها هذه الأساسات ترتفع إلى أربعة طوابق أو خمسة على أكثر تقدير.

الدار رقم (١) [١] :

في تصنيف على بهجت وجبرائيل وكذلك في تصنيف كريسويل وفي إطار ما سبق عرضه من معايير توثيق الدور السكنية يتضح أن هذه المجموعة من الأطلال هي أطلال لأكثر من مبنى حيث يمكن في إطار ما تم رفعه من أطلال أن نحدد أربعة مبان سكنية مستقلة كاملة الحدود، بالإضافة إلى مبنى آخر عبارة عن مجموعة من الحوانيت يتقدمها سقيفة مطلة على الشارع الشمالي ربما كان يتبع الدار المجاورة من الجنوب. وهذه المجموعة من المباني يحدها من الشمال شارع أو سكة نافذة، وكذلك من الجهة الجنوبية يوجد سكة نافذة كما يتوسطها من الشمال إلى الجنوب سكة غير نافذة، وهاتان السكتان النافذتان والسكة غير النافذة تفسر إلى حد كبير الهيئة التخطيطية التي كانت عليها المباني وبخاصة من ناحية اتصالها بشبكة الطرق في هذا القطاع من المدينة، كما أن السكة غير النافذة بوجه خاص توضح علاقة

= البناء ولزيادة مصادر التهوية والإضاءة.

(١) نلتزم في ترقيم هذه الدور بنفس الأرقام الذي وضعها على بهجت وجبرائيل وهي نفس الأرقام التي اعتمدها كريسويل وفريد شافعي تسهيلاً على القارئ في المتابعة، وعندما نفصل أكثر من دار في وصفنا عن الدور التي وردت في أوصاف الدراسات السابقة نعطي الدار التي فصلنا الرقم الأصلي مع التمييز لها بإضافة حرف للرقم كالدار ١/أ، ١/ب، ١/جـ، ٧/أ، ٧/ب

الجوار بين المباني المطلة عليها .

والمباني السكنية الأربعة يمكن ترقيمها بالأرقام ١/أ ، ١/ب، ١/ج ، ١/د، والمبنى الخامس الذي في الغالب كان مبنى تجارياً رقم ١/هـ، وفي إطار هذا الترقيم نبدأ بوصف الدار رقم ١/أ.

هذه الدار هي أكبر الدور في هذه المجموعة وتتوسط المجموعة حيث يقع في الجانب الشرقي من السكة غير النافذة ولها مدخل على هذه السكة في الواجهة المطلة على هذه السكة من الجهة الشرقية، كما يتوصل إلى هذه الدار من مدخل ثالث a 2 في الواجهة الجنوبية مطل على الشارع الجنوبي الرئيسي، وهكذا يتضح أن لهذه الدار ثلاثة مداخل اثنان يؤديان إلى الشارع الرئيس شمال هذه الدار والمدخل الثالث يؤدى إلى الشارع النافذ جنوبها، وهو ما وفر لها اتصال سهل بشارعين نافذين يرتبطان بشبكة الطرق بالمدينة في هذا القطاع الذي تضمه هذه المجموعة، كما يلاحظ أن المبنى رقم ١هـ من الجائز أن يكون تابعاً في ملكيته لهذه الدار والذي اقتطع صاحب هذه الدار مساحته من المساحة الكلية لينشيء به هذا المبنى الذي نرجح أن يكون مبنى تجارياً استغل فيه صاحب الدار موضعه لإطلاله على الشارع الشمالي الذي يبدو أنه كان متسعاً عن الشارع الجنوبي، ويرجح ذلك بناء الجدار الشرقي لهذا المبنى التجاري الممتد باتصال واستقامة واحدة وبسمك واحد ليشكل الجدار الشرقي للدار ١/أ ونفس الشيء بالنسبة للجدار الجنوبي للمبنى التجاري الذي هو الجدار الشمالي للدار، والذي يحدد انتظام تربيع الحوانيت والقطاع الشمالي من الدار ١/أ.

والدار الثانية ١/ب هو المبنى الذي يقع في الجهة الجنوبية الغربية من المجموعة، ويتوصل إليها من المدخل الذي بصدر السكة النافذة، ويلاحظ أنه لا يوجد مدخل لهذه الدار على السكة الجنوبية، وتتداخل مساحة هذه الدار مع الدار ١/ج التي تقع إلى الشمال منها، وهذه الدار لها مدخل مطل على الشارع الشمالي ويقع في الركن الشمالي الغربي، منها حانوتان مثل الحوانيت الثلاثة شمال الدار رقم ١/ب وإن كانا يطلان مباشرة على السكة الشمالية بدون سقيفة وهذان الحانوتان في

الغالب أيضاً تتبع ملكيتهما ملكية هذه الدار مثلما هو الحال في الدار ١/أ.

أما الدار الرابعة ١/د فتقع في الجهة الجنوبية الشرقية من المجموعة، وتطل على السكة الجنوبية ولها مدخل يؤدى إلى الدار يطل على هذه السكة الجنوبية يجاور المدخل الجنوبي للدار ١/أ على بعد حوالي ثلاثة أمتار إلى الشرق منه، وكانت هذه الدار تتصل بأطلال دارسة لم تتحدد معالمها أو لا ندراسها.

وفي إطار هذا التحديد لحدود الدور الأربعة والحوانيت المتصلة بها تتضح عدة ملامح معمارية مهمة منها أن تقسيم الأرض في هذه القطاع من المدينة كان مرتبطاً في الأساس بالسكتين الشمالية والجنوبية،وأن هذا التقسيم كان يتسع لدارين ظهر كل منهما في ظهر الأخرى، وهو تخطيط عرف في المدن الإسلامية لتوفير المساحة وكنوع من الوقاية من حرارة الشمس حيث إنه يشكل نمطاً من أنماط التخطيط المتضام Compact Style

كما اتضح من هذا التحديد أن الدار ١/أ، ١/ب كانت تربط مالكيهما علاقة اجتماعية خاصة حيث يؤدى إلى كل منهما مدخل بصدر السكة النافذة الذي يؤدى إلى رحبة يفتح عليها من الجانبين الشرقي والغربي فتحتا بابين متقابلتين، فالغالب أن بينهما صلة رحم، تجيز هذا التخطيط الذي لا يخشى ضرر كشف هذه الأبواب المتقابلة، كما يكشف ارتباطهما بخزان واحد يغذى الحوض بفناء كل منهما بالماء عن هذه العلاقة الخاصة التي تربط بين تخطيطي هذه الدار ومالكيها سواء.

وصف الدار رقم ١/أ :

يتوصل إلى هذه الدار من المدخل في الواجهة الجنوبية المطلة على السكة الجنوبية والمدخل بالجانب الشرقي للرحبة التي يؤدى إليها المدخل بصدر السكة غير النافذة وهذا المدخل الرئيسي يبدو أنه المدخل الأصلي حيث يؤدى إلى استطراق يؤدى مباشرة إلى الصحن في الفتحة الواقعة في السقيفة الغربية المطلة على هذا الصحن، كما يلاحظ وجود فتحة باب ثانية على يسار الداخل يؤدى إلى حجرة لها فتحة باب ثانية تؤدى إلى الصحن، أما المدخل الجنوبي فيؤدى إلى رحبة تشغل

موضع الحجرة الشرقية من الحجرتين اللتين تكتنفان الإيوان الجنوبي ويصدرها فتحة باب تؤدى إلى السقيفة الجنوبية المطلة على الصحن، وإذا اعتبرنا أن المدخل الأول في السكة غير النافذة هو المدخل الرئيسي لهذه الدار فإن هذا المدخل الجنوبي من الجائز أنه فتح في مرحلة لاحقة لينفذ من خلاله مباشرة لهذه الدار على السكة الجنوبية التي يبدو واضحاً أن الدار ١/ب لم يكن لهما حق فتح أي مداخل عليها وأن الدار أ/١ كانت كذلك لكن تم فتح مدخلها هذا في مرحلة لاحقة صار ممكناً فيها فتح مثل هذا المدخل، ويتفق هذا تماماً مع تخطيط السكة غير النافذة التي كان تؤدى إلى هاتين الدارين، إذ لو كان من الممكن فتح أبواب على السكة الجنوبية لهاتين الدارين لما كانت هناك حاجة لهذه السكة غير النافذة.

ويتوصل كل من السقيفة الغربية والسقيفة الجنوبية إلى صحن الدار، وتوجيه الصحن، شمال شرق- جنوب غرب،وهذا الصحن مستطيل الشكل طوله من الشمال إلى الجنوب حوالي ٦ متر وعرضه من الشرق إلى الغرب ٥,٦٠ متر،وبهذا الصحن حوض ماء يلاحظ أنه لا يتوسط الفناء تماماً، وإنما يتوسط الثلثين الشماليين من مساحة الفناء وهذا الحوض بناؤه في مستويين المستوى السفلي مثمن الشكل والمستوى العلوي مربع الشكل، ويلاحظ أن جميع أحواض الماء التي أنشئت بأفنية الدور وببعض الأواوين أخذت هذا الشكل وهو أسلوب يتوافق وضغط الماء وبخاصة في الأركان، وهو الضغط الذي تجنبه المعماري ببناء المستوى السفلي في هيئة الشكل المثمن، كما أن هذا الشكل وفر ركناً مثلثاً في الأركان الأربعة للمستوى المربع الثاني يمكن بسهولة من النزول إلى هذا الحوض لتنظيفه كما يعطى شكلاً جمالياً للشكل الكلى للحوض، ويوجد ثلاثة أحواض كانت تزرع في الغالب بالزهور - حيث وجدت البقايا الدالة على ذلك- في جانب الحوض من الجهات الشرقية والغربية والجنوبية، ويلاحظ عدم وجود حوض بالجهة الشمالية حيث لا تسمح المساحة بوضح حوض بهذه الجهة في إطار وضعية حوض الماء في الثلثين الشماليين للفناء.

وهنا تجب الإشارة إلى أن الفناء الذي تنتظم حوله بقية وحدات الدار ويعتبر

العنصر الأساسي الموجه لتخطيط الدار وتوجيهه في اتجاه الشمال الشمال الشرقي- الجنوب الجنوب الغربي أي أنه ينحرف انحرافاً بسيطاً عن الاتجاهات الأصلية الأربعة.

ويطل على هذا الصحن من الجوانب الأربعة أربع واجهات الواجهتان الجنوبية والشمالية متشابهتان، حيث تشتمل كل منهما على ثلاث فتحات الفتحة الوسطى أوسع من الجانبيتين ويفصل بين الفتحات الثلاث في الواجهة الجنوبية دعامتان أما الفتحات الثلاث في الواجهة الشمالية فيحدها عضادتا الإيوان الأوسط واللتان تشكلان أيضاً عضادتى البابين الجانبيين المؤديين إلى الحجرتين اللتين تكتنفان هذا الإيوان.

وتتقدم الواجهة الجنوبية سقيفة مستعرضة ذات شكل هندسي رباعي ذي استطالة من الشرق إلى الغرب ويقع في جنوبها إيوان أوسط مفتوح بكامل اتساعه يكتنفه من الجهة الشرقية الرحبة التي يؤدى إليها المدخل الجنوبي ومن الجهة الغربية حجرة ذات مسقط رباعي غير منتظم. أما الواجهة الشمالية فيتوصل من الفتحة الوسطى إلى إيوان على محور الإيوان الجنوبي، ولكنه أصغر نسبياً ويتصدره فتحة باب يؤدى إلى القطاع الشمالي من هذه الدار، ويكتنفه من الجانبين حجرتان ذات شكل رباعي به استطالة في الحجرة الشرقية التي تمتد استطالتها من الشمال إلى الجنوب، بينما تمتد استطالة الحجرة الغربية من الشرق إلى الغرب، ولهذه الحجرة باب ثان سبقت الإشارة إليه في الطرف الشرقي من الجدار الجنوبي.

أما الواجهتان الشرقية والغربية فتطل كل منهما على الصحن بأربع فتحات الفتحتان الشماليتان في كل واجهة، الغربية هي التي تطل على داخل الدار بالمدخل الشرقي والثانية تؤدى إلى حجرة غير منتظمة الشكل بطريقة غير مباشرة، أما الفتحات الثلاث الأخرى فتؤدى إلى مجلس.

والقطاع الشمالي من هذه الدار يتوصل إليه من الباب الذي بالواجهة الشرقية المطلة على السكة غير النافذة، وكذلك من الفتحة التي بصدر الإيوان الشمالي المطل على الفناء أو الصحن الرئيسي الذي سبق وصفه،ويبدو أن الباب الذي يفتح على

السكة غير النافذة هو المدخل الرئيسي لهذا القطاع الشمالي من هذه الدار ويـؤدى هذا الباب إلى مساحة كبيرة مستطيلة لها أربع دعامات مستطيلة في صفين لكل صف دعامتان تقسم مساحة المساحة على ثلاثة أقسام متساوية وهو ما يمكـن معـه أن تكون هذه المساحة مسقوفة ويطل على هذه المساحة من الجهــة الجنوبيــة ثـلاث فتحات الوسطى عبارة عن ممر يربط بين هذا القسم الشمالي والقسم الجنوبي مــن الدار أما الفتحتان الشرقية والغربية فتؤدى كل منهما إلى حجرة أو حاصل، الشرقي منهما مساحته أكبر من الحاصل الغربي، ومن الجائز أن هذا القطاع كــان يــستخدم كمخازن تخدم الحوانيت الثلاثة المجاورة لها من الشمال مباشرة وأنها كانت تتــصل بالدور الأرضي من الدار الذي يضم وحدات الاستقبال الرئيسة.

وفي إطار الوصف السابق يتضح أن هذه الدار من نوع الدور التي ألحق بهــا وحدات تخدم الأغراض التجارية من حوانيت ومخازن وهو نمط أشارت الدراســات إلى وجوده في مدينة الفسطاط، كما أنه ما زال قائماً إلى اليوم في بعض منازل رشيد التي تضمنت مثل هذه الوحدات التي تخدم الغرض التجاري.

ويتضح من التخطيط المعماري لهذه الدار وبهذه الرؤيــة أن المعمــار حقــق الغرض من إنشاء الوحدات التجارية المتصلة بالدار ووفر للدار خــصوصيتها بمــا توفر لها من مداخل خاصة من السكة غير النافذة ومن المدخل الجنوبي على السكة الجنوبية فبدت مستقلة تماماً عن المنطقة التي تخدم الغرض التجاري الذي فصل فيه من الحوانيت المطلة على السكة الشمالية والتي يستخدمها العامة وبــين المخــازن جنوبها مباشرة وجعل الوصول إلى هذه المخازن من باب بالسكة الجنوبية بعيداً عن مدخل الدار بحوالي أربعة أمتار وهو أمر يحقق التأمين للمخازن، والذي زاد تحقيقه من خلال الباب الذي يصل منطقة المخازن بالدار ، بالإضافة إلى وضع بابها الرئيسي في السكة غير النافذة والتي لا يحق لغير أهل الارتفاق بها سوى للوصول إلى أهــل الدار ذاتها.

الدار رقم ١/ب :

هذه الدار يتوصل إليها من الباب الذي بصدر السكة غير النافذة الذي يؤدى إلى رحبة بصدرها فتحة باب تؤدى إلى رحبة ثانية بجدارها الغربي فتحة باب يصعد إليها بدرجين، وتؤدى هذه الفتحة إلى إيوان صغير مفتوح بكامل اتساعه على الصحن الذي يتوسط هذه الدار والصحن مستطيل الشكل ويبلغ طوله من الشرق إلى الغرب ٦ مترا وعرضه من الشرق إلى الغرب ٤.٤٠ متراً، وتوجيهه تماماً شمال- جنوب، ويتوسط هذا الصحن حوض للماء يتوصل إليه الماء من أنابيب تحت الأرض يصل إليها الماء من نفس الحوض الذي يغذى الحوض بفناء الدار ١/أ. ويطل على هذا الصحن أربع واجهات يلاحظ أن الواجهتين الشرقية والغربية لكل منها ثلاث فتحات على محاور واحدة أما الواجهتان الشمالية والجنوبية فتختلف كل منهما عن الأخرى، ولا يطبق في تصميمها مبدأ السمترية الذي يلاحظ الالتزام به إلى حد كبير في الواجهات المتقابلة المطلة على الفناء الأوسط في دور الفسطاط.

والواجهة الغربية هي الواجهة الرئيسية حيث تؤدى فتحاتها الثلاث التي يلاحظ أن الوسطى منها أوسع من الجانبين إلى سقيفة معترضة تتقدم إيواناً كبيراً في الوسط،ويلاحظ أن فتحة الإيوان أوسع قليلا من الفتحة الوسطى المقابلة لها والمطلة على الصحن ويكتنف الإيوان حجرتان غير منتظمى الشكل بسبب شكل المساحة الأصلية ويوجد بالجدار الغربي للحجرة الشمالية فتحة باب تؤدى إلى فناء مكشوف غير منتظم الشكل بقطاعه الجنوبي حوض للماء وبجداره الشمالي فتحة باب تؤدى إلى حجرة صغيرة ربما كانت تستخدم كمطبخ.

أما الواجهة الشرقية فتطل على الصحن أيضاً بفتحات ثلاث أوسطها أوسعها وتؤدى إلى إيوان صغير بصدره فتحة الباب التي تؤدى إلى هذه الدار ويكتنف هذا الإيوان دخلتان عميقتان تفتحان بكامل اتساعهما على الصحن، والواجهة الشمالية بالطرف الشرقي فيها فتحة باب تؤدى إلى باحة في جانبها الغربي مرحاض وإلى الغرب من هذه الفتحة دخلة اتساعها ٢,١٠ وعمقها متراً، أما الواجهة الجنوبية المطلة على الصحن فبالطرف الغربي منها فتحة باب تؤدى إلى حجرة مثلثة المسقط

الدار رقم ١/جـ:

يتوصل إلى هذه الدار من مدخل يطل على السكة الشمالية ويبدو أن هذه الدار لم يكن لها حق الارتفاق بالسكة غير النافذة بدلالة وضع مدخلها على الشارع الرئيسي وهو شكل من المداخل لم يكن مرغوباً في المدن الإسلامية في العصور الوسطى حيث كان يفضل وضع المداخل على السكة غير النافذة لتوفير أكبر قدر من الخصوصية.

ويؤدى هذا المدخل إلى رحبة مستطيلة بصدرها فتحة باب تؤدى إلى الصحن، ويلاحظ أن الصحن مستطيل الشكل طوله من الشمال إلى الجنوب ٥,٦٠ متراً وعرضه من الشرق إلى الغرب ٥ متر وتوجيه هذا الصحن يتجه من الشمال إلى الجنوب، كما يلاحظ أن هذا الصحن يحده من الشرق الجدار الشرقي للدار والذي يحد الدار من هذه الجهة حيث لا توجد أي عناصر معمارية في هذا الجانب،ويطل على الصحن من الجهات الثلاث الأخرى ثلاث واجهات حيث يطل على الصحن من الجهة الغربية واجهة سقيفة يطل على الصحن بثلاث فتحات الفتحة الوسطى أوسع من الجانبين يؤدى جميعها إلى سقيفة معترضة تتقدم إيوان في الوسط فتحة بنفس اتساع الفتحة الوسطى في مواجهة السقيفة ويكتنف هذا الإيوان فتحتا بابين يؤديان إلى حجرتين جانبيتين الشمالية منها يصدرها دخلة، كما يلاحظ أن الجانب الشمالي من السقيفة به دخلة ضحلة.

والجانب الجنوبي من السقيفة به فتحة باب تؤدى إلى صحن ثان ذي شكل رباعي غير منتظم التربيع يطل عليه إيوان كبير من الجهة الغربية مفتوح بكامل اتساعه على الصحن، أما الجهة الشرقية فيوجد بها ثلاث فتحات الشمالية تؤدى إلى حاصل صغير والثانية تؤدى إلى دخلة عميقة أشبه ما تكون بإيوان صغير، أما الفتحة الثالثة فتؤدى إلى مرحاض، والجانب الجنوبي من هذا الصحن به دخلة ضحلة في الجانب الشرقي وإلى الغرب منها دخلة عميقة أكبر اتساعاً والجانب الشمالي من الصحن عبارة عن حائط خال من أي عناصر معمارية.

أما الواجهة الشمالية المطلة على الصحن فيها أيضاً ثلاث فتحات أوسطها أوسعها والفتحة الوسطى تؤدى إلى دخلة عميقة أشبه ما تكون بإيوان صغير ويكتنفها من الشرق والغرب فتحتان صغيرتان متشابهتان الشرقية هي التي تربط بين رحبة المدخل والصحن والغربية تؤدى إلى حجرة على هيئة حرف L ضلعه الطويل من الشرق إلى الغرب وضلعه القصير من الشمال إلى الجنوب.

والواجهة الجنوبية بها فتحتا بابين أحدهما في الطرف الشرقي تؤدى إلى ممر ينتهي إلى رحبة في جانبها الغربي مرحاض والفتحة الثانية مجاورة لها من الغرب وتؤدى إلى دخلة عميقة أشبه ما تكون بإيوان صغير يفتح بكامل اتساعه على الصحن، هذا ويوجد في الجهة الشمالية الغربية من هذه الدار حانوتان بهيئة مستطيلة غير منتظمة تمتد من الشمال إلى الجنوب وبفتحتين كما سبقت الإشارة على السكة الشمالية التي تفتح عليها الحوانيت الملحقة بالدار أ/١ ويرجح شكل الجدار المشترك بين هذه الدار والحوانيت وبخاصة شكل الدخلة التي بالجانب الشمالي للسقيفة المطلة على الصحن والدخلة بالجدار الجنوبي للحانوت الشمالي الغربي عن أن هذين الحانوتين كان إنشاؤهما مع إنشاء هذه الدار، كما يرجح هذا التفسير الجدار الشرقي لهذا الحانوت الأخير وامتداده جنوباً ليشكل الجدار الغربي للحجرة شمال الإيوان الكبير.

الدار ١/ د :

هذه الدار يتوصل إليها من مدخل في الجدار الجنوبي المطل على السكة الجنوبية ويؤدى هذا المدخل إلى رحبة بهيئة متوازي مستطيلات يصدرها فتحة باب يؤدى إلى صحن توجيهه شمال شرق/ جنوب غرب ، يمتد باستطالة كبيرة من الشمال إلى الجنوب يبلغ طوله حوالي ٩ متر وعرضه من الشرق إلى الغرب حوالي ٣ متر ويلاحظ أنه ينعطف في اتجاه الشرق عند طرفه الشمالي وبالجانب الشمالي لهذا الانعطاف فتحة باب كانت تؤدى إلى بقية وحدات الدار في هذا الاتجاه لكنها درست.

ويلاحظ أن هذا الصحن مجاور للجدار الغربي لهذه الدار والذي يحد هذه الدار من الجهة الغربية جدار مشترك أكد صاحب هذه الدار أحقيته في الاشتراك في ملكيته بالدخلة التي بهذا الجدار والتي تقابل الفتحة الوسطى بالواجهة الشرقية المطلة على هذه الصحن.

وهذه الواجهة تتكون من ثلاث فتحات أوسطها تؤدى إلى سقيفة بطرفها الشمالي، دخلة وبطرفها الجنوبي حجرة صغيرة غير منتظمة الشكل،ويطل على هذه السقيفة إيوان كبير في الوسط يلاحظ أن الدعامة الجنوبية في السقيفة ليست على محور واحد مع العضادة الجنوبية لهذا الإيوان، ويكتنف هذا الإيوان حجرتان غير منتظمتى الشكل.

والواجهة الجنوبية للصحن بها فتحتان إحداهما صغيرة في الطرف الغربي وتؤدى إلى حجرة صغيرة بها استطالة من الشمال إلى الجنوب والفتحة الثانية تؤدى إلى رحبة المدخل التي سبقت الإشارة إليها.

وفي إطار الوصف السابق لهذه الدور الأربعة يمكن رصد بعض الملاحظات المعمارية المهمة منها ما هو مشترك في الدور الأربع ومنها ما يكشف عن مرونة في التخطيط تناسب المساحة الأصلية التي أنشئت عليها الدار.

من الملاحظات الأساسية المشتركة هو الاعتماد على الفناء الداخلي في التهوية والإضاءة وأيضاً في اعتباره عنصراً أساسياً للاتصال والحركة يتوصل منه إلى وحدات الدار المختلفة.

كما يلاحظ أن المعمار يحاول أن ينطلق من الصحن الأوسط المنتظم الشكل كنقطة ارتكاز أساسية في تحديد المساحات المنتظمة المطلة عليه ثم ينتهي إلى جعل الوحدات ذات المساحات غير المنتظمة في الأطراف الخارجية لمساحة الدار وهي رؤية في التخطيط يلاحظ تطبيقها في كل المنشآت بالعمائر المدنية والدينية في العمارة الإسلامية بمصر والتي لا تتوفر لها مساحات ذات تربيع منتظم في حدودها الخارجية وترى أمثلة مبكرة لذلك في الجامع القمر وفي المنشآت الدينية الأيوبية

والمملوكية وبخاصة التي في منطقة القاهرة الفاطمية وكذلك في الدور العثمانية كدار جمال الدين الذهبي وغيرها.

وفي حالة واحدة هي الدار رقم ١/د فرضت المساحة شكلاً غير منتظم للفناء الداخلي، ويلاحظ أن المعمار اهتم بانتظام تربيع السقيفة والإيوان الرئيسي المطل عليها أكثر من اهتمامه بالصحن.

كذلك يلاحظ أن الصحن في كل من الدارين ١/جـ، ١/د لا يقع في منطقة وسطية بالنسبة للدار ولكنه وضع في الجانب الشرقي في الدار ١/جـ وفي الجانب الغربي من الدار ١/د ويلاحظ أن وضعه بهذه الأشكال المختلفة لا يرتبط بتوجيه قدر ارتباطه بالمدخل الرئيسي للدار.

كما يلاحظ أن السقيفة المعترضة والإيوان الأوسط الذي يطل عليها قد حاول المعمار قدر الإمكان توفير التربيع المنتظم لكل منهما أكثر من اهتمامه بتربيع الصحن، كما سبقت الإشارة ومثال الدار ١/د دليل واضح على ذلك ولكن تبقى ملاحظة مهمة في تخطيط السقيفة والإيوان الأوسط المطل عليها حيث حرص المعمار قدر الإمكان على أن تكون الفتحة الوسطى من السقيفة بنفس اتساع فتحة الإيوان، ولكن إذا ما ظهر أن ذلك قد يؤثر على وضع الفتحتين الجانبيتين وسمتريتهما فإنه يلجأ إلى تحقيق هذه السمترية حتى إذا اضطر إلى أن تحجب إحدى الدعامتين فتحة الإيوان الأوسط،ويلاحظ أن الدارين ١/أو ١/د حيث حجبت دعامة واحدة جانبًا من فتحة الإيوان، وفي الدار ١/ب وفق المعمار بين وضع الدعامتين وفتحة الإيوان ببراعة رغم أنه جعل الفتحة الوسطى من السقيفة أضيق من فتحة الإيوان الأوسط.

الدار رقم ٢

يعتبر كريسويل أن هذه الدار تنقسم إلى قسمين أحدهما أن هذه الدار تنقسم إلى قسمين أحدهما خصص للحريم (حرملك) وهو القسم الشمالي الشرقي والآخر للرجال (سلاملك)، وهو الجنوبي الغربي[1]، ولكن فريد شافعي يعتبر أن هذه الدار تتكون من

---

(١) Creswell. Op. Cit., p. 122.

بيتين في إطار اصطلاحه الذي حدده للبيت والدار، حيث اعتبر أن البيت هو "مسكن سواء استقل بنفسه أو اتصل بغيره.. وذلك أسوة بالبيوت التي اصطلحنا على تسميتها في القصور العربية في بادية الشام والعراق والتي تردد ذكرها في مواضع سابقة مثل قصر المشتى وقصر الطوبة وقصر الأخيضر، كما ينطلق مصطلح "دار على كل ما يحتوى على بيتين فأكثر متصلين ببعضهما من داخل الدار،وسواء كان لهما مدخل مشترك واحد أو كان لكل منهما مدخل خاص بالإضافة إلى المدخل المشترك، وينطلق على البناء الذي يضم أكثر من دار أو بيت منفصل "مجموعة دور"[1].

وتوصيف كريسويل لهذه الدار على أنها تشتمل على قسمين يهمل القطاع الجنوبي والقطاع الشرقي، كما أن تحديد القسمين الآخرين بأن أحدهما حرملك والآخر سلاملك تحديد يرتبط بثقافة العصر العثماني التي أبرزت هذا التقسيم بوضوح.

أما ما يضعه فريد شافعي من مصطلحات "بيت" و "دار" و "مجموعة دور" يحتاج إلى مراجعة.ذلك أن استخدام كلمة "بيت" في الأدبيات العربية الإسلامية يطلق على كل موضع يحيط به جدران أربعة ويعلوه سقف سواء كان هذا الموضع يستخدم بواسطة الإنسان كحجرات النوم أو المعيشة أو الاستقبال أو غيرها، أو يستخدم للحيوان "كبيت البقر" أو للتخزين[2].

واستخدم هذا المصطلح استخداماً موسعاً وأطلق على الوحدات السكنية في القصور الأموية والعباسية التي تشتمل على وحدات "بيوت" وهو استخدام يمكن قبوله في إطار تطابق المصطلح مع توصيف الوحدة الأساسية في هذه البيوت، والتي تكررت، ولا يمكن قبوله على الدار التي تشتمل على وحدات مختلفة تربط بينها عناصر اتصال وحركة وتلحق بها عناصر خدمة من حقوق ومرافق ولها حدودها

---

(١) فريد شافعي، المرجع السابق ص ٩٩.

(٢) راجع محمد عبد الستار عثمان، الإعلان بأحكام البيان، ص ص ١٤٠-١٤١.

المستقلة، ومن ثم فإن وصفه للدار رقم (٢) على أنهـا دار تـشتمل علـى بيتـين توصيف خاطئ بل إن توصيف كريسويل أصح منه حيث اعتبر الدار مقـسمة إلـى قسمين وإن كان قد أغفل هو الآخر القسم الثالث في القطـاع الجنـوبي الـشرقي، والصحيح أن هذه الدار دار واحدة واعتبار كل من على بهجت وجبرائيل هذه الـدار كذلك اعتبار صحيح حيث إن لها حدودها المستقلة ومدخلها المستقل وتشتمل علـى وحدات عديدة تضم عناصر منفعة واتصال وحركة وخدمة تحقق غرض الانتفاع في إطار ثقافة العصر الذي أنشئت فيه وتم توزيع هذه الوحدات على المساحة في إطـار التصميم المطلوب.

وفي إطار ما سبق فإن الدار رقم (٢) دار واحدة تشغل مساحة غير منتظمة من الأرض وتطل على سكة نافذة في الجانب الشرقي كما يوجد سكة أخرى في الجهـة الجنوبية ويحد الدار من الجهة الشمالية والغربية بقايا منشآت أخرى للجيران فـي هذين الاتجاهين.

ويتوصل إلى الدار من المدخل الرئيسي لهذه الدار الـذي يقـع فـي الواجهـة الشرقية التي تطل على السكة النافذة في هذه الجهة، ويؤدى المدخل إلى رحبة غير منتظمة الشكل في الجهة الشمالية الشرقية منها حجرة صغيرة لها باب في الجـدار الجنوبي، ويوجد بالجدران الشمالية والجنوبية والغربية لهذه الرحبة ثلاثـة أبـواب تؤدى إلى الأقسام الداخلية للدار، فالباب الذي في الجدار الغربي يصعد منـه ثـلاث درجات،وينتهي إلى ممر غير منتظم الشكل، ولكنه بصفة عامة يأخذ شكل حـرف L وضلعه الطويل يمتد من الشمال إلى الجنوب وضلعه القصير يمتد من الـشرق إلـى الغرب،ويوجد في الطرف الشمالي لهذا الممر فتحة باب تؤدى إلى القسم الشمالي من الدار والذي اعتبره كريسويل[١] قسم الحريم، ويوجد بالطرف الشمالي للجدار الغربي في الضلع الطويل من الممر فتحة باب ثانية تؤدى إلى القسم الأوسط من الدار والذي

(١) Creswell, Op. Cit., p. 122

اعتبره كريسويل[١] قسم الاستقبال المخصص للرجال ويوجد باب ثالث في الجدار الجنوبي للضلع القصير من الممر يؤدى إلى القسم الجنوبي من الدار والذي أهمل ذكره كل من كريسويل وفريد شافعي[٢].

والباب الثاني في رحبة المدخل في الجدار الشمالي يؤدى إلى رحبة ثانية في الجهة الشرقية منها درج، وتؤدى هذه الرحبة من خلال باب في الطرف الشرقي لجدارها الشمالي إلى القطاع الشرقي من القسم الشمالي من الدار والباب الثالث في رحبة المدخل في الطرف الشرقي للجدار الجنوبي ويؤدى إلى القسم الجنوبي من الدار.

ويؤدى الباب الأول في الطرف الشمالي للجدار الغربي للممر الذي يؤدى إليه الباب الأول في الجدار الغربي لرحبة المدخل- إلى صحن مكشوف مستطيل الشكل يبلغ طوله من الشمال إلى الجنوب ٥,٦٠ متراً وعرضه من الشرق إلى الغرب ٤,٢٠ متراً، ويلاحظ أن توجهه شمال غرب- جنوب شرق، أي أنه مع اتجاه الرياح الشمالية الغربية التي تهب على مصر وهو بذلك في التوجيه الصحيح الذي يساعد على الاستمتاع بالنسيم العليل وبخاصة في فصل الصيف.

ويطل على هذا الفناء واجهة رئيسية من الجهة الغربية تتكون من ثلاث فتحات بواسطة دعامتين مستطيلتين كانت تحمل فوقها ثلاثة عقود، والفتحة الوسطى أوسع من الجانبيتين وتؤدى هذه الفتحات الثلاث إلى سقيفة مستعرضة تتقدم إيواناً يلاحظ أن فتحته أوسع من الفتحة الوسطى،ويلاحظ عدم انتظام فتحة السقيفة الوسطى معها، وبصدر هذا الإيوان دخلة، ويكتنف الإيوان من الجانبين حجرتان مستطيلتان بكل منهما ثلاث دخلات، يرى كريسويل أنها لوضع أواني الشرب[٣]، ويوجد أيضاً

---

(١) Ibid., p.122

(٢) Ibid., p. 122.

وفريد شافعي، ص ٤٣٨.

(٣) Creswell, Op. Cit., p. 122.

بالجانبين الشمالي والجنوبي للسقيفة دخلتان يلاحظ أن الشمالية منهما بهما ارتداد يزيد في عمقها، كما أن الجنوبية صدرها منحرف فتبدو عميقة في الجانب الشرقي أكثر من الجانب الغربي، ويوجد بالجانب الشمالي من الصحن ثلاث دخلات يلاحظ أن الشرقية منهما عميقة نسبياً وبها درجتان تؤديان إلى خزان الماء[1]. وبالحائط الجنوبي دخلة في الوسط يكتنفها فتحتا بابين في الطرف الشرقي والغربي الشرقية تؤدى إلى الضلع القصير من الممر والغربية تؤدى إلى سلم يؤدى القسم الجنوبي من الدار.

والباب الشمالي في الممر- الذي يؤدى إليه رحبة المدخل- يتوصل منه إلى القسم الشمالي من الدار، ويتوصل إلى هذا القسم أيضاً من الباب في الطرف الشرقي للجدار الشمالي للرحبة الثانية، التي يؤدى إليها الباب بالجدار الشمالي لرحبة المدخل، وهو باب يمثل بداية أو نهاية لممرات بديلة يتوصل منها إلى هذا القسم من الدار دون الحاجة للمرور من الممر المؤدى إلى الباب الرئيسي لهذا القسم الذي بالجدار الشمالي للممر.

ويؤدى هذا الباب الرئيسي لهذا القسم الشمالي من الدار إلى صحن مكشوف موجهة شمال غرب، جنوب شرق مربع المسقط طول ضلعه ٥,٣٠ متراً يطل عليه من الجهة الغربية واجهة رئيسية بها ثلاث فتحات بواسطة دعامتين مربعتي المسقط والفتحة الوسطى أوسع من الجانبيتين وتؤدى إلى سقيفة معترضة من الشمال إلى الجنوب يفتح عليها إيوان كبير في الوسط يلاحظ أن فتحته أيضاً أوسع من الفتحة الوسطى للسقيفة المطلة على الصحن، كما يلاحظ أن بالجدران الثلاثة لهذا الإيوان ثلاث فتحات الجانبيتان صغيرتان نسبياً، أما التي يصدر الإيوان فأكبر اتساعاً وتؤدى إلى منطقة معترضة من الشمال إلى الجنوب خلف الإيوان والحجرتان اللتان تكتنفانه ويوجد بالجدار الغربي لهذه المنطقة دخلة مرتدة في الوسط يكتنفها دخلتان أخريان صغيرتان، وفي جانبي السقيفة من الشمال خزانة صغيرة يقابلها دخلة عميقة نسبياً.

---

(١) Ibid., p. 122.

ومن الملامح المميزة لهذا الإيوان والحجرتين اللتين على جانبيه اتصالها بعضها ببعض واتصالها أيضاً بالمنطقة خلفها، وهو أمر يوفر اتصالاً سهلاً من الحجرات الجانبية إلى المقابلة لها بأكثر من اتجاه أو بمعنى آخر يوفر ممرات بديلة للاتصال وهي سمة سبقت الإشارة إليها في القطاع الشرقي من هذا القسم الشمالي.

أما الواجهة الشرقية المقابلة فقد قسمت أيضاً تقسيماً ثلاثياً يناظر تقسيم الواجهة الغربية، لكنها تقسيمة ليست على نفس محاور تقسيم هذه الواجهة، والفتحة الوسطى أوسع من الفتحة الشمالية والدخلة الجنوبية ويؤدى إلى إيوان صغير بصدره فتحة باب تؤدى إلى حجرة خلفه، ويوجد بالجدار الجنوبي لهذه الحجرة فتحة باب تؤدى إلى حجرة ثانية إلى الجنوب منها وهذه الحجرة بجدارها الغربي فتحة باب تؤدى إلى حجرة ثالثة، وبجدارها الجنوبي فتحة باب تؤدى إلى الباب الذي سبقت الإشارة إليه بالجدار الشمالي للرحبة الثانية التي تتصل بالرحبة الأولى بالباب الذي بجدارها الشمالي، ومنه نصل إلى الرحبة فالمدخل الرئيسي، وهكذا تتضح عناصر الاتصال للممر البديل في القطاع الشرقي من هذا القسم من الدار.

أما فتحة الباب شمالي هذا الإيوان الصغير المطلة على الصحن من الجهة الشرقية فتؤدى إلى حجرة صغيرة، وتناظر فتحة بابها دخلة في الطرف الجنوبي من الواجهة المذكورة.

أما الواجهة الشمالية المطلة على الصحن فقد قسمت أيضاً تقسيماً ثلاثياً عبارة عن ثلاث فتحات الوسطى أوسع من الجانبيتين وتؤدى إلى دخلة صغيرة تشبه الإيوان الصغير والفتحة التي إلى الغرب منها تؤدى إلى حاصل صغير، أما الفتحة الشرقية فهي عبارة عن فتحة باب يؤدى إلى ممر مستطيل من الغرب إلى الشرق ينعطف في الطرف الشرقي لينتهي إلى مرحاض.

والواجهة الجنوبية المطلة على الصحن قسمت أيضاً تقسيماً ثلاثياً على نفس محاور الواجهة المقابلة تماماً والفتحة الوسطى والغربية بصدر كل منهما دخلة. أما الفتحة الشرقية فتؤدى إلى رحبة صغيرة بجانبها الغربي مسطبة وبجدارها الجنوبي

فتحة الباب الرئيسية التي تربط هذا القسم من الدار بالممر الرئيسي الموصل لأقسامه الثلاثة، هذا ويلاحظ وجود دخلة صغيرة بين الدخلة الوسطى والدخلة الغربية.

القسم الجنوبي الشرقي للدار:

أهمل كل من كريسويل وفريد شافعي وصف هذا القسم أو اعتباره ضمن تكوين الدار رغم اتصاله اتصالاً مباشراً برحبة المدخل الرئيس، وبالممر الرئيسي التي يربط بين أقسام الدار الثلاثة وارتباطه أيضاً بباب يصل بينه وبين القسم الأوسط.

ومما سبق يتضح أن هذا القسم يتوصل إليه من ثلاثة أبـواب أحـدها مـستقل تماماً، وهو الباب الذي بالطرف الشرقي للجدار الجنوبي لرحبـة المـدخل الـرئيس والباب الثاني بالطرف الغربي للجدار الجنوبي بالضلع القصير من الممر الرئيـسي، ويؤدى هذا الباب إلى القطاع الأوسط الجنوبي من هذا القسم والبـاب الثالـث فـي الطرف الغربي للواجهة الجنوبية للصحن في القسم الأوسط. ويـؤدى البـاب الـذي بالطرف الشرقي للجدار الجنوبي للرحبة الرئيسة إلى حجرة غير منتظمة الشكل لكنها باستطالة واضحة تمتد من الشرق إلى الغرب ويوجـد بـالطرف الـشرقي جـدارها الجنوبي فتحة باب تؤدى إلى فناء مكشوف غير منتظم الشكل يفتح عليه من الجهة الجنوبية فتحتان تفصل بينهما دعامة، وتؤدى هاتان الفتحتان إلى منطقة بجـدارها الجنوبي دخلتان مقوستان وبكل من جانبيها الشرقي والغربـي دخلتـان ضـحلتان، والراجح أن هذه المنطقة كان يشغلها المطبخ.

ويوجد في القطاع الجنوبي من الجدار الغربي للفناء فتحة بـاب تـؤدى إلـى استطراق يمتد باستطالة من الشرق إلى الغرب بجداره الشمالي فتحة باب بالجـدار الجنوبي للضلع القصير من الممر الرئيسي- الذي سبقت الإشارة إليه- وفي الطرف الغربي للجدار الجنوبي للممر فتحة باب تؤدى إلى منطقة غير منتظمة الشكل تليهـا في الجهة الشرقية موضع مرحاض، وفي الطرف الشرقي من الجدار الشمالي لهـذا الاستطراق فتحة تؤدى إلى موضع كان يزود بالماء، ذكر كريسويل أنه "مرحاض"[١]

---

(١) Creswell, Op. Cit., p. 122.

لكن تخطيطه يختلف عن تخطيط المراحيض.

وبالجدار الغربي لهذا الاستطراق فتحة باب تؤدى إلى حجرة ذات شكل رباعي يميل إلى الاستطالة من الشمال إلى الجنوب بالطرف الشرقي لجدارها الشمالي فتحة باب بها درج يؤدى إلى الصحن في القسم الأوسط وبالطرف الشمالي للجدار الغربي فتحة باب تؤدى إلى مساحة غير منتظمة في الجهة الجنوبية منها مرحاض.

ومن الملاحظ من خلال الوصف السابق أن هذه المنطقة كانت تمثل منطقة المرافق التي تخدم الدار حيث يوجد بها المطبخ ومرحاضان بالإضافة إلى المواضع الأخرى التي تصلح لتخزين المؤن وحاجيات الدار من المواد الغذائية وغيرها،ولاشك أن وضع هذه المرافق في هذا القطاع الجنوبي والجنوبي الشرقي من الدار يتفق وورود الرياح في مصر حيث جنب القسمين الآخرين من الدار ما يسببه وجود المطبخ والمراحيض من روائح غير مرغوب فيها.

وفي إطار الوصف السابق لهذه الدار يمكن رصد بعض الملامح التي تتميز بها عمارتها، ومنها:

١) التركيز في تخطيط عناصر الاتصال والحركة على الممرات البديلة حيث يمكن أن نصل إلى القسم الشمالي من اتجاهين، كما أن الحركة الدائرية في القطاع الغربي من هذا القسم سواء في الإيوان أو الحجرتين تمثل على جانبيه صورة جيدة لهذه الرؤية في تخطيط عناصر الاتصال، كذلك فإن التوصل للقسم الأول من طريقين، وبالمثل القسم الجنوبي وقد كانت براعة المعمار واضحة في تخطيط عناصر الاتصال الأخرى التي ساعدت على تحقيق ممرات للحركة المباشرة والحركة البديلة وتتمثل هذه العناصر في الرحبة الأولى للمدخل والممر الرئيسي والرحبة الثانية شمال الرحبة الأولى والاستطراق الذي يربط بين القطاع الشرقي والقطاع الغربي في القسم الجنوبي.

٢) توجيه الفناءين الرئيسيين في القسم الأوسط والقسم الشمالي في اتجاه شمال غرب جنوب شرق لاستقبال النسيم في فصل الصيف،وهنا تجب الإشارة إلى أن وضع الإيوانين الرئيسيين والحجرات على الجانبين في الجانب الغربي من

الصحن قد جنبها استقبال النسيم استقبالاً مباشراً، لكن هذا لا يمنع من تسرب الهواء العليل إلى هذه الوحدات طالما دخل الهواء إلى الصحن.

٣) في إطار إدراك اتجاه الرياح كان وضع المطبخ والمراحيض في الجهة الجنوبية والجنوبية الشرقية من الدار.

٤) التوزيع المدروس لتوزيع المراحيض في أقسام الدار، فهذه الدار بها ثلاثة مراحيض اثنان في القسم الجنوبي يسهل استخدامها بواسطة من يكون بالقسم الجنوبي والقسم الأوسط. ومرحاض بالركن الشمالي الشرقي من الدار لخدمة القسم الشمالي، ويلاحظ الحرص على توفير الخصوصية لمستخدمي هذه المراحيض باختيار مواضعها في القسمين الشمالي والجنوبي.

٥) اتصال الإيوان الرئيسي بالقسم الشمالي من الدار مع الحجرتين الجانبية والحجرة الداخلية، وهو مثال وفر-كما أشرنا-حركة دائرية سهلة بين هذه الوحدات،وهو نمط وجد في أمثلة أخرى من الدور تختلف عن النمط الذي يستقل فيه الإيوان عن الحجرتين الجانبيتين.

٦) يلاحظ أنه لتجاور وحدتي الاستقبال في القسم الأوسط والقسم الشمالي أثرها الجدار الفاصل بينهما والذي زاد سمكه وتدعيمه بالأكتاف البارزة في الجانبين وربما كان لذلك علاقة بتغطية الوحدات في الدور الرئيسي الأرضي بالأقبية التي تشكل ثقلاً ورفساً جانباً عالياً تطلب هذا الأسلوب الإنشائي.

الدار رقم (٣) :

تشغل هذه الدار أيضاً مساحة غير منتظمة تبدو حدودها الخارجية في هيئة رأس سهم،ويبدو أن المدخل الرئيسي لهذه الدار كان في صدر سكة غير نافذة في الجهة الغربية، كما يوجد مدخل آخر في الواجهة الشمالية يبدو أنه فتح في مرحلة لاحقة لإنشاء الدار، وهذا المدخل أيضاً يفتح على الملك سكة غير نافذة من الوارد أنه لم يكن في مرحلة إنشاء الدار حق الارتفاق بها وأجيز له ذلك في فترة لاحقة مكنت من فتح الباب الثاني في الواجهة الشمالية.

ويؤدى المدخل الرئيسي في الجانب الغربي إلى ممر منكسر ثلاثة انكسارات

حتى نصل إلى الصحن، حيث يبدأ الممر في القسم الأول الممتد من الشرق إلى الغرب ثم ينعطف في اتجاه الجنوب، ثم ينعطف مرة أخرى في اتجاه الشرق، ثم تنعطف في اتجاه الشمال حيث يوجد بصدر هذا القطاع الأخير فتحة باب تؤدى إلى الصحن،ويوجد بالطرف الشرقي للقطاع الثالث من الممر الممتد من الغرب إلى الشرق فتحة باب تؤدى إلى استطراق تمتد من الشرق إلى الغرب لتنتهي بفتحة في صدره الغربي تؤدى إلى حجرة صغيرة.

كما يوجد في الجدار الغربي للقطاع الرابع من الممر فتحة تفتح على حوض لتخزين الماء، ووجود هذه الحوض على الجانب الغربي للممر من الأدلة التي ترجح أن المدخل الذي يؤدى إلى هذا الممر هو المدخل الأصلي الرئيسي حيث إن تزويد الدار بالماء إلى هذا الحوض في نهاية الممر، وعدم وجوده بجانب الباب الثاني الأقرب للسكة الشمالية الشرقية ويرجح أن هذا المدخل كان هو الوحيد عند تخطيط الدار وأن الباب الثاني فتح في مرحلة لاحقة.

ويلاحظ أن الممر ليس باتساع واحد لكنه يتسع ويضيق من موضع إلى آخر ويبلغ عرض الممر في أضيق نقطة متر واحد لكنه عند نقاط الانكسار أو الانعطاف يتسع بصورة تسهل المرور السهل عند الانعطاف خاصة عند حمل أشياء بأحجام أو أطوال كبيرة نسبياً، وربما كان لانكسارات هذا الممر وطوله وضيقه في بعض المواضع من الأسباب التي أدت إلى فتح الباب الثاني الذي يوفر مروراً سهلاً من خلال رحبته والممر التالي للرحبة.

ويؤدى الباب بصدر القطاع الأخير من الممر إلى الصحن الذي وضع في الاتجاه شمال غرب جنوب شرق، أي أنه في الوضع الصحيح الذي يواجه اتجاه النسيم العليل في فترة الصيف والصحن شكله مربع يبلغ طول ضلعه ٦,٧٠سم يوجد به حوض مربع للماء ضلعه ٣,٧٠ متراً ويلاحظ أن هذا الحوض لا يتوسط الصحن تماماً، حيث إن الممر الذي يفصل به الحوض والواجهة الغربية المطلة على الصحن ضعف الممر من الحوض والواجهة المقابلة وهي سمة تخطيطية وجدت في الدار ١/أ لتوفير أكبر مساحة أمام الإيوان الرئيسي، وتوجد أنابيب فخارية ٣ أنابيب تصل إلى

هذا الحوض من حوض التخزين-الذي سبقت الإشارة إليه-وتستمر هذه الأنابيب لتصل إلى منطقة الشاذروان في صدر الإيوان الشرقي الصغير، كما توجد قناة متدرجة تنقل الماء مباشرة من الشاذروان إلى هذا الحوض الذي يتوسط الصحن.

ويطل على الصحن أربع واجهات: الرئيسية منها هي الواجهة الغربية حيث قسمت تقسيماً ثلاثياً عبارة عن ثلاث فتحات أوسطها أوسعها وتؤدى هذه الفتحات إلى سقيفة معترضة مستطيلة ممتدة من الشمال إلى الجنوب بضلعها الغربي ثلاث فتحات الوسطى لإيوان كبير يلاحظ أنها أوسع من فتحة السقيفة الوسطى،وهي سمة تخطيطية متكررة في كثير من الدور، وهذا الإيوان وجد بجداريه الشمالي والجنوبي فتحتا بابين تؤديان إلى الحجرتين الجانبيتين اللتين تكتنفان الإيوان وتطلان على السقيفة من خلال الفتحتين اللتين تطلان على السقيفة، وبصدر الإيوان دخلة، والحجرة الشمالية مستطيلة منتظمة التربيع بالطرف الجنوبي لجدارها الغربي فتحة باب تؤدى إلى حاصل صغير مثلث المسقط، أما الحجرة الجنوبية فشكلها رباعي غير منتظم باستطالة من الشمال إلى الجنوب وقطاعها الشمالي أوسع من قطاعها الجنوبي.

ويوجد بالجانب الشمالي للسقيفة فتحة باب تؤدى إلى حاصل صغير تقابلها في الجانب الجنوبي دخلة.

أما الواجهة الشرقية للصحن مقسمة أيضاً تقسيماً ثلاثياً، لكنه ليس على نفس محاور تقسيم الواجهة الغربية تماماً، والتقسيم الثلاثي لهذه الواجهة عبارة عن فتحة إيوان كبيرة في الوسط، يكتنفها دخلتان جانبيتان اتساعهما متساو لكنه أقل من اتساع فتحة الإيوان، والإيوان مستطيل الشكل وبه حوض لا يتوسطه تماماً وخلف هذا الحوض من الجهة الشرقية دخلة كان بها شاذروان يسقط على لوحه الرخامي، ذي السطح المتعرج الماء من فتحة في أعلى الدخلة، ويتصل هذا الحوض بقناة تنقل الماء من الحوض بالإيوان إلى الحوض بالصحن-كما سبقت الإشارة-وقد جرت العادة بإنشاء مثل هذه الشاذروانات بدور الفسطاط كوسيلة من الوسائل التي كانت تساعد على تلطيف الحرارة وبخاصة في فصل الصيف بالإضافة إلى جمالياتها

المعمارية.

ويشير كريسويل إلى أن الشاذروانات بهذا الشكل عثر على أقدم نموذج لها في قصر العزيزة في باليرمو، وبدأ إنشاؤه في عهد وليم الأول عام ١١٦٠م وأكمل في عهد وليم الثاني،وأن المثال الثاني عثر عليه في مدرسة نور الدين في دمشق التي أنشئت عام ٧٦٧هـ/١١٧٢م[١]، ثم تكرر بعد ذلك بكثرة في الآثار المملوكية ونجد بصفة خاصة بالأسبلة بالمنشآت المدنية المملوكية كسبيل مسجد فرج بن برقوق بالدهيشة وسبيل الغورى بالغورية.

ويكتنف الحنية التي بصدر الإيوان والتي كان بها الشاذروان دخلة من الجهة الشمالية وفتحة باب من الجهة الجنوبية تؤدى إلى حاصل صغير كما توجد فتحة باب في الجدار الشمالي للإيوان تؤدى إلى حاصل صغير ويلاحظ- لظروف المساحة- كثرة وجود مثل هذه الحواصل الجانبية في هذه الدار.

أما الواجهة الجنوبية والشمالية للصحن فمتشابهتان، حيث قسمت كل منهما تقسيماً ثلاثياً، يضم ثلاث فتحات الوسطى أوسع من الجانبيتين والفتحة الوسطى في الواجهة الجنوبية تؤدى إلى إيوان مستطيل المسقط منتظم التربيع ويلاحظ وجود كتفين بارزين في منتصف كل من الجدارين الجانبيين للإيوان، كما توجد دخلة بصدر الإيوان، والفتحة التي تقع إلى الشرق من الإيوان تؤدى إلى منطقة مستطيلة معالمها غير واضحة، ربما كانت تؤدى من خلال باب في جدارها الشرقي إلى مساحة عريضة ضاعت معالمها أيضاً.

أما الواجهة الشمالية فيتوسطها إيوان غير منتظم التربيع بسبب انكسار الجدار الشمالي، والفتحتان اللتان تكتنفان هذا الإيوان الفتحة الشرقية تؤدى إلى حاصل غير منتظم الشكل، والفتحة الغربية تؤدى إلى ممر بصدره فتحة باب تؤدى إلى رحبة المدخل الثاني الشمالي، ويوجد بالطرف الشمالي الغربي لهذا الممر فتحة باب تؤدى إلى منطقة على هيئة حرف L ضلعه الطويل يمتد من الشمال إلى الجنوب وضلعه

---

(١) Creswell, Op. Cit., p. 124.

القصير يمتد من الشرق إلى الغرب.

وفي إطار الوصف السابق يمكن رصد الملاحظات التالية في عمارة هذا الدار:

١) وضوح التخطيط المتقابل للأواوين الأربعة المطلة على الصحن.

٢) وجود شاذروان في الإيوان الشرقي يتصل بالحوض في الصحن ويغذيه مصدر للماء في الداخل بصدر الإيوان كما تتصل شبكة الماء بالحوض بالممر في الصحن بالحوض في الإيوان الشرقي.

٣) وجود الممر المنكسر وتكرار الانكسار ليس بغرض الوقاية ولكن جاء بضرورة مرتبطة بالتصميم الشامل للدار والذي ينطلق من الصحن كتربيع أساسي منتظم ينبثق منه بقية الوحدات المنتظمة التربيع ثم يلي ذلك في الهامش الخارجي المساحة غير منتظمة التربيع وذلك في إطار براعة المعمار في عمل أكبر قدر ممكن من الأحياز منتظمة التربيع من الساحة الكلية ذات الحدود الخارجية غير المنتظمة.

٤) اتصال الدار بسكتين غير نافذتين كانت السكة الجنوبية الغربية فيما يبدو والطريق الأساسي للارتفاق وفي مرحلة تالية سمح بالارتفاق بالسكة الشمالية الشرقية.

٥) براعة المعمار في دراسة مقاييس الممر المنكسر وتوسيع عرضه عند الانكسارات لتسهيل المرور بالأشياء ذات الحجم الضخم أو الطول الكبير.

٦) يلاحظ براعة المعمار في تنفيذ التربيع المنتظم في الجانب الشرقي من الإيوان الشرقي وكذلك الإيوان الجنوبي من خلال بناء الجدران الخارجية بسمك مختلف القطاعات ويلاحظ زيادة السمك في الجدار الخارجي شرقي الإيوان الشرقي والذي من المحتمل أنه كان كذلك لحمل حوض الماء بالسطح والذي يغذى الشاذروان بالماء.

٧) يلاحظ اتصال الإيوان الرئيسي الغربي بالحجرتين الجانبيتين وهو اتصال من نمط آخر يختلف عما وجد في الإيوان المماثل في الدار رقم (٢).

الدار رقم (٤) :

دار صغيرة لم يعرض لها كريسويل بالدراسة ربما لاشتمالها على نفس العناصر التخطيطية في الدور الكبيرة، وهذه الدار تشغل أيضاً مساحة صغيرة غير منتظمة من الأرض، وتطل من الجهة الشمالية على سكة نافذة ويقع مدخلها على هذه السكة في الطرف الغربي من الواجهة.

ويؤدى المدخل إلى ممر موروب بطريقة هندسية تحقق نفس غرض الممر المنكسر حيث إن فتحة الباب الخارجية ليست على نفس محور فتحة الباب بصدر الممر حيث يوجد انحراف لا يمكن الواقف في أمام باب الدار من رؤية من بصحن الدار.

ويوجد في الجدار الشرقي للمر فتحة باب تؤدى إلى حجرة كبيرة غير منتظمة التربيع بالطرف الشمالي لجدارها الشرقي فتحة باب أصغر يؤدى إلى حجرة أو حاصل أصغر غير منتظم مسقطه في هيئة مثلثة.

ويصدر الممر فتحة الباب التي تؤدى إلى الصحن وهو مستطيل الشكل قياسه ٧,٨ × ٤,٨ متر الذي توجيهه في الاتجاه شمال غرب- جنوب شرق ليستقبل النسيم العليل في فصل الصيف ويتوسطه حوض للماء، ويطل على الصحن أربع واجهات، الواجهة الرئيسية هي الواجهة الشرقية ومقسمة تقسيماً ثلاثياً، بواسطة ثلاث فتحات الوسطى أوسع من الجانبيتين وتؤدى الفتحات الثلاث إلى سقيفة مستعرضة تمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي في جدارها الشرقي ثلاث فتحات الوسطى أوسع من الجانبين، وهي فتحة الإيوان الرئيسي، ويلاحظ أنها أوسع من الفتحة المقابلة على الصحن، وبصدر الإيوان دخلة ، أما الفتحتان الجانيتان فتؤدى كل منهما إلى حجرة مستقلة منتظمة التربيع الحجرة الشمالية بجدارها الشرقي فتحة باب تؤدى إلى حجرة مستطيلة تمتد من الشمال إلى الجنوب والحجرة الجنوبية بجدارها الشرقي فتحة باب تؤدى إلى حجرة مستطيلة أصغر من السابقة، وبالطرف الشرقي للجدار الجنوبي للحجرة التي بالجانب الجنوبي للإيوان فتحة باب

تؤدى إلى حجرة كبيرة غير منتظمة التربيع، وهذه الحجرات الجانبية أو الخلفية التي تفتح على الحجرتين الجانبيتين سمة تخطيطية واضحة في هذه الدار.

والواجهة الغربية المواجهة للواجهة الرئيسية الشرقية عبارة عن ثلاث دخلات بنفس اتساع فتحات الواجهة الشرقية وعلى محورها وهو ما يؤكد حرص المعمار على تطبيق مبدأ السمترية في التشكيل.

والواجهة الشمالية أيضاً ذات تقسيم ثلاثي الفتحات الوسطى أوسع من الجانبيتين وتؤدى إلى دخلة عميقة في هيئة الإيوان الصغير والفتحة الغربية تؤدى إلى حاصل صغير، أما الفتحة الشرقية فهي التي تربط بين ممر المدخل والصحن،ويلاحظ أنه بالجدار الشمالي للدخلة الوسطى فتحة باب تؤدى إلى حجرة أو حمام حيث يوجد في الجدار الجنوبي لها فتحة مربعة من الفتحات التي تنشأ في الجدران للصرف من الطوابق العليا.

الدار الخامسة:

تشغل الدار الخامسة مساحة كبيرة نسبياً من الأرض، والمساحة التي بنيت عليها الدار غير منتظمة الشكل وتطل الدار على سكة نافذة في الجهة الشمالية الشرقية وتتصل هذه السكة بأخرى تقع في الجهة الغربية، وتنعطف هذه السكة في الاتجاه الجنوبي قليلاً، وبالرغم من أن هذه الدار تطل بامتداد كبير لجدرانها الخارجية على السكك المحيطة به إلا أن الاعتماد في الإضاءة والتهوية كان على الأفنية الداخلية نظراً لضيق عرض السكك وارتفاع المباني المطلة عليها.

ويتوصل إلى هذه الدار من مدخلين أحدهما في الجانب الشمالي الشرقي والآخر في الجانب الشمالي الغربي، وتنقسم هذه الدار إلى قسمين متصلين يتمحور كل منهما حول فناء مكشوف والمساحة الفاصلة أو الرابطة بينهما تقع غرب القسم الشرقي أو شرقي القسم الغربي،ويكشف هذا التقسيم من أن المعمار المخطط للدور في الفسطاط كان يكرر الوحدة الأساسية للتخطيط المكون من الصحن والأواوين المطلة عليه في الدور ذات المساحات الكبيرة ليقوم بتضمين الدار أكبر عدد ممكن من هذه الوحدات

المنتظمة التربيع، ثم ما تبقى من مساحات غير منتظمة تكون في الهوامش الخارجية للمساحة، ويؤكد ذلك تكرار هذه السمة في الدار رقم (٢) وهي بنفس النمط الذي يشتمل على قسمين أعدا للاستقبال.

ويؤدى المدخل الذي يقع في الشمال الشرقي مباشرة إلى الصحن،وربما فقدت الدار في هذه الجهة القطاع الخارجي من المدخل والصحن ثم توجيهه شمال غرب-جنوب شرق وهو نفس توجيه الصحن في القسم الثاني وهو توجيه صحيح يساعد على استقبال النسيم في فصل الصيف والصحن مستطيل طوله من الشرق إلى الغرب ٦,٥ متراً وعرضه من الشمال إلى الجنوب ٦ متر وتطل عليه وأجهات أربع: الواجهة الرئيسية هي الواجهة الغربية حيث تشتمل على فتحتين الفتحة الجنوبية أوسع من الشمالية، ويلاحظ هنا ولأول مرة في الدور التي سبق وصفها أن الواجهة تتكون من فتحتين فقط،وقد فرضت المساحة ذلك لدخول حدود الدار المجاورة للدار (٥) من الجهة الجنوبية الشرقية بهيئة مثلثة واضحة في انكسار الحدود الخارجية للدار (٥) مع انكسار للداخل لم يوفر المساحة المطلوبة لعمل الفتحة الثالثة للسقيفة المطلة على الصحن،وتؤدى الفتحتان إلى سقيفة معترضة تأخذ شكلاً مستطيلاً استطالته من الشمال إلى الجنوب ويفتح على هذه السقيفة إيوان فتحة أوسع من فتحة السقيفة التي على محوره ويكتنف الإيوان حجرتان يلاحظ أن الحجرة الجنوبية غير منتظمة الشكل بسبب حدود الدار المنكسرة في هذا الموضع،والتي سبقت الإشارة إليه- أما الحجرة الشمالية فيلاحظ أنها تتصل بالإيوان بفتحة بوسط الجدار الجنوبي لها،والشمالي للإيوان كما يوجد بالجدار الشرقي لهذه الحجرة فتحة باب تؤدى إلى رحبة تصل ما بين قسمي الدار،ويكتنف هذه الرحبة من الشمال والجنوب حجرتان غير منتظمتي الشكل وتشكل الرحبة والحجرتان المذكورتان المنطقة الفاصلة الواصلة بين قسمي الدار.

أما الواجهة المقابلة للواجهة الغربية للصحن فذات تقسيم ثلاثي تقليدي عبارة عن دخلة واسعة في الوسط وفتحتين جانبيتين الأولى تمثل فتحة الباب الخارجي التي تؤدى إلى الصحن والفتحة الثانية تؤدى إلى استطراق ينعطف في اتجاه الغرب

لينتهي بمرحاض ويلاحظ أن التقسيم الثلاثي لهذه الواجهة ليس على محاور واحدة مع تقسيم الواجهة المقابلة.

والواجهتان الشمالية والجنوبية كل منهما ذات تقسيم رباعي يشمل فتحات أبواب ودخلات أربعة في كل واجهة بوضع سمترى، فالواجهة الشمالية تبدأ في الطرف الشرقي بفتحة باب تؤدى إلى حجرة تتصل بمساحة خلف الدخلة أو الإيوان الذي يجاور هذه الفتحة من الجهة الغربية، وتتصل هذه المنطقة بحجرة تتصل بدورها بحجرة أكبر إلى الغرب منها يؤدى إليها الباب بالجانب الشمالي للسقيفة وهكذا يتوفر ممر بديل من الإيوان الكبير للسقيفة للحجرتين إلى الغرب من الدخلة في الجانب الشمالي ثم المنطقة خلف هذه الدخلة، فالباب الذي بالطرف الشرقي الذي بدأنا بوصفه، وهو غير خط المرور المباشر من الإيوان الكبير للصحن للباب الخارجي.

والفتحة الثانية بهذه الواجهة تؤدى إلى دخلة عميقة أشبه ما تكون بإيوان صغيرة يليها في اتجاه الغرب دخلتان صغيرتان ضحلتان.

أما الواجهة الجنوبية فتبدأ في الطرف الشرقي بدخلة ضحلة صغيرة يليها فتحة دخلة كبيرة تشبه الإيوان الصغير على محور واحد مع الدخلة المناظرة في الجهة الشمالية ثم يلي ذلك فتحة باب صغيرة تؤدى إلى حاصل غير منتظم الشكل يليها دخلة صغيرة ضحلة وفتحة الباب المذكور والدخلة على نفس محوري الدخلتين في الواجهة المقابلة وبنفس الاتساع وهو ما يشير إلى حرص المعمار على تحقيق بعد السمترية رغم التنويع بين فتحات الأبواب والدخلات.

والقسم الثاني من الدار يتوصل إليه من المدخل الشمالي الغربي من خلال استطراق أو ممر منكسر مكون من الرحبة التي تلي المدخل واستطراق في الشمال الشرقي من الإيوان الشمالي المطل على الصحن، وبهذا تكون الرحبة وهذا الاستطراق ممراً منكسراً على شكل حرف L ويؤدى هذا الممر إلى الصحن. والصحن توجهه شمال غرب- جنوب شرق كما سبقت الإشارة. ومسقطه مستطيل

طوله من الشرق إلى الغرب ٨,٨ متراً وعرضه من الشمال إلى الجنوب ٨ متراً وبالصحن حوض ماء مثمن في المستوى السفلي، ومربع من أعلى، وبناء الحوض لا يتوسط الصحن تماماً، حيث يشغل الثلثين في اتجاه الجنوب ليوفر مساحة أكثر اتساعاً أمام الإيوان الأصغر الشمالي، وهو عكس ما لاحظناه في أوضاع الأحواض المشابهة، حيث جرت العادة على جعل المساحة الأوسع المحصورة بين الحوض والصحن أمام الإيوان الكبير وليس الإيوان الصغير المقابل له كما في هذه الدار، ويلاحظ أيضاً وجود أنابيب من الرصاص في أركان الحوض ويبدو أنه كان في وسط أيضاً أنبوب تعمل كفوارات للماء في هذا الحوض.

ويطل على الصحن أربع واجهات الواجهة الرئيسية هي الواجهة الجنوبية ذات تقسيم ثلاثي الفتحات الفتحة الوسطى أوسع من الجانبيتين وتؤدى إلى سقيفة معترضة مستطيلة المسقط ويلاحظ وجود دخلتين في طرفيها الشرقي والغربي، ويلاحظ أن كل دخلة ذات ارتدادات ثلاثة والجدار الجنوبي لهذه السقيفة به أيضاً ثلاث فتحات أوسطها أوسعها تمثل فتحة الإيوان الرئيسي الكبير والفتحتان الأخريان تؤدى كل منها إلى حجرتين جانبيتين غير منتظمتى التربيع بسبب عدم انتظام الحدود الخارجية للدار.

والواجهة الشمالية أيضاً ذات تخطيط ثلاثي الفتحة الوسطى فيه أوسع من الجانبيتين وتؤدى إلى إيوان صغير يتقدمه استطراق بنفس ارتفاع أرض الإيوان يمتد حتى الحوض التي ترتفع قليلاً عن بقية أرضية الصحن، ويكتنف الإيوان الصغير من الشمال الضلع الصغير من الممر المنكسر الذي على المدخل ومدخل الدار في هذه الجهة. والفتحة الثانية تؤدى إلى حاصل صغير غير منتظم التربيع.

أما الواجهتان الشرقية والغربية فبكل منهما دخلة تشغل النصف الجنوبي وهما باتساع واحد على محور واحد لكن الدخلة الشرقية أعمق.

ويوجد بالجدار الشرقي للسقيفة التي تتقدم الإيوان الكبير فتحة باب توصل إلى الرحبة التي تصل بين القسمين-والتي سبقت الإشارة إليها-والتي باتصالها بالقسم

الشرقي وممراته البديلة توفر لهذا القسم مروراً بديلاً غير المرور المتجه إلى المدخل الشمالي الغربي في هذا القسم.

وفي إطار الوصف السابق لهذه الدار يمكن رصد الملاحظات التالية:

١) الاهتمام بتوفر الممرات البديلة في القسم الشرقي والتي يمكن أن تستغل لخدمة القسم الغربي والعكس، وهي سمة تخطيطية مهمة سبقت الإشارة إلى التأكيد عليها في الدار رقم (٣).

٢) تأثير المساحة على شكل فتحات السقيفة في القسم الشرقي مما اضطر المعمار إلى عمل فتحتين فقط بدلاً من ثلاث في واجهتها المطلة على الصحن لكنه عاد إلى التقسيم الثلاثي للعناصر خلف السقيفة وهو تقسيم حرص عليه المعمار في القسم الغربي من القسم الذي خلف السقيفة رغم شغل القطاع الشرقي منه بالممر الواصل إلى الصحن، وهو أمر يؤكد سيطرة التقسيم الثلاثي على التخطيط وتنويع توظيف الوحدات التي يشملها ما بين إيوان وحجرتين أو إيوان وحاصلين أو إيوان ودخلتين أو إيوان وممر وحجرة إلخ.

٣) وجود استطراق يربط بين الإيوان الصغير والصحن وتوسيع المساحة من هذا الإيوان والحوض رغم أن العكس كان يحدث في الدور الأخرى وهي سمة تخطيطية أبرزت الإيوان الصغير إلى حد ما.

٤) وضع أحواض الزهور على الجانبين الشرقي والغربي للحوض للاحتفاظ بالسمترية وتوفير مساحة أمام الإيوان الكبير وإن قلل ذلك من رؤية أكبر مساحة منها في الإيوان الكبير أو حتى الإيوان الصغير.

الدار (٦):

هذه الدار تشغل مساحة كبيرة من الأرض غير منتظمة الشكل وتطل على سكة نافذة من الجهة الجنوبية وسكة غير نافذة في الجهة الشمالية الغربية، وثالثة غير نافذة في الجهة الجنوبية الشرقية، ولهذه الدار ثلاثة مداخل، مدخلان في الجهة الشمالية الشرقية والثالث في الجهة الجنوبية، والمدخل الرئيسي هو المدخل الجنوبي الذي يؤدي إلى القسم الرئيس من الدار وأيضاً إلى المرافق الملحقة في الجهة

الشرقية، ويطل هذا المدخل على السكة النافذة وهو ما يبرز أهمية موضعه إبرازا يجعله بمثابة المدخل الرئيسي.

ويتوصل من هذا الباب إلى رحبة مستطيلة منتظمة التربيع بما يكشف عن الاهتمام الواضح بتخطيط هذا المدخل، وبالجدران الشمالية والشرقية والغربية لهذه الرحبة ثلاثة أبواب يؤدى الباب الذي في صدر الرحبة إلى مجلس مستطيل الشكل بتربيع منتظم، ويؤدى الباب الذي بالجدار الغربي إلى الفناء الذي تحيط به المرافق وعناصر الخدمة بهذا الدار، ويؤدى الباب الثالث بالجدار الشرقي إلى رحبة ثانية بصدرها فتحة باب تؤدى إلى رحبة ثالثة بصدرها هي الأخرى فتحة باب تنتهي إلى السقيفة الجنوبية ومنها إلى الصحن وتشكل هذه الرحبات الثلاث المتتابعة ممراً منكسر Bent Entrance، والصحن مستطيل الشكل وتوجيهه شمال- جنوب تماماً، ويبلغ طوله من الشمال إلى الجنوب ١٤,٥ متر وعرضه من الشرق إلى الغرب ٩ متراً ويلاحظ من هذه القياسات كبر حجم الصحن بطريقة ملحوظة ولكن هذا الكبر وامتداد الصحن من الشمال إلى الجنوب بطول ١٤,٥ متر ربما يفسره شكل مساحة الأرض الذي تمتد باستطالة واضحة أيضاً من الشمال إلى الجنوب وعدم رغبة المخطط في تقسيم هذه المساحة إلى قسمين لكل قسم منها صحن كما حدث في بعض الدور الأخرى.

وقد مكن اتساع الصحن من عمل حوضين أحدهما للماء في النصف الشمالي من الصحن يجاوره من الجنوب حوض لزراعة الأشجار(١) ويتوصل الماء إلى هذا الحوض من قناة تحت الأرض تجلب الماء من الخزان المجاور للباب الشمالي ويتصل حوض الماء الشمالي بالصحن بقناة متدرجة في هيئة الشلالات يجرى فيها الماء من الشاذروان الذي بالحجرة خلف الإيوان الشمالي.

ويطل على الصحن أربع واجهات الواجهتان الشمالية والجنوبية متشابهتان وكل منهما مقسمة تقسيماً ثلاثياً يشتمل على ثلاث فتحات، الفتحة الوسطى أوسع من

---

(١)Creswell, Op. Cit., p. 125.

الجانبيتين ويلاحظ أن فتحات الواجهتين على محاور واحدة وتؤدى فتحات الواجهة الشمالية إلى سقيفة معترضة من الشرق إلى الغرب على جانبيها الشرقي والغربي الفتحة الشرقية تؤدى إلى حجرة غير منتظمة التربيع والغربية تؤدى إلى رحبة بجانبها الشمالي والجنوبي فتحتا بابين يتصل كل منهما بالوحدات المجاورة، أما الجدار الشمالي للسقيفة فقد قسمت أيضاً تقسيماً ثلاثياً، الفتحة الوسطى تمثل فتحة الإيوان الكبير الذي يوجد بصدره فتحة تؤدى إلى حجرة مربعة منتظمة التربيع يتوسطها حوض دائري في المستوى السفلي ويكتنف هذا المركز الدائري أربعة أقواس دائرية ثم يعلو ذلك المستوى المربع وهو تصميم معماري يكشف عن ثراء الشاذروان الذي كان يصب ماءه في هذا الحوض حيث يوجد مصدر الماء في حوض أعلى هذا الشاذروان، ويلاحظ أن هناك قناة للماء تبدأ من المستوى أسفل هذا الشاذروان وتمتد خلف الحجرة الشرقية المجاورة للإيوان وتخترق الوحدات في هذا الجانب الشرقي حتى تصل إلى الحوض الذي يجاور المدخل الشمالي الغربي والذي سبقت الإشارة إليه، وتوجد قناة ترتبط بين هذا الحوض الخاص بالشاذروان يفيض إليها الماء من الحوض المذكور وتنتهي هذا القناة إلى الحوض الذي بالصحن ويلاحظ أنها تتدرج في هيئة الشلالات وهو ما يعكس مستوى متقدماً من الرغبة في تحقيق جمالية منظر الماء بالإضافة إلى تحقيق جريان الماء من الشاذروان إلى الحوض من تلطيف الجو وبخاصة في فصل الصيف، كما أن الشلالات تسبب خريراً للماء رغب في سماعه.

ويكتنف الإيوان من الجانبين حجرتان الغربية تتصل بحجرة إلى الشرق منها بواسطة فتحة باب والغربية بصدرها فتحة باب تؤدى إلى حجرة إلى الشمال منها، وتتصل هذه الحجرة الأخيرة بفتحة باب في جداره الشرقي بحجرة مثلثة يليها مجموعة من الحجرات المتصلة ببعضها في الجانب الشمالي الشرقي من الدار غير منتظمة التربيع.

أما الواجهة الجنوبية المطلة على الصحن بنفس تخطيط الواجهة الشمالية ولكن السقيفة لا يوجد بها أبواب في جداريها الجانبيين، ويلاحظ أن الإيوان في الوسط

والمطل على السقيفة بجداره الشرقي فتحة باب تؤدى إلى الحجرة الجانبية ويلاحظ أن الحجرة الجانبية الشرقية مصدرها فتحة باب تؤدى إلى حجرة مماثلة في الجهة الجنوبية ويفتح عليها الإيوان أيضاً بفتحة باب وتؤدى فتحة الباب الشرقية بجدار السقيفة إلى الرحبة الثالثة فالرحبة الثانية فالرحبة الأولى للمدخل الرئيسي، وهو نفس التخطيط الذي سبقت الإشارة إليه في الدار (٥).

أما الواجهة الشرقية فذات تقسيم رباعي للفتحات وتؤدى كل من الفتحة الشمالية والجنوبية إلى حجرة أما الفتحة الوسطى فتؤدى إلى منطقة مقسمة تقسيماً داخلياً إلى ثلاث وحدات عبارة عن رحبة تؤدى إلى حجرتين صغيرتين غير منتظمتى التربيع، والفتحة الرابعة تؤدى إلى ممر منتهي إلى حمام في الركن الجنوبي الشرقي وتفتح على هذا الممر رحبة تتقدم حجرة.

والواجهة الغربية مقسمة بنفس التقسيم حيث يوجد بها أيضاً ثلاث فتحات في هيئة تحافظ على سمتريتها مع الواجهة المقابلة وإن كانت الفتحات ليست على نفس المحاور.

والفتحة الشمالية تؤدى إلى حجرة تتصل بحجرة إلى الشمال منها بفتحة باب كما يوجد بصدرها فتحة باب تؤدى إلى حجرة كبيرة خلف الحجرة الوسطى، ومنها يتوصل إلى فناء المرافق، والفتحة الوسطى تؤدى إلى حجرة كبيرة، والفتحة الجنوبية بهذه الواجهة الغربية تؤدى إلى منطقة ذات مسقط رباعي غير منتظم الشكل يتصدرها مرحاض.

ويلاحظ أن الرحبة الشمالية التي تؤدى إليها الفتحة الشمالية بهذه الواجهة يوجد بالطرف الغربي لجدارها الشمالي إلى رحبة بجدارها الغربي فتحة باب يؤدى إلى رحبة كبيرة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب تنتهي إلى الباب الشمالي الغربي وفي قطاعها الغربي السلم بالصحن عبر الرحبة الأولى والرحبة الثانية إلى الرحبة الثالثة فتشكل ثلاثتها ممراً منكسراً أيضاً لهذا المدخل.

أما القسم الخاص بمرافق هذه الدار فيتوصل إليه من الباب الشرقي برحبة

المدخل الرئيسي الذي يؤدى إلى فناء غير منتظم الشكل لظروف ومساحة الأرض التي أنشئت فوقها الدار ويؤدى إليها أيضاً الباب الشمالي الغربي الذي يؤدى إلى ممر مستطيل في جداره الشمالي فتحتا بابين الأولى تؤدى إلى حجرة مثلثة المسقط والثانية تؤدى إلى حجرة مستطيلة بجدارها الشرقي فتحة باب تؤدى إلى حجرة ثانية غير منتظمة، أما الجدار الجنوبي فيوجد به فتحة باب تؤدى إلى ثلاث حجرات متصلة ببعضها تنتهي بفتحة باب في الجدار الجنوبي للحجرة الثالثة تؤدى إلى الفناء. وبصدر الممر الذي يؤدى إليه هذا المدخل الشمالي الغربي فتحة باب تنتهي إلى الفناء غير المنتظم-الذي سبقت الإشارة إليه-ويلاحظ أن خزان الماء الذي يتصل بالقنوات التي تتصل بحوض الشاذروان والحوض بصحن القسم الرئيسي يقع في شمال الفناء المذكور محصوراً بين المدخل الشمالي الشرقي والحجرة الثالثة على الجانب الشمالي الشرقي للممر المذكور.

وقد أشار كريسويل إلى الزخارف الجصية التي تزين بعض حوائط هذه الدار والتي تتميز بالإضافة إلى رخامها باستخدام القوالب الأجرية بأشكال هندسية معينة تؤطر الزخارف وأشار إلى أن هذا الأسلوب في الزخرفة عرف في إيران في العصر السلجوقى في أمثلة متعددة من الآثار السلجوقية ترجع إلى القرن ٦هـ/١٢م[(١)]. وفي ذلك إشارة واضحة إلى أن هذه الدار يمكن أن ترجع إلى النصف الأول من القرن السادس الهجري.

وفي إطار الوصف السابق تتضح بعض الملامح المعمارية الأساسية المميزة لهذه الدار على النحو التالي:

١) الاهتمام بعناصر المياه مثل الشاذروان وحوضه والحوض الذي بالصحن والقناة المتدرجة في هيئة الشلالات التي تربط بين حوض الشاذروان وحوض الصحن.

٢) تغطية أرضية الصحن بقطع حجرية يشبه نظام الباركيه في العمارة الحديثة.

---

(١) للاستزادة راجع Creswell, Op. Cit., p.126

٣) استطالة الصحن والعناصر العمودية عليه في الشمال والجنوب وهو أمر توافق ومساحة الأرض.

٤) وجود قسم للمرافق في القطاع الجنوبي الغربي.

٥) توفر الممرات البديلة نتيجة اتصال الحجرات في القطاع الشرقي والقطاع الجنوبي من القسم الرئيسي وكذلك اتصال القطاع الشرقي الرئيسي بقطاع المرافق في الجهة الجنوبية الغربية.

٦) وجود مجلس يؤدى إليه المدخل الرئيسي يكن أن يستخدم في استقبال ضيوف لا يرغب في دخولهم الدار.

٧) وجود المرحاض والحمام في القطاع الجنوبي الشرقي في توافق مع وردة الرياح بمصر كما أن وجود ملحق المرافق أيضاً في الجهة الجنوبية الغربية متوافق مع نفس التوجه لأبعاد مصادر الدخان وغيره من وحدات الاستقبال الرئيسية.

٨) هندسة شبكة المياه وحسابات التصريف تكشف عن براعة وتصور مسبق في تخطيطها وتنفيذها في إطار تطبيقي لنظرية الأواني المستطرقة.

الدار رقم (٧):

هذه الدار تتكون في الحقيقة من دارين مستقلين إحداهما شرقية والأخرى غربية، والدار الشرقية نرقمها بالرقم ٧/أ والدار الغربية نعطيها الرقم ٧/ب.

- الدار ٧/أ

هذه الدار نموذج جيد للدار الصغيرة التي رغم صغرها يلاحظ أن المعمار خططها بنفس الأسلوب التخطيطي للدور الكبيرة حيث يبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب في أقصى اتساع ١١ متراً وعرضها في أقصى اتساع ٥ متراً، أي أن مساحتها لا تعدو أكثر من ٥٥ متراً، ولهذه الدار مدخل رئيسي في الطرف الشرقي للواجهة الشمالية المطلة على سكة نافذة يؤدى إلى رحبة مدخل مستطيلة الشكل منتظمة التربيع بصدرها فتحة باب تؤدى إلى السقيفة التي تطل على الصحن وتتقدم

الإيوان الرئيسي، وهذه الرحبة. وحجرة في الركن الشمالي الشرقي والسقيفة بتخطيط هندسي منتظم التربيع وبجانبي السقيفة الشرقي والغربي دخلتان مرتدتان ثلاث مرات، وبالمرور عبر السقيفة نصل إلى الصحن بهيئة شكل رباعي ذي استطالة لكنه غير منتظم التربيع يمتد باستطالة من الشرق إلى الغرب، ويلاحظ أن اتجاهه شمال شرق جنوب غرب.

ويطل على الصحن من الجهة الشمالية السقيفة ذات الفتحات الثلاث وهي مستعرضة من الشرق إلى الغرب ويوجد خلفها في الوسط الإيوان الرئيسي بصدره دخلة ويكتنفه رحبة المدخل من الغرب وحجرة غير منتظمة التربيع في الشرق، أما الواجهة الجنوبية فذات تقسيم ثلاثي الفتحات ولكن ليس على نفس المحاور لفتحات السقيفة الشمالية والفتحة الوسطى تؤدى إلى دخلة في هيئة إيوان صغير والفتحتان الجانبيتان تؤدى الشرقية إلى حجرة تمتد خلف الدخلة التي في هيئة الإيوان الصغير والفتحة الغربية تؤدى إلى حاصل صغير ربما استخدمت بعض الوحدات كمرافق لوجود آثار فتحة تصريف في الجدار في هذه المنطقة.

- الدار ٧/ب

مساحتها ضعف مساحة الدار ٧/أ وتجاورها من الجهة الغربية ويتوصل إليها من مدخل على السكة الشمالية النافذة حيث يؤدى المدخل إلى رحبة المدخل التي يلاحظ أنها منتظمة التربيع وبصدر الرحبة فتحة الباب التي توصل إلى الصحن مباشرة والصحن مسقطه على هيئة شكل رباعي شبه منحرف كان يتوسطه حوض فسقية صغير شبه دائري، وتوجيهه شمال شرق -جنوب غرب.

ويطل على الصحن من الجهة الشرقية سقيفة ثلاثية التخطيط مستعرضة من الشمال إلى الجنوب، ويوجد خلفها إيوان كبير في القطاع الشمالي يجاوره من الجهة الجنوبية حجرة مستطيلة تتصل بالإيوان بفتحة في جدارها الشمالي، وهنا نلاحظ أن تخطيط الوحدات خلف السقيفة اشتمل على الإيوان وحجرة واحدة وليس حجرتين كما هي العادة أي أن ثلاثية التخطيط افتقدت، ويفسر ذلك رغبة المعمار في توسيع

الإيوان حيث إن المساحة لم تسمح بوجود حجرة ثالثة، وكان تنفيذه يضيق مساحة الحجرتين والإيوان ضيقاً يؤثر على الراحة في استخدامها.

وكان لضيق المساحة أثرها أيضاً في تخطيط الواجهة المقابلة حيث اشتملت على فتحة إيوان وفتحة باب يؤدى إلى حجرة في الجهة الجنوبية منه، أما الحجرة الشمالية لهذا الإيوان يتوصل إليها من فتحة باب في الجدار الشمالي للإيوان ويتصل الإيوان وهذه الحجرة بحجرتين في النهاية الغربية للدار، وهاتان الحجرتان تتصل كل منهما بالأخرى بواسطة باب في الجدار الفاصل بينها.

ورغم بساطة هذه الدار إلى أنها توفر خصوصية للقطاع الغربي من وحدة الاستقبال في القطاع الشرقي، كما أنها تعكس مرونة المعمار في التخطيط ليتوافق مع المساحة وتنفيذ مفردات التخطيط الشائعة قدر ما تسمح به هذه المساحة، أما الواجهة الشمالية فتشمل بالإضافة إلى باب رحبة المدخل على فتحة باب تؤدى إلى مرحاض، وبالجانب الجنوبي للصحن فتحتان تؤدى كل منهما إلى بابين صغيرين الشرقي منهما يفتح على سقيفة القطاع الشرقي.

ومن الملاحظات المهمة في كل من الدار ٧/أ ، ٧/ب ما يلي:

١) المدخل يؤدى إلى الصحن عبر رحبة منتظمة التربيع وبطريقة مباشرة لا تطبق فكرة المدخل المنكسر.

٢) عدم الالتزام بمفردات التخطيط في مدينة الفسطاط إلا بما يناسب المساحة.

٣) دقة تربيع رحبتي المدخلين ودقة تنفيذ الدخلتين المرتدتين في سقيفة الدار ٧/أ.

٤) اتصال الحجرات في الجانب الغربي من الصحن الذي يجاور السكة وفي هذه الجهة.

٥) يلاحظ أن المرحاض في الدار ٧/ب في الجانب الشمالي لتسهيل نزح الخزان للتوافق مع الفتحة التي بالخارج مطلة على هذه السكة، وقد اضطر المعمار إلى وضعه في هذا الاتجاه المخالف ورده الرياح لهذا السبب.

الدار رقم (٨)

نموذج للدور الصغيرة أو متوسط المساحة، ومساحتها غير منتظمة الأضلاع وإن كان ضلعها الجنوبي مستقيماً تماماً بصورة لم نلحظها في الدور السابقة. ويقع المدخل في الجانب الغربي ويؤدى المدخل إلى ممر غير منتظم الشكل وينكسر في طرفه الغربي وينتهي إلى الصحن، ويلاحظ امتداد الممر جهة الشرق في مساحة يمكن استغلالها في أغراض أخرى غير المرور حيث لا يستطرق في هذا الاتجاه،ويختلف اتساع الممر من موضع إلى آخر يلاحظ حرص المعمار على توسيعه قدر المتاح في منطقة الانعطاف لتسهيل المرور به.

والصحن مستطيل الشكل طوله من الشمال إلى الجنوب ٦ متر وعرضه من الشرق إلى الغرب ٤,٥ متر وتوجيهه شمال غرب جنوب شرق أي في اتجاه رياح الشمال البادرة في فصل الصيف، ويوجد بالصحن حوض وضع في الثلثين الغربيين لتوسيع الممر أمام الإيوان الرئيسي وهي سمة تخطيطية تكررت في أمثلة الدور التي بها مثل هذا الحوض، والحوض بناؤه مثمن في القطاع السفلي ومربع في القطاع العلوي، وبأركانه بقايا أنابيب رصاصية وهذا في وسطه بما يشير إلى وجود نوافير للماء في الأركان الأربعة وفي وسط الحوض.

ويلاحظ وجود قنوات للماء تغذى الحوض تبدأ من حوض يقع في الجهة الجنوبية الغربية للصحن وتستمر هذه القناة لتصل بالوحدة في الركن الشمالي الشرقي.

ويطل على الصحن من الجهة الشرقية سقيفة ثلاثية التقسيم فتحتها الوسطى أوسع من الجانبيتين، وهذه السقيفة تمتد من الشرق إلى الغرب وبجانبها الشرقي دخلة ثلاثية الارتداد، أما الدخلة الغربية فهي بنفس الشكل لكن بصدرها فتحة تؤدى إلى حاصل.

وخلف السقيفة إيوان مفتوح بكامل اتساعه تكتنفه حجرتان والإيوان والحجرتان تربيعها منتظم.

أما الواجهة الشمالية فذات تقسيم ثلاثي حيث توجد ثلاث فتحات الأولى والثانية من الشرق إلى الغرب، دخلتان والثالثة الفتحة التي بصدر دهليز المدخل.

وكذلك يلاحظ أن الواجهة الشمالية والجنوبية ثلاثية التخطيط حيث يوجد بالواجهة الشمالية فتحة وسطى واسعة تكتنفها فتحتان أصغر نسبياً، الفتحة الوسطى تؤدى إلى دخلة عميقة أشبه بالإيوان الصغير، أما الفتحة الشرقية فتؤدى إلى ممر ينتهي إلى حجرة تستخدم كحمام والفتحة الغربية في هذه الواجهة الشمالية فتؤدى إلى حاصل صغير.

والواجهة الجنوبية بها ثلاث فتحات الغربية تؤدى إلى خزان للماء يرتبط بالصهريج بقناة والفتحتان الأخريان تؤديان إلى دخلتين عميقتين نسبياً.

ويلاحظ من خلال الوصف السابق بعض الملاحظات المعمارية المهمة نوجزها فيما يلي:

١) وجود المدخل المنكسر.

٢) ممر المدخل مختلف الاتساع من منطقة إلى أخرى لكن المعمار حرص على توسيع منطقة الانعطاف لتسهيل المرور.

٣) وجود الحمام في المنطقة الشمالية الشرقية وربما كان ذلك في إطار الاستفادة بموضع السكة لتسهيل التخلص من الفضلات في الخزان أسفلها.

وفي إطار الدراسة الوصفية السابقة ومن خلال الدراسة التحليلية نعرض لأهم العناصر المعمارية في دور الفسطاط والتي تميز تخطيطها كالأفنية الداخلية، والتقسيم الثلاثي للسقيفة والوحدات خلفها، والمداخل، كما تنتهي هذه الدراسة بسرد لأهم السمات العامة والنتائج التي أوضحتها هذه الدراسة لدور الفسطاط.

الفناء الداخلي في دور الفسطاط

يعتبر الفناء من العناصر المعمارية المهمة التي ترتد أصولها إلى الحضارات القديمة في المنطقة الحارة، وقد أدت ظروف المنطقة العربية والإسلامية الحارة إلى شيوع هذا العنصر في العمارة الإسلامية وتعكس القصور الأموية والعباسية استخداماً أساسياً للفناء الداخلي في تخطيطاتها.

واستمر استخدام الفناء في عمارة العصور اللاحقة حتى نهاية العصر العثماني، وكان لهذه الاستمرارية أسبابها التي تتمثل في أن الفناء الداخلي يساعد على التغلب على حرارة الجو وبخاصة في فصل الصيف حتى أنه يعمل كبئر للهواء فتكون درجة الحرارة فيه أكثر انخفاضاً من الخارج بمعدل وكشفت الدراسات والبحوث أنه قد يصل إلى ٢ درجة مئوية وهو ما يساعد على تحريك الهواء من الداخل إلى خارج الدار.

وتوافق الفناء الداخلي مع حرص المجتمع الإسلامي على تحقيق مبدأ الخصوصية فقد مكن الفناء الداخلي من فتح النوافذ والمطلات عليه دون الاضطرار إلى وضع مثل هذه النوافذ في الواجهات الخارجية المطلة على الشارع تجنباً لضرر الكشف.

وزاد من الاعتماد على الأفنية الداخلية -كمصدر للهواء والضوء- ضيق السكك النافذة وغير النافذة في المدينة الإسلامية والتي فضل أفراد المجتمع أن تكون نوافذ دورهم مطلة عليها دون غيرها من الشوارع الواسعة الرئيسية التي تزداد بها حركة المارة وبالتالي يزداد ضرر الكشف بها وكذلك ما يحدث من ضوضاء.

ودفع ضيق هذه السكك المعمار إلى تخطيط الدور والمنشآت الأخرى مفتوحة على الداخل وكان الفناء هو العنصر الأصيل الذي يمكن من تحقيق هذا الغرض تجنباً لضرر الكشف الذي يحدث بسبب تقارب الواجهات المتقابلة تقارباً مؤكداً ضرر الكشف في حالة فتح مطلات أو نوافذ في هذه الواجهات.

واستخدم الفناء في الأغراض المعيشية لأفراد الأسرة وكان فيه المتسع ليلعب

فيه الأطفال تحت رعاية الأسرة، ووظف الفناء بجانب كل هذه الوظائف كعنصر اتصال وحركة أساسي في الدار حيث تصب فيه حركة المرور من كل أجنحة الدار ومنه إلى دهليز الدار فمدخلها والعكس،وقد ساعد توسطه للدار على سهولة هذا الاتصال.

وفي إطار جماليات عمارة الدار الإسلامية التي وصلت إلى الذروة إذا ما قورنت بالدور في الحضارات الأخرى - وربما كان ذلك مرتبطاً بأن تكون الدار بهذه الجماليات موضع راحة واستجمام خصوصًا أن الحريم كن يقضين معظم حياتهن في داخل الدار ولم يكن يخرجن إلا للسوق أو الحَمام- لعبت عمارة الصحن دورها في هذه الجماليات بما ينشأ بها من فساقي وأحواض للزهور والنباتات والأشجار.

وإلى جانب ما تحقق الفساقى وأحواض المياه وقنواتها الممتدة من الشاذروانات إلى هذه الأحواض في هذه الدور من جماليات رؤية الماء والمسطح الأخضر فإن هذه الوحدات تساعد على تلطيف حرارة الجو في الصيف، كما أن هذه الفساقى والأحواض بما يكون فيها من ماء يمكن استخدامه في حالة إذا ما شب حريق بالدار لسبب أو لآخر وهو ما يعنى أن هذه الفساقى والأحواض كانت أيضاً من أهم عناصر الوقاية ضد ما قد تتعرض له الدار من حريق.

وفي إطار هذه الرؤية الوظيفية للفناء الداخلي في الدار الإسلامية كان وجود الفناء الداخلي في دور الفسطاط وجوداً أساسياً وزاد من ضرورته أن شوارع وسكك مدينة الفسطاط كانت في الغالب ضيقة حيث يصل أكبر اتساع لشوارعها ٦ متراً بينما وصل معظمها إلى اتساع يتراوح من ٢-١ متر وهو ما جعل هذه الشوارع بالنهار مظلمة لارتفاع المباني على جوانبها ارتفاعاً شاهقاً وصل إلى أربعة أو خمسة طوابق.

وتكشف هذه المعادلة الصعبة بين ضيق شوارع وسكك مدينة الفسطاط وارتفاع مبانيها ارتفاعاً ملحوظاً سجلته روايات البلدانيين والمؤرخين وتشهد به بقايا دور

الفسطاط[1] عن سبب خاص بمدينة الفسطاط أدى إلى وجود الأفنية الداخلية بالدور واتساعها وتعددها أحياناً في الدار الواحدة حتى أن بين الاثنتى عشرة داراً التي سبق وصفها لا نجد داراً واحدة بدون فناء.

ومما يؤكد أن الأفنية في الفسطاط كانت الحاجة إليها أساسية للإضاءة والتهوية دون الاعتماد على الشوارع والسكك ما سبقت الإشارة إليه من إظلام هذه الشوارع والسكك في النهار والاضطرار إلى إضاءتها وهو ما أكده أيضاً وجود أفنية داخلية جاورت السكك التي تطل عليها الدار مباشرة ولا يفصلها عن هذه السكك سوى جدار الدار الخارجي المطل على السكك ولعل فيما نراه في فناء الدار أ/جـ وفناء الدار الثانية والدار الخامسة بفناءيها ما يؤكد هذه الحقيقة وهي فكرة ذكية من المعمار حيث إن عرض الطريق المطلة عليها الدار يكون حيزها الفراغي مضافاً إلى الحيز الفراغي للصحن المجاور للسكة في مستوى الطابق الثاني من الدار وصاعداً.

وتكشف الدراسة الإحصائية للأفنية الداخلية التالية بدور الفسطاط عن حقائق مهمة تكشف عن أهمية الفناء الداخلي في دور الفسطاط وملامحه الخاصة.

فبالنسبة لعدد الأفنية في الدار الواحدة كشفت الدراسة أن الحد الأدنى لها فناء واحد لكن هناك من الدور ما اشتمل على ثلاثة أفنية كالدار رقم ٢ التي وجد بها فناءان في قسمي الاستقبال والمعيشة وفناء في القسم الذي يضم المرافق الأخرى كالمطبخ وحجرات التخزين كما وجد بالدار رقم ٧/أ فناءان وفيما عدا ذلك وجد بكل دار فناء واحد وإذا كان وجود فناء داخلي واحد في الدار الواحدة هو أمر ضروري فإن وجود أكثر من فناء يكون له أسبابه ومنها كبر مساحة الدار مثل الدار رقم ٢، الدار رقم ٥ أو عدم انتظام مساحتها واتخذها شكلاً معيناً يستوجب عمل فناءين بالضرورة حتى ولو صغرت مساحتها كالدار ١/جـ.

وكشفت دراسة مساحة الأفنية في الدور -موضوع البحث- مقارنة ببعضها أن أصغر مساحة للفناء كانت مساحة فناء الدار ٧/أ حيث بلغت مساحته نحو ٩,٥ متراً

(١) فريد شافعي: المرجع السابق، ص ٤٣٧.

مربعاً ولمقارنة هذه المساحة بمساحة الدار نفسها والتي تبلغ نحو ٥٥ متراً مربعاً تكشف عن أن هناك نسبة وتناسب بين مساحة الدار ومساحة فنائها الداخلي، كما كانت مساحة أكبر فناء ١٣٠,٥ متراً مربعاً وهو فناء الدار رقم (٦) ويلاحظ أن هذه الدار مساحتها كبيرة كما أنها تمتد باستطالة من الشمال إلى الجنوب امتداداً كبيراً نسبياً مما جعل المعمار يخطط فناء الدار مستطيلاً في نفس اتجاه استطالة الدار في هذه القطاع من الشمال إلى الجنوب لينشأ فناء واحداً بمساحة تعادل فناءين، استغله المعمار في عمل فسقية وحوض للأشجار وقناة ممتدة لشاذروان يعتبر من أجمل شاذروانات دور الفسطاط، ولم يكن هذا الفناء هو الوحيد في هذه الدار ولكن ضمنها المعمار قسم المرافق فناء آخراً كبيراً غير منتظم الشكل.

وتكشف الدراسة التحليلية لتوجيه الأفنية الداخلية لدور الفسطاط-التي سبق وصفها- أن ستة أفنية من مجموع ستة عشر فناء هي التي وجهت في الاتجاه الشمالي الغربي- الجنوبي الشرقي لتساعد على استقبال النسيم العليل في فصل الصيف وهو التوجيه الصحيح الذي يحقق هذا الغرض تحقيقاً مثالياً في إطار دراسة وردة الرياح في مصر بصفة عامة، بينما وجه أفنية في نفس المجموع في اتجاه شمال / جنوب، تماماً مع الجهات الأصلية ووجه خمسة أفنية شمال شرق/ جنوب غرب، ويكشف هذا الإحصاء عن نتيجة مهمة هي أن المعمار نفذ توجيه الأفنية في بعض الدور في الاتجاه الصحيح الذي يساعد على جلب النسيم العليل في فصل الصيف عندما تمكنه مساحة الدار ووضعها من ذلك ولم يلتزم بتحقيق هذه الرؤية في التخطيط في الدور الذي لم يسمح مساحتها ووصفها بمثل هذا التوجيه فوجه الأفنية توجيهات أخرى شمال شرق/ جنوب غرب، كما كشف الإحصاء تحقيقاً لاستغلال مساحة الدار الاستغلال الأمثل وفي ضوء هذه الحقيقة يمكن مراجعة ما ذكره كريسويل بهذه الخصوصية(١)، حيث إنتهي إلى أن توجيه معظم الدار كان في اتجاه شمال غرب/ جنوب شرق،وهو أمر تتضح صحته حيث إن ٣٧,٥% من الدور

---

(١) Creswell, Op. Cit., p. p. 126

-موضع الدراسة- كانت وفق هذا الاتجاه شمال غرب- جنوب شرق بلغت الدور الأخرى التي وجهت دورها شمال - جنوب ٣١,٢٥% وهو ما يعني أن ٦٨,٧٥% وجه توجيها صحيحا بينما بلغ ما وجه شمال شرق جنوب غرب ٣١,٢٥%، كما يمكن مراجعة ما ذكره فريد شافعي أيضاً بهذا الخصوص حيث إنه رفض تفسير كريسويل دون أن يدرس التوجيه دراسة تبين إحصائية سليمة[١].

كما كشفت الدراسة لشكل مساحة أفنية الدور عن أن الشكل المستطيل كان هو الشكل الغالب حيث بلغ عدد الأفنية بالدور موضع الدراسة سبعة عشر فناء منها تسعة أفنية مستطيلة وفناءان مربعان وستة أفنية ذات شكل رباعي غير منتظم التربيع، وهنا تجب الإشارة إلى أن النسبة الغالبة من الأفنية المستطيلة تقارب طول ضلع المستطيل الطويل ضعف طول ضلعه القصير فيما عدا فناء واحد هو فناء الدار رقم ٦ الذي اتضح الفارق الكبير بين طول الضلع الطويل والضلع القصير بشكله المستطيل ١٤,٥ × ٩ متر وقد سبقت الإشارة إلى أن شكل مساحة الدار ووصفها كانت وراء هذا الشكل المميز.

وهنا يجب الإشارة إلى أن الأفنية ذات الأشكال الرباعية غير منتظمة التربيع فرضتها أيضاً شكل المساحة التي أنشئت عليها الدار، كما في الدار ١/د ، والدار السابعة ويلاحظ أن مساحة كل من هاتين الدارين كانت صغيرة جداً ولم يسمح بالتربيع المنتظم للصحن ليأخذ شكلاً مستطيلاً أو مربعاً، كما أن هناك بعض الأفنية الأخرى لم تكن تطل عليها وحدات الاستقبال الرئيسية وفرض التخطيط العام للدار اتخاذها هذا الشكل مثل فناء الدار رقم ٢ في قسم المرافق والفناء الصغير في الدار ١/جـ وفناء قسم المرافق والملحقات في الدار رقم ٦.

كما تكشف الدراسة لأشكال الأفنية وبخاصة المربعة أو المستطيلة أي المنتظمة التربيع عن أن تربيع الصحن كان محوراً أساسياً في تخطيط الدور حيث تنشأ حوله بقية العناصر المنتظمة التربيع ثم غير المنتظمة في هوامش مساحة الدار بالتوالي

---

(١) فريد شافعي. المرجع السابق. ص ٤٤٣

وقد كان ذلك واضحاً في الدور كبيرة المساحة التي تمكن من تحقيق ذلك بسهولة ودون أن تفرض مساحتها شكلاً غير منتظم التربيع للفناء.

كما يكشف عدم انتظام التربيع في أفنية أقسام المرافق والملحقات كما في الدار رقم ٢، والدار رقم ٦ عن أن المعمار اهتم بتربيع أفنية أقسام الاستقبال لتحقيق جماليتها المعمارية الناشئة عن هذا التربيع باعتبار وظيفتها،وهو أمر لم يكن بذات الأهمية في أقسام المرافق والملحقات، ويكشف ذلك عن مدى حرص المعمار على تحقيق القيم الجمالية لأقسام الاستقبال وهو ما تحقق بالتربيع وغيره من أشكال وأساليب التخطيط الأخرى غير شكل الفناء.

وتبين الدراسة الإحصائية لموضع أفنية الدور أن ثمانية منها يقع موضعه في موضع متوسط نسبياً من مساحة القسم الذي يوجد به بالدار إذا كان بها أكثر من فناء أو في وسطها نسبياً إذا كانت ذات فناء واحد، وأن تسعة أفنية كان وضع الفناء في جانب من المساحة يجاور الطريق الذي تطل عليه الدار مباشرة ولا تحيط به الوحدات من الجوانب الأربعة كما في الفناء الوسطى، وهذا التنوع وبهذه النسبة التي تكاد تكون متعادلة يرتبط في المقام الأول بشكل ووضع المساحة التي أنشئت عليها هذه الدار أو تلك وتنعكس وضعية الفناء في وسط الدار تحيط به وحداتها، في الشكل العام للدار من الخارج حيث إن الدار التي تكون أفنيتها وسطية يحيط بفنائها أجنحة الدار من الجوانب الأربعة، أما في حالة الفناء الجانبي فإن الواجهات المطلة على هذا الفناء مستوى الطابق الثاني فصاعداً سيكون شكلها مختلفاً فقد تطل وحدات الدار على الفناء بين ثلاثة جوانب كما في الدار رقم ٥، أو من جانبين كما في الدار رقم ١/د، والدار رقم ٤ .

وقد جمل المعمار أفنية دور الفسطاط بأقسام الاستقبال بإنشاء الفساقى ذات النوافير وأحواض الماء والزهور والأشجار وقد سبقت الإشارة إلى أن الفساقى كانت تمثل عناصر وقاية من الحريق في المقام الأول، وتكشف الدراسة الإحصائية إلى أن سبعة أفنية من ثلاثة عشر فناء في أقسام الاستقبال أنشئ بها فساقي للماء باثنين منها فورات في الأركان أو الوسط بينما وأن عدد الأفنية التي خلت من وجود مثل

هذه الفساقى ستة أفنية أي أن النسبة ٥٤% من الأفنية بها فساقي و٤٦% من الأفنية بدون فساقي وهي نسبة لها دلالتها إذا وضعنا في الاعتبار أن أصحاب الدور الصغيرة لم يستطيعوا أن ينشئوا بدورهم مثل هذه الفساقى لتكلفة إنشائها وعملية تشغيلها وصيانتها وتنظيفها وملئها بالماء مثل ملاك الدار ١/د، ٧/أ، ٧/ب، وإذا وضعنا في الاعتبار أيضاً أن بعض الدور التي بها أكثر من فناء لم ينشئ مالكها سوى فسقية واحدة في أحد أفنيتها كما في الدار رقم ٥. فإن نسبة الأفنية التي بها فساقي تبدو عالية ويفسرها الغرض الحقيقي من إنشاء هذه الفساقى وهو أن تكون عنصر وقاية لاستخدامها في إطفاء الحرائق التي قد تشبت في الدار أو أي دار مجاورة لا توجد بها فسقية في إطار تكامل المجتمع الإسلامي لدرء الخطر، وقد أشرنا إلى أن هذا التخطيط المعماري قد طبق في قصور الفاطميين بالقاهرة وفي دور القاهرة ووجوده في مدينة الفسطاط والذي تعكسه فساقيها بهذه النسبة تمثل الدليل المادي المهم على هذه الرؤية المعمارية الوقائية وبخاصة في مدينة كمدينة الفسطاط، التي لا تمكن شوارعها وسككها الضيقة من إطفاء الحرائق التي يكون تأثيرها بالغاً وخاصة وأن الدور كانت متعددة الطوابق وخاصة بالسكان وزيادة الخطر لذلك قائمة وتزداد في إطار تطبيق النظام المتضام للمنشآت Compact Style.

وبالإضافة إلى غرض الوقاية حققت الفساقى بالصحون أغراض المعالجة المناخية بتلطيف درجة الحرارة ويبدو ذلك جلياً من كثرة الفساقى وأيضاً من إنشاء بعض الشاذروانات ببعض الدور متصلة بقنوات بهذه الفساقى كما هو الحال في الدار ٣ والدار رقم ٦ وأكد تحقيق هذا الغرض أحواض الزهور والنباتات والأشجار هذا بالإضافة إلى ما تحققه كل هذه العناصر من قيم جمالية.

السقيفة ذات الواجهة ثلاثية التقسيم:

هذا النمط من واجهات السقائف من العناصر التخطيطية المهمة في واجهات الوحدات المطلة على الفناء الداخلي بدور الفسطاط حتى أنه لا تكاد تخلو دار واحدة من دور الفسطاط- موضع البحث- من وجود مثل هذه السقيفة.

وقد تعددت السقائف من هذا النمط المطلة على فناء واحد كما نجد في الدار ١/أ، كما وجد على جانبي فناء الدار السادسة سقيفتان إحداهما في الجانب الشمالي والأخرى في الجانب الجنوبي، أما بقية الدور فيطل على الفناء الواحد- في أقسام الاستقبال- سقيفة واحدة وتكشف دراسة مواضع السقائف ذات الواجهات ثلاثية التقسيم على الأفنية أنه لم يكن هناك اتجاه محدد يرتبط بحركة الشمس الظاهرية أو الرياح حيث وجدت هذه السقائف في كل الاتجاهات محكومة بالطبع بالتوجه الأصلي للفناء.

ومن المهم أيضاً أن نشير إلى أن وجود السقيفة ارتبط في كل الحالات بالعناصر والوحدات التي تقع خلف السقيفة والتي لوحظ أنها تشتمل على الأواوين الرئيسية وما يكتنفها من حجرات أو عناصر أخرى فرضها التخطيط والمساحة كالدخلات أو الممرات أو غيرها، فعادة ما تتقدم السقيفة أكبر الأواوين المطلة على الصحن وهو ما يكشف عن ارتباط أساسي بين هذه الوحدة وهي "الإيوان" وبين وجود سقيفة تتقدمه.

ومن طريف ما يذكر أن التخطيط الثلاثي للسقيفة تردد صداه في الوحدات التي خلفها متمثلة في الإيوان الرئيسي وما يكتنفه من وحدات، حيث إنها استعارت أيضاً في شكل جدارها الموازى للواجهة الثلاثية التقسيم فاشتمل الجدار على ثلاث فتحات أوسعها الوسطى والجانبيتان أضيق نسبياً وقد تتوافق محاور الفتحات الثلاث بالسقيفة بالفتحات الثلاث للجدار الموازى الذي يمثل واجهة الوحدات الثلاثة خلفها وتكون بنفس الاتساع، وقد تختلف وبخاصة الفتحة الوسطى، حيث تكون فتحة الإيوان غالباً أوسع من الفتحة الوسطى التي على محورها في السقيفة،وهو ما يعنى أن المعمار لم يلتزم بأن يكون تخطيط الفتحات الثلاث للسقيفة على نفس محاور وبنفس قياس الاتساع للوحدات خلفها قدر التزامه بترديد ثلاثية الفتحات[1]، والتي

(١) في دار واحدة هي الدار رقم ٥ فرضت المساحة عمل فتحتين فقط بالسقيفة التي تطل على الفناء بالقسم الشرقي لكنه في الجزء الداخلي قام بعمل الفتحات الثلاث للوحدات =

حكمها عدد الوحدات خلف السقيفة التي كانت غالبا ثلاثة

وفي إطار ما سبق يتضح إلى حد كبير وظيفة هذه السقيفة حيث إنهـا تـوفر مساحة مظللة أمام الإيوان الكبير وما يكتنفه من وحدات -غالبا ما كانـت- حجـرتين على جانبي الإيوان، وهو ما يضيف مساحة إلى هذا القسم، يمكـن اسـتغلالها فـي الأغراض المختلفة سواء في حالة استقبال ضيوف أو في حالة اسـتخدامها بأهـل الدار، لكن يبدو أن هناك غرضاً آخر لوجود هذه السقيفة بالذات في هذا القـسم أو الأقسام المناظرة المطلة على الصحن كما في الدار ١/أ، والدا رقم ٦ اللتـين تكـرر فيهما وجود السقيفة وإذا وضعنا في الاعتبار أن هذه السقيفة ليست لأغراض وقائية من الشمس والمطر فإنه يمكن أن تكون لأغراض وقائية أخرى من عيون البشر أو ضرر الكشف.

وضرر الكشف قد يكون من الضيوف الذين يمكن استقبالهم في الدور في هـذه الأقسام وعمل هذه السقيفة لا يمكن من بداخل الإيوان أو الحجرتين الجانبيتين مـن رؤية أهل الدار في الطوابق العليا كما أنه في المقابل لا يمكن من بالطوابق العليا من كشف من بالإيوان والحجرتين على جانبيه خصوصاً أن عمق السقيفة كـان كافيـاً لتحقيق ذلك، وهنا تجب الإشارة إلى أنه من الوارد جداً أن يؤجر مالك الـدار أحـد طوابق داره التي يسكنها للغرباء ويمكن أن يستقبل ضيوفه في الدور الرضـى فـي الإيوان الرئيسي الذي تتقدمه السقيفة وفي هذه الحالة تكون الحاجة أكثـر إلحاحـاً لحماية من بالوحدات خلف السقيفة من بعض السكان من المستأجرين. ويزداد هـذا الأمر وضوحاً في ضوء رواية ناصر خسرو عن دور القاهرة التي كـان أصـحابها يسكنون الطابق العلوي منها ويؤجرون الطوابق التي أسفله وهو ما يعنى توظيـف الدور الأرضي في دور الفسطاط غالباً للاستقبال وهو ما أشار إليه ابن حوقل عندما

= الثلاث خلف السقيفة،وحدث العكس في الدار رقم ٧ في الفناء الغربي حيث وسع المعمـار الإيوان ليستوعب موضع الحجرة الجانبية الشمالية،ويصبح عدد الوحدات اثنين فقط بـدلاً من ثلاثة.

ذكر أن الدور الأرضي لم يكن يستخدم في السكنى[١]، ووجود وحدات الاستقبال بـه يعنى استخدامه غالباً في هذا الغرض وهكذا يتضح أن السقيفة في دور الفسطاط كان الغرض منها وقائياً يمنع من حدوث ضرر الكشف سواء لمن يستخدم هذه الوحـدات أو السكان من أهل الدار سواء كانوا مالكيها أو مستأجريها أو مالكيها ومستأجريها.

وقد وجد نمط السقيفة ذات الواجهة ثلاثية التقسيم أو الفتحات في الدارين اللتين كشف عنهما في العسكر وترجعان إلى العصر الطولونى كمـا كـشفت عـن أمثلـة مشابهة في مدينة سامراء[٢] ووجد أيضاً في البيتين الجنوبيين الشرقي والغربي في البيوت الملحقة بقصر الأخيضر[٣]، وهو ما يكشف عن أن هذا التخطيط له أصوله في العمارة العباسية والعراق وأنه في الغالب ورد من العراق إلى مـصر فـي العـصر الطولونى[٤].

التخطيط الثلاثي لأجنحة الدار الأخرى:

وقد انعكس تخطيط الواجهة الثلاثية على تخطيط الواجهات الأخرى المطلة على الصحن،وبخاصة الواجهة المقابلة لواجهة السقيفة في إطار تحقيق مبدأ الـسمترية، ومن الملاحظ أيضاً أن المعمار لم يلتزم بأن تكون الوحدات في الواجهات المتقابلـة على نفس المحاور تماماً أو بنفس القياسات بالضبط لكنه حاول ذلك قـدر الإمكـان لضبط السمترية، وفي إطار ما سبق يمكن القول بأن كل واجهة خططت فـي إطـار فكرة التقسيم الثلاثي على اعتبار أن رؤيتها لا تكون في نفس الوقت مع الواجهـات الأخرى لكن رؤيتها ثم رؤية غيرها وتكرار التقسيم الثلاثي فيها يوحي بأنها تتشابه، وأن مبدأ السمترية محقق في الشكل العام رغم اختلاف التفاصيل، وهنا تجب الإشارة

---

(١) شريف يوسف: تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٢، ص٣٦١، مخطط ٦٩.

(٢) شريف يوسف: المرجع السابق، ص ٢٩٣، مخطط رقم ٥٤.

(٣) Creswell, Op. Cit., p. 126

(٤) فريد شافعي، المرجع السابق ص٤٣١.

إلى أن التوافق والتماثل التزم به المعمار إلى حد كبير في كل واجهتين متقابلتين ويكشف عن مرونة المعمار وعدم التقيد بالتقسيم الثلاثي ما نراه في بعض الواجهات المطلة على الفناء وبعض الدور ، وتضمنت فتحات أربع وليس ثلاث لظروف تخطيطها مثل ما هو في الدار ١/أ.

كما وجد في بعض الحالات اثنان فقط وليس ثلاثاً كما في الدار رقم ٧/ب بل واختلف التقسيم في واجهتين متقابلتين أيضاً مثل ما هو قائم في الدار رقم ٦ في الواجهتين اللتين لا تنفذ بها سقيفة حيث إن إحداهما تشتمل على أربع فتحات، وهي الواجهة الشرقية بينما الواجهة الغربية لا يوجد بها سوى ثلاث.

وتكشف هذه الأمثلة النادرة المختلفة عن الظاهرة العامة المتمثلة في التقسيم الثلاثي لواجهات الصحن عن أن المعمار لم يكن قالبياً في رؤيته التخطيطية ولكنه وافق بين المساحة والتخطيط العام، توافقاً يحقق الاستفادة الكاملة من المساحة حسب رؤيته التخطيطية بغض النظر على الالتزام بشكل معين،وهي سمة تكررت في رؤيته التخطيطية لتوجيه الأفنية وتمثلت أيضاً في اختلاف قياسات ومحاور التقسيمات الثلاثية للواجهات المطلة على الصحن.

السقيفة والوحدات الثلاثية خلفها :

وارتبط التقسيم الثلاثي لواجهة السقيفة المطلة على الصحن بالوحدات التي تتقدمها والتي كانت في الغالب ثلاث وحدات، وهذا الارتباط يتصل بلا شك بتزويد هذه الوحدات بما تحتاجه من إضاءة وتهوية من الصحن كما أنه يرتبط بسهولة الاتصال والحركة، وتوفير قدر من الخصوصية للحجرتين الجانبيتين أو أي وحدات أخرى قد تكون مجاورة للإيوان الأوسط بدلاً من الحجرتين ولم يشذ عن هذه الظاهرة العامة سوى الدار رقم ٧/ب الذي أنشئ خلف سقيفة فنائها وحدتان فقط عبارة عن إيوان وحجرة، ويفسر وجود هذه الحالة النادرة ظروف المساحة التي أنشئت عليها والتي لم تمكن من عمل ثلاث وحدات ضيقة ففضل المعمار عمل وحدتين إحداهما إيوان كبير نسبياً، ويضاف هذا المثال إلى الأمثلة التي تكشف عن مرونة المعمار

وعدم تقيده بملامح عامة في التخطيط لا تناسب مساحة الدار ورؤيته العامة لتخطيطها.

والتخطيط الثلاثي لوحدات الاستقبال المتمثلة في إيوان يكتنفه حجرتان تخطيط قديم وجد في العمارة الساسانية في قصر شيرين وورثته العمارة العباسية في العراق وجاء إلى مصر في العصر الطولونى، وارتبط بالسقيفة ارتباطاً كبيراً حتى أن كل من درس هذا التخطيط يدمج بين السقيفة ثلاثية التخطيط والوحدات الثلاث خلفها ويعتبرهما تخطيطاً واحداً مع أن الوحدات ثلاثية التخطيط والمكونة من إيوان يكتنفه حجرتان كثرت أمثلته عن التخطيط المشابه والذي تتقدمه سقيفة،ويُجب أن نفرق بينهما فهما نمطان تخطيطيان يتشابهان في ثلاثية الوحدات، لكن الوحدات التي تتقدمها سقيفة تمثل بالتأكيد نمطاً مستقلاً قصد لتحقيق غايات-.سبقت الإشارة إليها.

ولاشك أن النمط الثلاثي التخطيطي الذي لا يتقدم سقيفة ربما استخدم في أغراض أخرى غير غرض الاستقبال كالتخزين حيث جرت العادة باستخدام الحواصل في الدور الأرضي لهذا الغرض،وقد تستخدم لأغراض أخرى لا تستوجب عمل سقيفة تتقدمها،وهكذا يتضح أن وحدات الدور الأرضي الذي تمثله تخطيطات الأطلال الباقية من دور الفسطاط كانت تستخدم كوحدات استقبال أو ضيافة أو تخزين ويمكن أن تستعمل في بعض الحالات للمعيشة في الدور التي لم يتمكن ملاكها في بناء طوابق عليا لسكنى الحريم وهو أمر يتفق وما أشارت إليه المصادر التاريخية من عدم سكنى الدور الأرضي في الغالب وتفضيل سكنى الأسرة في الطوابق العليا لتوفير الخصوصية للحريم وأهل الدار عامة.

جانبا السقيفة الضيقين:

يكشف تصنيف تخطيط الجانبين الضيقين للسقيفة عن أن النسبة الغالبة من السقائف كان يحده في الجانبين الضيقين حائطان عاريان من أي تشكيل زخرفي، هذان الجانبان في بعض الأمثلة وجد بكل جانب منهما دخلة بسيطة كما في الدار رقم ٢، والدار رقم ٤،وتطور هذا الشكل إلى عمل دخلة في كل جانب مرتدة ثلاث مرات

بتشكيل معماري جميل يزيد من اتساع السقيفة بالإضافة إلى ما يحققـه مـن قـيم معمارية جمالية، مثلما هو في الدار رقم (٥)، والدار (٧/أ) والدار (٨).

وفي بعض الأمثلة وجد بهذين الجانبين فتحة باب تؤدى إلى حاصل صغير كمـا في الدار ١/د، والدار رقم ٣ والدار ٨، وفي بعض الحالات فتحة في الجانبين أو في جانب واحد فتحة باب تربط من السقيفة ووحدات أخرى من الدار مجاورة لهـا فـي هذين الجانبين، وفي هذه الحالات يمكن اعتبار السقيفة عنصر اتصال وحركة يخـدم هذه الوحدات مثلما يخدم الوحدات خلفها ومن أمثلة ذلك ما وجد في سقيفة الفنـاء الشمالي الشرقي في الدار ١/ج وسقيفة فناء الدار رقم ٣، وسقيفة في فنائي الـدار رقم ٥، والسقيفة الشمالية على فناء الدار رقم ٦.

التقسيم الثلاثي للواجهات في العمائر الفاطمية الأخرى وعلاقته بدور الفسطاط

من المهم أن نشير إلى أن المعمار في العصر الفاطمي قـد اسـتخدم التقـسيم الثلاثي -الذي سبقت الإشارة إليه-في نوعيات أخرى من العمائر التي ترجـع إلـى العصر الفاطمي، وبخاصة في عمارة المشاهد، وبشكل أشبه ما يكون بتقـسيم دور الفسطاط الذي فيه الفتحة الوسطى أوسع من الجانبيتين ونرى أمثلة ذلك في واجهة رواق القبلة في مشهد الجيوشى وفي الواجهة مشهد كلثم وفي واجهة ضريح يحيى الشبيه[١]، ومشهد السيدة رقية ولكن وظيفة الأثر ووظيفة السقيفة تختلف عما هـو في دور الفسطاط كما وجدت بحصن دير المحرق وحصن الأنبا أنطونيـوس اللـذين يرجعان إلى العصر الفاطمي بداخل كنيسة الملاك بكل منهما في الداخل قاطع داخلي أنشئ بنفس الشكل المكون من بائكة ذات ثلاثة عقود أوسطها أوسعها وأعلى مـن

---

(١) السكري (على بن جوهر) الكوكب السيار إلى قبور الأبرار تحقيق ودراسة ونشر محمـد عبد الستار عثمـان، دار المعرفـة الجامعيـة، الإسـكندرية ١٩٩٢، ص ص ٤٧-٤٩، ص١٥٦.

العقدين الجانبيين وهو ما يشير إلى أن التقسيم الثلاثي كـان مـن بـين المفـردات المعمارية في العصر الفاطمي ووظف في كل منـشأة حـسب ظـروف اسـتخدامها وأسلوب ومواد إنشائها، وهو استخدام يؤكد شيوع هذا التقسيم في العصر الفاطمي، مثلما كان في العصر الطولونى والعصر العباسي، ولكن بصياغات مختلفة ومن أنماط مختلفة من العمارة.

- مداخل دور الفسطاط المنكسرة والمباشرة:

المدخل المنكسر في الأصل عنصر معماري حربي عرف في العمـارة الحربيـة المصرية القديمة في شونة الزبيب ويرجع إلى الفترة المحصورة بينَ سنتي ٢٦٢٥- ١٧٨٨ق.م كما عرف في مدينة سمهرم في سلطنة عمان في أحد المداخل المؤديـة إلى القلعة، ويرجع هذا المثال إلى القرن ٤ م وفي العمارة الإسلامية اسـتخدم فـي مداخل مدينة بغداد كما وجد في العصر الفاطمي في أبواب القاهرة بالسور الـشمالي ثم استخدم بعد ذلك في العمارة الأيوبية والأتابكية كما طور استخدامه فـي العمـارة الحربية في بلاد المغرب والأندلس في القرنين ٧/٨هـ - ١٣/١٤م حيث وجدت في الأبواب ذات المرافق أكثر من انكسار وطبقه البيزنطيون في تحصينات مدينة أنقـرة في عام ٨٥٩م بعد أن أغار عليها الخليفة المعتصم العباسي الذي خربها عام ٨٣٨م أي أن العمارة المصرية والعربية القديمة وكذلك الإسلامية العباسـية سـبقت فـي استخدامها لهذا العنصر التخطيطي المعماري الحربي[1].

وتخطيط المدخل المنكسر في العمارة الحربية يهـدف إلـى أن ينعطـف فيـه المهاجمون يساراً فينكشف يمينهم فيصبح من السهل ضرب أذرعتهم وأيديهم التـي تحمل السيوف عادة حيث كان المحارب يمسك سيفه بيمينه وترسه بيـساره. وهـو تخطيط يختلف في الشكل والوظيفة عن تخطيط المدخل المنكسر في الدور حيث يؤدى المدخل المنكسر في الدور غرضين مهمين أحدهما تحقيق غرض الوقاية من عيـون البشر المارين في الطريق من أن يكشفوا من بداخل الدار إذا ما فتح الباب الخارجي

(١) فريد شافعي، المرجع السابق ص١٨١.

وكان هذا هو الغرض الأساسي وهناك من يرى أن هذا المدخل المنكسر كان لزيادة فرص الدفاع عن الدار إذا ما قامت قلاقل أو فتن داخلية أو خارجية(١).

وتكشف دراسة مداخل دور الفسطاط عن أن المعمار في الغالب خطط مداخل الدور بالهيئة المنكسر Bent Entrance بصيغ متنوعة ارتبطت في الغالب بالشكل والمساحة للموضع الذي ينشأ عليه الدار أكثر من ارتباطها بشيء آخر.

فقد يكون المدخل المنكسر عبارة عن ممر منعطف مرة أو أكثر إلى أن يصل الداخل إلى صحن الدار وقد يكون تخطيط الممر بشكل منتظم، وقد تفرض المساحة ضيقاً في بعض مواضعه واتساعاً في مواضع أخرى كما في مدخل الدار الثالثة والدار الثامنة.

كما قد يتحقق انكسار المدخل من خلال تخطيط المدخل بهيئته رحبات متتالية ومنتظمة التربيع تأخذ فتحاتها التي تربط بينها محاور مختلفة وتشكل في مجموعها مدخلاً منكسراً ومن أمثلة ذلك مدخل الدار ١/أ ، ١/ب من السكة غير النافذة، حيث تؤدى فتحة الباب إلى رحبة تنتهي إلى رحبة ثانية، بجانبها فتحا بابين الشرقية يؤدى إلى رحبة يدخل منها إلى الدار ١/أ والغربية يؤدى إلى رحبة تؤدى إلى فناء الدار ١/ب، وتكرر هذا المثال بأشكال أخرى ولكن بنفس الفكرة في المدخل الشمالي للدار الثالثة والدار الخامسة والدار السادسة.

ومن النماذج البسيطة في المدخل الجنوبي والمدخل الشرقي بهذا التخطيط في الدار السادسة ومن المداخل التي تدل على ذكاء المعمار الإسلامي مدخل الدار الرابعة حيث تؤدى فتحة الباب إلى رحبة موروبة وروبا مكن من عمل الفتحة الداخلية التي تؤدى إلى الصحن بهيئة ليست على نفس محور فتحة الباب الخارجية.

ومن المهم أن نشير إلى أن بعض مداخل الدور لم تخطط بهيئة منكسرة ولكنها تؤدى مباشرة إلى صحن الدار، ويلاحظ أن المعمار نفذ هذا النمط من المداخل تجاوباً مع مساحة الدار وارتباطاً أيضاً بوضع السكة التي تطل عليها هذه المساحة ومن

---

(١) فريد شافعي، المرجع السابق، ص٤٣٥.

الدور ذات المداخل المباشرة الدار رقم ١/جـ، ١، د، ومدخل الدار ٧/أ ، ٧/ب.

كما أن هناك نوعية أخرى من المداخل المباشرة لم تكن هناك حاجة إلى صياغتها بالشكل المنكسر، وهي المداخل التي تؤدى إلى المخازن بالدار ١/جـ وكذلك المدخل المؤدى إلى قسم المرافق والملحقات بالدار رقم ٦. وهذه النوعية من المداخل المباشرة تؤكد أن المداخل المنكسرة خططت بهدف توفير الخصوصية لأقسام الدار الرئيسية.

ومن السمات المهمة لمداخل الدور هو وجود أكثر من مدخل للدار، ولا شك أن ذلك ارتبط بما تطل الدار عليه من سكك كما أنه ارتبط من جهة أُخرى بالغرض الوظيفي لهذا المدخل أو ذاك ومن الدور التي اشتملت على أكثر من مدخل الدار ١/أ التي يلاحظ أن ثلاثة مداخل منها ارتبط بالتوصل إليها من سكة غير نافذة وسكة نافذة، كما أن أحدها هو المدخل الشمالي الشرقي على السكة غير النافذة كان لدخول السلع والتي تخزن في المخازن في هذا القطاع من الدار والتي كانت في الغالب لغرض تجارى، وكذلك الدار رقم ٣ التي أنشئ لها مدخلان منكسران على سكتين تطل عليهما الدار والدار رقم ٦ التي تطل على سكتين وخصص المدخل الجنوبي للتوصل منه إلى أقسام الدار الرئيسية بينما خصص المدخل الشرقي للدخول إلى المرافق والملحقات.

ويكشف توزيع مداخل الدور ١/أ، ١/ب، ١/جـ، ١/د عن تجنب إنشاء أبواب أو مداخل الدور متقابلة بصورة مباشرة، كما يكشف الحرص على أبعاد المداخل المتتابعة عن بعضها،وتخطيطها بهيئة لا تسبب ضرر الكشف ونلحظ ذلك في المدخل المؤدى للمخازن في الدار ١/جـ والمدخل التالي له في صدر السكة غير النافذة، وكذلك مدخلي الدار ٧/أ، ٧/ب.

ويكشف المدخل الجنوبي الشرقي للدار ١/أ ومدخل الدار ١/ب المقابلة لها من الجهة الشرقية أنه رغم وضع البابين على جانبي رحبة واحدة إلا أنه روعي التنكيب بحيث لا يكشف بعضهما بعضاً وظاهرة تنكيب الأبواب في دور المدن الإسلامية

ظاهرة أساسية في التخطيط عرفت في المدن الإسلامية تحقيقاً لمنع ضرر الكشف[1].

وفي ضوء ما سبق يتضح خطأ التعميم بأن دور الفسطاط مداخلها منكسرة[2]، كما يتضح أن تخطيط المداخل المنكسرة يختلف عن تخطيط الباشورة التي تنشأ أمام أبواب المدن حيث إن بناء الباشورة يكون في هيئة حائط معترض أمام باب المدينة وهو شكل يختلف عن الشكل التخطيطي للمدخل المنكسر في مدخل الدار داخل فتحة بابها حتى الفتحة المنتهية بالصحن.

النتائج العامة:

من خلال الدراسة الوصفية والتحليلية السابقة يمكن أن نخلص إلى بعض النتائج العامة، ومن هذه النتائج يتضح ما يلي:

- إن تصنيف كريسويل للدور الثمانية لم يستطع أن يحدد كل دار على حدة،وبخاصة فيما يتصل بالدار رقم ١، التي اتضح أنها تضم أربعاً من الدور وكذلك الدار السابعة التي هي في الحقيقة داران.
- كما يتضح أن تصنيف فريد شافعي والتفريق بين تسمية "بيت" وما يسميه "دارًا" لا يستند إلى صحيح معرفة بمصطلح الدار ومصطلح البيت، كما أن ربطه بين استخدام مصطلح بيت في الوحدات السكنية الملحقة بالقصور الأموية والعباسية والدار ذات البناء الواحد ربط غير صحيح.
- كما أوضحت هذه الدراسة أن المحور الأساسي في التخطيط ينطلق في تربيع الصحن تربيعاً منتظماً وتربيع الوحدات الرئيسية المطلة عليه ابتداء من السقيفة والإيوان الرئيسي فالحجرات على جانبيه ثم الوحدات المطلة على الصحن من الجوانب الأخرى ثم استيعاب المساحات غير منتظمة التربيع في الهوامش الخارجية من مساحة الدار.

---

(١) راجع محمد عبد الستار عثمان: الإعلان بأحكام البنيان، لابن الرامي ص٢١٧، محمد عبد الستار عثمان، سدوس وعمارتها التقليدية، ص ٢٦٧-٢٦٨.

(٢) Creswell, Op. Cit., p. 126

- ويلاحظ أن التخطيط العام ينقسم إلى نمطين نمط عبارة عن التخطيط الثلاثي لإيوان تكتنفه حجرتان ويتقدمها سقيفة وهو التخطيط الذي وجد في الدور الطولونية التي كشفت في العسكر وكذلك في بيوت قصر الأخيضر ودور سامراء وهو ذو أصل عراقي وورد إلى مصر -كما تشير الدراسات- في العصر الطولونى ويرتد هذا التخطيط في أصله إلى قصر شيرين(١)، وقد تطور هذا التخطيط في بعض الدور التي أخذت الشكل الصريح لأواوين أربعة تطل على الصحن يتقدم أحدها سقيفة وهو التخطيط الذي تبلور في القصر الغربي الذي بنى على أساسه بيمارستان قلاوون، وهذا التخطيط ورد بصورته الكاملة في بعض الدور ووجد إيوانان فقط في بعض الدور كما وجدت ثلاثة في بعض الأحيان والمهم أن الإيوان أخذ يتطور إلى الشكل الواضح.
- ومن الملامح التخطيطية الأكثر تطوراً استخدام أحد الأواوين كموضع لشاذروان أو عمل حجرة خلف الإيوان لذات الغرض، ومع وضوح هذا التخطيط إلا أن بعض الأواوين فتحت على الحجرتين الجانبيتين والحجرات خلف الإيوان لتوفر ممرات بديلة توفر خط مرور ثاني غير خط المرور الرئيسي من الأواوين للصحن،وهذا التطوير لم يوجد له ما يماثله في البيتين اللذين يرجعان إلى العصر الطولونى.
- وإذا ربطنا بين هذه الملامح المتطورة في التخطيط وبين الزخارف الجصية التي أشار إليها كريسويل التي عثر عليها في الدار رقم ٨ يتضح أن دور الفسطاط يرجح نسبتها إلى العصر الفاطمي.

وفي إطار التقسيم الوظيفي للدار اتجه كريسويل إلى أن الدور التي تشتمل على قسمين بفناءين يطل عليهما وحدات استقبال كان تخطيطها في إطار مفهوم تخصيص جناح للحريم "حرملك" والآخر للرجال "سلاملك" وهو تقسيم تبلور في الدور في العصر العثماني وهو يعكس ثقافة تركية عثمانية في المقام الأول لكنه لم يكن-كما

---

(١) Creswell, Op. Cit., p. 126.

يذكر فريد شافعي -كذلك في الدور بالفسطاط حيث يميل إلى أن الحريم كانت تسكن الطوابق العليا من الدور وكانت هذه الطوابق تشتمل على غرف النوم بينما كانت الإيوانات وغيرها من الوحدات في الدور الأرضي مخصصة للاستقبال والضيافة(١).

ويمكن قبول هذا الرأي في إطار ما سبق عرضه من أوصاف لبعض الدور وفي إطار ما أشارت إليه بعض المصادر من أن دور الفسطاط لم يكن تسكن أدوارها السفلى(٢)، ولكن بعض الدور التي اشتملت على ممرات بديلة قصدت في التخطيط تكشف عن إمكان استخدام الحريم لوحدات الاستقبال في الدور الأرضي كما أن اشتمال الدار على أكثر من وحدة استقبال يوفر فرصة أخرى لاستقبال النساء لضيوفهن في هذه الوحدات أيضاً.

وبالنسبة للمرافق والحقوق التي تلحق بالدور كالمطابخ وحواصل التخزين والاصطبلات يلاحظ أنها برزت في بعض الدور وتقلصت في دور أخرى صغيرة وهذا الأمر يرتبط بالتأكيد بالمستوى الاجتماعي لصاحب الدار وقد اتضح أن بعض الدور تضمنت مثل هذه المرافق ولم يتنبه إلى دراستها كل من كريسويل وفريد شافعي الذي أشار إلى احتمال وجودها إشارات نظرية تعتمد على المصادر(٣).

وكشفت الدراسة عن بعض المرافق المهمة كالمراحيض والحمامات في بعض الدور وكشفت دراسة مواضعها أن بعضها كان في إطار إدراك المعمار لوردة الرياح فجعلها في المواضع الجنوبية والجنوبية الشرقية أو الجنوبية الغربية لكنه في حالات أخرى اضطر إلى وضعها في الجهة الشمالية مضطراً لارتباط موضع مثل هذه العناصر بالسكة التي تطل عليها الدار لتسهيل رفع الفضلات من خزاناتها من خلال الفتحات الخارجية لهذه الوحدات.

أما تصميم هذه الوحدات فيلاحظ أن يكون من خلال ممرات منكسرة حتى توفر

---

(١) فريد شافعي، المرجع السابق ص٢٤٩.

(٢) ابن حوقل: المصدر السابق ص١٣٧.

(٣) فريد شافعي، المرجع السابق ص٤٥١.

خصوصية لمستخدميها كما يلاحظ وجود قنوات في الجدران في المواضع القريبة من هذه الوحدات لتصريف الماء من الوحدات المماثلة في الطوابق العليا، وهو ما عد دليلاً عن وجود أكثر من طابق في هذه الدور، وإذا كانت الحمامات قد ندر وجودها في الدور الأرضي الذي تمت عليه هذه الدراسة، فإن الطوابق العليا كانت بها الحمامات بصورة أكثر كثافة باعتبار تجاورها لغرف النوم، وترجح ذلك القنوات في قلب الجدران التي كانت للصرف.

وقد اتضح من دراسة الدار أ/١ والدار أ/٣ اشتمال كل منهما على حوانيت كما أن الدار أ/١ كانت تضم مخازن للسلع التي تباع في الحوانيت الثلاثة الملحقة بهذه الدار في الغالب وهو يسجل نموذجاً مبكراً للحوانيت في دور الفسطاط تلك المدينة التجارية لمصر في العصر الفاطمي، وهو مثال تكرر في العصر العثماني في بيوت ترشيد بما يشير إلى استمرار فكرة إلحاق الحوانيت بالدور التي تقع على سكك نافذة.

عناصر ومواد الإنشاء:

بنيت دور الفسطاط بالآجر بمونة من الجير والقصرمل، ويلاحظ من خلال دراسة أسلوب البناء وبخاصة بناء مدماك يوضع الطوبة على جانبها الضيق كل أربعة أو خمسة مداميك وتكرار ذلك،ومقارنة ذلك بأسلوب بناء المباني الفاطمية التي تشبهها في المصانع والأفران في المنطقة جنوب الدير الأبيض بسوهاج وكذلك أسلوب بناء الحصون في بعض الأديرة التي ترجع إلى العصر الفاطمي، يمثل قرينة تضاف إلى القرائن التي ترجح نسبة هذه الدور للعصر الفاطمي.

كذلك استخدم الجص والآجر في زخرفة بعض الدور وقد تم العثور على كثير من هذه القطع التي يحتفظ بها متحف الفن الإسلامي، وهذه القطع تتنوع أساليب زخرفتها بين الأسلوب الذي يشبه الطراز الثالث من طرز سامراء وهو الطراز الذي نفذ على الخشب في ذات العصر واستمر في المرحلة الأولى من العصر الفاطمي على الأخشاب والزخارف الفاطمية ثم أخذ في التطوير.

كما أن بعض الزخارف في القطع يشبه الزخارف على بعض التحف الفاطمية

المنقولة كالوريدات وكذلك زخارف الوريدات داخل المربعات[1]، كما أن أسلوب تنفيذ الزخارف الجصية التي يفضل منها قوالب آجرية رفيعة وهو أسلوب أكد كريسسويل أنه أسلوب في الزخارف سلجوقى الأصل وأشار إلى الأمثلة التي ترجع إلى النصف الأول من القرن ٦هـ/١٢م[2]- كما سبقت الإشارة - وهو ما يضيف دليلاً آخر على أن زخارف هذه الدور ترجع إلى القرن السادس الهجري.

وفي إطار ما سبق يمكن مراجعة ما ذكره عباس حلمي عن أن دور الفسطاط ترجع إلى القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، وهو رأي رفضه فريد شافعي كما رفض الإطار الواسع لتأريخ هذا الدور بمعرفة على بهجت وجبرائيل تأريخاً يتسع للمدة المحصورة ما بين القرن ٣/٥هـ - ٩/١١م،وحاول نسبة بعض الدور إلى العصر الطولونى لمشابهتها لنمط الدور الطولونية وأخرى للعصر الفاطمي باعتبار مظاهر الاختلاف والتطور وهي رؤية في التاريخ اعتمدت فقط على التخطيط.

وفي إطار ما سبق عرضه بخصوص التخطيط وأساليب البناء والزخرفة فإنه يرجح نسبة هذه الدور إلى العصر الفاطمي أكبر بل إن بعضها كالدار رقم ٨ يرجع إلى النصف الأول من القرن ٦هـ/١٢م.

---

(١) راجع فريد شافعي، المرجع السابق، محمد عبد الرحمن فهمي ، المرجع السابق، ص٢٥٢.

(٢) Creswell, Op. Cit., p. 26.

الفصل الخامس

العمارة الدينية في مصر

المساجد الجامعة ومساجد الفروض

في العصر الفاطمي

١- العمارة الدينية في القاهرة .

٢- العمارة الدينية في الأقاليم .

الجامع الأزهر

تعكس عمارة الجامع الأزهر حاليا صورة لتاريخ العمارة الإسلامية الدينية في مصر من العصر الفاطمي حتى نهاية العصر العثماني وذلك بسبب ما أحدثه فيه الخلفاء والسلاطين والأمراء وغيرهم من إصلاحات وإضافات معمارية ابتداء من تاريخ إنشائه على يد جوهر من سنة ٣٦١هـ/ ٩٧٢م وحتى الآن.

وإذا كانت دراستنا للجامع الأزهر تنصب في المقام الأول على عمارته في العصر الفاطمي فإن دراسة ما حدث به من تعديلات وإصلاحات معمارية وإضافات من شأنه أن يساعد على التعرف على ما بقى من عمارة العصر الفاطمي وما أزيل نتيجة هذه الإصلاحات والإضافات، كما أنه من جهة أخرى يكشف عن صورة مهمة من تاريخ الاهتمام بهذا الجامع.

أولاً : موضع الأزهر:

يلاحظ أن موضع الجامع الأزهر لا يتوسط القاهرة التي أنشأها جوهر ولكنه بنى في الثلث الجنوبي من المدينة. وقد أشرنا إلى أن ذلك غالباً كان مرتبطاً إلى حد كبير بعلاقة موضع القاهرة بمدن عواصم مصر الإسلامية في الجنوب منها، حيث إن وضع الجامع في هذا الموضع ييسر دخول المصلين في الجامع من هذه المدن،وكذلك القطاع الجنوبي من القاهرة دون الولوج إلى منطقة القصر التي تقع إلى الشمال من الجامع.

ويبدو أن موضع الجامع في الثلث الجنوبي الشرقي من القاهرة كان له علاقة أيضاً بمواضع أبواب القاهرة في الثلث الجنوبي والتي بلغ عددها خمسة أبواب من مجموع ثمانية أبواب في أسوار القاهرة،وهذه الأبواب هي سعادة وفرج وزويلة والبرقية والقراطين، ويلاحظ أن البابين الأخيرين اللذين يقعا في الضلع الشرقي من أسوار القاهرة وضعا متقاربين وقريبين من موضع الجامع تسهيلاً لمرور من يأتي من الجهة الجنوبية الشرقية إلى الجامع على مقربة من القصر الشرقي من الجهة الجنوبية وهو ما ييسر وصول موكب الخليفة إليه وهو في ذلك يتفق والسمة العامة

في المدن الإسلامية من مجاورة المسجد الجامع لقصر الخلافة أو دار الإمارة لكن المجاورة هنا لم تكن لصيقة كما هو الحال في العديد من المدن الإسلامية ولكن كان الخليفة يركب في موكبه ليصل إلى الجامع في إطار الرسم الملكي الفاطمي الدعائي الذي اتسم به خلفاء الفاطميين.

تاريخ بناء الجامع:

بدأ جوهر الصقلي في بناء الجامع الأزهر[١] "في يوم السبت لست بقين من جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وثلثمائة"[٢]، أي بعد حوالي تسعة شهور من بدء إنشائه لأسوار القاهرة والقصور الفاطمية، وفي ذلك ما يشير إلى أن جوهر تمهل في إنشاء الجامع الذي بناه بالآجر وأعمدة الرخام التي جلبت من عمائر قديمة وهي مواد في الإنشاء يحتاج إعدادها بعض الوقت، وكمل إنشاء الجامع "لتسع خلون من شهر رمضان سنة إحدى وستين وثلثمائة"، وجمعت أول جمعة فيه لسبع خلون منه[٣] وهو ما يعنى أن الجامع استغرق بناؤه مدة تبلغ حوالي سنة وثلاثة شهور.

واهتم الخلفاء الفاطميون بعمارة الجامع ومن هؤلاء الخليفة العزيز بالله الذي "جدد فيه أشياء" وفي عام ٣٧٨هـ/٩٩٧م وبتوجيه من الوزير يعقوب بن كلس قرر الخليفة الحاكم بناء دار بجوار الجامع الأزهر لفقهاء المذهب الشيعي ووقف عليهم أوقافاً تساعدهم على الاستمرار في عقد حلقات الدرس بالجامع، ووصلهم أيضاً الوزير ابن كلس بالأطوال وتوالت عليهم هبات الخليفة[٤]، وهكذا أصبح الجامع الأزهر مركزاً للدعوة الشيعية في إطار هذا العمل.

واهتم الخليفة الحاكم بأمر الله بعمارة هذا الجامع فجدد منذنته سنة ٤٠٠هـ / ١٠٠٥م وأوقف عليه أوقافاً وحدد مصارفه وتكشف دراسة هذه الوثيقة بصورة غير

---

(١) عرف هذا الجامع أيضاً باسم "جامع القاهرة".

(٢) المقريزى: خطط جـ٢ ص ٢٧٣.

(٣) المقريزى: خطط جـ٢ ص٢٢٣.

(٤) المقريزى: خطط جـ٢ ص٣٧٠.

مباشرة عن بعض العناصر المعمارية للجامع ستعود لذكرها عند الحديث عن عمارة الجامع، ولكن المهم أيضاً أن نشير إلى أن الحاكم عمل أيضاً باباً خشبياً للجامع ما زال باقياً إلى الآن محفوظاً بمتحف الفن الإسلامي، ويتكون هذا الباب من مصراعين من الخشب التركي بكل مصراع سبع حشوات مستطيلة العليا منها تضمن كتابات بالخط الكوفي المورق نقشت بالحفر البارز نصها "مولانا أمير المؤمنين الإمام الحاكم بأمر الله صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه" أما بقية الحشوات فزخرفت بزخارف نباتية محفورة حفراً غائراً عميقاً، ويلاحظ أن الحشوات التي تتضمن الكتابات قد قلبت وربما كان ذلك عند إعادة تركيبها في فترة من فترات إصلاحها[١].

وجدد الجامع في عهد المستنصر[٢]، وأضاف إليه الخليفة الآمر محراباً خشبياً ما زال محفوظاً في متحف الفن الإسلامي إلى الآن وعليه كتابات تشير إلى أن هذا المحراب عمل للجامع في سنة ٥١٩هـ/١٢٥م وهذا المحراب عبارة عن حنية يكتنفها عمودان لكل منهما قاعدة وتاج رمانية الشكل، ويرتكز على العمودين عقد فاطمي،ويحيط بالحنية إطاران يضم كل منهما أربع حشوات من الخشب نقشت عليها زخارف نباتية عبارة عن وريقات ويعلو المحراب لوحة قياسها ٥٠سم × ١,٢٢ متراً وبها ستة سطور بالخط الكوفي نصها:

١) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ (هكذا) ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾[٣] ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾[٤] أمر بعمل هذا المحراب المبارك (هكذا) برسم الجامع الأزهر الشريف بالمعزية

٣) القاهرة مولانا وسيدنا المنصور أبى على الإمام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه.

---

(١) أحمد عبد الرازق، المرجع السابق، ص ٢٢٣.

(٢) المقريزى: خطط جـ٢ ص ٣٧٠.

(٣) قرآن كريم: سورة البقرة، آية رقم ٢٣٨.

(٤) قرآن كريم: سورة النساء، آية رقم ١٠٣.

٤) الطاهرين وأبنائه الأكرمين بن الإمام المستعلي بالله أمير المؤمنين بن الإمام المستنصر بالله. أ

٥) مير المؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين وعلى آبائهم الأئمة الطاهرين (الهداة الراشدين وسلم

٦) تسليماً إلى يوم الدين في شهور سنة تسع عشرة وخمسمائة الحمد لله وحده.

أما الخليفة الحافظ (٥٢٦-٥٤٤هـ/١١٣٢-١١٤٩م) فقد ثبت أنه أجرى أعمالاً معمارية مهمة حيث أضاف إلى الجامع رواقاً مطلا على الصحن من جهاته الأربع، كما أنشأ قبة تتقدم المجاز القاطع وهذه القبة تعتبر من أهم القباب الفاطمية نقشت عليها كتابات قرآنية بالخط الكوفي وهي تلي في فكرة نقش الكتابة بالداخل قبة الجيوشى، والكتابات التي نقشت على هذه القبة كتابات قرآنية عبارة عن آية الكرسي وآيات أخرى من سورة يسن وقد ذكر المقريزى أن الخليفة الحافظ لدين الله أنشأ أيضاً بالجامع الأزهر مقصورة لطيفة تجاور الباب الغربي الذي في مقدم الجامع بداخل الرواقات عرفت بمقصورة فاطمة من أجل أن فاطمة الزهراء رضى الله عنها رؤيت بها في المنام"[١].

وفي العصر الأيوبي أغلق صلاح الدين الجامع الأزهر وقصر إقامة الخطبةَ في جامع الحاكم، وكان هذا العمل في إطار سياسته للقضاء على المذهب الشيعي، وظل الجامع الأزهر مهملاً حتى عهد السلطان الظاهر بيبرس في العصر المملوكي البحري، حيث اهتم الأمير عز الدين أيدمر الحلي بالجامع وكانت داره مجاورة للجامع،وطلب من السلطان إعادة تعميره، واستطاع أن يسترد بعض ما اغتصب منه، وقام بتعميره ببعض ماله وبما أعانه به السلطان الظاهر بيبرس أيضاً من أموال "فعمر الواهي من أركانه وجدرانه وبيضه وأصلح سقوفه وبلطه وفرشه وكساه وعاد

---

(١) آمال العمرى، على الطايش، المرجع السابق، ص ٦٨، ويدل تحديد موضع الباب الغربي هذا عن أن أبواب الجامع الأزهر لم تكن محورية، كما يعتقد بعض الباحثين.

عبد الناصر يسن، المرجع السابق، ص ٧٦٠.

حرما في وسط المدينة واستجد به مقصورة حسنة وآثر فيه آثار صالحة"[1].

وتوالت بعد ذلك أعمال الأمراء المماليك المعمارية في هذا الجامع فأنشأ فيه الأمير بيلبك الخازندار "مقصورة كبيرة رتب فيها جماعة من الفقهاء لقراءة الفقه على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله ورتب في هذه المقصورة درساً للحديث النبوي والرقائق، ووقف على ذلك الأوقاف الدارة ورتب به سبعة لقراءة القرآن ورتب به مدرساً أثابه الله على ذلك ولما تكمل تجديده تحدث في إقامة جمعة فيه فنودي في المدينة بذلك واستخدم له الفقيه زين الدين خطيباً[2].

وتعتبر أعمال الأمير بيلبك الخازندار بداية مرحلة جديدة في تاريخ الجامع الأزهر فقد أصبح الجامع بما قرره من درس للمذهب الشافعي مركزاً لتعليم المذهب السني بعدما كان في العصر الفاطمي مركزاً للدعوة والمذهب الشيعي، ويمكن اعتبار هذا التوظيف الجديد للجامع إعادة تدوير وظيفي لعمارة الجامع حيث صيغ بالصيغة المملوكية السنية وأعيدت له الخطبة وقرر به درسا على المذهب الشافعي ودرسا للحديث النبوي وقراء لقراءة القرآن الكريم وبنفس الأسلوب الذي شاع في العمائر الدينية المملوكية السنية، وظل الجامع يؤدى هذه الوظيفة التي طورت في العصر الحديث تطويراً وصل بالجامع إلى أن أصبح "جامعة الأزهر".

وأثر زلزال عام ٧٠٢هـ/١٣٠٢م في عمارة الجامع فتهدم وقام بترميمه الأمير سلار وأعاد عمارة ما تهدم، وفي عام ٧٢٥هـ/١٣٢٥م جدد الجامع ورمم على يد القاضي نجم الدين محمد الأشعرى وفي عام ٧٦١هـ/١٣٦٠م تم تجديده مرة أخرى على يد الأمير سعد الدين بشير الجمدار الناصري الذي سكن بجوار الجامع وبعد ما جدده أنشأ به "عدة مقاصير ووضعت فيه صناديق وخزائن حتى ضيقته فأخرج الخزائن والصناديق ونزع تلك المقاصير وتتبع جدرانه وسقوفه بالإصلاح حتى عادت كأنها جديدة وبيض الجامع كله وبلطه ومنع الناس من المرور فيه ورتب فيه مصحفاً

---

(١) المقريزى، خطط جـ٢ ص٢٧٥.

(٢) المقريزى: خطط جـ٢ ص٢٧٥.

وجعل فيه قارئاً وأنشأ على باب الجامع القبلي حانوتاً لتسبيل الماء العذب في كل يوم وأنزل إليه قدوراً من نحاس جعلها فيه ورتب فيه درساً للفقهاء والحنفية يجلس مدرسهم لإلقاء الدرس فيه بالمحراب الكبير ووقف على ذلك أوقافاً جليلة"[1].

وفي عام ٧٨٤هـ/١٣٨٢م قام صدر مرسوم سلطاني سعى في إصداره الأمير الطواشي بهادر الذي تولى نظارة الجامع نص على أن من مات من مجاوري الجامع الأزهر من غير وارث شرعي وترك موجوداً يأخذه المجاورون بالجامع ونقش ذلك على حجر على الباب الكبير البحري[2].

وفي عام ٨٠٠هـ/١٣٩٧م هدمت مئذنة الجامع وكانت قصيرة وعمرت أطول منها فبلغت النفقة عليها من مال السلطان خمسة عشر ألف درهم نقره وكملت في ربيع الآخر من السنة المذكورة فعلقت القناديل بها ليلة الجمعة من هذا الشهر وأوقدت حتى اشتعل الضوء من أعلاها إلى أسفلها، ولكنها لم تعمر طويلاً حيث مالت سنة ٨١٧هـ/١٤١٤م فهدمت وعمل بدلاً منها منارة من حجر على باب الجامع البحري بعدما هدم الباب وأعيد بناؤه من الحجر وكملت عام ٨١٨هـ/١٤١٥م لكنها هي الأخرى لم تعمر طويلاً حتى مالت، وكادت تسقط فهدمت عام ٨٢٧هـ/ ١٤٢٤م وأعيدت[3].

وفي شوال عام ٨٢٧هـ/ ١٤٢٤م أنشئ صهريج في وسط الجامع وتم بناؤه في ربيع الأول عام ٨٢٨هـ/١٤٢٥م وعمل بأعلاه مكان مرتفع له قبة يسبل فيه الماء وغرس بصحن الجامع أربع شجرات فلم تفلح"[4]. وفي هذه الإضافة صياغة معمارية مملوكية للجامع مثلما حدث في جامع أحمد بن طولون، ثم بنيت للجامع ميضأة حيث لم يكن له ميضأة ولكنها هدمت عند بناء أقبغا عبد الواحد لمدرسته

---

(١) المقريزى: خطط جـ٢ ص٢٧٥.

(٢) المقريزى: خطط جـ٢ ص٢٧٥.

(٣) المقريزى: خطط جـ٢ ص٢٧٥.

(٤) المقريزى: خطط جـ٢ ص٢٧٦.

وبنيت للجامع ميضأة أخرى على يد الأمير بدر الدين بن البابا بناها ثم زيد فيها بعد سنة عشر وثمانمائة.

ولم يكتف الأمراء المماليك بتقرير الدروس الفقهية الشافعية والحنفية بالجامع، بل إن بعضهم أنشأ بجوار الجامع الأزهر مدراس كاملة مستقلة لتـدريس المـذهب السني وكانت هذه المدارس تستغل في الصلوات الجامعة ملحقــة بالجـامع الأزهـر كالمدرسة الطيبرسية التي أنشأها الأمير علاء الدين طيبـرس الخازنـدارى نقيـب الجيوش في عهد الناصر محمد بن قلاوون عام ٧٠٩هـ/١٣٠٩م، وجعلها مـسجداً زيادة في الجامع الأزهر وقرر بها دروساً للفقه الشافعي،وكذلك المدرسة الأقبغاويـة التي أنشأها الأمير أقبغا عبد الواحد استادار الملك الناصر محمد بن قـلاوون عـام ٧٤٠هـ/١٣٤٠م، وقد أنشئت هاتان المدرستان في الجهة الغربيـة مـن الجـامع وألحقتا بالجامع كمكان للصلاة في أيام الجمعة، ومن هنا اتصلتا وظيفيـا بالجـامع الأزهر.

وكذلك أنشئت مدرسة ثالثة في العصر المملوكي الجركسى في الجهة الـشمالية الشرقية أنشأها الأمير جوهر القنقبائى عرفت بالمدرسة الجوهرية وذلك فـي عـام ٨٤٤هـ/١٤٤٠م، واستمرت أعمال السلاطين الجراكسة في الجـامع حيـث إنـشأ السلطان قايتبأي مئذنة للجامع أعلى الباب الذي شيده ليربط بين المدرسة الأقبغاوية والمدرسة الطيبرسية من الداخل، كما عمل مقصورة خشبية على واجهة ظلة القبلة عام ٩٠٠هـ/١٤٩٥م(١).

وقبيل نهاية العصر المملوكي الجركسى أمر السلطان الغـورى ببنـاء مئذنـة للجامع تقع على يمين الداخل لصحن الجامع قرب مئذنة قايتباي في الركن الجنـوبي الغربي للصحن، وتمتاز هذه المئذنة بوجود سلمين بين طابقيها الأول والثاني يمكن أن يصعد عليها مؤذنان دفعة واحدة دون أن يرى أحدهما الآخر، وهي مـن الحيـل

---

(١) أمال العمرى، على الطايش. المرجع السابق، ص٦٩

المعمارية التي تدل على براعة المعمار المملوكي[1]، وإن كانت فكرة سبقه إليها معماريون آخرون في شرق العالم الإسلامي وغربي[2].

وفي العصر العثماني حدث أكبر تعديل معماري في الجامع الأزهر على يد الأمير عبد الرحمن كتخذا عام ١١٦٧هـ/١٧٥٤م وسع الجامع خلف جدار القبلة وأزال قطاعاً كبيراً من جدار القبلة ليربط رواق القبلة القديم بالمساحة التي أضافها وجعل أرضية المساحة المضافة أعلى من أرضية الجامع الأصلية وبنى جدرانا شمالية وجنوبية وشرقية لهذه المساحة وجعل بالجدار الشرقي محراباً مع الاحتفاظ بالمحراب القديم في جدار القبلة القديم والذي غطى بطاقية خشبية في العصر المملوكي، نزعت حديثاً عند الكشف عن المحراب الفاطمي الأصلي ونقلت الطاقية الخشب لتثبت على جدار القبلة في إضافة عبد الرحمن كتخذا.

وبالجدار الجنوبي لزيادة عبد الرحمن كتخدا باب يؤدى إلى ضريح ألحقه عبد الرحمن كتخدا بالجامع يتوسطه تركيبة رخامية عليها نقوش كتابية تضم أسماء المبشرين بالجنة، ودفن بهذا الضريح عبد الرحمن كتخذا عام ١١٩٠هـ/١٧٧٦م، وأمام هذا الضريح سبيل كما أنشأ عبد الرحمن كتخذا باب الصعايدة وأنشأ بجواره مئذنة وأنشأ باب الشوربة بالضلع الشمالي وأنشأ بجواره مئذنة كما أنشأ مئذنة ثالثة بجوار باب المزينين في الجهة الجنوبية،وقد هدمت هذه المئذنة بواسطة مصلحة الآثار عند إنشاء الرواق العباسي في عهد الخديوي عباس حلمي الثاني عام ١٣١٣هـ/١٨٦٩م.

وأنشأ عبد الرحمن كتخذا أيضاً باباً كبيراً في الواجهة العربية ربط بين المدرستين الأقبغاوية والطيبرسية من الخارج، وهذا الباب يتكون من فتحتين

---

(١) آمال العمرى، على الطايش، المرجع السابق ص ٦٩.

(٢) إبراهيم عامر،تأثيرات معمارية وافدة على العمائر المملوكية بمدينة القاهرة، بحث بكتاب الملتقى الثالث لجمعية الآثاريين العرب، الندوة العلمية الثانية، دراسات في آثار الوطن العربي، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ص ٧١٨-٧١٩.

معقودتين لكل منهما مصراعان من الخشب وأطلق على هذا الباب "بـاب المـزينين" وبنى فوق هذا الباب مكتباً لتعليم القرآن ومئذنة تجاوره سبقت الإشارة إليها- على أن هذه المعالم قد اختفت عند فك مباني هذا الباب والارتداد به إلى خط التنظيم، عند توسيع الشارع وأعيد تركيبه عام ١٣١٣هـ/١٨٩٦م، وذلك عنـد بنـاء الـرواق العباسي- كما سبقت الإشارة - مع المحافظة على الشكل المعماري للباب عند إعادة تركيبه.

وتوالت أعمال الإصلاح في الجامع في عهد أسرة محمد على وبخاصة في عهد الخديوي إسماعيل وتوفيق وعباس حلمي الثاني، وهذا الأخير اهتم بتجديـد عمـارة الجامع، وأصلح ما به من أحجبة خـشبية وسـجل تـاريخ تجديـده عليهـا عـام ١٣١٠هـ/١٨٩٢، وصدر أمر عام ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م بإنشاء مكتبة للجامع كمـا جدد ما تهدم في الواجهة الغربية وأنـشأ الـرواق العباسـي ثـم افتتاحـه عـام ١٣١٥هـ/١٨٩٨م.

وفي التسعينات من القرن الماضي تم ترميم الجامع ترميماً أثر علـى ملامـح بعض عناصره المعمارية الفاطمية إلى حد كبير، كما أن ما حدث من ترميمات فـي المدرستين الأقبغاوية والطيبرسية، وكذلك واجهة باب المزينين لم يكن وفق دراسـة علمية صحيحة، وأعيد بناء أساسات الجامع وتم عمل خوازيـق خرسـانية لزيـادة متانتها ولم يعتبر الشكل الأصلي للأساسات التي كشفت عنها للجهل بها فقد تبين أنه أثناء عمل هذه الخوازيق كشف عن ميدات مبنية بالأجر تتقاطع في النقاط التي تقوم عليها الأعمدة وهو أسلوب في إنشاء الأساسات عرفته العمارة الإسـلامية[١]، ولـم يدرك قيمة المحافظة عليها مشروع الترميم الأخير.

عمارة الجامع في العصر الفاطمي:

بعد هذا العرض الذي فصلنا فيه تاريخ عمارة الجامع الأزهر بقى أن نشير إلى

---

(١) محمد عبد الستار عثمان. أضواء على أهمية الإنشاء في تاريخ العمارة الإسلامية، مجلـة العصور. دار المريخ للنشر. لندن. ١٩٩٠. المجلد الخامس، الجزء الثاني، ص ٢٢٤.

أن الجامع الأزهر ما زال يحتفظ ببعض وحداته وعناصره المعمارية الفاطمية، التـي يمكن من خلالها ومن خلال ما ورد في المصادر من معلومات أن نعطى صورة عـن عمارة هذا الجامع في العصر الفاطمي.

وتكمل هذه العناصر المعمارية الباقية بعض العناصر المعمارية التـي فقـدت ووردت إشارات مهمة لبعضها في المصادر والوثائق بل إن بعض هذه المعلومـات ربما تكشف عن تعديلات معمارية حدثت بالجامع في النصف الثـاني مـن العـصر الفاطمي لم تذكر تفاصيلها المصادر.

أبواب الجامع:

لم يتبق من أبواب الجامع الأزهر في العصر الفاطمي ما يدل على عـدد هـذه الأبواب أو أشكالها المعمارية اللهم إلا ذلك الباب الخشبى الذي أمر بعملـه الخليفـة الحاكم بأمر الله، والذي يبلغ قياسه ٢٠٠×٣٢٥سم[١]، وتكشف قياسات هذا البـاب عن قياس فتحة الباب التي كان يغلق عليها والتي يبلغ اتساعها ٢ متر وارتفاعهـا ٣,٧٥متر.

وقد وردت في المصادر بعض المعلومات عن أبواب الجامع الأصلية فقـد ذكـر المقريزى إشارة إلى أن الجامع كان له باب في الجهة القبلية أي في جـدار القبلـة عندما تحدث عن أعمال الأمير سعد الدين بشير الجمدار سـنة ٧٦١هـ/١٣٦٠م، حيث ذكر أن هذا الأمير "أنشأ على باب الجامع القبلي حانوتاً لتسبيل الماء العذب"[٢]، وفي ذلك إشارة واضحة إلى أن هذا الباب كان قائماً حتى هذا التاريخ.

كما كان للجامع باب في الجهة البحرية أي في الجهة المقابلة للجهة القبلية في الجدار الخلفي للجامع[٣]، وقد وردت الإشارة إلى هذا الباب عندما تحدث المقريـزى

---

(١) زكى محمد حسن: أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية، القاهرة، ١٩٥٦م شـكل رقم ٣٣٤، ورقم سجل هذا الباب في متحف الفن الإسلامي ٥٥١.

(٢) المقريزى: خطط جـ٢ ص٢٧٦.

(٣) والجهة البحرية هي ما نشير إليها في وصفنا بالجهة الغربية على اعتبار تحديدنا للقبلة =

عن المرسوم الذي أصدره السلطان برقوق عام ٧٨٤هـ/١٣٨٢م بشأن إرث المجاورين وذكر أنه نقش على حجر "عند الباب الكبير البحري"[١]، ووصف هذا الباب بالباب الكبير يعنى أنه كان أكبر من البواب الأخرى في قياساته وأنه كان الباب الرئيسي وفق هذه القياسات.

وقد ذكر المقريزى في موضع آخر أن هذا الباب هدم عام ٨١٧هـ/١٤١٤م وأعيد بناؤه بالحجر وبنى فوقه مئذنة على يد الأمير تاج الدين الشوبكى والي القاهرة[٢].

وذكر المقريزى إشارة مهمة إلى باب ثالث كان في الجهة الغربية حسب تحديد توجيهه فعند حديثه عن أعمال الحافظ ذكر أنه "أنشأ فيه مقصورة لطبقة تجاور بابه الغربي الذي في مقدم الجامع بداخل الرواقات"[٣]، وهو ما يشير إلى وجود باب في رواق القبلة (المقدم) في الضلع الجنوبي.

وقد وردت إشارة مهمة إلى وجود باب كان يسمى بباب السر فقد ذكرت المصادر أن المدرسة الجوهرية التي أنشأها جوهر القنقبائى أنشأ مدرسته عام ٨٤٤هـ/١٤٤٠م[٤]، وهكذا يتضح أنه كان يوجد بالجامع أربعة أبواب على الأقل.

مساحة الجامع:

ذكر المقريزى نص وثيقة وقف الخليفة الحاكم بأمر الله وورد في هذه الوثيقة ما يشير إلى أن الحصر التي كانت تشترى لفرش الجامع "ثلاثة ثلاثة عشر ألف

= بالجهة الشرقية.

(١) المقريزى: خطط جـ٢ ص٢٧٦.

(٢) المقريزى: خطط جـ٢ ص٢٧٦.

(٣) المقريزى: خطط جـ٢ ص٢٧٦.

(٤) السخاوى (على بن عبد الرحمن) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، القاهرة ١٩٢٤-١٩٣٦، جـ٣ ص٨٣.

ذراع"[1]، وهذه الكمية يمكن في ضوئها تحديد مساحة البلاطات التي كانت تفرش بالحصر لأداء الصلاة وأنها كانت تقريباً ٣٢٥٠ متراً مربعاً[2]، وهي مساحة تعادل تقريباً مساحة الأروقة التي افترضها كريسويل في تخطيطه للجامع الثلاثة أروقة تحيط بالصحن.

فسقية الصحن والساقية :

أشار المقريزى عند حديثه عن بناء صهريج بصحن الجامع عام ٨٢٧هـ/١٤٢٤م أنه عندما "ابتدئ" بعمل الصهريج الذي بوسط الجامع فوجد هناك آثار فسقية ماء"[3]، وهذه الفسقية ربما كانت للشرب وربما كانت لتجديد الوضوء خصوصًا أنه لم يكن لهذا الجامع في ضوء ما ذكره المقريزى "عندما بنى ميضأة"[4].

ويؤكد إنشاء هذه الفسقية بالصحن مع إنشاء الجامع ما ورد في وثيقة وقف الجامع التي ذكرت بين المصارف الخاصة بالجامع فقد رصد "ربع دينار من ذلك (ربع ما خصص للجامع) لثمان أزيار فخار تنصب على المصنع ويصب فيها الماء مع أجرة حملها ثلاثة دنانير.." وما رصدَ لكنس المصنع بهذا الجامع ونقل ما يخرج من الطين والوسخ دينار واحد" وما رصد كثمن لمائة وثمانين حمل تبن ونصف جمل جارية لعلف رأسي بقر للمصنع الذي لهذا الجامع ثمانية دنانير ونصف وثلث دينار ومن ذلك للتبن لمخزن يوضع فيه بالقاهرة أربعة دنانير ومن ذلك لثمن فدانين قرط لتربيع رأسي البقر المذكورين في السنة سبعة دنانير ومن ذلك لأجرة متولي العلف وأجرة السقاء والحبال والقواديس وما يجرى مجرى ذلك خمسة عشر دنانير ونصف.."[5].

---

(١) المقريزى: خطط جـ٢ ص٢٧٦.

(٢) تم تحديد هذه المساحة في إطار قياس الطول الشرعي للذارع والذي يبلغ حوالي ٥٠ سم.

(٣) المقريزى: خطط جـ٢ ص٢٧٦.

(٤) المقريزى: جـ٢ ص٢٧٦.

(٥) المقريزى: خطط جـ٢ ص ص ٢٧٤-٢٧٥.

ويكشف هذا النص الأخير عن أن الجامع كان له ساقية لرفع الماء يديرها رأسا بقر ولها سقاء يتولى مهامها وكانت هذه الساقية تغذى المصنع الذي بصحن الجامع.

الميضأة:

ذكر المقريزى أن الجامع لم يبن له عند إنشائه ميضأة وأكد على ذلك نص وثيقة الخليفة الحاكم الذي وقف جزءاً من ريع وقفه كأجرة لقيم يقوم بخدمة ميضأة الجامع إن عملت"[١]، أو يبدو أن هذه الميضأة قد أنشئت بالفعل حيث يذكر المقريزى ما نصه "ولم يكن لهذا الجامع ميضأة عندما بنى الجامع ثم عملت ميضأته حيث المدرسة الأقبغاوية"[٢].

تغطية الجامع وسقفه:

انتقد المقريزى انخفاض سقف الجامع الأزهر عند بنائه في المرحلة الأولى من تاريخ عمارته وقال" كان سقف هذا الجامع قد بنى قصيراً فزيد فيه بعد ذلك وعلى ذراعاً"[٣] وكان هذا السقف خشبياً مسطحاً اللهم إلا القباب التي كانت في بلاطة المحراب والتي لم يتبق منها شئ يرجع إلى العصر الفاطمي سوى القبة التي بناها الحافظ لدين الله، ولكن الأدلة التاريخية والوثائقية والأثرية تشير إلى وجود ثلاث قباب في بلاطة المحراب مثلما هو الحال في جامع الحاكم بأمر الله الذي ما زال محتفظاً بقباب بلاطة المحراب.

فقد أشار المقريزى في حديثه عن تاريخ بناء الجامع أنه "كتب بدائر القبة التي في الرواق الأول وهي على يمنة المحراب والمنبر ما نصه بعد البسملة مما أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الإمام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الأكرمين على يد عبده جوهر الكاتب الصقلي وذلك في سنة

---

(١) المقريزى: خطط جـ٢ ص٢٧٥.

(٢) المقريزى: خطط جـ٢ ص٢٧٦.

(٣) المقريزى: خطط جـ٢ ص ٢٧٥.

ستين وثلثمائة"[1]، وفي هذا النص ما يشير إلى أن بلاطة المحراب كان بطرفها الجنوبي قبة تمت في هذا التاريخ.

وورد في وثيقة وقف الحاكم بأمر الله ما يشير إلى أنه رصد "لمؤنة النحاس والسلاسل والتنانير والقباب التي فوق مسطح الجامع أربعة وعشرين ديناراً" وفي ذلك إشارة إلى وجود قباب فوق سطح الجامعة وكلمة قباب تعنى ثلاث قباب فأكثر.

وفي إطار المقارنة بين بلاطة المحراب في جامع الحاكم وبلاطة المحراب في الجامع الأزهر التي ثبت وجود قبة في طرفها الجنوبي ظلت باقية إلى عهد المقريزى، وفي إطار مبدأ السمترية المتبع في العمارة الإسلامية يكون بالطرف الآخر للبلاطة قبة مشابهة،وكذلك كانت توجد في الغالب قبة تعلو المساحة التي تتقدم المحراب وهي القبة التي هدمت ويقوم مقامها اليوم قبة غالباً أنشئت في العصر العثماني لأن نوافذها تشبه نوافذ القباب العثمانية وليست في عهد السلطان الغورى كما ترجح بعض الأقوال يمكن القول بأنه كان ببلاطة المحراب ثلاث قباب كما الحال في جامع الحاكم.

المقصورتان:

كان بالجامع الأزهر مقصورة أنشئت مع إنشاء الجامع، وهذه المقصورة كانت تتقدم المحراب في الغالب،وقد وردت الإشارة إليها فيما ذكره المسبحى في حوادث شعبان عام ٤١٤هـ/١٠٢٣م عن احتفال ليلة النصف من شعبان أنه "كان للناس جمع عظيم بجامع القاهرة من الفقهاء والقراء،وحضر القاضي محمد بن النعمان في جميع شهوده ووجوه البلد وأوقدت التنانير والمصابيح على سطح الجامع ودور صحنه ووضع الشمع على المقصورة وفي مجالس العلماء وحمل إليهم العزيز بالله الأطعمة والحلوى والبخور فكان جمعاً عظيماً[2].

وأنشأ الحافظ لدين الله مقصورة أخرى وصفها المقريزى وحدد موضعها فذكر

---

(١) المقريزى: خطط جـ٢ ص٢٧٣.

(٢) المقريزى: خطط، جـ١ ص ٤٦٥؛ سعاد ماهر: المرجع السابق ص ١٨٢.

أنها "مقصورة لطيفة تجاور الباب الغربي الذي في مقدم الجامع بداخل الرواقات عرفت بمقصورة فاطمة من أجل أن فاطمة الزهراء رضى الله عنها رؤيت بها في المنام"[١].

ومن طريف ما يذكر أن ظاهرة إنشاء المقاصير لازمت هذا الجامع الأزهر في العصر المملوكي، فقد أنشأ الأمير عز الدين أيدمر الحلي بالجامع مقصورة عندما قام بترميمه لأول مرة بعد إغلاقه في العصر الأيوبي كما عمل فيه الأمير بيلبك الخازندار مقصورة كبيرة رتب فيها من الفقهاء لقراءة الفقه الشافعي كما رتب بها محدثاً[٢].

وفي هذا إشارة واضحة إلى أن المقصورة خصصت لأغراض أخرى تتمثل في حجز مكان بالجامع للتدريس، كما أنشأ الأمير بشير الخازندار عدة مقاصير لكنه عاد وأزالها لتضيقها الجامع[٣].

منارة الجامع:

أشار المقريزى إلى منارة واحدة كانت للجامع هدمت عام ٨٠٠هـ/١٣٩٧م وكان سبب هدمها أنها "كانت قصيرة" وعمرت أطول منها"[٤]، ولم يحدد المقريزى موضعها ولما لم ترد أي إشارة إلى بناء مئذنة للجامع بعد العصر الفاطمي وحتى هدم هذه المئذنة وبناء أخرى أطول منها فالراجح أنها كانت ترجع إلى العصر الفاطمي.

وقد وردت بوثيقة وقف الحاكم بأمر الله إشارة إلى تعيينه خمسة عشر مؤذناً بالجامع[٥]، وهو عدد كبير ربما كان يناظره أكثر من مئذنة حتى يقوم هؤلاء المؤذنون بالآذان عليها، كما أن وجود مئذنتين بجامع الحاكم وأخريين بجامع

---

(١) المقريزى، خطط جـ٢ ص ٢٧٥.

(٢) المقريزى: خطط جـ٢ ص٢٧٤

(٣) المقريزى: خطط جـ٢ ص٢٧٦

(٤) المقريزى: خطط جـ٢ ص٢٧٦

(٥) المقريزى: خطط جـ٢ ص٢٧٤

المهدية يجعل من الممكن أن يكون بالأزهر أكثر من مئذنة أيضاً.

وفي إطار هذه الدراسة لما بقى من عناصر الجامع الأزهر في العصر الفاطمي وما ورد عن عناصره الأخرى التي فقدت يتضح أن الجامع الأزهر كانت به بعض المثالب المعمارية ربما كانت الدافع إلى إنشاء الخليفة العزيز لجامعه خارج أسوار القاهرة وهو الجامع الذي أكمله ابنه الحاكم بأمر الله، ومن هذه المثالب ما يلي:

ضيق مساحة الجامع وخاصة أروقة الصلاة التي بلغت مساحتها ٣٢٥٠ متراً مربعاً تكفي حوالي ٥٠٠٠ مصلى وقد تطلبت الحاجة زيادة هذه المساحة وهي الزيادة التي حدثت باقتطاع الحافظ لدين الله جزءاً من الصحن أدار عليه رواقاً من جوانبه الأربعة، وإذا ما قورنت هذه المساحة بمساحة جامع الحاكم يتضح أحد الأسباب الذي دفعت العزيز إلى بناء جامعه وهو الجامع الذي اضطر إلى إنشائه خارج أسوار القاهرة لتوفر المساحة المطلوبة، وبخاصة مع زيادة أعداد سكان القاهرة.

١) كان سقف هذا الجامع منخفضاً وهو الأمر الذي عولج برفعه ذراعاً وقد تجنب معمار جامع الحاكم هذه الهيئة فارتفع بسقف الجامع ارتفاعاً كبيراً.

٢) قصر المئذنة وهو قصر أحس من إجراء المماليك والمعمار المملوكي فكان هدم المئذنة وبناء أخرى أكثر ارتفاعاً منها ومقارنة بين القطاع الباقي من مئذنتي جامع الحاكم يشير إلى معالجة هذا العيب في بناء مئذنة جامع الحاكم.

عدم إنشاء ميضأة للجامع في المرحلة الأولى، فقد أنشئت الميضأة في مرحلة لاحقة لوقف الحاكم على الجامع.

جامع الحاكم

٣٨٠ - ٤٠٣هـ / ٩٩٠ - ١٠١٣م

يعتبر جامع الحاكم رابع المساجد الجامعة الباقية بمصر بعد جامع عمرو بمدينة الفسطاط وجامع أحمد بن طولون بالقطائع والجامع الأزهر بالقاهرة.

وقد عرف هذا الجامع بأسماء عدة أشهرها جامع الحاكم لكنه عرف أيضاً بالجامع الأنور وجامع الخطبة وجامع الفتوح لمجاورته لباب الفتوح[1]، ويلاحظ أن أياً من هذه الأسماء لا يتصل بمنشئه الأصيل وهو الخليفة العزيز بالله ابن الخليفة المعز لدين ثاني الخلفاء الفاطميين في مصر ووالد الحاكم بأمر الله الذي عرف به الجامع ونسب إليه برغم أنه فقط هو الذي أتم بناء بعض وحداته وأضاف إليها.

فإذا كانت المصادر التاريخية قد غفلت عن ذكر الأسباب التي دعت الخليفة العزيز لإنشاء هذا الجامع، فإن دراسة الجامع الأزهر- كما سبقت الإشارة- أوضحت صغر مساحته وهو أمر زاد من تأثيره زيادة أعداد المصلين وبخاصة بعد ما زاد عدد ساكني القاهرة زيادة واضحة بعد أن استقر حكم الخلافة الفاطمية في مصر. وقد ذكر المقريزى فيما ذكره من تاريخ حاكم الحاكم ما يشير بصورة غير مباشرة إلى أن صغر مساحة الجامع الأزهر انتقدت بصورة غير مباشرة فعند حديثه عن ركوب الخليفة إلى الجامع لصلاة الجمع نقل عن ابن الطوير قوله "إذا انفض ركوب أول شهر رمضان استراح في أول جمعة فإذا كانت الثانية ركب الخليفة إلى الجامع الأنور الكبير في هيئة المراسم.."[2]، ونلاحظ هنا رسم الجامعة الأنور بسمة "الكبير" في تأكيد مباشر على اتساع مساحته التي تبلغ ١٣٦٤٩,٣٤ متراً إذا ما قورنت بمساحة الجامع الأزهر الفاطمي التي تبلغ ٦١٦٠ متراً مربعاً أي أن مساحة جامع الحاكم تعادل مرتين وأكثر مساحة الجامع الأزهر، ولاشك أن هذه المساحة الضخمة كانت

---

(١) المقريزى، خطط جـ٢ ص٢٧٧.

(٢) المقريزى، خطط جـ ١ ص ٤٩١ .

السبب وراء اختيار موضعه خارج السور الشمالي لجوهر الصقلي حيث تتوفر المساحة المناسبة لهذا الجامع الضخم.

وهكذا أنشأ العزيز جامعاً جديداً ضخم المساحة يتسع للمصلين من العامة ويتسع أيضاً للجند المشاركين في موكب الخليفة الذين بلغ عددهم في عهد العزيز كما ذكر المسبحى "خمسة آلاف ماش"[(١)]، كما روعي في إنشاء هذا الجامع - كما سيتضح من الوصف- ارتفاع سقفه ومئذنتيه إذا ما قورن ذلك بالسقف المنخفض والمئذنة القصيرة بالجامع الأزهر الفاطمي وهو ما كان محل نقد المعماريين والمؤرخين على حد سواء وتجنب ذلك معمار جامع الحاكم الذي اهتم بضخامة عمارته التي تناسب ضخامة مساحته واهتمام الفاطميين بالرسوم والجوانب الدعائية من خلال العمارة وبخاصة بعد ما استقرت الخلافة في مصر وزادت قوتها وثراؤها.

وقد بدأ إنشاء الجامع كما ذكرنا على يد الخليفة العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله، وكان وضع الأساس في سنة ٣٨٠هـ/ ديسمبر سنة ٩٩٠م مما يلي باب الفتوح من خارجة وبدئ البناء فيه، ويذكر المسبحى أيضاً أنه في ٤ رمضان سنة ٣٨١هـ/٩٩١م صلى العزيز بالله في جامعه صلاة الجمعة وكان في مسيرة بين يديه أكثر من ثلاثة آلاف[(٢)].

ويبدو أن عمارة الجامع لم تكن قد تمت بعد في عهد الخليفة العزيز، فأكملها الخليفة الحاكم بأمر الله، فقد ذكر المسبحى أن الخليفة الحاكم أمر في سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢ م بأن "يتم بناء الجامع الذي كان الوزير يعقوب بن كلس قد بدأ في

---

(١) المقريزى: خطط جـ٢ ص ٢٨٠.

(٢) هذا لا يتعارض وافتتاح الجامع للصلاة حيث جرت العامة بإقامة الصلاة بالجامع قبل الانتهاء من عمارته، وهناك أمثلة عديدة لجوامع ومنشآت دينية أخرى حدث فيها نفس الشيء في العصر المملوكي "محمد عبد الستار عثمان: الأعمال المعمارية للسلطان الأشرف برسباي بمدينة القاهرة، ماجستير مقدم لجامعة القاهرة، كلية الآثار، ١٩٧٧، ص٩٠ .

بنائه عند باب الفتوح فقدر للنفقة عليه أربعون ألف دينار[1]، ويشير هذا التقدير للمبلغ المطلوب لاستكمال عمارة الجامع إلى حجم العمارة التي تمت فر عهد الحاكم بأمر الله.

ويستطرد المسبحى ليذكر أنه "في صفر سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م زيد في منارة جامع باب الفتوح وعمل لها أركان طول كل ركن مائة ذراع"[2]، وفي ذلك إشارة واضحة إلى أن بناء البدنة السفلى حول منذنتي جامع الحاكم جاء في مرحلة تالية لإتمام الخليفة الحاكم لعمارة جامع والده العزيز، وفي إطار ذلك يتضح أن أعمال الحاكم كانت في مرحلتين المرحلة الأولى إتمام عمارة الجامع بالتخطيط الذي وضع في عهده العزيز والثانية بناء بدنتين سفليتين حول منذنتي الجامع لأسباب معينة سنعود إلى مناقشتها عند الدراسة المعمارية للجامع.

وتكشف أقوال المؤرخين عن مراسم الخلفاء المتعلقة بإقامة صلاة الجمعة في هذا الجامع عن جوانب مهمة تتصل بعمارة هذا الجامع من ناحية استخدام الستائر والفرش على أبوابه ومحرابه ومنبره فقد ذكر المؤرخون أنه بعد تمام عمارة الجامع "علق على سائر أبوابه ستور دبيقية عملت له.. ونصب فيه المنبر وتكامل فرشه وتعليقه وفي موضع آخر يذكر المقريزى أنه كان "يفرش في المحراب ثلاث طراحات إما سامان أو دبيقى أبيض أحسن ما يكون من صنفها كل منها منقوش بالحمرة فيجعل الطراحات متطابقات ويعلق ستران يمنة ويسرة وفي الستر الأيمن كتابة مرقومة بالحرير الأحمر واضحة منقوطة أولها البسملة والفاتحة وسورة الجمعة وفي الستر الأيسر مثل ذلك وسورة إذا جاءك المنافقون، قد أسبلا وفرشا في التعليق بجانبي المحراب لاصقين بجسمه"، ثم يشير المقريزى إلى كسوة كانت توضع أيضاً فوق المنبر وهذه الكسوة كانت بهيئة القبة "لخيمة" أو كالهودج، وكانت تزرر بعد

---

(١) المقريزى: خطط جـ٢ ص ٢٧٧.

(٢) المقريزى: خطط جـ٢ ص ٢٧٧.

صعود الخليفة المنبر لتستره تماماً[1].

ويكشف المقريزى عن سبب وضع الستور الحريرية على جانبي المحراب فيذكر أنها كانت تضم آي القرآن التي يقرؤها الخليفة في الصلاة وأنها كتبت على هذه الستور بخط واضح منقوط بالحرير الأحمر ليقرأها الخليفة دون خطأ فكان الخليفة يقرأ ما هو مكتوب على الستر الأيمن في الركعة الأولى وفي الركعة الثانية ما هو مكتوب في الستر الأيسر وذلك عن طريق التذكار خيفة الارتجاج"[2].

كما أشار المقريزى أن القبة التي كانت توضع على المحراب حتى تستر الخليفة الذي كان يلقى خطبة قصيرة من سطور تحضر إليه من ديوان الإنشاء لا كعادة الخطباء، ويذكر المقريزى صراحة هذا السبب فيقول "وسبب التزرير عليهم (الخلفاء الفاطميين) قراءتهم من سطور لا كعادة الخطباء"[3].

أما تعليق الستور على أبواب الجامع فيأتي في إطار استكمال مظاهر الفخامة والأبهة وشكل المراسم التي حرص الفاطميون عليها في إطار إظهار هيئة الخليفة وموكبه والموضع الذي يحل فيه. ويأتي في هذا الإطار الاهتمام بإضاءة الجامع الذي عملت له وعلقت فيه تنانير فضية عدتها أربع وكثير من قناديل فضة.

ويشير ابن عبد الظاهر إلى أنه "على باب الجامع الحاكم مكتوب أنه أمر بعمله الحاكم أبو على المنصور في ستة ثلاث وتسعين وثلثمائة وعلى منبره مكتوب أنه أمر بعمل هذا المنبر للجامع الحاكمى المنشأ بظاهر باب الفتوح في سنة ثلاث وأربعمائة ورأيت في سيرة الحاكم وفي يوم الجمعة أقيمت الجمعة في الجامع الذي كان الوزير أنشأه بباب الفتوح[4]. وفي هذه النصوص إشارات مهمة إلى أن مدخل الجامع تم في سنة ٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م أي في نفس السنة التي بدأ فيها الخليفة

---

(١) المقريزى: خطط جـ٢ ص ٢٧٧، ٢٨١.

(٢) المقريزى: خطط جـ٢ ص ٢٨١.

(٣) المقريزى: خطط جـ٢ ص٣٨١.

(٤) المقريزى: الخطط جـ٢ ص٢٧٧.

الحاكم أعماله المعمارية ، ولم يحدد ابن عبد الظاهر أي مداخل الجامع يقصد لكن قوله "باب الجامع الحاكمى" يأتي في إطار مفهوم المصطلح اللغوي "علم بالغلبة"[1]. يكون المقصود هو المدخل الرئيسي بالواجهة الغربية وهو ما يعنى تبعاً أن هذا القطاع من الجامع هو القطاع الذي لم يكن قد استكمل بعد، ويؤكد ذلك أيضاً أن الكتابات على المدخل الرئيسي تشير إلى إنهاء العمل به سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢-١٠٠٣م[2]، كما أن هذا المدخل هو المدخل البارز بروزاً كبيراً باعتباره المدخل الرئيسي[3].

ويكشف ما رآه ابن عبد الظاهر عن النص الكتابي على المنبر أن الخليفة الحاكم قد عمل منبر الجامع الحاكم سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م وهو ما يعنى أن هذا المنبر حل محل منبر الجامع الذي كان يخطب عليه الخليفة العزيز عندما افتتح المسجد الجامع للصلاة سنة ٣٨١هـ/٩٩١م والذي تم عمله في عهد الخليفة العزيز

أما ما ذكر ابن عبد الظاهر ونقله عنه المقريزى بخصوص نسبة إنشاء الجامع للوزير فلا يمكن تفسيره إلا في إطار تولى الوزير يعقوب بن كلس مهمة الإشراف على إتمام عمارة الجامع ومتابعة الإنشاء حتى استكمال الجامع بدلالة ما ذكره ابن عبد الظاهر من نصوص على مدخل الجامع ومنبره تؤكد أن الإنشاء تم على يد الخليفة نفسه.

وإذا كان الخليفة الحاكم قد أتم عمارة الجامع من الناحية المعمارية فإنه قام أيضاً بإقرار التدريس بجامعه فقد تحلق في الجامع "الفقهاء الذين كانوا يتحلقون في

---

(١) يقول أهل العربية إن "العلم بالغلبة" يعنى ذكر اسم العلم المراد دون تحديد لكنه يعرف لغلبة المعرفة به مثل قولهم زرت المدينة فيكون المقصود بالمدينة هو "المدينة المنورة" مدينة رسول الله ﷺ، وقرأت الكتاب فيكون المقصود "بالكتاب "كتاب سيبويه"

(٢) **Creswell, Op. Cit, p. 66**

(٣) **Creswell, Ibid., p. 73.**

جامع القاهرة يعني الجامع الأزهر"[1]. وهو ما يعني أن جامع الحاكم قام بنفس الدور الذي أراده الحاكم للجامع الأزهر من حيث كونه أصبح مركزاً لتدريس المذهب الشيعي.

ثم يأتي إنشاء سور القاهرة على يد بدر الجمالي سنة ٤٨٠-٤٨٥هـ/ ١٠٨٧-١٠٩٢م كأول عمل معماري يؤثر على عمارة الجامع فقد حجب هذا السور الواجهة الشمالية للجامع وما بها من مداخل، كما التف السور حول بدنة المئذنة الشمالية السفلى فحجب زواياها غير أنه يمكن مشاهدة ثلاثة أركان للبدنة الفاطمية من خلال حفر عملت لهذا الغرض سطح سور بدر الجمالي حول هذه المئذنة الشمالية، وقد أشار المقريزى إلى زيادة بنيت في الجامع ذكر المقريزى أنها من"بناء ولده الظاهر على ولم يكملها وكان قد حبس فيها الفرنج فعملوا فيها كنائس هدمها الملك الناصر صلاح الدين، وكان قد تغلب عليها وبنيت إسطبلات وكان قد بلغني أنها كانت في الأيام المتقدمة قد جعلت أهراء للغلال فلما كان في الأيام الصالحية وزارة معين الدين حسن بن شيخ الشيوخ للملك الصالح أيوب ثبت أنها من الجامع وأن بها محراباً فانتزعت وأخرج الخيل منها وبنى ما هو الآن في الأيام المعزية على يد الركن الصيرفي ولم يقف"[2]. ويشير هذا النص إلى وجود بناء زيادة للجامع في عهد الظاهر وحدث بها تعديل وإعادة بناء في عهد الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٣٧-٦٤٧هـ/ ١٢٣٩-١٢٤٩م، وفي عهد المعز أيبك التركماني سنة (٦٤٨-٦٥٥هـ/ ١٢٥٠-١٢٥٧م)

وفي سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م وقع زلزال في القاهرة تهدمت على إثره كثير من المنشآت ومن بينها المساجد والمآذن على وجه الخصوص وقد أصاب هذا الزلزال جامع الحاكم فتهدمت بعض عناصره وكان مما تهدم "كثير من البدنات (الدعامات) التي فيه وضرب أعلى المئذنتين وتشققت سقوفه وجدرانه، وتولى الأمير ركن الدين

---

(١) المقريزى: خطط ، جـ٢ ص ٢٧٧.

(٢) المقريزى: خطط جـ٢ ص٢٧٨.

بيبرس الجاشنكير بأوامر من السلطان الناصر محمد بن قلاوون ترميمه وعمارته "فأمر برم ما تهدم منه وأعاد ما سقط من البدنات فأعيد وفي كل بدنه طاق (عقد) وأقام سقوف الجامع وبيضه حتى عاد جديداً وجعل له أوقاف بناحية الجيزة وفي الصعيد والإسكندرية"(١).

وفيما يتصل بالجانب الوظيفي نلحظ أن بيبرس الجاشنكير "رتب في الجامع دروساً أربعة لإقراء الفقه على مذاهب الأئمة الأربعة ودرساً لإقراء الحديث النبوي وجعل لكل درس مدرساً وعدداً كثيراً من الطلبة.." (٢). وهكذا تمت صبغة جامع الحاكم وظيفياً بالصبغة المملوكية حيث أصبح يؤدى وظيفة المدرسة وأصبح مركزاً لتدريس المذاهب السنية مثلما حدث في الجامع الأزهر وهكذا استطاع المماليك تدوير كل من جامع الأزهر وجامع الحاكم وظيفياً حيث أصبح كل منهما مركزاً لتعليم المذهب السنى بعدما كانا مركزاً لتدريس المذهب الشيعي في العصر الفاطمي، وهذه الصياغة المملوكية شملت جامع ابن طولون بعدما جدده لاجين وقرر فيه أيضاً دروساً للمذهب السني. وشملت هذه الصياغة تعيين قراء لقراءة القرآن وكذلك تعيين معلم لتعليم أيتام المسلمين كتاب الله عز وجل.

واستتبع ذلك عمل خزانة للكتب بالجامع، فأنشئت "خزانة كتب جليلة"، وكانت الإضافات المعمارية التي أضافها بيبرس الجاشنكير والتي تتفق والتصور المملوكي المعماري للمنشآت الدينية في هذا العصر هو إنشاء "صهريج بصحن الجامع ليملأ في كل سنة من ماء النيل يسبل منه الماء في كل يوم ويستقى الناس يوم الجمعة"(٣). ولاشك أن صحن جامع الحاكم كان ليتسع لإنشاء مثل هذا الصهريج الذي أنشئ ليوفر مصدراً للماء ليشرب منه الناس وخاصة يوم الجمعة ويأتي إنشاء هذا الصهريج في إطار إلحاق الأسبلة والمزملات بالمنشآت المملوكية والتي جرت العادة

---

(١) المقريزى: خطط جـ٢ ص ٢٧٨.

(٢) المقريزى: خطط جـ٢ ص ٢٧٨.

(٣) المقريزى: خطط جـ١ ص ٢٧٨.

بإنشائها لتحقيق ذات الغرض.

ويشير المقريزى إلى أن تكلفة الأعمال الترميمية والإضافات المعمارية التي قام بها بيبرس الجاشنكير في جامع الحاكم سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٣م بلغت نحو أربعين ألف دينار(١)، وهو مبلغ يشير إلى ضخامة هذه الأعمال وأهميتها.

وفي عهد السلطان حسن بن محمد بن قلاوون وفي ولايته الثانية تمت بعض أعمال الإصلاح والترميم على يد الشيخ قطب الدين محمد الهرماسى وذلك في سنة ٧٦٠هـ/١٣٥٨م ويشير المقريزى إلى أن هذه الأعمال شملت "السقف والجدران" كما أشار المقريزى إلى أن الشيخ محمد الهرماسى الذي قام بترميم الجامع رأي أثناء الترميم "حجراً ظهر في مكان قد سقط منقوش عليه هذه الأبيات الخمسة:

إن الذي أسررت مكنون اسمه	وكتمته كيما أفوز بوصله
مال له حذر تساوى في الهجا	طرفاه يضرب بعض في مثله
فيصير ذاك المال إلا أنه	في النصف منه تضاف أحرف
وإذا نطقت بربعه متكلما	من بعد أوله نطقت بكله
لا نقط فيه إذا تكامل عده	فيصير منقوطاً بجملة شكله

قال وهذه أبيات في الحجر المكرم(٢).

وتعرض الجامع بعد ذلك للتهدم وبخاصة السقف وحدثت به بعض الإصلاحات المعمارية كالفسقية التي أنشأها ابن كرسون في ميضأة الجامع في بضع وثمانين وسبعمائة كما قام أيضاً بتبييض مئذنتي الجامع، وفي سنة ٨٢٧هـ/ ١٤٢٣م أنشأ رجل من الباعة مئذنة بالجامع أنشأها بجوار الباب المجاور للمنبر "وخرق سقف الجامع حتى صار المؤذنون ينزلون من السطح إلى الدكة التي يكبرون فوقها خلف

---

(١) المقريزى: خطط جـ١ ص ٢٧٨.

(٢) المقريزى: خطط جـ٢ ص ٢٧٩، ربما يرتبط وضع مثل هذا الحجر بمثل هذه النصوص الغامضة بما تتميز به الدعوة الشيعية من سرية، وربما يرتبط أيضاً باهتمام الفاطميين والخلفاء منهم بالذات بالأحجار الكريمة التي زينوا بها ملابسهم وبخاصة غطاء الرأس.

الإمام[1]، وفي ذلك ما يشير إلى وجود دكة للمؤذنين كانت بالجامع في هذا التاريخ.

وأهملت عمارة الجامع بعد ذلك وظل الأمر كذلك حتى مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر حيث استخدمته قوات الحملة كحامية واستخدمت مئذنتاه كبرجين للمراقبة، وقد ارتبط هذا الاستخدام بسيطرة جنود الحملة الفرنسية مع الاستحكامات الحربية ممثلة في السور الشمالي كموقع حصين للسيطرة على القاهرة.

وبعد خروج الحملة الفرنسية جدد عمر مكرم جانباً من الجامع تمثل في رواق القبلة وذلك في سنة ١٢٢٢هـ/١٨٠٧م حيث عمر أربع بائكات استخدمت للصلاة وكسى المحراب بالرخام وجعل بجواره منبراً[2].

وفي مطلع القرن الثاني عشر الهجري التاسع عشر الميلادي أصبح المسجد منتهك الحرمة وبعض الواردين من الشام يصنعون فيه قناديل الزجاج والأكواب والحريريون يفتلون فيه الحرير[3].

وفي سنة ١٢٩٧/١٨٨٠م استخدم قطاع من رواق القبلة كأول متحف للفن الإسلامي سمى في ذلك الوقت "دار الآثار العربية" ضم جميع التحف التي جمعت من المنشآت الدينية والمباني الأثرية الأخرى وظلت هناك حتى تم إنشاء مبنى المتحف بباب الخلق الذي افتتح رسمياً في ٩ شوال سنة ١٣٢١هـ/٢٨ ديسمبر ١٩٠٣، وفي سنة ١٩٥٢ تغير اسم المتحف وأصبح اسمه "متحف الفن الإسلامي وحل محل المتحف بالجامع مدرسة أنشئت عرفت بمدرسة السلحدار الابتدائية[4].

وظل الجامع بحالته التي سبق وصفها إلى أن قامت لجنة حفظ الآثار العربية ببعض الإصلاحات المحدودة في دعامات الجامع وعقوده وأعادت بناء المبنى

---

(١) المقريزى: الخطط جـ٢ ص ٢٨٠.

(٢) آمال العمرى: على الطايش، المرجع السابق، ص ٧٦.

(٣) على باشا مبارك" الخطط الجديدة، جـ٤ ص ٨١، آمال العمرى- على الطايش، المرجع السابق، ص ٧٦.

(٤) أحمد فكرى: المرجع السابق جـ١ ص ٦٥، أحمد عبد الرازق: المرجع السابق ص ٢٤٤.

والقاطع ونزعت الكسوة الرخامية التي قام بعملها عمر مكـرم للمحـراب الأصـلي ووضعت على محراب حديث قامت بعمله اللجنة في الجهة الجنوبية مـن المحـراب الأصلي[1].

وفي السبعينات من القرن الماضي تقدمت جماعة البهرة الشيعية بطلب لهيئـة الآثار لترميم الجامع وإعادة الصلاة به، وبدأ ترميمه بالفعل وفق مشروع متكامـل، وتم إزالة المدرسة التي كانت بصحن الجامع، وتم تنفيذ مشروع الترميم الذي تضمن نقل زاوية أبى الخير الكليباتى من أمام مدخل الجامع إلى قرافة المماليـك، وتجـاوز منفذو المشروع فنفذوا بعض العناصر بشكل وأسلوب معمـاري لا يتفـق والـشكل الأصلي التي تضمنته الدراسة ومنها المحراب وبعض العناصر بالصحن.

عمارة الجامع:

- مواد البناء

استخدمت في إنشاء الجامع مواد بناء متنوعة أهمها الآجر الذي استخدم فـي بناء معظم دعامات وجدران الجامع وقبابه، كما استخدمت الأحجار في بنـاء بعـض الدعامات وبخاصة دعامات رواق القبلة المطلة على الصحن والمئـذنتين والمـداخل البارزة. هذا بالإضـافة إلـى اسـتخدام بعـض الأعمـدة المجلوبـة مـن عمـائر قديمة،وبخاصة المربع الذي يتقدم المحراب والذي كانت تـشغله المقـصورة. كمـا استخدم الجص في تكسية الجدران وعمل الشبابيك التي تغشى النوافذ بجدران الجامع والمجاز القاطع والقباب ببلاطة المحراب.

ولاشك أن استخدام الآجر كمادة أساسية في البناء كان في إطار شيوع استخدام هذه المادة في البناء دون الحجر في هذا العصر، وساعد اسـتخدامها فـي تحقيـق الرغبة في الارتفاع ببناء الجامع ارتفاعاً يناسب مساحته، ويرفـع سـقف الجـامع بالمستوى المطلوب وبخاصة وأن انخفاض سقف الجامع الأزهر كان محـل تعـديل

---

(١) أحمد عبد الرازق: المرجع السابق، ص ٢٤٤، آمال العمرى- علـى الطـايش: المرجـع السابق ص ٧٦.

ونقد. وساعد الآجر كمادة بناء في بناء الدعامات بالمستوى المطلوب، واستخدمت بقية المواد استخداماً ثانوياً محدداً تمثل في تكسية الواجهات وبناء المداخل والمئذنتين بالحجر الجيري الأبيض لتؤثر في المشاهد تأثيراً مطلوباً يُجسد عظمة البناء ومتانته ويعطي لواجهات الجامع اللون الأبيض للحجر الجيري، وهو اللون الذي وجد تفضيلاً لدى الفاطميين لبهائه وهو اللون الذي ارتبط بصورة أو بأخرى بأسماء المساجد الجامعة الأزهر والأنور والأقمر.

الوصف المعماري للجامع:

يشغل الجامع مساحة مستطيلة من الأرض يبلغ قياسها من الخارج ١٢٣,٧٨ متراً من الشمال إلى الجنوب وعرضها من الشرق إلى الغرب ١١٦ متراً. أما قياسها من الداخل فيبلغ ١٢٠,٧٨ متراً × ١١٣,٠١ متراً، وتخطيط الجامع عبارة عن أربعة أروقة تحيط بصحن مكشوف في الوسط، وقد بنى المسجد بالآجر كمادة بناء رئيسية حيث بنيت جدرانه الخارجية ودعاماته وقبابه بالآجر بينما استخدم حجر الثلاث في كسوة الواجهة الرئيسية، وبناء المداخل البارزة كالمدخل الرئيسي في الواجهة الغربية والمدخلين البارزين في الواجهتين الشمالية والجنوبية، كما استخدم في بناء المئذنتين واستخدم الخشب في الروابط التي تربط بين الدعامات عند مأخذ العقود، كما كان السقف الأصلي من الخشب ولكنه جدد حالياً كما كانت مصاريع الأبواب أيضاً من الخشب. هذا بالإضافة إلى المقصورة والمنبر اللذين كانا في الغالب من الخشب.

الوصف من الخارج:

الواجهة الرئيسية هي الواجهة الغربية وتشتمل هذه الواجهة على المدخل الرئيسي وهو مدخل بارز يتوسط هذه الواجهة. ويلاحظ ضخامة هذا المدخل حيث يبلغ اتساع واجهته ١٥,٥ متر وبروزها من سمت الواجهة ٦,١٦ متر، وهي قياسات تبلغ تقريباً ضعف قياسات المدخل البارز الرئيسي في جامع المهدية والتي تبلغ ٨,٥٥ × ٢,٩٨ متر.

ويبلغ ارتفاع بناء واجهة المدخل من مستوى الأرض الحالية ١١,٠ متراً وكتلة المدخل عبارة عن برجين يحصران بينهما ممرا معقودا بقبو برميلي قطاعه مـدبب، ويزخرف واجهات البرجين الأمامية والجانبية دخلات ضحلة تشتمل علـى أشـرطة زخرفية وكتابات كوفية،وقد برزت جماليات هذا المدخل بعد نقل القبة التـي كانـت أمامه إلى قرافة المماليك والتي ترجع إلى القرن ١٦ م،حيث بدت فخامة وضـخامة هذا المدخل بتشكيله الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتكوين العـام للواجهـة وبخاصـة الكتلتان البارزتان بطرفيهما، واللتان تغلفان المئذنتين.

ويكتنف هذا المدخل البارز من الجانبين بابان آخران مسطحان في كـل جانـب يبلغ اتساع كل منها ١,٩٧ بارتفاع ٣,١٤ متر أي أن نسبة الاتساع إلى الارتفـاع ١-٢ بالضبط[١]، وبذلك يكون عدد الأبواب هذه في الواجهة الرئيسية خمسة أبواب، وهذه الأبواب الخمسة كانت في العصر الفاطمي تستخدم بواسطة الخليفـة والجنـد المصاحبين له في موكبه دخولاً وخروجاً، ولاشك أن كثرة هذه الأبـواب فـي هـذه الواجهة على هذا النحو يسهل إلى حد كبير حرية الحركة لذلك العـدد الغفيـر مـن الحراس والجند الذين يأتون مع موكب الخليفة أثناء قدومه إلى الجامع لأداء صـلاة الجمعة كما جرى الرسم بذلك في العصر الفاطمي.

والواجهة الشمالية قد حجبها سور بدر الجمالي،ولكن فحص الجـدار الـشمالي للجامع يكشف من أن هذه الواجهة كانت تشتمل على ثلاثة مداخل أحدها عبارة عن مدخل بارز وإن كان بروزه قليلاً إذا ما قورن بالمدخل الرئيسي ويوجـد فـي هـذه الواجهة بابان آخران مسطحان أحدهما كما حدد كريـسويل موضـعه مـن خـلال تحرياته، وكان يجاور بدنة المئذنة مباشرة أي أنه كان يفتح على البلاطة الثانية في الرواق الغربي المقابل لرواق القبلة، والباب الثاني يفتح على البلاطة الوسطى فـي رواق القبلة، وكان بالواجهة الجنوبية التي جدد قطاع كبير منهـا وحجبتهـا أيـضاً وكالة قايتباي وبعض المباني الأخرى- ثلاثة مداخل أحدها يناظر مثيله في الواجهة

---

(١) Cerswell, Op. Cit., p. 72

الشمالية وعلى محوره ويبرز بروزاً بسيطاً إذا ما قورن بالمدخل البارز في الواجهة الغربية الرئيسة والبابان الآخران يرجح أنهما كان على محوري البابين في الواجهة الشمالية[١]. ولكن تبين أن أحد هذين البابين كان يفتح على بلاطة المحراب أي في المربع الذي يعلوه مباشرة القبة الجنوبية في بلاطة المحراب[٢]. كما كان يوجد بجدار القبلة بابان آخران[٣].

وبذلك يبلغ عدد أبواب الجامع ثلاثة عشر بابًا خمسة في الواجهة الرئيسية أشرنا إلى أنها في أيام الجمع التي كان يصلى فيها الخليفة بالجامع تستخدم بواسطة الخليفة وموكبه وحراسه وجنده، أما الأبواب الثمانية الأخرى فإنها كانت تسهل دخول وخروج المصلين الواردين من هذه الجهات، وبخاصة في أيام الجمع التي يصلى الخليفة بالجامع.

ويكشف وجود الأبواب في الواجهات الأربع للجامع من أن هذا الجامع عندما أنشئ لم تكن تلتصق بواجهاته مبان وهو أمر ساعد على تحقيقه بناء الجامع خارج السور الشمالي للقاهرة الذي أنشأه جوهر وقد التصقت به المباني بعد إنشائه وكانت بداية ذلك في العصر الفاطمي نفسه عندما أنشأ بدر الجمالي سور القاهرة الشمالي ملاصقاً للواجهة الشمالية للجامع فجمد استخدام ثلاثة من هذه المداخل وهي المداخل التي تقع في الواجهة الشمالية للجامع.

الوصف من الداخل:

يتوصل من المدخل الرئيسي للجامع بالواجهة الغربية إلى داخل الجامع ويتوصل إلى الصحن بعد المرور من خلال الرواق الغربي المقابل لرواق القبلة عبر استطراق يتوسط الرواق الغربي أرضية بنفس مستوى أرضية الصحن.

---

(١) Cerswell, Op. Cit., p. 76

(٢) أحمد فكرى، المرجع السابق، شكل ٧.

(٣) Cerswell, Op. Cit., p. 67.

الصحن:

مستطيل الشكل يبلغ قياس طوله ٧٨ متراً من الشمال إلى الجنوب وعرضه من الشرق إلى الغرب ٦٦ متراً. وهو ما يعنى أن مساحة الصحن تشغل ٥١٤٨ مترا مربعاً من أصل ١٣٦٥٦ متراً مربعاً هي مساحة الجامع كله أي أنه يشغل ٣٧,٦% من مساحة الجامع، وهي مساحة كبيرة أظن أنها كانت بهذا الشكل لتسع حركة موكب الخليفة وجنده وحرسه في داخل الجامع أثناء قدومه للصلاة بهذا الجامع الذي كان يبلغ أكثر من خمسة آلاف كما ورد في بعض الإحصاءات، ويلفت هذا التفسير الانتباه إلى مساحة صحون المساجد الجامعة التي كان يصلى فيها الخلفاء والحكام الذين اهتموا بالذهاب إلى الصلاة ضمن مواكب تضم الجمع الغفير من الحاشية والجند والحراس كجامع سامراء وجامع أبى دلف وجامع ابن طولون في مصر ويهمنا هذا الأخير الذي شغل مساحة من الأرض بلغت ٢٦١٤٤٤ متراً مربعاً شغل بناء الجامع منها بدون الزيادات ١٥٢٨٤ متراً مربعاً وشغل الصحن منها ٨٤٧٤ متراً مربعاً بنسبة ٥٥,٤% من مساحة الجامع.

هذا ويلاحظ أن صحن الجامع لم تنشأ به فسقية في العصر الفاطمي وإن كان إنشاء صهريج بصحنه قد حدث في العصر المملوكي[١] وفي ذلك ما يجعل صحن الجامع خالياً من أي فساق في العصر الفاطمي، وهو ما يتوافق والرغبة في تسهيل الحركة بالجامع أثناء تواجد الخليفة فيه لصلاة الجمع، كما يرتبط هذا التوجه في تسهيل الحركة بعدد الأبواب وتوزيعها بالواجهات الأربع كما أشرنا.

ويكشف الوضع الأصلي لصحن الجامع عن أهمية المحافظة عليه لارتباطه بدلالات وظيفية محددة مرتبطة بثقافة العصر الفاطمي ومن هنا تجب إزالة الوحدات المعمارية التي أضيفت بعد الترميمات الأخيرة التي حدثت بالجامع[٢].

---

(١) أنشئ بالصحن بعد ترميم الجامع فسقية وجوسق بالجهة الشمالية الغربية من الصحن، وتعتبر إضافة مزيفة داخلة على عمارة الجامع الأصلية.

(٢) آمال العمرى، على الطايش، المرجع السابق، ص ٨١.

رواق القبلة :

تحيط بالصحن أربعة أروقة أكبرها رواق القبلة الذي يتكون من خمس بلاطات موازية لجدار القبلة يقطعها في الوسط مجاز قاطع عمودى على المحراب لإظهار أهميته ولتحديد مسار موكب الخليفة إلى المقصورة التي كانت تشغل المربع الذي يتقدم المحراب، ويقطع هذا المجاز تسلسل ٤ عقود ثلاث باتكات من البائكات الخمس التي تفصل بين البلاطات وهي البائكات الثانية والثالثة والرابعة على الترتيب من جهة الصحن في اتجاه المحراب ويبلغ اتساع البلاطات فيما عدا بلاطة المحراب ٥ متر بينما بلغ اتساع بلاطة المحراب ٦ متر وهو نفس اتساع المجاز القاطع العمودي عليها وقد حكم هذه المقاييس الحرص على توفير مساحة مربعة تقوم عليها القبة التي تعلو المربع الذي يتقدم المحراب، ويرتفع سقف المجاز القاطع بمقدار ١٣,٩٢ متراً عن مستوى أرضية الرواق بينما يبلغ ارتفاع سقف البلاطات ١١,٤٢ متراً، وهذا الفارق بين ارتفاع سقف المجاز القاطع وسقف بقية بلاطات الرواق ساعد على عمل صفين من النوافذ في الجانبين يساعدان على زيادة الإضاءة الطبيعية لرواق القبلة باعتباره أعمق الأروقة خصوصًا في منطقة المجاز القاطع التي يمر منها الخليفة متوجهاً إلى المقصورة، وكذلك العودة منها عند خروجه، وعملت لهذه النوافذ شبابيك جصية بقيت بعض نماذجها التي ترجع إلى ترميمات بيبرس الجاشنكير.

وهنا يجب الإشارة إلى أن المجاز القاطع الذي ضمن تخطيط بعض المساجد الجامعة للخلفاء والحكام يرتبط غالباً بما جرت عليه العادة بخروج الخليفة أو الحاكم في موكبه للصلاة بالمسجد الجامع كإمام للمسلمين، ويعتبر الجامع الأموي بدمشق سنة ٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م وهو النموذج الأول الواضح الذي اتضح منه هذا التخطيط.

وكانت الإرهاصة السابقة لهذا النموذج هو ما تم أيضاً في مسجد الرسول ﷺ في المدينة المنورة (٨٨-٩٦هـ/ ٧٠٥-٧١٥م) حيث يذكر ابن عبد ربه في وصفه لرواق القبلة ما نصه "وقبالة المحراب موسطة البلاطات بلاط مذهب كله شقت به

البلاطات من الصحن إلى أن ينتهي إلى البلاط الذي بالمحراب ولا يشقه"[١].

وفي هذا النص ما يشير إلى أن المعمار الأموي قد جعل الجوائز الخشبية التي تعلو الأعمدة التي تكنف البلاطة المؤدية للمحراب والتي عرفها "بموسطة البلاطات" أو ما يطلق عليه اصطلاحاً المجاز القاطع أي القاطع للبلاطات الموازية لجدار القبلة جعل هذه الجوائز عمودية على جدار القبلة، واهتم بزخرفة السقف الذي يعلو هذه البلاطات اهتماماً خاصاً فذهبه. وهنا تجب الإشارة إلى أن هذه الجوائز الخشبية مناظرة العقود التي تعلو الأعمدة في المجاز القاطع في الجامع الأموي وغيره من الجوامع التي بها مثل هذا المجاز، وقد شكلت هذه الجوائز العمودية مع الجوائز التي تعلو بلاطة المحراب والموازية في وضعها لجدار القبلة مربعاً كان يعلوه قبة خشبية ضحلة أشار إليها سوفاجيه وهو محق في إشارته في ضوء وصف ابن عبد ربه الذي ذكر أنه "في البلاط الذي يلي المحراب مما يلي جدار القبلة والذي كانت تحف به المقصورة تذهيب كثير في وسطه سماء كالترس المقدر مجوف كالمحار مذهب"[٢].

وفي إطار ذكر مسجد الرسول ﷺ تصف الروايات التاريخية زيارة المسجد وكيفية وقوف حرسه وجنده على جانبي هذا المجاز في رواق القبلة واستمر في القطاع المقابل في الرواق الخلفي بهيئة تجسد وظيفة هذا المجاز الذي يمر منه

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين وآخرين، القاهرة: نشر وطبع لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثالثة، جـ٦ ص ٢٦٠.

(٢) ابن عبد ربه: المصدر السابق، ص ٢٨٨، وقد جانب محمد حمزة الحداد الصواب في فهم هذا النص فخطأ سوفاجيه وساق مبررات غير منطقية تركز على عدم إنشاء قبة تعلو المربع الذي يتقدم المحراب لعدم وجود عقود وكأن الجوائز الخشبية الموازية والعمودية على جدار القبلة مع جدار القبلة لا تقوى على حمل قبة خشبية ضحلة؟! (محمد حمزة الحداد، عمارة المسجد النبوى الشريف. دراسة جديدة في ضوء مشاهدات ابن عبد ربه الأندلسي، نشر الجمعية التاريخية السعودية، الإصدار الأول، الرياض، ١٩٩٩، ص ص ٣٦-٣٧.

الخليفة حتى ينتهي إلى محراب المسجد عبر هذا البلاط، وهو ما يشير إلى صحة تسميته في المصطلح الأثرى بالمجاز القاطع فهو مجاز قاطع إنشائياً ووظيفياً كما اتضح من العرض السابق، ويتضح أنه لا سبيل إلى إنكار صحة هذا المصطلح[1].

ويوجد ببلاطة المحراب ثلاث قباب، واحدة تعلو المربع الذي يتقدم المحراب والأخريان طرفا هذه البلاطة، وهكذا يتضح أن تخطيط رواق القبلة بما يشتمل عليه من مجاز قاطع وثلاث قباب في بلاطة المحراب يشبه ما كان عليه تخطيط رواق القبلة في الجامع الأزهر قبل إضافات الحافظ لدين الله، وقد تم ترميم هذه القباب ومناطق الانتقال التي تحول مسقطها المربع إلى مسقط مثمن تم بواسطة حنيات ركنية وهي من أقدم نماذج الحنيات الركنية في العمارة الفاطمية القاهرية الباقية، وتعتبر من أقدم الأساليب الفاطمية التي استخدمت في تحويل المسقط المربع إلى مسقط مستدير تقوم عليه القبة حيث استخدم الفاطميون أساليب أخرى كالمثلثات الكروية والمقرنصات، وتحصر هذه الحنايا بينها أربع نوافذ معقودة ثم يعلو ذلك رقبة القبة التي يتخللها ثماني نوافذ لها ستائر جصية، ويؤطر هذه الستائر إطارات بها كتابات كوفية مورقة.

ويتوسط جدار القبلة حنية المحراب الذي يتقدم طاقيتها عقد مدبب يرتكز على عمودين من الرخام يكتنفان الحنية بتيجان وقواعد ناقوسية الشكل،وقد جدد المحراب ضمن مشروع ترميم الجامع على يد جماعة البهرة فزخرفت طاقيته بزخارف نباتية مذهبة مشابهة لتلك الزخارف في محراب الجامع الأزهر، وأحيط إطار عقد حنية المحراب من الداخل والخارج بكتابات كوفية مورقة نص الشريط الداخلي بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾

---

(١) يعترض محمد حمزة الحداد على هذا المصطلح (المجاز القاطع) وحاول جاهداً إثبات خطئه، رغم إشارات المصادر إلى وصفه إنشائياً ووظيفياً بصورة يتضح منها سلامة التسمية في ضوء ما ذكرنا. محمد حمزة الحداد،المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية،مكتبة زهراء الشرق،القاهرة،ص ص ٦٦-٦٨.

لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[1]. ونص الإطار الخارجي قوله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾[2].

وكان محراب الجامع قبل الترميم عاريًا من الزخرفة وما حدث من ترميم في المحراب لا يستند إلى أسس علمية صحيحة، حيث خلت المصادر التي بين أيدينا من أي توصيف لهذا المحراب يساعد على تصور شكله الأصلي، كما أننا لا نستطيع أن نقرر أن هذا المحراب كان بنفس شكل وهيئة محراب الجامع الأزهر.

ويوجد محراب آخر بالقطاع الجنوبي من جدار القبلة وهذا المحراب يرجع إلى تجديدات السيد عمر مكرم ١٢٢٢هـ- ١٨٠٧م الذي تولى نظارة هذا الجامع وجدد أربع بائكات من رواق القبلة وعمل هذا المحراب، وقد قامت لجنة حفظ الآثار العربية بتجديد هذا المحراب على غرار المحاريب المملوكية،ويعلو عقد حنية المحراب نص تجديد من ثلاثة أسطر تتضمن تاريخ وتجديد الجامع وعمل المحراب[3].

الرواق الغربي:

يتكون هذا الرواق من بلاطتين موازيتين لجدار القبلة بواسطة بائكتين تتكون البائكة التي تطل على الصحن من سبعة عشر عقدًا ترتكز على ست عشرة دعامة، أما البائكة الداخلية فيقطعها في الوسط الاستطراق الذي يخترق هذا الرواق ليصل الداخل إلى الجامع من المدخل الرئيسي إلى الصحن، وهذا الاستطراق على محور المجاز القاطع وبنفس اتساعه وفي هذا التخطيط ما يؤكد تخطيط المدخل الرئيسي البارز بالواجهة الغربية بهذا الاستطراق وارتباط كل منهما بتخطيط الصحن ثم

---

(١) قرآن كريم، سورة الأنعام، الآيتان ١٦٢، ١٦٣.

(٢) قرآن كريم، سورة المؤمنون، الآيات ١: ٣.

(٣) أحمد عبد الرازق: المرجع السابق، ص ٢٤٣، آمال العمرى، وعلى الطايش، المرجع السابق، ص ٨٣.

المجاز القاطع الذي ينتهي إلى المقصورة التي تتقدم المحراب وتحدد هذه الوحـدات جميعها حركة سير موكب الخليفة عند القدوم للصلاة بالجـامع. ويـشغل الـركنين الشمالي والجنوبي من البلاطة الداخلية بروز بناء البدنة التي أنشئت في عهد الحاكم حول كل من المئذنتين الشمالية والجنوبية،ويوجد بالجدار الشرقي لكل منهـا فتحـة باب تتوصل منها كل منها إلى مئذنة، كما يوجد بالجدار الشمالي في هـذه البائكـة الداخلية فتحة باب رجح كريسويل أن يكون هناك مناظر لها بالجهة الجنوبية.

الرواقان الشمالي والجنوبي:

متشابهان جملة وتفصيلاً حيث يتكون كل منهما من ثلاث بلاطات عمودية على جدار القبلة بواسطة ثلاث بائكات بكل بائكة تسعة عقود ترتكز على ثماني دعامـات ويتوصل إلى هذين الرواقين من الصحن كما كان يتوصل كل منهما مـن المـدخلين البارزين بروزاً خفيفاً في كل من الواجهتين الشمالية والجنوبية ولكـن يلاحـظ أن وجود هذين البابين اللذين يؤديان إلى كل من الرواقين لم يستتبعه وجود ممر يخترق أيا من الرواقين كما هو الحال في الرواق الغربي،كما أن عقود البائكات في الرواقين استمرت دون انقطاع كما حدث في الاستطراق بالرواق الغربي وفي ذلك ما يشير إلى أهمية تمييز الاستطراق في الرواق الغربي والذي ارتبط تخطيطه كما أوضحنا بحركة موكب الخليفة في الدخول إلى الجامع أو الخروج منه بعد الصلاة.

وبالرغم من ذلك يلاحظ أن الأبواب الثلاثة في إطار تخطيط محوري وهو تخطيط له مثال سابق في الجامع الأموي بدمشق[1]، ويتكرر في هذا الجامع ثم نجد أمثلـة لاحقة له في جامع الصالح طلائع بالقاهرة ٥٥٥هـ/١١٦٠م ثم في جـامع الظـاهر بيبرس بحي الظاهر بالقاهرة عام ٦٦٣-٦٦٧هـ/١٢٦٦-١٢٦٨م، ثم تكـرر فـي مسجد البقلى في نهاية القرن ١٣م، وفي جامع المارداني ٧٣٩-٧٤٠هـ/ ١٣٣٩-

---

(١) يرى كريسويل أن هذا التخطيط في الجامع الأموي مرتبط في الأصل بتخطيط أبواب معبـد جوبيتر الذي أنشئ في موضعه وبحدود الجامع الأموي.

Creswell, Op. Cit., p. 101.

١٣٤٠م، وفي أمثلة أخرى[١].

وتشتمل جدران الجامع المحيطة بالأروقة في الثلث العلوي منها على نوافذ معقودة بعقود مدببة تغشيها ستائر جصية بتصميمات زخرفية هندسية ونباتية، ويلاحظ أن هذه النوافذ على محاور فتحات عقود بائكات الأروقة وفي ذلك تطور واضح عما كان عليه الحال في نوافذ جامع ابن طولون التي لم تكن على نفس محاور العقود فقلل هذا القصور في التخطيط من نسبة كفاءة إضاءة هذه النوافذ وتهويتها للأروقة.

ويتوج واجهات الأروقة الأربعة المطلة على الصحن شريط ضيق به عناصر زخرفية مفرغة قوامها وريدات وأشكال هندسية مضلعة يعلوها شرافات مسننة في هيئة هرمية مدرجة تبلغ عدد درجاتها خمس درجات ويتوسط كل شرافة فتحة صغيرة، وهذا النمط من الشرافات المسننة وجدت أمثلة سابقة له في العمارة الإسلامية في العصر الأموي في قصر الوليد بالمنية، وفي قصر خربة المفجر بالشام ثم في سامراء[٢]. ووجد في الفنون التي ترجع إلى ما قبل العصر الإسلامي في الفن الساسانى كعنصر زخرفي، ويرتد هذا التواجد إلى أصول آشورية وقد أثبت المسح الأثرى للآثار القديمة في المملكة العربية السعودية وجود نماذج من هذه الشرافات في آثار أقدم من تلك التي ترجع إلى العصر الآشوري، وبناء على ذلك فإن هذا العنصر يمكن اعتباره ذا أصول عربية قديمة من العناصر العربية القديمة التي تأثر بها الفن والعمارة في العصر الإسلامي[٣].

ويتضح إلى حد بعيد تأثر عمارة أروقة جامع الحاكم بجامع أحمد بن طولون خصوصًا في استخدام الدعامات كعناصر إنشائية حاملة وإن كان الفحص المعماري

(١) Creswell, Op. Cit., p. 101.

(٢) Creswell, Op. Cit., p. 102.

(٣) للاستزادة راجع، وزارة المعارف في المملكة العربية السعودية، مقدمة في آثار المملكة العربية السعودية.

للدعامات في جامع الحاكم يكشف عن استخدام الحجر في دعـامتين بواجهـة رواق القبلة، كما أن المساقط الأفقية للدعامات تنوعت تنوعـاً ارتـبط بتخطـيط الأروقـة وبخاصة رواقا القبلة والرواق المقابل له، وتحديداً في الاسـتطراق الـذي يختـرق الرواق الغربي وكذلك المجاز القاطع وقبة المحراب في رواق القبلة، ويمكن حـصر هذه المساقط على النحو التالي:

١) الدعامات المطلة على الصحن مستطيلة المسقط بها أعمدة مدمجة من الجهـة الداخلية المطلة على الأروقة.

٢) الدعامات التي تحمل البائكات في كل الأروقة تشبه دعامات جامع أحمـد بـن طولون وإن اختلفت نسبياً في أشكال الأعمدة المدمجة التي تخلو مـن وجـود أشكال القواعد والتيجان، وهذا هو النمط الشائع.

٣) دعامات على شكل حرف T وجد اثنتان منها في الاستطراق بالرواق الغربـي في البائكة الداخلية، كما وجد منها ثمانية في المجاز القاطع برواق القبلة.

٤) دعامات مسقطها على شكل حرف L وجد منها أربع دعامـات اثنتـان فـي الرواق الغربي بواجهة الاستطراق المطلة على الصحن ويماثلهما اثنتان فـي الواجهة المقابلة للمجاز القاطع.

وهكذا يتضح أن الدعامات التي جاء مسقطها الأفقي على هيئة حرف T وحرف L ارتبط تخطيطها إنشائياً بالوحدات التي تحـدها كالاسـتطراق بـالرواق الغربـي والمجاز القاطع.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن استخدام الدعامات في جامع الحـاكم سـاعد علـى الارتفاع بسقف الجامع والمجاز القاطع ارتفاعاً كبيراً قصد تحقيقه ليتناسب مع اتساع وكبر مساحة الجامع، ولا يبدو منخفضاً كما كان عليه الحال في الجامع الأزهر، وهو أمر كان مثار نقد -كما أشرنا-، كما أن هذه الدعامات بحجمها الضخم كانت تجـسد تأثير ضخامة عمارة هذا الجامع وهو تأثير قصد في كثير من العناصـر والوحـدات المعمارية، في هذا الجامع كالمدخل الرئيسي والمئذنتين بطرفي الواجهة وارتفـاع سقف الجامع والمجاز القاطع والقباب التي ببلاطة المحراب وهو أمـر أشـرنا إلـى

توجه الخلفاء الفاطميين لتحقيقه في عمائرهم.

ومن الأمور المهمة أيضاً التي تجب الإشارة إليها هو أن استخدام الدعامات بهذا الحجم كان من شأنه التأثير على مساحة الجامع التي تستخدم للصلاة حيث إنها تمثل مساحة لا بأس بها من مساحة الجامع، ويبدو أن ذلك كان له علاقة بكبر مساحة الجامع تعويضاً للمفقود من المساحة بسبب إنشاء هذه الدعامات وهو ذات الأمر الذي حدث في جامع سامراء وأبى دلف وجامع أحمد بن طولون، ويفسر هذا ضخامة مساحة أروقة هذه الجوامع[١].

المئذنتان:

بنى للجامع مئذنتان في طرفي الواجهة الغربية الرئيسية، ويعكس وضع المئذنتين في طرفي الواجهة تأثراً بجامع المهدية - كما سبقت الإشارة- وقد بنيت هاتان المئذنتان بالحجر المنحوت ثم أعيد بناء الجزء العلوي الذي سقط بفعل زلزال سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م بالآجر ويشكل متفق وطراز المآذن في هذه الفترة.

وقد مرت عمارة هاتين المئذنتين بمراحل معمارية مهمة سواء في العصر الفاطمي أو العصر المملوكي، ومن ثم يجدر دراستهما تفصيلاً وسنعرض من خلال هذه الدراسة لأمرين:

أولاً: التكوين المعماري للمئذنتين اللتين شيدهما الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م.

ثانياً: الهدف من بناء الغلاف "البدنة" حول المئذنتين وما نتج عنه من إخفاء القطاع السفلي من كل منهما وذلك بعد مرور إحدى عشرة سنة من بناء هاتين المئذنتين.

---

(١) راجع محمد عبد الستار عثمان، أضواء على أهمية الإنشاء في تاريخ العمارة الإسلامية. مجلة العصور، لندن. دار المريخ للنشر. المجلد الخامس. الجزء الثاني، ١٩٩٠، ص ص ٢٤٢-٢٤٣.

ففيما يتعلق بالتكوين المعماري فإن كلا المئذنتين تختلف عن الأخرى مع أنهما قد وضعتا في مكانين متماثلين للمحور الرئيسي للجامع والذي يحدد بالمدخل الرئيسي البارز في وسط الواجهة الغربية الرئيسية، وكان المتوقع أن يكون تصميمهما واحداً أو على الأقل ينحصر الاختلاف إذا ما وجد - في التفاصيل الزخرفية وليس في التكوين والكتلة والخطوط الرئيسية خصوصًا أننا نعرف أن التماثل في العمارة والفنون الإسلامية قاعدة عامة، ولكن حدث أن تغاضى المعماريون عن هذه القاعدة عند بناء المئذنتين، فالمئذنة الشمالية تتكون من قاعدة ذات مسقط مربع يبلغ طول ضلعها ٨ متر وترتفع ٤ متر في هيئة منشورية ويعلو هذه القاعدة بدن أسطواني يبلغ ارتفاعه ٢٦ متراً. أما الجزء الذي استحدث في عهد بيبرس الجاشنكير فمبنى بالآجر وتعلوه مبخرة ويبلغ ارتفاع هذا الجزء المضاف ١٧ مترًا وبذلك يكون ارتفاع المئذنة ٤٧ مترًا تقريباً ويظهر بالبدن الأسطواني ظاهرة معمارية جميلة تقلل من استقامة النظر مع الارتفاع وهي أن هذا البدن مقسم إلى تسع طبقات أسطوانية يبدأ القطاع الأول من أسفل والذي يلي القاعدة ذات المسقط المربع بقطر اسطوانى حوالي ٧,٥ متر يقل تدريجياً في الطبقات التالية حتى القطاع الثامن فيكون القطر ٦,٥ متر.

أما المئذنة الغربية فقاعدتها ذات مسقط مربع يبلغ ارتفاعها ١٤ مترًا يعلوها خمسة طوابق بارتفاع ١٢ مترًا وقطاع هذه الطوابق مسقطه مثمن الشكل وليس مربعاً ويضيق تدريجياً كلما ارتفعنا حتى أن الطابق الخامس يقل عن الطابق الأول ١,٢٥ متر ثم يلي ذلك الجزء الذي بناه بيبرس الجاشنكير ويرتفع حوالي ١٤ متر ويتكون من طابقين مثمنين وبهذا يبلغ ارتفاع المئذنة ٤١ مترًا، كذلك من المفارقات في هاتين المئذنتين أنه على الرغم من وجود سلم حلزوني داخلي مستدير في كل من المئذنتين فإن العمود الأوسط الذي تلتف حوله السلالم في المئذنة الأسطوانية الشمالية مسقطه مربع أما في المئذنة الجنوبية فمسقطه مستدير.

وبعد عرض الوصف المعماري للمئذنتين الذي يشير إلى مفارقات في التصميم العام والعناصر المعمارية إلى جانب المفارقات في التوزيع الزخرفي وعناصره، فإن

في ذلك مثالا واضحا على إبداع المعمار المسلم الذي اختلف من مئذنة إلى أخرى، وهو أمر يجعلنا حريصين على تعميم مبدأ السمترية في الشكل العام والتفاصيل، كما يؤكد أيضاً حقيقة ما قد تقع فيه من خطأ عند إعداد مشروعات الترميم لوحدات وعناصر معمارية متشابهة وترجع إلى عصر واحد. فالغالب أن تنوع الإبداع كان وراء هذه المفارقات الكبيرة الأمر الذي ربما استرعى نظر الخليفة الحاكم بعد مرور إحدى عشرة سنة فقرر التخلص من هذا التنافر أو على الأقل التخفيف من حدته فيعمل الغلاف الخارجي الذي أطلق عليه المقريزى لفظ "البدنة"حول كل من المئذنتين فاختفي داخل كل بدنة ذلك الجزء الأسفل من المئذنة وهو الجزء الذي كان يتمثل فيه التنافر والتباين على أشده فضلاً عن أن بناء الغلافين المتماثلين بارتفاع الواجهة العمومية قد أحدث انسجاماً معمارياً وتآلفاً في تلك الواجهة عند طرفيها البارزين[1]، أما الجزءان العلويان اللذان بقيا ظاهرين من المئذنتين فإن الاختلاف بينهما لم يكن كبيراً للدرجة التي تستدعى إخفاءها بل كانا متقاربين فأحدهما مثمن في المئذنة الجنوبية والثاني مستدير في الشمالية ولم يكن بينهما جدار يصلهما ببعضهما البعض حتى يبرز التباين بينهما بشكل واضح كما هو الحال في الجزء الأسفل في كل من المئذنتين.

وقد جاء زلزال ٧٠٢هـ/١٣٠٢م فأسقط الأجزاء العلوية من المئذنتين فأسند إلى الأمير بيبرس الجاشنكير أن يبادر بإصلاح الجامع فأضاف النهايات العليا الجديدة فوقهما ومن ثم تطلب الأمر القيام بعدة أعمال متتابعة في أعمال الإصلاح فبدأ العمل في كل مئذنة منهما ببناء ركن رابع يكمل الجزء الناقص في الغلاف الخارجي لأن الغلاف الخارجي كان من ثلاثة جوانب وكان قد بنى جانبان منه في عصر الحاكم وقفاً عند تقابلهما مع الجدار الخارجي للجامع، وكان الهدف من بناء ذلك الركن الناقص وإكمال مربع الغلاف القديم هو وضع غلاف آخر فوقه شيد في أعلاه من

(١) هناك تفسيرات عقائدية ودينية يطرحها الباحث محمد مرسى لهذا الموضوع في رسالته للدكتوراه عرضها علي لها وجهاتها، ويمكن للقارئ متابعتها بعد مناقشة الرسالة أو نشرها.

الداخل عقود قوية تسند الأطراف العليا من الجزء الباقي من بدن المئذنة الفاطمية ويلاحظ هنا براعة المعمار المسلم الذي وضع عقود التقوية وكيف عالج دوران المئذنة وربطه بالبدنة بواسطة روابط خشبية وبناء ركائز ترتكز عليها مثل هذه العقود حتى ييسر الصعود إلى الأجزاء العليا من المئذنة قام بعمل سلم خارجي يدور حول بدن المئذنة وتغليف البدنتين المضافتين من الداخل، ويلاحظ أن أوجه هذا المكعب الجديد ليست رأسية بل تميل إلى الداخل بشكل هرمي مخفف إذ تضيق الأضلاع العليا عن الأضلاع السفلى عند القاعدة ثم جاءت خطوة الإصلاح التالية بأن ملئت جميع الفراغات المحصورة بين بدن المئذنة وبين جدران المكعب العلوي والسفلي بالدبش الغشيم وذلك زيادة في تدعيم ما تطرق إليه التصدع في بدن المئذنة حتى أصبح البدن كله كتلة واحدة مع المكعبين فيما عدا السلم الحلزوني الداخلي الذي سدت نوافذه كلها فخيم الظلام الحالك فيه، غير أنه تم منذ عهد قريب إزالة هذه الحشوة البنائية وإظهار بدني المئذنتين وما عليهما من زخارف فاطمية رائعة.

وتبع ذلك مرحلة رابعة وأخيرة وهي بناء النهاية العليا الجديدة لكل من المئذنتين وهي النهايات التي تظهر اليوم واضحة للعيان، وشيدت بالآجر تبعاً للتصميم المعماري والزخرفي في عصر بيبرس الجاشنكير وهي عبارة عن جوسق مثمن في كل ضلع منه فتحتان للإضاءة ذات عقود زخرفية ويتوج هذا الجوسق مجموعات من صفوف المقرنصات الصغيرة في حطات متتابعة ويعلو ذلك القبة الصغيرة أو "المبخرة" وعلى الرغم مما يدور من تماثل بين نهايتي المئذنتين فإن هناك اختلافاً في التفاصيل بينهما من الناحية الزخرفية وأشكال المقرنصات.

ونموذج المبخرة هذا بدأ في الانتشار بنهايات المآذن منذ منتصف العصر الفاطمي وطوال العصر الأيوبي إلى منتصف عصر المماليك البحرية، ثم أخذ يختفي ليحل محله نموذج "القلة" إلى نهاية عصر المماليك الجراكسة وأوائل العصر العثماني ثم ظهر نموذج "المسلة".

والواقع أن سقوط النهايتين العلويتين لمئذنتي جامع الحاكم أضاع حلقة مهمة كان يمكن من خلالها تتبع شكل القمة العلوية لهاتين المئذنتين اللتين تعتبران من

أقدم المآذن الباقية في العمارة الإسلامية بمصر.

وبالرغم من هذا التتبع الواضح لمراحل تاريخ عمارة هاتين المئذنتين ووصف للتفاصيل المعمارية والزخرفية لكل منهما، وبخاصة وصف كريسويل الدقيق فإن محاولات الباحثين المهتمين بتأصيل الأشكال المعمارية وإبراز التأثيرات المتبادلة بين مناطق العالم الإسلامي في مجال العمارة والفنون قد انتهت إلى آراء يحسن أن نعرض لبعضها.

فقد أشار بعض الباحثين إلى أن إحاطة مئذنتي جامع الحاكم ببدنتين تأخذان هيئة شكل هرمي خفيف يحيط بقاعدة كل منهما كان شائع الوجود في غرب العالم الإسلامي ويرون أن ذلك كان في سلسلة مترابطة تبدأ من مئذنة الجامع الكبير بالقيروان سنة ١٠٥-١٠٩هـ/ ٧٢٤-٧٢٨م، وفي منارة جامع سوسة ٢٤٥هـ/٨٥٩م وفي منارة الجامع الكبير بقرطبة، وفي منارة جامع صفاقص ٣٧٠هـ/ ٩٩٨م[١]. وهي مقارنات تغفل الشكل الأصلي للمئذنتين قبل بناء البدنة الخارجية السفلى في عهد الحاكم والعليا في عهد بيبرس الجاشنكير واختلاف هذا الشكل من النماذج التي سبقت للتدليل على التشابه وكذلك اختلاف التخطيط المعماري.

وسار على نفس النهج باحث آخر يذكر أن مئذنتى جامع الحاكم تعدان تطوراً محلياً لمآذن مسلمة بن مخلد- المربعة- في جامع عمرو بن العاص التي أنشأها سنة ٥٣هـ/ ٦٧٣م[٢]، وتحقيق هذا الرأي يحتاج إلى أن نتعرف أولاً على شكل وتخطيط مآذن مسلمة الذي لم يتبق منها أي أثر.

كذلك عرض بعض الباحثين إلى المدخل البارز في جامع الحاكم وأصوله الأولى

---

(١) عبد الناصر يسن: المرجع السابق، ص ٧٦٩.

(٢) عبد الله كامل موسى، تطور المئذنة بمدينة القاهرة من الفتح العربي حتى نهاية العصر المملوكي، دراسة معمارية مقارنة مع مآذن العالم الإسلامي، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية الآثار جامعة القاهرة، ١٩٩٤، ص ٦٧٣، عبد الناصر يسن، ص ٦٧٩.

في العمارة الإسلامية وعرضوا نماذج لمداخل بعض القصور كمدخل قصر المشتى ببادية الشام سنة ١٢٥-١٢٦هـ/ ٧٤٤-٧٤٥م، وفي قصر الأخيضر ١٦١هـ/٧٧٨م وخان عطشان بالعراق[١]. وفي ذلك تجاوز واضح وإغفال لوظيفة الأثر فوظيفة المداخل البارزة في القصور تختلف من وظيفة المداخل البارزة في المساجد، والصحيح أن يؤصل للمداخل البارزة في المساجد بنماذج أقدم في مساجد أخرى، كما أننا يجب أن نضع في الاعتبار المناخ الثقافي الذي يحكم هذه الظاهرة أو تلك في هذا العصر أو ذاك وفي هذه البلد أو تلك، وهو أمر يغفله كثير من الباحثين الذين يركزون على الشكل دون الوظيفة.

ومن الواضح أن هذا التوجه نحو تأصيل المئذنتين والمدخل قد اجتزأ عنصراً من عناصر الواجهة دون اعتبار للاتصال العضوي لهذا العنصر بالتكوين المعماري للواجهة ونظر إلى كل جزء على حدة مع أن الواجهة - كما أشرنا في تحليل واجهة جامع المهدية المشابهة- تكوين متأصل وظيفياً وجمالياً وإنشائياً، وربما ارتبط بالمذهب الشيعي كما يرى أحد الباحثين[٢]، وفي إطار هذا التوجه يبقى التأصيل محصوراً بنموذج جامع المهدية الذي تهدمت مئذنتاه ولم يتبق إلا أساساتهما.

زيادة جامع الحاكم:

أشار القلقشندى إلى أن الخليفة الظاهر ابن الخليفة الحاكم (٤١١-٤٢٧هـ/١٠٢١-١٠٣٦م) بنى إلى جانب جامع الحاكم زيادة لكنه لم يكملها، ثم ثبت في الدولة الصالحية نجم الدين أيوب (٦٣٧-٦٤٧هـ/ ١٢٤٠-١٢٤٩م) أنها من الجامع وأن بها محراباً، فانتزعت ممن هي معه وأضيفت للجامع وبنى عليها ما هو موجود الآن في الأيام المعزية أيبك التركمانى (٦٤٨-٦٥٥هـ/١٢٥٠-١٢٥٧م)

(١) عبد الناصر يسن، المرجع السابق، ص ٧٧٠.

(٢) يعرض لهذا الموضوع أيضاً الباحث محمد مرسى في رسالته للدكتوراه، ويمكن للقارئ مطالعة رأيه بعد مناقشة الرسالة أو نشرها.

ولم تسقف"[1]. وقد أشار المقريزى أيضاً إلى هذه الزيادة إشارة مختصرة عند حديثه عن المدرسة الصيرمية فقال إن "هذه المدرسة من داخل باب الجملون الصغير بالقرب من رأس سويقة أمير الجيوش فيما بينها وبين الجامع الحاكمى بجوار الزيادة- بناها الأمير جمال الدين شويخ بن صيرم أحد أمراء الملك الكامل محمد بن أبى بكر بن أيوب وتوفي في تاسع صفر سنة ست وثلاثين وستمائة"[2]. وفي موضع آخر ذكر المقريزى في حديثه عن سوق الجملون الصغير "أن هذا السوق يسلك فيه من رأس سويقة أمير الجيوش إلى باب الجوانية وباب النصر ورحبة باب العيد ومجاور لدرب الفرجية وفيه المدرسة الصيرمية وباب زيادة الجامع الحاكمى"[3].

وفي ضوء ما ذكره كل من القلقشندى والمقريزى عن زيادة جامع الحاكم يتضح أن هذه الزيادة أضيفت للجامع في عهد الخليفة الفاطمي الظاهر ولكن لم يتم بناؤها، وحدث عليها تعدى في العصر الأيوبي وفي عهد الصالح نجم الدين أيوب تم إزالة هذا التعدي لتضم من جديد إلى الجامع، ثم يستطرد القلقشندى ليذكر أن حدث بها إضافات معمارية وأن المباني التي بها الآن (في عصر القلقشندى ت ٧٥٦-٨٢١هـ/ ١٣٥٥-١٤١٨م) من عصر المعز أيبك التركماني.

من الناحية المعمارية يتضح أن هذه الزيادة كان لها باب حددت رواية المقريزى موضعه بالقرب من سوق الجملون الصغير وهو أقرب موضع من زاوية أبى الخير الكليباتى[4] التي هي في الأصل باب زيادة جامع الحاكم مع تعديله والإضافة إليه موضع قبر أبى الخير الكليباتى والتي تقع على بعد ٦٠ متراً من الجهة الجنوبية من المئذنة الجنوبية لجامع الحاكم مطلة على شارع المعز لدين الله الفاطمي،ويبدو أن هذا الباب كان هو الباب الوحيد لهذه الزيادة- في عهد المقريزى- على الأقل حيث

---

(١) القلقشندى: صبح الأعشى،جـ٣ ص ص ٣٦٠-٣٦١

(٢) المقريزى: خطط جـ٢ ص ٣٧١.

(٣) المقريزى: خطط جـ٢ ص ١٠١.

(٤) Rymond et Wiet, Op. Cit., Plan III.

إن سياق رواية المقريزى يومئ إلى ذلك، كما تفيد الرواية أن هذه الزيادة كان بها محراب كما أنها كانت غير مسقوفة أي أنها في ذلك كانت مماثلة لزيادات جامع ابن طولون ومن قبله جامعي سامراء وأبى دلف لكنها كانت في جهة واحدة هي الجهة الجنوبية، كما أنها تميزت بوجود بوابة ضخمة في الركن الجنوبي الغربي، كما أن الجدار الشرقي لهذه الزيادة كان به محراب وهو ما يعنى أن هذه الزيادة التي أضيفت للجامع كانت لتوفر مساحة أكبر للمصلين الذين كان الجامع يزدحم بهم وبخاصة في صلاة الجمعة التي يصليها الخليفة بالجامع، حيث يضاف إليهم الآلاف من الحاشية والجند والحرس.

ويتوافق إضافة هذه الزيادة للجامع في عهد الظاهر مع زيادة عدد المصلين نتيجة ازدياد عمران القاهرة وكثافة سكانها زيادة واضحة خصوصًا أن الفاطميين جلبوا من السودان والمشارقة أعداداً غفيرة من الجند والحرس أضيفت إلى القبائل المغربية التي جاءت إلى مصر مع قدوم الفاطميين إليها من إفريقية وانتقال الفاطميين من المنصورية إلى القاهرة، واستمرت بعد ذلك أيضاً في الانتقال إلى مصر من الشمال الإفريقي.

ولا نستطيع في ضوء المعلومات المتوفرة أن نحدد قياسات أضلاع هذه الزيادة ولكن الأمر اللافت للانتباه أن أرضية بوابة هذه الزيادة الأصلية تنخفض عن أرضية جامع الحاكم بفارق كبير يصل إلى حوالي ٢ متر، وهذه الأرضية يتوافق منسوبها مع أرضية الجامع الأقمر. وهو ما يعنى أن جامع الحاكم كان يصعد إلى مداخله من خلال سلالم خارجية، حيث إن أرضيته الحالية تكاد تكون في المنسوب الأصلي ولم يحدث عليها إضافات كثيرة لرفعها.

باب الزيادة:

لم يتبق من زيادة جامع الحاكم سوى كتلة المدخل التي عدلت معمارياً في العصر العثماني لتصبح زاوية عرفت بزاوية أبى الخير الكليباتى حيث اشتملت عن مدفنه (أثر رقم ٤٧٧) وهذا المدخل ينحرف عن اتجاه شارع المعز الذي تطل عليه

من الجهة الشرقية بزاوية قدرها ١٢ درجة[١].

وكتلة المدخل يبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب ١٢ متراً ومن الشرق إلى الغرب ٨,٥ أمتار، وكتلة المدخل بارزة عن سمت جدار الزيادة بمقدار ٨,٥ أمتار ويوجد بكل من واجهاتها الغربية والشمالية والجنوبية فتحة معقودة بعقد فاطمي منكسر يكتنفها حنيتان وتؤدى الفتحات الثلاث إلى أرضية مربعة يعلوها قبة مجددة وعلى محور الفتحة الغربية المطلة على الشارع توجد فتحة مماثلة تؤدى إلى الزيادة. وقد بنى في المساحة التي كانت تؤدى إليها هذه الفتحة حجرة مقبية هي مدفن أبو الخير الكليباتى ويُستغل هذا المدخل الآن كمسجد صغير ينزل إليه بدرج هابط من الشارع الرئيسي (شارع المعز).

ويكشف أسلوب بناء كتلة المدخل-وبخاصة الإطار القالبية الحجرية وكذلك الإفريز الخشبي التي تدور بدوران مربع-عن رحبة المدخل عند مآخذ العقود، وكذلك الحنايا التي تكتنف الفتحتين عن تشابه كبير مع مثيلاتها في العمارة الفاطمية.

كذلك يلاحظ العقود الفاطمية المبكرة ذات الأربعة مراكز والتي تمثل المرحلة السابقة لشكل العقد المنكسر[٢] الذي أخذ ملامحه الواضحة في نهاية العصر الفاطمي وبداية العصر الأيوبي.

وفي إطار ما سبق فإن كتلة المدخل يمكن نسبتها إلى العصر الفاطمي رغم ما حدث من إضافات معمارية في العصر الأيوبي، وظلت الزيادة بعد تعميرها في العصر الأيوبي باقية في العصر المملوكي البحري، وكذلك العصر المملوكي الشركسى، حيث يذكر ابن إياس أنه في ٨٥٧هـ/١٤٥٣م "طلع شخص إلى السلطان وأخبره بأنه في زيادة جامع الحاكم صندوق من البلور فيه أوراق تدل على خبيئة في الجامع من

---

(١) من الملاحظ أن هذا الانحراف واضح أيضاً فيما كشف من أساسات المباني الفاطمية أسفل ضريح قلاوون ولكن من الاتجاه المقابل وفي ذلك ما يشير إلى اختلاف شكل توجيه الشارع الأعظم عما هو عليه الآن.

(٢) Creswell, Op. Cit., p. 117.

أعظم الخبايا، فأمر السلطان القاضي ناصر الخاص يوسف بأن يتوجه إلـى هنـاك، فتوجه وحضر القاضي علم الدين البلقينى، واجتمع الجمع الغفير من الناس وحفروا في ذلك المكان إلى أنه كاد ينبغ الماء من أرضه فلم يجدوا شيئاً[1]. وتكـشف هـذه الرواية عن أن زيادة الجامع كانت باقية إلى هذا التاريخ على الأقل ولم يتعـد أحـد بالبناء عليها.

---

(١) ابن إياس (محمد بن أحمد) بدائع الزهور في وقائع الدهور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٤، جـ ٢ ص ٣١٧.

الجامع الأقمر ٥١٩ هـ / ١١٢٥م

قبل أن نتحدث عن عمارة هذا الجامع لابد من الإشارة إلى عدة مشكلات صادفت الدراسات السابقة التي قام بها الآثاريون والتي نعرض لها في هذه الدراسة لمراجعتها وتأكيد صحيحها وتصحيح ما ورد من آراء جانبها الصواب في بعضها الآخر وهذه المشكلات يمكن تحديدها فيما يلي:

أولاً: الوظيفة الأصلية للأثر هل هو مسجد فروض صغير كما انتهت معظم الدراسات أو أنه كان مسجداً جامعاً بالمعنى الكامل والوظيفة الواضحة للمساجد الجامعة التي تؤدى فيها الصلوات الجامعة بالإضافة إلى الصلوات المفروضة الأخرى؟ وهو ما ناقشه المؤرخون القدامى والمحدثون.

ثانيًا: هل كان المسجد في فترة إنشائه الأولى مغطى بقباب ضحلة أم أن هذه القباب كانت في إطار تجديدات يلبغا السالمى، كما يذهب كريسويل الذي أثار المشكلة وترك التساؤل مفتوحاً للباحثين.

ثالثاً: يهمل الباحثون عناصر معمارية مهمة في الجامع منها ما فقد ومنها ما عدل في إطار ما حدث في الجامع من تعديلات معمارية في العصور المختلفة التي مرت بها عمارة هذا الجامع.

وهذه المشكلات نضعها في إطار خطة دراستنا لهذا الجامع التي تبدأ بدراسة موضعه وما كان فيه من منشآت قبل إنشاء الجامع، ثم نعرض لتاريخ إنشاء الجامع وأسباب بنائه كمسجد جامع رغم وجود مسجدين جامعين في داخل أسوار المدينة هما الجامع الأزهر وجامع الحاكم بأمر الله، ثم ننتهي إلى وصف الجامع وصفاً معمارياً في إطار وحداته وعناصره الأصلية، وما حدث بها من تعديلات في فترات لاحقة.

ثم نعرض لتحليل العناصر المعمارية والزخرفية التي تميزت بها عمارة هذا الجامع وذلك في ضوء الدراسة التاريخية والوصفية.

أولاً : موضع الجامع :

يقع هذا الجامع بالنحاسين على الجانب الشرقي لشارع المعز لدين الله وقد أنشئ هذا الجامع مجاوراً للقصر الشرقي الكبير من الجهة الشمالية الغربية، ويتوافق هذا التحديد المعاصر لموضع الجامع الأقمر مع تحديد المقريزى الذي ذكر في تحديد موضعه كثيراً من المعلومات المهمة الأخرى عن الموضع الذي أنشئ عليه الجامع وما كان يجاوره من مبان مهمة، فقد ذكر المقريزى أنه كان في مكان الجامع الأقمر حوانيت العلافين والحوض مكان المنظرة فتحدث الخليفة الآمر مع الوزير المأمون بن البطائحى في إنشائه جامعاً فلم يترك قدام القصر دكاناً وبنى تحت الجامع المذكور من أمامه دكاكين ومخازن من جهة باب الفتوح لا من صوب القصر[1]. وفي هذا ما يشير إلى أن الجامع القمر بنى مجاوراً للقصر الشرقي الكبير وكان يحده القصر من الجهتين الجنوبية والشرقية، وكان يحده من الجهة الشمالية- حسبما ذكر المقريزى- الشارع الذي يقع شمال القصر الشرقي،ويحده من جهة الغرب الشارع الأعظم "حالياً شارع المعز لدين الله الفاطمي".

وفي حديث المقريزى عن تجديدات يلبغا السالمى بالجامع عام ٧٩٩هـ/١٣٩٧م ما يؤكد تحديد الموضع الذي أنشئ عليه الجامع وما كان يجاوره من وحدات معمارية ارتبطت بعمارة الجامع منها ما هو سابق لعمارة الجامع ومنها ما هو لاحق له، فقد ذكر المقريزى أن يلبغا "جدد أيضا حوض هذا الجامع الذي تشرب منه الدواب وهو في ظهر الجامع تجاه الركن المخلق وبئر هذا الجامع قديمة قبل الملة الإسلامية كانت في دير من ديارات النصارى بهذا الموضع، فلما قدم القائد جوهر بجيوش المعز لدين الله في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة أدخل هذا الدير في القصر وهو موضع الركن المخلق تجاه الحوض المذكور، وجعل هذا البئر مما ينتفع به في القصر وهي تعرف ببئر العظام.. وهي بئر كبيرة في غاية السعة وأول ما عرف إضافتها إلى الجامع الأقمر أن العماد الدمياطى ركب على فوهتها هذه المحال

---

(١) المقريزى، خطط جـ٢ ص٢٩٠.

التي بها الآن وهي من جيد المحال وكان تركيبها بعد السبعمائة في أيام القاضي عبد العزيز بن جماعة الشافعي"[١].

ويكشف هذا النص بالإضافة إلى تحديد موضع الجامع الأقمر علـى أنـه كـان يجاور حوضا تشرب منه الدواب خلف جدار القبلة الشرقية كما يشير إلـى أن "بئـر العظام" وظفت لخدمة الجامع وأصبحت من وحداته في مرحلة لاحقة، وكانـت هـذه البئر مجاورة للجامع أيضاً خلف جدار القبلة بالجامع ويؤكد ذلك ما ذكره المقريـزى عن إزالة البركة التي أنشأها يلبغا بصحن الجامع "لإفساد الماء بمروره جدار الجامع القبلي"[٢].

وتفسر هذه الروايات عن تاريخ موضع مساحة الجامع عن أن هذه المساحة لم تكن خالية من البناء وأن المباني التي كانت فيها أزيلت وأنشئ في موضعها الجامع، ويفسر هذا التاريخ عدم انتظام حدود المساحة التي أنشئ عليها الجامع، وهو الأمر الذي تغلب عليه المعمار الذي خطط الجامع بتخطيط الجامع بهيئة مستطيلة منتظمـة التربيع من الداخل تشغل أكبر مساحة ممكنة من المساحة الكلية ووظف المـساحات الهامشية في عمل دخلات أو حجـرات ملحقـة بالجـامع فـي الجهتـين الغربيـة والشمالية،وحكمه في هذا التخطيط المواءمة بين الالتزام باتجاه القبلة وخط تنظـيم الشارع، وهذه الرؤية في التخطيط سابقة للجامع الأقمر، واتضح اتباعها في تخطيط دور الفسطاط لكن الاختلاف بين ما كان عليه الحال في دور الفسطاط وما بين عليه الحال في الجامع الأقمر أن المعمار ملتزم في تخطيط الجامع بضبط وتحرير وتوجيه جدار القبلة أو المحراب مع اتجاه الكعبة، وهو عامل حاكم آخر يكشف عن براعـة مهندس الجامع وهو أمر لفت نظر كل الباحثين من المستشرقين[٣]، وغيرهم، وفـي هذا ما يبين خطأ ما ذكر من أن تخطيط الجامع الأقمر بهذه الهيئـة يجـسد تـأثيراً

---

(١) المقريزى: خطط جـ٢ ص٢٩٠.

(٢) المقريزى: خطط جـ٢ ص٢٩٠.

(٣) Creswell, Op. Cit., p. 241.

سلجوقياً(؟!)[1].

وتكشف رواية المقريزى عن تاريخ عمارة هذا الجامع صراحة أن الخليفة الآمر هو الذي تحدث مع وزيره المأمون بن البطائحى في إنشاء جامع في هذا المكـــان[2]، رغم وجود جامعين آخرين في داخل أسوار القاهرة هما الجامع الأزهر وجامع الحاكم وهو أمر يثير التساؤل فقد جرت العادة في هذه الفترة بإنشاء مسجد جامع واحد في المدينة الإسلامية بمعنى أنه لم تكن تقام أكثر من خطبة في المدينة الواحـــدة وظـــل الأمر كذلك حتى أفتى فقهاء الشافعية بإمكان تعدد الخطبة في المدينة الواحـــدة حـــلاً لمشكلة ازدحام المسجد الجامع الواحد بالمصلين[3]، وبالرغم من أن هذا الأمر كـــان يمثل القاعدة العامة فإننا نلاحظ وجود استثناءات لظروف سياسة معينة فقد حدث أن أنشأ المنصور جامعاً بالكرخ المجاورة التجارية التي أنشأها ملاصقة لبغداد لتجنـــب خطر وجود الأسواق في مدينته بعد النصيحة التي أبداها الزائر الرومي الذي شـــاهد مدينته، وبرر الفقهاء إنشاء هذا الجامع في هذه المجاورة بأن الكرخ لهـــا حـــدودها المستقلة عن حدود بغداد، وحدث نفس الشيء بالنـــسبة للرصـــافة التـــي أنـــشأها المنصور لابنه والجند، وهو أمر ألغاه في مرحلة لاحقة المعتضد الذي اعتبر الكـــرخ والرصافة من أرباض بغداد واعتبر جامع بغداد هو الجامع الوحيد الذي تقـــام فيـــه الخطبة.

وبالقياس كان إنشاء العزيز لجامعه الذي أكمله الحاكم خارج أسوار القاهرة ثم أصبح في مرحلة لاحقة داخل أسوار القاهرة ثم يـــأتي إنشاء الآمر للجامع الأقمـــر في قلب القاهرة رغم وجود جامعين داخل أسوار بدر الجمالي قريبين من القصر رغم عدم توفر المبررات الشكلية التي سمحت بإنشاء المساجد الجامعة بالكرخ والرصافة

---

(١) منى بدر، أثر الفن السلجوقى على الحضارة والفن في العصر الأيوبي والمملوكي، رســـالة دكتوراه مقدمة لكلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩١، ص ١٤٧.

(٢) المقريزى: خطط جـــ٢ ص٢٩٠.

(٣) محمد عبد الستار عثمان: نظرية الوظيفية ، ص٣٧

بمدينة بغداد، ثم جامع الحاكم في القاهرة، والتي تمثل في أن هذه المساجد خارج حدود المدينة، ويكشف هذا عن أن هناك أسباباً أخرى مهمة دفعت إلى إنشاء هذا الجامع ملاصقاً للقصر الشرقي الكبير في أقرب نقطة من قصر الخلافة، وأعتقد أن هذه الأسباب يمكن أن تأتى في إطار أحداث الصراع بين أفراد الأسرة الحاكمة بعد ما استبعد نزار بن المستنصر من ولاية العهد وتولى المستعلي الخلافة وهو ما أدى إلى الانقسام والصراع الذي أثير أيضاً بعد أن تولى الخلافة الآمر بعد المستعلي، واحتاط الآمر غاية الاحتياط فحاول إثبات صحة ولاية أبيه للعهد، وبالتالي صحة توليه الخلافة وجمع الشهود وأصدر الوثائق التي تؤكد ذلك، ويمكن أن يكون إنشاء الآمر لهذا الجامع مجاوراً للقصر ليخرج إليه من القصر مباشرة ويؤم المصلين ويعود إلى القصر دون الاضطرار إلى الذهاب للجامع الأزهر أو جامع الحاكم،وهو ما يعكس مدى خوف الآمر من النزارية في هذه الفترة والذي تحدث عمارة هذا الجامع الذي صغرت مساحته صغراً لا يسمح بالصلاة للأعداد الغفيرة من المصلين التي يتسع لها الجامع الأزهر أو جامع الحاكم، وفي ذلك ما يساعد بصورة غير مباشرة عن إحكام تأمينيه أيضاً أثناء الصلاة حيث تسهل مراقبة العدد القليل،ويصعب ذلك مع العدد الغفير كما أن وقوع الجامع ملاصقاً للقصر جعل تأمينه في إطار تأمين القصر وحراسه حتى أنه يمكن اعتبار الجامع في حدود هذا التجاور كما لو كان قطاعاً من القصر.

وقد خدعت صغر مساحة الجامع ووجود مسجدين جامعين آخرين داخل أسوار القاهرة الباحثين الذين انتهوا إلى أن هذا المبنى كان مسجداً للفروض كتلك المساجد التي تنشأ بحارات المدينة لتخدم المصلين في هذه الحارات رغم ما ذكره المقريزى وغيره من نصوص تشير إلى أن هذا المبنى كان مسجداً جامعاً منذ بداية إنشائه.

ويجدر بنا أن نعرض لهذه النصوص لتأكيد وظيفة هذا المبنى من كونه مسجداً جامعاً، فقد ذكر ابن واصل في كتابه مفرج الكروب في أخبار بنى ايوب نصاً مهماً يتضمن توقيعاً صدر له بالتدريس في الجامع الأقمر في إطار حديثه ذكر أن "هذا الجامع بناه الآمر بأحكام الله سنة تسع عشرة وخمسمائة وهو مما يلي القصر وكان

الآمر يخطب فيه بنفسه ولما زالت الدولة المصرية رتب فيه السلطان الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله درساً وفقيها ووقف عليه أوقافاً جليلة في مصر والقاهرة وكان يذكر الدرس فيه قبلي الشيخ شمس الدين عثمان وكان فاضلاً في المذهب وكان يتولى بيت المال، فلما توفي طلب التدريس في هذا المكان جماعة من الأعيان فلم يسمح السلطان الملك الصالح بتولية أحد منهم له ولما ذكرت للملك الصالح رحمه الله أمر بأن يوقع لي فكتب لي توقيع كريم بإنشاء الصاحب فخر الدين بن لقمان الأشعرى"(١).

وفي هذا النص ما يؤكد أن الجامع الأقمر أنشئ ليكون مسجداً جامعاً وأكد هذا بالإضافة إلى الإشارة إلى مسمى المبنى "بالجامع" ما ذكره ابن واصل من أن الآمر كان يخطب فيه بنفسه"، ويشير النص إلى أن صلاح الدين حدد وظيفة في العصر الأيوبي تحديداً يتفق وسياسته لنشر المذهب السني فقرر فيه درساً ووقف على ذلك أوقافاً كثيرة في مصر والقاهرة وعين له فقيهاً ومدرساً، ولم يشر النص إلى استمرار الجامع في أداء وظيفته كجامع ويبدو أن الأمر ظل كذلك حتى تجديدات يلبغا السالمى سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٦٧م التي أعادت للجامع وظيفته.

فقد ذكر المقريزى في حديثه عن أبواب القصر الشرقي الكبير أن ابن الطوير ذكر جلوس الخليفة في الموالد الستة في تواريخ مختلفة وما يطلق فيها وهي مولد النبي ﷺ ومولد أمير المؤمنين على بن أبى طالب ومولد فاطمة عليها السلام، ومولد الحسن ومولد الحسين عليهما السلام ومولد الخليفة الحاضر ويكون هذا الجلوس في المنظرة (التي تعلو باب الذهب)، ثم يستطرد ليذكر أن من مراسم هذا الجلوس أن يخطب خطباء المساجد الجامعة "فيقدم خطيب الجامع الأنور، المعروف بجامع الحاكم فيخطب كما يخطب فوق المنبر إلى أن يصل إلى ذكر النبي ﷺ فيقول أن هذا يوم مولده إلى من منّ الله به على ملة الإسلام من رسالته ثم يختم كلامه بالدعاء للخليفة

---

(١) Salah El Beheiri: Le decred de Nomination de L'Historien Ibn Wasil au poste de Processeur de La mosquée al Aqmar. Annales Islam ologiques Tome XII, p. 93.

ثم يؤخر ويقدم خطيب الجامع الأزهر فيخطب كذلك ثم خطيب الجامع القمر فيخطب كذلك والقراء في خلال خطابة الخطباء يقرءون فإذا انتهت خطابة الخطباء أخرج الأستاذ رأسه ويده في كمه من طاقته ورد على الجماعة بالسلام.."[1]، وكرر المقريزى هذه الرواية عندما ذكر أن يلبغا السالمى اعتمد على هذه الرواية في تجديد الخطبة بالجامع الأقمر[2].

وفي إطار ما سبق من أدلة تاريخية يتضح أن الجامع الأقمر أنشئ في الأصل مسجدًا جامعًا ولم يكن مسجد فروض حول إلى مسجد جامع في العصر المملوكي كما تشير معظم الدراسات الأثرية الحديثة التي عرضت لتاريخ عمارة هذا المسجد.

ويلاحظ أن الآثاريين الذين عرضوا بالدراسة لهذا الجامع لم يهتموا بمراجعة الكتابات الأثرية التي سجلت على واجهة هذا الجامع واعتمدوا على قراءة فان برشم لهذه النصوص وقد استطاع أحد الباحثين المهتمين بدراسة النقوش الكتابية على العمائر الفاطمية[3]، أن يجد بين هذه النصوص الدليل الأثرى المادي الذي ينص صراحة على أن هذا المبنى أنشئ ليكون جامعاً فقد ورد بالشريط الثاني على الواجهة فوق العضادة الجنوبية للمدخل ما نصه "(هـ)ـذا الجامع المبارك" ثم يلي ذلك النص الذي قرأه فان برشم والذي اعتمد عليه ما أعقبه من الباحثين.

---

(١) المقريزى: خطط جـ١ ص ٤٤٢.

(٢) المقريزى: خطط جـ٢ ص٢٩٠.

(٣) قام الباحث فرج حسين فرج لأول مرة بقراءة هذا النص وسينشره ضمن بحثه لدرجة الماجستير عن النقوش الفاطمية على الآثار المعمارية في مصر.

تاريخ عمارة الأقمر

كان إنشاء هذا الجامع تنفيذاً لرغبة الخليفة الآمر بأحكام الله الذي أمر بإنشائه، وتم إنشاؤه على يد وزيره محمد بن فاتك البطائحى المعروف بالمأمون البطائحى.

وتسجل الكتابات الكوفية التي نقشت على واجهة الجامع اسم الوزير مع اسم الخليفة في شريط واحد،وهو أمر يعكس سطوة الوزراء في القسم الثاني من العصر الفاطمي كما تعكس هذه السطوة ألقاب الوزير التي سجلت ضمن النقوش الكتابية على هذه الواجهة[1].

وقد أدى هذا الجامع وظيفته كمسجد جامع في العصر الفاطمي،وقد أشار ابن واصل إلى أن الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله كان يخطب فيه الجمعة بنفسه، كما أن خطيب هذا الجامع كان يحضر الاحتفالات بالموالد الستة ويقوم بالخطبة فيها شأنه في ذلك شأن خطيبي الجامع الأزهر وجامع الحاكم بأمر الله.

وفي العصر الأيوبي أقر صلاح الدين في هذا الجامع درساً وعين له مدرساً وفقيهاً ووقف عليه أوقافاً كثيرة في القاهرة ومصر وبهذا نستطيع أن نقول إن الجامع الأقمر أدى وظيفة المدرسة في العصر الأيوبي في إطار سياسة صلاح الدين التي اتبعها والتي تمثلت في الإكثار من إنشاء المدارس كمنشآت دينية سنية للقضاء على المذهب الشيعي.

وقد نال الجامع رعاية خاصة في العصر المملوكي حيث اهتم بعمارته وترميمه وتمثلت هذه الأعمال في تركيب ساقية من نمط خاص (محال) على فوهة بئر العظام لرفع الماء من البئر لخدمة الجامع ويؤكد ذلك ما ذكره المقريزى عن بئر العظام الذي ذكر أنها "بئر كبيرة غاية في السعة وأول ما أعرف من إضافتها إلى الجامع الأقمر أن العماد الدمياطي ركب على فوهتها هذه المحال[2] التي بها الآن وهي من

---

(١) راجع النقوش الكتابية في الوصف المعماري لهذا الجامع.

(٢) المحال جمع مَحالة بالفتح. الدولاب، والبكر العظيمة وتجمع أيضاً على محاول "معروف الرصافي: الآلة والأداة وما يتبعهما من الملابس والمرافق والهنات. تحقيق عبد الحميد =

جيد المحال وكان تركيبها بعد السبعمائة في أيام قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة الشافعي.

وأحدث يلبغا السالمى في سنة ٧٩٩هـ/١٣٩٧م ترميماً كبيراً وإضافات معمارية مهمة للجامع وبهذه الإصلاحات والإضافات المعمارية أعيد الجامع الأقمر إلى سابق عهده في العصر الفاطمي بحيث يكون مسجداً جامعاً بإحياء الخطبة فيه مرة أخرى وتطابق هذا التوجه مع ما حدث في العصر المملوكي من تحويل كثير من المساجد والمدارس إلى مساجد جامعة بعد ما أفتى الفقهاء بإمكان إقامة أكثر من خطبة في المدينة الإسلامية الواحدة،وهي الفتوى التي بالغ المماليك في تطبيقها مبالغة كبيرة[١].

وقد بدأ يلبغا السالمى أعماله المعمارية بالجامع "في شهر رجب سنة تسع وتسعين وسبعمائة"، حيث جدد في "صحن الجامع بركة لطيفة يصل إليها الماء من ساقية وجعلها مرتفعة ينزل منها الماء إلى أن يتوضأ من بزابيز، ونصب فيه منبراً .. وبنى على يمنه المحراب البحري منذنة وبيض الجامع كله ودهن صدره بلازورد وذهب"[٢].

ويكشف هذا الوصف الذي ذكره المقريزى لأعمال يلبغا السالمى في الجامع الأقمر عن أن يلبغا أضاف للجامع فسقية للوضوء صغيرة بصحن الجامع على نمط "الفساقى الحنفية"[٣]، وهو النمط السائد في العمارة المملوكية باعتبار أن المذهب

= الرشودى، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٠، ص٣٣٨ ومازالت المحال مستخدمة لرفع المياه من الآبار في الجزيرة العربية، وهي عبارة عن بكرة مثبتة على عارضة خشبية يحملها قائمان وبواسطة البكرة يرفع الماء بدلو في طرف حبل من قاع البئر ليصب الماء في حوض مجاور للبئر ويتم إدارة البكرة بواسطة الدواب.

(١) محمد عبد الستار، نظرية الوظيفية، ص ٢٠٢-٢٠٣.

(٢) المقريزى: خطط جـ٢ ص٢٩٠.

(٣) الفسقية الحنفية هي التي بها بزابيز يمكن التحكم في خروج الماء من حوض الفسقية لغلقها وفتحها وتسمح بالوضوء لكل متوضئ دون أن يأخذ الماء مباشرة من حوض =

الحنفي كان هو المذهب الشائع، كما انتشر في هذا العصر إنشاء فساقي للوضوء في صحون المنشآت الدينية مع وضع شروط محددة لاستخدامها للمحافظة على نظافة المنشأة[1]، وحتى تكون الفسقية بهذا النمط، فمن الطبيعي أن يكون بناؤها مرتفعاً حتى تكون البزابيز بمستوى المتوضئين الجالسين على كراسي الوضوء في الحافة الخارجية للفسقية حيث توجد قناة بين هذه الكراسي وحوض الفسقية لصرف الماء المتخلف من الوضوء.

وقد وصف المقريزى الفسقية أيضاً بأنها "لطيفة" أي صغيرة الحجم نسبياً إذا ما قورنت بالفساقى المملوكية وهو أمر طبيعي حيث إن مساحة صحن الجامع لا تسمح بإنشاء فسقية بالحجم العادي الذي جرت العادة به في العصر المملوكي، وهو مثال يكشف مرة أخرى عن براعة المعمار المملوكي في إدماج عناصره ووحداته المعمارية التي يضيفها إلى العمائر الدينية السابقة على عصره وإنشائها بنسب معمارية تتوافق ونسب المعمارية الأصلية لهذه المنشآت ويذكرنا ذلك بفسقية الوضوء التي أنشأها لاجين بصحن جامع مع ابن طولون التي أنشئت بحجم كبير عما جرت به العادة في العصر المملوكي وهو حجم انعكس على شكلها المعماري لتناسب كبر مساحة الصحن في الجامع الطولونى.

ومن الوحدات المعمارية التي أنشأها يلبغا السالمى في الجامع الأقمر "مئذنة" حدد المقريزى موضعها بالنسبة للجامع فذكر أنها أنشئت "على يمنه المحراب البحري" وتحديد موضع هذه المئذنة بأنها كانت على يمين المحراب البحري يطرح التساؤل عن هذا المحراب البحري، فهل كان هناك أكثر من محراب في هذا الجامع

= الفسقية لأن المذهب الحنفي لا يجيز ذلك عكس المذهب الشافعي الذي يجيز الوضوء من حوض الفسقية مباشرة لجميع المتوضئين، وبالتالي لا تكون هناك حاجة لمثل هذه البزابيز التي نراها في الفسقية الحنفية. للاستزادة: راجع محمد عبد الستار: وثيقة وقف جامع الأميرين محمد وأحمد بأخميم. مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، العدد ٤١، ١٩٩٣م، ص ٣٩٣.

(١) وثيقة وقف برقوق ٥١/٨، محمد عبد الستار: نظرية الوظيفية، ص٣٧٨.

في جدار القبلة" أم أن المقريزى يقصد بكلمة المحراب الدخلة بالقسم الشمالي على الواجهة الرئيسية التي تأخذ شكل المحراب (؟) والتي تأخذ بالفعل شكل المحراب إلى حد كبير وإذا صح أن المقريزى يقصد بالفعل هذه الدخلة فإن موضع هذه المئذنة التي أنشأها يلبغا السالمى كان على الكتف الأيسر أعلى المدخل الرئيسي كما هو الحال في المئذنة الحالية للجامع التي أنشئت في العصر العثماني.

أما باقي أعمال العمارة التي قام بها يلبغا فتمثلت في تبييض الجامع ودهن صدره باللازورد والذهب وهما من المواد التي جرت العادة باستخدامهما في زخرفة المنشآت الدينية في العصر المملوكي.

وفي إطار إعادة الخطبة إلى الجامع عمل يلبغا السالمى منبراً ليخطب من عليه خطيب الجامع الذي عينه بالفعل يلبغا السالمى وخطب "أول جمعة جمعت فيه في رابع شهر رمضان سنة ٧٩٩هـ/١٣٩٧م وخطب الخطيب شهاب الدين أحمد بن موسى الحلبي أحد نواب القضاة الحنفية"[١].

وما زال المنبر باقياً وكشف فحص حشواته عن أنه يتضمن حشوات من الخشب تحمل نقوشاً كتابية كوفية فاطمية نصها "الملك لله" بالإضافة إلى زخارف فاطمية أخرى نقشت بالحشوة التي بظهر جلسة الخطيب، وكذلك نقشت على حشوات المنبر من الداخل حشوات بها صور حيوانات بلغت نحو ٢٥ قطعة فاطمية، وفي ذلك ما يشير إلى أن هذا المنبر استخدم في صناعته حشوات خشبية ترجع إلى العصر الفاطمي،ويعتقد حسن عبد الوهاب أن هذه الحشوات بعضها بقايا من منبر الخليفة الآمر ثبت عليها لوحة الأمير يلبغا[٢]، وبعضها الآخر الذي عليه نقوش حيوانية وهي بعض الحشوات من الداخل من مصادر أخرى وهو ما يؤكد صحة ما ذكره المقريزى من أن هذا المنبر من عمل يلبغا وهذا لا يتعارض مع استخدام حشوات خشبية

---

(١) المقريزى: خطط جـ٢ ص٢٩٠.

(٢) حسن عبدالوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، جـ١ ص٧٣، آمال العمرى، على الطايش، المرجع السابق،ص ص ٩١-٩٢.

فاطمية سواء من المنبر القديم أو غيره في عمل هذا المنبر.

كذلك أنشأ يلبغا السالمى للجامع ميضأة خارج الجامع بجوار بابه الذي من جهة الركن المخلق. وفي إطار دراسة الموضع الذي أنشئ عليه الجامع يتضح أن الميضأة كانت تقع في الجهة الشرقية من الجامع وأن هذه الميضأة كانت تزود بالماء من بئر العظام المجاور لها التي كان يجاورها أيضاً حوض الدواب الذي أنشئ مجاوراً للجامع من الجهة الشمالية الشرقية مباشرة وعرف بحوض الجامع الأقمر وهو الحوض التي لم يحدد المقريزى منشئه ولكن إنشاءه كان غالباً في إطار ما ذكر من روايات عن عمارة الساقية فوق بئر العظام لخدمة الجامع في العصر المملوكي في حدود السبعمائة من الهجرة عند إنشاء الساقية، وقد جدد يلبغا السالمى هذا الحوض أيضاً.

والمهم فيما ذكره المقريزى عن هذه الميضأة أنها أنشئت مجاورة لباب الجامع من جهة الركن المخلق وفي ذلك ما يشير إلى وجود باب للجامع يصل بين هذه الميضأة والجامع، وأقرب باب إلى موضع الميضأة ما زال باقياً هو الباب الذي بالجدار الجنوبي للجامع والذي يفتح على البائكة الوسطى من رواق القبلة.

وفي إطار ما سبق ذكره عن الميضأة التي أنشأها يلبغا يتضح أيضاً براعة المعمار في تحديد موضعها بالنسبة للجامع في الجهة الجنوبية الشرقية تحت منصرف الريح وهي رؤية في اختيار موضع الميضأة سادت المنشآت الدينية في العصر المملوكي[١] في تأكيد واضح لإدراك المعمار المملوكي الوعي بورود الرياح في مصر وتوظيف هذا الإدراك في تصميماته المعمارية.

وبالرغم من هذه الأعمال المعمارية المهمة التي قام بها يلبغا السالمى فإن المقريزى يذكر أنه صارح يلبغا بنقده لبعض هذه الأعمال حيث يذكر أنه قال له "قد أعجبني ما صنعت بهذا الجامع ما خلا تجديد الخطبة فيه وعمل بركة الماء فإن الخطبة غير محتاج إليها ها هنا لقرب الخطب من هذا الجامع، وبركة الماء تضيق

(١) محمد عبد الستار، نظرية الوظيفية، ص٣٥٤.

الصحن، وقد أنشأت ميضأة بجوار بابه الذي في جهة الركن المخلق، فاحتج لعمل المنبر بأن ابن الطوير قال في كتابه نزهة المقلتين في أخبار الدولتين عند ذكر جلوس الخليفة في الموالد الستة ويقدم خطيب الجامع الأزهر فيه خطب كذلك ثم يحضر خطيب الجامع الأقمر فيخطب كذلك قال فهذا كان أمر قد كان في الدولة الفاطمية وما أنا بالذي أحدثته، وأما البركة ففيها عوض على الصلاة لقربها من المصلين"[1].

ويكشف نقد المقريزى عن رؤية وظيفية ومعمارية مهمة، ففي الفترة المملوكية التي تمت فيها هذه الأعمال كانت قد أنشئت بالقرب من الجامع الأقمر العديد من المنشآت الدينية المملوكية التي كانت تقام فيها الصلوات الجامعة سواء كانت مدارس أو خانقاوات[2]، وكان نقده في إطار هذا الوضع العمراني الجديد صحيحاً، أما عن الناحية المعمارية فإن إنشاء فسقية صحن الجامع الأقمر كان ليضيقه بالفعل خصوصًا أن الصحن صغير وهو ما يكشف عن الحس المعماري للمقريزى.

ثم يستطرد المقريزى في حديثه عن أعمال يلبغا السالمى ويذكر أن المئذنة التي أنشأها يلبغا السالمى وكذلك البركة ظلتا قائمتين حتى سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م وعندما قام بعض الفقهاء الذين تولوا نظر الجامع "فرأي هدم المئذنة من أجل ميل حدث بها فهدمها[3] وأبطل الماء من البركة لإفساد الماء بمروره جدار الجامع

---

(١) المقريزى: خطط جـ٢ ص٢٩٠.

(٢) المقريزى، خطط جـ٢ ص٢٩٠.

(٣) توجد بالجامع حالياً مئذنة في الجانب الشمالي من المدخل يرى بعض الباحثين أن قطاعها السفلي الأسطوانى هو من بقايا مئذنة يلبغا أما الجزء العلوي فقد هدم وبنى في مرحلة لاحقة في تاريخ غير معلوم (آمال العمرى- على الطايش، المرجع السابق ص٩٠)، والمئذنة تتكون من طابق أسطواني يعلوه شرفة لها درابزين خشب يعلو طابقًا قطره أقل من قطر الطابق السابق يعلوه قلة بشكل انسيابي يشبه نهايات مآذن ومساجد رشيد وفوة وأخميم وجرجا في العصر العثماني.

القبلي"[١]، لهذا النص أهميته حيث إنه بالإضافة إلى أنه يشير إلى هدم مئذنة يلبغا فإنه يشير أيضاً إلى إبطال عمل الفسقية التي تتوسط الصحن، وسبب هذا الإبطال يكشف عن أن تزويد هذه الفسقية بالماء كان من خلال أنابيب فخارية تنقل الماء من البئر خلف الجامع من الجهة الشرقية ثم تمر أسفل جدار القبلي حتى تنتهي إلى الفسقية بالصحن.

ويرى بعض الباحثين أن أعمالاً ترميمية قد حدثت في الجامع الأقمر على يد سليمان أغا السلحدار بناء على رواية ذكرها الجبرتى في أحداث عام ١٢٣٦هـ/ ١٨٢١م- أي في عهد محمد على مفادها حسبما وردت في كتاب عجائب الآثار أن سليمان أغا المذكور "عمل الجمعية بالجامع المعروف بالجامع الأحمر[٢]، وكان قد تخرب ولم يبق منه إلا الجدران فتصدى لعمارته سليمان أغا المذكور وسقفه أيضاً بأفلاق النخيل والجريد والبوص وأقام له عمداً من حجارة وجدد منبره وبلاطه وميضأته ومراحيضه وفرشه بالحصر وعمل به الجمعية في ذلك اليوم واجتمع به عالم كثيرون من الناس وخطب على منبره الشيخ محمد الأمير..."[٣].

وقد أشار كريسويل إلى أن فان برشم عند فحصه لعمارة الجامع الأقمر أشار إلى أن ترميمات حدثت في العصر العثماني، ببعض العقود التي بالواجهات المطلة على الصحن، وأشار كريسويل بناء على رواية الجبرتى أن هذه الترميمات ربما كانت على يد سليمان أغا السلحدار في عام ١٨٢١م[٤]، كما اعتمد غيره أيضاً على نفس رواية الجبرتى، وقرروا أن الجامع "جدد في أيام محمد على، على يد سليمان

---

(١) المقريزى: خطط جـ٢ ص٢٩٠.

(٢) ظن الذين اعتمدوا على هذه الرواية أن اسم الجامع الأحمر الوارد في هذه الرواية تصحيف لاسم الجامع الأقمر واعتبروا الرواية خاصة بالجامع الأقمر، المصدر السابق، ، الجبرتى: جـ٣ ص ص ٦٢٧-٦٢٨.

(٣) الجبرتى: المصدر السابق جـ٣ ص٦٢٧-٦٢٨.

(٤) Creswell, Op. Cit., p. 24.

أغا السلحدار" عام ١٢٣٦هـ/١٨٢١م[١].

وبمراجعة دقيقة للأعمال المعمارية التي أشار إليها الجبرتي تكشف عن أن الجبرتي يقصد جامعاً آخر غير الجامع القمر فقد ذكر الجبرتي أن الجامع كان مهدماً ولم يتبق منه سوى الجدران وهذا لا ينطبق على الجامع الأقمر الذي احتفظ بمعظم قبابه التي ترجع إلى العصر الفاطمي، كما أن الجبرتي ذكر أن سليمان عمل بالجامع أعمدة من حجارة وإدخال هذه الأعمدة على عمارة الجامع الأقمر لا يتوافق وأصالة القباب التي تعلو العقود التي تحملها أعمدة الجامع والتي ترجع إلى العصر الفاطمي- كما أشرنا- كذلك ذكر الجبرتي أن المنبر قد جدد أيضاً والمنبر القائم في الجامع الأقمر لا يوجد عليه ما يشير إلى أي تجديد حدثت في العصر العثماني، وهذه الملاحظات الثلاث كافية لإثبات أن الجامع الأحمر الذي قصده الجبرتي غير الجامع الأقمر، وأن اعتبار رواية الجبرتي مختصة بالجامع الأقمر على اعتبار أنه تصحيف ربما حدث لأخطاء في النسخ أمر لا يمكن قبوله في ضوء هذه الملاحظات.

والبحث الدقيق يكشف عن أن هذه الرواية التي عرضها الجبرتي تخص جامعاً آخر عرف بالجامع الأحمر[٢]، كما ورد بنص كتابه وما زال هذا الجامع قائماً في منطقة الرويعي خلف ميدان الخازندار بشارع كلوت بيك، وهناك شارع ما زال أيضاً يحمل اسم هذا الجامع يعرف بشارع الجامع الأحمر، وتثبت الوثائق أن سليمان أغا السلحدار قد قام بالفعل بترميم هذا الجامع الذي يسمى "الجامع الأحمر" فقد ورد تفصيلاً بإحدى الوثائق ما يشير أن سليمان أغا السلحدار قد قام بإعادة بناء وترميم الجامع الأحمر بالرويعي بعدما تهدم بسبب التخريب الذي أحدثته الحملة الفرنسية حيث كان الجامع "مشحوناً بالأتربة خالياً من السقف والأعمدة"، وقام سليمان بإعادة بنائه واستخدم فيه المواد اللازمة لذلك البناء وهي نفس المواد التي ذكرها الجبرتي،

---

(١) Creswell, Op. Cit., p.24، ٢٤٥.، عبد الرحمن فهمي محمد، المرجع السابق، ص ٦٥، آمال العمرى، على الطايش، المرجع السابق ص ٨٦.

(٢) هذا المسجد غير مسجل ضمن الآثار الإسلامية حتى الآن.

وقد كان هذا العمل في ١٦ جمادى الآخرة عام ١٢٣٦هـ ٢١ مارس ١٨٢٠ وهو العمل الذي تم بعد افتتاح الجامع بإقامة الخطبة فيه في التاريخ الذي ذكره الجبرتى. وقد تضمنت الوثيقة وصف الجامع الأحمر وحدوده بما يؤكد وبما لا يدع مجالاً للشك بأن الجامع المقصود في رواية الجبرتى هو الجامع الأحمر بالرويعى[١].

وهكذا يتضح خطأ كريسويل في نسبة الترميمات العثمانية التي أشار إليها فان برشم لسليمان أغا السلحدار وكذلك خطأ ما ذكره الباحثون من أن سليمان أغا السلحدار قام بإصلاحات معمارية في الجامع القمر اعتماداً على رواية الجبرتى الخاصة بالجامع الأحمر ظناً منهم أنه يقصد الجامع الأقمر.

كما قامت لجنة حفظ الآثار العربية بإجراء ترميمات في الجامع في الفترة المحصورة بين سنة ١٣٢٠-١٣٤٧هـ/ ١٩٠٢-١٩٢٨م، ومع اهتمام طائفة البهرة الإسماعيلية بالآثار الفاطمية بالقاهرة كان مشروع الترميم المتكامل للجامع في أواخر التسعينات من القرن الماضي والذي روعي فيه استكمال القطاع الجنوبي من الواجهة الرئيسية الغربية على نمط القطاع الشمالي الأصلي الباقي من العصر الفاطمي، وذلك بعد أن تم نزع ملكية المسكن الذي كان مجاوراً للجامع لتنفيذ مشروع الترميم وفق هذه الرواية كما تم ترميم الجامع من الداخل.

---

(١) محكمة الباب العالي سجل رقم ٣٦٧ ص ٣٥٢-٣٥٣ مادة رقم ٧٥٦ بتاريخ ١٦ جمادى الآخرة عام ١٢٣٦ هـ/ ٢١ مارس ١٨٢٠م، أماني عويس أمين- منشآت الأمير سليمان أغا السلحدار، دراسة أثرية معمارية، ماجستير مقدمة لقسم الآثار الإسلامية بكلية الآثار، جامعة القاهرة ١٩٩٤، ص ص ٤١٢، ٤١٣، محمد حسام الدين إسماعيل، مدينة القاهرة من ولاية محمد على إلى إسماعيل (١٨٠٥-١٨٧٩م) دار الآفاق العربية، القاهرة ١٩٩٧م، ص ص ١٧٧-١٧٨.

الوصف المعماري للجامع الأقمر

بنى الجامع على مساحة في هيئة شبه منحرف يبلغ طول ضلعها الشمالي ٣٧,٥ متراً ويبلغ طول ضلعها الجنوبي ٣١ متراً أما ضلعها الشرقي فيبلغ ٢٣,٦٠ متراً، أما الضلع الغربي فيبلغ طوله حوالي ٢٠ متراً، وقد أثرت ظروف توفير المساحة التي أنشئ عليها الجامع تأثيراً مباشراً على اتخاذ المساحة هذه الهيئة شبه المنحرفة والتي يلاحظ أيضاً بضلعها الشمالي وروباً في القطاع الغربي وبروزاً في القطاع الشرقي بلغ نحو ٢,٤ متر عن بقية الواجهة في هذا الجانب.

وقد برع المعمار- كما سبقت الإشارة- في توفير أكبر مساحة مستطيلة منتظمة التربيع من المساحة الكلية التي أنشئ عليها الجامع لأروقة الجامع واستغل المساحات الهامشية الباقية في عمل حجرات أو عناصر اتصال (درج) أو حواصل لخدمة الجامع، كما يلاحظ أن المعمار شطف زاوية الركن الشمالي الغربي عند التقاء شارع المعز بالشارع الجانبي شمال الجامع ثم ارتد بها من أعلى إلى زاويتها القائمة حتى يسهل حركة مرور الدواب في هذه النقطة دون احتكاك مباشر بركن الجامع في هذه الزاوية.

وتعتبر الواجهة الغربية هي الواجهة الرئيسية للجامع، وقد اعتنى المعمار بتجميلها وزخرفتها اعتناءً كبيراً حتى أصبحت تحفة معمارية في حد ذاتها،وتعتبر من أجمل وأقدم الواجهات الحجرية في المساجد بمصر، وفي إطار ما سبق عرضه من أن هذا الجامع أنشأه الخليفة الآمر بأحكام الله له كمسجد جامع وكان يخطب فيه بنفسه يتضح السبب في هذا الإثراء الزخرفي التي تجسد في هذه الواجهة التي يتوسطها المدخل الرئيسي الذي يدخل منه الخليفة بعد خروجه من باب القصر الشرقي "باب الذهب" الذي كان في أقرب نقطة من هذا الباب.

ويبلغ طول هذه الواجهة ١٩,٩٤ متراً ويبلغ ارتفاعها ١٢ متراً،وقسمت إلى ثلاثة أقسام قسم أوسط يمثل واجهة المدخل الرئيسي ويبلغ طوله ٧,١٠ متر ويبرز عن سمت الواجهة في الجانب الشمالي بمقدار ٦٥ سم، وفي الجانب الجنوبي بمقدار

٧٥ سم، وقسمان جانبيان يبلغ طول كل منهما ٦,٤٢ باعتبار أن القسم الجنوبي أعيد ترميمه بنفس شكل وقياسات القسم الشمالي،ويكشف هذا التقسيم على سيطرة القسم الأوسط ومحاولة إظهاره بشتى وسائل الإظهار كالبروز بالبناء والتقسيم الزخرفي للحنايا التي يشتمل عليها هذا القسم بالإضافة إلى العناصر الزخرفية الأخرى.

ويشتمل القسم الأوسط أيضاً على ثلاثة عناصر في إطار فكرة التقسيم الثلاثي، حيث يتوسط هذا القسم دخله بصدرها فتحة الباب الرئيسي والتي تبلغ اتساعها ١,٨٥ متراً متر، يعلوها عقد مسطح **Flat Arch** من صنجات معشقة تعتبر أول مثال في العمائر الدينية في مصر وقد سبقتها أمثلة في بابي الفتوح والنصر- كما سبقت الإشارة- ويعلو صدر حنية المدخل طاقية يتقدمها عقد منكسر ويتوسط هذه الطاقية من أسفل جامة مستديرة نقش بمركزها اسما "محمد" و "على" ويؤطر هذه الجامة شريط ضيق من زخارف نباتية رائعة يليه من الخارج شريط آخر من كتابات كوفية فاطمية نصها بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾(١)، وهذا النص القرآني من النصوص القرآنية التي اهتم الفاطميون بتسجيله على عمائرهم وبخاصة الدينية منها لأنها في إطار ما ذكر عن الظروف التي صاحبت نزوله وما ارتبط به من حديث للرسول ﷺ كان فيه تجديد لدلالة معنى كلمة "آل البيت" وهي الدلالة التي يعتمد عليها الفاطميون في تأكيد نسبهم إلى آل بيت النبوة الطاهر، فقد ورد في الأثر بخصوص هذه الآية "قال عطاء بن أبى رباح- رحمه الله- حدثني من سمع أم سلمة- رضى الله عنها- تذكر أن النبي ﷺ كان في بيتها، فأتته فاطمة - عليها السلام- ببرمة فيها خزيرة، فدخلت عليه بها فقال ﷺ: ادعى لي زوجك وابنيك، قالت فجاء على، والحسن، والحسين- رضوان الله عليهم- فدخلوا عليه، فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة، وهو على منامة له على دكان تحته كساء حيبرى، قالت: وأنا في الحجرة أصلى، فأنزل الله عز وجل:

---

(١) قرآن كريم، سورة الأحزاب، آية رقم ٣٣.

"إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً". فأخذ النبي ﷺ فضل الكساء فغشاهم به، ثم أخذ بيديه فألوى بها إلى السماء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وحاميتي فأذهب عنهم الرجس أهل البيت وطهرهم تطهيراً. قالت فأدخلت رأسى البيت وقلت: وأنا معكم يا رسول الله، فقال: إنك إلى خير، إنك إلى خير"[1].

ويؤطر هذا النص القرآني إطار آخر من زخارف نباتية مفرغة وتزخرف الطاقية ضلوع ضلعان أسفل الجامة المستديرة في هيئة مستقيمة ثم يلي ذلك بقية الضلوع التي تبدو كأنها تشع من الجامة المستديرة في اتجاه تنتهي عقد الطاقية في هيئة ضلوع إشعاعية ينتهي بهيئة مسننة ويؤطر حافة العقد البارزة قليلاً عن هذه المسننات إطار ضيق من الزخارف،ويوجد بكوشتي العقد من الخارج صرتان يتوسط كلا منهما نهد صغير تخرج منه زخارف إشعاعية ويؤطر أعلى واجهة دخلة المدخل إطار من زخارف قالبية من الجوانب الثلاثة يعلو الجانب العلوي منه الشريط العلوي من الكتابات الكوفية التي تتوج الواجهة.

ويكتنف حنية المدخل من أسفل حتى مستوى العقد المسطح-الذي يعلو فتحة الباب الرئيسي- حنيتان تعلو كلا منهما طاقية يتقدمها عقد مدبب وتملأ كل منهما زخارف من ضلوع إشعاعية تنتهي بمسننات بنفس هيئة طاقية حنية المدخل الرئيسي، ويلاحظ وجود شريط من الكتابة الكوفية يفصل ما بين طاقية كل حنية والقطاع السفلي منها، وهذا الشريط يمتد على واجهة القطاع الأوسط البارز كلها ونصه قد ذهب الزمن بكثير من كلماته على أنه يمكن أن نقرأ فيها ما يشير إلى أنه يتضمن الآية القرآنية بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ

---

(١) أسامة بن منقذ، المنازل والديار، تحقيق مصطفي حجازي، نشر دار سعاد الصباح، القاهرة ١٩٩٢، ص٣٦٧.

وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[1].

ويعلو هذا الشريط الكتابي دخلة مقرنصة بها أربع حطات من المقرنصات تعتبر المثال الثاني من المقرنصات الحجرية في العمارة الإسلامية بمصر حيث إن المثال الأول في أحد النوافذ الداخلية قبل باب الفتوح بأسوار بدر الجمالي، وقد سبق هذا المثال نموذج من المقرنصات في مئذنة مشهد الجيوشى، لكنه منفذ بالآجر وليس بالحجر، ويؤطر هذه الدخلة التي ترتفع إلى مستوى الضلع الخامس من طاقية دخلة المدخل- إطار من زخارف دقيقة بنفس أسلوب الإطار الذي يؤطر عقد طاقية المدخل الرئيسي، ويوجد أسفل هذه الدخلة المقرنصة شريط من الكتابة الكوفية يفصلها عن الدخلة المعقودة أسفلها، وهذا الشريط يمتد على الواجهة لكنها ليربط أقسامها الثلاثة ونصه "(هـ)ذا الجامع المبارك".. بن الإمام المستعلي بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبناءه (هكذا) الأكرمين السيد الأجل المأمو(ن) أمير الجيوش (سيف الإسلام) ناصر الإمام (كافل قضاه) المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبى عبد الله محمد الآمرى عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين، وآدم قدرته وأعلى كلمته (في سنة) تسعه (هكذا) عشرة وخمسمائة والحمد (لله) وحده وحسبنا الله ونعم الو(كيل)" وتكشف القراءة الجديدة لبداية النص والتي استطاع قراءتها أحد الباحثين مؤخراً- كما سبقت الإشارة عن هذا النقش الكتابي الفاطمي الذي يعتبر الدليل الأثرى المادي الذي يؤكد ما ذكره المؤرخون في العصرين الأيوبي والمملوكي من أن الأثر كان مسجداً جامعاً، حيث ورد ما ينص صراحة "هذا الجامع المبارك". ويتضمن النص اسم الخليفة المنشئ واسم وزيره الذي تم على يده الإنشاء متبوعاً بألقابه التي تؤكد اتساع سلطته، ولاشك أن كتابه اسم الوزير بجانب اسم الخليفة في هذا الشريط وكذلك الشريط الذي يتوج الواجهة له دلالته التي تؤكد أيضاً اتساع نفوذ الوزراء العظام وضعف قوة الخلفاء في النصف الثاني من العصر الفاطمي.

---

(١) قرآن كريم سورة النور، آية رقم ٣٦، ٣٧.

ويعلو كلا من الدخلتين المقرنصتين حنيتان أخريان تبدأ من مستوى كوشة عقد المدخل الرئيسي ويكتف كلا منهما عمودان مدمجان ويعلو كل حنية طاقية ذات ضلوع مشعة تنتهي بمسننات بنفس أسلوب عقد حنية المدخل والدخلتين السفليتين وفي هذا ترديد جمالي واضح وأسفل الطاقة المشعة يوجد شكل صدفة مشعة أصغر نسبياً تؤكد فكرة الترديد في الحنية الواجهة بالإضافة إلى ما سبقت الإشارة إليه من إبراز فكرة الترديد في واجهة المدخل وكذلك القسمان الآخران على جانبي واجهة المدخل كما سيتضح.

ثم يعلو كلا من الدخلتين شريط الكتابة الكوفية الذي يتوج الواجهة هو أكبر الأشرطة من ناحية حجم الكتابة،ويتناسب ذلك مع ارتفاع موضعه ونص هذا الشريط ".. ابن الإمام (المستعلي) بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليهما وعلى آبائهما الطاهرين وأبنائهما الأكرمين تقرباً إلى الله الملك الحق(١) المبين اللهم انصر جيوش الإمام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين على كافة المشركين...(٢)، كافل قضاة المسلمين وهادى دعات (هكذا) المؤمنين أبو عبد الله محمد الآمرى عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته في سنة تسع عشرة وخمسمائة لإقامة البرهان".

ويلاحظ في هذا النص التأكيد على ذكر الصلاة على الخليفة الآمر بأحكام الله وأبيه المستعلي بالله وعلى أبنائهما في إشارة ضمنية إلى أحقيتهما بالإمامة دون النزارية، كما يلاحظ الإشارة إلى أن جيوش الآمر كانت في حرب مع كافة المشركين وهنا تجب الإشارة بأن من بين المشركين المقصودين في هذا النص هم النزارية الذين كانوا يرون أنهم أحق بالخلافة وثاروا من أجل ذلك وتصدى لهم الآمر وحاول

---

(١) قرأ آخرون هذا النص بطريقة خاطئة نصها "الملك الجوا(د) (؟) آمنين. والقراءة الصحيحة الملك الحق المبين اللهم.

(٢) يعترض بعض القارئين للنص في ضوء المقارنة أن يكون نص الجزء المفقود "السيد الأجل المأمون أمير الجيوش سيف الإسلام وناصر الإسلام".

جاهدا إثبات أبيه وبالتالي أحقية الإمامة دون النزارية، وفي الغالب يتصل بهذا الموضوع كلمة إقامة البرهان حيث حرص الامر على إقامة البرهان على أحقية والده بالخلافة وبالتالي أحقيته هو الآخر بها.

أما القسمان الآخران من الواجهة فقد فُقدَ القسم الجنوبي وتم ترميمه بنفس شكل القسم الشمالي جملة وتفصيلاً وهي رؤية في الترميم نفذت في إطار مبدأ السمترية المتبع في الآثار والفنون الإسلامية لكن من الجائز أن يكون الأصل الذي كانت عليه الزخارف التفصيلية لهذا القسم مختلفة ولذلك فإننا سنقتصر على وصف القسم الشمالي الأصلي.

والقسم الشمالي من الواجهة الغربية الرئيسية للجامع القمر تتوسطه دخلة في هيئة مستطيلة يعلوها مباشرة شريط الكتابة الثاني الذي يمر بطول الواجهة، ويعلو هذا الشريط مباشرة -وعلى محور الدخلة- طاقية ذات ضلوع مشعة بنفس هيئة طاقية حنية المدخل ولكنها تتميز بأنه يتقدمها عقد مزدوج ينتهي كل إطار من إطاريه بزخارف مسننة في هيئة المقرنصات ويتوسط هذه الطاقية ذات الضلوع المشعة صرة مستديرة أو جامة نقش بها في المركز اسم على ويحيط بدائرها اسم "محمد" خمس مرات ويكتنف هذه الطاقية من الجانب معينان بهما زخارف نباتية رائعة يتضح فيها التأثير المغربي وهي تذكرنا بالمعينات في مدخل جامع الحاكم، وأيضاً بالمعينات الزخرفية في أبواب القاهرة.

ويعلو الطاقية المشعة نافذة مستديرة كان يغشيها ستارة جصية زخرفية مفرغة فقدت للأسف الشديد ويكتنف هذه النافذة من الجانبين وعلى نفس محور المعينين اللذين سبقت الإشارة إليهما حنيتان صغيرتان بصدر كل منهما نافذة وقد صممت النافذة الشمالية في هيئة المحراب الصغير الذي يرتكز عقده على عمودين ويتدلى من قمته مشكاة تعد المثال الأول الباقي في العمارة الإسلامية في مصر(١).

---

(١) Creswell, Op. Cit., p., 243.

أحمد عبد الرازق، المرجع السابق. ص ٢٥٢

وينتهي هذا القسم الشمالي من الواجهة عند التقائه بالواجهة الشمالية للجامع في ركن مشطوف حتى مستوى الشريط الثاني من الكتابات الذي بالواجهة والذي ينتهي عند هذا الركن ثم يبدأ الركن المشطوف عند هذا المستوى في الارتداد إلى زاويته القائمة بواسطة حطتين من المقرنصات نقش على جانبيهما اسم "محمد" و "على" ونقش بداخل طاقات المقرنص النص القرآني "إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون"(١)، ويعتبر هذا الركن المشطوف(٢) أول نموذج للأركان المشطوفة التي ترتد بعد مستوى معين من الارتفاع إلى زاويتها القائمة بواسطة حطات من المقرنصات وهو مثال تكرر بعد ذلك في العمارة الأيوبية والمملوكية والعثمانية بمصر لتحقيق الغرض الوظيفي الذي سبقت الإشارة إليه.

وإذا كانت الواجهة الغربية هي الواجهة الرئيسية للجامع الأقمر فإن ما يجب الإشارة إليه أن هذا الجامع لم تكن تجاوره مبان مباشرة من الجهات الشمالية والجنوبية حيث كان يوجد مواضع خالية من البناء تحيط به بالإضافة إلى السكة التي كانت تحده من الجهة الشمالية والسكة التي كانت تؤدى إلى بابه في الجدار الجنوبي، ويؤكد هذا أيضاً وجود النوافذ بأعلى الجدران الشمالية والجنوبية والغربية من الداخل وقد خلت الواجهة الشمالية من وجود أي عناصر معمارية مهمة. أما الواجهة الجنوبية فيوجد بها باب يؤدى إلى البلاطة الوسيطة من رواق القبلة في الجامع، أما جدار القبلة من الخارج فهو الآخر خال من وجود أي عناصر معمارية مهمة فيما عدا بروز المحراب الذي يبرز عن سمت الواجهة بامتداد يبلغ ٣,٤١ متر.

---

(١) قرآن كريم، سورة النحل، آية ١٢٨.

(٢) ذكر بعض الباحثين أن هذا الركن هو الذي ذكره المقريزى "بالركن المخلق"، سعاد ماهر محمد: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، جـ١ ص٣٢٤، أحمد عبد الرازق: المرجع السابق ص ٢٥٢. وهو تفسير غير صحيح حيث إن المقريزى يقصد بالركن المخلق موضعاً في الجهة الشرقية من الجامع بدلالة ما ذكره المقريزى من أن يلبغا السالمى جدد حوض الجامع الأقمر الذي تشرب منه الدواب "وهو في ظهره تجاه الركن المخلق" (المقريزى خطط جـ٢ ص٢٩٠).

الوصف من الداخل:

يتوصل من المدخل الرئيسي إلى ممر موروب يبلغ طوله ٤ متر يعلوه قبو ويوجد بالجدار الجنوبي لهذا الممر فتحة باب يؤدى إلى حجرة صغيرة طول ضلعها الجنوبي ٢ متر وطول ضلعها الشرقي ٢,٤٧ متر، وبالجدار الشمالي للممر فتحة باب مقابلة للفتحة السابقة تنتهي إلى سلم يصعد منه إلى سطح الجامع.

وينتهي هذا الممر إلى الرواق الشمالي الغربي، ومنه يتوصل إلى صحن الجامع عبر استطراق بمستوى أرضية الصحن، يخترق هذا الرواق.

والصحن مستطيل الشكل حيث يبلغ طوله من الشرق إلى الغرب ١٠,١٧ متر وعرضه من الشمال إلى الجنوب ٩,٧٧ متر وتطل عليه الأروقة الأربعة للجامع من الجوانب الأربعة بواسطة أربع بائكات تتكون كل بائكة من ثلاثة عقود محمولة على دعامتين في الجانبين وعمودين في الوسط، حيث يوجد في أركان الصحن أربع دعامات مربعة المسقط طول ضلع كل منهما ١,٣٥ متر ويبلغ ارتفاع الأعمدة والدعامات الحاملة للعقود حوالي ٥,٠٢ متر ثم يرتفع بناء الواجهات بعد الروابط الخشبية ٦,١٦٥ متر حتى نهاية هذه الواجهات، ويؤطر عقود الواجهات المطلة على الصحن إطار من كتابات كوفية فاطمية احتفظت الواجهة الشمالية بكتاباتها الأصلية التي ترجع إلى العصر الفاطمي دون أي تغيير مثلما حدث في بقية الواجهات التي حدثت بها بعض الترميمات، أرجعها فان برشم وكريسويل كما سبقت الإشارة- إلى العصر العثماني، وإن صحت نسبتها إلى العصر هذا فإن نسبتها إلى سليمان أغا السلحدار غير صحيحة كما سبقت الإشارة في الحديث عن تاريخ عمارة الجامع.

والجزء الأصلي من الكتابات الكوفية على الواجهة الشمالية عبارة عن آيات قرآنية نصها ﴿ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[1].

---

(١) سورة النساء، آية رقم ١٦٦.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ ﴾[1].

ولهذه الكتابة الفاطمية الأصلية على الواجهة الشمالية المطلة على الصحن أهمية خاصة حيث إنها تقدم الدليل الأثرى المادي على أصالة تغطية الجامع بالقباب الضحلة في العصر الفاطمي، وقد سبقت الإشارة إلى أن مشكلة تاريخ تغطية الجامع بالقباب الضحلة مشكلة أثارها كريسويل عند دراسته للجامع حيث ذكر أنه من الصعب الظن بأن هذه القباب ترجع إلى الفترة الأصلية لبناء الجامع في العصر الفاطمي[2]. ثم استطرد ليذكر أن الفاطميين استخدموا حقيقة المثلثات الكروية في أبواب القاهرة لكنه لم يجد هذا العنصر في مصر لمدة ثلاثة قرون وأول نموذج يقابله بعد ذلك هو خانقاه فرج بن برقوق التي أنشئت سنة ٨٠٣-٨١٣هـ/ ١٤٠٠-١٤١١م ثم يشير إلى ما حدث من تجديدات في الجامع في عهد السلطان برقوق والتي تمت على يد يلبغا السالمى-كما أشرنا-ثم يقول ومع ذلك فإنه في حالة إذا ما كانت هذه القباب قد بنيت في أعمال يلبغا في عصر برقوق فإن ذلك يعنى بالضرورة أن بناء العقود التي تحملها لابد وأنه يكون أيضاً من نفس الفترة وإن كان من النادر تصور أن تبنى هذه العقود لحمل سقف مسطح يبلغ بحره ٣ متراً وهذه العقود تبدو أطرها مشابهة للعقود المطلة على الصحن ثم يتساءل هل أقتبس برقوق هذه القباب الأخيرة(؟) ويمكن من خلال فحص هذه العقود ومآخذ المثلثات الكروية التي تحمل القباب يمكن أن نحدد الإجابة على هذا التساؤل،وهذا غير ممكن الآن لوجود الملاط الذي يغطيها ومع هذا فإن وجود هذا النموذج الشاذ في هذه الفترة يجعلني لا أتردد في أن أنسبه إلى هذا السلطان المملوكي الشهير"[3]، وهكذا انتهى كريسويل إلى

---

(١) سورة النور، آية رقم ٣٥.

(٢) Creswell, Op. Cit., p. 244.

(٣) Creswell, Op. Cit., pp. 244-245.

نسبة قباب الجامع القمر التي تغطى الأروقة الثلاثة الجانبية وبلاطتين من رواق القبلة إلى العصر المملوكي وعلى وجه التحديد عصر السلطان برقوق.

وإذا ما وضعنا في الاعتبار أن الكتابات الكوفية التي تؤطر عقود البائكة الشمالية المطلة على الصحن أصلية وترجع إلى العصر الفاطمي فإن هذا يعنى أن هذه العقود ظلت على حالها منذ إنشائها في العصر الفاطمي، ولما كانت هذه العقود تحمل القباب الثلاث في الرواق الشمالي وبناء هذه القباب بالضرورة مرتبط إنشاؤها عضوياً بإنشاء هذه العقود فإن في ذلك ما يؤكد أن هذه القباب قد أنشئت في العصر الفاطمي، حيث ترجع إلى نفس عصر الكتابات الأصلية التي تؤطر عقود هذه الواجهة، وبالتالي يثبت خطأ كريسويل في ضوء الدليل الأثرى المادي المتمثل في أصالة الكتابات المحيطة بعقود الواجهة الشمالية المطلة على الصحن، وإذا افترضنا جدلاً أن هذه القباب كانت ضمن تجديدات يلبغا فإن ذلك يعنى أن هذه العقود أعيد بناؤها ولكن العقود أصلية لم يحدث عليها أي تغيير بدلالة أصالة الكتابات التي تؤطرها.

وبناء على ما سبق يتضح أن فكرة بناء القباب بواسطة يلبغا ضمن إصلاحاته فكرة غير صحيحة وساذجة في ضوء ما تؤكده الأدلة المعمارية،وهنا يجب أن نضع في الاعتبار أن المقريزى عندما تحدث عن إصلاحات يلبغا السالمى رغم ذكره تفاصيلها لم يشر إلى أنه بنى قبابه التي تمثل جزءًا مهماً من عمارة الجامع لا يمكن أن يغفله المقريزى الذي ذكر الدقيق من الأعمال كتبييض الجامع ودهن صدره باللازورد والذهب.

ولا يفوتنا أن كريسويل ذكر أنه لم يقابله أي نموذج لاستخدام المثلثات الكروية في مصر لمدة ثلاثة قرون حتى حالة استخدامها في خانقاه فرج بن برقوق، وقد كشفت الحفريات التي قام بها المجلس الأعلى للآثار بالدير الأبيض عن وحدات معمارية من قمائن لحرق الجير استخدم في بناء قبواتها المثلثات الكروية المبنية بالطوب اللبن وهذه الوحدات ترجع إلى القرن ٦هـ/ ١٢م في فترة معاصرة لإنشاء

الجامع الأقمر[1]، كذلك استخدمت هذه القباب الضحلة المحمولة على مثلثات كروية في مشهد إخوه يوسف ووجدت كذلك قبل خانقاه فرج بن برقوق في قباب الأروقة التي تتقدم قبة قلاوون من الجهة الغربية[2]، وفي ذلك ما يدفع ما يذكره كريسويل من أنه لم ير لمدة ثلاثة قرون بعد إنشاء القباب الضحلة في أبواب القاهرة أمثلة في مصر لاستخدام المثلثات الكروية في حمل القباب الضحلة قبل إنشاء خانقاة فرج بن برقوق.

وإذا كانت خانقاة فرج بن برقوق أنشئت في الفترة من ٨٠١-٨١٣هـ/ ١٤٠٠-١٤١١م فإن ذلك يعنى أن إنشاءها كان بعد ترميم يلبغا السالمى للجامع الأقمر بسنتين على الأقل وإذا علمنا أن الدراسة المعمارية لخانقاه فرج بن برقوق توضح أن الأصل في تخطيطها كان قائماً على تغطيتها بسقف خشبي مسطح لكن الظروف الاقتصادية التي مر بها السلطان فرج أدت إلى استبدال السقف الخشبي المكلف بالقباب الضحلة الممطوطة، ويتضح أن فكرة الاقتباس تكون بصورة عكسية وليس كما يتصور كريسويل حيث يمكن أن تكون تغطية خانقاة فرج في إطار الظروف التي سبق عرضها هي التي أدت إلى اقتباس أسلوب تغطية الأقمر بالقباب في تغطية خانقاة فرج بالصحراء، ولما كانت عملية التغطية تأتى بعد الانتهاء من الأساسات والجدران فإن ذلك يعنى أن تغطية الخانقاة بالقباب الضحلة كان في المراحل النهائية من إنشائها والتي انتهت سنة ٨١٣هـ/١٤١١م أي بعد الانتهاء من الجامع الأقمر بخمس عشرة سنة،وفي هذا ما يدعم إمكان اقتباس أسلوب تغطية الأقمر الفاطمي في تغطية خانقاة فرج بن برقوق المملوكية وليس العكس.

وفي إطار الدراسة المقارنة فإننا نلاحظ أن كثيراً من الآثار التي أنشئت في

---

(١) حسن عبد الوهاب، المرجع السابق ص ٧٦.

(٢) توجد نماذج لبعض القباب الضحلة ذات المثلثات الكروية في حصن الدير المحرق وفي دير مارى مينا العجايبى بأبنوب وهذه المباني المسيحية أنشئت في العصر الفاطمي في القرن ٦هـ/١٢ م (راجع منشورات الدير المحرق بأسيوط، جبل قسقام قدس وتراث سنة ١٩٩٠ ص ص ٢٢-٢٧.

العصر الفاطمي سواء الإسلامية كمشهد الجيوشى والحصون التي أنشئت في الأديرة المسيحية كحصن دير المحرق وحصن الدير الأحمر وحصن دير الأنبا أنطونيوس بالصحراء الشرقية استخدم في تغطيتها الأقبية المتقاطعة، كما أن معظم المشاهد الفاطمية استخدم في تغطيتها القباب والأقبية وهو ما يعنى أن المعمار الفاطمي استخدم الأسقف المقبية بنوعياتها المختلفة كالقباب البسيطة والقباب الضحلة والأقبية البرميلية والأقبية المتقاطعة والأقبية المتداخلة استخداماً كثيراً لا يتعارض معه استخدام القباب الضحلة في تغطية الجامع الأقمر واستخدامها أيضاً في أبواب القاهرة واستخدامها في مبان فاطمية أخرى خارج القاهرة -كما أشرنا- وهو ما يجعل من المقبول منطقياً استخدام هذا النوع من التغطية في تغطية الأقمر.

رواق القبلة:

يعتبر رواق القبلة أكبر الأروقة في الجامع الأقمر وهو يطل على الصحن ببائكة تتكون من ثلاثة عقود ويلاحظ أن العقد الأوسط أوسع قليلاً من العقدين الجانبيين حيث يبلغ اتساع فتحته ٣,٠٧ سم ويبلغ اتساع فتحة كل من العقدين الجانبيين ٢,٣٣ متر وهذا العقد على محور المحراب تماماً، وهو ما يؤكد أن المعمار جعله بهذا القياس الأوسع عن العقدين الجانبيين ليبرز المحراب.

ويتكون رواق القبلة من ثلاث بلاطات موازية لجدار القبلة، بواسطة ثلاث بائكات، البائكة المطلة على الصحن يحمل عقودها الخمسة دعامتان وعمودان، اما البائكتان الأخريان فتحمل عقودها الخمسة في كل بائكة أربعة أعمدة ويتعامد على هذه العقود في البائكتين الأولى والثانية من جهة الصحن خمس بائكات بكل بائكة عقدان وتكون هذه العقود في البائكات الموازية والمتعامدة عشر مربعات Bays يعلو تسعة منها قباب ضحلة محمولة على مثلثات كروية والمربع العاشر في وسط البلاطة الثانية يعلوه شخشيخة لإضاءة الرواق.

ويلاحظ أن البلاطة الثالثة "بلاطة المحراب" أوسع من البلاطتين الأخريين حيث يبلغ اتساعها ٥ متر بينما يبلغ اتساع كل من البلاطتين الأخريين ثلاثة أمتار

فقط،ويعلو هذه البلاطة سقف خشبي مجدد ولا توجد من البقايا المعمارية سواء في السقف أو في أعلى الجدران ما يدل على أسلوب تغطية هذه البلاطة.

ولاشك أن هذه البلاطة كانت مغطاة بأسلوب معماري معين، يماثل في المستوى إن لم يفق ما كان عليه الحال في بلاطة محراب الجامع الأزهر وجامع الحاكم خصوصًا أن الخليفة الآمر كان يخطب فوق المنبر الذي يوضع على يمين المحراب في هذه البلاطة وكان يؤم المسلمين في المحراب بصدر هذه البلاطة، ويذكر حسن عبد الوهاب أنه "يبدو أنه كانت توجد مقصورة خشبية على وجه هذا الرواق (يقصد بلاطة المحراب) لأن أثر قوائمها باق في قواعد الأعمدة"[1].

ويتوسط الجدار الجنوبي الشرقي بهذا الرواق حنية المحراب وهي عبارة عن دخلة يبلغ اتساعها ٢,٤٩ متر بصدرها حنية تأخذ شكلاً مقوساً يزيد على نصف الدائرة يبلغ اتساعها ١,٥٥ متر ويعلو هذه الحنية طاقية يتقدمها عقد فاطمي منكسر يرتكز على عمودين من الرخام قطاعهما مستدير بتيجان وقواعد ناقوسية الشكل، وقد جدد المحراب ضمن تجديدات يلبغا السالمى للجامع ٧٩٩هـ/١٣٩٧م ونقشت لوحة وضعت فوق المحراب تسجل هذا التجديد نصها بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2]، أمر يعمل هذا المنبر والمنارة وغيره بعد اندراسه في أيام مولانا السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق حرس الله نعمته العبد الفقير إلى الله تعالى أبو المعالي عبد الله يلبغا السالمى الحنفي الصوفي لطف الله به في الدارين وجعله.. في شهر رمضان المعظم سنة تسع وتسعين وسبعمائة. وكان بنى هذا الجامع في أيام الخليفة الآمر بأحكام الله بن المستعلي بالله في سنة تسع عشرة وخمسمائة من الهجرة النبوية.

---

(١) حسن عبد الوهاب، المرجع السابق ص ٧٢.

(٢) قرآن كريم: سورة الروم، آية رقم ٥٠.

ويوجد منبر على يمين المصلى في محراب الجامع وهذا المنبر -كما أشرنا- من عمل يلبغا السالمى، واستخدم في صناعته حشوات خشبية بعضها عليه كتابات كوفية نصها "الملك لله" وبعضها عليه زخارف حيوانية، وقد وضع على باب المنبر لوحة نقش فيها ما يدل على ذلك ونص هذه اللوحة ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾[1] أمر بعمل هذا المنبر في أيام مولانا السلطان الملك الظاهر برقوق نصرة الله غرس نعمته العبد الفقير إلى الله تعالى عبد الله يلبغا السالمى الحنفي الصوفي الظاهري لطف الله به في الدارين آمين في شهر رمضان المعظم سنة تسع وتسعين وسبعمائة".

والجدار الجنوبي في هذا الرواق به ثلاث دخلات في الوسطى منها فتحة الباب الجنوبي التي تؤدى إلى البلاطة الوسطى، أما الجدار الشمالي فتوجد به ثلاث فتحات على نفس محاور الدخلات في الجدار المقابل تؤدى الفتحة الشرقية منها إلى حجرة كبيرة مستطيلة يبلغ طولها ٥,١٨ متراً بصدرها دخلة، أما الفتحة الثانية والثالثة من الشرق إلى الغرب كل منهما بصدر حنية على نفس محور الحنية في الجدار المقابل وتؤدى كل منهما إلى حاصلين بلغ طوله من الشمال إلى الجنوب ٢,٦٠ متراً ولهذه الحجرة والحاصلين أبواب خشبية زخرفت حشواتها بزخارف نباتية فاطمية.

الأروقة الشمالية والجنوبية والغربية:

الرواقان الشمالي والجنوبي متشابهان جملة وتفصيلاً ويغطى كلا منهما ثلاث قباب ضحلة محمولة على عقود عمودية وموازية لجدار القبلة مكونة مربعات ثلاثة تقوم عليها القباب في كل رواق ويوجد بكل من الجدارين الجنوبي بالرواق الجنوبي والشمالي بالرواق الشمالي ثلاث دخلات وهذه الدخلات في كل من الجدارين على محاور واحدة وتكمل سلسلة الدخلات -التي سبقت الإشارة إليها- عند وصف رواق القبلة.

---

(١) قرآن كريم، سورة الإسراء، آية رقم ١١١.

أما الرواق الغربي الخلفي "أو المؤخر" فيتكون من بلاطة واحدة أيضاً مقسمة إلى خمسة مربعات بواسطة عقود عمودية وموازية لجدار القبلة وتحمل فوقها خمس قباب ضحلة محمولة على مثلثات كروية بنفس هيئة القباب برواق القبلة، والرواقان الجانبيان الشمالي والجنوبي.

ويوجد بالجدار الجنوبي والشمالي لهذا الرواق دخلة تكمل سلسلة الدخلات بالجدارين الشمالي والجنوبي للجامع كما يوجد بالجدار الغربي أربع دخلات مشابهة يتوسطها عقد ممر المدخل الشرقي الذي يفتح على هذا الرواق، وهكذا تشكل هذه الدخلات في الجدران الشمالية والجنوبية والغربية منظومة من الدخلات المعقودة التي فتحت في القطاع العلوي منها نوافذ تغشيها شبابيك الجص المعشق بالزجاج الملون وهي حديثة لكنها عملت بدلاً من الستائر الجصية الأصلية، وهذه الدخلات من الملامح المعمارية المميزة في عمارة هذا الجامع والذي تزيد الإحساس باتساع الجامع من الداخل والذي هو في الحقيقة مستطيل طوله من الشرق إلى الغرب ٢٨ متراً ومن الشمال إلى الجنوب ١٧,٣٤ متراً، كما أنها تضفي عليه جمالاً خاصاً حيث إن عقود هذه الدخلات تكمل المربعات التي تقوم عليها القباب.

وظاهرة استخدام الدخلات في الجدران سبقت الإشارة إلى وجودها في دور الفسطاط وهي من الملامح المعمارية الفاطمية التي تجسدت بوضوح في هذا الجامع، وسيتكرر وجودها بنفس الصورة وأكثر في مسجد الصالح طلائع.

وفي إطار الوصف المعماري السابق لعمارة الجامع الأقمر يمكن أن نسجل الملامح المعمارية التالية التي تميز عمارة هذا الجامع وبعض هذه الملامح كانت النموذج الأول لوجودها في العمارة الإسلامية الدينية في مصر.

أولاً: يعتبر تخطيط هذا الجامع على هذه المساحة التي تأخذ هيئة شبه المنحرف أول نموذج باق يراعى فيه المعمار خط تنظيم الشارع الرئيسي الذي يطل عليه الجامع وهو الشارع الأعظم مع الالتزام بتوجه الجامع نحو القبلة توجهاً دقيقاً وتوفير أكبر مساحة للجامع مستطيلة ومنتظمة التربيع لتخطيط أروقته الأربعة، مع

استغلال المساحات الهامشية غير المنتظمة في عمل حجرات وحواصل وعناصر أخرى لخدمة الجامع.

ثانياً: يعتبر تصميم الواجهة الغربية الرئيسة للجامع ذا أهمية خاصة سواء من ناحية التصميم العام أو من ناحية التفاصيل الزخرفية، فالصورة الكاملة لهذه الواجهة بعد استكمال النصف الجنوبي الذي أعيد ترميمه بعد إزالة المنزل الذي كان طاغياً على هذا القسم من الواجهة يكشف عن أروع واجهة حجرية معمارية باقية من العصر الفاطمي،وقد أوضحنا سبب الاهتمام البالغ بالتشكيل المعماري الرائع لهذه الواجهة، وأنه جاء بهذا الشكل ليتناسب ووظيفة هذا الجامع، باعتباره مسجداً جامعاً ثالثاً أنشأه الآمر ليخطب ويؤم المسلمين في الصلاة به في الصلوات الجامعة شأنه شأن الجامع الأزهر والجامع الأنور (حاكم الحاكم) ولعل في ذلك ما يشير إلى تسمية هذا الجامع بمسمى مرادف لمعنى مسمى الجامعين المذكورين، وعلى نفس الوزن لغويا (أزهر – أنور – أقمر) وهو وزن أفعل التفضيل.

ثالثاً: إن فكرة المعمار في توفير أكبر مساحة منتظمة التربيع للأروقة الأربعة هي فكرة تخطيطية سبقت إليها بدور الفسطاط وكذلك الدار الطولونية التي كشف عنها في العسكر، وهي فكرة تخطيطية تكررت أيضاً في المنشآت الدينية المملوكية التي أنشئت داخل القاهرة على مساحات غير منتظمة، كما أنها استخدمت أيضاً في الدور العثمانية وهو ما يشير إلى تواصل الفكر التخطيطي لدى المعمار المسلم الذي يتوارث الخبرات وبخاصة هذه الفكرة التي يتغلب بها المعمار على عدم انتظام المساحة المتاحة لإنشاء منشأة.

رابعاً: يلاحظ فكرة التقسيم الثلاثي في الواجهة الرئيسية فقد قسمت الواجهة إلى ثلاثة أقسام وقسم القسم الأوسط إلى ثلاثة أقسام وقسم العناصر الرأسية على جانبي حنية المدخل إلى ثلاثة أقسام، كما أن توزيع العناصر المعمارية والزخرفية في القسمين الشمالي والجنوبي غلب عليه أيضاً التقسيم الثلاثي، فالحنية الوسطى يكتنف أعلاها معينان والمستوى العلوي عبارة عن نافذة مستديرة في الوسط يكتنفها حنيتان في تقسيم ثلاثي أيضاً. وفي الرؤية العامة للواجهة ككل نلاحظ تشابه حنية

المدخل بتشكيلها العام في الحنية التي تتوسط القسم الشمالي وكذلك الحنية التي تتوسط القسم الجنوبي (بعد الترميم) في تشكيل ثلاثي بصري يربط بين أقسام الواجهة الثلاثة ويساير هذا التوجه أيضاً الأشرطة الكتابية بالواجهة والتي تمثلت في ثلاثة أشرطة. ويمتد هذا التقسيم الثلاثي في الداخل حيث نراه أيضاً في واجهات الأروقة المطلة على الصحن والتي تتكون كل منها من ثلاثة عقود.

وفكرة تزيين الواجهة بالحنايا فكرة لها أصولها التي ترجع إلى ما قبل العصر الفاطمي، فقد عرفت في بلاد العراق وإيران ورآها المسلمون ممثلة في واجهة إيوان كسرى ثم استعملوها في قصر الأخيضر بالعراق، والذي يرجع إلى العصر العباسي وصارت من العناصر المحببة إلى النفوس فتوسع المعمار في استخدامها تمييزاً للواجهة عن بقية جدران المسجد[1].

ويلاحظ أن فكرة التقسيم الثلاثي سواء كان تنفيذها في هيئة حنيات بالواجهة أو في هيئة بائكة ثلاثية العقود بهيئة معمارية معينة تبدو فيها فتحة العقد الأوسط أوسع من الجانبين وأعلى منهما فكرة معمارية يلاحظ تكرارها في العمارة الفاطمية، ويلاحظ أنها صيغت بأشكال مختلفة في واجهة المداخل أو في الواجهات الداخلية المطلة على الصحون،ونرى ذلك في مدخل جامع المهدية، وفي مدخل جامع الحاكم كما نراه في مدخل الأقمر ومن نماذج التقسيم الثلاثي في الواجهة المطلة على الصحون والأفنية الداخلية ما نراه في دور الفسطاط وفي مشهد الجيوشي ومشهد السيد رقية ومشهد كلثم ومشهد يحيى الشبيه، كما وجد في الحصون ببعض الأديرة المسيحية كحصن دير المحرق وحصن دير الأنبا أنطونيوس، وبخاصة في الكنيسة التي تقع في الطابع العلوي من الحصن، وقد امتد تأثير هذا التقسيم الثلاثي وبخاصة في واجهة المدخل في بعض مداخل العمائر الدينية المملوكية.

خامساً: ومن الناحية الإنشائية نلاحظ أن هذا الجامع يتميز باستخدام أربع دعامات ضخمة في أركان الصحن الأربعة تحمل العقود مع الأعمدة القديمة التي أعيد

---

(١) محمد عبد العزيز مرزوق، المرجع السابق ص ص ٨٩-٩٠.

استخدامها في عمارة الجامع لحمل العقود العمودية والموازية التي تكون مربعـات تحمل فوقها قباباً ضحلة محمولة على مثلثات كروية وهذه الدعامات الأربع ساعدت على تحمل رفس العقود التي تزيد فوقها ثقل البناء المتمثل في القباب المبنية بالآجر والمحمولة على المثلثات الكروية التي تنقل الثقل إلى الأركان ممثلة فـي الأعمـدة والدعامات، ولاشك أن هذه الدعامات ساعدت كثيراً على متانة البناء وثباته وبخاصة وأن بعض الأعمدة جلبت من عمائر قديمة وهي أضعف إنشائياً إذا ما قورنت بهـذه الدعامات واستخدام هذه الدعامات في الجامع الأقمر يعتبر مثالاً مبكراً لنموذج آخـر في العصر المملوكي تمثل في جامع السلطان برسباي بمدينة الخانكـة حيث إنـشأ المعمار بشكل مماثل أربع دعامات مشابهة في الأركان لتؤدى نفس وظيفة الدعامات في أركان صحن الجامع الأقمر.

ومن العناصر الإنشائية المهمة في الجامع الأقمر هو استخدام الصنج المعـشقة في العقد المسطح الذي يعلو فتحة الباب مع تطوير زخرفي تمثل في الأقواس التـي تمثل بروزات التعشيق واستخدام الصنج المعشقة في هذا الجامع يعتبـر أول مثـال لاستخدامها في منشأة دينية حيث جرت العادة باستخدام الصنج المعشقة في العمارة الحربية كما لاحظنا في أبواب القاهرة.

والمعروف أن استخدام الصنج المعشقة في البناء ظـاهرة معماريـة رومانيـة ظهرت في معظم بلاد منطقة البحر المتوسط، ويرى بعض الباحثين أنها ظهرت فـي مصر في أيام البطالسة في مقابر كوم أبو بلو بالدلتا[١]، واستخدمها المسلمون لأول مرة في قصر الحير الذي بناه في باديـة الـشام هـشام بـن عبـد الملـك سـنة ١١٥هـ/٧٣٣م، ثم ذاع استعمالها بعد ذلك.

سادساً: ومن ناحية الزخارف نلحظ أن واجهة الأقمـر متميـزة بعـدة ملامـح كالصرر الزخرفية التي نقشت فيها الزخارف وفرغت بتصميمات زخرفيـة رائعـة، وأيضاً المعينات ذات الزخارف التي تعكس تأثيراً مغربياً رائعاً،وأيضا وجود الحنيـة

---

(١) محمد عبد العزيز مرزوق، المرجع السابق، ص ٨٦.

التي تتدلى منها المشكاة في القطاع الشمالي من القسم الشمالي من الواجهة من أعلى، وهو المثال الأول لهذا التصميم في العمارة الإسلامية في مصر، ويرى بعض الباحثين أنها تأثير سلجوقى[1]، ولم يربطوا بينها وبين الآية القرآنية التي تشير إلى نور الله في الواجهة الشمالية للصحن.

كما يلاحظ الطواقي ذات الزخارف الإشعاعية والتي تنتهي في العقود التي تتقدم هذه الطواقي بوحدات مسننة أو وحدات مقرنصة كانت الانطلاقة الأولى لشيوع هذا التصميم في واجهة مسجد الصالح طلائع وفي المحاريب بالمشاهد الفاطمية، كذلك تعتبر استخدام المقرنصات كعنصر زخرفي وليس كعنصر إنشائي في بعض المناطق في واجهة الأقمر تطبيقاً جمالياً زخرفياً مميزاً للمقرنصات يعتبر مثالاً رائدًا لشيوع هذه الظاهرة بعد ذلك في العمارة الأيوبية.

وإذا كان الجامع الأقمر في ضوء سرد الملامح المعمارية والزخرفية المميزة يعتبر مثالاً مميزاً في عمارته وزخارفه فإن هذا الجامع ذكر بعض الباحثين أنه كان معلقاً اعتقاداً منهم بأنه كان تحته حوانيت[2]، وقد كان هذا الرأي فيما يبدو في إطار فهم غير صحيح لما ذكره المقريزى من أن الوزير المأمون البطائحى "لم يترك قدام القصر دكاناً وبنى تحت الجامع في أيامه دكاكين ومخازن من جهة باب الفتوح لا من صوب القصر وكمل الجامع المذكور في أيامه..."[3]، فأعتقد أن كلمة تحت بمعنى "أسفل" والحقيقة أن كلمة تحت تعنى بجانب الجامع ولا أدل على ذلك من استخدام المؤرخين والموثقين في العصر المملوكي للكلمة بهذا المعنى، والمثال الواضح على ذلك "شارع تحت الربع" أي بجانب الربع" وليس أسفله، وأكد هذا الحقيقة ما تم من محاولات لعمل تنقيبات أسفل الجامع من جهة باب الفتوح والتي لم تكشف عن

---

(١) عبد الناصر ياسين: الفنون الزخرفية الإسلامية في مصر منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٢، جـ١ ص٧٩١

(٢) حسن عبد الوهاب، المرجع السابق، جـ١ ص٧٠.

(٣) المقريزى، خطط جـ٢ ص ٢٩٠.

حوانيت أسفل الجامع، ولما كان القطاع الغربي من الجـامع -كمـا أشـرنا- يحـتفظ بأسلوب تغطية بالقباب الضحلة منذ العصر الفاطمي فيكون في ذلك دليل مادي عـن أنه لم يحدث أي تعديل معماري أو إعادة لبناء الجامع في هذا القطاع في أي فتـرة لاحقة للعصر الفاطمي وهو ما يؤكد عدم بناء حوانيت أسفل الجامع ولكن مـا بنـى حوانيت بجانب الجامع على الجانب الآخر للشارع وربما بنيت تعويضاً للدكاكين التي هدمت وأنشئ في موضعها الجامع.

مسجد الصالح طلائع بن رزيك

٥٥٥هـ/١١٦٠م

يعتبر مسجد الصالح طلائع خارج باب زويلة من آخر المساجد الفاطمية الباقية التي أنشئت في العصر الفاطمي. ويتميز هذا المسجد بكثير من الملامح المعمارية المهمة، منها أنه أول المساجد المعلقة الباقية في مصر، كما أنه المسجد الوحيد في مصر الذي تتقدم واجهته الغربية سقيفة، هذا بالإضافة أن سبب إنشائه والذي تمثل في رغبة منشئه بإلحاق مشهد به لدفن رأس الحسين جعله في إطار إثبات إتمام هذا المشهد من أول نماذج المساجد الذي تضمنت فكرة إنشائه إلحاق ضريح، هذا بالإضافة إلى نضوج كثير من العناصر المعمارية والزخرفية الفاطمية ذات التأثيرات المغربية التي تمثلت في زخرفة هذا الجامع. كما أن هذا المسجد من الناحية العمرانية يعتبر المثال الوحيد الباقي من الآثار الفاطمية التي جسدت الامتداد العمراني للقاهرة الفاطمية خارج باب زويلة في الظاهر الجنوبي لها وفي موضع كانت تشغله جنوب هذا الجامع مواضع للدفن زحف العمران إليها بعد ذلك في العصور الأيوبية والمملوكية والعثمانية فتغيرت معالمها وأصبحت منطقة سكنية وتجارية مهمة، وكان هذا المسجد في ظروف إنشائه مرتبطاً بالنسيج المعماري لهذه المنطقة التي امتدت إليها بعض الحارات الفاطمية خارج الأسوار بعدما غصت القاهرة بسكانها(١).

منشئ المسجد

أنشأ هذا المسجد الصالح طلائع بن رزيك وهو أرمني الأصل، كان يحب آل البيت حبا جماً، وقد انعكس هذا الحب انعكاساً واضحاً على حياته وأعماله. ومنها هذا الجامع حيث تشير الرواية إلى أنه "قدم في أول أمره إلى زيارة مشهد الإمام على ابن أبى طالب رضى الله عنه بأرض النجف من العراق في جماعة من الفقراء وكان

---

(١) المقريزى: خطط. جـ٢ ص ٤٤٣.

من الشيعة الإمامية، وإمام مشهد على رضى الله عنه يومئذ السيد ابن معصوم، فزار طلائع وأصحابه، وباتوا هنالك فرأي ابن معصوم في منامه على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو يقول له قد ورد عليك الليلة أربعون فقيراً من جملتهم رجل يقال له طلائع بن رزيك من أكبر محبينا، قل له اذهب فقد وليناك مصر، فلما أصبح، أمر أن ينادى من فيكم طلائع بن رزيك، فليقم إلى السيد بن معصوم، فجاء طلائع وسلم عليه فقص عليه ما رأي فسار حينئذ إلى مصر وترقى في الخدمة حتى ولى منية بني خصيب، فلما قتل نصر بن عباس الخليفة الظافر بعثت نساء القصر إلى طلائع يستغثن به في الأخذ بثأر الظافر، وجعلن في طي الكتب شعور النساء، فجمع طلائع عندما وردت عليه الكتب الناس، وسار يريد القاهرة لمحاربة الوزير عباس، فعندما قرب من البلد فر عباس،ودخل طلائع القاهرة، فخلع الخليفة عليه خلع الوزارة، ونعت بالملك الصالح فارس المسلمين نصير الدين فباشر البلاد أحسن مباشرة، واستبد بالأمر لصغر سن الخليفة الفائز بنصر الله إلى أن مات"[1].

كما ازدادت سيطرته على الأمور في عهد الخليفة العاضد وزوجه ابنته، وزاد فثقل ذلك على أهل القصر لكثرة تضييقه عليهم واستبداده بالأمر في دولتهم فوقف له رجال القصر وضربوه حتى سقط على الأرض على وجهه وحمل جريحاً لا يعي إلى داره، فمات يوم الاثنين ١٩ شهر رمضان سنة ٥٥٦هـ/ ١١٦٠م [2].

وتكشف الرواية السابقة عن مدى حب الصالح طلائع لآل البيت الذي تجسد في زيارته لمشهد الإمام على رضى الله عنه، وهو الحب الذي جسدته رؤيا السيد بن معصوم إمام المشهد، وزاد بالتأكيد من حبه لآل البيت تحقيق الرؤيا الذي انتهى به إلى الوصول إلى الوزارة وسيادته لحكم مصر في عهد كل من الخليفة الفائز والخليفة العاضد لصغر كل منهما.

ويجسد حب الصالح لآل البيت اهتمامه بالمذهب الشيعي ومقالاته في التشيع

---

(١) المقريزى: خطط جـ٢ ص ٢٩٣-٢٩٤.

(٢) المقريزى: خطط جـ٢ ص ٢٩٤، وقد اختلف المؤرخون في تاريخ وفاته.

حتى إنه ألف كتاباً سماه "الاعتماد في الرد على أهل العناد" جمع له الفقهاء وناظرهم عليه وهو يتضمن إمامة على بن أبى طالب رضى الله عنه والكلام عن الأحاديث الواردة في ذلك[1]، كما يؤكد ذلك اهتمامه بالأشراف من "أهل الحرمين مكة والمدينة الذين كان يرسل إليهم سائر ما يحتاجون من الكسوة وغيرها حتى أنه كان يحمل إليهم ألواح الصبيان التي يكتب فيها والأقلام والمداد وآلات النساء ويحمل في كل سنة أن العلويين الذين بالمشاهد جملاً كبيرة"[2].

وفي إطار هذا الحب كان تفكيره في إنشاء هذا المسجد موضوع البحث- فقد ذكر ابن عبد الظاهر "كان الصالح طلائع بن رزيك لما خيف على مشهد الإمام الحسن رضى الله عنه إذ كان بعسقلان من هجمة الفرنج وعزم على نقله بنى هذا الجامع وليدفنه به فلما فرغ منه لم يمكنه الخليفة من ذلك وقال لا يكون إلا داخل القصور الزاهرة وبنى المشهد الموجود ودفن به"[3].

موضع إنشاء المسجد:

أنشئ المسجد خارج باب زويلة على بعد حوالي ٢٠ متراً في الجهة الجنوبية الشرقية من البرج الشرقي لباب زويلة أي أنه أنشئ في أقرب نقطة من الظاهر الجنوبي للقاهرة الفاطمية من باب زويلة، واختيار هذا الموضع في البداية كان تفضيله غالباً في إطار وقوع هذا الموضع على الطريق الرئيسي الذي يربط عواصم مصر الإسلامية جنوب القاهرة بالقاهرة،وهو الطريق الرئيسي لمرور العامة الداخلين إلى القاهرة أو العائدين منها، ومن هنا تأتى أهمية هذا الموضع لإنشاء مسجد يلحق به مشهد للإمام الحسن يكون على مرأى المارين من أهل مصر إلى القاهرة وقريب أيضاً من القاهرة لمن يريد الزيارة بسهولة ويسر، كذلك يلاحظ أن هذه المنطقة التي أنشئ فيها المسجد كانت لتتوفر بها مثل هذه المساحة التي أنشئ عليها المسجد،

---

(١) المقريزى: خطط جـ٢ ص ٢٩٤.

(٢) المقريزى: خطط جـ٢ ص ٢٩٤.

(٣) المقريزى: خطط جـ٢ ص ٢٩٣.

بالإضافة إلى المساحة التي كانت بها الملحقات شرقي المسجد،وهى مساحة كان من الصعب توفرها داخل القاهرة الغاصة بمبانيها وسكانها في هذه الفترة.

ولكن بعد أن حدث ما حدث من أحداث سياسية خيم عليها شبح مهاجمة الفرنج للقاهرة تكشف للصالح طلائع أن بقايا هذا المسجد المرتفع الذي بلغ نحـو ١٨,٥٥ متراً من مستوى الحوانيت التي أنشئت أسفل المسجد يمثل خطـورة علـى سـور القاهرة الجنوبي فقال "ما ندمت قط في شئ عملته إلا في ثلاثـة الأول بنـائي هـذا الجامع على باب القاهرة فصارعونا [لها][1]، وهذه الرؤية صحيحة حيـث إن بنـاء المسجد في موضعه قريب من السور وباب زويلة وبهـذا الارتفـاع كـان اعـتلاء المهاجمين للقاهرة عليه من هذا الاتجاه من شأنه أن تمكنهم في تهديد دفاعات سور القاهرة من سطحه وهو أمر يذكرنا بنموذج مشابه لكنه في العصر المملوكي حيـث كان بناء مدرسة السلطان حسن يستغل لمهاجمة القلعة وضربها[2].

كما تكشف الأحداث نفسها عن سلامة رأي الخليفة الفائز الذي أصر على بنـاء مشهد لرأس الحسين داخل القاهرة إلى الشرق من تربة الزعفران.

ومن المهم أن نشير أيضاً إلى أن الموضع الذي أنشئ به المسجد تحدد أيضاً في الجهة الجنوبية الشرقية من البرج الشرقي لباب زويلة على بعد ٢٠ متراً حيث يبدو أنه كان محكوماً ببناء الزلاقة التي كانت تتقدم باب زويلة وهى الزلاقة التي هـدمت في العصر الأيوبي في عهد الملك العادل (٥٩٦-٦١٥هـ/ ١١٩٩-١٢١٨م)، حيث إن المساحة التي كانت تتقدم باب زويلة وحتى المنطقة التي يشغلها الركن الـشمالي الغربي للمسجد كانت تشغلها هذه الزلاقة.

ويلاحظ أن واجهة المسجد الغربية التي تمثل حده الغربي مائلـة فـي اتجـاه

---

(١) السياق يستتبع أن يكون النص "عليها" ولعله خطأ في النسخ أو الطبع.

(٢) للاستزادة: راجع محمد عبد الستار عثمان، الآثار المعمارية للسلطان الأشـرف برسـباي بمدينة القاهرة، ماجستير غير منشورة مقدمة لكلية الآثار جامعة القاهرة ١٩٧٧، ص ص ٥١-٥٢.

الشرق عن المحور العمودي لفتحة باب زويلة والزلاقة التي كانت تتقدم، وهذا الميل تسبب فيه تحديد اتجاه القبلة وحرص المعمار على أن تكون الواجهة الغربية موازية تماماً لجدار القبلة وربما كان ذلك ليمكن من استخدام السقيفة التي بالواجهة الغربية في الصلاة سواء في صلاة الفروض أم صلاة الجنازة كما يرى بعض الباحثين.

وما من شك في أن هذا الميل أيضاً ساعد على إنشاء السلم الذي أنشئ بهيئة عمودية على الواجهة الغربية والذي كان يتوصل منه إلى المدخل في الواجهة الغربية والذي وصل عدد درجاته إلى عشر درجات تشغل مساحة لا تقل عن ٣,٥ متر بعد البسطة التي تتقدم السقيفة والتي يمر من أسفلها المتعاملون مع أصحاب الحوانيت في المستوى السفلي.

تاريخ عمارة المسجد:

أشرنا إلى أن هذا المسجد أنشئ ليلحق به مشهد لدفن رأس الحسين بن على رضى الله عنه بعد نقلها من عسقلان،وهو الأمر الذي لم يوافق عليه الخليفة الفائز الذي فضل دفن الرأس في مشهد أنشئ سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م في داخل القاهرة شرقي تربة الزعفران، وتكشف هذه الرواية عن أن البناء في مسجد الصالح طلائع قد بدأ قبيل إنشاء هذا المشهد، بل إن ما ذكره ابن عبد الظاهر في حديث المقريزى عن المشهد الحسيني وبنائه يكشف عن أن بناء المشهد الذي شرع الصالح في بناء ملحق بمسجده كان قد أنجز فيه عمل كبير حيث يذكر أن الصالح طلائع "قصد نقل الرأس الشريف من عسقلان، لما خاف عليها من الفرنج وبنى جامعه خارج باب زويلة له ليدفنه به ويفوز بهذا الفخار فغلبه أهل القصر على ذلك وقالوا لا يكون ذلك إلا عندنا فعمدوا إلى هذا المكان وبنوا له ونقلوا الرخام إليه وذلك في خلافة الفائز على يد الصالح طلائع في سنة تسع وأربعين وخمسمائة[١]. وما ذكر من أنهم "نقلوا الرخام إليه" على يد الصالح طلائع يومئ غالباً إلى أن المقصود بالرخام المنقول هنا هو غالباً في إطار سياق النص منقول من المشهد الذي كان يعده الصالح طلائع ونقل

---

(١) المقريزى: خطط جـ١ ص٤٢٧.

ليوضع في مشهد الحسين الذي أنشئ بجوار تربة الزعفران.

ويكشف حقيقة ذلك امتداد الواجهة الشمالية للمسجد في اتجاه الشرق بعد خط جدار القبلة وهو الامتداد الذي يشتمل على باب كبير يشبه في تفاصيله المعمارية أبواب مسجد الصالح طلائع كالعقد المسطح ذي الصنج المعشقة والعقد العاتق الذي يعلوه كما نقش على أعلى هذا الامتداد للواجهة نقش كتابي بالخط الكوفي الفاطمي نصه ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[1]، أمر بإنشاء هذا المسجد المبارك فتى مولانا وسيدنا عبد الله أبو محمد..." ويتوقف النص عند نهاية فتحة الباب الذي نقش حول عقد المسطح بالخط الكوفي الفاطمي ما نصه بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ۝ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾[2]، وقد فسر بعض الآثاريين هذه العناصر المعمارية على أنها بقايا المشهد الذي أقامه الصالح طلائع لاستقبال رأس الحسين استناداً إلى الآية المنقوشة على الباب المذكور "ادخلوها بسلام آمنين" التي كثيراً ما ترد على مداخل المدافن واستناداً إلى ما ذكره ابن دقماق أيضاً من أن الصالح طلائع هو الذي بنى جامع الصالح طلائع بظاهر باب زويلة وبنى مشهد الحسين عليه السلام سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م ويضاف إلى ذلك المسقط الأفقي الذي رسمه برس دافن للمسجد والذي يشتمل على بابين في طرفي جدار القبلة كانا يوصلان على حد قوله إلى المشهد المذكور العلوي منهما الذي سبق وصفه والسفلي في مستوى الحوانيت في طرف الواجهة الشمالية مباشرة[3]

---

(١) قرآن كريم، سورة النور الآيتان رقم ٣٦، ٣٧.

(٢) قرآن كريم سورة الحجر الآيات رقم ٤٦-٤٨ .

(٣) راجع، حسن عبد الوهاب: المرجع السابق، جـ١ ص١٠٥، أحمد عبد الرازق: المرجع =

وإذا كانت البقايا الأثرية والروايات التاريخية تدعم فكرة إنشاء مشهد في الجهة الشرقية من المسجد فإن التخطيط المعماري للمسجد بما اشتمل عليه من بعض العناصر والوحدات المعمارية الأخرى يمكن أن تكون في صالح تدعيم هذا الرأي مثل إنشاء الصهريج الكبير الذي يملأ بماء النيل في أيام الفيضان ليشرب رواد المسجد والزائرين منه، فقد ذكر المقريزى أن الصالح بنى في الجامع المذكور صهريجاً عظيماً وجعل ساقيه على الخليج قريبًا من باب الخرق تملأ الصهريج المذكور في أيام فيضان النيل وجعل المجارى إليه[1]. وكذلك إنشاء مجموعة كبيرة من الحوانيت في المستوى الأرضى للمسجد يوفر وجودها نشاطاً تجارياً يخدم الزائرين وغيرهم.

وقد اهتم الصالح طلائع برفع المستوى الثقافي الديني برواد مسجده فكان يجلس إليهم "زين الدين الواعظ به وكان الصالح طلائع يحضر جلسات وعظه، ومن المهم أن نشير إلى مسجد الصالح طلائع كان مسجد فروض ولم يكن منذ إنشائه مسجداً جامعاً، وقد فات على بعض الدارسين هذه الحقيقة، فقد ذكروا في إطار حديثهم عن المنبر الذي عمله بكتمر الساقي للمسجد أن "لاشك أن منبره الأصلي (؟!) كان من الطرف النادرة كما تشعر بذلك بقايا نجارة المسجد وكما يؤيد ذلك منبره الكامل

= السابق ص ٢٦٧.

وهنا تجب الإشارة إلى أن هناك من يعارض هذا الرأي وينفي إنشاء الصالح طلائع المشهد الذي ألحق بمسجده ويسوق تبريراً لذلك مؤداه أن ارتفاع أرض (المسجد) عن مستوى الطريق العام لا يسمحان بوجود مدفن في داخله ثم إن موضعه خارج أسوار القاهرة يعرضه بذلك لهجمات الأعداء، ولا يتفق مع مكانة الإمام الحسن في النفوس، محمد عبد العزيز مرزوق، مساجد القاهرة قبل عصر المماليك، القاهرة ١٩٤٣، ص١٠٤.

وهذا الرأي في قسمه الأول غير مقبول وفي قسمه الثاني يخلط بين إنشاء الضريح وبين الدفن فيه. فمن المعروف أن الدفن تم لهذا السبب في المشهد الذي بناه الفائز في داخل القاهرة.

(١) المقريزى: خطط جـ٢ ص٢٩٣.

بمسجد قوص"[1]. وترتيباً على هذا الاعتقاد غير الصحيح فسروا فتحة ملقف الهواء بجانب حنية المحراب من الجهة الجنوبية بأعلى جدار القبلة على أنه أنشئ "لترطيب الهواء على الخطيب أو يجلب له مزيداً من الضوء أثناء النهار"[2](؟!).

والحقيقة غير ذلك في ضوء ما تكشف عن تاريخ المسجد من أنه أنشئ كمسجد فروض ولم يحول إلى مسجد جامع إلا بعد العصر الفاطمي، حيث يشير المقريزى إلى ذلك بقوله "وأقيمت الجمعة فيه في الأيام المعزية في سنة بضع وخمسين وستمائة بحضور رسول بغداد الشيخ نجم الدين عبد الله البادانى وخطب به أبو بكر الأسعردى"[3].

وقد اهتم الأمير بكتمر الجوكندار بهذا المسجد فعمل له منبراً من الخشب ما زال باقياً بالمسجد حتى الآن، وهذا المنبر مصنوع من الخشب وفق أساليب صناعة المنابر المملوكية، حيث تشتمل ريشتا المنبر على زخارف عبارة عن أطباق نجمية مطعمة بالصدف والعاج والأبنوس بها زخارف نباتية محفورة في غاية الدقة والإبداع،ويعلو باب المنبر نقش كتابي بالخط الثلث في سطرين نصه "أمر بعمارة هذا المنبر المبارك ابتغاء لوجه الله الكريم المقر العالي الأمير الكبيرى السيفي سيف الدين مقدم الجيوش بكتمر الجوكندار المنصورى السيفي أمير جندار الناصري وذلك بتاريخ شهر جمادى الآخر سنة تسع وتسعين وستمائة رحم الله من كان السبب"[4]. وتكشف نهاية النص عن أن هناك شخصاً آخر كان وراء حث الأمير بكتمر على القيام بعمل هذا المنبر[5].

---

(١) حسن عبد الوهاب: المرجع السابق ص ١٠١، أحمد عبد الرازق، المرجع السابق ص ص ٢٦٤، ٢٦٥.

(٢) أحمد عبد الرازق، المرجع السابق ص ٣٦٥.

(٣) المقريزى: خطط جـ٢ ٢٢٨٣.

(٤) أحمد عبد الرازق: المرجع السابق، ص ٢٢٦٤.

(٥) المقريزى: خطط جـ٢ ص٢٩٣.

وفي ذات السنة قام الأمير بكتمر ببعض الأعمال المعمارية الأخرى بالمسجد ويكشف عن ذلك الكتابات التي نفذت على الستارة الجصية للنافذة في أقصى الجنوب على يسار المحراب والتي تتضمن سبعة سطور بالخط الثلث المملوكي[1]، وقد استمر اهتمام بكتمر الساقي بعمارة المسجد، فقد حدث زلزال سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م أشار المقريزى إلى أن الجامع تهدم فعمر على يد الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار"[2].

وفي سنة ٨٤٤هـ/١٤٠٠م حدث تجديد في عمارة المسجد على يد رجل من الباعة يقال له عبد الوهاب العيني[3]، ولم ترد أي تفاصيل عن هذه التجديدات، وعندما قام الأمير يشبك بن مهدى بقطع شوارع القاهرة وإزالة ما حدث عليها من تعديات مع الاهتمام بواجهات المباني العتيقة التي تطل على الشارع الأعظم وامتداده[4]، كشف عن درجات المسجد التي طمرت وعدتها عشر كما كشف عن أبوابه وظهر منه عواميد رخام فجلاهم ونعمهم وأزال ما بواجهته من ربوع وحوانيت من بينها ربع لخوند شقراء ابنة الناصر فرج بن برقوق وأجرى به إصلاحات عديدة".

وأدركت لجنة حفظ الآثار العربية المسجد في حالة سيئة، فقد طمرت الحوانيت

---

(١) المقريزى: خطط ص ٢٩٣.

(٢) ابن تغرى بردى: المصدر السابق، جـ١٥ ص ٣٤٧-٣٤٨، أحمد عبد الرازق، المرجع السابق، ص ٢٦٦.

(٣) محمد عبد الستار عثمان: في شوارع المدينة الإسلامية،مجلة العصور، مجلد ٢، جـ٢، ١٩٨٧، ص٢٠٤.

(٤) السخاوى (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، القاهرة، مكتبة القدس، ١٣٥٣هـ، جـ١ ص ٢٧٤ .

ابن إياس: (محمد بن أحمد ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م) بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٨٢، جـ٣ ص١٢٧، ١٣٨ .

حسن عبد الوهاب. المرجع السابق، ص ص ١٠٢-١٠٣؛ أحمد عبد الرازق، المرجع السابق ص٢٢٦.

التي أسفله وأنشئت بداخله وحواليه المنازل والدكاكين التي أخفت واجهاته، فتولت اللجنة إزالة ما حدث من تعديات على عمارته ثم نفذت مشروعاً مهماً لترميمه يعتبر من أهم المشروعات الكبيرة الناجحة التي نفذتها اللجنة خاصة فيما يتعلق بفك واجهته وإعادة بنائها واستكمال العناصر والأجزاء المفقودة، كما تم الكشف عن السلم القديم الذي يقع أمام الواجهة الغربية وأعيد بناء السقيفة التي تتقدم هذا المدخل[1]، واستغرق هذا العمل فترة طويلة امتدت لسنوات بدأت من سنة ١٩١١ واستمرت حتى الأربعينيات من القرن العشرين.

الوصف المعماري للمسجد:

يشغل بناء المسجد مساحة مستطيلة من الأرض تبلغ ١٤٤,٥ متراً مربعاً[2]، حيث يبلغ طولها من الشرق إلى الغرب ٥٣,٥ متراً وعرضها من الشمال إلى الجنوب ٢٧ متراً بنسبة ١-٢، واستخدم الحجر في بناء واجهاته من الخارج، أما القطاع الداخلي من الجدران فقد استخدم الآجر في بنائه وبناء العقود التي تعلو الأعمدة، كما استخدم الخشب في السقف والروابط الخشبية التي تربط عقود البائكات، بالإضافة إلى الأبواب وكذلك الحجاب الخشبي الذي كان يحجب رواق القبلة عن الصحن، هذا ويلاحظ استخدام البرونز في تغشية مصراعي الباب الخشبي في الواجهة الغربية كأقدم نموذج باق في العمارة الإسلامية بمصر.

الوصف من الخارج:

خُطط مسجد الصالح تخطيطاً جديداً لم نعهده في مساجد مصر الباقية قبل ذلك، حيث إنشئ أسفل المسجد مجموعة من الحوانيت يتوصل إليها من الشوارع التي تحيط بالمسجد من الجهات الغربية والشمالية والجنوبية، ويرتفع بناء هذه الحوانيت

---

(١) حسن عبد الوهاب، المرجع السابق، جـ١ ص١٠٣.

(٢) لا يدخل في هذه المساحة الامتداد المعماري الذي يقع شرقي جدار القبلة وكذلك الأفنية الخارجية أمام الحوانيت والسلالم الخارجية التي كانت تؤدى من مستوى الأرض الأصلية في العصر الفاطمي إلى مستوى أرضية المسجد.

بمقدار ٣,٨ متر من مستوى الأرض الأصلية في العصر الفاطمي، ويوجد في الجهة الغربية ستة حوانيت، وتضم الواجهة الشمالية تسعة حوانيت خمسة منها في الجهة الشرقية من محور المدخل الشمالي للمسجد وأربعة في الجهة الغربية، وفي الجهة الجنوبية اثنا عشر حانوتاً سبعة منها في الجهة الشرقية من محور المدخل في هذه الواجهة وخمسة في الجهة الغربية منه، وهذه الحوانيت مغطاة بأقبية برميلية بعضها بنى بالحجر وبعضها الآجر، ويلاحظ أن استخدام الأقبية الطولية في تغطية هذه الحوانيت يشير إلى براعة المعمار الذي استخدم أنسب أنواع التغطية المقبية المبنية بالحجر والآجر التي تتحمل الثقل الذي يعلوها ممثلاً في أرضية المستوى الثاني من بناء المسجد والذي يتمثل في القطاع الغربي والرواقين الشمالي والجنوبي، وهنا تجب الإشارة إلى العلاقة بين قياسات هذه الحوانيت اتساعاً وعمقاً وبين ما يعلوها من بناء حيث حرص المعمار على أن تكون حوائطها الخارجية والداخلية والجانبية متوافقة والعناصر الحاملة من بناء المستوى الثاني سواء كانت جدراناً حاملة أو أعمدة فجاءت هذه العناصر مجاورة لجدران الحوانيت في القطاع الداخلي، ومتوافقة مع محاورها في الواجهات الخارجية، وهو أمر يكشف عن الدقة في وضع التخطيط الإنشائي للمسجد وتكامله مع التخطيط المعماري.

وزيادة في متانة إنشاء الحوائط في هذا المستوى السفلي استخدم المعمار الروابط الرخامية وهو أسلوب في الإنشاء سبقت الإشارة إلى استخدامه في أسوار القاهرة للتغلب على مشكلة انهيار الأسوار في حالة نقبها، وأشرنا إلى استخدامه بغاية الربط الإنشائي ومتانته في البرج غربي باب الفتوح،ويتكرر هذا الاستخدام في مسجد الصالح طلائع في بناء جدران الحوانيت أسفل الجامع.

ويتوج المستوى السفلي للحوانيت شريط من زخارف منفذة على الحجر في هيئة مربعات بارزة وغائرة بالتبادل يضم عناصر زخرفية متنوعة ظهر النموذج الأول منها في جامع الحاكم بأمر الله وظهرت بعد مسجد الصالح طلائع في برج الظفر وفي تربة السادات الثعالبة ثم في المدارس الصالحية وكلها نماذج تدل على

تقدم النقش في الحجر[١].

وهنا تجب الإشارة إلى أن المسجد كان يضم أسفل أرضية صحنه صهريجاً كبيراً لتخزين الماء في فترة الفيضان كل عام،وكان الماء يتوصل إلى هذا الصهريج من مجارى تصل إلى الخليج حيث يرفع بواسطة ساقية، وقد درست هذه العناصر لكن وجودها في فترة إنشاء الجامع يكشف عن أن المعمار قد خطط لإنشائها أيضاً بتوافق تام وحساب إنشائي دقيق مع بقية عناصر التخطيط في المسجد، خصوصًا أن هذه العناصر كانت في مستوى أكثر انخفاضاً من مستوى الأرض الأصلية الفاطمية وارتفعت إلى مستوى أرضية صحن المسجد.

ويعلو هذه الحوانيت أرضية المسجد التي ارتفعت-كما سبقت الإشارة-عند مستوى الأرض الأصلية الفاطمية حوالي ٣,٨ متر، ومن ثم تطلب تخطيط المسجد الأصلي إنشاء سلالم خارجية يتوصل منها إلى مداخل المسجد الثلاثة في الواجهة الغربية والشمالية والجنوبية. ومع ارتفاع أرضية شوارع القاهرة في العصور التالية لإنشاء المسجد طمرت هذه السلالم وقد أشرنا إلى أن الأمير يشبك كشف عن عشر درجات من السلم الذي كان يتوصل منه إلى المدخل الغربي الرئيسي، وعندما قامت لجنة حفظ الآثار العربية بمشروعها الضخم لترميم المسجد كان هذا السلم قد طمر مرة أخرى فكشفت عنه اللجنة ، وكان يصعد من هذا السلم إلى قنطرة صغيرة تتقدم السقيفة التي بهذه الواجهة للمسجد وهذه القنطرة تمكن العامة من السير أمام الحوانيت مباشرة بدلاً من أن يلتفوا حول بناء السلم وهذه القنطرة مكونة من عقدين سطحيين من صنج معشقة العقد الشمالي منهما بقيت حالته الأصلية وأعيد بناء العقد الجنوبي بواسطة لجنة حفظ الآثار[٢]، وكان لكل من المدخلين الشمالي والجنوبي أيضاً سلالم خارجية يصعد من عليها المصلون في العصر الفاطمي ليصلوا إلى هذه المدخلين.

---

(١) حسن عبد الوهاب، المرجع السابق، ص ٩٩.

(٢) Creswell, Op. Cit., p. 267.

ويوجد حالياً سلمان حديثان يوصلان من مستوى الأرض الحالية للشارع جنوبي وشمالي المسجد إلى مستوى أرضية الخندق الذي أنشئ حول المسجد بمستوى الأرضية الأصلية الفاطمية لإظهار الحوانيت ولتسهيل التوصل إليها.

ومن المهم أن نشير إلى أن إنشاء سلالم تتقدم المداخل الثلاثة في الواجهات الثلاث الغربية والشمالية والجنوبية تطلب مساحة كافية أمام هذه الواجهات، وهو أمر كان في اعتبار مخطط المسجد الذي أشرنا إلى أنه اختار المساحة التي أنشئ عليها المسجد على بعد مساحة كفاية من الزلاقة التي كانت تتقدم باب زويلة.

وهنا تجب الإشارة إلى أن السقيفة التي تتقدم المدخل الغربي الرئيسي كانت بمثابة حيز فراغي يتسع لأعداد كبيرة من المصلين أو الزائرين عند الدخول والخروج في هيئة جماعية، وهو أمر يسهل حركة المرور من وإلى المسجد في وقت الحاجة إلى ذلك خصوصًا أن هذه الحركة في هذا المدخل بالذات من المفترض أنها أعلى من البابين الآخرين باعتبار المدخل الرئيسي على امتداد الشارع الأعظم.

الواجهة الغربية الرئيسية :

تعتبر الواجهة الغربية هي الواجهة الرئيسية ويتوسطها المدخل الرئيسي وتتقدم هذا المدخل سقيفة تعتبر المثال الوحيد في مساجد مصر وواجهة هذه السقيفة عبارة عن بائكة تتكون من خمسة عقود فاطمية (عقود منكسرة Keel arch) محمولة على أربعة أعمدة من الرخام يلاحظ ارتفاع قواعدها ويعلو تيجانها روابط خشبية تتصل بكتفي البناء البارز على جانبي السقيفة، ويوجد لكل قسم من قسمي الواجهة اللذين يكتنفان السقيفة دخلة ضحلة بالقطاع السفلي منها نافذة لها شباك خشبي يتقدمه قضبان حديدية متقاطعة ويعلو النافذة عقد مسطح يعلوه عقد عاتق ثم يرتفع البناء إلى مستوى شريط الكتابة الذي يعلو الجزء الشمالي من هذه الواجهة ثم يلي ذلك الجزء العلوي من الدخلة في هيئة معقودة بعقد فاطمي يحيط به إطار ويزخرف الحنية في هذا القطاع المعقود ضلوع إشعاعية تخرج من منطقة مستديرة ثم يرتفع بناء الواجهة التي يتوجها شرافات مسننة التي كانت تتوج الواجهة، ويبلغ ارتفاع

الواجهة ١٤,٧٥ متراً فيما عدا ارتفاع الشرافات التي كانت تتوج الواجهة التي تتكون من مستويين المستوى الأولى في هيئة دروة ويبلغ ارتفاعه متر واحد والمستوى الثاني عبارة عن الشرافات المدرجة وبلغ ارتفاعها ١,٠٤ متر(١)، وهذا يعنى أن ارتفاع واجهات المسجد بلغ نحو ٢٠,٥٥ متر بالشرافات وهو ارتفاع كبير قارب ارتفاع سور القاهرة المقابل للمسجد من الجهة الشمالية ويمثل خطراً على السور في حالة مهاجمة المدينة وهو الأمر الذي أدركه الصالح طلائع نفسه بعد إنشاء المسجد وأدرك إنشائه لهذا المسجد في هذا الموضع لهذا السبب.

وصدر السقيفة تزخرفه دخلات معقودة بعقود فاطمية منكسرة وتزينها من الداخل ضلوع إشعاعية ويعتقد بعض الباحثين أن الدخلتين اللتين تكتنفا فتحة الباب كان بهما محرابان من الجص عثر على بقايا منهما(٢)، كذلك توجد دخلتان متشابهتان في جانبيها الشمالي والجنوبي بكل منهما نافذة سفلية، الشريط العلوي عبارة عن آيات قرآنية بقى منها ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ ﴾ ... ثم يستمر الشريط على الواجهة الشمالية بما نصه ﴿ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ... مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ ..... حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا

---

(١) أحمد فكرى، مساجد القاهرة ومدارسها، دار المعارف، جـ١ ص ١٢.

Creswell: Op. Cit., p. 280

أحمد عبد الرازق، ص ٢٦١.

(٢) محمد عبد العزيز مرزوق: المرجع السابق ص٩٧، أحمد فكرى: المرجع السابق، ص ١٤٤.

نُزُلاً مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ﴾[1].

والسقيفة يبلغ اتساعها ٢٠ متراً وعمقها ٣,٨ متر وهي بذلك تشغل قطاعاً كبيراً من هذه الواجهة، ومن ناحية الشكل العام تشبه سقيفة مماثلة في مسجد أبى فتاته بمدينة سوسة (٢٢٣-٢٢٦هـ/٨٣٧-٨٤٠م)

ومن الناحية الوظيفية يرى أحد الباحثين الذي أشار إلى أنها بمثابة "صحن مسقوف" يطل على الشارع وأنها صحن للجنائز وصحن الجنائز على حد قوله تقليد مغربي، وفي ضوء هذا التفسير يعتقد أن هذه السقيفة اقتباس من "مسجد أو مساجد المغرب"[2]، وهذا التفسير يمكن قبوله خصوصًا أن الفاطميين- كما أشارت المصادر- كانوا يصلون على الموتى في أيام الشدة المستنصرية خارج مسجد الحاكم ويبدو أن ذلك السلوك كان محكوماً بما توجه إليه بعض المذاهب الدينية الإسلامية ومنها المذهب الشيعي من كراهية الصلاة على الميت في داخل المسجد، ولعل أكثر المذاهب الإسلامية تمسكاً بذلك هو المذهب المالكي الذي ينتشر في بلاد المغرب العربي وأصبح المذهب الرئيسي بها، وانعكست أحكامه في عمارة المساجد ومنها مصلى الأموات التي أنشئت مجاورة للمساجد تنفيذاً لهذا التوجيه[3].

ويعلو القسم الشمالي من هذه الواجهة شريطان من الكتابات الكوفية المزهرة أما الشريط الثاني فيبدأ أيضاً من القطاع الشمالي للواجهة الغربية ويمتد على الواجهة الشمالية، فيتضمن نص تأسيس المسجد نصه "بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا المسجد [بالقا]هرة المحروسة فتى مولانا وسيدنا الإمام عيسى أبى القاسم الفائز بنصر الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين [السيـ]ـد [الأجل] الملك الصالح ناصر الأئمة وكاشف الغمة أمير الجيوش

---

(١) قرآن كريم، سورة آل عمران، آية رقم ١٩٣-١٩٨.

(٢) أحمد فكرى: المرجع السابق، ص ١٤٤.

(٣) محمد عبد الستار عثمان: مدينة ظفار دراسة تاريخية أثرية معمارية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية، ١٩٩٩، ص ص ١١٩-١٢٠.

سيف الإسلام غياث الأنام كافل قضاة المسلمين هادى دعاة المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته ونصر ألويته وفتح له وعلى يديه مشارق الأرض ومغاربها في شهور سنة خمس وخمسين وخمس مائة والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب أفضل الوصيين، وعلى ولديه [الامـــ]ـــامين الطاهرين أبى محمد الحسن وأبى عبد الله الحسين وعلى الأئمة من ذريتهما أجمعين وسلم وشرف بكرم وعظم إلى يوم الدين ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾[1]. ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾[2].

ويلاحظ أن هذا النص يتضمن نصوصاً تتصل بفحوى الأحداث التـــي عاصـــرها الصالح طلائع وكان له إنجازاته المتعلقة بها مثل "كاشف الغمة" وهو لقب يومئ إلى دور الصالح في تولية الفائز الخلافة وإنقاذ أهل القصر ونسائه من كـــرب الأحـــداث التي سبقت ذلك، كما أن منها ما يتصل بنشاطه الحربي،وقد وردت الإشارة إلى ذلك فيما جاء بالنص المذكور من نص "وفتح على يديه مشارق الأرض ومغاربها" لكـــن المهم في نص الإنشاء ما ورد من نصوص تشير صراحة إلـــى الحـــسن والحـــسين والأئمة من ذريتهما ثم الإشارة إلى دورهم في الهداية وإقامـــة شـــعائر الـــدين ثـــم الإشارة إلى آل البيت بالاقتباس القرآني في آخر الـــنص، ويعتبـــر الإســـماعيلية أن الحسن بن على إمام بعد أبيه ولكنه إمام مستودع، أما الحسين فهو إمام مـــستقر[3]، وذكر الحسن بجوار اسم الحسين في هذه الفترة التي ضعفت فيها الدولة الفاطميـــة وضعف بالتالي المذهب الإسماعيلي وقوى بجانبه مذهب الاثنا عشرية الذي يعتقد به الصالح طلائع ربما يفسر التذكير بآل البيت جميعاً.

---

(١) قرآن كريم: سورة الأنبياء، آية رقم ٧٣.

(٢) قرآن كريم: سورة هود، آية رقم ٧٣.

(٣) فرج حسين فرج: الكتابات على العمائر الفاطمية، ماجستير مقدمة لكلية الآداب بسوهاج، ٢٠٠٢، ص ص ٤١١-٤١٢.

الواجهة الشمالية

يبلغ طول هذه الواجهة ٥٣,٥ مترًا من الركن المشطوف الذي يصل هذه الواجهة بالواجهة الغربية والذي يرتد إلى زاويته القائمة بحطات من المقرنصات بأسلوب يشبه إلى حد كبير الزاوية الشمالية الغربية بالجامع الأقمر، وهذه الواجهة بنفس ارتفاع الواجهة الغربية، ويلاحظ أن القطاع الشرقي على بعد ٤٢ مترًا من الطرف الغربي لهذا يبرز عن سمت الواجهة بمقدار ٨٠ سم ويلاحظ أن سمك الواجهة في هذا القطاع ١,٨٠ متر بينما يبلغ سمك بقية الواجهة ١,٢٠ متر، وتستمر هذه الواجهة بعد ذلك في اتجاه الشرق حوالي ٦ أمتار، وفي هذه المسافة يوجد فتحة الباب -التي سبقت الإشارة إليها- والتي تدل على وجود ملحقات للمسجد في خلف جدار القبلة، وغالباً ما كانت تتمثل في موضع بناء المشهد، كما يلاحظ أن سمك الجدار في هذا القطاع الأخير ٦٠ سم، وهو ما يعنى أن البناء غالباً في هذا القطاع لم يكن بنفس ارتفاع الواجهة، كذلك يلاحظ أن القطاع الشرقي السميك من الواجهة يخلو من وجود دخلات مثلما هو الحال في بقية الواجهة التي تزخرفها على مسافات منتظمة عشر دخلات يتوسطها المدخل الشمالي.

المدخل الشمالي:

عبارة عن مدخل بارز لكن بروزه حوالي ١ متر عن سمت الواجهة يبلغ اتساع واجهة هذا المدخل ٥,١٠ متر وبصدر هذه الواجهة دخلة يبلغ عمقها ٢٥ سم بصدرها فتحة باب المدخل يبلغ اتساعها ٢,١٩ متر وارتفاعها ٤,٢٢ متر أي بنسبة ١-٢ تقريباً ويغلق عليها باب حديث من الخشب من مصراعين ويعلو فتحة الباب عقد مسطح من صنج معشقة يعلوه عقد عاتق ويحيط بدائر عقد المدخل إطار كتابي نصه بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾[1].

---

(١) قرآن كريم، سورة، الحج آية رقم ٤١.

ويعلو فتحة الباب وعلى محوره نافذة معقودة بنفس هيئة النوافذ العلوية بهذه الواجهة،وكان يتوصل إلى هذا المدخل من سلم خارجي يفترض كريسويل أنه كان مشابها للسلم بالواجهة الغربية[١].

أما الدخلات التي على جانبي المدخل فهي عبارة عن دخلات ضحلة بالدخلة الأولى والثانية والثالثة من الغرب إلى الشرق نوافذ سفلية، أما الدخلة الرابعة والخامسة فتخلو من هذه النوافذ السفلية، والنوافذ السفلية مستطيلة الشكل تتوسط كلا منها صدر الحنية ويعلو كلا منها عقد مسطح يعلوه عقد عاتق. ثم تعلو ذلك شريط الكتابة السفلي الذي يتضمن النص التأسيسي - الذي سبقت الإشارة إليه- ويوجد بالدخلة الثانية فوق هذا الشريط نافذة مستطيلة لا يوجد لها مثيل في الدخلات الأخرى ثم يعلو ذلك الشريط العلوي من الكتابات الذي يتضمن الآيات القرآنية- والذي سبقت الإشارة إليه- ويعلو الشريط مباشرة مأخذ العقود المنكسرة التي تشكل القطاع العلوي من هذه الدخلات والتي يؤطرها شريط من زخرفة بارزة، ويوجد داخل هذه العقود نوافذ معقودة ومضاهياتها حيث إن الدخلات الأولى والثانية ونوافذها صماء أما الدخلات الثالثة والرابعة والخامسة نوافذها كانت تغشيها شبابيك جصية مفرغة مقاسها ١,١٤ × ١,٥٣ متر،ويوجد بكوشات هذه العقود خمس صرر دائرية بواقع صرة في كل كوشة ثم يرتفع بناء الواجهة حتى ينتهي بشريط زخرفي بارز ضيق كانت تعلوه الشرافات التي كانت تتوج الواجهة.

أما الدخلات الخمس التي تقع إلى الشرق من المدخل فقد أعيد ترميمها في إطار القطاع الشرقي، هذا ويوجد أسفل هذه الواجهة للجامع تسعة حوانيت خمسة أسفل القطاع شرقي المدخل وأربعة في القطاع الذي يقع إلى الغرب منه.

أما امتداد الواجهة في الجهة الشرقية بعد اتصالها بجدار القبلة فيوجد به فتحة باب بلغ اتساعها ١,٩٠ متر ويعلوها عقد مسطح من صنجات معشقة يعلوه عقد عاتق فاطمي الملامح ويتضمن هذا المدخل بأعلاه شريط كتابي نصه:

---

(١) Creswell, Op. Cit., p. 278.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[1]، أمر بإنشاء هذا المسجد المبارك فتى مولانا وسيدنا عبد الله أبو محمد..."[2]. ونقش حول عقد الباب ما نصه ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ لا يحز(نهم)[3].

الواجهة الجنوبية:

هذه الواجهة يرى كريسويل أنها معظمها جدد في إطار ترميمات بكتمر الجوكندار التي حدثت بالجامع سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٣م كما يرى أن الحوانيت التي أسفل هذه الواجهة لم يكن ترميمها بواسطة لجنة حفظ الآثار العربية دقيقاً[4].

ويوجد أسفل الواجهة سبعة حوانيت على يمين كتلة المدخل وخمسة حوانيت من يساره، وتشتمل هذه الواجهة على المدخل الجنوبي الذي يقع على نفس محور المدخل في الواجهة الشمالية، وهو ما يعنى أن مسجد الصالح طلائع يشتمل على ثلاثة مداخل محورية تذكرنا بمداخل جامع الحاكم، ومداخل الجامع الأموي في دمشق وتشبه هذه الواجهة وخصوصًا دخلاتها الواجهة الشمالية.

أما الجدار الشرقي للمسجد وهو جدار القبلة فخال من الدخلات، وينقسم إلى قسمين ١١,٦٨، ١١,٧٠ بينهما بروز بناء المحراب الذي يبرز ٧١ سم عن سمت الواجهة وترتفع واجهة بنائه ٤,٢٧ متر ويوجد بهذا الجدار من أعلى سبع نوافذ يلاحظ أن فتحاتها ليست عمودية على قطاع الحائط ولكنها مورربة بزاوية ٣٠°

---

(١) قرآن كريم، سورة النور، آية رقم ٣٦، ٣٧ .

(٢) حسن عبد الوهاب، المرجع السابق، ص ١٠٤.

(٣) قرآن كريم، سورة الحجر، آية رقم ٤٦-٤٧ .

(٤) Creswell, Op. Cit., p. 279.

ويرى كريسويل أن هذا الانحراف ربما كان ليساعد على دخول الرياح الشمالية من هذه النوافذ(؟!) وهو تفسير غير مقبول لأن الفتحات في اتجاه الشرق.

ويوجد بأعلى جدار القبلة في مستوى السطح ميزابان أحدهما يرجع إلى فترة بناء الجامع ويشبه ميزاب باب زويلة والآخر عمل على نمطه[١]، ووجود هذين الميزابين له دلالة معمارية تشير إلى أن المساحة التي كان يصب فيها هذان الميزابان خالية من البناء وقد يساعد ذلك على تصور وضع الملحقات خلف جدار القبلة، وأنها كانت في هيئة حوش يحيط به سور فتح في طرف واجهته الشمالية المدخل الذي سبقت الإشارة إليه عند وصف الواجهة الشمالية وذلك في إطار سمك الجداران الذي لا يتعدى ٦٠ سم.

الوصف من الداخل:

يتوصل من القنطرة التي تعلو الخندق الذي يحيط بالحوانيت بالمستوى السفلي للمسجد إلى السقيفة التي تتقدم المدخل الغربي، ويتوسط الدخلة الوسطى في صدر السقيفة فتحة الباب الرئيسي،ويبلغ اتساعها ١,٥٠ متر وارتفاعها ٢,٥٠ متر كان يغلق عليها مصراعان من الخشب المصفح من الخارج بالبرونز، وهذا الباب حالياً في متحف الفن الإسلامي[٢].

ويتكون الباب الأصلي من مصراعين من الخشب وقياسه ١,٢٥ × ٢,٥ متر وبسمك ١٧ سم، ويتكون كل مصراع -كما يرى من الوجه الداخلي- من حشوات وضعت على الترتيب التالي من أسفل إلى أعلى، حيث يوجد ثلاث حشوات مستطيلة في وضع أفقي بين كل واحدة والتي تليها حشوتان في وضع رأسي، وهذه الحشوات يؤطرها من الجانبين قائما المصراع وست عوارض أفقية. والحشوات مزخرفة بزخارف محفورة داخل أشكال هندسية متقنة، ويلاحظ أن زخارف الحشوتين الأولى والثالثة الأفقيتين متشابهتان وتختلفان عن زخارف الحشوة الثالثة الأفقية في

---

(١) Creswell, Op. Cit., p. 279.

(٢) هذا الباب حالياً بمتحف الفن الإسلامي، ورقم السجل ١٠٥٥.

الوسط، أما الحشوات الرأسية فمتشابهة في تصميمها الزخرفي.

أما الوجه الخارجي للمصراعين فمصفح بالنحاس، ومن ثم فإن الباب النموذج الأول الباقي لمثل هذه الأبواب المصفحة بالبرنز في العمارة الإسلامية بمصر وزخارف هذا السطح الخارجي البرونزي عبارة عن أشكال نجمية سداسية تحيط برءوسها أشكال كندات أي أنها تمثل إرهاصة لشكل الطبق النجمي الذي اكتمل في العصور التالية.

وقد عمل للمسجد حالياً باب حديث على نمط هذا الباب المحفوظ بالمتحف،ويتوصل من فتحة الباب إلى ممر معقود بقبو برميلي ينتهي إلى استطراق يخترق الرواق الغربي تنخفض أرضيته عن أرضية الرواق بمقدار ٢٠ سم، وهو بنفس مستوى أرضية الصحن الذي يتوصل إليه، كما يتوصل إلى داخل المسجد أيضاً من المدخلين الشمالي والجنوبي، ويؤدى كل منهما إلى استطراق أحدهما عبر الرواق الشمالي والآخر عبر الرواق الجنوبي وهما بنفس شكل الاستطراق الذي بالرواق الغربي، وتؤدى هذه الاستطراقات الثلاثة من الأبواب المحورية للمسجد إلى الصحن.

الصحن:

الصحن يبلغ طوله من الشرق إلى الغرب عند محور الوسط ٢٣,٤٣ متراً بينما يبلغ ضلعه الغربي ١٨,٧٠ متراً وضلعه الشرقي ١٨,٠٤ متراً، وكان يتوسطه صهريج ضخم في باطن الأرض كان يملأ بماء النيل وقت الفيضان من خلال ساقية على الخليج ترفع الماء إلى قناة تمتد من الخليج إلى المسجد(١)، وقد أشار على باشا مبارك إلى هذا الصهريج وما كان يعلوه من وحدات معمارية حيث ذكر أن للمسجد "صحن يوسطه حنفية وصهريج وميضأة"(٢)، كما أن المسقط الأفقي للمسجد والذي قام بعمله برس دافن مشتمل على فسقية وضوء مثمنة المسقط يتوسطها حوض ماء

---

(١) المقريزي: خطط جـ٢ ص ٢٩٣ .

(٢) على مبارك، جـ٥ ص ٩٣.

مثمن أيضا، ويتضمن المسقط الأفقي للمسجد -والذي نشره حسن عبد الوهاب- مسقطا أفقياً للصهريج الذي كان يتوسط المسجد وهو في هيئة بناء مستطيل، وكان يحمل سقفه ست دعامات في صفين بكل صف ثلاث دعامات[١]، وهي يمثل بناء الصهريج أسفل مستوى أرضية الصحن والذي كشف عنه أثناء تنفيذ مشروع الترميم الأخير للمسجد ويوجد بأرضية الصحن فتحتان للصهريج .

ويحيط بالصحن أربعة أروقة من الجوانب الأربعة بعد أن انتهت لجنة حفظ الآثار العربية إلى أن المسجد كان يشتمل على رواق غربي بقيت بعض الأدلة الأثرية عليه، والتي تكشف عن وجود بناء بائكته التي كانت متصلة ببائكة الرواق الشمالي في عمود ركني يعلوه العناصر المعمارية الدالة على ذلك[٢].

وتطل هذه الأروقة على الصحن ببائكات أربع تمثل الواجهات الأربع للصحن، فواجهة رواق القبلة والواجهة التي تقابلها للرواق الغربي متشابهتان حيث يتكون كل منهما من خمسة عقود منكسرة محمولة على ستة أعمدة، ويلاحظ أن العقد الأوسط منها أوسع من العقود الجانبية. حيث يبلغ اتساعه ٤,٦٢ متر، بينما يبلغ اتساع العقود الجانبية تتراوح بين ٣ و ٣,٦٣ متر وترتكز هذه العقود على أعمدة مجلوبة من مبان قديمة ترجع إلى ما قبل العصر الإسلامي، حيث إن لهذه الأعمدة تيجان كورنثية ويعلو هذه الأعمدة طبالي خشبية من ثلاث طبقات تتدرج في حجمها وسمكها ونقشت عليها زخارف نباتية جميلة وهذه الطبالي الخشبية تمثل أحد الحلول المعمارية التي تساعد على عدم تعرض العقود التي تحملها الأعمدة للسقوط أو الخلل بسبب ما قد يحدث من تحرك في أساسات هذه الأعمدة حيث يفضل استخدام هذه الطبالي الخشبية على الكتل الحجرية التي تتعرض للكسر، إذا ما حدث أي خلل بسيط. ويوجد أعلى قمة العقود صرر مستديرة بزخارف جميلة تتبادل مع حنيات ذات طواقي مشعة محمولة على أعمدة صغيرة تشغل أعلى كوشات العقود، وهذا الأسلوب

---

(١) حسن عبد الوهاب، المرجع السابق، ص ١٠٠.

(٢) للاستزادة عما أثير حول مشكلة هذا الرواق راجع:
Creswell, Op. Cit., pp. 282-283.

في زخرفة الواجهة متكرر في كل الواجهات الأربع المطلة علـى الـصحن، ويعلـو واجهة العقد الأوسط في واجهة رواق القبلة لوحة خشبية مـستطيلة خاليـة مـن الزخارف، ثم تتوج الواجهة شرافات مسننة أرجع كريسويل بقايا نماذجها الأصـلية إلى الترميمات التي قام بها بكتمر الجوكندار بالمسجد سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٣م[١].

أما واجهة الرواقين الشمالي والجنوبي فمتشابهتان أيضاً جملة وتفصيلاً وتتكون كل منها من ستة عقود محمولة على سبعة أعمدة.

رواق القبلة :

يعتبر رواق القبلة من أكبر الأروقة، ويتكون من ثلاث بلاطات موازيـة لجـدار القبلة بواسطة ثلاث بائكات وبكل بائكة سبعة عقود، ويلاحظ اتساع العقد الأوسط عن بقية العقود الجانبية في البائكات الثلاث بأسلوب معماري يبرز محراب المسجد الذي يقع في نهاية محور العقود الثلاثة الوسطى في البائكات الـثلاث، ويبلـغ اتـساعها ٥,٤٠ متر بينما يبلغ اتساع البلاطتين الأخريين ٣,٤١ و ٣,٤٥ علـى التـوالي، ويعلو فتحات العقود على محورها الأوسط فتحات مربعة تغشيها ستائر جصية مـن الجانبين كما يوجد صرر زخرفية رائعة في كوشات العقود.

---

(١) Creswell, Op. Cit., p. 280.

المحراب

يتوسط جدار القبلة حنية المحراب التي يبلغ اتساعها ١,٨٧ متر وعمقها ١,٣٧ متر، وهذا العمق الكبير لحنية المحراب تسبب في بروز بناء المحراب عن جدار القبلة من الخارج- كما سبقت الإشارة- ويكتنف حنية المحراب عمودان مثمنين من الرخام الأحمر والمحراب بصفة عامة في غاية البساطة وطاقيته كسيت بالخشب والزخارف الملونة بما يشير إلى أنها إضافة متأخرة عن تاريخ بناء المسجد، ويلاحظ ذلك من طغيانها على إفريز النافذة التي تعلو المحراب، وربما كانت من تحديث بكتمر الجوكندار، ويرى أحد الباحثين أنها في الأرجح من تجديداته الأولى التي حدثت عام ٦٩٩هـ/١٢٩٩[١]، ويضيف أن المحراب الأصلي يحتمل أنه كان من الجص مثل بقية المحاريب الفاطمية كما يحتمل أنه كان من الرخام لأنه ثبت أن الفاطميين استعملوه في محاريبهم ويؤكد هذا القول أن المحراب بقيت منه قطعة من رخام دقيق[٢]. وقد أشار برس دافن إلى هذه القطعة وذكر أنها مربعة الشكل ويبلغ قياسها ٤٠ سم، وهو الذي جعله يرجح أن المحراب كان ملبساً بالرخام الملون[٣].

وهنا تجب الإشارة إلى أن إعادة تصور أي شكل لأي عنصر معماري مفقود كهذا المحراب في ضوء مقارنات أو بقايا محدودة مثلما تبقى من كسوة رخامية لا يمكن ترجيحه ذلك أن مثل هذا الترجيح يجنب إمكانية إبداع المعمار لأشكال أخرى وأساليب أخرى وهو أمر قائم وخصوصًا لدى المعماريين الذين يقوم عملهم في جانب كبير على الإبداع.

ويوجد بأعلى جدار القبلة سبعة نوافذ وهذه النوافذ على محاور فتحات العقود كان لها ستائر جصية منتظمة، لم يتبق منها سوى شباك جصي ونقل من المسجد إلى متحف الفن الإسلامي ويتضمن كتابة بالخط الكوفي الفاطمي مفرغة نصها "إن

---

(١) حسن عبد الوهاب، المرجع السابق، ص ١٠١.

(٢) حسن عبد الوهاب، المرجع السابق، ص ١٠١.

(٣) Creswell, Op. Cit., p. 286.

الله اشترى من المؤمنين أنفسهم"[١]، كما يوجد مثال جصي آخر يغشى النافذة بالطرف الجنوبي لجدار القبلة ويتضمن كتابات كوفية ونسخية وهو من أعمال التجديدات التي قام بها بكتمر في عمارة المسجد[٢].

الباذاهنج بجدار القبلة:

تتضمن جدار القبلة بأعلى القطاع الجنوبي من حنية المحراب مباشرة وعلى ارتفاع ٤,٢٥ متراً من أرضية الرواق فتحة في الحائط يبلغ اتساعها ٧١ سم وارتفاعها ١,٨٢ يحيط بها إطار من زخارف جصية ويغشيها شباك من البرونز وهذه الفتحة تتصل بقناة رأسية في قلب جدار القبلة مربعة المسقط طول ضلعها نصف متر تقريباً وهذه القناة ترتفع حتى تصل إلى مستوى السطح حيث كان يعلوها مصد خشبي يأخذ هيئة شكل نصف هرمي مائل في اتجاه الشمال وجانباه اللذان يرتكز عليهما مثبتان على حائط القبلة وقطاعه المفتوح في اتجاه الشمال بزاوية مقدرة ويقوم هذا المصد بتغير اتجاه الرياح الشمالية لتسقط في القناة التي بقلب الجدار ثم يخرج من الفتحة التي سبقت الإشارة إليها والتي في السطح الداخلي لجدار القبلة وهو ما يساعد على تهوية رواق القبلة تهوية جيدة بتمرير رياح الصيف العليلة إلى الرواق بواسطة هذا الباذاهنج "الملقف".

ويعتبر الباذاهنج أول نموذج باق في العمارة الإسلامية بمصر وتكررت أمثلته بعد ذلك في بعض المباني الأيوبية والمملوكية مثل الإيوان الشمالي الغربي بمدرسة الحديث الكاملية سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م ومدرسة الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٣م وخانقاه بيبرس الجاشنكير التي تعتبر من أروع نماذج العمائر المملوكية التي اشتملت على عدة باذهنجات ٧٠٦-٧٠٩هـ/ ١٣٠٤-١٣٠٥م ويعتبر هذا الباذاهنج من أقدم نماذج الباذاهنجات الباقية في مصر الإسلامية[٣].

---

(١) قرآن كريم، سورة التوبة، آية رقم ١١١.

(٢) حسن عبد الوهاب، المرجع السابق، ص ١٠٠.

(٣) Creswell, Op. Cit., p. 285.

وهنا تجب الإشارة إلى أن الباذاهنجات كوحدات معمارية للتهوية أشارت المصادر إلى وجودها في القصور الفاطمية وخصوصًا في قاعة العرش في نموذج سابق للنموذج القائم في مسجد الصالح طلائع- وقد سبقت الإشارة إلى ذلك-.

وهنا تجب الإشارة إلى أن نمط الباذاهنجات الذي يمثله باذاهنج مسجد الصالح طلائع والباذاهنج في الإيوان الغربي لخانقاه بيبرس الجاشنكير والمتمثل في القناة التي في الحائط ويعلوها في مستوى السطح عثر على نمط مشابه له في العمارة المسيحية في مصر في القرن السادس الميلادي حيث كشف في إحدى الدور في تل باويط الأثرى على نموذج مشابه تماماً[١]. وفي ذلك ما يشير إلى أصوله المصرية التي ترجع إلى ما قبل العصر الإسلامي.

وقد فسر بعض الباحثين وظيفة هذا الباذاهنج على أنه "كان يستخدم لترطيب الهواء على الخطيب أو يجلب له مزيداً من الضوء أثناء النهار" بالرغم من أنه يقر أنه أقدم نموذج من نوعه في عمارة القاهرة، وأنه سابق للنماذج التي سبقت الإشارة إليها والتي ناظرته[٢]. وهذا التفسير يربط بين وجود الباذاهنج المذكور والذي يرجع إلى العصر الفاطمي وبين تحويل المسجد إلى جامع في بداية العصر الأيوبي وهو أمر يجانبه الصواب حيث إن الباذاهنج وجد قبل تحويل المسجد إلى مسجد جامع أي قبل عمل منبر وتعيين خطيب بالمسجد ليصبح مسجداً جامعاً ومن ثم يتضح أن هذا التفسير جانبه الصواب.

كذلك جانب هذا الرأي الصواب فيما ورد من أن الباذاهنج يجلب مزيداً من الضوء أثناء النهار (؟!) حيث إن الباذاهنج بالنمط الذي سبق وصفه في المسجد لا يسمح بأي نسبة من الضوء(؟!).

---

(١) قام بهذه التنقيبات الآثاريان عباس الشناوى وعوض الإمام عام ١٩٧٦ تحت إشراف الأستاذ عبد الرحمن عبد التواب، وقد شاهدت بنفسي هذا الملقف عند قيامي بزيارة الموقع عام ١٩٧٦م.

(٢) أحمد عبد الرازق: المرجع السابق، ص ٢٦٥.

ويبقى تفسير وجود مثل هذا الباذاهنج في مسجد الصالح طلائع مثاراً للتساؤل عن سبب إنشائه خصوصًا أن المسجد يشتمل على صحن كبير بالإضافة إلى أن له واجهات ثلاث يتخللها النوافذ السفلية والعلوية، كما اتضح من الوصف حيث ينشأ الباذاهنجات غالباً في المنشآت التي لا تتوفر لها فرص جيدة للتهوية والإضاءة لمجاورتها للمباني من الجهات المختلفة كما هو الحال في النماذج التي سبقت الإشارة إليها في العصرين الأيوبي والمملوكي(١).

وربما يفسر ذلك أن رواق القبلة كان يحجبه من جهة الصحن حجاب خشبي أشار إليه كل من برس دافن وكريسويل وقد تعجب كريسويل من نقله واستخدام أجزاء منه في السقيفة التي تتقدم المدخل الرئيسي، وهذا الحجاب كان يبلغ ارتفاعه ٢,٧ متر (٢).

وهذا الحجاب أيضاً من الأمثلة المبكرة في العمارة الإسلامية في مصر ووجد بعد ذلك في أحد المساجد المملوكية وهو جامع الماردانى ليحجب رواق القبلة عن بقية الأروقة حيث كان هذا الرواق يستخدم في الدرس، وعمل هذا الحجاب يوفر نوعاً من الاستقلالية والهدوء للطلاب الدارسين وشيوخهم.

ويبدو أن هذا الحجاب كان ليؤدى نفس الغرض في مسجد الصالح طلائع الذي عين واعظاً بمسجده وكان يحضر بنفسه لسماعه بالمسجد.

ولاشك أن الحجاب المذكور كان له تأثير على التهوية في الرواق وهو التأثير الذي يزيد في حالة تكدس السامعين للوعظ وخصوصًا في فصل الصيف، ومن ثم كان إنشاء هذا الباذاهنج من الأهمية بمكان لتهوية رواق القبلة أثناء جلسات الوعظ وخصوصًا في فصل الصيف.

---

(١) للاستزادة: راجع محمد عبد الستار: نظرية الوظيفية، ص ٤٣٠ .

(٢) Creswell, Op. Cit., p. 287.

الرواقان الشمالي والجنوبي:

يتكون كل منهما من بلاطة واحدة وتطل على الصحن ببائكة من ستة عقود ويوجد بكل من الجدارين الشمالي والجنوبي مدخل سبق وصفه كما يوجد بالقطاع العلوي نوافذ معقودة بعقود مدببة يغشيها ستائر جصية مفرغة جددت في مشروع الترميم الذي نفذ في السنوات الأخيرة.

الرواق الغربي:

يتكون هذا الرواق من بلاطة واحدة بواسطة بائكة تتكون من سبعة عقود محمولة على ستة أعمدة تطل خمسة منها على الصحن ويوجد بالجدار الغربي للرواق في الوسط الفتحة الشرقية للمر المقبى الذي يؤدى إلى المدخل الرئيسي الغربي، ويكتنف هذه الفتحة من الجانبين ثلاث فتحات تؤدى الأولى من كل جانب إلى سلمين يؤدى إلى سطح المسجد وإلى المئذنة التي كانت تقع على المدخل الرئيسي والتي اتضح من بقاياها أنها لا ترجع إلى العصر الفاطمي ولكنها أضيفت في مرحلة لاحقة، أما البابان الآخران في كل جانب فيؤدى كل منهما إلى ثلاث حجرات تتصل ببعضها اثنتان تطلان على الرواق والثالثة تشكل البروز الذي يكتنف سقيفة المدخل الرئيسي وفيها نافذتان إحداهما في الطرف الجنوبي والشمالي للواجهة الغربية والأخريان في الطرف الغربي للواجهتين الشمالية والجنوبية.

وفي إطار الوصف السابق يتضح أن مسجد الصالح طلائع يتميز بملامح معمارية مهمة منها ما هو أصيل في هذا المسجد ومنها ما يمثل نموذجاً مضافاً لما وجد في عمائر سابقة ولكن بأسلوب أكثر تطوراً، كما يتضح من تاريخ عمارة المسجد أنه مر بنفس المراحل الوظيفية التي مرت بها المساجد وخصوصًا في العصر الأيوبي والمملوكي لتحويل المسجد إلى مسجد جامع وتجديده، والاهتمام بعمارته وخصوصًا بعدما تعرض لزلزال عام ٧٠٢هـ/١٣٠٢م كغيره من المنشآت الدينية في القاهرة،وخصوصًا الفاطمي منها والتي تأثرت أكثر من غيرها لقدم إنشائها وضعفه بمرور الزمن.

وفي إطار الوصف السابق يتضح أن مسجد الصالح طلائع يتميز بملامح معمارية مهمة منها أنه أول مسجد معلق باق في مصر، وهو تخطيط استتبع إنشاء سلالم خارجية مرتفعة أمام الواجهات الثلاث بنظام فريد لم يسبق إليه، ومنها أنه أول مسجد ينشأ بمصر تتقدم مدخله الرئيسي سقيفة لم تتكرر بنفس الهيئة بعد ذلك في المساجد المصرية، وهذه السقيفة لها نموذج مشابهة في سابقة في مسجد بوفتاتة بما يشير إلى تأثير مغربي في تخطيطها والتأثير المغربي واضح في عمارة هذا المسجد ليس فقط في هذه السقيفة، ولكن أيضاً في زخارفه الجصية. كما يتميز هذا الجامع باستخدام الدخلات في التشكيل الزخرفي للواجهات وعقدها بعقود تزخرفها ضلوع إشعاعية كانت لها سوابقها في الجامع الأقمر لكنها استخدمت في هذا المسجد استخداماً شاملاً سواء في واجهات المسجد من الخارج أو في الداخل بالسطح الداخلي للجدران، وقد اشتملت بعض هذه الدخلات على نوافذ سفلية مستطيلة لم يعهد لها أمثلة سابقة في عمارة المساجد الفاطمية ولكنها كانت البداية لانتشار النوافذ السفلية في واجهات المنشآت الدينية الأيوبية والمملوكية والعثمانية، كذلك استخدمت الروابط الرخامية لتدعيم إنشاء الدعامات التي تفصل بين الحوانيت في المستوى الأرضي من المسجد وهو أسلوب إنشائي سبق وجوده في العمائر الحربية في أسوار المهدية ثم القاهرة، ويقال إنه استخدم بمرفأ عكا لكن استخدامه في مسجد الصالح طلائع يعتبر أول نموذج في عمارة دينية وتكرر بعد ذلك في جامع الظاهر بيبرس.

كذلك كان هذا المسجد هو أول مسجد يتضمن مشروع تخطيطه إلحاق ضريح أو "مشهد" به لكن فكرة الإلحاق يبدو أنها كانت مختلفة عما حدث بعد ذلك في العصر الأيوبي والمملوكي حيث إن موضع المشهد كان خلف جدار القبلة ويتوصل إليه من باب في سور لا يتعدى سمكه ٦٠ سم بما يوحي بأن المشهد كان داخل حوش وإنشاء الأضرحة التي تعلوها قباب في ساحة حوش وجدت أمثلة له في جبانة أسوان، وفي أمثلة يمكن إرجاعها إلى العصر الفاطمي.

وهنا تجب الإشارة إلى أن منشأة الجيوشي والتي ورد في نص إنشائها أنها

"مشهد" يختلف عن ما كان عليه الحال في مسجد الصالح طلائع كما أن إنشاء بعض المشاهد يتضمن مواضع للصلاة كمشهد السيدة رقية ومشهد يحيى الشبيه ومشهد كلثم تعتبر أيضاً أنماطاً مختلفة عما كان عليه الحال بالنسبة لمسجد الصالح طلائع[1].

كذلك فإن هذا المسجد يشمل على أقدم نموذج لباذاهنج من النمط الذي يشتمل على قناة في داخل الجدار تمرر الهواء الساقط من الفتحة التي تعلو السطح إلى مستوى معين من الجدار، وقد أشرنا إلى وجود مثل هذا النمط في العمارة المسيحية المصرية في القرن السادس الميلادي. كما يوجد نماذج أقدم ولكنه غير متكامل في معبد أتريبس غرب سوهاج وهو أمر يشير إلى الأصالة المصرية لهذا النمط من الباذهنجات.

كذلك تتميز عمارة هذا المسجد بإنشاء صهريج أسفل صحن المسجد يتوصل إليه الماء من مجارى تنقل الماء من ساقية على الخليج إلى المسجد،وهذا المشروع المائي بهذه الهيئة يعطى نموذجاً لكيفية تزويد منشأة فاطمية بماء النيل الذي كان يستخدم غالباً للشرب أكثر من استخدامه للأغراض الحياتية الأخرى وهو أمر يكشف أن اختيار موضع مدينة القاهرة بعيدة عن النيل استتبع إنشاء منشآت مائية لتخزين الماء اللازم للشرب والذي يوفي به الحاجة طوال العام،وهو أمر استمر بعد ذلك في العمارة الأيوبية والمملوكية والعثمانية وتجسد في إنشاء قباب الأسبلة بالمنشآت الدينية لتفي بهذا الغرض، ومن ثم تبدو أهمية نموذج الصهريج في هذا المسجد، وخصوصاً وأن فكرة التزويد بالماء عن طريق ساقية ترفع الماء من الخليج إلى مجارى الصهريج بالمسجد تختلف عن فكرة نقل الماء بواسطة الجمال أو غيرها، ولا شك أن هذا التنفيذ وبهذه الهيئة يأتى في إطار سلطة منشئ المسجد.

كذلك يعتبر الشريط الزخرفي الذي يفصل بين مستوى الحوانيت ومستوى

---

(١) نعرض في هذا الجزء الخاص بالمشاهد الفاطمية لهذه الآراء بالتفصيل من خلال دراسة تحليلية معمارية للمشاهد الفاطمية والعمارة الجنائزية الفاطمية بصفة عامة في الجزء التالي من هذه الدراسة.

أرضية المسجد كتعبير معماري زخرفي يؤكد وجود مستويين من البناء من المظاهر الجديدة في هذا المسجد وتكررت في أمثلة لاحقة.

كما أن تصفيح الباب الرئيسي بالبرونز وحفر زخارف هندسية ونباتية عليه يعتبر من الأمثلة الأولى في العمارة الإسلامية بمصر، كما أن الجديد أيضاً في التصفيح أن زخارفه في إطار رسم أولى نفذ بطريقة ضرب الخيط، وتعتبر هذه الزخارف وزخارف محراب السيدة رقية والسيدة نفيسة بمثابة الأمثلة التي تمثل الإرهاصة الأولى لتشكيل الطبق النجمي الكامل الذي نفذ في مراحل لاحقة على الآثار الإسلامية وأصبح وحدة زخرفية رئيسة في زخارف العديد من التحف الإسلامية.

المسجد الأفخر

ذكر المقريزى عدة مسميات لهذا المسجد، فذكر أنه "جامع الظافر" نسبة إلى منشئه الخليفة الظافر بنصر الله أبو إسماعيل بن الحافظ لدين الله أبى الميمون عبد المجيد بن الآمر بأحكام الله منصور، كما ذكر أن منشئه الخليفة الظافر عندما أمر بإنشائه أمر بأن يسمى "المسجد الأفخر"(١)، ونلاحظ مرة أخرى أن تسمية هذا المسجد صيغت لغوياً على صيغة أفعل التفضيل التي شاعت في تسمية المساجد والجوامع داخل القاهرة كالأزهر والأنور والأقمر، وإذا كان هدف هذه التسميات يتضمن مضمون الضياء والنور والبياض فإن مضمون معنى الأفخر يأتى في سياق آخر يرتبط بارتقاء مستوى عمارته، كما كان هذا المسجد سمي في العصر المملوكي جامع الفاكهيين حسبما يذكر المقريزى نفسه،وظلت هذه التسمية قائمة حتى العصر الحديث بصيغة. حيث يذكره على باشا مبارك باسم "جامع الفكهانى"(٢).

وكان إنشاء هذا المسجد عام ٥٤٣هـ/١١٤٨م وقد أنشئ في موضع زريبة كانت تعرف بدار الكباش، وسبب بنائه أن خادماً رأي من مشرف عال ذباحاً وقد أخذ رأسين من الغنم فذبح أحدهما ورمى بسكينته، ومضى ليقضى حاجته فأتى رأس الغنم الآخر وأخذ السكين بفمه ورماها في البالوعة، فجاء الجزار يطوف على السكين فلم يجدها، وأما الخادم فإنه استصرخ وخلصه منه، وطولع بهذه القضية أهل القصر فأمر (الخليفة الظافر) بعمله جامعا"(٣).

ويشير المقريزى إشارة مهمة تتعلق بعمارة المسجد فيذكر أن الظافر بنصر الله "وقف حوانيته على سدنته ومن يقرأ فيه"(٤)، وهى إشارة تومئ إلى إلحاق حوانيت بالمسجد، ولكننا لا نستطيع أن نحدد ما إذا كانت هذه الحوانيت التي كانت للمسجد

---

(١) المقريزى: خطط، جـ٢ ص ٢٩٣.

(٢) على باشا مبارك: الخطط الجديدة، جـ٥ ص ١٥٦.

(٣) المقريزى: خطط جـ٢ ص٢٩٣.

(٤) المقريزى: الخطط جـ٢ ص ٣٩٣.

كانت أسفله أو بجواره(؟).

وقد تعرض المسجد للتهدم بسبب زلزال سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م وسقطت مئذنته فأعيد رسمها[١]، وفي عهد السلطان جقمق كان الجامع قد تهدم كثيراً من أروقته وجدرانه فأعيد بناؤه،وجددت معظم أروقته ونال المسجد اهتمام الأمير يشبك من مهدى في إطار إصلاحاته لواجهات العمائر بالشارع الأعظم وإزالة ما حدث عليها من تعديات[٢].

ويذكر الجبرتى في حوادث سنة ١١٤٨هـ/١٧٣٥م أن "أحمد كتخذا الخربطلى هو الذي عمر المسجد المعروف بالفاكهاني الذي بخط العقادين الرومي بعطفة خوش، وقد صرف عليه من ماله مائة كيس[٣]، وكان إتمامه في ١١ شوال سنة ١١٤٨هـ، وكان المباشر عليه عثمان جلبي شيخ طائفة العقادين الرومي[٤].

ويضيف على مبارك السبب فيذكر أن له "ثلاثة أبواب أكبرها الباب الذي بشارع العقادين يصعد إليه بدرج والآخران بحارة خشقدم وعلى مقصورته درابزين من خشب به بابان وبه عمد عظيمة، ومنبر من خشب نقى، وله منارة وبصحنه صهريج وله حنفية ومطهره وبئر وبه خزانة كتب نافعة يصعد إليه بسلالم وتحته حوانيت"[٥]. لهذا الوصف مع ما ذكره الجبرتى من أن ما صرف على عمارة هذا الجامع "مائة كيس" يشير إلى أن تعمير المسجد على يد أحمد كتخذا لم يكن في إطار إعادة بناء

---

(١) المقريزى: السلوك لمعرفة دولة الملوك، القاهرة، ط الكتب المصرية، جـ١ القسم الثالث، ص ٩٤٤.

(٢) السخاوى: الضوء اللامع جـ٧ ص ٤١، سعاد ماهر: المرجع السابق، ص ص ٣٤٦، ٣٤٧، أحمد عبد الرازق: المرجع السابق،ص ٢٥٨ .

(٣) الكيس وحدة من النقد العثماني استخدمت في القرن ١١/١٧ وهى تعادل ٢٥,٠٠٠ بارة، أحمد عبد الرازق، المرجع السابق، هامش ٢٢٥، ص ٢٥٨.

(٤) الجبرتى: المصدر السابق جـ١ ٢ ٢٥٩، على باشا مبارك، المرجع السابق، جـ٥ ص ١٥٧.

(٥) على باشا مبارك: المرجع السابق جـ٥ ص ١٥٧.

كاملة للمسجد حيث إن المبلغ المصروف في التعمير لا يفي بذلك ويمكن القول بأن هذا التعمير يمثل عملية ترميم وإضافة بعض العناصر كالمنبر والمنارة.

وقامت لجنة حفظ الآثار العربية بتنظيف مصاريع أبوابه التي كانت تغطيها طبقة سميكة من الزيت، فأعادت بذلك لمصاريع هذه الأبواب رونقها القديم باعتبارها تمثل أهم العناصر الباقية من عمارة المسجد في العصر الفاطمي، حيث يشتمل على زخارف نباتية رائعة تمثل مرحلة نضج الزخارف النباتية المحفورة في العصر الفاطمي، ومن الأجزاء الفاطمية التي بقيت من المسجد أيضاً بعض المداميك الحجرية التي تعلو الباب والتي نقش عليها بالخط الكوفي الفاطمي شهادة التوحيد والرسالة المحمدية "لا إله إلا الله محمد رسول الله".

والمسجد الحالي معلق يوجد أسفله حوانيت يعلوها أروقة المسجد التي تحيط بصحن صغير مربع يعلوه سقف منقوش تتوسطه فتحة مثمنة الشكل بغرض الإضاءة، ورواق القبلة أكبر الأروقة، ويتوسط جدار القبلة محراب مكسى برخام متعدد الألوان في القطاع السفلي والأوسط أما طاقيته وكوشتى عقد المحراب فكسيت ببلاطات القاشانى التي ترجع إلى العصر العثماني ويتوسط هذه البلاطات بلاطة كتب عليها "ما شاء الله وتاريخ سنة ١١٤١هـ/١٧٢٨م وللمسجد مئذنة يعلو الكتف الأيسر للمدخل الغربي ذات بدن أسطواني ينتهي بفتحة مخروطية مدببة(١) ويشبه التكوين العام للمئذنة قلم الرصاص وهو طراز رئيس من طرز مآذن المساجد المصرية في العصر العثماني.

وفي إطار ما سبق يتضح أن هذا المسجد أنشئ في البداية ليكون مسجداً تقام فيه الصلوات الخمس ويرتب فيه قراء، ثم تقرر فيه درس وفي مرحلة لاحقة حول إلى مسجد جامع فعين له خطيب ووضع به منبر.

ومن ناحية التخطيط المعماري أشرنا إلى احتمال أن يكون المسجد معلقاً كما

---

(١) حسن عبد الوهاب: المرجع السابق، جـ١ ص ٧٥، سعاد ماهر: المرجع السابق،جـ١ ص ٢٤٧، أحمد عبد الرازق: المرجع السابق، ص ٢٥٩.

يومئ نص وقف الحوانيت على سدنة المسجد وقرائه في عصر الخليفة الظافر بنصر الله، ومن خلال عرض الإصلاحات التي تمت في المسجد في العصر المملوكي يتضح أن هذه الإصلاحات لم تمس التخطيط الأصلي للجامع ولكنها اكتفت بإعادة ما تهـدم وإصلاح ما تشعث.

لكن الأعمال المعمارية الكبيرة هي التي حدثت في العصر العثمـاني علـى يـد الأمير أحمد كتخذا وهى الأعمال التي يرى حسن عبد الوهاب أنها امتدت لهدم الجامع وإعادة بنائه[1] في ضوء ما ذكره الجبرتى عن هذا الترميم بالرغم من أن الجبرتى لم يذكر صراحة أنه "هدم المسجد وأعاد بناءه". وربما يكون حسن عبـد الوهـاب قـد انتهى إلى هذا الرأي بناء على إلحاق سبيل بالمسجد يعلوه كتاب وهى عملية إنشائية تشير ضمناً إلى إعادة البناء لبناء صهريج السبيل والسبيل الذي يعلوه وارتباط ذلك بناء المسجد في المستوى المناظر، لكن بالرغم من ذلك يبقى القطع بأن ما أنشئ من حوانيت أسفل المسجد ليكون معلقاً كما كان في حاجة إلى دليل. بالرغم من وجـود هذه الظاهرة في مسجد الصالح طلائع، ومن إشارات أخرى تتعلق بمـسجد عظـيم الدولة الذي أنشئ بخط سوق القرافة قبل سنة ٥٣٠هـ/١١٣٥م حيث ذكر المقريزى أن "هذا المسجد كان معلقاً"[2]

---

(١) حسن عبد الوهاب: المرجع السابق، جـ١ ص ٧٥.

(٢) المقريزى: خطط، جـ٢ ص ٤٤٩.

المسجد القبة[1] تجاه خانقاه بيبرس الجاشنكير

يقع هذا المسجد في المنطقة التي كانت تشغلها دار الوزارة التي أنشأها الأفضل ابن بدر الجمالي إلى الشمال الشرقي من القصر الفاطمي الكبير بالقرب من رحبة باب العيد، وقد أشار المقريزى أن دار الوزارة كانت تعرف "قديماً بدار القباب فأضافها إلى دور بنى هريسة وسماها دار الوزارة"[2]، وفي هذا الوصف إشارة إلى واحد من الملامح الرئيسية التي تميز مباني دار الوزارة وهو الاستخدام الغالب للقباب في التغطية، وهو الاستخدام الذي انسحب على تسمية دار الوزارة هذه "بدار القباب".

وفي موضع آخر يشير المقريزى إلى اتساع دار الوزارة اتساعاً يعكسه ما ذكره عن بعض وحداتها المعمارية حيث كانت تشتمل "على عدة قاعات ومساكن وبستان وغيره، وكانت فيها مائة وعشرون مقسماً للماء الذي يجرى في بركها ومطابخها ونحو ذلك[3].

وظلت مقراً لسكنى وزراء الدولة الفاطمية "من عهد الفضل أمير الجيوش فظلوا يسكنون بها إلى أن زالت الدولة الفاطمية[4]، بل استمرت طوال العصر الأيوبي وبداية عصر المماليك البحرية مقراً مهماً ينزل به وجوه الأمراء ثم بدأ أمراء وسلاطين المماليك في إنشاء منشآتهم على أرضها بعد هدم مبانيها الفاطمية، ويعدد المقريزى هذه المنشآت فيذكر منها المدرسة القراسنقرية وخانقاه ورباط بيبرس الجاشنكير بالإضافة إلى بعض الدور والحمامات وفرن وطاحون وهو ما يؤكد مرة أخرى سعة اتساع المساحات التي كانت تشغلها، ويشير من جهة أخرى إلى أن القبة الفاطمية الباقية من هذه الدار كانت في موضع متوسط تقريباً بالنسبة لهذه المساحة.

---

(١) أثر رقم ٤٧٩.

(٢) المقريزى: خطط جـ١ ص ٤٣٨.

(٣) المقريزى: خطط جـ١ ص ٤٣٩.

(٤) المقريزى: خطط جـ١ ص ٤٣٨.

وقد اختلفت الآراء حول تأريخ ووظيفة هذه القبة، فقد ذكر كريسويل أنها "ضريح قديم" فأشار إلى أنها تشبه تماماً قبة الجعفري وقبة عاتكة وعليه فإنه يرجعها إلى فترة إنشاء هاتين القبتين (١١٠٠-١١٢٠م / ٥٠٠-٥١٥هـ) كما أنه في إطار التشابه بين مقرنصات منطقة الانتقال في هذه القبة وقبة السيدة رقية فإن حدود هذا التاريخ يمكن أن تمتد لسنة ٥٢٧هـ/ ١١٣٢م(١).

ومن المهم أن نشير إلى أن هذه القبة يدور حول رقبتها من الداخل وفوق النوافذ التي تتخلل منطقة الانتقال مباشرة شريط من الكتابة المنفذة على الجص بالخط الكوفي وهى سورة الإخلاص كاملة والآية الكريمة ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ...﴾(٢)، وهذه الآية الأخيرة تومئ بوضوح إلى أن القبة كانت مسجداً في الغالب، حيث جرت العادة بنقش هذه الآية بالمساجد.

ويرجح هذا التفسير أن المقريزى عند حديثه عن دار الوزارة الفاطمية أشار إلى اتساع هذه الدار وكثرة العاملين بها والساكنين فيها، وهى بلا شك كانت تضم مسجداً لأداء الصلوات الخمس المفروضات "مسجد الفروض" أو أكثر مثلها في ذلك مثل القصر الشرقي الكبير(٣).

كما يلاحظ أن هذه القبة تشتمل على محراب موجه في اتجاه القبلة توجيهاً صحيحاً حكم توجيه بناء القبة رغم عدم انتظام تربيعها،ولم يوجد بها أي أثر لتركيبة أو تابوت خشبي كالتي جرت العادة بإنشائها فوق مواضع الدفن كما أن بقاء هذه القبة دون بقية وحدات دار الوزارة ربما كان في إطار كونها مسجداً.

---

(١) Creswell: Brief Chronology of the Mohammedan Architecture of Egypt , p. 61. & M. A. of Egypt Vol. 1,pp. 222-228.

(٢) سورة التوبة، آية رقم ١٨.

(٣) ابن ميسر: تاريخ مصر. مخطوط في المكتبة الأهلية بباريس، برقم ٨٠١ ورقة ٣٢.

الوصف المعماري:

بنيت القبة من الآجر الداكن والذي يبلغ قياس كل أجرة منه ١٩-٢١× ٢٠×٥,٥ سم وهو قياس يساعد على سهولة البناء ومتانته والاقتصاد فيه حيث إن نسبة أطوال الآجرة ثابتة هي ١:٢ : ٠,٥ ويبلغ ارتفاع كل سنة مداميك ٣٨ سم وقد أعادت لجنة حفظ الآثار تجديد بناء القطاع السفلي من مربع القبة كما يوجد ميدة خشبية بسمك ١٠ سم قطاعها مربع في قمة مربع القبة أسفل المقرنصات والنوافذ بمنطقة الانتقال مباشرة.

يتكون بناء القبة من حجرة غير منتظمة التربيع تماماً حيث يلاحظ أن طول جدار القبلة حوالي ٣ متر من الداخل يقل قليلاً عن الجدار المقابل له. ويرتفع بناء المستوى السفلي المكعب للقبة حوالي في ٤ متر يعلوها منطقة الانتقال بارتفاع ١,٤٩ متر، ثم يعلو ذلك بدن القبة الذي يأخذ قطاعه هيئة العقد المدبب والذي يزيد ارتفاعه قليلاً عن ١,٥ متر.

ويتوصل إلى داخل القبة من مدخل رئيسي يتوسط الجدار الشمالي على محور المحراب ويلاحظ أن فتحة هذا المدخل معقودة بعقد عرض جنزيره طوبة ونصف وقد بنى بطريقة مميزة حيث تأخذ صنجات العقد المبنية شكل طوبة ممتدة في واجهة الجنزير يكملها طوبة ممتد ببطن العقد ثم يعكس البنّاء هذا الوضع في الصنجة التالية وهو أسلوب وجد في مسجد الأولياء بالقرافة، وفي مشهد خضرة الشريفة وكذلك في بعض قباب أسوان، كما يلاحظ أن العقد يؤطره إطار خارجي من الآجر وضع بهيئة رأسية وهذا الملمح البنائى في بناء عقد فتحة هذا المدخل ترجح التاريخ الذي وصفه كريسويل لبناء هذه القبة في نهاية الربع الأول، وبداية الربع الثاني من القرن ٦هـ / ١١م ، وتتوسط كلا من الجدارين الشمالي والجنوبي فتحة معقودة وكل من الفتحتين على محور واحد.

ويتوسط جدار القبلة حنية المحراب، ويلاحظ أن سمك جدار القبلة يزيد عن سمك بقية جدرانه الثلاثة الأخرى لمربع القبة وبالرغم من ذلك فإن القطاع الخارجي

الموازى للحنية يبرز قليلاً عن سمت جدار القبلة من الخارج.

ويتحول المسقط المربع إلى مسقط مستدير بواسطة حطتين من المقرنصات في كل ركن من الأركان الأربعة على ارتفاع ٤ متر من الأرضية الحالية الحطة السفلى ثلاث وحدات مقرنصة والحطة الثانية عبارة عن وحدة مقرنصة واحدة على محور الوحدة الوسطى في الحطة السفلى وتحصر هذه المقرنصات بينها أربع نوافذ متسعة من أسفل وضيقة من أعلى وتأخذ الهيئة الكأسية المقلوبة وقطاعها العلوي معقود بنفس هيئة الوحدة المقرنصة في الحطة الثانية وإن كانت أقل منها في الارتفاع بنسبة قليلة وهيئة هذه النوافذ والمقرنصات تشبه مثيلتها في قباب الجعفري وعاتكة والسيدة رقية.

ويعلو حطات المقرنصات والنوافذ مباشرة حول رقبة القبة شريط الكتابة المنفذ على الجص والذي يتضمن آيات قرآنية سبقت الإشارة إليها، ولكن يلاحظ أن هذه الكتابات لسوء الحظ قد تلف قطاع كبير منها، ولكن في ضوء ما يتبقى يلاحظ أن الخط الكوفي الذي نفذت به هذه الكتابات يتميز بأن هامات حروفه مشقوقة إلى نصفين وتلحقها زخارف عبارة عن أوراق نباتية وقطاع نقش الحروف تأخذ الهيئة المحدبة. كما يلاحظ أن الكتابات على مهاد من زخارف هندسية عبارة عن مثلثات صغيرة متجاورة، والدراسة المتأنية لأشكال الحروف تكشف عن وجود سمات أخرى مشابهة لحروف النقوش التي نفذت في الربع الأول من القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي. بالرغم من أن سمة شق في هامات الحروف،وقد ظهرت بوضوح في الربع الأخير من القرن ٥هـ/١١م.

ويمكن رصد هذا التطور في :

١) وجود اللواحق القائمة مثل النون في كلمة آمن والواو التي تسبق كلمة أقام والشين في كلمة يخشى والواو في كلمة أولئك وظاهرة اللواحق القائمة وهذا الملمح يتبلور بوضوح في كتابات جامع الصالح طلائع ٥٥٥هـ/١١٦٠م

٢) يلاحظ أن الحاء في كلمة "أحد" رسمت بهيئة مقوسة قوساً واحداً وليست

بالشكل الذي شاع في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) حيث كانت ترسم على هيئة رقبة الوزة، ورسم الحاء بهذه الهيئة الواردة في النص القرآني بالقبة موضوع البحث يشبه مثيلاتها في كتابات جامع الصالح طلائع أيضاً.

٣) الانكسار في قائم لفظ الله الوارد في النص "ولم يخش إلا الله" سمة أيضاً من سمات الخط الكوفي في كتابات جامع الصالح طلائع.

٤) القوس في رسم حرف الدال في كلمة "أحد" في الضلع السفلي ظهر في نصوص الكتابات بمسجد أبو الغضنفر الفائزى.

٥) يلاحظ رسم الواو مختزلة في كلمة "اليوم" كما يلاحظ اختزال عراقة الميم في كلمة "لم" وسمة الاختزال هذه بدأت ظهورها في نهاية القرن ٥هـ/١١م وأخذت في الانتشار بعد ذلك(١).

وفي ضوء ما سبق يتضح أن الملامح المعمارية الغالبة في هذه القبة ترجح نسبتها إلى نهاية الربع الأول من القرن ٦هـ/١٢ م أكثر من نسبتها إلى إنشاء الفضل لدار الوزارة حوالي ٤٨٧هـ/١٠٩٤م، وإن صح هذا الترجيح فإن هذا المسجد القبة يكون إنشاؤه ضمن إضافات معمارية حدثت في الربع الأخير من القرن ٦هـ/١٢م، وفي جميع الأحوال تبقى هذه القبة نموذجاً جيداً لنمط المساجد الفاطمية أنشئ على هيئة القبة.

---

(١) للاستزادة في متابعة مقارنة أشكال حروف النص في القبة موضوع البحث مع الكتابات الفاطمية في القرن ٦هـ/١٢م راجع فرج حسين فرج، المرجع السابق، أشكال ٢١٥، ٢٢ - ٣٠٤.

نص تأسيس عمل معماري (لمسجد أو جامع)

للخليفة الحافظ لدين الله

يوجد لوح من الرخام محفوظ في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة[١]، يبلغ قياسه ٤٢×٨٢ سم نقش عليه بالخط الكوفي أربعة عشر سطراً نصها:

١) بسم الله الرحمن الرحيم

٢) إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ

٣) بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ

٤) ٱلصَّلَوٰةَ [٢]وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ

٥) إِلَّا ٱللَّهَ مما أمر بعمله مو

٦) لانا وسيدنا الإمام الحافظ

٧) لدين الله أمير المؤمنين صلوات

٨) الله عليه وعلى آبائه الطاهرين

٩) على يد مملوكه الأمير المؤيد

١٠) الموفق المنصور المنتخب فخر الخلا

١١) فة تاج المعالي سعد الملك صارم

١٢) الدولة وشجاعها ذو العز[ين]

١٣) فخره أمير المؤمنين أبو [منصور]

١٤) كمشتكين الحافظ[ـى] [٣].

وهذا النص لم يحدد بصراحة نوعية المبنى الذي أمر بعمله الحـافظ لـدين الله

---

(١) سجل رقم ٤١.

(٢) نقشت كلمة الصلاة في النص هكذا الصاة.

(٣) فرج حسين: المرجع السابق: ص ٣٨٦.

على يد الأمير كمشتكين الذي يبدو من ألقابه أنه أحد رجال الجيش الفاطمي وأنه كان له مكانة بارزة.

ولكن يلاحظ أن النص يبدأ بالآية القرآنية التي جرت العادة بنقشها في صدر النصوص التأسيسية للمساجد والجوامع في العصر الفاطمي،وفي ذلك ما يشير إلى أن العمل المعماري الذي نقش له هذا النص التأسيسى كان مسجداً أو جامعاً قائماً بذاته أو أن العمل المعماري اقتصر على إضافة أو تجديد في قطاع معين من مسجد أو جامع. وفي الغالب فإن هذا النقش كان يخص عملاً معمارياً من هذا النوع الأخير خصوصًا أنه لم يشر صراحة أنه يخص مسجداً أو جامعاً أنشئ إنشاءً جديداً كما هي العادة في النصوص التي تتضمن تحديد اسم المنشأة كمسجد أو جامع.

ومن المعروف أن الحافظ لدين الله قد قام بأعمال معمارية أنشئت قبل عهده كجامع ابن طولون، والجامع الأزهر ومشهد السيدة نفيسة.

كذلك فقد النص الجزء الأخير والذي يتضمن تاريخ هذا العمل المعماري لكنه في إطار مقارنة ألقاب كمشتكين الحافظى الذي ورد اسمه في النص كمباشر لهذا العمل المعماري مع ألقاب نقش الأمير بنقشية أخرى من بصرى بالشام يرجع تاريخ أحدها ٥٢٨هـ/١١٣٣م والآخر ٥٣٠هـ/١١٣٥م فقد قام الأستاذ فيت بتأريخ هذا النقش بسنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م[١].

(١) Wiet, G., CIA, Egypt, II, p. 208.

مسجد الأمير أبو الغضنفر أسد الفائزى

٥٥٢ هـ/ ١١٥٧م

يقع هذا المسجد في شارع الدراسة، وقد حددت عمارة هذا المسجد في القــرن التاسع عشر،ويسمى هذا المسجد مسجد سيدي معاذ، "وكان في أصله مدرسة بنيــت على مشهد السيد الشريف معاذ بن داود بن محمد بن عمر بن الحسن بن على بــن أبى طالب رضى الله عنهم، توفي في ربيع الأول سنة خمس وتسعين مائتين" ٩٠٧م. وضريحه الآن داخل فيه بنيت كما كتب على أحد شبابيكها المعشقة بالزجاج الملــون سنة ٨٦٦هـ/١٤٦١م.

ثم يشير على باشا مبارك إلى أنه يوجد النص على الباب لوح من الرخام نقش فيه كتابة كوفية لم يتمكن من قراءتها[١]. والكتابة على هذا اللوح عبارة عن النص التأسيسي الفاطمي لهذا المسجد الذي لم يتبق منه سوى هذا النص والمئذنــة التــي يرجح كريسويل نسبتها إلى العصر الفاطمي.

نص التأسيس:

نقش نص التأسيس على لوح من الرخام قياسه ٦٠×٥٠ سم في ثمانية سطور بالخط الكوفي ذي اللواحق الزخرفية التي حفرت حفراً بارزاً نصها:

١) بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ

٢) مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ

٣) وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ[٢] أمر بإنشاء هذا المسجد المبا

٤) رك الأمير المقدم الهمام حصن الإسلام شرف

٥) الأنام مقدم الجيوش نضام (هكذا) الدين سيف أمير المؤ

---

(١) على باشا مبارك. الخطط الجديدة،جـ٢ ص ٢٤١.

(٢) قرآن كريم، سورة التوبة، آية رقم ١٨.

٦) منين أبو الغضنفر أسد الفائزى الصالحى ابتغاء لمر

٧) ضاة الله وطلب (هكذا) لما عنده من أجره وثوابه في

٨) سنة اثنين (هكذا) وخمسين وخمسمائة رحمة الله عليه

ويتضمن هذا النقش اسم منشئ المسجد وهو أبو الغضنفر الفائزى أحد الأمراء الفاطميين الذين ينتسبون إلى الخليفة الفائز بنصر الله وكان كما تكشف ألقابه مقدماً للجيوش.

وقد حاول الباحثون معرفة ترجمته وقامت هذه المحاولات على حصر كل من سمى بأسد وحصرت اثنين فقط يتوافق تاريخ الحوادث المرتبطة بهما مع تاريخ إنشاء المسجد من حيث إن هذا الحوادث وقعت بعد تاريخ إنشاء المسجد مما يحتمل معه أن يكون أحدهما بانيه وهذان الأميران هما أسد الغاوي وأسد الغازي(١)، وتكشف الصفة المضافة لأسد في الاسمين عن احتمال حدوث تصحيف في رسم الكلمة أو قراءة الكلمة بصورة غير صحيحة.

ومن المهم أن نشير هنا إلى أن هذا المسجد أنشئ بجوار مشهد أحد أشراف آل البيت من ذرية الحسن والاهتمام بذرية الحسن بجانب ذريته الحسين والذي تعكسه النقوش الفاطمية في القرن ٦هـ/١٢م على وجه التحديد يكشف عن أن القسم الثاني من العصر الفاطمي شهد تطوراً واضحاً في هذا الاتجاه عكس ما كان عليه الحال في النصف الأول من العصر الفاطمي، وهو أمر يوسع دائرة الاهتمام بآل البيت من ذرية الحسن والحسين على حد سواء، وربما كان له دوافعه السياسية لدعم موقف الدولة الفاطمية في هذه الفترة من تاريخها.

كما يلاحظ في النقش نسبة هذا الأمير الغضنفر إلى أمير المؤمنين الفائز ثم إلى الوزير الصالح طلائع بن رزيك في إطار ترتيب السلطة، لكن نسبة الأمير إلى الصالح تعكس قوة هذا الوزير وهذا أمر شاع في النصف الثاني من العصر الفاطمي وتؤكده

---

(١) راجع المقريزى: اتعاظ جـ٣ ، ص ٢٥٦، الخطط: جـ٢ ص ١٢، فرج حسين فرج، المرجع السابق، ص ١٢٩٨.

كل النقوش من هذه الفترة.

ويلاحظ أيضاً في النقش اجتزاء الآية القرآنية الكريمة التـي تتـصل بعمـارة المساجد، وهو اجتزاء لجأ إليه النقاش لتوفير مساحة لبقية النص.

ومن الملاحظات اللغوية أن كاتب النقش أجرى الوصل مجرى الوقف في كلمـة "طلب" على لهجة بنى ربيعة وهو أمر جائز في إطار باب الوقف في مجال فقه اللغة.

المئذنة:

بنيت المئذنة بالأجر وهى تتكون من بدن مربع المسقط طول ضلعه ٢,٢٥ متر وارتفاعه ١٢,٧ متراً ويعلو هذا البدن شرفة مثمنة الشكل للمؤذنين محمولة علـى عروق خشبية،ويعلو هذا البدن جوسق المئذنة مستدير المسقط يبلـغ قطـره ٢,٠٥ متر وارتفاعه ٢,٥٠ متر ويوجد بكل جانب من جوانبه فتحة ثلاثية ويعلـوه قبيبـة مفصصة قطاعها في هيئة العقد المنكسر يبلغ ارتفاعها ١,٥ متر وهكذا يبلغ الارتفاع الكلى للمئذنة ١٧,٥ متراً[١].

ويتوصل إلى هذه المئذنة من باب بالجانب الجنوبي الغربي حيث يؤدى إلى سلم يدور حول جوانب المئذنة من الداخل، وتوجد نافذة صغيرة فـي الجانـب الـشمالي الشرقي وأخرى في الجانب الجنوبي الغربي لإضـاءة سـلم المئذنـة مـن الـداخل والزخرفة الوحيدة في المئذنة من الداخل في الجانب الشمالي الـشرقي مـن البـدن المربع حيث يوجد دخلتان زخرفيتان القطاع العلوي لكل منهما في هيئة عقد منكسر وتزخرفه ضلوع إشعاعية.

وفي إطار الدراسة المقارنة فإن هذه المئذنة بنيت على نمط مئذنـة الجيوشـي ٤٧٨هـ/١٠٨٥م مع اختلاف في القياسات،كما أن قطاع القبيبة التي تغطيها يأخـذ شكل العقد المنكسر الذي نضج شكله في النصف الثاني من العصر الفاطمي، كما أن هذه مثلها مئذنة المدارس الصالحية التي شملت في سنة ٦٤١هـ/١٢٤٢-١٢٤٣

---

(١) Creswell: Op. Cit., p. 274.

في وجود الحنايا المعقودة بعقود منكسرة مزخرفة بضلوع إشعاعية وإذا كانت الكتابات في نص التأسيس ترجع بناء هذا المسجد إلى ٥٥٢هـ/١٥٧١م[1]، فإن هذه المئذنة في الغالب ترجع إلى هذا التاريخ، ويمكن اعتبارها نموذجاً في إطار تسلسل بناء المآذن القاهرية في الفترة المحصورة بين بناء مئذنة الجيوشي ومئذنة المدارس الصالحية.

---

(١) Creswell: Op. Cit. p. 274.

مسجد البزاز ٤٠٢هـ/ ١٠١٠- ١٠١١م

لم يتبق من هذا المسجد سوى نص تأسيسه وهو عبارة عن لوح من الرخـام مستطيل الشكل قياسه ٨٠×٣٨سم وقد عثر على هذا اللوح عام ١٩٣٢م في منطقة أبو السعود شمالي مدينة الفسطاط، وهو محفوظ حالياً في متحف الفن الإسلامي[1]، ونفذ على وجهي هذا اللوح نصان تأسيسيان أحـدهما يرجـع تاريخـه إلـى عـام ٤٠٢هـ/١٠١١م ونقش على الوجه الآخر نص كتب بخط لين ويعتبر من النمـاذج المبكرة التي نفذت بهذا الخط والتي ترجع إلى القرن ٦هـ/١١م.

ونص التأسيس المؤرخ بسنة ٤٠٢هـ/١٠١١م بالخط الكوفي البسيط بطريقـة الحفر الغائر في ستة سطور وتاريخه كتب في الهام الأيمن في خمسة سطور.

١) بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ

٢) بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا

٣) فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ[2] بنا هذا المسجد

٤) المبارك الحسن بن عبد الله بن محمد بن من سلسلة البزاز ابتغاء

٥) مرضاة الله والدار الآخرة فرحم من ترحم علـ[ـيـ]ـه حياً وميتاً وصل

٦) على محمد وهذه النخل في هذ[ا] المسجد كلؤ للمسلمين لا يباع ولا يشترى

الهامش الأيمن:

١- سنة ٢- اثنين ٣ - وأر ٤ - بعما ٥- نة[3].

وترجع أهمية هذا النقش إلى أنه خاص بأحد مساجد الفروض، وقد نقـل إلـى الموضع الذي أنشئ به مسجد الرؤيا الذي يشير إليه النقش الذي نقش على الوجـه

---

(١) سجل رقم ١١٣٠١.

(٢) قرآن كريم سورة التوبة آية رقم ١٨.

(٣) فرج حسين: المرجع السابق، ص ١٨٣.

الآخر لهذا اللوح.

كما تتضح أهمية هذا النقش في أنه يشير إلى أن منشئ هذا المسجد الأول الذي أنشئ في عام ٤٠٢هـ/١٠١١م كان بزازاً، والبزاز هو بائع الثياب أو تاجرها[1]، وهو أمر يرجح أن هذا المنشئ كان من عامة مدينة الفسطاط، العاصمة التجارية لمصر في هذه الفترة التي كانت مدينة القاهرة ما زالت محتفظة برسمها الملكي.

كذلك يتضمن نص الإنشاء إشارة مهمة إلى أن هذا المسجد الذي أنشأه الحسن بن عبد الله بن محمد بن سلسلة البزاز كان يشتمل على نخل ربما في صحن المسجد إذا كان يشتمل على صحن داخلي أو في فناء خارجي ضمن حدود أرض المسجد، وزرع أفنية المساجد بالأشجار والنباتات ظاهرة بدأت منذ عهد مبكرة في تاريخ عمارة المساجد وأفتى بصحتها أصحاب المذهب الأوزاعي منذ العصر الأموي في بلاد الشام، وانتشرت هذه الظاهرة في مساجد الأندلس[2]، ولعل أروع أمثلتها مسجد قرطبة الذي زرع صحنه بالنارنج الذي يسقى بصرف ماء الوضوء إليه في أروع مثال لفكرة إعادة استخدام ماء الوضوء، وهي فكرة استمرت في أمثلة أخرى من المساجد في عصور لاحقة، كما نرى في المساجد النجدية التقليدية في الفترة من ١٠-١٢هـ/ ١٦-١٨م كمسجد سدوس[3]، وهي أمثلة مبكرة تؤكد سبق المسلمين إلى ما يسمى حديثاً "بالتدوير".

---

(١) للاستزادة راجع حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، دار النهضة العربية، ١٩٦٥، الجزء الأول، ص ص ٣٠١-٣٠٢.

(٢) محمد عبد الستار، محمد عبد السميع عيد، دراسة لإمكانية استخدام المسطحات الخضراء في التشكيل المعماري للمساجد، دراسة أثرية ومعاصرة، ندوة عمارة المساجد، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٩، المجلد الثالث، ص ص ١٩-٢٦.

(٣) محمد عبد الستار عثمان، محمد عبد السميع عيد، التعامل مع مخلفات البناء، دراسة أثرية ومعاصرة، بحث بكتاب ندوة التنمية العمرانية في المناطق الصحراوية ومشكلات البناء فيها، وزارة الأشغال العامة والإسكان، المملكة العربية السعودية، الرياض ٢٧-٢٩ شعبان ١٤٢٣هـ.

ويأتي وقف النخيل بهذا المسجد "كلؤ للمسلمين لا يباع ولا يشترا" كما يذكر نص التأسيس متوافقاً مع آراء الفقهاء الذين وجهوا لذلك، ويعتبر هذا أيضا مثالاً مبكراً لما جرت العادة به في وقف نخيل "السبيل" في مساجد نجد التقليدية فقد كان يوقف النخيل على العوام حيث يحتفظ ثمره في جصة[1]. لحين استخدامه في شهر رمضان خاصة[2].

كذلك يلاحظ أن نص الإنشاء لا يتضمن أي عبارات شيعية، وفي ذلك ما قد يشير ضمناً إلى أن منشئ هذا المسجد ظل سني المذهب، ولم يتحول إلى المذهب الشيعي، وإن صح ذلك فإنه يكون قد سمح للمصريين سني المذهب بإنشاء مساجد للفروض.

أما النقش الثاني على الوجه الآخر لهذا اللوح الرخامي فيلاحظ أنه كتب بوضع اللوح في هيئة يتكون فيها نص الوجه الأول مقلوباً، وكان ذلك في الغالب لجعل المساحة الأعرض من اللوح جهة اليمين ومن حيث تبدأ الكتابة العربية التي تتجه من اليمين إلى اليسار،وهكذا نقش النقشان من الجهة الأعرض في اللوح التي إلى اليمين إلى الجهة الأضيق التي إلى اليسار، وقد نفذ هذا النقش أيضاً بطريقة الحفر الغائر لكن كتب بخط لين يمثل إرهاصة مبكرة لخط الثلث التي تبلور وانفتحت ملامحه بعد ذلك في العصرين الأيوبي والمملوكي.

ونص التأسيس يقع في سبعة سطور أفقية بالإضافة إلى سطرين في الهامش الأيمن للوح نقشا في هيئة عمودية على مسطح اللوح. ويمتد السطر الخارجي بهيئة أفقية أسفل السطور السبعة.

---

(١) حجرة صغيرة لخزن التمور.

(٢) محمد عبد الستار، عوض الإمام: عمارة المسجد في ضوء الأحكام الشرعية، دراسة تطبيقية أثرية، ندوة عمارة المساجد. جامعة الملك سعود. الرياض. ١٩٩٩، مجلد ٨، ص ١٤٤.

أولاً : السطور السبعة الأفقية :

١) بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد

٢) رسول الله على ولى الله أبو الإمامين الزكيين أبى على

٣) الحسن وأبو عبد الله الحسين صلوات الله عليهما وعلى أهل

٤) بيتهما صلاة باقية دائمة إلى يوم الدين يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ

٥) ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ

٦) إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ

٧) تَأۡوِيلاً [١] رأي في هذا الموضع المبارك النبي وأمير المؤمنين على وهم يصلوا (هكذا)

ثانياً : السطران العموديان :

١) رحم الله من ترحم على من بناه.

٢) ﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرًا وَأَعۡظَمَ أَجۡرًا ﴾[٢]

كما يلاحظ أن النقاش كتب لفظ الجلالة "الله" مرتين فوق السطر الثاني وثلاث مرات فوق السطر الثالث،ويكشف مضمون هذا النص عن أن سبب إنشاء هذا الجامع هو رؤية منشئه للرسول ﷺ ولأمير المؤمنين على بن أبى طالب في المنام وهما يصليان،وقد انتشرت الرؤية وتحقيقها انتشاراً كبيراً في العصر الفاطمي، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك ويعتبر إنشاء هذا المسجد في الموضع الذي رأي فيه صاحب هذه الرؤية مثالاً يضاف إلى أمثلة عديدة لمساجد ومشاهد الرؤية التي أنشئت في العصر الفاطمي.

---

(١) قرآن كريم، سورة النساء، آية رقم ٥٩.

(٢) قرآن كريم، سورة المزمل، جزء من الآية رقم ٢٠، ويلاحظ أن الخطاط أسقط الألف في كلمتي خيراً وأجراً.

كما يتضح من صياغة نص الإنشاء أن منشئ المسجد شيعي المذهب ويلاحظ أنه يضمن نص الإنشاء إشارة إلى الحسن والحسين حفيدي رسول الله ﷺ معاً في ذكر لقب كنية لكل منهما، ولكن يلاحظ أنه كنى الحسن بأبي على بالرغم من أن الحسن لم يذكر في عقبه من يحمل اسم على حيث إن أعقب من الذكور زيد، والحسن المثنى، والحسين وطلحة، وإسماعيل، وعبد الله، وحمزة،ويعقوب، وعبد الرحمن، وأبو بكر، وعمر، كما أنه كان يكنى "أبو محمد الحسن"[١]، ومن هنا يمكن أن يكون الحسن في هذا النقش كنى بأبيه عليّ رضى الله عنه وأما الحسين فقد كنى في النقش "أبو عبد الله" وقد أشارت مصادر النسب إلى أنه كان يكنى "أبا عبد الله"[٢].

---

(١) الداودى: عمدة الطالب، ص ٥٥.

(٢) الداودى: المصدر السابق، ص ١٥٨.

مسجد إخوة يوسف (أثر ٣٠١)

أشارت الدراسات الحديثة إلى أن هذا المبنى مشهد وذلك في الغالب اعتماداً على نص شاهد قبر ثبت على الحائط المواجهة لجدار القبلة الذي كتب بالخط الكوفي نصه "هذا قبر إبراهيم بن اليسع بن العيص من سلالة إبراهيم"(١). ولكن مراجعة المصادر العربية الخاصة بالمزارات بالإضافة إلى النص الكتابي حول محاريب المبنى، تشير إلى أن هذا المبنى كان مسجداً.

فقد ذكر ابن عثمان ما نصه "ثم تمضى من قبره [يقصد القرطبي] إلى مشهد به قبر إبراهيم بن اليسع بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن وبظاهر القبة التي بالمشهد قبر ولد من أولاد يعقوب وهذا المشهد من مشاهد الرؤيا، ثم يستطرد ويقول "حكى أن رجلاً بات عند القبر في هذا المكان قديماً، فقرأ سورة يوسف وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ونام، فرأي قائلاً يقول: هذه والله قصتنا من أعلمك بها؟ فقال: هذه قصة مذكورة في كتاب الله الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم. فمن أنت: قال: أنا روبيل بن يعقوب إسرائيل الله أحد إخوة يوسف، فلما أصبح الرجل أخبر الناس بهذه الرؤيا، فبنوا هذا المسجد لما علموا من صدق الرائي (٢).

وتكشف هذه الرواية عن أن المبنى أنشئ ليكون مسجداً من واقع رؤيا رآها أحد الناس عندما بات ليلة عند قبر إبراهيم وهو ما يعنى وجود قبر أيضاً مجاور للمسجد سابق على إنشائه يرجع إلى إبراهيم بن اليسع بن إسحاق بن إبراهيم، وهو الاسم الذي يتوافق وشاهد القبر الذي ثبت على الحائط المقابل لجدار القبلة.

ويذكر ابن الزيات رواية أخرى مفصلة عن هذا المبنى نصها "ذكر المشهد

---

(١) Combe, Sauvaget et Wiet, Répertoire Chronologique d' Epigraphie Arabe, Tome VI, p. 73.

(٢) ابن عثمان (موفق الدين ت ٦٩٥هـ) مرشد الزوار إلى قبور الأبرار المسمى الدر المنظم في زيارة الجبل المقطم، تحقيق محمد فتحي أبو بكر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٩٤، ص ٦٠٢.

المعروف باليسع وروبيل قال الشيخ شرف الدين بن الحباس في تاريخه يعرف هذا المسجد باليسع وهو صاحب البابين وقيل إنه في ذلك المشهد روبيل وذلك غير صحيح لأنه أجمع العلماء من أهل التاريخ على أنه لم يدفن بمصر إلا يوسف عليه السلام ألقي في النيل وذلك أنه دفن في البر الغربي فاخضر ولم يورق البر الشرقي ورقة خضراء فحمل من الغربي إلى الشرقي فاخضر ويبس الغربي فألقوه في النيل فلم يزل في النيل إلى زمن موسى بن عمران عليه السلام فأمر الله تعالى أن يحمله معه إلى بيت المقدس، ثم يستطرد ليذكر رواية ابن عثمان التي سبقت الإشارة إليها(١). ثم يستطرد ابن الزيات فيقول "وروى أن يهود بن يعقوب أخو يوسف عليه السلام أقام في ذروة جبل المقطم في هذا المكان ودفن"(٢).

ومع مرور الزمن كان الجمع بين هذه الروايات وربطها بالمشهد حتى إن السكري في العصر العثماني يشير إلى أن المبنى ويذكر أنه مشهد نبي الله اليسع والعيص وروبيل وهوداً وهم أولاد أبني يعقوب عليهم الصلاة والسلام على ما نقله الإمام أبو الحياس"(٣).

وتكشف الروايات السابقة عن أن مشهد إخوة يوسف ما هو إلا مسجد صغير أنشئ بجوار ما ذكر أنه قبر إبراهيم بن اليسع والذي وردت الإشارة إلى قبر أخيه روبيل أيضاً في هذا الموضع وهو الموضع الذي كان يتعبد فيه، كما أشارت الرواية إلى يهوداً أخوهم ومن ثم عرف المسجد بمسجد إخوة يوسف.

ويلفت الانتباه ما ورد في روايات المؤرخين من أن المبنى أنشئ كمسجد بسبب رؤيا والرؤيا هنا ترتبط بمشاهدة الرجل الذي قرأ سورة يوسف لأحد إخوة يوسف،

---

(١) ابن الزيات (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ناصر الدين الأنصاري ت ٨١٤هـ) الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة، مكتبة المتنبي، بغداد ص ص ٢٨٢-٢٨٣.

(٢) ابن الزيات: المصدر السابق ص ٥٨٣.

(٣) السكري (على بن جوهر) الكوكب السيار في قبور الأبرار،تحقيق د/ محمد عبد الستار عثمان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٤، ص١٤.

وهو ما يعنى أن كلمة "مشهد" هنا تأتى في إطار هذه المشاهدة، وتصديق الناس المعاصرين لها فبنوا هذا المسجد الذي عرف في إطار قصة إنشائه بالمشهد، وفي هذا تفسير لإطلاق مصطلح "مشهد" على هذا المسجد، كما تجب الإشارة إلى أن إطلاق كلمة شهد على هذا المعنى تالية للعصر الفاطمي الذي اتسعت فيها دلالة مصطلح "مشهد"(١).

الوصف المعماري للمسجد:

يقع مسجد إخوة يوسف في القرافة الجنوبية إلى الشمال من بقايا مسجد اللؤلؤة، ويتصل بمجموعة من المباني ترجع إلى فترات تاريخية مختلفة، ويعرف بمسجد إخوة يوسف وواجهته تقابل الجهة الجنوبية الغربية، ولكنه يتصل بحوش - على حد تعبير كريسويل- من الجهة الشمالية الغربية يضم مقابر من العصر العثماني وبقايا نصف منزل متهدم في الجانب الجنوبي الشرقي(٢).

وهذا التحديد للمبنى وما يجاوره من مبانٍ قديمة أشار إليها كريسويل يحتاج إلى مراجعة في ضوء ما ذكرته المصادر، وخصوصًا كتب الزيارات عن مسجد أو مشهد إخوة يوسف وما يجاوره من مبان، فقد ذكر ابن الزيات ما كان يجاوره من مبان حددها على النحو التالي، فقد أشار إلى أنه "بإزاء هذا المشهد قبر عبد الله بن الحسين بن على معدود من فقهاء مصر .. توفي سنة ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م، وشرقي قبره قبر محمد بن السراج وكنيته أبو بكر توفي سنة اثنتين وستين وثلثمائة (٩٧٢م) ومقابل المشهد تربة قديمة بغير سقف بها قبر الشيخ الصالح أبى إسحاق محمد بن القاسم شعبان المالكي القرطبي المعروف بجده وفاته سنة خمس وستين وخمسمائة (١١٦٩م) ذكره القضاعى في تاريخه، ومن وراء حائطه القبلي مع الحائط قبر عليه مجدول كدان هو قبر الشيخ يحيى الشعبي الحافظ المحدث، ويلي مشهد اليسع من جهة القبلة الفقهاء أولاد إسرائيل القراء وقبر الشاب التائب، وبإزاء

---

(١) للاستزادة، راجع الكتاب الثاني من هذه الموسوعة عن المشاهد الفاطمية وقباب الدفن.

(٢) Creswell: Op. Cit., p. 234.

المشهد جماعة من الأولياء"[1].

ويستشف من هذا الوصف أن مسجد إخوة يوسف بنى في موضع كان به العديد من القبور التي أنشئت قبل العصر الفاطمي، وبعضها يرجع إلى العصر الفاطمي سواء في بدايته أو في فترة لاحقة لإنشاء هذا المسجد الذي يمكن ترجيح تاريخه إلى الفترة من ٥٢١-٥٢٧هـ/ ١١٢٧-١١٣٢م في إطار دراسة زخارف المحاريب وكتاباتها[2].

ويتفق هذا تماماً مع ما أشار إليه كريسويل من وصف للمباني المجاورة للمسجد أو المشهد من الجهة الجنوبية الغربية التي يتضمن بعض العناصر المعمارية الفاطمية كالعقود المنكسرة والمثلثات الكروية، كما يفسر لنا وجود هذه المباني سبب وضع مدخل المسجد في الجدار الجنوبي الغربي وعدم وضعه على محور المحراب وهو الأمر الذي يحاول كريسويل تفسيره في سياق مقارنات مع مشاهد أخرى كمشهد عاتكة و برره بوجود مقابر لم يحدد هويتها[3].

والمسجد عبارة عن مبنى مربع المسقط طول ضلعه ٥,٧٣، ترتفع جدرانه نحو ٤,٦٤متر ثم ترتد إلى الداخل بمقدار ٧ سم، ومن هذا المستوى تبدأ حنايا منقطة الانتقال التي تحمل القبة في الأركان الأربعة، وبين كل حنيتين توجد نافذة معقودة بعقد منكس ويبلغ ارتفاعه ١,٦٤ متر واتساعه ١,٤٤ متر ومنطقة الانتقال التي يبلغ ارتفاعها ١,٩٧ متر مربعة الشكل لكن أركانها تصبح مشطوفة على ارتفاع وترتفع بناؤها ١,٠٩ متر حتى رقبة القبة وهو ما يعنى أن بناء منطقة الانتقال المربع المسقط يرتفع ٨٨ سم عن البناء المكعب للمستوى الأول من بناء المسجد الذي سبقت الإشارة أليه.

وبناء المنطقة المثمنة للانتقال يرتد إلى الداخل بمقدار ٣٠سم عن مستوى سمت

---

(١) ابن الزيات: المصدر السابق، ص ٢٨٣.

(٢) فرج حسين فرج، المرجع السابق ص ٣٤١-٤٣٣.

(٣) Creswell:Op. Cit., pp. 234-35

الواجهات الأربع ويبلغ ارتفاع بناء كل جانب من الجوانب الثمانية ١,٣٥ متر أما طوله يبلغ ٢,٦٠ متر وفي كل جانب توجد نافذة بلغ اتساعها ٦٩ سم وارتفاعها ١,١٥ متر وليست ثلاثية الشكل تماماً ولكن الجزء الأوسط من عقدها مسنن وهى تشبه تماماً النوافذ في هذا المستوى ببقايا القباب السبع التي تعرف خطأ[١].

وبعض هذه النوافذ عقودها ثلاثية النصوص، ومن خلال هذه النوافذ يتضح أن سمك البناء يلغ ٥٠سم. والقبة تعلو مباشرة منطقة الانتقال المثمنة[٢]. وبدن القبة نصف كروى قطاعه مدبب، هذا ويلاحظ أن سمك قطاعات جدران منطقة الانتقال تختلف من جانب إلى آخر، وقد اتضح ذلك من قياسات سمك الجدران من خلال النوافذ المذكورة، وقد اتضح أن سمك القطاع الجنوبي الشرقي وهو اتجاه القبلة ٣٠ سم بينما يبلغ ٥٦ سم في الجدار المقابل لجدار القبلة ويقل سمكه عن الجدارين الشمالي الشرقي والجنوب الغربي، ويتوافق ذلك مع سمك الجدران في المستوى الأول المربع المسقط الذي يحمل منطقة الانتقال حيث يبلغ سمك الجدار الجنوبي الغربي والذي تم قياسه من خلال فتحة المدخل ١,١٥ متر بينما يبلغ سمك جدار القبلة والذي تم قياسه من النافذة التي تقلد المحراب ٩٠ سم وقياساً عليه فإن سمك الشمال الشرقي كان مساوياً لسمك الجدار الجنوبي الغربي[٣].

ويقع المدخل المؤدى إلى المسجد في الضلع الجنوبي الغربي وقد حكم موضعه في الغالب تلك المقابر التي سبقت إنشاء هذا المسجد والتي أشار إليها ابن الزيات.

ويلاحظ أن الجدار الشمالي الشرقي قد بنى على نشز صخري وهو ما يعنى أن هذا المبنى كان ملاصقاً للأرض الصخرية المرتفعة في هذا الجانب بالرغم من أن المستوى الصخري المرتفع حالياً يبعد من هذا الجدار بحوالي ٩٠ متراً، وذلك بسبب

---

(١) تم تصحيح هذا المسمى بالقباب السبع. راجع السكري: المصدر السابق ص ص ٤٩-٥١.

(٢) Creswell: Op. Cit., p. 235.

(٣) Creswell: Op. Cit., p. 235.

قطع الأحجار من هذا الموضع لقرون عدة[١].

ويوجد بجدار القبلة ثلاثة محاريب أكبرها أوسطها حيث اتساعه ٢,١٥ متر وارتفاعه ٤,٥ متر ويبرز بناؤه عن سمت جدار القبلة من الخارج في هيئة مقوسة، أما المحرابان الجانبيان فيبلغ اتساع كل منهما ١,٤٥ متر وارتفاع كل منهما ٢,٨٥ متر.

وقد زخرفت المحاريب الثلاثة بزخارف جصية كتابية ونباتية ويلاحظ أن الزخارف الكتابية يستمر في هيئة شريط يؤطر القطاع العلوي من واجهات المحاريب الثلاثة حيث يبدأ من الجانب الأيمن للمحراب الأيمن من مستوى مأخذ عقد طاقية المحراب ليؤطر هذه واجهته ثم يمتد ليؤطر القطاع العلوي من واجهة المحراب الأوسط من ذات مستوى مأخذ عقد طاقية المحراب الأيمن ثم يستمر ليؤطر المحراب الأيسر من نفس المستوى، وكتابات هذا الشريط بالخط الكوفي ذي اللواحق الزخرفية وهي عبارة عن النص التالي بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[٢] ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾[٣].

ويعلو هذا الشريط أعلى واجهة كل محراب شريط من زخارف نباتية ويوجد أسفل الشريط الكتابي-الذي سبقت الإشارة إليه-على جانبي المحرابين الصغيرين شريطان الداخلي منهما يأخذ شكل عمود في كل جانب يعلو تاج والخارجي عبارة عن شريط من زخارف نباتية بنفس القياس وعرض الشريطين مساو لعرض شريط الكتابة، أما المحراب الأوسط فيكتنف واجهته من الجانبين أسفل شريط الكتابة شريط

---

(١) Creswell: Op. Cit., p. 235.

(٢) قرآن كريم، سورة التوبة، آية ١٨.

(٣) قرآن كريم، سورة البقرة، آية ٢٨٥.

من زخارف نباتية بعرض شريط الكتابة وإلى الداخل من هذا الشريط قطاع من شريط الكتابة الذي يعلوه يوجد ارتداد في الجانبين كموضع لعمودين كانا يكتنفان حنية المحراب، وبوجودها تتماثل المحاريب الثلاثة في الهيئة العامة التي هي عبارة عن عمودين زخرفيين للمحرابين الجانبين وعمودين يكتنفان المحراب الأوسط فقدا.

ويؤطر عقد طاقية حنية المحراب الأوسط شريط من كتابة كوفية عرضه ٢٠ سم نصه بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[١]، ويملأ كوشتى عقد المحراب المحصورة بين الشريط الكتابي الخارجي هذا والشريط الكتابي الداخلي زخارف نباتية رائعة، أما كوشات عقدي طاقيتي المحرابين الجانبيين فبوسط كل منهما نهد بارز Boss يحيط به زخارف نباتية.

وتأطير المحاريب بأشرطة كتابية في العصر الفاطمي وجدت في أمثلة متكررة حيث نرى أمثلة لها في مشهد الجيوشي ٤٧٨هـ/١٠٨٥م ومحراب الأفضل شاهنشاه في جامع أحمد بن طولون ٤٨٧هـ/١٠٩٤م،وفي محراب السيدة رقية عام ٥٢٧هـ/ ١١٣٣م، والمحراب الخشبي لمشهد السيدة نفيسة والمحفوظ في متحف الفن الإسلامي (٥٤١-٥٥٥هـ/ ١١٤٥-١١٤٥م) وكذلك في محراب مشهد السيدة رقية بذات المتحف (٥٤٩-٥٥٥هـ/ ١١٥٤-١١٦٠م).

وفي إطار الدراسة المقارنة للكتابات الكوفية الفاطمية في مصر يتضح أن ملامح الخط المتمثلة في ظاهرة التضفير واللواحق الزخرفية وزخرفة هامات بعض الحروف كالألف واللام في هذا النص تأتى كنموذج متطور لما ظهر أولاً في مشهد الجيوشي ٤٧٨هـ/١٠٨٥م، وكما ظهر في طاقيات جامع سيدي عبد الله الشريف بدمياط ٥٢١هـ/١١٢٧م وخصوصاً ظاهرة الأقواس الزخرفية.

كذلك كشفت دراسة الزخارف النباتية وخاصة الورقة النباتية الثلاثية أن هذه

(١) قرآن كريم، سورة الإخلاص.

الزخارف تأتى بعد النماذج المماثلة في جامع الأقمر ٥١٩هـ/١١٢٥م ومشهد السيدة عاتكة ٥١٩-٥٢٧هـ/ ١١٢٥-١١٣٣م(١).

وفي إطار دراسة الكتابات التي عثر عليها في هذا المسجد سواء كانت شاهد القبر أو الكتابات على المحاريب وكذلك الزخارف النباتية وكذلك العناصر المعمارية ممثلة في هيئة منقطة الانتقال من الخارج والحنايا الركنية بالداخل كانت محاولات تأريخ هذا المسجد.

فقد ذكر فيت أنه يرجع إلى حوالي ٤٠٠هـ/١٠٠٩ بينما يرجعه كريسويل إلى الربع الأول من القرن الثاني عشر الميلادي، بينما أرخه جروهمان ٤٩٣هـ/١٠٩٩ تحديداً، وكشفت الدراسة الحديثة لملامح الخط عن أنه يمكن تأريخ كتابات المحاريب والزخارف في الفترة من ٥٢١-٥٢٧هـ/١١٢٧-١٢٣٢م وهو تأريخ متقارب إلى حد بعيد مع تأريخ كريسويل(٢).

وتكشف دراسة مضمون الكتابات على واجهة المحاريب الثلاثة بجدار القبلة عن أن الجزء الأول من النص القرآني يومئ إلى أن البناء مسجد كما أشارت كتب المزارات، كما يشير الجزء الثاني من النص والمقتبس من سورة البقرة إلى ارتباط هذا النص إلى حد بعيد بما ذكر عن قصه الرؤيا التي كانت سبباً في إنشاء هذا المسجد خاصة وأن هذه الرؤية تتصل بقضية النبي يوسف التي وردت بالقرآن الكريم والتي أشارت إليها الكتب السماوية الأخرى والتي يحثنا القرآن الكريم على الإيمان بها والعمل بهذا الإيمان. وفي ذلك ما يشير ضمناً إلى أن هذه الكتابات تعتبر قرينة على صدق الرواية التي ذكرها ابن عثمان وابن الزيات على الرؤيا التي كانت سبب إنشاء هذا المسجد، وبهذا يعتبر هذا المسجد الفاطمي نموذجاً آخر لنماذج العمائر الدينية الفاطمية التي أنشئت في إطار الرؤية أو نسبها.

كما أن المحاريب الثلاثة في هذا المسجد تعتبر مثالاً أيضاً لأمثلة متكررة لبعض

---

(١) للاستزادة راجع:فرج حسين فرج: المرجع السابق ص ٢٤٤-٢٤٥.

(٢) فرج حسين فرج: المرجع السابق، ص ٣٤٦.

المساجد والمشاهد التي أنشئت في العصر الفاطمي لمسجد دير سانت كاترين حوالي ٥٠٠هـ/١١٠٧م ومشهد كلثم ٥١٦هـ/١١٢٢م ومشهد السيدة رقية ٥٢٧هـ/١١٣٣م، ومشهد يحيى الشبيه في الربع الثاني من القرن ١٢م[١] وقد تكررت هذه الظاهرة في بعض المساجد والمشاهد في العصور التالية[٢].

---

(١) Creswell Op. Cit., VI, p. 230

وقد أرخه أحد الباحثين في ضوء دراسة النقوش ٥٥٥هـ/١١٦٠م، فرج حسين فرج: المرجع السابق، ص ٤٠٧.

(٢) Creswell: Op. Cit., pp. 235.

مسجد اللؤلؤة

تاريخ المسجد ٤٠٦هـ/ ١٠١٥-١٠١٦م

يذكر ابن الزيات أن "مسجد اللؤلؤة كان مسجداً خراباً مشهوراً بإجابة الدعاء، فلما أخبر الحاكم بفضله بناه في سنة ست وأربعمائة وسماه اللؤلؤة وهو بالقرب من مقام اليسع شقيق شيبان الراعي"(١)، وقد كرر المقريزى رواية ابن الزيات لكنه أوضح أن الخليفة الحاكم هو الذي سمى هذا المسجد بمسجد اللؤلؤة، فقد ورد في خططه: اللؤلؤة هذا المكان مسجد في سفح الجبل (يقصد جبل المقطم) باق إلى يومنا هذا كان مسجداً خراباً فبناه الحاكم بأمر الله وسماه اللؤلؤة كان بناؤه في سنة ست وأربعمائة وهو بناء حسن"(٢). وفي إطار التقويم المعماري للمقريزى لهذا المسجد يتضح أن مسجد اللؤلؤة في صورته الكاملة كان في مستوى معماري حسن.

وبالرغم من أن المقريزى يذكر صراحة أن الذي سمى المسجد بمسجد "اللؤلؤة" هو الخليفة الحاكم فإن كريسويل يحاول أن يربط بين تسمية المسجد بهذا الاسم واسم ابنة المقوقس "قيرس" مصر زمن الفتح الإسلامي(٣). ويؤكد على ذلك بأن هذا المكان يعرف إلى اليوم بقبر لؤلؤة بنت المقوقس.

مواد البناء:

استخدم في بناء هذا المسجد حجر التلاتات **Ashlar** غير المنحوت نحتاً جيداً المقطوع من جبل المقطم، كما استخدم "الدقشوم" في بناء حشو الحوائط من الداخل بين وجهي البناء، ويبلغ قياس الأحجار الضيقة **Header** في وجه الجدار من ١٥-٢٠ سم، بينما يبلغ قياس الأحجار الطويلة **Strecher** من ٤٢-٥٠سم، ويبلغ

---

(١) ابن الزيات: المصدر السابق ص ١٤.

(٢) المقريزى: خطط جـ٢ ص ٤٥٦.

(٣) Creswell: Abrief Chronology of the Mohammedan Monuments of Egypt to A.D. 1517, pp. 58-59.
& Creswell, Muslim Architecture of Egypt, Vol. I, pp. 113-114.

ارتفاع كل ستة مداميك ١,١٠ متر، واستخدمت مونة سميكة في البنـــاء،ويلاحظ أن الواجهات الخارجية مبنية بحجر منحوت نحتاً جيداً ولكن السطح الـــداخلي للجـــدران مبنى بأحجار غير متقنة النحت،ويكشف هذا التنوع في استخدام الأحجار المنحوتـــة نحتاً جيداً ورديئة النحت والدقشوم عن البعد الاقتصادي في البناء وتوظيف كل ناتج قطع الأحجار من جبل المقطم في البناء، كما يكشف عن جهد خاص للبناء الذي يقوم ببناء الجدران بهذه الأحجار المتنوعة وكل نوع من موضعه.

وفي إطار الوصف السابق كمواد وأسلوب البناء يتضح أن مستوى المبنى تقنياً أقل من مستوى تنفيذ مشهد الجيوشى وأكثر تواضعاً من مشهد خضرة الشريفة.

وهنا تجب الإشارة إلى أن سطح جدران المبنى الخشنة من الداخل كـــان بهـــذا الشكل الذي وضع في الاعتبار معالجته بالتكسية بطبقة من الملاط وقد بقيت بعـــض أجزاء هذا الجدران محتفظة بطبقة ملاطها والتي تبدو في بعض الأجزاء الأخرى من طبقتين وهو أمر يعنى تجديد الملاط في فترة لاحقة، والملاط الباقي يخلـــو مـــن أي زخارف.

أما الحوائط من المستوى العلوي فمبنية بآجر داكن اللون ويلاحـــظ أن بعـــضه يميل إلى اللون الأسود، ونظراً لتغطية القبو بالملاط فلم يتضح أسلوب بنائه(١).

ويلاحظ أن عقود البائكة في الواجهة الغربية غير مكسية بالملاط والعقد الأوسط من الحجر،ويحيط بهذه العقود إطار مبنى، وأسلوب بناء العقد يشابه عقود العمـــائر الفاطمية المعاصرة التي بنيت بنفس الأسلوب من حيث وضع الصنج بهيئة إشعاعية وإحاطة جنزير العقد بإطار مبنى،وعقد المحراب من الحجر وهو مبنى بنفس هيئـــة العقد الأوسط في الواجهة الغربية.

---

(١) Creswell: Op Cit., p. 113.

الوصف المعماري للمسجد:

يقع مسجد لؤلؤة إلى الشرق من مسجد إخوة يوسف بمسافة قليلة، على قمة جبلية عالية يصعب الصعود إليها بسبب قطع الأحجار من المنطقة المجاورة للمسجد فيما عدا حافة ضيقة في الجهة الغربية يمكن من خلال الصعود عليها للتوصل إلى المسجد.

والمبنى في حالة سيئة حيث لم يتبق منه سوى ساحة للصلاة في المستوى الأرضي مستطيلة الشكل، يبلغ قياسها من الشمال إلى الجنوب ٤,٨٢ متر وعرضها من الشرق إلى الغرب ٣,٢٣ متر ويعلوها سقف مقبى بارتفاع ٦ متر، والواجهة الغربية لهذه الساحة عبارة عن بائكة تتكون من ثلاثة عقود أوسطها أوسعها ويرتفع أيضاً عن العقدين الجانبيين.

وكان يعلو هذه الساحة طابق ثان بنفس الهيئة، بها نافذة مستطيلة في الجانب الشمالي الغربي، وقد سقطت واجهتها الغربية، وكذلك القبو الذي كان يغطيها وذلك بعد سقوط الأمطار الشديدة عليها عام ١٩١٩م(١)، وكان يعلو هذا المستوى الثاني مستوى ثالث، وربما كان تخطيط هذا الطابق الثالث عبارة عن حجرتين حيث كان يوجد أثر قاطع في الوسط والقسم الجنوبي كان بحائطه الشرقي نافذة وقد سقط الحائط الشرقي للقسم الشمالي ومن المفترض أنه كان يشتمل على نافذة مماثلة.

ويتوسط الجدار الشرقي لساحة الصلاة في المستوى الأرضي حنية محراب يلاحظ ارتفاعها وضيقها كما لا يحدها إطار بالإضافة إلى أنها عارية من الزخارف، ويبلغ اتساع هذه الحنية ٩٠ سم وعمقها ٧٢ سم وارتفاعها ٣,٠٥ متر، ويلاحظ أن جانباً من القطاع الشمالي الشرقي والقطاع الغربي من ساحة الصلاة في هذا المستوى الأرضي مقطوع في الصخر وكذلك القطاع السفلي من حنية المحراب،ويرجع ذلك فيما يبدو أنه بنى عند القطاع السفلي من سفح جبل المقطم التي لم تكن مستوية.

---

(١) Creswell: Op Cit., p. 113.

كما يلاحظ أن ساحة الصلاة في المستوى الثاني بجدارها الشرقي محراب عـار من الزخارف أيضاً وهو عبارة عن دخلة نصف مـستديرة المـسقط،وتبرز حنيـة المحراب عن سمت جدار القبلة من الخارج في هيئة مستطيلة ويرتفع هذا البـروز حتى مستوى نهاية هذا الحائط، ويكتنف المحراب في القطاع العلوي من جدار القبلة نافذتان يلاحظ أن الحافة السفلية لكل منهما بهيئة منحدرة بزاوية ٦٠ درجة.

ويتوصل إلى ساحة الصلاة في المستوى الأرضي من فتحة باب متهدمـة فـي الجانب الجنوبي الغربي، ومن الطبيعي أن يتوصل لها أيضاً من الساحة المكـشوفة التي تتقدمها من خلال الفتحات الثلاث للبائكة المطلة عليها. ويعلـو فتحـة البـاب المذكورة نافذة مستطيلة الشكل يعلوها وعلى محورها نافذة مستطيلة أضيق وأصغر من سابقتها، ويلاحظ وجود امتداد للحائط الجنوبي من الطرف الغربي يتعدى التقاءه بالواجهة الغربية ويبلغ طول هذا الامتداد ١,١٨ متر وعند الزاوية الجنوبية الغربية يوجد بقايا حائط سمكها ٥٠ سم كان يعلوها عقد صغير بقى جزء من مآخذه(١).

وقبل سقوط واجهة المستوى لثاني وسقف الحجرة في المستوى الثالث كان من الممكن الصعود إلى هذا المستوى من فتحة في قبو ساحة الـصلاة فـي المـستوى الثاني عند الركن على يمين المحراب ولكن سقط جزء من القبو للمستوى العلـوي على هذه الفتحة، فأصبح من العسير الصعود من خلالها إلى المستوى الثاني.

وكان بالحائط الشرقي لساحة الصلاة في المستوى الثالث محـراب ويلاحـظ أن الحوائط الجنوبية الغربية والجنوبية الشرقية والشمالية الشرقية مملطة بملاط جيـد ناعم الملمس ويومئ شكل هذه الحوائط وهيئة الملاط أن هذه الحـوائط بارتفاعهـا الأصلي النهائي، ومن الصعب أن نفترض حـدوث تـرميم فـي الجانـب الـشمالي الغربي،كما أنه من المفترض أنه كان هناك درج يؤدى إلى المستوى العلوي(٢).

وفي إطار الوصف السابق تتضح بعض الملامح المعمارية المهمة في عمـارة

---

(١) Creswell: Op Cit., p. 114.

(٢)Creswell: Op. Cit., pp. 113-114.

هذا المسجد أولها أنه يشتمل على ساحة للصلاة متكررة في مستويات ثلاثة يعلو كل منها الآخر وهو أمر تكررت أمثلته في الجواسق التي أنشئت بالقرافة وأيضاً في مسجد موسى ويعد مسجد اللؤلؤة مثالاً مهماً أيضاً لهذه النوعية من المساجد متعددة الطوابق.

كما أن واجهة ساحة الصلاة في المستوى الرضى ذات العقود الثلاثة، والتي يتسم العقد الأوسط فيها باتساعه وارتفاعه عن العقدين الجانبيين ملمح معماري سبقت الإشارة إلى أنه إحدى التأثيرات المشرقية العراقية الوافدة إلى مصر والتي غالباً ما بدأت في العصر الطولونى، لكن المهم أن نشير إلى أن هذا الملمح تكرر بعد ذلك في مشهد الجيوشى وفي مشهد السيدة رقية وفي الواجهة الخارجية لمشهد كلثم كما وجد في مشهد يحيى الشبيه، وقد تكررت أمثلته أيضاً في عمارة الكنائس بالحصون التي أنشئت في الأديرة المسيحية التي أنشئت في العصر الفاطمي،كما تلاحظ في دير الأنبا أنطونيوس بالصحراء الشرقية.

ومن الملامح المعمارية هو وجود محرابين أحدهما في الدور الأرضي وآخر في الطابق الثاني على محور واحد،وهو أمر تكرر في مسجد موسى الذي جدد سنة ٥١٥هـ/١١٢١م في عهد الخليفة الحافظ وتعدد المحاريب بتعدد طوابق المسجد ظاهرة معمارية نلاحظها في المساجد التقليدية في منطقة نجد في الفترة من القرن ١١-١٣هـ/ ١٧-١٩م ويعد مسجد اللؤلؤة ومسجد موسى نموذجين واضحين يمثلان أصلاً مبكراً لهذه النماذج الأحدث تأريخاً، وتكشف عن أن الامتداد الرأسي في عمارة المساجد بتكرار طوابق المخصصة للصلاة هي ظاهرة معمارية ذات نماذج مبكرة ترجع إلى العصر الفاطمي في ضوء ما هو باق من أمثلة وربما ترجع إلى أقدم من ذلك خصوصًا أن ما ورد من أوصاف لبعض الجواسق في القرافة والتي أنشئت في العصر الطولونى من أوصاف تومئ إلى وجود نماذج مشابهة.

كما أن من الملامح المعمارية المهمة في هذا المسجد، أسلوب بناء العقود وبخاصة تأطيرها بإطار آجري يحيط بجنزير العقد، ويعتبر هذا الأسلوب الذي وجدت له أمثلة في جبانة أسوان أقدم مثل فاطمي محدد التاريخ وهو يساعد بلا شك على تأريخ بعض نماذج قباب جبانة أسوان في إطار التشابه في أسلوب البناء.

المساجد الدارسة بالقاهرة

هناك مساجد أخرى كثيرة وردت الإشارة إليها في المصادر،وبخاصة خطط المقريزى وقد أشارت هذه المصادر إلى تواريخ إنشاء هذه المساجد وتواريخ منشئيها وأسباب إنشائها، وينفرد المقريزى بحسه المعماري بذكر بعض ملامحها المعمارية التي تضيف إلى معرفتنا بطراز العمارة الفاطمية بصفة عامة وعمارة المساجد على وجه الخصوص، ومن ثم تبدو أهمية دراسة بقايا المساجد الأثرية المذكورة، وكذلك دراسة الملامح المعمارية الواردة في أوصاف المساجد الدارسة.

جامع الأولياء:

يعرف هذا الجامع بجامع الأولياء وجامع القرافة[1]، وهو بالقرافة الكبرى في موضع كان يعرف عند فتح مصر بخطة المغافر. وكان في موضعه مسجد قديم لبنى عبد الله بن مانع بن مورع يعرف بمسجد القبة[2]. وفي هذه التسمية ما يشير إلى أن المسجد القديم كان به قبة وإن صح هذا فإنه يعتبر أقدم نموذج للمساجد التي بها قباب بمصر،ويبدو أن المسجد القديم قد دثر "فبنى عليه المسجد الجامع الجديد بنته السيدة المعزية في سنة ست وستين وثلثمائة وهي أم العزيز بالله نزار ولد المعز لدين الله أم ولد من العرب يقال لها تغريد وتدعى در زان"[3]. وهكذا يتضح أن هذا المسجد الجامع هو ثانى المساجد الجامعة التي أنشأها الفاطميون في مصر في إطار الترتيب الزمني.

وقد تولى الإشراف على عمارة هذا المسجد الجامع المحتسب الحسن بن عبد العزيز الفارسي. وهو ما يشير إلى أن الإشراف على عمارة المساجد كان من مهام المحتسب في هذا العصر.

---

(١) المقريزى: خطط جـ٢ ص ٣١٨.

(٢) المقريزى: خطط جـ٢ ص ٣١١.

(٣) المقريزى: خطط جـ٢ ص٣١٨.

وقد تأثر تخطيط هذا الجامع بتخطيط الجامع الأزهر الذي تم بناؤه في المرحلة الأولى من عمارته الفاطمية في شهر رمضان سنة ٣٦١هـ/٩٧٢م أي قبل إنشاء هذا الجامع بأربع سنوات وقد جددت عمارة هذا المسجد في العصر الفاطمي في عهد المستنصر[١]، ثم جدد في سنة ٥١٦هـ/ ١١٢٥م بأمر الوزير أبي عبد الله بن عاتك المنعوت بالأجل المأمون البطائحى وتولى هذا العمل وكيله أبو البركات محمد بن عثمان الذي قام بترميم سقف هذا الجامع وبناء طاحونة بجواره[٢].

ويذكر القضاعى أنه كان بهذا الجامع "بستان لطيف في غربيه" وإنشاء البساتين الملحقة بالمساجد ملمح عمراني مهم يأتى ضمن سلسلة من المساجد التي اشتملت على مساحات خضراء سواء أكانت هذه المساحات الخضراء ممثلة فيما يزرع بصحن المسجد من أشجار أو غيرها أم ما يزرع مجاورًا لها وداخل في حدود أفنيته الخارجية كهذا البستان[٣]، وهو مثال تكرر في جامع السلطان برسباي بالخانكة ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م.

كما يذكر القضاعى أنه كان بهذا الجامع "صهريج" وهو نموذج مبكر من نماذج الصهاريج التي أنشئت في المساجد في العصر الفاطمي، حيث سبقه الجامع الأزهر[٤]، كما لحقه مسجد الصالح طلائع ويلاحظ أن هذه الصهاريج كانت تملأ بالماء اللازم للشرب.

ويستطرد القضاعى في وصف هذا الجامع ويفصل في وصف أبوابه وصفاً

(١) على مبارك: المرجع السابق، جـ٤ ص٣٠، ويلاحظ أنه أخل بالترتيب الزمني لتجديد المستنصر فوضعه بعد التجديد الذي حدث في عهد الآمر بالله.

(٢) المقريزى: خطط جـ٢ ص ٣١٨.

(٣) للاستزادة راجع محمد عبد الستار عثمان، محمد عبد السميع عيد، دراسة لإمكانية استخدام المسطحات الخضراء في التشكيل المعماري للمساجد. "دراسة أثرية ومعاصرة". ندوة عمارة المساجد،كلية العمارة والتخطيط- الرياض -السعودية ١٩٩٩، المجلد الخامس، ص ص ١٧-٢٣.

(٤) المقريزى: خطط جـ٢ ص ٢٧٤.

يتضمن كثيراً من الملامح المعمارية المهمة فيقول أن "بابه الذي يدخل منه ذو المصاطب الكبير الأوسط تحت المنار العالي الذي عليه مصفح بالحديد"(١)، وفي هذا الوصف إشارة واضحة إلى أن المدخل الرئيسي كان بوسط الواجهة الرئيس ويكتنفه أبواب أخرى، وأن هذا الباب كان له مصاطب وهو ما نراه في المنشآت الدينية المملوكية، كما يشير إلى أن هذا الباب كان بعلو منذنة الجامع وهو أمر وردت الإشارة إليه في حديث المقريزى عن الجامع الأزهر،ووجد بعد ذلك في الجامع الأقمر ومسجد الصالح طلائع، وهذه الأمثلة المتكررة تجعل بناء المنذنة فوق المدخل مباشرة أو على جانبه من أعلى مباشرة سمة من سمات الطراز الفاطمي ونمط بارز ومهم من أنماط وضع المآذن في تخطيطات المساجد الفاطمية يختلف من نمط المنذنتين في ركني الواجهة الرئيسية، كما في جامع المهدية بتونس وجامع الحاكم بمصر.

ثم يشير القضاعى إلى سمة مهمة أخرى وهي تصفيح هذا الباب الرئيسي كان مصفحاً بالحديد وهو نموذج سابق لباب مسجد الصالح طلائع، ويبدو أن فكرة تصفيح الأبواب بالحديد أو البرونز بصفة عامة قد اهتم الفاطميون بها سواء في أبواب المدن أو أبواب المساجد.

ويستكمل القضاعى وصفه لأبواب الجامع، حيث يذكر أنه كان يتوصل إلى حضرة المحراب والمقصورة من عدة أبواب وعدتها أربعة عشر باباً مربعة، مطوبة الأبواب، قدام كل باب قنطرة قوس على عمودي رخام ثلاثة صفوف وهو مكندج مزوق باللازورد والزنجفر والزنجار وأنواع الأصباغ وفيه مواضع مدهونة والسقوف مزوقة ملونة كلها والدعائم والعقود التي على العمد مزوقة بأنواع الأصباغ من صنعة البصريين وبنى المعلم المزوقين شيوخ الكتامى والنازوك، وكان قبالة الباب السابع من هذه الأبواب قنطرة قوس مزوقة في منحى حافتيها شاذروان مدرج بدرج وآلات سود وبيض وحمر وخضر وزرق وصفر إذ تطلع إليها من وقف في سهم قوسها

---

(١) المقريزى: خطط جـ٢ ص ٣١٨.

شائلاً رأسه إليها ظن أن المدرج المزوق كأنه خشب كالمقرنص، وإذا أتى إلى أحد قطري القوس نصف الدائرة ووقف عند أول القوس منها ورفع رأسه رأي ذلك الذي توهمه مسطحاً لا نتوء فيه، وهذه من أفخر الصنائع عند المزوقين، وكانت هذه القنطرة من صنعة بنى المعلم وكان الصناع يأتون إليها ليعملوا مثلها فما يقدرون"(١).

ويجسد هذا الوصف نمطاً جديداً من أنماط التشكيلات المعمارية لمداخل المساجد الفاطمية يضاف إلى النمطين السابقين وهما نمط المداخل المسطحة العادية، ونمط المداخل البارزة بنوعية المشتمل على برجين يحصران ممراً كما في مدخل جامع المهدية وجامع الحاكم، أو البارزة في هيئة كتلة معمارية تبرز بروزاً حقيقياً يتوسطها حنية المدخل كما في الجامع الأقمر ومسجد الصالح طلائع.

ويمكن تصور هذا النمط الجديد إن صح التفسير على أن فتحة الباب في سمت الحائط كان يتقدمها ممر للدخول يكتنفه صفان من الأعمدة بكل صف ثلاثة أعمدة ويحمل كل عمودين مقابلين عقد في هيئة "مقوس" وهذه العقود الثلاثة التي تحملها الأعمدة تشكل سقف الممر المذكور.

ثم يستطرد القضاعى ليصف استخدام الألوان المختلفة في زخرفة العقود والحنايا والسقف والأبواب بتصميمات زخرفية جميلة، وذكر تفصيلاً زخرفة الباب السابع من أبواب الجامع، ومدى إبداع زخرفتها التي توحي بتغير شكلها عند النظر إليها من زوايا مختلفة،وكيف أن هذه الزخرفة كانت النموذج الذي ينقل عند المزوقين،ولكنهم لم يقدروا على إبداع مثله، وتذكرنا هذه الزخارف بالزخارف التي سبقت الإشارة إليها عند ذكر أوصاف الزائرين للقصور الفاطمية،ولكنها في إطار تجريدي يبعد عن تصور الكائنات الحية.

ويتضمن وصف القضاعى إشارات مهمة أخرى تتعلق بالمزوقين وأصولهم، فقد ذكر مشاركة البصريين وكذلك مشاركة بنى المعلم الذين ينتسبون إلى كتامة وهي

---

(١) المقريزى: خطط جـ٢ ص ٣١٨.

إحدى القبائل المغربية التي جاءت إلى مصر في العصر الفاطمي، وكانت مشاركتهم في فتحها مشاركة واضحة وها هم يشاركون في تزويق مساجدها، وتكشف هذا المشاركة لأهل المشرق والمغرب في تزويق هذا الجامع عن بعد حضاري مهم.

وقد ذكر السكري معلومات مهمة عن موقع جامع القرافة وما كان يجاوره من مبان، فذكر أنه ما يقرب من القباب السبع "جامع الأولياء وهو مسجد عتيق، يقال إن الدعاء مستجاب به وبجانبه من الجهة الغربية حوش كبير متسع به جملة من الأولياء يعرف بحوش أبي على وبصدره مشهد العارف بالله تعالى سيدي شكر بن صعصعة الأبله وعند سيدي شكر هذا جملة من أولاد الصحابة منهم أمير المؤمنين حمزة بن يحيى بن جعفر أخو أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ومن جملة من الصحابة ويقال إن به قبر أمير المؤمنين عمرو بن العاص والدعاء بهذا الحوش مستجاب"(١).

وما ذكره السكري في غاية الأهمية حيث إنه يحدد بوضوح كامل وجود ثلاث منشآت مستقلة لكل كيانها الخاص وإن تجاورت وهذه المنشآت هي جامع الأولياء وإلى الغرب منه قرافة الأولياء السودان وإلى جنوبه حوش أبي على،وهكذا يتضح إنما ورد في الدراسات الحديثة لكل من جيست Guest وريشموند Richmond وكريسويل Creswell من أن جامع الأولياء يعرف اليوم بحوش أبي على(٢) يشوبه نوع من الخلط،ويفسر نص السكري أيضاً سبب تسمية "جامع الأولياء" أيضاً "بحوش الأولياء" حيث إنسحب فيما يبدو مسمى هذا الحوش المجاور للمسجد من جهة الغرب على موضع المسجد بعد أن صار في موضعه مقابر(٣).

---

(١) السكري، على بن جوهر: الكوكب السيار في قبور الأبرار،تحقيق ودارسة ونشر محمد عبد الستار عثمان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية. ١٩٩٢، ص ص ١٠٢-١٠٣.

(٢) Creswell. K. A. C., Brief Chronology of Mohammedan Monuments of Egypt to 1517. A.D., Le Caire Imprimerie de L' institut Français D' Archéologie Oriental, 1919, pp. 52-53.

(٣) السكري: المصدر السابق، ص ص ٥١-٥٢، على مبارك: المصدر السابق،جـ٢ ص١٣٠.

وتتفق هذه النتيجة مع رأي بعض الباحثين الذين ذكروا أن جامع الأولياء ليس بحوش على كما يعتقد الناس، لأن حوش أبي على في موضع آخر[1] لكنهم لم يحددوا هذا الموضع وربما يفهم من وصفه هذا الموضع بكلمة "آخر" أنه في منطقة غير التي بها الجامع،وهكذا تبدو أهمية تحديد وصف السكري لموضع الحوش بجوار الجامع من الجهة القبلية تحديداً صريحاً يزيل أي لبس حول موضعه.

وذكر السكري أيضاً أن قرافة الأولياء السودان بجانب جامع الأولياء من الجهة الغربية. وفي حديث السخاوى عن تربة القاضي النعمان المجاورة لهذا الجامع من الجهة القبلية، ذكر أن قلبتها قبر المرأة الصالحة المعروفة ببريرة بنت ملك السودان وموضعها عرف بإجابة الدعاء[2]. ويشير هذا النص إلى ارتباط السودان بهذه المنطقة التي قبرت فيها ابنة مليكهم وهذا ارتباط أيضاً يوضح كثافة سكنى السودان التكاررة بالقرافة الكبرى، تلك الكثافة التي أشار إليها المقريزى عند ذكره لذات الجامع فقال إنه "أدركه لما كانت القرافة الكبرى عامرة بسكنى السودان التكارره"[3].

وتفسر كل هذه النصوص وجود قرافة السودان المذكورة مجاورة لجامع الأولياء أو جامع القرافة. وهكذا يتضح أن تسمية جامع القرافة بجامع الأولياء ترتبط بوجود مقابر الأولياء القديمة بجواره من الجهة القبلية وبوجود قرافة الأولياء السودان بجواره من الجهة الغربية.

وقد أشار على باشا مبارك إلى البقايا المعمارية لهذا الجامع، فذكر أنه لم يبق منه إلا بعض جدران وجدار وما حوله مقابر على صورة حوش كبير وبه قبر يقال إنه لعبد الله بن عمرو بن العاص وشهرته بحوش الأولياء وحوش أبي على، وبه مساكن متخربة. وبجواره من الجهة الشرقية بئر مطموسة، وبجواره أيضاً من

---

(١) السخاوى (أبو الحسن نور الدين على بن أحمد) تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات. الطبعة الثانية سنة ١٩٨٦، هامش ١، ص ٣٠٣.

(٢) السخاوى: المصدر نفسه، ص ص ٣٠٤-٣٠٥.

(٣) السكري: المصدر السابق، ص ص ٥٣-٥٤.

الجهة البحرية محل يعرف بالشريفة مبنى بالحجر المتين، وبه محراب كبير يكتنفه أربعة محاريب صغيرة وليس له سقف وفي غربية بنحو ألف متر محل يعرف بإسطبل عنتر..."[1].

ويبدو أن ما حدث للمبنى من تهدم قد ساعد على الخلط بينه وبين ما جاوره من أحواش للدفن سواء من الجهة القبلية أو من الجهة الغربية وهو ما تسبب غالباً في تسمية كل هذه المنطقة بحوش أبي على، وكانت هذه الحال وراء اللبس الذي حدث في كتابات جيست وريشموند وكريسويل عن الموقع وتسميته بحوش أبي على. لكن التحريات الأثرية التي قام بها هؤلاء وبخاصة المسجد الجامع الذي بقيت بعض عناصره التي قام كريسويل بتصويرها وتحديد بعض ملامحها المعمارية المهمة وبخاصة أسلوب بناء جدرانه الخارجية بطريقة مشابهة لما هو قائم في جامع أحمد ابن طولون، وكذلك اشتمال فتحات الأبواب والحنايا بجدارن المسجد على عقود فاطمية الطراز بنيت صنجاتها بالآجر بطريقة معينة من البناء في هيئة صنج كل صنجة كما تبدو في واجهة عقد من طوبة ونصف بترتيب تبادلي بحيث يجعل طول الطوبة في اتجاه ظهر العقد وعرض الطوبة (نصف الطوبة) في اتجاه بطن العقد وعكس ذلك في الصنجة المجاورة وهذا الأسلوب في البناء ساعد على زيادة سمك إطار العقد فبدأ بالقياس التي جرت به العادة والذي يتناسب جمالياً والشكل الكلى لتكوين العقد، وهو أمر كان ليختل لو اقتصر على بناء العقد بقياس طوبة واحدة من الطوب المستخدم في بناء المسجد، كملا يلاحظ أن المعمار أطر العقد بإطار مبنى يحدد جنزير العقد عن بقية بناء الجدار الذي فيه، وقد ربط كريسويل بين أسلوب بناء الجدران الخارجية الباقية ومشابهتها لبناء جدران أحمد بن طولون كما أنه أشار إلى علاقة أسلوب بناء العقود في هذا الجامع وأسلوب العقود في السبع قباب ومنشأة الجيوشى، باعتبارهما يتضمنان نماذج مبكرة من هذا الأسلوب الذي يمثل مرحلة

---

(١) على باشا مبارك، المرجع السابق، جـ٤ ص ١٣٠.

تطور مهمة في بناء العقود بالآجر[1]، وهناك يجب الإشارة إلى أن هـذا الأسـلوب استخدم أيضاً في جبانة أسوان في عقود بعض الأضرحة التي يمكـن نـسبتها إلـى العصر الفاطمي واستمر بعد ذلك في كثير من القباب الأجرية أو المبنية بالطوب اللبن في العصور التالية.

مما سبق تتضح أهمية البقايا المعمارية لهذا المسجد ، التي تمثل أثراً يعكـس أساليب البناء بالآجر متأثرة بالأساليب المحلية في جامع ابن طولون،كما أن عقـوده تعكس تطوراً في أسلوب بنائها، تضاف إلى نماذج فاطمية أخرى تؤكد انتشار هـذا الأسلوب، هذا بالإضافة إلى ظاهرة تعدد المحاريب في جدار القبلة التي تجسدت فـي منشآت فاطمية أخرى كمسجد دير سانت كاترين،ومشهد السيدة رقية ومشهد كلـثم ويحيى الشبيه.

(١) Creswell, Op. Cit., pp. 52-53.

جامع المقياس بجزيرة الروضة

أشار المقريزى إلى إنشاء مسجدين جامعين في جزيرة الروضة في العصر الفاطمي[١]، أولهما هو جامع غبن الذي كان في أول أمره من خدم الحاكم بأمر الله ثم حظي بعطفه ورعايته وثقته حتى أنعم عليه بلقب قائد القواد في ربيع الثاني عام ٤٠٢هـ/ نوفمبر ١٠١١م، ثم تولى الشرطتين والحسبة بالقاهرة ومصر والجيزة في ذي القعدة عام ٤٠٢هـ/ يونيو ١٠١٢م.

ومع تقلبات الخليفة الحاكم التي زادت بعد صدور البيان العباسي الذي يشير إلى أنه ليس من نسل على بن أبى طالب وفاطمة الزهراء كان غضب الحاكم بأمر الله على غبن فأمر بعزله من جميع مناصبه في صفر عام ٤٠٤هـ/١٠١٢م وربما كان غضبه لأسباب أخرى لإخفائه عنه بعض الشكاوى التي قدمت ضده وفي عام ٤٠٥هـ/١٠١٣م وصل غضب الخليفة الحاكم عليه ذروته فأمر بقتله عام ٤٠٥هـ/١٠١٣م[٢].

وفي إطار ما ذكرته المصادر والدراسات التاريخية عن ترجمة غبن يمكن أن يكون إنشاؤه للجامع بالروضة في الفترة المحصورة بين سنتي ٤٠٢هـ/١٠١٩٩ وسنة ٤٠٤هـ/١٠١٢ وهي الفترة التي علا فيها نجمه وتولى فيها المناصب المهمة التي تمكنه من إنشاء مسجد جامع.

وظل المسجد الجامع الذي أنشأه غبن هو المسجد الجامع الذي تقام فيه الخطبة بجزيرة الروضة حتى أنشأ الخليفة المستنصر على يد بدر الجمالي سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م جامع المقياس فبطلت الخطبة من جامع غبن لإقامتها بجامع المستنصر، وفي العصر المملوكي أعيدت الخطبة إلى جامع غبن بجانب جامع

---

(١) المقريزى: خطط جـ٢ ص٢٩٦.

(٢) محمد عبد العزيز: جزيرة الروضة وآثارها الدارسة حتى نهاية العصر المملوكي، ماجستير مقدمة لجامعة القاهرة، كلية الآثار ١٩٧٧، ص ص ٣٩-٤٠.

المقياس، وكان ذلك في عام ٦٦٠هـ/١٢٦٣م، ثم عرف هذا الجامع بمسجد الأباريقى في العصر المملوكي لدفن ولى به يسمى الشيخ أحمد الأباريقى.

وفي عام ١٢٩١هـ/١٨٤٤م بنى الأمير على باشا شريف أحد أمراء أسرة محمد على زاوية وعند حفر أساسها عثر على كثير من الرخام وبعض الأحواض الرخامية ومجار وغير ذلك من العناصر المعمارية التي كانت بجامع غبن وقد نقلت هذه العناصر إلى متحف مقياس الروضة[١].

وما زال المسجد يحمل اسم الأباريقى حتى الآن رغم تجديده في عام ١٩٣٧م على يد عبد المجيد بك شريف وهو بشارع محمد ذي الغفار بمنيل الروضة[٢].

أما الجامع الثاني الذي أنشأه الخليفة المستنصر والذي عرف بجامع المقياس فقد كان يقع في الزاوية الجنوبية القريبة لجزيرة الروضة في مقابلة الجيزة بجوار مقياس النيل الذي أنشأه الخليفة المتوكل العباسي[٣]، ومن ثم عرف بجامع المقياس.

وقد أنشئ هذا الجامع في عهد الخليفة المستنصر على يد وزيره بدر الجمالي عام ٤٨٥هـ/١٠٩٢م كما تؤكد ذلك نصوص التأسيس الثلاثة التي بقيت من عمارة الجامع الفاطمي حيث جدد هذا الجامع ووسع في العصر الأيوبي والمملوكي الجركسى[٤]، وقد سجل علماء الحملة الفرنسية بقايا المسجد أثناء زيارتهم للجامع التي ظلت باقية حتى عام ١٢٩٧هـ/ ١٨٥٠م وهدم الجامع على يد والي القاهرة حسن باشا المنسترلى الذي بنى موضعه كشكاً له[٥]، أصبح فيما يعرف بقصر المنسترلى.

والنصوص التأسيسية الثلاثة التي سجلها مارسيل متقاربة إلى حد كبير في

---

(١) سعاد ماهر، المرجع السابق، جـ٢ ص ٩٩.

(٢) محمد عبد العزيز: المرجع السابق ص ٤٨.

(٣) أثر رقم ٧٩.

(٤) للاستزادة راجع د. محمد عبد العزيز، المرجع السابق، ص ٤٨.

(٥) محمد عبد العزيز، المرجع السابق ص ٥٢.

صياغتها وأولها نص التأسيس الذي كان مثبتاً على واجهة مقياس النيل ويتكون من ثلاثة عشر سطرا نصها:

١) بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَمَا تَوْفِيقِيَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[١].

٢) ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ

٣) وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ

٤) أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[٢] ﴿ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾[٣]

٥) لعبد الله ووليه معد أبى تميم الإمام المستنصر بالله

٦) أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الظاهرين

٧) وأبنائه الأكرمين مما أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك

٨) فتاة السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر

٩) الإمام كامل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين

١٠) أبو النجم بدر المستنصرى عضد الله به الدين وأمتع

١١) بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدراته وأعلى

١٢) كلمته في رجب سنة خمس وثمانين وأربع مائة

١٣) والحمد اله (هكذا) رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين[٤]

أما نص التأسيس الثاني فقد كان على باب الجامع في الناحية الشرقية وهو عبارة عن لوح من الرخام قياسه ٩٠ ×٦٧ سم نقش بالخط الكوفي ذي اللواحق الزخرفية في ثلاثة عشر سطراً نصها:

١) بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَمَا تَوْفِيقِيَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾.

---

(١) قرآن كريم سورة هود آية ٨٨.

(٢) قرآن كريم سورة، التوبة آية رقم ١٨.

(٣) قرآن كريم ، سورة الصف آية رقم ١٣.

(٤) فرج حسين فرج، المرجع السابق، ص ٢٧٠.

٢) ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ

٣) ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ

٤) أُو۟لَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ ﴿ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾

٥) لعبد الله ووليه معد أبى تميم الإمام المستنصر بالله

٦) أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآبائه الطاهرين

٧) وأبنائه الأكرمين مما أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك

٨) فتاه السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام

٩) ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة

١٠) المؤمنين أبو النجم بدر المستنصرى عضد الله به الدين

١١) وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته في رجب سنة خمس وثمانين وأربع مائة و

١٢) الحمد الله (هكذا) رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين.

ويختلف هذا النص عن سابقه في توزيع الكلمات على السطور وكذلك في خاتمة النص مع وجود بعض الأخطاء في رسم الكلمات.

أما نص التأسيس الثالث فكان على الواجهة الغربية للمسجد التي تقابل الجيـزة وهو عبارة عن لوح من الرخام قياسه ٧٠×٥٧ سم ونقش النص في ثلاثـة عـشر سطراً بالخط الكوفي ذي اللواحق الزخرفية نصها:

١) بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾.

٢) ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ

٣) ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَن

٤) يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ ﴿ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾

٥) لعبد الله ووليه معد أبى تميم الإمام المتنصر بالله

٦) أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين

٧) وأبنائه الأكرمين مما أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك

٨) فتاه السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر

٩) الإمام كامل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين

١٠) أبو النجم بدر المستنصرى عضد الله به الدين وأمتع

١١) بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته

١٢) في رجب سنة خمس وثمانين وأربع مائة والحمد لله رب

١٣) العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى آل بيته الطاهرين.

ويختلف هذا النقش عن سابقيه في توزيع الكلمات على السطور وكذلك في كلمات نهاية النقش.

ويلاحظ في صياغة هذه النقوش اختيار النص القرآني الذي يشير إلى أن التوفيق بيد الله كما وردت الإشارة إلى أن "نصر الله قريب" وكلها آيات تشير إلى المناخ الذي تعيشه مصر في هذه الفترة التي عاصرت إنشاء أسوار القاهرة على يد بدر نفسه الذي سمى أحد أبوابها في الضلع الشرقي" باب التوفيق" كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

كما ورد في النقوش الثلاثة وصف للجامع بأنه "الجامع المبارك" وهي صيغة سبقت الإشارة إليها في نص الجامع العمرى بقوص وتكررت أيضاً في نص إنشاء الجامع الأقمر كما تكرر هذا الوصف في نقوش بعض المساجد الأخرى.

ويبقى سبب إنشاء بدر الجمالي لهذا الجامع بجزيرة الروضة رغم وجود مسجد جامع بها أنشأه غبن مثار التساؤل. وربما كانت الإجابة عن هذا التساؤل أن إنشاء هذا الجامع كان في إطار سياسة بدر الجمالي التي اهتمت بعمارة المساجد الجامعة لتعضيد دوره في نشر المذهب الشيعي باعتبار تكليف المستنصر له بتولي مسئولية الدعوة إلى المذهب الشيعي "هادى دعاة المؤمنين" وربما يكشف اختيار موضع هذا المسجد الجامع مجاوراً لمقياس النيل عن أن إنشاء بدر الجمالي لهذا الجامع كان في إطار انفراج الشدة بزيادة النيل التي يحددها المقياس، وتجرى الاحتفالات بها عنده، وتكريساً لجهوده في إزالة أضرار هذه الشدة وإعمار البلاد.

مسجد بشمال جبانة أسوان

كان يعرف هذا المسجد عند العامة في مدينة أسوان بضريح السبعة والسبعين ولياً وهو في الحقيقة مسجد. وكان هذا المسجد في موقع صهريج الماء الذي أنشئ على التل المقابل لفندق كتاركت بأسوان.

وقد وصف سومرز كلارك هذا المسجد وأشار إلى أهميته باعتباره أثراً عربياً وكان ينال اهتماماً خاصاً لدى أناس كثيرين، حيث كان يأتي إلى هذا المبنى الحجاج في كل عام مرتين.

وعندما شرع في بناء خزان للماء في أسوان انتهى اختيار المهندسين إلى اختيار الموقع الذي كان يوجد به هذا المسجد لإنشاء هذا الصهريج مما أدى إلى تدمير المسجد الذي لم يتبق منه سوى أربعة أعمدة من الجرانيت وقطعة من بيزنطي، وقد عمل سومرز كلارك **Somers Clarke** مسقطا لهذا الجامع نشره كريسويل كما عمل له سترجوفكي **Strzgowski** مسقطا آخر.

وكان يلحق بهذا المسجد مئذنة، ويذكر كريسويل أن هذا المبنى يعتبر مسجداً أكثر من كونه مقبرة، وكان المسجد يشغل مساحة مربعة من الأرض ضلوع ضلعها ١٢ متراً وهذا مقسم من الداخل إلى ثلاث بائكات عمودية وموازية لجدار القبلة مكون بتسع مربعات متساوية يعلو كل منها فيه وهذه البائكات ترتكز عقودها على أربعة أعمدة من الجرانيت، وكان يتوصل إلى المسجد من مدخل يتوسط الواجهة الشمالية الغربية على محور المحراب الذي يتوسط جدا القبلة الجنوبي الشرقي.

وسمك الجدار في الطرق الجنوبية للضلع الشمالي الشرقي يوضح أن ألحق بالمسجد ملحقاته في هذا الجانب في وقت لاحق، وكان يوجد مدخل آخر في وسط الجدار الشمالي ففتح على البلاطة الوسطى بالإضافة إلى باب المئذنة الذي كان في الطرف الغربي للجدار الجنوبي حيث يشغل المئذنة موضعاً ملاصقاً للمسجد في هذا المكان ويبرز بناؤها قليلاً عن سمت الواجهة الغربية ويجاور المئذنة مبان ترجع إلى

فترة لاحقة.

ويعتقد كريسويل مقارنة بين هذا المسجد ومشهد آل طباطبا الذي يرجع إلى العصر الإخشيدي في إطار التشابه العام بين تخطيط كل منهما وإن كان هناك بعض الاختلافات التي تمثلت في وجود أعمدة في المسجد بدلاً من الدعامات المصلبة في مشهد آل طباطبا، واختلاف أيضاً في شكر بروز المحراب حيث إن بروز المحراب في المسجد من الخارج يأخذ شكلا مقوسًا بينما أخذ شكلاً مستطيلاً في مشهد آل طباطبا، كما أن هناك اختلافًا في شكل وعدد الفتحات في الجدران حيث يؤخذ مدخلان في منتصف كل من الجدارين الشمالي والغربي للمسجد باب يؤدي للمئذنة في الطرف الغربي للجدار الجنوبي، بينما توجد ثلاث فتحات في كل من الجدران الشمالية والجنوبية والغربية وفتحتان أخريان في الجدار الشرقي يكتنفان المحراب بنظام مختلف عما هو عليه الحال بالمسجد.

وبالرغم من اختلاف وظيفة المسجد في أسوان عن وظيفة مشهد آل طباطبا ورغم هذه الاختلافات في التخطيط والعناصر الإنشائية وعناصر الاتصال والحركة فإن كريسويل حاول تأريخه باعتباره ضريحًا في نهاية القرن العاشر لكنه عاد وذكر أن أصبحت نظريته باعتبار هذا الأثر مسجداً وباعتبار أن المشهد القبلي في أسوان يعتبر مثالاً متطورًا لهذا المسجد فإنه يمكن تأريخ هذا المبنى بالقرن ٥هـ/١١م[١].

---

(١) Creswell: Op. Cit. 144-145.

سعاد ماهر: المرجع السابق، جـ١ ص ٢٦٩.

مسجد الأمير أبي منصور خطلخ الأفضلى

٤٩١هـ/ ١٠٩٨م

أشار المقريزى في سرده لحوادث سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م إلى شخص يدعى "سيف الملك خطلخ" كان يعرف "بالبغل" وكان من غلمان أمير الجيوش بدر أرسله الأفضل شاهنشاه إلى ولاية الغربية للقبض على واليها وإخوته وقام بالمهمة، وفي حوادث عام ٥٠٤هـ/١١١٥م ذكر المقريزى أن الأفضل أرسله أيضاً إلى عسقلان حيث شمس الخلافة أسد واليها لرده إلى رشده بعد أن راسل الأخير بغدويل ملك الفرنج، وفي إطار هذه الرواية يذكر المقريزى اسمه وألقابه بصيغة أكثر تفصيلاً نصها مؤيد الملك رزيق خطلخ[١].

وقد عثر على نقش تأسيسى لعمارة مسجد محفوظ حالياً بمتحف الدولة ببرلين بالقسم الإسلامي[٢]. يتضمن اسمًا مشابهًا لاسم الأمير الذي سبقت الإشارة إلى استعانة الأفضل شاهنشاه به للقضاء على والى الغربية وإعادة والى عسقلان إلى رشده، وهو الأمير "خلطخ" ويبعث هذا التشابه إلى احتمال كبير في نسبة هذا النقش إليه خصوصًا أن سياق ألقاب هذا الأمير في رواية المقريزى وفي نص الإنشاء تشير إلى أنه كان من غلمان أمير الجيوش بدر وأنه كان من رجال السيف المهمين في عهد الأفضل ولذلك كلفه ببعض المهام الحربية المهمة.

وقد ذكر جاستون فييت أن النقش عثر عليه في مدينة أسوان وهو ما يشير في حالة أصالة وجود النقش بأسوان منذ العصر الفاطمي إلى حين العثور عليه أن المسجد الذي وردت الإشارة إليه في النص كان بمدينة أسوان. وإن صح هذا فإن هذا النقش يمكن أن يكون دليلاً مادياً على صلة هذا الأمر بتاريخ مدينة أسوان تلك المدينة الحدودية التي تجاورها النوبة من الجنوب مباشرة وهي المدينة التي اهتم

---

(١) المقريزى: اتعاظ جـ٣ ص ٣٩، ص٤٦، فرج حسين فرج: المرجع السابق ص ٢٨٧.

(٢) سجل رقم ٦٠٠٣.

الفاطميون بتأمينها من أي خطر وكان من سياستهم في ذلك تعيين ولاة عسكريين مشهود لهم للدفاع عنها في حالة الحرب، وفي مداومة الحفاظ على العلاقة الطبيعية مع ملوك النوبة طالما أن الظروف تسمح بذلك.

ونص التأسيس نقش على لوح رخامي مستطيل الشكل في سبعة سطور بالخط الكوفي البسيط المحفور حفراً بارزاً ويحيط بالنص إطار من زخارف بنائية ونصه:

١) بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ

٢) ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ

٣) إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[1] مما أمر إنشاء هذا

٤) المسجد المبارك الأمير سيف الدولة أبو منصور خلطخ

٥) الأفضلى ابتغاء مرضاة الله تعالى ورجاء لثوابه وخوفاً من

٦) عقابه في شهور سنة إحدى وتسعين وأربع [هكذا] مائة و

٧) حشره الله مع مواليد الطاهرين.

ويتضمن النص إشارة واضحة إلى أن المبنى الذي أنشأه الأمير خلطخ "مسجد" وليس مسجداً جامعاً، كما وصف المسجد بأنه "مبارك" وهي صفة تكررت في نصوص إنشاء المساجد الجامعة، كما سبقت الإشارة وها هي تتكرر في هذا النص.

كما ورد في النص لقب النسبة "الأفضلى" في تأكيد واضح إلى أن هذا الأمير كان من رجال الأفضل شاهنشاه وأنه كان يعتز بذلك اعتزازاً يعكس قوة الأفضل شاهنشاه الطاغية على مكانة الخليفة.

ومن المهم أن نشير أيضاً إلى جملة دعائية وردت في آخر سطر بما نصه "حشره الله" بصيغة الماضي لكنها للدلالة على الاستمرار، وتعبير هذه الجملة في إطار ما سبقت الإشارة إليه على حياة خلطخ إلى ما بعد سنة ٥٠٤هـ/١١١٥م في إطار القاعدة البلاغية التي يصاغ فيها النص بأسلوب خبري لفظاً وإنشائي معنى.

---

(١) قرآن كريم: سورة التوبة. آية رقم ١٨.

وقد وردت تطبيقات لهذه القاعدة في نص إنشاء مئذنة الجامع العمرى بإسنا عام ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م.

وفي إطار هذا التفسير فإن الفهم الظاهري للصياغة دون إدراك هذا البعد البلاغي ربما يضلل القارئ فيعتقد أن المنشئ قد توفي قبل إتمام الإنشاء وأن نص الإنشاء كتب بهذه الصيغة بعد وفاته ويبقى التأكد من سلامة استخدام هذه القاعدة البلاغية في صياغة النص مرهونا بأدلة أخرى تفيد حياة المنشئ بعد تاريخ نقش النص.

وتنص الإشارة الواردة في النص لتأكيد تشيع هذا الأمير وحرص الأمراء الفاطميين على إظهار تشيعهم حتى ولو كان ظاهرياً في بعض الحالات من خلال نصوص النقوش التي تعبر بمثابة الأداة الدعائية في هذه العصور، فقد ورد في خاتمة النص "حشره الله مع مواليه الطاهرين" أي الأئمة من آل البيت.

مسجد جعفر الصادق ٤٩٦هـ/١١٠٣م

ينسب هذا المسجد إلى الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على بن العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب، وتشير المصادر إلى أنه ولد في سنة ٨٣هـ[١]/٧٠٢م، وأن وفاته كانت عام ١٤٨هـ/٧٦٥م أي أنه توفي عن خمس وستين سنة، ودفن في القبر الذي دفن فيه أبوه وجده في البقيع[٢]، وكانت إمامته أربعاً وثلاثين سنة إلا شهرين، فأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر بن قحافة، وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبى بكر، ولهذا كان الصادق يقول: ولد في أبى بكر مرتين، ويقال له عمود الشرف، ومناقبه متواترة بين الأنام مشهورة بين الخاص والعام وأعقب جعفر الصادق من خمسة رجال: موسى الكاظم وإسماعيل وعلى العريضى ومحمد المأمون وإسحق[٣].

وقد افترقت بعده شيعته ست فرق منها فرقة قالت بأن جعفر بن محمد لم يمت ولا يموت حتى يظهر ويلي أمر الناس وهو (القائم المهدى) وهذه الفرقة تسمى الناووسية نسبة لرئيس لهم يقال له فلان بن فلان الناووس، وفرقة المحت أن الإمام بعد جعفر ابنه إسماعيل بن جعفر وأنكرت موت إسماعيل في حياة أبيه، وهذه الفرقة هي الإسماعيلية الخالصة. وأم إسماعيل وعبد الله بن جعفر بن محمد هي فاطمة بنت الحسين بن على بن أبى طالب وأنها أسماء بنت عقيل بن أبى طالب[٤].

---

(١) ورد في دراسات حديثة أنه ولد سنة ٨٠هـ/٦٩٩م (راجع حسن الأمير، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، بيروت ١٩٣٣، الطبعة الثانية ص ٧١.

(٢) الداودى (السيد أحمد على الداودى الحسنى) عمدة الطالب في أنساب آل أبى طالب، تحقيق نزار رضا ، نشر دار مكتبة الحياة بيروت، ص ١٦٧.

(٣) الداودى: المصدر نفسه ص١٧٧، وذكر أن بعض الرواة نسبوا له اسمه ناصر لكن ذلك غير صحيح.

(٤) النوبختى (الحسين بن موسى ق٣ هـ) القمى (سعد بن عبد الله ق ٣هـ) كتاب فرق الشيعة، تحقيق عبد المنعم الحفنى، نشر دار الرشيد القاهرة ١٩٩٢م ص ٧٧ وما بعدها.

وفرقة ثالثة ألمحت أن الإمام بعد جعفر هو محمد بن إسماعيل بن جعفر وقالوا إن الأمر كان لإسماعيل في حياة أبيه، فلما توفي قبل أبيه جعل الأمر لمحمد بن إسماعيل، ووجدت فرق أخرى تعتقد أن إمامة محمد بن إسماعيل ولكن مع وجود اختلافات في معتقدهم كالخطابية والمباركية (القرامطة) وكذلك تشيع لبقية أبناء جعفر فرق فمنهم من تشيع لمحمد بن جعفر وفرقتهم تسمى السميطية ومنهم تشيع لعبد الله بن جعفر وفرقتهم تسمى الأفطحية ومنهم من تشيع لموسى بن جعفر وفرقتهم تسمى الموسوية[١].

وفي إطار ما سبق تتضح ترجمة الإمام "جعفر الصادق" وأهميته في تاريخ الشيعة، وهو تاريخ استقر في وجدانهم استقرارًا تعكسه أعمالهم المرتبطة بالرؤى التي يراها بعضهم وكانت إحداها سبباً في إنشاء هذا المسجد على يد أحد الأمراء الفاطميين الذي يدعى جوامرد الأفضلي، ويتضح من اسمه أنه في الغالب أرمني من الأرمن الذين كثروا في مصر بعد قدوم بدر الجمالي وكثروا في عهد ولده الأفضل وناصروا المذهب الشيعي مناصرة قوية بل إن بعضهم كهذا الأمير صدق تشيعه صدقاً انعكس في تحقيق رؤيته للإمام جعفر في المنام وأمر له ببناء هذا المسجد.

والأمير جوامرد الأفضلي كما يذكر المقريزى كان يلقب بهزار الملك أو "هزار الملوك" كما نعت بالأفضل، وكان هو وبرغش من أخص غلمان الخليفة الآمر وأقربهم منه وأشرفهم عنده منزلة وكان أسمح خلق الله، وكان في أيامهما لا يوجد من يشكو بالفقر لا بمصر ولا بالقاهرة، فإن هزار الملوك المبعوث الأفضل كانت صدقته في كل يوم جمعة راتباً قد قرره بالقرافة أربعة آلاف درهم في ألف كاغدة في يد الثقة ابن الصعيدى وغزال الوكيل وكانت عطاياه من يده لا تنقص عن عشرة دنانير أبدا ولا يخلو ركوبه إلى القصر وعوده منه من أحد يقف له ويطلب منه[٢].

وفي إطار ما سبق تتضح مكانة جوامرد لدى الآمر فهو من أحب غلمانه إليه

---

(١) للاستزادة راجع، النوبختى، القمى: المصدر السابق، ص ص ٧٧-٨٥.

(٢) المقريزى: اتعاظ جـ٣ ص١٢٣.

كما أن ألقابه "هزار الملك" أو هزار الملوك" نعته بالأفضلى يعكسان أيضاً هذه المكانة.

ولقب "هزار الملك" أو هزار الملوك" ربما يعنى في إطار جذر كلمة هزار، وهو الفعل "هزر" أي ضحك- أي ضحاك الملك أو ضحاك الملوك، أي ممن يقومون بتسليته أي ضحاك أهل السلطة(١). أو أنه كان حسن الصوت كطائر الهزار الفارسي الذي كان يغنى ألحاناً كثيرة(٢).

واستمرت علاقة جوامرد الطيبة بالآمر حتى وفاته بل إنها وصلت إلى أن وصى الخليفة الآمر بأن يكون جوامرد الأفضلى وزيراً للأمير الحافظ لدين الله كفيل "الطيب" المنتظر ابن الآمر بأحكام الله، وحدث هذا بالفعل بعد مقتل الآمر وتولى الحافظ لدين الله كفيلاً للطفل المنتظر في يوم الثلاثاء ٤ ذي القعدة عام ٥٢٤هـ/١١٢٥م وخلع على جوامرد الأفضلى بخلع الوزارة وأقيم وزيراً، واعترض كبار الأمراء واجتمعوا في حوالي خمسة آلاف راجل وفارس وكان من بينهم رضوان ولخش والعادل برغش رفيق جوامرد الذي حقد عليه لتوليه الوزارة، وطالبوا بخلعه، واعترض جوامرد لكونه تولى وزيراً بوصية الخليفة الآمر بأحكام الله ولكن الأمراء شددوا على مطالبتهم برأس جوامرد مما دعى بالحافظ لدين الله بتدبير قتله سراً وألقيت رأسه إليهم، وتولى الوزارة بدلاً منه أبو على أحمد بن الأفضلى شاهنشاه(٣).

وفي إطار ما سبق تتضح مكانة جوامرد الأفضلى ودوره في بلاط الخلافة، كما يتضح مدى تدين جوامرد وهو الأمر الذي عكسته صدقاته الكثيرة المستمرة، كما يجسده إنشاؤه لمسجد في إطار رؤية أمره فيها الإمام جعفر الصادق ببنائه.

وللرؤيا في تاريخ الفاطميين حظ وافر ودور كبير في تاريخهم لا يتسع المقام لسرد الأحداث المتعلقة بها ولكن من المهم أن نشير إلى بعض أمثلة منها وبخاصة

(١) هذه الوظيفة قائمة حتى الآن في دواوين بعض الملوك العرب.

(٢) المعجم الوسيط، مادة هزر، جـ٢ ، ١٠٢٤.-

(٣) المقريزى: اتعاظ ، جـ٣ ص ١٣٧-١٣٩.

ما يتصل منها بعمارة المساجد، فقد سبقت الإشارة إلى إنـــشاء الحـــافظ لـــدين الله المقصورة بالجامع الأزهر في الموضع الذي رئيت فيه السيدة فاطمـــة الزهـــراء[1]. وهذا المسجد الذي أنشأه جوامرد بأمر الإمام جعفر الصادق عندما رآه جوامرد فـــي المنام، كما عثر على نقش يرجع غالباً إلى القرن ٦هـــ/ ١٢ يتضمن الإشـــارة إلـــى رؤيا كانت سبباً في إنشاء مبنى في هذا الموضع حيث رأي أحد الأفراد النبي وأميـــر المؤمنين على يصليان[2] وجاء في السطر السابع لهذا نص إنشاء هـــذا المكـــان أن صاحب البناء "رأي في هذا الموضع المبارك النبي وأمير المؤمنين على وهم يصلو" (هكذا).

ويدخل في هذا الإطار مشاهد الرؤيا التي انتشرت انتشاراً واسعاً فـــي العـــصر الفاطمي واستمرت بعد ذلك وهو ما سنعرض له تفصيلاً عند دراسة المشاهد.

وقد درس هذا المسجد ولم يتبق منه سوى نص تأسيسه الذي ثبت على واجهة مسجد صغير بشارع الصنادقية بالقرب من المشهد الحسنى، وهو عبارة عن لوح من الرخام قياسه ٤سم × ١٠٠سم نقش عليه بـــالخط الكـــوفي البـــارز ذي اللواحـــق الزخرفية في خمسة سطور:

١) بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله على الله

٢) ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ

٣) وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾[3] أمر بإنشاء هذا المسجد المبارك مولانا الصادق جعفر بن

---

(١) المقريزى: خطط جـــ٢ ص ٢٧٥.

(٢) يوجد هذا النقش في متحف الفن الإسلامي، سجل رقم ١١٣، للاستزادة راجع فرج حسين فرج. المرجع السابق ص ٤٠٤-٤٠٥.

(٣) قرآن كريم: سورة التوبة. آية رقم ١٨.

٤) محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب صلوات الله عليهم أجمعين في المنام لعبده.

٥) الأمير زعيم الدولة جوامرد الأفضلى في سنة خمس وكان إنشاءه (هكذا) في سنة ست وتسعين وأربعمائة

وفي إطار ما ورد في هذا النص يتضح أن يبدأ بشهادة التوحيد والرسالة المحمدية ثم إشارة إلى الآية القرآنية التي تحث على عمارة المساجد ثم ذكر الرؤيا التي رآها جوامرد للإمام جعفر الصادق والتي أمره فيها ببناء هذا المسجد مع الإشارة إلى أن هذه الرؤيا كانت سنة ٤٩٥هـ/ ١١٠٢ وأن إنشاء المسجد كان في العام التالي ٤٩٦هـ/١١٠٣م ويلاحظ التأكيد على ذكر تاريخ الرؤية.

كما ورد في النص إشارة إلى أحد ألقاب جوامرد في هذا التاريخ المبكر وهو زعيم الدولة، وهو أمر يكشف عن أن جوامرد في سنة ٤٩٦هـ/١١٠٣م أو قبلها قد لقب بهذا اللقب وهو ما يكشف عن أن مكانة جوامرد لدى الخليفة الآمر الذي كان من كبار غلمانه واصطفاه لنفسه ورد له المظالم والنظر في أحوال الجند وهو نوع من الوزارة"(١).

---

(١) محمد حمدي المناوى، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف، د.ت. ص ٢٧٦.

المساجد التي كانت في موضع قلعة الجبل

ذكر المقريزى في حديثه عن الموضع الذي أنشئت فيه قلعة الجبل أنه كان بهذا الموضع قبل بناء القلعة عدة مبان مهمة منها قبة الهواء التي بناها حاتم بن هرثمة أحد ولاة مصر في العصر العباسي (١٩٥هـ - ٨١٠م) ثم تهدمت مع خراب قطائع ابن طولون وبنى في موضعها عدة مساجد، وقال الشريف محمد بن أسعد الجواني النسابة في كتابه النقط في الخطط. والمساجد المبنية على الجبل المتصلة باليحاميم المطلة على القاهرة المعزية التي فيها المسجد المعروف بسعد الدولة ومسجد معز الدولة والى مصر ومسجد مقدم الدولة بن عليان من بنى بويه الديلمى، ومسجد العدَّة أحد الأستاذين الكبار المستنصرية وهو عدَّة الدولة وكان بعد مسجد معز الدولة ومسجد عبد الجبار بن عبد الرحمن بن شبل بن على رئيس الرؤساء وكافي الكفاة يعقوب بن يوسف الوزير بهمذان ابن على بناه وانتقل بالإرث إلى ابن عمه القاضي أبى الحجاج يوسف بن شبل وكان من أعيان السادة ومسجد قسطة[(١)]. وكان مسجده بعد مسجد شقيق الملك ومسجد الديلمى كان على قرنة الجبل المقابل للقلعة من شرقيها إلى البحري، وقبره قدام الباب،وتربة ولخش الأمير والد السلطان رضوان بن ولخش المنعوت بالأفضل، وكانت هذه التربة آخر الصف،ومسجد شقيق الملك الأستاذ خسروان صاحب بيت المال أضيف إلى سور القلعة البحري إلى المغرب قليلاً ومسجد صارم الدولة مفلح صاحب المجلس الحافظى كان بعده مسجد القاضي أبى الحجاج المعروف بمسجد عبد الجبار في وسط القلعة،وبعده تربة لاون أخي يانس، ومسجد القاضي النبيه. كان لهمام الدولة غنام ومات رسولاً ببلاد الشام وشراه منه وأنشأه القاضي النبيه وقبره به وكان القاضي من الأعيان".

ويستطرد المقريزى ناقلاً عن ابن عبد الظاهر قوله بأن والده ذكر أنه كان يطلع مع آخرين إلى المساجد التي كانت في موضع القلعة قبل أن تسكن في ليالي الجمع،

---

(١) المقريزى: الخطط جـ٢ ص ٢٠٢-٢٠٣.

فبنيت متفرجين كما نبيت في جواسق الجبل والقرافة، ثم يستطرد ابن عبد الظاهر ليقول وبالقلعة الآن مسجد الردينى وهو أبو الحسن على بن مرزوق بن عبد الله الردينى الفقيه المحدث، وكان معاصراً لآبى عمر وعثمان بن مرزوق الحوفي، وكان ينكر على أصحابه كلمته بقوله عند الملوك وكان يأوى بمسجد سعد الدولة، ثم تحول منه إلى مسجد عرف بالردينى وهو موجود الآن بداخل قلعة الجبل، وعليه وقف بالإسكندرية، وفي هذا المسجد قبر يزعمون أنه قبر. وفي كتب المزارات بالقرافة أنه توفي ودفن بها في سنة أربعين وخمسمائة بخط سارية شرقي تربة الكيرواني، واشتهر قبره بإجابة الدعاء عنده[1].

وبمراجعة هذه الرواية للمقريزى يتضح أنه كان بموضع القلعة عشرة مساجد وتربتان،وهذا الزخم من المساجد في منطقة القلعة التي لم تكن موضع سكنى يستأهل كل هذا العدد من المساجد يكشف عن أن وظيفة هذه المساجد الأساسية لم تكن لخدمة أعداد كبيرة من المصلين كما هو الحال في مساجد الخمسة أو الفروض بحارات المدن ولكنها كانت ذات طبيعة خاصة وكانت لتؤدى وظائف أخرى اهتم بها منشئوها، ولعل منها تخليد ذكراهم، خصوصًا أن من بينها ما ألحق به موضع لدفن صاحبه كمسجد الديلمى الذي أشار المقريزى إلى أن قبره كان "قدام باب المسجد"، ومسجد القاضي الذي كان قبره به، ومسجد الردينى الذي كان به "قبره يزعمون أنه قبر" أي قبر الردينى[2].

ويلفت الانتباه ما يذكره المقريزى في ثنايا روايته من أن بعض أصحاب هذه المساجد باعوها لغيرهم ومنهم من ورث أحد هذه المساجد مثل مسجد عبد الجبار عبد الرحمن بن شبل الذي انتقل إلى ابن عمه بالإرث، و"مسجد القاضي النبيه كان لهمام الدولة غنام... وشراه منه وأنشأه القاضي النبيه وقبره به"،ويلفت النظر في

---

(١) المقريزى: خطط جـ٢ ص ص ٣٠١-٣٠٢.

(٢) وقد علق المقريزى على ذلك وذكر أن الردينى دفن في تربة معروفة بالقرافة لكن هذا لا ينص وجود قبر بمسجده حسب نص المقريزى.

هذه الرواية الخاصة بمسجد القاضي ما يشير إلى أنه اشترى المسجد من همام الدولة بن غنام ثم أنشأه وألحق به قبراً له، وفي ذلك ما يشير إلى احتمالين أن يكون ابن غنام قد حاز أرض المسجد ولم يبنه، وباعه للقاضي النبيه الذي أنشأه أو أن يكون ابن غنام قد باع مسجده مبنياً وهدمه القاضي النبيه وأعاد بنائه وألحق به قبراً له.

وتأريث المسجد أو بيعه أمر غريب لا يتطابق مع سنة عمارة المساجد التي يصبح حق منشئيها فيها بعد وقفها بيوت لله كحق أي فرد من المسلمين، وإذا كان ما فعله أصحاب المساجد مخالفًا لهذه القاعدة، فمن ذلك يمكن أن نستدل أن هذه المساجد لم توقف بيوت لله وأنها كانت في حكم المساجد الخاصة التي تلحق بالدور والقصور ويصبح من حق أصحابها التصرف فيها بالبيع أو الشراء.

ويزيد هذا التفسير ترجيحاً ما نراه في مشهد الجيوشى الذي يمكن اعتباره نموذجاً من النماذج التي أنشئت وفق هذا التصور وسجل بانيه أمير الجيوش بدر الجمالي في نص تأسيسه ما يشير إلى أنه "مشهد" رغم أن تكوينه المعماري يتضمن رواقاً للصلاة "مسجد" ومئذنة وهو ما جعل بعض الباحثين يطلق عليه "مسجد الجيوشى".

كما يلاحظ أن هذه المنطقة التي أنشئت بها هذه المساجد أنشئت بجوارها تربتان إحداهما "تربة ولخش والد السلطان رضوان بن ولخش المنعوت بالأفضل"، "وتربة لاون أخي يانس" وهو ما يعنى أن هذه المنطقة ضمت ترباً بجوار المساجد التي ألحقت به مدافن لمنشئيها وهو ما يعنى أن المساجد في موضع قلعة الجبل قد غلب عليها السمة الجنائزية، وهو أمر غير مستغرب خصوصًا أنها مجاورة للقرافة ومطلة عليها.

ويزيد من إدراك هذا الارتباط بين القرافة وهذه المساجد التي كانت تطل عليها ما ذكره والد ابن عبد الظاهر من أنه ورفاقه كانوا يصعدون إليها "قبل أن تسكن في ليالي الجمع فنبيت متفرجين كما نبيت في جواسق الجبل والقرافة"، وتكشف هذه

الرواية من أن هذه المساجد كانت تعمر بالزائرين ليقيموا فيها ليالي الجمع ليتفرجوا على ما كان يحدث بالقرافة من احتفالات وطقوس في ليالي الجمع، وهكذا يتضح أن هذه المساجد كانت تقوم بدور "المناظر" لمشاهدة ما يجرى من احتفالات وطقوس في القرافة أيام المواسم والأعياد والجمع مثلها مثل غيرها من الجواسق الأخرى التي أنشئت لهذا الغرض في الجبل والقرافة.

ويجرنا هذا الحديث عن القرافة الكبرى إلى أسباب الاهتمام الكبير بالقرافة بحيث لم تكن قاصرة على وجود المقابر بل أنشئ بها العديد من المساجد الجامعة والمساجد والمعابد والجواسق والقصور والرباطات وسكنها كثير من العلماء والفقهاء والمتصوفة،واهتم الناس بإحياء المواسم والأعياد بها مع قراءة القرآن وزيادة الصدقة على الفقراء في هذه المواسم والأعياد.

ويبدو أن أهم هذه الأسباب ما أشارت إليه كتب الزيارات والخطط من فضل لأرض سفح المقطم ذلك الفضل الذي تشير الروايات إلى أن المقوقس هو الذي أشار إليه عندما أراد أن يبتاع سفح المقطم بسبعين ألف دينار من عمرو فسأله، فكتب عمرو إلى الخليفة عمر فسأله عمر لم أعطاك به ما أعطاك وهي تزرع ولا يستنبط بها ماء ولا ينتفع بها فسأله (أي المقوقس) فقال "إنا لنجد في الكتب أن فيها غراس الجنة" فكتب بذلك إلى عمر رضى الله عنه، فكتب إليه عمر "إنا لا نعلم غراس الجنة إلا المؤمنين فاقبر فيها من مات قبلك من المسلمين ولا تبعه بشيء"(١).

ويذكر ابن عثمان والمقريزى إلى روايات أخرى في فضل جبل المقطم منها أنه ليدفن تحته أو ليقبرن تحته قوم يبعثهم الله يوم القيامة لا حساب لهم"(٢).

ومنها ما يشير إلى القرافة من أنه ليس في الدنيا مقبرة أعجب منها ولا أبهى ولا أعظم ولا أنظف من أبنيتها وقبابها وحجرها ولا أعجب تربة منها كأنها الكافور

---

(١) ابن عثمان(موفق الدين ت ٦١٥ هـ)،مرشد الزوار إلى قبور الأبرار المسمى الدر المنظم في زيارة الجبل المقطم،تحقيق محمد فتحي أبو بكر،الدار المصرية اللبنانية،القاهرة،ط ١، ١٩٩٥م،ص ص ٥-١٨،المقريزى: خطط جـ٢ ص ٤٤٣.

(٢) المقريزى: خطط جـ٢ ص٤٢٣.

والزعفران مقدسة في جميع الكتب وحين تشرف عليها تراها كأنها مدينة بيضاء. والمقطم عال عليها كأنه حائط من ورائها"[١].

وفي إطار هذا التراث المتصل بالقرافة وفضلها والاهتمام بإحياء المواسم والأعياد وليالي الجمع بها أنشئت بالقرافة الجواسق والقصور بالإضافة إلى المساجد والمعابد التي تجاور الترب والمدافن والقبور في نسيج عمراني فريد، ومن المهم في هذا السياق أن نشير إلى بعض الجواسق التي أنشئت بالقرافة لبيان وظيفتها وبعض ملامحها المعمارية لأن في ذلك ما يساعد على تصور الشكل المعماري للمساجد التي كانت في موضع القلعة ومنها مسجد قسطة، وكذلك مشهد الجيوشى الذي طالما اكتنف وظيفته الغموض واختلفت آراء الباحثين حولها.

ويعرف المقريزى الجوسق لغوياً نقلاً عن ابن سيده فيقول "هو شبيه بالحصن معرب" وقال الشريف محمد بن أسعد الجوانى النسابة في كتابه النقط على الخطط "الجواسق بالقرافة والجبانة كانت تسمى القصور، ثم يعدد هذه القصور، وقد أنشئت بعض هذه القصور قبل العصر الفاطمي، وأنشئ بعضها في العصر الفاطمي كجوسق ابن ميسر سنة ٥١٥هـ/١١٢١م[٢].

ومن خلال ما ذكره المقريزى عن بعض هذه الجواسق يمكن التعرف على وظيفتها وملامحها المعمارية ففي حديثه عن جوسق المادرائى ذكر "جوسق كبير جداً على هيئة الكعبة في وسط قبور المادرائيين،وكان الناس يجتمعون عند هذا الجوسق في الأعياد ويوقد جميعه في ليلة النصف من شعبان كل سنة وقوداً عظيماً، ويتحلق القراء حوله لقراءة القرآن، فيمر الناس من هنالك أوقات في تلك الليلة وفي الأعياد بديعة حسنة"[٣]. ويذكر ابن الزيات أن المادرائى كان يأتى بجوائز يفرقها على الناس[٤].

---

(١) ابن عثمان، المصدر السابق، ص ١١.

(٢) ابن عثمان،المصدر السابق،ص ١١،المقريزى: خطط جـ٢ ص ٤٥٢.

(٣) المقريزى: خطط، جـ٢ ص٤٥٣.

(٤) ابن الزيات: المصدر السابق، ص ٧٤، ص١٥٥.

وفي حديثه عن جوسق "حب الورقة" يذكر أن هذا الجوسق "كان بحضرة تربة طباطبا أدركته عامراً وقد خرب فيما خربه السفهاء من ترب القرافة وجواسقها زعماً منهم أن فيها خبايا، وكان أكابر أمراء المغافر ومن بعدهم ومن يجرى مجراهم لكل منهم جوسق بالقرافة "يتنزه فيه، يعبد الله تعالى هناك، وكان من هذه الجواسق ما تحته حوض ماء لشرب الدواب وفسقية وبستان، وكان بالقرافة عدة قصور تسمى بالجواسق لها مناظر وبساتين إلا أن الجواسق أكثرها بغير بساتين ولا بئر وبلا مناظر مرتفعة ويقال لها كلها قصور"[١].

وفي إطار ما ذكره المقريزى يتضح أن الجواسق كانت مباني خاصة بأصحابها يتنزهون فيها، ويعبدون الله ويقيمون فيها ليالي الأعياد والمواسم بزيادة الوقود وقراءة القرآن، وزيادة التوسعة على المحتاجين والفقراء. ويذكر ابن الزيات أن بعض هذه الجواسق كان منشئوها أو بعض الزهاد غيرهم يختلون فيها للعبادة[٢]. أي أنها كانت أيضاً بمثابة أماكن للتعبد والاختلاء، وتوجد مثل هذه الجواسق المخصصة للتعبد في مقبرة – نزوى بعمان، كما كانت بقرافة المماليك بعض المعابد على هيئة مساجد صغيرة يختلي فيها الزهاد.

ومن الناحية المعمارية يتضح أن هذه الجواسق كانت تأخذ شكل الكعبة في بنائها وهو شكل معماري يحتمل معه أن يرتفع البناء لأكثر من طابق ليتسع لأكبر عدد من الزائرين من أصحابه. أو من يستضيفونه، ويؤكد ذلك ما يذكره السخاوى عن جوسق عبد الله بن عبد الحكم الذي كان الشافعي يأتى إليه في جوسقه ويبيت عنده في علو الجوسق[٣]، كما أن بناءها يأخذ الشكل المحصن ليسهل تأمينه وبخاصة في الفترات التي تكون فيها هذه الجواسق خالية من أصحابها.

كما تشير أوصاف المقريزى إلى أن بعض هذه الجواسق كان به مرافق مهمة

---

(١) المقريزى: خطط جـ٢ ص ٤٥٣.

(٢) ابن الزيات، المصدر السابق، ص ٢٩٥، ٣٠٧.

(٣) ابن الزيات: المصدر السابق، ص ١٩٣.

كأحواض الدواب والفساقى والبساتين والآبار والمناظر

ويذكر ابن الزيات أن بعض هذه الجواسق كانت مواضع يختلي فيها بعض الزهاد كجوسق ابن الأصبغ الذي اختلى فيه للعبادة الزاهد أبو البقاء صالح بن الحسين بن عبد الحميد المبتلى الشافعي"[١].

ويتضح من مراجعة ما ورد في كتب الزيارات والخطط أن الجواسق كانت تنشأ مجاورة لمقابر أصحابها[٢].

وفي إطار ما سبق يتضح أهمية الجواسق كمنشآت أنشئت لتوفر مواضع لإقامة أصحابها بالقرب من مقابرهم إما للنزهة أو التعبد وكانت تجرى فيها بعض الاحتفالات الدينية في المواسم والأعياد،وهي وظيفة تطورت فيما بعد في العمارة المملوكية، ولكن بشكل مختلف حيث ألحقت ببعض الترب والأحواش وحدات سكنية خاصة بأصحاب هذه الترب والأحواش[٣].

ومع انتشار العمران في القرافة في العصر الفاطمي، زاد الاهتمام بإنشاء الجواسق والقصور وامتداداً لهذا استغلت تلال المقطم من جانب رجال الدولة في العصر الفاطمي فأنشئوا مساجد لهم جاورت بعضها قبورهم وكانت بمثابة الجواسق التي بالقرافة، كمناظر يصعد إليها الناس ليتفرجوا على ما يجرى بالقرافة من طقوس في ليالي الجمع وفي المواسم والأعياد التي تجرى لها مراسم بالقرافة ولم يتبق من هذه المساجد سوى نص تأسيسي واحد بمسجد يعرف بمسجد قسطة.

---

(١) ابن الزيات: المصدر السابق، ص ٣٠٧.

(٢) ابن الزيات: المصدر السابق، ص ٢٩٥، ٣٠٧.

(٣) محمد عبد الستار: الآثار المعمارية للسلطان الأشرف برسباي بمدينة القاهرة، ماجستير مقدمة لكلية الآثار جامعة القاهرة عام ١٩٧٧م، ص ص ١٧٨-١٨٢.

مسجد قسطة

أشار المقريزى إلى مسجد يعرف بمسجد قسطة،كان في الموضع الذي أنشئت عليه قلعة الجبل، وقسطة كان غلاماً أرمنياً من غلمان المظفر بن أمير الجيوش،وكان والياً على الإسكندرية، وكان من عقلاء الأمراء المائلين إلى العدل المثابرين على مطالعة الكتب وأكثر ميله إلى التواريخ وسير المتقدمين، "ومات مسموماً من أكلة هريسة"[1].

ويحدد المقريزى موضع مسجده في موضع القلعة فيقول "كان مسجده بعد مسجد شقيق الملك ومسجد الديلمى كان على قرنة الجبل المقابل للقلعة من شرقيها إلى البحري وقبره قدام الباب"[2]، ويتفق هذا التحديد مع موضع مسجد سارية بقلعة الجبل الذي أنشأه سليمان باشا الخادم سنة ٩٣٥هـ/١٥٢٩م[3]، والذي يوجد به فوق مدخل القبو الذي يضم بعض القبور الملاحقة بهذا المسجد لوح من الرخام الوردي قياسه ٧٢×٥٤ سم نقش عليه نص تأسيسي مسجد قسطة في نسعة سطور بالخط الكوفي الفاطمي البسيط المحفور حفراً غائراً والذي تضمن بعض اللواحق الزخرفية ونصه:

١) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ

٢) فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ

٣) وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ

٤) ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ

---

(١) المقريزى: خطط جـ٢ ص ٢٠٣.

(٢) المقريزى: خطط جـ٢ ص ٢٠٣.

(٣) أثر رقم ١٤٢.

٥) ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[١]. أنشأ هذا المسجد المبارك الأمير

٦) المرتضى المنصور مجد الخلافة عمدة الإمامة فخر الدين عز

٧) المجاهدين ذي الفضيلتين خالصة أمير المؤمنين أبى المنصور قسطة

٨) كان الله له ولياً وحافظاً وأثابه في الآخرة جنات ورضواناً ابتغاء

٩) مرضاة الله سبحانه وذلك في رجب من شهور سنة وخمسة وثلثين وخمس مائة[٢].

ويتضمن هذا النص وصفاً للمسجد جرت العادة باستخدامه ويتمثل في وسم المسجد بالمبارك كما يتضمن النص ألقاب قسطة التي تتضمن الإشارة عقيدته الحربية التي أكد عليها المقريزى عندما ذكر رواية على لسان قطة نقلها المقريزى عن الحافظ أبو الطاهر السلفي قال فيها "سمعت أبا منصور قسطة الأرمني والى الإسكندرية يقول كان عبد الرحمن خطيب ثغر عسقلان يخطب بظاهر البلد في عيد من الأعياد، فقيل قرب منا العدو، فنزل من على المنبر وقطع الخطبة، فبلغه أن قوماً من العسكرية عابوا عليه فعله فخطب في الجمعة الأخرى داخل البلد في الجامع خطبة بليغة، قال فيها قد زعم قوم أن الخطيب فزع، وعن المنبر نزع، وليس ذلك عار على الخطيب، فإنما ترسه الطيلسان وحسامه اللسان وفرسه خشب لا تجرى مع الفرسان، وإنما العار على من تقلد الحسام وسن السنان وركب الجياد الحسان وعند اللقاء يصيح إلى عسقلان"[٣].

وإن جاز تفسير الجملة الدعائية "كان الله له ولياً وحافظاً" فإنها ربما ترتبط بما أشار إليه المقريزى من اتساع ثقافته واطلاعه، كما أنه تشير ضمناً إلى عمق ثقافته الدينية على وجه الخصوص فهذه الجملة تعكس التضمين القرآني الموجز في الدعاء

---

(١) قرآن كريم، سورة النور الآية رقم ٣٦-٣٨.

(٢) فرج حسين فرج: المرجع السابق، ص ٢٧٨.

(٣) المقريزى: خطط جـ٢ ص ٢٠٣.

المتصل بالآيتين الكريمتين ﴿ وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾[1]، ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[2]، وليس كما يرى أحد الباحثين أن فيها إشارة ضمنية إلى الخليفة الحافظ لدين الله في كلمة حافظاً حيث يرى أن "الله له ولياً وكان الحافظ له ولياً"[3].

---

(١) قرآن كريم: سورة النساء آية رقم ٤٥.

(٢) قرآن كريم، سورة يوسف، آية ٦٤.

(٣) فرج حسين فرج: المرجع السابق، ص ٣٧٩.

بقايا المساجد الفاطمية بالأقاليم

المساجد الجامعة الفاطمية بالأقاليم

اهتم الفاطميون اهتماماً واضحاً بعمارة المساجد الجامعة بالأقاليم، ويأتي هذا الاهتمام في إطار سياستهم لنشر المذهب الشيعي في جميع أرجاء مصر وليس فقط بالفسطاط والقاهرة. ويعكس هذا الاهتمام ما أشارت إليه الدراسات التاريخية من الرعاية الإسماعيلية صارت قائمة في مائة مسجد جامع(١) غير الجامع الأزهر.

وقد اهتم الفاطميون بتدريب الدعاة وتوجيههم ولا أدل على ذلك من تلك المؤتمرات التي عقدها الوزير ابن كلس للوعاظ المصريين في داره بل إنه وضع كتاباً سماه "رسالة الوزير" يعتمد فيه على ما سمعه من المعز أو العزيز وما سمعه إلى حد ما عن النعمان أشهر فقهاء الشيعة(٢)،. وعلى نفس النهج سار الوزير بدر الجمالي الذي اهتم بعمارة المساجد الجامعة في الأقاليم سواء في صعيد مصر أو في بلاد الوجه البحري،وهو الاهتمام الذي صاحب حملاته لمحاربة الخارجين على الدولة في هذه الأقاليم. فمن المعروف أنه بعد أن أعاد بدر الجمالي الأمن والسكينة إلى العامة واستعاد كل ما يمكن أن تصل إليه يده من كنوز الخليفة التي نهبت من قصره بدأ يوجه عنايته إلى بقية الأقاليم فاتجه أولاً نحو الوجه البحري فأخضع بني لوائه كما توجه إلى دمياط وقتل جماعة من المفسدين ثم سار إلى الصعيد عام ٤٦٩هـ/١٠٧٦م حيث كان الجند السودان وجماعة من عرب جهينة والثعالبة والجعافرة فانقض عليهم فجأة وأفنى أكثرهم وغنم منهم كثيراً من الغنائم وأعاد نفوذ الخليفة على جميع الوجه القبلي حتى أسوان"(٣).

وأثناء تواجده في أسوان وصل الخبر بمسير أطسز إلى مصر فكتب بذلك إلى

---

(١) أسيمينوفا: المرجع السابق ص ١٨٧.

(٢) المرجع نفسه ص ١٨٧، ١٨٨.

(٣) محمد جمال الدين سرور: الدولة الفاطمية في مصر سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها. دار الفكر العربي. القاهرة، ص ١٠٩.

أمير الجيوش بدر الجمالي، فعاد إلى القاهرة وخرج يريد محاربة أطسز في جمع بلغ عدته ثلاثين ألفاً بين فارس وراجل وكان ذلك يوم الخميس لثلاث وعشرين رجب سنة ٤٦٩هـ/ ١١٧٦م"[١].

ولم تكن المسألة بالإسكندرية أحسن منها في غيرها من البلاد المصرية فقد ثار بها سنة ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م الأوحد على أبيه بدر الجمالي والتف حوله جماعة من الأعراب فسار إليه أبوه وقبض عليه، كما قتل فريقاً من أتباعه. ولم يكتف بذلك بل صادر كثيرًا من أموال أهل الإسكندرية وأنفق منها على بناء جامع العطارين[٢].

وواصل الخلفاء والوزراء الفاطميون الاهتمام بإنشاء المساجد والمشاهد وتجديد ما تشعث منها استمراراً لتحقيق ذات الهدف ويبرز من هؤلاء الخليفة الآمر بأحكام الله.

وقد بقيت بعض العناصر المعمارية والنصوص التأسيسية لهذه المساجد من المهم أن نعرض لدراستها لأنها تكمل صورة الطراز المعماري الفاطمي وظيفياً وإنشائياً وزخرفياً.

---

(١) المقريزى: اتعاظ الحنفا جـ٢ ص ٣١٧.

(٢) المقريزى: خطط جـ ١ ، ص ٣٨٢، سرور: المرجع السابق ص ١٠٩.

الجامع العمرى بإسنا

إسنا إحدى مدن محافظة قنا، وهي من المدن العريقة، وكانت من أهم المدن المصرية القديمة، واستمرت على أهميتها في العصرين اليوناني والروماني، ويعكس معبد إسنا ازدهار المدنية في هذه الفترة، وقد وصفها ياقوت في القرن ٧هـ/ ١٣م بأنها "بلد كبيرة حسنة العمارة كثيرة العمران بها ما يقرب من ثلاثة عشر ألف منزل وبها مدرستان"(١)، وإليها ينسب عدد كبير من العلماء والفضلاء منهم بنو سديد وبنو الخطيب وبنو أشواق وبنو النصر وابن الحاجب النحوي(٢).

ويعتبر الجامع العتيق أو الجامع العمرى من أهم مساجدها، وهذه التسمية الأخيرة هي التي أطلقت على جميع المساجد القديمة بالأقاليم، ويفسر بعض الباحثين هذه التسمية بأنها نسبة إلى جامع عمرو باعتباره أول مسجد أنشئ في مصر الإسلامية(٣). وقد يكون الأصح أنها منسوبة إلى الخليفة عمر الذي أمر عمرو بإنشاء المساجد الجامعة في البلاد.

وقد انتشر المذهب الشيعي في إسنا انتشاراً واضحاً وظل منتشراً بها حتى العصر المملوكي، وقد استطاع الشيخ بهاء الدين هبة الله القفطى عندما وفد إليها أن يخفف من حدة هذا التشيع(٤).

وقد ذكر الإدفوي رواية نصها أن "بنى النضر رؤساء أعيان وهم الذين بنوا جامع الخطبة بإسنا بعد العشرين وأربعمائة وبنى الزيادة التي فين على بن محمد منهم في سنة تسع وخمسين وأربعمائة وكان آن ذاك ناظر الأحباس بالأعمال

---

(١) ياقوت: المصدر السابق ج١ ص٢٤٥.

(٢) الإدفوي: (أبو الفضل جمال الدين بن ثعلب ت ٧٤٨هـ)، الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد. تحقيق سعد محمد حسن، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر. القاهرة ١٩٦٦، ص٣٨، حسن عبد الوهاب: المرجع السابق ص ٦٣.

(٣) سعاد ماهر: المرجع السابق. ج١ ص ٢٧٤

(٤) سعاد ماهر: المرجع نفسه ص٢٧٣.

القوصية"[1].

وتكشف هذه الرواية عن مرحلتين من مراحل تاريخ عمارة الجامع في العصر الفاطمي، المرحلة الأولى كانت بعد سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م والمرحلة الثانية تتمثل في زيادة أضيفت للجامع في عام ٤٥٩هـ/١٠٦٦م وفي ذلك يشير إلى أن الجامع غصَّ بالمصلين وباتت الحاجة ملحة إلى عمل هذه الزيادة التي تعتبر ثاني مثال للزيادة في المساجد الجامعة الفاطمية بعد جامع الحاكم بأمر الله.

وقد اهتم بدر الجمالي بعمارة جامع إسنا، فبعد عودته من الصعيد في ١٦ رجب عام ٤٦٧هـ/١٠٧٥م بأربعة شهور أمر بعمارة المسجد الجامع بإسنا حيث يسجل ذلك نص التأسيس الذي بقى في هذه الفترة، ثم أنشئت للجامع مئذنة بعد إنشاء الجامع بأربع سنوات وقد بقيت هذه المئذنة ونص تأسيسها، أما عدا ذلك من عمارة الجامع فقد تم تجديده عام ١٢٩٥هـ/١٨٩٤م.

نص تأسيس الجامع:

نقش نص تأسيس الجامع على لوح من الرخام قياسه ٩٤×٥٤ سم وكتب النص بالخط الكوفي الفاطمي البارز، وهذا اللوح مثبت حالياً على جدار القبلة على يمين محراب الجامع، ويتكن النص من عشرة سطور، نصها:

١) بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن [بالله]

٢) واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فـ[عسى]

٣) أولئك أن يكونوا من المهتدين صلوات الله وبركاته على مولانا و

٤) سيدنا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه

٥) الأكرمين أمر بعمارة هذا الجامع المبارك السيد الأجل أمير الجيوش

٦) سيف الإسلام ناصر الإمام أبو النجم بدر المستنصرى أدام الله قدر

٧) ته وأعلى حكمته القاضي أبا الحسن على بن محمد بن جعفر بن أحمد بن

(١) الإدفوي، المصدر السابق، ص ١٧.

٨) محمد بن النضر فأسس في النصف من ذي الحجة سنة تسع وستين وأربع
٩) مائة وسقف في النصف من شهر ربيع سنة سبعين وأربع مائة
١٠) وفقه الله لمرضاته وأعانه على طاعته كما أصرف اهتمامه إلى عمارته.

ويكشف نص تأسيس هذا الجامع عن أن عمارته كانت بعد قضاء بدر الجمالي على ثورة كنز الدولة محمد بأسوان وقتله، وفي هذه العمارة ما يؤكد اهتمام بدر الجمالي بإنشاء المساجد الجامعة التي كانت بمثابة مراكز الدعوة للمذهب الشيعي وتأكيد سلطة الدولة السياسية والدينية في ذات الوقت.

وتعكس صياغة هذا النص عدة حقائق مهمة منها ما يتصل بنفوذ بدر الجمالي في هذه المرحلة المبكرة بعد توليه الوزارة التي لم يكن قد وصل فيها اتساع نفوذه إلى المرحلة التي وصل إليها والتي تعكسها الألقاب التي منحها الخليفة المستنصر والتي اتسعت لتشمل السلطة العسكرية والدينية، فبعد استهلال النص بالبسملة ثم الآية القرآنية التي تدعو إلى عمارة المساجد وردت إشارة موجزة تتضمن دعاء للخليفة المستنصر ثم إشارة إلى الآمر بعمارة الجامع على يد بدر الجمالي الذي لقب في هذه الفترة "بأمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام" ثم وردت الإشارة إلى نسبته إلى الخليفة المستنصر فورد في النص آية "بدر المستنصرى" تأكيداً لولائه للخليفة وهي نسبة تعكس العلاقة التي أراد إبرازها بدر الجمالي بالمستنصر في هذه الفترة المبكرة التي كان يسعى من خلالها إلى تأكيد ولائه للخليفة.

وتلي ذلك إشارة إلى أن القاضي أبا الحسن على بن محمد بن جعفر بن أحمد بن محمد بن النضر هو الذي تولى مباشرة عمارة الجامع. ويبدو أن هذا القاضي من بنى النضر الذين أشار الإدفوي إلى أنهم هم الذين بنوا الجامع في سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م وأشار مرة أخرى إلى بناء زيادة له على يد "على بن محمد منهم في سنة تسع وخمسين وأربعمائة وكان إذ ذاك ناظر الأحباس بالأعمال القوصية"(١).

ومقارنة بين ما ورد في نص الإنشاء وما ذكره الإدفوي يتضح أن على بن

(١) الإدفوي، المصدر السابق ص ١٧،حسن عبد الوهاب، المرجع السابق، ص ٣٨.

محمد النضر هو الذي تولى عمارة زيادة الجامع في سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م ثم في سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٦م أي بعد عشر سنوات.

ويشير الإدفوي إلى أن على بن محمد بن النضر كان محتسباً بالأعمال القوصية عندما أضاف الزيادة إلى الجامع، أما نص إنشاء الجامع فيشير إلى أنه تولى عمارته باعتباره قاضياً، ولما كانت قوص في ذلك الوقت قاعدة الإقليم فإن ذلك يعنى أن على بن محمد بن النضر كان قاضى الأعمال القوصية في هذا التاريخ[1].

ويذكر ياقوت ما يؤكد ذلك فقد نقل عن التنوخى قوله "لم أر أفصح من القاضي أبى الحسن على بن النضر الإسنائى قاضى الصعيد ولا آدب منه ولا أكثر احتمالاً، وكان يحفظ كتاب الله، وقرأ القراءات، وسمع الصحاح كلها، ويحفظ كتاب سيبويه وقرأ علوم الأوائل وكتاب إقليدس، وله شعر وترسل توفي بمصر سنة ٥٠٥هـ (١١١٣م) وكان فلسفياً يتظاهر بمذهب الإسماعيلية[2].

ومن الأمور اللافتة للانتباه أيضاً أن نص التأسيس ذكر أن عمارة الجامع تمت على مرحلتين المرحلة الأولى أسس فيها الجامع في نصف ذي الحجة سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٥م والمرحلة الثانية هي مرحلة تسقيف الجامع حيث أشار النص إلى أن "سقف في النصف الأول من شهر ربيع الأول سنة سبعين وأربعمائة". وفي ذلك إشارة واضحة إلى أن عمارة الجامع تمت في خلال ثلاثة شهور فقط وقد حرص كاتب نص التأسيس على إبراز هذه السرعة في عمارة الجامع حيث يؤكد على تاريخ التأسيس باليوم والشهر والسنة وأكد أيضاً على تاريخ التأسيس بنفس المنهج ليبرز قصر المدة ثم ختم النص بإشارة واضحة تؤكد هذا الاهتمام عندما ضمن النص عبارة "كما أصرف اهتمامه إلى عمارته" وهي إشارة واضحة إلى اهتمام القاضي بإنهاء هذه العمارة في هذه المدة القصيرة التي لم تتعد ثلاثة شهور.

وهذه المدة القصيرة في الغالب لا تكفي لإنشاء مسجد جامع إنشاءً كلياً وهو أمر

---

(١) الإدفوي،المصدر السابق،ص ٣٨ .

(٢) ياقوت: المصدر السابق جـ١ ١٨٩.

يحتمل معه أن تكون العمارة التي تمت على يد بدر محصورة في قطاع بعينه أو في عمل بعينه ربما تمثل في ضم الزيادة إلى ساحة الجامع الأصلي.

ومن المهم أيضاً أن نشير هنا إلى أن القاضي على بن محمد بن النضر قد تولى عمارة هذا الجامع باعتباره قاضياً لإقليم قوص وهذا العمل من مهام القضاة في ذلك الوقت حيث كان عليه "أن يتفقد الجوامع والماجد بالتنظيف إبانة لجمالها وصيانة لمن ابتذلها" [(١)].

المئذنة:

أنشئت للجامع العمرى بإسنا مئذنة بعد أربع سنوات من عمارة بدر الجمالي للجامع، وقد بقيت هذه المئذنة لتكون بمثابة أقدم مئذنة فاطمية كاملة ومؤرخة حيث يشير نص تأسيسها إلى أنها أنشئت عام ٤٧٤هـ/١٠٨١م.

ونص تأسيس المئذنة محفوظ حالياً في مخازن الآثار بمدينة الأقصر قد نقش على لوح رخامي مستطيل الشكل قياسه ٧٣×٦٥سم قطاعه العلوي على هيئة عقد نصف مستدير، والنقش مكتوب بالخط الكوفي البارز، ويتضمن كتابات قرآنية في هيئة إطار خارجي نصها: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا [(٢)] ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾[(٣)].

أما النص نفسه فقد نقش في ثلاثة عشر سطرًا متوازية نصها:

١) بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٢) ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ

---

(١) القلقشندى: صبح الأعشى، جـ١٠ ص ٣٥٢، فرج حسين، المرجع السابق ص ٢٠٠.

(٢) كتبت في النص بهذا الرسم (ا ى)

(٣) قرآن كريم: سورة البقرة، آية ٢٥٥.

٣) ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ

٤) وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ

٥) مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ هذا مما أمر بإنشاء هذه المئذنه

٦) الأجل المنتخب فخر الملك سعد الدولة تاج

٧) المعالي ذو العزين حسام أمير المؤمنين أبو منصور

٨) سارتكين الجوشى (هكذا) نصره الله وظفره ووفقه و

٩) أحسن عونه في شهور سنة أربع وسبع

١٠) ابتغاء رضاه الله تعالى وثوابه ورجاء الدار الآخرة و

١١) الأمن من عقابه رحمه الله تعالى وحشره مع مواليه الطاهرين صلوات الله

١٢) عليهم أجمعين ورحم من ترحم عليهم أمين ياب العالمين.

ويكشف هذا النص عن أن الذي أمر بإنشاء هذه المئذنة سارتكين الجيوشي وتشير الدراسات التاريخية إلى أن سارتكين ابن أحد إخوة كنز الدولة محمد الذي قتله بدر الجمالي بعد تمرده على الخلافة في أسوان سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٦م وأن بدر عفا عنه لوساطة "سالمون" ملك النوبة، وأصبح عاملاً للفاطميين على أسوان في عهد المستنصر[١].

وفي إطار ما ورد في نص إنشاء المئذنة يتضح عدم ذكر اسم الخليفة أو الوزير اللهم في إشارة ضمنية تتصل بالأخير من حيث نسبة سارتكين إليه، كما يلاحظ أن النص تضمن ألقاب سارتكين تفصيلاً بصورة تؤكد سلطته ومنزلته لدى الخليفة الذي منحه هذه الألقاب.

ومن المهم أن نشير أيضاً إلى أن النص احتوى في سطوره الثلاثة الأخيرة على ما يشير إلى سبب بناء هذه المئذنة وأن هذا السبب يتجه إلى "ابتغاء مرضاة الله تعالى وثوابه ورجاء الدار الآخرة والأمن من عقابه" وهو معنى يأتى في إطار حديث

---

(١) عطية القوصى: تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٦.

الرسول ﷺ والذي ورد في فضل عمارة المساجد، بما نصه "من بنى لله مسجداً ولو كمخصص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة"، وبالرغم من هذا فإن ما ورد من ألقـاب لسارتكين من بينها لقب "حسام الدين" وما جاء من إقرار بصيغة الماضـي نـصها "نصره الله ووفقه وأحسن عونه" يشير إلى أن سارتكين قد قام بعمل مهـم يتـصل بالحرب.

وبالربط بين ما جاء بهذا النص وما جاء بنص إنـشاء جـامع قـوص عـام ٤٧٣هـ/ ١٠٨٠م يشير إلى أن سارتكين كان له دور بـارز فـي إنـشاء عمـارة المساجد الفاطمية في صعيد مصر.

الوصف المعماري للمئذنة:

تقع المئذنة في الركن الغربي من المسجد الحالي وهي مبنية بـالآجر وتتكـون المئذنة من طابقين وجوسق، والطابق الأول مسقطه مربع طول ضلعه عند القاعـدة ٤,٧٥ متراً ويبلغ ارتفاعه ١٠,٧ متر ويلاحظ أن بناء هذا الطـابق اسـتخدم فيـه الروابط الخشبية التي تظهر على سطح الواجهة وتبلغ عددها ٢٠ رابطاً سمك كـل منها ٢٠سم ويتصل من كل رابط والذي يليه ثمانية مداميك ويلاحظ أن بنـاء هـذا الطابق يستدق كلما ارتفع حتى يبلغ طول ضلع مسقط قطاعه من أعلى ٤,٥٥ متراً.

وتتخلل الواجهة الجنوبية الغربية لهذا الطابق نافذتان على ارتفاع ٤,٨٥ مـن مستوى الأرض وكل من هاتين النافذتين مستطيلة الشكل معقودة من أعلـى بعقـد مدبب ويبلغ ارتفاع كل منهما متر واحد بينما يبلغ اتساع كل منهما ٥٠ سم وعلـى ارتفاع ١,٥ متر من هاتين النافذتين توجد نافذتان أخريان لكن على نفس محوريهما ويبلغ ارتفاع كل منهما ٨٥ سم أما اتساع كل منهما فيبلغ ٥٠ سم أيضا.

وتقع فتحة باب المئذنة في الواجهة الجنوبية الشرقية باتجاه الركن الشرقي التي يبلغ اتساعها ٩٠ سم وارتفاعها ١,٣٠ ويعلوها على محورها فتحـة نافـذة يبلـغ ارتفاعها متر واحد ويلاحظ أنها ضيقة نسبياً حيث يبلغ اتساعها ١٥ سم وفي هـذه الواجهة على ارتفاع ٧ أمتار من مستوى الأرض نافذتان بـنفس هيئـة النافـذتين

السفليتين بالواجهة الجنوبية الغربية.

وفي الواجهة الشمالية الغربية وعلى ارتفاع ٢ متر من مستوى الأرض توجد فتحة يبلغ اتساعها ٢٠ سم وارتفاعها ٧٥ سم تعلوها فتحتان أخريان متشابهتان، وعلى ارتفاع ٥,٨٥متر من مستوى الأرض يوجد نافذتان أخريان يبلغ اتساع كل منهما ٩٠ سم واتساع كل منهما ٤٠ سم يعلو كلا منهما عقد مدبب كما يوجد بالقطاع العلوي من كل واجهة فتحة مستطيلة يبلغ اتساعها ٩٠ سم وارتفاعها ٢,٠٥ متر يكتنفها عمودان مبنيان بالآجر ويلاحظ أن الفتحة التي في الواجهة الشمالية الشرقية من الداخل طغى عليها بناء السلم فبدت في هيئة فتحة مربعة طول ضلعها ٥٠ سم.

ويلاحظ أن الأركان الأربعة لهذا الطابق مشطوفة ومقوسة من أعلى في هيئة معقودة يبدو معها الشطف على هيئة حنية معقودة، ويعلو الأركان الربعة لهذا الطابق زرانيق مبنية في هيئة دعامة صغيرة مربعة المسقط تعلوها هيئة قبة صغيرة وتوجد مثل هذه الزرانيق في بعض قباب جبانة أسوان التي يرجح نسبتها إلى العصر الفاطمي.

أما الطابق الثاني فيرتد قليلاً إلى الداخل وهو أسطواني الشكل مسقطه مستدير،ويبلغ ارتفاعه ٨,٠٥ متر ويستدق بناؤه كلما ارتفع حيث تبلغ قطره عن القاعدة ٤,٥ متر بينما يبلغ عند القمة أربعة أمتار، ويوجد بالقطاع العلوي من هذا الطابق وعلى ارتفاع ١٥,٧٠ متراً من الأرض الحالية شرفة خشبية لها سياج خشبي يبلغ ارتفاعه ١,٠٥ متر يرتبط ببدن المئذنة بقوائم خشبية وتبرز الشرفة عن البدن الأسطوانى بمقدار ٦٥ سم،ويوجد بهذا الطابق ثلاث فتحات معقودة لإضاءة الدرج الداخلي للمئذنة.

ويعلو الطابق الثاني للمئذنة الجوسق وهو عبارة عن مستويين مثمنين من البناء ويلاحظ أن المثمن السفلي ارتفاعه ١,٥٥ جوانبه مقعرة من أسفل وبارزة بهيئة مقوسة أيضاً من أعلى في هيئة القرون وهذا الملمح وجد ما يماثله في بعض

قباب أسوان التي ترجح نسبتها إلى القرنين ٥-٦ / ١١-١٢م [١]، كما يوجد ما يماثله في القبة الفاطمية بجامع قوص والقبة الفاطمية بالدير الأحمر بسوهاج، ويتوسط كل ضلع من أضلاع هذا المثمن نافذة معقودة بعقد نصف دائري يبلغ ارتفاعها ٠,٩٥سم واتساعها ٠,٤٥ سم ويلاحظ أن هذه الفتحات تأخذ قمتها من الداخل شكلاً مختلفاً حيث يمتد في هيئة ثلاثية وقد سدت الفتحتان الجانبيتان بالبناء وملطت من الخارج ربما لدعم بناء الجوسق.

أما المستوى المثمن الثاني الذي تعلوه قبة صغيرة تمثل قلة المئذنة ويبلغ ارتفاعه ٣,٢٥ متر ويتوسط كل ضلع من أضلاعه نافذة معقودة بعقد مدبب وقد سدت هذه الفتحات إلى ما يقارب نصفها وهكذا يبلغ الارتفاع الكلى للمئذنة عن مستوى سطح الأرض ٢٣,١٥ متراً.

وصف المئذنة من الداخل:

يتوصل إلى سلم المئذنة من فتحة الباب-التي سبقت الإشارة إليها-والتي تقع في الركن الشرقي من الواجهة الجنوبية الشرقية، ويدور درج المئذنة حول دعامة مركزية مربعة في قلبات قليلة الدرجات، ويبدأ الدرج بقلبة من ثلاث درجات في الجهة الشمالية الشرقية تصل منها إلى "بسطة" ثم يلي ذلك خمس قلبات كل منهما تشتمل على أربع درجات يليها قلبة من ثلاث درجات وقلبة من أربع درجات وبين كل قلبة والتي تليها بسطة والدرج مبنى بالآجر وحافة الدرجة من الخشب ثم نصعد أربع قلبات أخرى كل منها تتكون من أربع درجات ننتهي من صعودها إلى نهاية الطابق الأول ذي المسقط المربع ثم نصعد قلبتين أخريين لنلحظ أن المسقط المربع للعمود المركزي يأخذ شكلاً مثمناً ثم نضعه سبع قلبات تتكون كل منها من أربع درجات تنتهي من صعودها إلى شرفة المئذنة الخشبية التي نصل إليها من فتحة في الجانب الشرقي، ومن هذا المستوى يأخذ شكل دوران الدرج الشكل الدائري وبصعود خمس قلبات الأولى والثانية والرابعة من أربع درجات والثانية والخامسة من درجتين

---

(١) Creswell: Op. Cit., V.I, p. 146.

ثم تنتهي إلى السلم الخشبي المؤدى للجوسق.

ويضئ السلم في الطابع الأول زوجان من النوافذ لإضاءة الـدرج فتحــة فــي المستوى المتوافق مع بناء الدرج، وفتحت بالطابق الثاني أيضاً ثمان نوافذ صــغيرة وضعت في مستويات مختلفة لتناسب إضاءة الدرج.

الجامع العمرى بقوص

مدينة قوص إحدى مدن محافظة قنا وهي مدينة عريقة تقع على شرق النيل إلى جنوب مدينة قنا بحوالي ثلاثين كيلو متراً، واسمها الحالي مشتق من اسمها الهيروغليفي "جوص" وفي العصر المسيحي حرف الاسم إلى "كوس" ثم عرفت في العصر الإسلامي باسم قوص.

وتشتمل على أطلال معبد مصري قديم أنشئ فوقه معبد عصر البطالمة في وسط المدينة فبنيت على أطلالهما المساكن وقد ازدهرت قوص في العصر الإسلامي ازدهاراً كبيراً، وأصبحت المدينة الثانية بعد الفسطاط، وكانت قاعدة الإقليم في العصر الفاطمي، وهي مدينة تجارية مهمة، حيث كانت ترد إليها التجارات من النوبة والسودان ومن موانئ البحر الأحمر الجنوبية، ويذكر ياقوت أنها كانت "محط التجار القادمين من عدن وأكثرهم من هذه المدينة" (١).

ويعتبر الجامع العتيق من أهم آثارها الإسلامية الذي يرجع إنشاؤه إلى العصر الإسلامي الأول ثم أعيد بناؤه في العصر الفاطمي.

تاريخ الجامع العمرى الفاطمي بقوص:

لم يتبق من الجامع العمرى الفاطمي بقوص سوى نص تأسيسه والمنبر الذي أنشأه الصالح طلائع بالإضافة إلى قبة مجاورة للجامع وفيما عدا ذلك فإن عمارة الجامع قد جددت.

النص التأسيسي (٤٧٣هـ/١٠٨٠م):

تجب الإشارة إلى أن هذا النص نقش على لوح من الخشب ثم استغل قطاع منه في عمل طبلية تعلو أحد أعمدة الجامع ويرتكز عليها أحد عقوده في مرحلة من المراحل المتأخرة التي تم فيها إعادة بناء الجامع دون إدراك لأهمية النقش الكتابي

---

(١) ياقوت: المصدر السابق، ج٤ ص ٤١٣.

الذي يوجد على هذا القسم، وكان أول من أشار إلى هذا القسم جيست Guest في سنة ١٨٨٩، وفي عام ١٩١١ قام جاستون فييت Gaston Wiet بتصوير الأجزاء الظاهرة منه وبذل جهداً واضحاً لقراءة ما ظهر له من نقوش.

وقام فييت أيضاً بالبحث عن اللقى الأثرية التي نقلت من قوص لمتحف الفن الإسلامي فعثر فيها على القسم الثاني من اللوح الخشبي الذي يكمل القسم الأول-الذي سبقت الإشارة إليه-وجمع فييت بين قراءة القسمين وحاول جاهداً استكمال النص في ضوء دراسته لصياغات النقوش الفاطمية المعاصرة، وبعد أن قامت هيئة الآثار مؤخراً بفك العقد الذي يرتكز على الطبلية الخشبية التي تشتمل على القسم الأول من اللوح الذي نقش عليه النص أمكن قراءة النص الأصلي كاملاً وثبت بجوار محراب الجامع والنص الكامل نقش على لوح من الخشب بالخط الكوفي البارز في تسعة سطور نصها:

١) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ

٢) ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟

٣) مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[1] مما أمر بعمله فتى مولانا الإمام المستنصر بالله أ

٤) مير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين السيد

٥) الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادى

٦) دعاة المؤمنين عضد الله تعالى به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين و

٧) أدام قدرته وأعلى كلمته على يد الأجل المقدم فخر الملك سعد الدولة تاج المعالي

٨) ذي العزين أبي منصور سارتكين الجيوشى ابتغاء ثواب الله والدار الآخرة

٩) والأمن من عقابه في سنة ثلث وسبعين وأربع مائة وحسبنا الله.

ويتضح من خلال هذا النص أن عملاً معمارياً قد حدث في الجامع العمرى في

---

(١) قرآن كريم، سورة التوبة، آية رقم ١٨.

سنة ٤٧٣هـ/١٠٨٠م وأن هذا العمل أمر به أمير الجيوش بدر الجمالي وقام بتنفيذه سارتكين الذي قام في العام التالي عام ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م ببناء مئذنة لجامع إسنا وهذا أمر يشير إلى أن بدر الجمالي اهتم بعمارة المساجد الجامعة في صعيد مصر بعد أن أخمد ما كان به من ثورات وأن هذا العمل بدأ فور عودته إلى القاهرة في رجب عام ٤٦٩هـ/١٠٧٦م واستمر لسنوات في مراحل مختلفة وقام بتنفيذها حكام الأقاليم.

المنبر:

يعتبر هذا المنبر من أروع التحف الخشبية التي ترجع إلى العصر الفاطمي حيث لا يوجد ما يماثله من دقة حفر الزخارف في حشوات المنبر[١]، فقد صنع المنبر من حشوات مجمعة من خشب الساج الهندي وحفرت عليها زخارف نباتية عبارة عن فروع نباتية ومراوح نخيلية وعناقيد العنب وحباته وأوراقه وباب المنبر من مصراعين ويعلو فتحته لوحة خشبية تتضمن نصًا تأسيسيًا من سبعة سطور نصها:

١) بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[٢] أمر بعمل

٢) هذا المنبر المبارك الشريف مو[لانا سيد الإمام الفائز بنصر الله أمير

٣) المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المنتظرين

٤) على يد فتاه وخليله السيد الأجل الملك الصالح ناصر الأئمة كاشف الغمة أمير الجيوش سيف الإسلام

٥) غياث الأنام كافل قضاة

٦) المسلمين وهادى دعاة المؤمنين عضد الله بن الدين وأمتع بطول

٧) بقائه أمير الممنين وأدام قدرته وأعلا كلمته في ستة خمسين وخمسمائة

ولهذا النص أهميته سواء فيما يتعلق بتاريخ الجامع أو بتاريخ الخليفة الفاطمي

---

(١) حسن عبد الوهاب. طراز العمارة الإسلامية في ريف مصر، ص ٨.

(٢) قرآن كريم: سورة النحل، آية رقم ١٢٥.

الفائز ووزيره الملك الصالح طلائع، فيكشف صنع منبر لجامع قوص بأمر الخليفة الفائز على يد وزيره الصالح طلائع عن اهتمام واضح بعمارة جامع قوص التي كانت أهم مدن الصعيد في العصر الفاطمي.

ووصف المنبر في النص "بالمبارك الشريف" وصف له دلالته المرتبطة بالآمر بعمله وهو الخليفة وكأنما المنبر يستمد هذه الصفات من الخليفة نفسه كما أن وصف هذا المنبر بهذا الوصف يجعله أهم من أي منبر آخر كان بالجامع قبل هذا التاريخ ومن ثم رفع المنبر الذي قبله وتم وضع هذا المنبر بهذه الحيثية التي باركته وشرفته.

ويعكس النص في جمله الدعائية للخليفة بصورة غير مباشرة صغر سن الخليفة فقد تولى الخليفة الفائز الحكم "وعمره خمس سنين"[١] وتولى الخلافة عام ٥٤٩هـ/١١٥٤م وبقى في الخلافة حتى مات لثلاث عشرة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين من إحدى عشرة سنة ستة أشهر ويومين[٢]، ويعنى ذلك أن هذا المنبر الذي أمر -كما يذكر النص- بعمله الخليفة الفائز عمل وكان عمر الخليفة حوالي ست سنوات ويفسر هذه الجملة الدعائية الواردة في نص ونصها "وأبنائه المنتظرين" حيث كان الخليفة طفلاً صغيراً لم يبلغ الحلم، واللافت للانتباه أيضاً ما ورد في النص من ألقاب، خاصة بطلائع بن رزيك تعكس الحالة التي وصل فيها إلى الوزارة فقد كان والياً في صعيد مصر عندما قتل الوزير عباس الخليفة الظافر وقام باتهام اثنين من إخوة الخليفة الظاهر بأنهما قاما بقتل الإمام وأصدر فتوى بقتلهما فعم البلاء بفقد الإمام وأخويه فبعثت أخت الخليفة المقتول إلى الصالح طلائع وكان والياً على الصعيد بالكتب وفي طيها شعور النساء تستصرخ به، فجهز الصالح جيشاً ودخل القاهرة بعد فرار الوزير عباس وابنه وقام الصالح بإخراج جثة الظافر التي دفنها ابن عباس في داره وكفنه وصلى عليه بالقصر ودفن في تربة القصر واستولى الصالح على الوزارة وأقام الخليفة الفائز وعمره خمس سنوات -كما أشرنا- وهو

(١) المقريزى : الخطط جـ٢ ص٣٥٧.

(٢) المقريزى: الخطط جـ٢ ص٣٥٧.

أمر كان له صداه في أن يلقب الصالح بفارس المسلمين ونصير الدين[1]،وتعكس الألقاب الواردة في نص إنشاء المنبر بدقة هذه الأحداث وخصوصًا فقد ورد أنه فتاه (يقصد الخليفة) وخليله السيد الأجل كما لقب بناصر الأئمة وكاشف الغمة.

ويعلق أحد الباحثين ورود كلمة "فتاه وخليله" في النص ويدهش لوصف طلائع وهو الكبير في السن والقوى في السلطة بأنه فتى الخليفة الطفل الذي لا حول له ولا قوة وسبب هذه الدهشة هو أن الباحث فسر كلمة "فتى" بدلالتها المعاصرة التي تعنى أنها مرادف لكلمة "صبى" وهذا غير صحيح[2]، حيث إن هذا اللقب في إطار النصوص الفاطمية أطلق على كل من بدر الجمالي وطلائع بن رزيك وكان للأول دوره في إنقاذ الخلافة الفاطمية في عهد المستنصر بالله وكان للثاني دوره في حماية الخلافة من خطر الوزير ابن عباس تلبية لاستصراخ نساء القصر وكان له في تولى الفائز للخلافة بعد قتل أبيه وهكذا يتضح دور كل منهما الذي يتصل بمعنى "الفتوة" التي توظف للخير والصلاح والإنقاذ.

ويؤدى باب المنبر إلى الدرج الذي يتكون من اثنتى عشرة درجة وللدرج سياج خشبي وينتهي الدرج إلى جلسة الخطيب التي يتوسط صدرها هيئة محراب صغير، تزخرفه عناصر من الطبق النجمي في هيئة ترس وكندات ولوزات ويكتنف المحراب عمودان تزخرفهما أشرطة من زخارف مجدولة وبأعلى واجهة جلسة الخطيب في التي تأخذ هيئة العقد نصف المستدير يوجه كتابة كوفية قرآنية نصها بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾[3].

---

(١) المقريزى. اتعاظ الحنفا. جـ٣ ص ص١٠٨، خطط جـ٢ ص٢٩٤.

(٢) فرج حسين فرج: المرجع السابق. ص ٣٩٥

(٣) قرآن كريم. سورة النور آية ٣٦-٣٧.

مسجد من إنشاء سارتكين

بالصعيد الأعلى ٤٧٦هـ/١٠٨٣م

عثر على نص إنشاء لمسجد أمر بإنشائه سارتكين والى صعيد مصر الأعلى في عهد بدر الجمالي الذي سبقت الإشارة إلى اهتمامه بعمارة المساجد الجامعة كالجامع العمرى بقوص والجامع العمرى بإسنا- كما سبقت الإشارة- وقد نقل هذا النقش من مصر إلى متحف فلورنسا(١).

ونفذ النقش على لوح من الرخام في ثمانية سطور بالإضافة إلى سطر كتب بهيئة عمودية، وقد كسر اللوح من جانبه الأيمن مما ترتب عليه فقد بداية نص سطور النقش. وتنتهي آخر قراءة مصححة للنص على النحو التالي:

١) [بسم الله] الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ

٢) [ءَامَنَ] بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ

٣) [وَلَمْ يَخْشَ] إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ مما أمر

٤) [بإنشائه الا]جل المقدم فخر الملك سعد الدولة تاج المعالي ذو العزين

٥) [حسام أمير المؤ]منين أبو منصور سارتكين الجيوشى نصره الله وظفره ووفقه.

٦) وأحسن عونه في] شهور سنة ست وسبعين وأربع مائة ابتغاء مرضاة الله

٧) وثوابه ورجاء] الدار الآخرة والآمن من عقابه رحمه الله تعالى وحشره

٨) [مع نبيه] ومواليه الطاهرين وبنيانه على يد نادر السعدي.

السطر الرأسي

[على] بن أبى طالب رضى الله عنه(٢)

---

(١) Van Berchem, M. C.I.A, Egypt, I. p. 706.

(٢) فرج حسين: المرجع السابق، ص ٢٢٣.

المسجد العتيق بسوهاج "الفرشوطى"

يقع جامع الفرشوطى في الموضع الذي كانت تشغله البلد القديمة بجوار القيسارية، ولم يتبق من عمارة هذا الجامع سوى نص تأسيسه وعمارة الجامع الحالية حديثة، وثبت على الحائط الشرقي للجامع اللوحة التأسيسية الباقية من الجامع الفاطمي، وهي عبارة عن لوح من الرخام قياسه ٨٠×٥٠ سم فقد الجزء العلوي منه وبقى من النص ثمانية سطور منقوشة بالحفر البارز بخط كوفي لا يرقى إلى مستوى النقوش المعاصرة في آثار القاهرة، حيث يفتقر إلى الدقة ونص النقش الباقي كما يلي:

١) وعمارته ولى عهد أمير المؤمنين [...........]

٢) بن الإمام الحافظ لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه

٣) وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين، شد الله أركان

٤) الإسلام بعزائمه وأمضى في أعناق الأعادي شعار صوارمه

٥) وأنفذ في أقطار البسيطة أحكامه وضاعف صلاته عليه

٦) وسلامه ابتغاء ثواب الله ومرضاته تكثيراً لبيوت

٧) عباداته وإشعاراً بنزول النصر على جنده

٨) المنصور وميقاته وذلك في محرم سنة تسع وعشرين وخمسمائة

وفي إطار النص السابق يتضح أن الجزء العلوي المفقود لا يتعدى سطراً واحداً في الغالب.

كما أن ما ورد في نهاية السطر السادس وبداية السابع من أن عمارة هذا الجامع كانت تكثيراً لبيوت عباداته "يشير ضمناً إلى أن هذا المسجد في الغالب كان إنشاء جديداً ولم تكن أعمال ولى العهد فيه مجرد إعادة إعمار أو تجديد.

ولا يتضمن النص ما يشير إلى أن هذا المسجد كان مسجداً جامعاً، وفي إطار ما سبقت الإشارة إليه من أنه أنشئ إنشاءً حديثاً، فالغالب أنه كان "مسجد فروض" وإن كان احتمال كونه مسجدًا جامعًا قائمًا أيضاً ولكن في هذه الحال فإن إقامة الخطبة فيه

تعنى وقفها في المسجد الجامع القديم، وأرى أن ذلك احتمال ضعيف.

ويلاحظ أيضا أن اسم ولى العهد قد محي من السطر الأول، وهناك من يعتقد أن هذا المحو كان بفعل فاعل[1] في إطار ما تشير إليه أحداث الصراع بين ولى العهد الذي أسس هذا المسجد والأمراء الفاطميين الذين أرغموا والده الخليفة الحافظ لدين الله على قتله فقتله بالسم[2].

وقد رجحت الدراسات الأثرية والتاريخية أن يكون ما فقد من النص في السطر الأول [المنصور الحسن أبو على] وهذا الترجيح كان في إطار ما أشارت إليه المصادر التاريخية من أن الخليفة الحافظ في عام ٥٢٨هـ/١١٣٤م عهد بولاية العهد إلى ابنه سليمان، وكان أسن أولاده وأحبهم إليه، وأقامه ليسد مكان الوزير ويستريح من مقاساة الوزراء وجفائهم عليه، ومضايقتهم إياه في أوامره ونواهيه، فمات بعد ولاية العهد بشهرين، فحزن عليه فترة ثم جعل ابنه حيدر، ولياً للعهد، ونصبه للنظر في المظالم، فشق ذلك على أخيه الحسن لأنه كان يروم ذلك لكثرة أمواله وحواشيه، وما زالت عقارب العداوة تدب بينهما حتى وقعت الفتنة"[3].

ويسجل ابن ميسر هذه الأحداث فيذكر في حوادث عام ٥٢٨هـ/١١٣٤م أنه "في شعبان كانت حرب بين أبى تراب حيدرة ابن الخليفة الحانط وبين أخيه حسن طالت واشتدت فاستظهر حسن على أخيه وهرب حيدرة وألجأ إلى أبيه فبعث أبوه خلف ابنه حسن ليسكن أمره فامتنع عن المجيء إليه وطالبه بحيدرة أخيه وضايق القصر وحاصره حصاراً شديداً هذا والحافظ يتلافى ولده حسن وولاه ولاية العهد من بعده وكتب بذلك سجلاً قرئ فتمكن حسن من الدولة وتصرف فيها حتى لم يبق لأبيه معه حكم ألبتة[4].

---

(١) فرج حسين فرج: المرجع السابق، ص ٣٦٣.

(٢) المقريزى: اتعاظ الحنفا، جـ٣ ص ١٥١.

(٣) المقريزى: اتعاظ الحنفا جـ٣ ص ١٤٩، فرج حسين فرج، المرجع السابق، ص ٣٦٣.

(٤) ابن ميسر: أخبار مصر ورقة ٧٢-٧٣.

اشتد أمر حسن واشتغل بتدبير الدولة وكان الأمراء والأجناد يميلون إليه فلذلك سألوا الحافظ أن يوليه أمرهم ففوض إليه ذلك كما مرَّ فحسده أخوه حيدرة وقال أنا ولى العهد فجمع كل منها واقتتلا فقتل بينهما جماعة كثيرة كما تقدم، فلما استقر حسن في الوزارة والتدمير قبض على جماعة من الأمراء وقتلهم، وأقام غيرهم فخافه من بقى من الأمراء وعزموا على خلع الحافظ من الخلافة وخلع ولده حسن وتجمعوا بين القصرين وبعثوا للحافظ بما هم عليه فسيرا إليهم واعتذرا وفر ابنه حسن إليه فمسكه وقيده وبعث إلى الأمراء يعلمهم، فسيروا إليه لابد من قتله فسقاه سماً قتل به.. وكان ذلك يوم الثلاثاء السادس والعشرين من جمادى الآخرة ٥٢٩هـ/١١٣٤م[١].

وتكشف هذه الرواية عن أن حسنا أصبح ولى العهد بعد صراعه مع أخيه حيدرة في شعبان سنة ٥٢٨هـ/١١٣٣م واستمر في ولايته للعهد بل وتولى الوزارة وظل هو المسيطر على السلطة حتى قتل بالسم في ٢٦ جمادى الآخرة سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م.

وتاريخ الإنشاء الوارد في نص إنشاء مسجد بسوهاج يقع في هذه الفترة التي كان فيها ولياً للعهد حيث إن المسجد أنشئ في المحرم سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م أي في الفترة التي بلغ فيها حسن ذروة مجده وقوته وسلطته بعد انتصاره على أخيه حيدرة ومن والاه وإرغام والده على أن يصدر سجلاً بتوليته لولاية العهد بدلاً من حيدرة.

وفي إطار هذه الحقائق التاريخية يتضح بجلاء أن ولى العهد المشار إليه في نص إنشاء مسجد بسوهاج هو حسن بن الخليفة الحافظ والمساحة التي محي منها اسم ولى الحسن وألقابه مساحة كبيرة يتضح من قياسها أنها كانت تشتمل-بالإضافة إلى اسم ولى العهد-على بعض ألقابه التي كان يفضلها.

ومن حسن الحظ أنه عثر على دينار ضرب بمصر سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م ضمن

---

(١) ابن ميسر: أخبار مصر ورقة ٧٤.

مجموعة دار الكتب المصرية[1] يتضمن اسم ولى العهد حسن بن الحافظ وبعض ألقابه كما يلي:

	الوجه		الظهر
	الإمام		ولده
المركز	عبد المجيد الحافظ	المركز	الحسن أبو على
	لدين الله أمير		ولى عهد أمير
	المؤمنين		المؤمنين
			عال
	الهامش: بسم الله ضرب هذا الدينار بمصر سنة تسع وعشرين وخمسمائة		الهامش: لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله على ولى الله

وهكذا يتضح أن هذا الدينار ضرب في الفترة المحصورة من أول المحرم وحتى ٢٦ جمادى الآخرة عام ٥٢٩هـ تحديداً. وتتضح من نقوشه أن حسن ولى العهد كان يكنى الحسن أبو على".

وإذا أضفنا هذه الكنية إلى اسم حسن لافتراض أنها كانت تشغل الجزء الذي محي من نص الإنشاء يتضح أن المساحة تتسع لكلمة أخرى افترض أحد الباحثين أنها "المنصور" في ضوء ما يذكره المقريزى[2]، من أن جنوده كانوا يصيحون عليه "يا حسن يا منصور". وفي ضوء هذا كان افتراضه أن بقية السطر الأول التي محيت عن عمد هي (المنصور الحسن أبو على)[3] وهو افتراض مقبول.

ومن الأمور اللافتة للانتباه في متن نص إنشاء مسجد سوهاج أيضاً ما ورد في

---

(١) عبد المجيد محمد الخريجى، نايف بن عبد الله الشرعان، الدينار عبد العصور الإسلامية، نماذج مختارة من مجموعة الخريجى، جدة، دار القلم ١٤٢٢ هـ ،ص١٢٦.

(٢) المقريزى: اتعاظ جـ٣ ص١٥١.

(٣) فرج حسين فرج: المرجع السابق، ص ٣٦٣.

نهاية السطر الثالث والسطر الرابع والخامس من عبارات تشير إلى علو مكانة حسن ولى عهد الحافظ وهو أمر سجلته المصادر التاريخية وتؤكده روايات المقريزى وابن ميسر والتي تشير إلى سيطرته على الحكم سيطرة كبيرة بحيث لم "يتبق" لأبيه معه حكم ألبتة"، وتسجل عبارات النقش هذا بوضوح فقد "شد أركان الإسلام بعزائمه وأمضى في أعناق الأعادي شعار صوارمه وأنفذ في أقطار البسيطة أحكامه".

جامع أو مسجد بقرية الشيخ موسى

قرية الشيخ موسى إحدى قرى محافظة الجيزة، وقد أشار المقريزى إلى أن بها سجن النبي يوسف عليه السلام وأن هذا المسجد أنشئ في موضع قريب من التل الذي بنى عليه السجن،وسبب بنائه أن "كافور الإخشيدي سأل أبا بكر الحداد (أحد فقهاء عصره) عن موضع معروف بإجابة الدعاء ليدعو فيه فأشار عليه بالدعاء على سطح السجن والنبي موسى عليه السلام، وقد بنى على أثره مسجد هناك يعرف بمسجد موسى"(١).

ويستطرد المقريزى ليذكر روايات تشير إلى فضل زيارة هذا المكان وبخاصة سجن النبي يوسف ومن بين ما يذكر نقلاً عن المسبحى في حوادث شهر ربيع الأول سنة خمس عشرة وأربعمائة أن العامة والسوقة طافت الأسواق بمصر بالطبول والبوقات يجمعون من التجار وأرباب الأسواق ما ينفقونه من نصيبهم إلى سجن يوسف، فقال لهم التجار شغلنا بعدم الأقوات يمنعنا من هذا، وقد كان اشتد الغلاء، وأنهوا حالهم إلى الحضرة المطهرة يعنى أمير المؤمنين الظاهر لإعزاز دين الله أبا الحسن على بن الحاكم بأمر الله فرسم لنائب الدولة إلى طاهر بن كافي متولي الشرطة السفلى الترسيم على التجار حتى يدفعوا إليهم ما جرت به رسومهم ورسم لهم بالخروج إلى سجن يوسف ووعدوا بأن يطلق لهم من الحضرة ضعف ما أطلق لهم في السنة الماضية من الهبة، فخرجوا، وفي يوم السبت لتسع خلون من جمادى الأولى ركب القائد الأجل عز الدولة وسناها معضاد الخادم الأسود في سائر الأتراك ووجوه القواد وشق البلد ونزل إلى الصناعة التي بالجسر بمن معه، ثم خرج من هناك وهو في سائر عساكره إلى الجيزة، حتى رتب لأمير المؤمنين عساكر تكون معه مقيمة هناك لحفظه، لأنه عدى يوم الاثنين لإحدى عشرة خلت منه في أربع عشاريات وأربع عشرة بغلة من بغال النقل، وفي جميع من معه من خاصته وحرمه

---

(١) المقريزى: خطط جـ١ ص ٢٠٧.

إلى سجن يوسف عليه السلام،وأقام هناك يومين وليلتين إلى أن عاد الرمادية الخارجون إلى السجن بالتماثيل والمضاحك والحكايات والسماجات فضحك منهم واستظرفهم، وعاد إلى قصره بكرة الأربعاء لثلاث عشرة خلت منه، وأقام أهل الأسواق نحو الأسبوعين يطرقون الشوارع بالخيال والسماجات والتماثيل ويطلعون إلى القاهرة ليشاهدهم أمير المؤمنين ويعودون ومعهم سجل قد كتب لهم ألا يعارض أحد منهم في ذهابه وعوده، وأن يعتمد إكرامهم وصيانتهم ولا يزالوا على ذلك إلى أن تكامل جميعهم، وكان دخولهم إلى سجن يوسف لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى، وشقوا الشوارع بالحكايات والسماجات والتماثيل فتعطل الناس في ذلك اليوم على أشغالهم ومعايشهم، واجتمع في الأسواق خلق كثير لنظرهم، وظل الناس أكثر هذا اليوم على ذلك وأطلق لجميعهم ثمانية آلاف درهم وكان اثنى عشر سوقاً ونزلوا مسرورين" (١).

وهذه الرواية تكشف عن مظاهر ثقافية ارتبطت بموضع سجن يوسف الذي أنشئ بجواره مسجد موسى، وتمثلت في زيارة السجن ليس فقط من قبل العامة بل من قبل الخليفة نفسه الذي يمثل رأس السلطة في العصر الفاطمي، وهو أمر قد سبق إليه كافور الإخشيدي الذي أنشأ المسجد بجوار السجن.

وقد عثرت مصلحة الآثار على أجزاء من لوحة تذكارية كانت موجودة بهذا المسجد"(٢) لكنه نقل الآن إلى متحف الفن الإسلامي بعد أن فقد بعض أجزائه(٣). وهذه اللوحة نقش على وجهيها نصان بالخط الكوفي الفاطمي ونص النقش الأقدم عبارة تشير إلى تجديد لهذا المسجد ٥١٥هـ/١١٢١م لكنه يشير إلى أن المبنى

---

(١) المقريزى: خطط جـ١ ص ٢٠٧.

(٢) Comite de conservation de monuments de L' act arabe, Le Caire, Tome, XXX, p. 37.

سعاد ماهر: محافظات الجمهورية العربية المتحدة وآثارها الباقية في العصر الإسلامي، نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، الكتاب الرابع، ص ٨٣.

(٣) سجل رقم ٢١٧٨.

المجدد "جامعاً" وليس مسجدًا كما كان عليه الحال عند إنشائه على يد كافور الإخشيدي ونفس النقش في عشرة سطور على النحو التالي:

١) [بسم الله الرحـ]من ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ [ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ]

٢) [ٱلصَّلَوٰةَ] وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ أمر]

٣) .... هذا الجامع المبارك الجروى(؟) وتجديده السيد الأ[جل أمير]

٤) [الجيو]ش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين و[هادى دعاة]

٥) المؤمنين أبو القاسم شاهنشاه عضد الله [به الدين وأمتع]

٦) [بطول بقائه] أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلا كلمته

٧) مـ[ولى](؟) أمير المؤمنين رضى الله عنه وأرضاه وجعل

٨) الجنة [مـ]ثواه وحشره مع مواليه الطاهرين أئمة

٩) دينه وهداه ابتغاء ثواب الله تعالى وما وعد به من جزيل

١٠) الأجر وذلك في شعبان سنة خمس عشرة وخمسمائة[١].

وفي إطار سياق هذا النص يتضح أن تجديد عمارة المسجد وربما تحويله إلى مسجد جامع كان على يد الأفضل شاهنشاه وزير الآمر بأحكام الله والذي كانت له اهتمامات كبيرة بالإنشاء والعمارة بأنماطها وأنواعها المختلفة، وإذا كان الأفضل شاهنشاه قد قتل في رمضان عام ٥١٥هـ/١١٢١ عن عمر يناهز سبعًا وخمسين سنة فإن تجديده لهذا المسجد يعتبر آخر عمل معماري من أعماله الكبيرة التي سبقت الإشارة إليها.

ويلاحظ أن النص يصف الجامع أيضاً بصفة "المبارك" وهي صفة تكررت في نصوص إنشائية أو تجديدية عديدة في العصر الفاطمي سبقت الإشارة إليها، ويلي

---

(١) فرج حسين فرج: المرجع السابق ص ٣٠٩-٣١٠.

كلمة المبارك كلمة قرأها الباحثون "الحروى" وهي قراءة لا تتسق والسياق كما أنها لا تفيد معنى ولم يرد مثلها في أي نص تأسيسي أو تجديد سابق أو لاحق،ومن ثم فإن محاولة قراءة هذه الكلمة على أنها "الجروى" ربما تكون قراءة جديدة ذات معنى، فكلمة "الجروى" تعنى الصغير على وجه العموم(١)،ويتفق هذا مع صغر مساحة هذا المسجد.

وقد نقش في ظهر هذا اللوح الذي يشتمل على نص التجديد المذكور، والإشارة إلى أن المبنى أصبح جامعاً نص إنشاء آخر يرجع إلى ٥٣١هـ/ ١١٣٠م أي بعد حوالي ستة عشر عاماً من التجديد الذي أشار إليه النص الأول، لكن هذا النص يشير إلى إنشاء "مسجد" على يد الخليفة الحافظ لدين الله سنة ٥٣١هـ وهو أمر يسترعى الانتباه الذي يؤدى إلى طرح تساؤل مهم وهو هل هذا اللوح الذي نقش عليه هذا النص والذي يتضمن في وجهه الآخر نص التجديد السابق هو لنفس المبنى أو أنه يخص مسجد آخر غير الجامع الذي يشير إليه النص السابق وبخاصة وأن النقش ينصب على الإنشاء الذي يعنى الإنشاء الجديد الكامل، ويحتمل أيضاً التجديد لكن الفارق الزمني بين تاريخ النقشين يجعل هذا الاحتمال ضعيفاً إلى حد كبير، ويرجح التفسير بأن هذا المسجد أنشئ إنشاءً جديداً(؟)، وإذا صح هذا التفسير فإن تساؤلاً آخر يطرح نفسه وهو هل هذا المسجد الذي أنشئ على يد الخليفة الحافظ لدين الله أنشئ في موضع الجامع الذي جدده الأفضل شاهنشاه؟ والراجح أن ذلك هو الذي حدث وبخاصة وأن نص الإنشاء الذي تم على يد الخليفة الحافظ نقش على نفس اللوح الذي كان عليه نص التجديد ويبقى تأكيد ذلك مرهوناً بإجراء تنقيبات في موضع مسجد موسى.

---

(١) ابن منظور (أبو الفضل جمال محمد بن مكرم) لسان العرب، دار صادر، بيروت، مجلد ١، ص ٦١٠ مادة جرو.

ويمكن أن تفسر كلمة الجروى على أنها بمعنى القروي سما وأن قلب القاف جيماً وارد في اللغة العربية قديماً وحديثاً.

ونص إنشاء الحافظ لدين الله لمسجد موسى في سبعة سطور بـالخط الكـوفي نصها:

١) [بسم الله] الرحمـ[ـن] الرحيم ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ

٢) [ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ] وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَقَامَ [ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى]

٣) ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ [ٱلْمُهْتَدِينَ] ﴾ (١)

٤) أنشأ هذا المسجد المبارك مولانا [وسيدنا]

٥) الإمام الحافظ لدين الله [أمير المؤمنين صلوات]

٦) الله وعلى أبا[ئه] الطاهر[ين وأبناء]

٧) الأكرمين صلاة دائمة إلى يوم الدين

٨) وذلك في شهور أحد وثلثين وخمسمائة

ويلفت الانتباه في هذا النص أن يحدد أن المبنى أنشئ ليكون "مسجداً" ولـيس مسجداً جامعاً، وهو ما يعنى تغيراً في وظيفته المنشأة عادت بعد إعادة بناء المسجد على يد الخليفة الحافظ إن صح أنه بنى في موضع الجامع المشار إليه فـي الـنص الأول، وهو تغيير يعود بالوظيفة إلى سابق عهدها في عهد الإخشيد. أمـا إن كـان المبنى قد أنشئ مستقلاً عن الجامع الذي أشار إليه النص الأول وهو احتمال ضعيف كما سبقت الإشارة فإن هذا المبنى يدخل في إطار المساجد الفاطمية ويمثل نموذجـاً للمساجد الفاطمية.

كما يلفت الانتباه في صياغة هذا النص أنه لا يتضمن اسم الوزير الذي عاصـر الإنشاء إن كان ثمة وزير في هذه الفترة(؟)،ويذكر المقريزى أحـداث هـذه الفتـرة فيقول "قام بهرام وأخذ الوزارة في سنة تسع وعشرين (وخمسمائة) وكان نـصرانياً فاشتد في ضرر المسلمين من النصارى، وكثرت أذيتهم فسار رضوان بن ولخـشى وهو يومئذ متولي الغربية وجمع الناس لحرب بهرام وسار إلى القـاهرة، فـانهزم

(١) قرآن كريم، سورة التوبة، آية رقم ١٨.

بهرام ودخل رضوان القاهرة واستولى على الوزارة في جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين فأوقع بالنصارى وأذلهم فشكره الناس إلا أنه كان خفيفاً عجولاً فأخذ في إهانة حواشي الخليفة وهم بخلعه وقال ما هو بإمام وإنما هو كفيل لغيره وذلك الغير لم يصح فتوحش الحافظ منه وما زال يدبر عليه حتى ثارت فتنة انهزم فيها رضوان وفر إلى الشام فجمع وعاد في سنة أربع وثلاثين فجهز له الحافظ العساكر لمحاربته، فقاتلهم وانهزم منهم إلى الصعيد فقبض عليه واعتقل فلم يستوزر الحافظ أحداً بعده"[1].

وفي إطار هذا السياق يتضح أن الوزير بهرام كان وزيراً في ١١ جمادى الأولى سنة ٥٣١هـ/ ١١٣٦م وخلفه رضوان في الوزارة في المدة من ١١ جمادى الأولى سنة ٥٣١هـ حتى ١٤ شوال سنة ٥٣٣هـ[2]. ونص الإنشاء لم يحدد الشهر الذي أنشئ فيه المسجد، فإذا كان الإنشاء قد تم في أحد الشهور الأولى من سنة ٥٣١هـ التي كان فيها بهرام وزيراً فإن عدم ذكر اسمه في النص يرجع إلى أنه كان وزيراً نصرانياً ولم يكن من المناسب ذكر اسمه في نص إنشاء المسجد وإن كان إنشاء المسجد قد تم بعد النصف الأول من جمادى الآخرة يكون عدم ذكر اسم الوزير في النص بسبب الخلاف الذي ساد بين الخليفة الحافظ ووزيره ويبرز هذا الخلاف عدم ذكر اسم وزيره رضوان في نص الإنشاء بل إن النص في هذه الحالة يعكس مدى هذا الخلاف وقوة الحافظ لدين الله بل ورغبته في الإشارة إلى عدم اكتراثه بوزارة رضوان بن ولخشي.

الوصف المعماري لبقية عناصر المسجد:

كان المسجد مبنياً بالطوب اللبن،ولم يتبق منه سوى قطاع من جدار القبلة، يتضح منه أن المسجد كان مكوناً من مستويين،ويشير إلى ذلك وجود تجويف لحنية

---

(١) المقريزي: خطط جـ٢ ص ٣٥٧، محمد المناوي: المرجع السابق ص ٢٧٣.

(٢) محمد حمدي المناوي،الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي،دار المعارف،بدون تاريخ،ص ٢٧٩.

محراب الدور الثاني في أعلى جدار القبلة على محور المحراب في المستوى الأول، وقد ذكر كريسويل أن وجود محرابين في منشأة بمستويين كما هو الحال في هذا المسجد وجد في قبر لوليا بنت المقوقس Lulia Bint Al- Muqauqis بجوار مشهد الجيوشى[1]. ويقصد بذلك مسجد اللؤلؤة.

وبذلك يتضح أن هذا المسجد كان مميزاً في وجود هذا الشكل المعماري ذي المستويين للمساجد وهو شكل ربما ارتبط بخصوصية هذا المسجد الذي أنشئ بجوار مزار مهم زادت زيارته والاهتمام بها في العصر الفاطمي وهو الأمر الذي انعكس في الاهتمام بعمارته في العصر الفاطمي .

(١) Creswell Abrief Chronology of the Mohammedan Monuments of Egypt to A.D. 1597, Le Caire Imprimeire De L'Institut Francais D' Archeology Oriental, 1919 pp. 58-59.

جامع العطارين بالإسكندرية

٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م

بالرغم من أن الإسكندرية منذ الفتح الإسلامي فقدت أهميتها كعاصمة لمصر إلا أنها ظلت من المدن المصرية الرئيسية باعتبارها الثغر الرئيسي على البحر المتوسط، وكان جامع العطارين من أقدم مساجد الإسكندرية وكان قائماً في سوق العطارين، فعرف به غير أن عوادي الزمن اعتدت عليه فخربته[١]، ولم يتبق من عناصره الفاطمية سوى نص تأسيسه. لكنه جدد على يد الخديوي عباس حلمي الثاني عام ١٣١٩هـ/١٩٠١ وبنيت له مئذنة رشيقة كما بنيت واجهاته بالحجر وحليت بالمقرنصات والكتابات في إطار اهتمام الخديوي عباس بإحياء الطراز الإسلامي في كل أعماله.

وقد ارتبط تاريخ هذا الجامع بأحداث العصر الفاطمي وبخاصة في عهد بدر الجمالي الذي تمرد عليه ابنه أبو الحسن الملقب بمظفر الدولة، وهو الابن الأكبر لأبيه وأعلن عليه الثورة ودعمه جماعة من العسكريين والعربان وتحصن بالإسكندرية وكان بدر الجمالي قد جعله والياً عليها.

وخرج بدر الجمالي لإخماد ثورة ابنه في عام ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤ودخل الإسكندرية وقضى على التمرد وقبض على ابنه وأثناء تواجده بالإسكندرية أمر بعمارة جامع العطارين"من أموال أخذها من الإسكندرية وفرغ منه في شهر ربيع الأول" [٢].

وقد بقى من عمارة هذا الجامع في العصر الفاطمي نصان يسجلان تجديد عمارة هذا الجامع على يد بدر الجمالي أحدهما نقل إلى متحف مدينة ميسين في القرن ١٩م وهو عبارة عن لوح من الرخام قياسه ١٩٠ × ٥٤ سم ونقش نصه بالخط الكوفي

---

(١) حسن عبد الوهاب: المرجع السابق، ص ٦٧.

(٢) ابن ميسر: المصدر السابق ص ٤٦، المقريزى: اتعاظ جـ٢ ص ٣٢١.

البارز في خمسة سطور وقام لانس Lanci بنشر النص كما كان لاماري Lamari محاولة أخرى لنشره مصححا قراءة لانس ثم كانت محاولة فان برشم وبخاصة السطر الرابع وانتهي إلى قراءة جديدة للنص لكنها لم تكن صحيحة تماماً حتى تم تصحيحها في ضوء العثور على النقش الثاني الذي يتطابق نصه إلى حد كبير جداً مع النقش المذكور واستطاع فييت قراءة النص بصورة صحيحة كما يلي:

١) بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى

٢) ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[١] مما أمر بإنشائه السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر

٣) الإمام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبو النجم بدر المستنصرى عند

٤) حلول ركابه بثغر الإسكندرية ومشاهدته هذا الجامع خراباً فرأى بحسن ولائه ودينه

٥) تجديده زلفاً إلى الله تعالى في ربيع الأول سنة سبع وسبعين وأربع مائة.

أما النقش الثاني فقد عثر عليه في أحد الحواصل بجامع العطارين وهو عبارة عن لوح من الرخام قياسه ٢,١٧ متر × ٤٠ سم ثبتت حالياً على قاعدة مئذنة الجامع في الجانب الشرقي ونصه في خمسة سطور محفورة حفراً غائراً على عكس النص السابق الذي نقش بأسلوب الحفر البارز وهو أمر ساعد على احتفاظ النص بشكل الأصلي الذي ساعد بالتالي مع قراءته بسهولة وتصحيح النص السابق ونص هذا النقش كما يلي:

١) بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ [وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ]

---

(١) قرآن كريم سورة التوبة آية ١٨.

٢) ﴿ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ مما أمر بإنشائه[1] السيد الأجل أمير الجيوش سيف إسلام (هكذا) ناصر

٣) الإمام كامل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبو النجم بدر المستنصرى عند

٤) حلول ركابه بثغر الإسكندرية ومشاهدته هذا الجامع خراباً فرأى بحسن

٥) ولاته ودية (هكذا)[2] تجديده زلفا إلى الله تعالى وذلك في ربيع الأول سنة سبع وسبعين وأربعمائة[3].

ويلاحظ أن الاختلاف بين كلمات النص ينحصر في وجود كلمة"ذلك" في النص الذي بالجامع وعدم وجودها في النص الذي نقل لمتحف ميس، أما الاختلاف في توزيع الكلمات على السطور فقائم حيث يتضح ذلك في وجود كلمة أتى في السطر الأول في النقش الأول للنهاية من النقش الثاني في بداية السطر الثاني، كما أن كلمتي ولاته ودينه في السطر الرابع في النقش الأول نقشها في السطر الخامس في النص الثاني، وارتبط ذلك بالطبع بالمساحة المتاحة لكل نقش، ولاختلاف أسلوب الحيز في كل نقش فالنقش الأول بارز- كما ذكرنا- أما النقش الثاني غائر.

ويكشف هذا النص بوضوح عن أن جامع العطارين كان قائماً قبل تجديد بدر الجمالي له وهو أمر يردنا إلى اهتمام بدر بالمساجد الجامعة في البلاد المصرية باعتبار أهمية توصيفها كمراكز للدعوة الشيعية وتؤكد ذلك ما فعله صلاح الدين عندما نقل من هذا الجامع إلى جامع آخر بناه بالإسكندرية[4].

ومن طريف ما يذكر أن بدر الجمالي عندما أعاد إعمار هذا الجامع كان ذلك بأموال جمعها من أهالي الإسكندرية ولم يأخذها له بل وجهها إلى عمارة الجامع،

---

(١) صحتها الإسلام.

(٢) صحتها دينه.

(٣) للاستزادة راجع فرج حسين فرج، المرجع السابق ص ص ٢٢٢-٢٣٢.

(٤) ابن ميسر، المصدر السابق ص ٤٦.

ويكشف هذا العمل على سلوك جديد لبدر الجمالي في توجيه الأموال وتدبيرها لعمارة الجوامع ربما يكون فيه مثال لتوجيه العامة لأتباعه كما أن فيه تهدئة لنفوس الإسكندريين بعد أن أبان لهم اهتماماً خاصاً بعمارة مسجدهم الجامع.

ومن اللافت للانتباه أيضاً أن عمارة الجامع على يد بدر الجمالي لم تستغرق أكثر من ثلاثة شهور فقد ذكر ابن ميسر أنه في "سنة سبع وسبعين وأربعمائة فيها خرج الأوحد بن أمير الجيوش بدر على أبيه واجتمع معه من العسكر والعربان، وتحصن بالإسكندرية فسار إليه أبوه حتى دخل إليها وقبض على ولده وابتنى بها الجامع المعروف بالعطارين من أموال أخذها من السكندرانيين وفرغ منه في شهر ربيع الأول، ولم تزل الخطبة منه حتى ملك صلاح الدين يوسف فنقل الخطبة منه إلى جامع بناه"[١].

وبالرغم من وضوح وصراحة ما ذكره ابن ميسر من تاريخ الانتهاء من عمارة الجامع وما ورد في النقش الذان يؤرخان لعمارة الجامع على يد بدر الجمالي عام ٤٧٧هـ/١٠٨٤ تحديداً إلا أن ابن خلكان والمقريزى ذكر أن الجامع كان الفراغ منه كان في سنة تسع وسبعين وأربعمائة[٢]. وفي الغالب فإن الاختلاف في التأريخ راجع إلى خطأ في نسخ كلمة سبع فنسخت "تسع" ويرجح ذلك اتفاق رواية ابن ميسر ورواية ابن خلكان في الشهر وهو ربيع الأول "وكذلك المقريزى الذي ذكر اسم الشهر "ربيع" ولم يحدد أن كان الأول أو الآخر، كما يزيد هذا الترجيح قوة أن أعمال بدر في الجامع كانت في إطار التجديد وليس في الإنشاء من الأصل والتجديد يستغرق وقتاً أقل من الإنشاء.

---

(١) ابن ميسر، المصدر السابق ص ٤٦.

(٢) ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر ٦٨١هـ/ وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، دار الثقافة، لبنان، بيروت جـ٢ ص ٤٥،

المقريزى: اتعاظ الحنفا، جـ٣ ص ٢٣١

جامع الغمري بالمحلة الكبرى

يعتبر هذا الجامع من أقدم المساجد الجامعة بالمحلة الكبرى، وقد تم تجديده ولم يتبق من آثار عمارته في العصر الفاطمي سوى نقش يرجع إلى عهد بدر الجمـــالي، وهذا النص منقوش على لوح رخامي مربع الشكل قياس ضلعه ٦٠ سـم والـنقش بالخط الكوفي البارز، والنص في ثمانية سطور ومحيت بعض أجزاء السطر الثالث. أما السطران الرابع والخامس فقد محيا ويبدو أن محوهما كان عن قصد إزالة اســم الخليفة المستنصر وجزء من الدعاء الشيعي والذي كان يتضمن الصلاة عليه وهــو أمر لا يقره أهل السنة، ونص النقش:

١) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ

٢) ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ

٣) [وَلَمْ] .... أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[1]

٤) ....

٥) ....

٦) [و]على آبائه الطاهرين وأبناه الأكرمين السيد الأ[جل]

٧) [أ]مير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل

٨) [قضاة المــ]سلمين وهادى دعاة المؤمنين أبو النجم بدر

ومن خلال ما بقى من هذا النص لا يمكن أن نحدد ما إذا كان نـص إنـشاء أو تجديد أو غير ذلك، كما يلاحظ أن النص لا يتضمن تاريخاً وربما فقد الجزء الأخيـر منه والذي يتضمن غالباً تاريخ النقش ولكن في ضوء مـا ورد مـن ألقـاب لبـدر الجمالي يمكن تاريخ النقش في المدة المحصورة بين ٤٧٠هــ/ ١٠٧٧م التي لقـب فيها بدر الجمالي بلقبي كامل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين وبين سنة وفاته ٤٨٧هــ/١٠٩٤م.

---

(١) قرآن كريم: سورة التورة. أية رقم ١٨.

كما عثر في الجامع على نقش فاطمي اخر يشير إلى تجديد معماري بالجامع على يد الأفضل شاهنشاه عام ٥٠٨هـ/ ١١١٤م وهذا النقش على لوح من الرخام قياسه ٥٠×١٠٠ سم وهو مثبت على يمين المحراب بالجامع، ونقش بالخط الكوفي الغائر في ثمانية سطور نصها:

١) بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر

٢) وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولـ[ـئـ]ـك أن يكو

٣) نوا من المهتدين(١) مما أمر بعمله السيد الأجل الأفضل أمير الجيوش

٤) سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤ

٥) منين عضد الله بن الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام

٦) [كلمته و] انفذ في البسيطة أوامره و [أ] حكامه على يد عبده ومـ[ـمـ]ـلوكه القاضي

٧) .... أبو الفتح المسلم بن علـ[ـى بن] الحسن الرصعنى [متـ]ـولى الحكم الشريف

٨) ...... الغربية في المحرم سنة ثمان وخمسمائة(٢).

ويكشف هذا النص عن الوضع السياسي الذي كان الوزراء في النصف الثاني من العصر الفاطمي يتمتعون به فقد ذكر الوزير اسمه في النصوص ولم ترد الإشارة إلى اسم الخليفة الآمر بل إن صياغة النص أكدت على قوة الوزير التي في ظلها تتحقق المنعة للخليفة.

كما يؤكد النقش على أن إعمار المساجد كان من مهام القضاة وهو أمر سبقت الإشارة إليه نقوش فاطمية أخرى، كما أكدت عليه المصادر التاريخية فقد ورد في النص اسم قاضى ولاية الغربية الذي أشرف على تجديد عمارة الغمرى بالمحلة الكبرى، إحدى مدن هذه الولاية المهمة ويدعى على بن الحسن الرصعنى.

---

(١) قرآن كريم: سورة التوبة أية رقم ١٨

(٢) فرج حسين فرج: المرجع السابق ص ص ٣٠٥-٣٠٦.

تجديد جامع سيدي عبد الله الشريف

المعروف «أبو المعاطى» بدمياط

اهتم الفاطميون بعمارة المساجد القديمة في مدن الأقاليم، ومن هذه المساجد "جامع أبي المعاطى" في مدينة دمياط التي تعتبر من أهم الموانى المصرية على شاطئ البحر المتوسط، وكان لها دور بارز في النشاط التجاري في العصور الوسطى، خصوصًا أن البضائع والسلع كانت تنتقل منها وإليها عبر فرع النيل الواصل إليها من القاهرة وما سبقها من عواصم مصر الإسلامية. وقد اهتم الفاطميون بهذه المدينة باعتبار هذه الأهمية فأنشئوا بها داراً لصناعة السفن(١).

ويعتبر جامع سيدي عبد الله الشريف المعروف بجامع أبي المعاطى من أهم المساجد التي أعاد عمارتها الفاطميون بالمدينة،ويقع هذا الجامع في شرقي مدينة دمياط.

وقد أشار المقريزى إلى عمارة الفاطميين لهذا الجامع، فذكر أن "بدمياط جامع من أجل مساجد المسلمين تسميه العامة مسجد فتح وهو المسجد الذي أسسه المسلمون أول ما فتح الله أرض مصر على يد عمرو وعلى بابه مكتوب بالقلم الكوفي أنه عمر بعد سنة خمسمائة من الهجرة وفيه عمد الرخام منها ما يعز وجود مثله وإنما عرف بجامع فتح لنزول شخص يقال له فاتح به، فقالت العامة: جامع فتح وإنما هو فاتح بن عثمان الأسمر التكرورى قدم من مراكش إلى دمياط على قدم التجريد..."، ويستطرد المقريزى ليذكر أن هذا الرجل أقام بالجامع المذكور في "وكر بأسفل المنارة" وعاش حياة المتصوفة، كما يشير إلى أنه "أخذ في ترميم الجامع وتنظيفه بنفسه.. وأنه ساق الماء إلى صهاريجه،وبلط صحنه وسبك سطحه بالجبس وأقام فيه وكان قبل ذلك في حين ضربت دمياط لا يفتح إلا في اليوم الجمعة فرتب

---

(١) حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص ٥٨٢.

فيه إماماً راتباً يصلى الخمس وسكن في بيت الخطابة..."[1].

وفي إطار ما ذكر المقريزى تتضح بعض الملامح المعمارية لهذا الجامع فقد كان له منارة، ويتوسط صحن تطل عليه الأروقة لكن اللافت للانتباه هو الإشارة إلى "بيت الخطابة" ولا يمكن تحديد تاريخ هذه الوحدات، فيمكن أن يكون سابقة على العصر الفاطمي،ويحتمل أن تكون من بين تجديدات الفاطميين بالمسجد، كما يمكن أن تكون لاحقة على العصر الفاطمي في الفترة الأيوبية أو المملوكي، خصوصًا أن الشيخ فاتح المذكور توفي عام ٦٩٥هـ/١٢٩٥م[2]، كما يذكر المقريزى أن المسجد جدد في مراحل لاحقة[3].

ولكن الجزء الباقي المؤكد نسبته إلى العصر الفاطمي هو تلك الألواح الخشبية التي نقلت إلى متحف الفن الإسلامي بالقاهرة[4]، ويبلغ عرض كل لوح من هذه الألواح ٢٣ سم أما طولها فيبلغ ٢٥ متراً وكانت هذه الألواح مثبته على جانبي باب الجامع من الناحيتين الشرقية والشمالية الغربية، وقد نقش على هذه الألواح بالخط الكوفي الفاطمي نص يشير إلى عمارة الجامع في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله،ونص هذه الكتابات: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[5]. أمر بعمارة هذا الجامع المبارك إمام العصر والزمان على ذكره السلام مولانا وسيدنا المنصور أبى على الإمام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين صـ[ـلوات] الله [عليه] وعلى آبائه الطاهرين الأئمة الراشدين وأبنائه الأكرمين صلاة دائمة إلى يوم الدين في رجب سنة إحدى وعشرين وخمسمائة".

---

(١) المقريزى: خطط جـ١ ص ٢٢٤- ٢٢٥.

(٢) المقريزى: خطط جـ١ ٢ ٢٢٦.

(٣) سعاد ماهر، المرجع السابق، ص ٢٤٧.

(٤) سجل رقم ٤٣٨٩.

(٥) قرآن كريم، سورة التوبة، آية رقم ١٨.

وتكشف صياغة ألقاب الخليفة الآمر في هذا النص وعبارة الدعاء له بما نصه "إمام العصر والزمان على ذكره السلام مولانا وسيدنا المنصور أبو على الإمام الآمر بأحكام الله" عن أن هذه الصياغة مقصودة الإعلام بها فهي تؤكد على أحقية الإمام المستعلي بالله للإمامة وهي التي خلفه فيها الآمر عكس ما ينادى به النزارية الذين نادوا بإمامة محمد بن نزار[1]، وبطلان إمامة المستعلي وبالتالي الآمر من بعده.

ويتضمن هذا اللقب "إمام العصر والزمان" في نص تجديد عمارة جامع في مدينة إقليمية لها أهميتها الخاصة باعتبارها ميناءً رئيسيًا في هذا العصر يكشف عن أن الخليفة الآمر بأحكام الله استغل كل فرصة مناسبة ليؤكد على حقيقة أحقية والده المستعلي وأحقيته في الإمامة والخلافة، من الملاحظ أن تاريخ هذا النقش كان بعد الأحداث التي أكد فيها من خلال البرهان بشهادة عمته أحقية والده المستعلي بالإمامة دون محمد بن نزار[2]. وهو ما يكشف عن أن تأكيد هذه الأحقية كان من خلال منظومة من الأفعال منها ما هو متصل بخاصة الأسرة الفاطمية، ومنها ما هو موجه للعامة في العاصمة القاهرة وفي مدن الأقاليم أيضاً.

ففي العاصمة وعلى واجهة الجامع الأقمر ورد في النص الثاني على الواجهة عبارة "ولإقامة البرهان" ويرجح أحد الباحثين[3] وهو ترجيح صحيح أن هذه العبارة تتضمن إشارة إعلامية إلى برهنة الخليفة الآمر بأحكام الله على صحة إمامة والده المستعلي وبالتالي صحة أحقيته في الإمامة من بعده، وعدم أحقية نزار وابنه محمد في الإمامة.

ثم يأتى نص جامع عبد الله الشريف "جامع أبي المعاطى" في سنة ٥٢١هـ/١١٢٧م تأكيداً آخر على أحقية الآمر في الإمامة ومن قبله والده المستعلي

---

(١) فرج حسين: المرجع السابق، ص ٣٣٦.

(٢) جمال الدين الشيال: مجموعة الوثائق الفاطمية،وثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى ٢٠٠٢، ص ٥٦-٧٧، ٢٠٧-٢٢٩.

(٣) فرج حسين فرج: المرجع السابق، ص ٦٣٥.

ولكن تأكيده في هذه المرة بصيغة أقوى وأكثر صراحة فهو في هذه الصيغة "إمـــام العصر والزمان".

ويلاحظ أيضاً أن هذا النص يقتصر على اسم الخليفة الآمر بأحكـــام الله دون أي إشارة لوزير ويتوافق هذا مع ما أشارت إليه المصادر والدراسات التاريخية مـــن أن "الآمر تفرع لنفسه وبقى بغير وزير"(١).

---

(١) المناوى: المرجع السابق، ص ٢٧٥.

المساجد الفاطمية بجنوب سيناء

ورد نقش مهم على كرسى شمعدان فاطمي عمل لإضاءة جامع دير سانت كاترين يشير إلى عدة مساجد ومساجد جامعة أنشئت في القطاع الجنوبي من شبه جزيرة سيناء، وقد ورد في هذا النقش ما نصه "بسم الله الرحمن الرحيم مما أمر بعمل هذا (هكذا) الشمع والكراسي المباركة والجامع المبارك الذي بالدير الأعلى والثلاث (هكذا) مساجد الذي فوق مناجاة موسى عليه السلام والجامع الذي فوق جبل فاران والمسجد الذي تحت فاران الجديدة والمنارة التي بحصن الساحل الأمير الموفق المنتخب منير الدولة وفارسها أبو منصور أنوشتكين الآمري.

ويتضح من هذا النص أن أنوشتكين الآمري أنشأ مسجدين جامعين ومسجد فروض والمسجد الجامع الأول بالدير الأعلى وهو دير سانت كاترين الذي بنى على سفح جبل موسى على ارتفاع ٥٠١٢ قدماً عن ديري الطور وفاران[(١)]، كما أنشأ ثلاثة مساجد أخرى أحدها فوق "مناجاة موسى" أي جبل موسى الذي ناجى من عليه موسى عليه السلام ربه، بجوار كنيسة المناجاة وقد أجريت حفائر مؤخراً في موقع المسجد والكنيسة[(٢)]. ومسجد جامع بجبل دير فاران والذي يعرف بجبل المحرض بمنطقة فاران أو فيران[(٣)]. أما المسجد الثالث فيقع تحت فاران الجديدة أى في وادي فيران أو داخل واحة فيران، ولم يتبق من هذين الجامعين والمسجدين سوى جامع دير سانت كاترين.

---

(١) أحمد عيسى: المسجد الفاطمي بدير القديسة كاترين بسيناء، مجلة كلية الآداب بسوهاج، العدد ٢٤، الجزء الأول ٢٠٠١، ص٨٧.

(٢) أحمد عيسى: المرجع السابق ص ٨٨.

(٣) أحمد عيسى: المرجع السابق ص ١٨.

جامع دير سانت كاترين

يقع هذا الجامع في الجانب الشمالي الغربي من المنطقة التي تشغلها عمائر الدير ، ويشغل ساحة الصلاة فيه مساحة تبلغ ٧٢,٦٧ متراً مربعاً ويتوصل إلى ساحة الصلاة بالجامع من مدخل يتوسط الواجهة الشمالية عبارة عن فتحة باب مستطيلة الشكل يبلغ اتساعها ١,٢٥ متر بينما يبلغ ارتفاعها ٢,٧ متر ويعلوها عتب خشبي يعلوه وعلى محوره نافذة صغيرة مستطيلة الشكل لها شباك جديد من خشب الخرط، ويكتنف المدخل من الجانبين الشمالي الغربي نافذتان متشابهتان يبلغ اتساع كل منهما ١,١٨ متر ويعلو كلا منهما عتب خشبي.

والمسجد من الداخل يشغل مساحة طول ضلعها الجنوبي ٩,٨٨ متراً بينما يبلغ طول ضلعها الشمالي ١٠,٢٨ متر ويبلغ طول ضلعها الشرقي ٧,٣٧ متر ويبلغ طول ضلعها الغربي ٧,٠٦ متر وتحمل سقف المسجد بائكتان عموديتان على جدار القبلة يتكون كل منهما من عقدين بالإضافة إلى بائكة موازية لجدار القبلة تتكون من ثلاثة عقود من النوع نصف المستدير، ويلاحظ أن العقود مبنية بالحجر.

ويوجد بجدار القبلة ثلاثة محاريب أوسطها أوسعها حيث يبلغ اتساع واجهته ٢,١٠ متر وارتفاعه ٣,٣٥ متر وعمق حنيته ٩٥ سم، ويتوج حنية المحراب طاقية يتقدمها عقد فاطمي منكسر وقد زخرف القطاع السفلي من حنية المحراب هذه كسوة رخامية من رخام الخردة، متعدد الألوان ويبدو أنها بجباتة في العصر المملوكي[1].

أما حنيتا المحراب الأخريان فيلاحظ أن حنية المحراب الغربي يبلغ اتساعها ٧٥سم وعمقها ٥٠ سم وارتفاعها حتى مستوى رجل العقد الذي يتقدم طاقية المحراب ٢,١٠ متر وارتفاعها حتى نهاية الطاقية ٢,٨٣ متر ويلاحظ أن طاقية هذا المحراب ذات ضلوع إشعاعية وهو أسلوب زخرفي شاع استخدامه في العمارة الفاطمية في القرن ٦هـ/١٢م.

---

(١) أحمد عيسى، المرجع السابق، ص ٧٥.

أما المحراب الشرقي فيبلغ اتساعه حنية ٨٣سم وعمقها ٥٠ سـم وارتفاعهـا حتى قمة العقد الذي يتقدم طاقية المحراب ٢,٦٧م وطاقية هذا المحـراب مزخرفـة أيضاً بضلوع إشعاعية كتلك التي في المحراب الغربي.

المنبر:

وعلى يمين المصلى في المحراب منبر خـشبي يبلـغ طـول قاعدتـه ٢,٤٧م وعرضها ٩٥ سم وارتفاع في القطاع الخلفي ٢,٤٠ متر وارتفاع بابـه ٢,٦٣متـر وقد زخرفت حشوات المنبر بزخارف نباتية جميلة[١]، ويوجد على باب المنبر نقـش كتابي بالخط الكوفي في ستة أسطر نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك ولـه الحمـد يحيى ويميت بيده الخير وهو على

كل شئ قدير نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه أبى على المنصور الإمام الآمر بأحكام الله.

أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المنتظرين أمـر بإنشاء هذا المنبر السيد الأجل الفضل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة

المؤمنين أبو القاسم شانشاه (هكذا) عضد الله به الدين (أمتع بطول بقائه) أمير المؤمنين وأدام

قدرته وأعد كلمته وذلك في شهر ربيع الأول سنة خمس ماية أثق بالله

ويلاحظ أن الجدار الشرقي للمسجد يمتد في اتجاه الشمال ليتصل ببناء المئذنـة والتي يتوصل إليها من فتحة باب في الجانب الغربي يبلغ اتساعها ٨٥سم وارتفاعها ١,٣متر تشغل مساحة مقاسها ٣×٣,٥ متر وتتكون من طابقين يستدقان كلما ارتفع البناء والطابق الأول مبنى بالحجر الجرانيتى غير المروم.

---

(١) للاستزادة، راجع أحمد عيسى، المرجع السابق، ص٨٦.

ويضئ سلم المئذنة من فتحات نوافذ مزغلية الشكل فتحة بالجانب الغربي أسفل الشرفة مباشرة واثنتان في الجانب الشرقي، كما يلاحظ وجود فتحتين أخريين سدتا الآن، كما يوجد بالجانب الجنوبي نافذة أسفل الشرفة، وبالجانب الشمالي ثلاث نوافذ ويتوج الطابق الأول شرفة المؤذن محمولة على كوابيل خشبية مثبتة في الجدران وللشرفة سياج خشبي، أما الطابق الثاني فيلاحظ أنه مربع المسقط ويبلغ طول ضلعه ٢,٥٥ متر وهو أقل ارتفاعاً من الطابق الأول ويوجد في جانبه السفلي في الجهة الغربية فتحة الباب التي تؤدى إلى الشرفة، ويتوج هذا الطابق قبة صغيرة قطاعها نصف مستدير.

وفي إطار الوصف السابق يتضح أن هذا الجامع أنشئ مع جامع آخر ومسجدين في منطقة ديريه بجنوب سيناء سكنها المسيحيون منذ القرن ٣ م وبدأ توطن الرهبان بها منذ القرن الرابع الميلادي.

ويحاول بعض الباحثين تفسير سبب بناء هذا الجامع في هذا الدير، والحقيقة أنه بعد الفتح الإسلامي لمصر أسلم بعض القاطنين في منطقة الدير وممن كانوا يقومون بخدمته، وبخاصة أفراد القبائل التي عرفت بالجبالين نسبة لجبل موسى.

كذلك كانت تمر قوافل الحجيج المصري المارة عبر طرق سيناء الجنوبية إلى شبه الجزيرة العربية بمنطقة الدير وهو أمر تطلب وجود مساجد بها لأداء فريضة الصلاة، ويؤكد ذلك ما وجد به أحد محاريب المسجد من كتابات لهؤلاء العابرين[1].

وتكشف دراسة النقوش الكتابية على كرسى الشمع والمنبر من أن هذا المسجد أنشئ في الفترة المحصورة من سنة ٤٩٥هـ/ ١١٠١م وسنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م حيث ورد في نقش الكرسي ما يشير إلى نسبة أنوشتكين إلى الخليفة الآمر "أنوشتكين الآمرى" وإذا كان الخليفة الآمر قد تولى الخلافة في سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م فإن هذا التاريخ يحدد بداية الفترة التي يمكن أن يكون الجامع قد بنى فيها، كما أن نقش المنبر قد حدد تاريخ عمل المنبر بسنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م

---

(١) أحمد عيسى: المرجع السابق، ص ٧٨-٧٩.

وعمل المنبر في هذا التاريخ يعنى أن إنشاء الجامع كان قبل هذا التاريخ حيث جرت العادة بعمل المنبر بعد إنشاء الجامع، ولما كان البناء بسيطاً ولا يحتاج إلى وقت كبير لإنشائه فإن تاريخ البناء يمكن تحديده بصورة أدق في عام ٤٩٩هـ/١١٠٥م.

كذلك يلاحظ أن نقش المنبر قد أكد على شهادة التوحيد في صدره وأن التوحيد عقيدة الإسلام، التي يبدو أن كاتب النقش أراد إبرازها في هذا الجامع الذي يتوسط ديراً مسيحياً يؤمن الراهبون فيه بعقيدة التثليث.

كما يتضمن النص إشارة إلى التبشير بالنصر والفتح القريب للخليفة الآمر وهو أمر يعكس مرة أخرى أحداث الصراع على الإمامة ولكن هذا النص يومئ إليها بجلاء نقوش أخرى لاحقة على إنشاء الخليفة الآمر.

المصادر والمراجع العربية والأجنبية

القرآن الكريم.

ابن إياس (محمد بن أحمد ت ٩٣٠ هـ):

بدائع الزهور في وقائع الدهور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٤.

ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن ت ٨٧٤هـ):

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، بدون تاريخ.

ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل النصيبى ت ٣٨٠هـ/١٩٩٠م):

صورة الأرض ، دار الحياة.

ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد ت ٦٨١هـ):

وفيات الأعيان، تحقيق محيى الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٤٩.

ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى):

الانتصار لواسطة عقد الأمصار، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق العربية، نشر دار الآفاق العربية، بيروت د.ت.

ابن الربيع (شهاب الدين أحمد بن محمد ت ٢٧٢هـ/٨٨٥م):

سلوك المالك في تدبير الممالك على التمام والكمال، القاهرة.

ابن الزيات (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ناصر الدين الأنصاري ت ٨١٤هـ): الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة، مكتبة المتنبي، بغداد.

ابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ):

العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين وآخرون، القاهرة: نشر وطبع لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثالثة، جـ٦.

ابن عثمان (موفق الدين ت ٦٩٥هـ) :

مرشد الزوار إلى قبور الأبرار المسمى الدر المعظم في زيارة الجبل المقطم، تحقيق محمد فتحي أبو بكر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٩٤.

ابن المجاور:

صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستنصر لابن المجاور، نشر أوسلر لوفقرين- المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٩٨٦.

ابن منظور (أبو الفضل جمال محمد بن مكرم) :

لسان العرب، دار صادر، بيروت، مجلد ١.

ابن منكلى الناصري (٧٧٨هـ/١٣٧٦م) :

الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب، دراسة وتحقيق نبيل عبد العزيز، القاهرة، دار الكتب المصرية ٢٠٠٠.

ابن ميسر:

تاريخ مصر. مخطوط في المكتبة الأهلية بباريس، برقم ٨٠١.

أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م) :

الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق محمود حلمي أحمد محمد، لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٧٦، جـ١ ق ٢.

أبو المكارم (سعد الدين بن جرجس بن مسعود (١١٧٣-١٢٠٤م) :

تاريخ الكنائس والأديرة في القرن الثاني عشر. إعداد وتعليق الراهب صموئيل السرياني، د.م، د.ت.

أحمد بن يوسف التيفاشى (ت ٦٤١هـ/١٢٥٣م) :

كتاب الأفكار في جواهر الأحجار، تحقيق محمد يوسف حسن، محمد بسيونى خفاجى، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٧م.

إدريس عماد الدين (ت ٨١٢هـ/١٤٨٨م) :

تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب- القسم الخاص من كتاب عيـون الأخبـار تحقيق محمد اليعلاوى، دار الغرب الإسلامي، بيروت: لبنان، الطبعة الأولـى، ١٩٨٥.

الأدفوى: (أبو الفضل جمال الدين بن ثعلب ت ٧٤٨هـ):

الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تحقيق سعد محمد حـسن، الـدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٦.

أسامة بن منقذ:

المنازل والديار، تحقيق مصطفي حجازي، نشر دار سعاد الـصباح، القـاهرة ١٩٩٢.

البكري (أبو عبد الله بن عبد العزيز ت ٤٨٧هـ/١٠٩٧م) :

المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن،وأندرى فـرى. الـدار العربيـة للكتاب، تونس ١٩٩٢م،جـ٢.

التيجانى: (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد):

رحلة التيجانى تونس طرابلس ٧٠٦-٧٠٨هـ، قدم لها حسن حـسنى عبـد الوهاب، نشر الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس ١٩٨١.

الجبرتـى (عبد الرحمن) :

تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل، بيروت.

الداودى (السيد أحمد على الداودى الحسنى) :

عمدة الطالب في أنساب آل أبى طالب، تحقيق نزار رضا ، نـشر دار مكتبـة الحياة بيروت.

السخاوى (أبو الحسن نور الدين على بن أحمد) :

تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٦

السخاوي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن) :

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، القاهرة، مكتبة القدس، ١٣٥٣هـ.

السكري (على بن جوهر) :

الكوكب السيار إلى قبور الأبرار تحقيق ودراسة ونشر محمد عبد الستار عثمان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٢.

السمهودى (نور الدين أبو الحسن على بن عبد الله بن أحمد بن أبى الحسن على الشافعي(٨٤٤هـ/٩١١هـ-١٤٤٠م/١٥٠٥م) :

وفاء الوفا، طبع دار الآداب والمؤيد بمصر سنة ١٢٢٦ جـ٢.

الصيرفي(أمين الدين أبو القاسم على بن منجب بن سليمان ت٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) :

الإشارة إلى من نال الوزارة،تحقيق أيمن فؤاد السيد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٩٠.

الطبرسى (رضى الدين أبى نصر بن أمين الدين على فضل الله) :

مكارم الأخلاق، المطبعة الخيرية، القاهرة ١٣٠٥هـ.

القلقشندى (أحمد بن على ت ٨٢١هـ) :

صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة ١٩١٤.

المسبحى (محمد بن عبد الله) :

أخبار مصر بين سنتين ٤١٤هـ/١٤١٥ذهـ تحقيق وليم. ج، رميلور. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠.

المقدسي : (شمس الدين أبو عبد الله محمد ت ٣٨٧هـ) :

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم.

المقريزى(أحمد بن علي ت ٨٤٥ هـ) :

-المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار صادر- لبنان.

-اتعاظ الحنفا، أخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الشيال، القاهرة، جـ١.

-السلوك لمعرفة دولة الملوك، القاهرة، ط الكتب المصرية، جـ ١ القسم الثالث.

ناصر خسرو:

سفر نامة، ترجمة خالد البدلى، نشر عمادة شئون المكتبات بجامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٨١.

النوبختى (الحسين بن موسى ق٣ هـ) القمى (سعد بن عبد الله ق ٣هـ) :

كتاب فرق الشيعة، تحقيق عبد المنعم الحفنى، نشر دار الرشيد القاهرة ١٩٩٢م.

ياقوت الحموي (ت ٦٢٢ هـ) :

معجم البلدان. دار صادر، دار بيروت ١٩٨٥.

آمال العمرى، على الطايش:

العمارة في مصر الإسلامية (العصرين الفاطمي والأيوبي)، مكتبة الصفاء والمروة، الشرقية ١٩٩٩.

إبراهيم عامر:

تأثيرات معمارية وافدة على العمائر المملوكية بمدينة القاهرة، بحث بكتاب الملتقى الثالث لجمعية الآثاريين العرب، الندوة العلمية الثانية، دراسات في آثار الوطن العربي، القاهرة، ٢٠٠٠م.

أبو صالح الأرمني:

تاريخ الشيخ أبى صالح الأرمني، نشر. ايفينس وبكر طبعة أكسفورد OXFORD سنة ١٨٩٥.

أحمد عبد الرازق:

بيوت الفسطاط الأثرية، مجلة المتحف العربي، السنة الرابعة، العدد الأول، الكويت، ١٩٨٨.

أحمد عيسى:

المسجد الفاطمي بدير القديسة كاترين بسيناء، مجلة كلية الآداب بسوهاج، العدد ٢٤، الجزء الأول ٢٠٠١.

أحمد فكري:

مساجد القاهرة ومدارسها، دار المعارف، جـ١.

أسامة طلعت عبد النعيم خليل:

أسوار صلاح الدين وأثرها في امتداد القاهرة حتى عصر المماليك، ماجستير مقدم لكلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٢.

ل. أسيمينوفا:

تاريخ مصر الفاطمية، ترجمة وتحقيق حسن بيومي، نشر المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة سنة ٢٠٠١.

ألفريد لوكاس:

المواد والصناعات عند قدماء المصريين، ترجمة زكى اسكندر، محمد زكريا غنيم، مراجعة عبد الحميد أحمد، الطبعة الثالثة، القاهرة د.ت.

أماني عويس أمين:

منشآت الأمير سليمان أغا السلحدار، دراسة أثرية معمارية، ماجستير مقدمة لقسم الآثار الإسلامية ،كلية الآثار، جامعة القاهرة ١٩٩٤.

أنور عبد العليم:

الملاحة وعلوم البحار عند العرب، سلسلة عالم المعرفة،الكويت.

توفيق أحمد عبد الجواد:

معجم العمارة وإنشاء المباني، القاهرة، مؤسسة الأهرام ١٩٧٦م.

جمال الدين الشيال:

مجموعة الوثائق الفاطمية،وثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى ٢٠٠٢.

حسن إبراهيم حسن:

تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الرابعة، ١٩٨١.

حسن الأمير:

دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، بيروت ١٩٣٣، الطبعة الثانية.

حسن الباشا:

الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، دار النهضة العربية، ١٩٦٥.

حسن سليمان محمود:

الملكة أروى سيدة ملوك اليمن. دار الثناء للطباعة والنشر.

حسين محمد صالح، أحمد حسين عمر:

هندسة المباني والإنشاءات، الطبعة الأولى، مطبعة الاعتماد، القاهرة ١٩٢٨.

زكي محمد حسن:

-أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية، القاهرة، ١٩٥٦م.

-كنوز الفاطميين، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨١

سعاد ماهر:

-محافظات الجمهورية العربية المتحدة وآثارها الباقية في العصر الإسلامي، نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، الكتاب الرابع.

- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٧٤.

شريف يوسف:

تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٢.

طه الولي:

المساجد في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة ١٩٨٨، د.ت.

عباس حلمي:

المدارس الإسلامية ودور العلم وعمارتها الأثرية، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، العدد ٣، ١٣٩٧-١٣٩٨هـ.

عبد الله كامل موسى:

-تطور المئذنة بمدينة القاهرة من الفتح العربي وحتى نهاية العصر المملوكي، دراسة معمارية مقارنة مع مآذن العالم الإسلامي، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية الآثار جامعة القاهرة، ١٩٩٤.

-الفاطميون وآثارهم المعمارية في إفريقية ومصر واليمن، دار الآفاق العربية. القاهرة ٢٠٠١.

عبد الرحمن زكي:

-أسوار القاهرة من جوهر القائد إلى الناصر صلاح الدين، مجلة المجلة، السنة الخامسة، العدد ٥١، ١٩٦١م.

-القاهرة تاريخها وآثارها ٩٦٩هـ / ١٨٢٥م، من جوهر القائد إلى الجبرتي المؤرخ، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦.

عبد الرحمن فهمي محمد:

روائع العمارة الفاطمية، القاهرة ١٩٧٠.

عبد المجيد محمد الخريجي، نايف بن عبد الله الشرعان:

الدينار عبد العصور الإسلامية، نماذج مختارة من مجموعة الخريجي، جدة، دار القلم ١٤٢٢ هـ.

عبد المنعم عبد الحميد سلطان:

الشرطة والأمن الداخلي في العصر الفاطمي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية ١٩٩٨.

عبد الناصر ياسين:

الفنون الزخرفية الإسلامية في مصر منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٢.

عطية القوصى:

تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٦.

علي مبارك:

الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة الشهيرة، القاهرة، الطبعة الثانية،نقلاً من الطبعة الأولى ١٩٧٠.

فالترهنس:

المكاييل والأوزان وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسيلي، نشر الجامعة الأردنية.

فتحي مصيلحى:

تطور العاصمة المصرية والقاهرة الكبرى،القاهرة ٢٠٠١،جـ١.

فرج حسين فرج:

الكتابات على العمائر الفاطمية، ماجستير مقدمة لكلية الآداب بسوهاج، ٢٠٠٢.

فريد شافعي:

قاهرة المعز كانت حصن الأمويين، مجلة منبر الإسلام، السنة ٢٢، العدد ٩، ١٩٩٥

فؤاد فرج، القاهرة، دار المعارف ١٩٤٦.

كامل جميل العسيلي:

من آثارنا في بيت المقدس، عمان ١٩٨٢.

كريسويل:

قصة تأسيس القاهرة. ترجمة عبد الرحمن فهمي (بحث نشر في كتاب تـأليف حسن الباشا وآخرون بعنوان: القاهرة تاريخها وآثارهـا وفنونهـا، القـاهرة مؤسسة الأهرام.

محمد أبو الفرج العش:

مصر القاهرة على النقود العربية الإسلامية، بحث في كتاب "أبحـاث النـدوة الدولية لتاريخ القاهرة، باريس- أبريل ١٩٦٩، مطبعة دار الكتـب، القـاهرة ١٩٧١.

محمد أحمد دهمان:

معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر العربي، بيـروت، دار الفكر سورية.

محمد جمال الدين سرور:

الدولة الفاطمية في مصر سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها. دار الفكر العربي. القاهرة.

محمد حسام الدين إسماعيل:

-بعض الملاحظات على العلاقة بين مرور المواكب ووضع المباني الأثرية في شوارع مدينة القاهرة، مجلة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية "حوليات إسلامية" المجلد ٢٥/ ١٩٩٠.

- مدينة القاهرة من ولاية محمد على إلى إسـماعيل (١٨٠٥-١٨٧٩م) دار الآفاق العربية، القاهرة ١٩٩٧م.

محمد حمدي المناوي:

الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف، د.ت.

محمد حمزة الحداد:

-السلطان قلاوون (تاريخ - أموال مصر في عهده - منشأته المعمارية) مكتبة

مدبولي، القاهرة عام ١٩٩٣.
-عمارة المسجد النبوى الشريف. دراسة جديدة في ضوء مشاهدات ابن عبد ربه الأندلسي، نشر الجمعية التاريخية السعودية، الإصدار الأول، الرياض، ١٩٩٩.
-المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية،مكتبة زهراء الشرق،القاهرة.

محمد عبد الستار عثمان:

-الأعمال المعمارية للسلطان الأشرف برسباي بمدينة القاهرة، ماجستير مقدم لجامعة القاهرة، كلية الآثار، ١٩٧٧.
-وثيقة وقف جمال الدين الاستادار، دراسة تاريخية أثرية وثائقية، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٨٣.
-المراسيم الحجرية من وسائل الإعلام في العصر المملوكي، مجلة كلية الآداب بسوهاج، جامعة أسيوط، ١٩٨٣.
-في شوارع المدينة الإسلامية،مجلة العصور، مجلد ٢، جـ٢، ١٩٨٧.
-الإعلان بأحكام البنيان لابن الرامي، دراسة أثرية معمارية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩.
-أضواء على أهمية الإنشاء في تاريخ العمارة الإسلامية، مجلة العصور، دار المريخ للنشر، لندن، ١٩٩٠، المجلد الخامس، الجزء الثاني.
-وثيقة وقف جامع الأميرين محمد وأحمد بأخميم، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، العدد ٤١، ١٩٩٣م.
-المدينة الإسلامية.دار الآفاق العربية،القاهرة، ١٩٩٨.
-محمد عبد الستار، عوض الإمام: عمارة السجد في ضوء الأحكام الشرعية، دراسة تطبيقية أثرية، ندوة عمارة المساجد، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٩، مجلد ٨.
-محمد عبد الستار عثمان، محمد عبد السميع عيد، دراسة لإمكانية استخدام

المسطحات الخضراء في التشكيل المعماري للمساجد. "دراسة أثرية ومعاصرة". ندوة عمارة المساجد،كلية العمارة والتخطيط- الرياض -السعودية ١٩٩٩، المجلد الخامس.

-محمد عبد الستار عثمان، محمد عبد السميع عيد، التعامل مع مخلفات البناء، دراسة أثرية ومعاصرة، بحث بكتاب ندوة التنمية العمرانية في المناطق الصحراوية ومشكلات البناء فيها، وزارة الأشغال العامة والإسكان، المملكة العربية السعودية، الرياض ٢٧-٢٩ شعبان ١٤٢٣هـ.

-محمد عبد الستار عثمان، نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية بالقاهرة،دار الوفاء لدنيا النشر والطباعة، الإسكندرية ٢٠٠٠.

-عمارة سدوس التقليدية، دراسة أثرية معمارية، دار الوفاء لدنيا النشر والطباعة، ٢٠٠٠.

-فقه عمارة الحمامات في العصر العثماني، دراسة تطبيقية على ثلاثة من الحمامات في صعيد مصر، بحث بكتاب المؤتمر العالمي الرابع لمدونة الآثار العثمانية، حول "التأثيرات الأوربية على العمارة العثمانية وآليات الحفظ والترميم" إشراف وتقديم عبد الجليل التميمي، نشر مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس ٢٠٠١.

-مدينة ظفار بسلطنة عمان، دراسة تاريخية أثرية معمارية، دار الوفاء لدنيا النشر والطباعة، الإسكندرية، ٢٠٠٢.

محمد عبد العزيز مرزوق:

مساجد القاهرة قبل عصر المماليك، القاهرة ١٩٤٣.

محمد عبد العزيز:

جزيرة الروضة وآثارها الدارسة حتى نهاية العصر المملوكي، ماجستير مقدمة لجامعة القاهرة، كلية الآثار ١٩٧٧.

مصطفى نيازي:

القاهرة أساسات تخطيطية في المرور والنقل والمواصلات، مكتبة الأنجلو المصرية، بدون تاريخ.

معروف الرصافي:

الآلة والأداة وما يتبعهما من الملابس والمرافق والهنات، تحقيق عبد الحميد الرشودى، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٠.

منظمة العواصم والمدن الإسلامية:

أسس التصميم والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية، دراسة تحليلية على العاصمة القاهرة، جدة، ١٩٩٠م.

منى بدر:

أثر الفن السلجوقى على الحضارة والفن في العصر الأيوبي والمملوكي، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩١.

Combe, Sauvaget et Wiet:

Répertoire Chronologique d' Epigraphie Arabe.

Creswell. K. A. C.:

-Brief Chronology of Mohammedan Monuments of Egypt to 1517. A.D., Le Caire Imprimerie de L' institut Français D' Archéologie Oriental, 1919.

-The Muslim Architecture of Egypt. Hacker Book, New York, 1978.

George.C.Miles:

Fatimid Coins in the Collection of the University Museum Philadelphia and American Numismatic Society,New York, 1951.

Marcais (Georges):

Manuel' D Art Musulman, Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne, Sicile. V.I Paris, 1926.

A. Raymond et. G. Wiet:

Les Marches du Caire, Traduction de texte de Maqrize Institut Français D' Archéologie Oriental du. Caire, 1979

Salah El Beheiri:

Le decred de Nomination de L'Historien Ibn Wasil au poste de Processeur de La mosquée al Aqmar. Annales Islam ologiques, Tome XII

فهرس الكتاب الأول

الموضـــــــوع	رقم الصفحة

الفصل الأول

عمارة الفاطميين في إفريقية

الفصل الثاني

مدينة القاهرة الموضع والتخطيط

الفصل الثالث

العمارة الحربية بمدينة القاهرة «الأسوار والبوابات»

الفصل الرابع

العمارة المدنية في القاهرة والفسطاط

الموضـــــــــــوع	رقم الصفحة

الموضـــــــوع	رقم الصفحة

الفصل الخامس

العمارة الدينية في مصر (المساجد الجامعة ومساجد الفروض) في العصر الفاطمي

الموضـــــــوع	رقم الصفحة

الموضـــــــــوع	رقم الصفحة

الموضـــــــوع	رقم الصفحة

أولاً : الأشكال

الجزء الأول

بيان بالأشكال

شكل رقم (٢٢) : مسقط أفقى لمجموعة المنصور قلاوون عن كريسويل .

شكل رقم (٢٣) : مسقط أفقى لبقايا القصر الفاطمي الغربى .

شكل رقم (٢٤) : مسقط أفقى وقطاع رأسى لقاعة الدردير .

شكل رقم (٢٥) : مسقط أفقى لمنازل الفسطاط . (الدار الأولى) .

شكل رقم (٢٦) : منازل الفسطاط . (الدار الأولى) .

شكل رقم (٢٧) : منازل الفسطاط . (الدار الأولى) ١/أ .

شكل رقم (٢٨) : منازل الفسطاط . (الدار الأولى) ١/ب .

شكل رقم (٢٩) : منازل الفسطاط . (الدار الأولى) ١/ج .

شكل رقم (٣٠) :منازل الفسطاط . (الدار الثانية) .

شكل رقم (٣١) : منازل الفسطاط . (الدار الثالثة) .

شكل رقم (٣٢) : منازل الفسطاط . (الدار الرابعة والخامسة) .

شكل رقم (٣٣) : منازل الفسطاط . (الدار والخامسة) .

شكل رقم (٣٤) : منازل الفسطاط . (الدار السادسة) .

شكل رقم (٣٥) : منازل الفسطاط . (الدارالسابعة والثامنة) .

شكل رقم (٣٦) : منازل الفسطاط . (الدار الثامنة) .

شكل رقم (٣٧) : بيوت الفسطاط . (توجيه الصحن) .

شكل رقم (٣٨) : البيت الطولونى الأول بمدينة العسكر .

شكل رقم (٣٩) : مسقط أفقى للجامع الأزهر (قبل زيادة الحافظ) .

شكل رقم (٤٠) : مسقط أفقى للجامع الأزهر بعد زيادة الحافظ .

شكل رقم (٤١) : مسقط أفقى للجامع الأزهر ، والزيادات المعمارية التى تمت به منذ إنشائه حتى العصر العثمانى .

شكل رقم (٤٢) : زخارف المحراب بالجامع الأزهر .

شكل رقم (٤٣) : نص إنشاء محراب الآمر بأحكام الله ، المعمول للجامع الأزهر المحفـوظ حالياً بمتحف الفن الإسلامى بالقاهر برقم سجل ٤٢٢ .

شكل رقم (٤٤) : مسقط أفقى لجامع الحاكم بأمر الله .

شكل رقم (٤٥) : منظر عام لجامع الحاكم بأمر الله .

شكل رقم (٤٦) : مسقط أفقى لمدخل زياده جامع الحاكم بأمر الله .

شكل رقم (٤٧) : قطاع يبين المجاز القاطع بجامع الحاكم بأمر الله .

شكل رقم (٤٨) : الشرافات المدرجة بالواجهة الشمالية الغربية لجامع الحاكم بأمر الله .

شكل رقم (٤٩) : قطاع رأسى لمئذنة جامع الحاكم بأمر الله (الغربية) .

شكل رقم (٥٠) : النجمتان الخماسيتان على المئذنة الغربية بجامع الحاكم بأمر الله .

شكل رقم (٥١) : شريط من زخارف نباتية على مئذنة جامع الحاكم بأمر الله الغربية .

شكل رقم (٥٢) : قطاع رأسى لمئذنة جامع الحاكم بأمر الله الشمالية .

شكل رقم (٥٣) : لفظ الجلالة (الله) داخل شكلين خماسيين متقاطعين ، على المئذنة الشمالية لجامع الحاكم بأمر الله . (عن محمود مرسى) .

شكل رقم (٥٤) : زخارف نباتية على مئذنة جامع الحاكم بأمر الله .

شكل رقم (٥٥) : زخارف هندسية على المئذنة الشمالية لجامع الحاكم بأمر الله . (عن محمود مرسى) .

شكل رقم (٥٦) : زخارف جصية بالقبة التى فى نهاية المجاز القاطع بجامع الحاكم بأمر الله .

شكل رقم (٥٧) : زخارف على المئذنة الشمالية لجامع الحاكم بأمر الله . (عن محمود مرسى) .

شكل رقم (٥٨) : مسقط أفقى للجامع الأقمر .

شكل رقم (٥٩) : قسم من واجهة الجامع الأقمر .

شكل رقم (٦٠) : الواجهة الشمالية الغربية الرئيسية للجامع الأقمر .

شكل رقم (٦١) : بقايا الشريط الكتابى الذى يدور حول عقود البائكة الشمالية الشرقية التى تطل على صحن الجامع الأقمر .

شكل رقم (٦٢) : شهادة التوحيد واسم كل من «محمد وعلي» ورسم المشكاة بواجهة الجامع الأقمر . (عن محمود مرسى) .

شكل رقم (٦٣) : النص الكتابى المسجل على مقرنصات الشطف الموجود بالركن الشمالي بواجهة الجامع الأقمر. (عن محمود مرسى).

شكل رقم (٦٤) : محراب الآمر بأحكام الله بالجامع الأزهر.

شكل رقم (٦٥) : زخارف على هيئة محراب بواجهة الجامع الأقمر.

شكل رقم (٦٦) : تفريغ لنص تأسيس الجامع الأقمر.

شكل رقم (٦٧) : زخارف كتابية ونباتية تعلو مدخل الجامع الأقمر.

شكل رقم (٦٨) : زخارف على هيئة عقود متقاطعة على واجهة الجامع الأقمر.

شكل رقم (٦٩) : زخارف أشعاعية على واجهة الجامع الأقمر.

شكل رقم (٧٠) : مسقط أفقى لمسجد الصالح طلائع.

شكل رقم (٧١) : نص تأسيس مسجد الصالح طلائع الموجود على الواجهة الشمالية.

شكل رقم (٧٢) : نماذج من الكتابات بمسجد الصالح طلائع.

شكل رقم (٧٣) : زخارف نباتية وهندسية بالحجاب الحشبى بمسجد الصالح طلائع.

شكل رقم (٧٤) : عنصر الشرافات بمسجد الصالح طلائع.

شكل رقم (٧٥) : جزء من زخارف السقف بمسجد الصالح طلائع.

شكل رقم (٧٦) : نص تأسيس على شريط خشبي باسم الحافظ لدين الله مؤرخ سنة (٥٤١هـ - ١١٤٦م)، محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة برقم سجل ٤١٣٨.

شكل رقم (٧٧) : نص تأسيس باسم الحافظ لدين الله والأمير كمشتكين الحافظي مؤرخ حوالى سنة (٥٤٤هـ - ١١٤٩م) محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة برقم سجل ٤١.

شكل رقم (٧٨) : نص تأسيس مسجد الأمير أبى الغضنفر أسد الفائزي (٥٥٢هـ/١١٥٧م).

شكل رقم (٧٩) : مسقط أفقى لمسجد اللؤلؤة.

شكل رقم (٨٠) : نص تأسيس جامع المقياس.

شكل رقم (٨١) : نص التأسيس الثانى لجامع المقياس الذى كان مثبتاً على واجهة جامع المقياس الشرقية.

شكل رقم (٨٢) : نص التأسيس الثالث لجامع المقياس الذى كان مثبتاً على واجهة جامع المقياس الغربية.

شكل رقم (٨٣) : مسجد بدر الجمالي بجزيرة الروضة .

شكل رقم (٨٤) : مسقط أفقى لمسجد (ضريح) السبعة وسبعين ولى بأسوان .

شكل رقم (٨٥) : رسم توضيحى لمناطق الانتقال ببعض القباب الضحلة .

شكل رقم (٨٦) : أ - جزء من الشريط الكتابى الذى يدور حول رقبة القبة الفاطمية التى تقع أمام خانقاة بيبرس الجاشنكير، حوالى القرن ٥هـ / ١١م) .

ب - نص تأسيس مسجد الأمير أبو منصور خطلخ (٤٩١هـ / ١٠٩٨م) .

شكل رقم (٨٧) : نص تأسيس مسجد الأمير أبو منصور قسطة (٥٣٥هـ / ١١٤١م) .

شكل رقم (٨٨) : نص تأسيس الجامع العتيق بإسنا (٤٧٠هـ / ١٠٧٨م) .

شكل رقم (٨٩) : نص تأسيس مئذنة الجامع العتيق بإسنا (٤٧٣هـ / ١٠٨١م) .

شكل رقم (٩٠) : منارة الجامع العمري أو العتيق بإسنا .

شكل رقم (٩١) : منارة الجامع العمري أو العتيق بإسنا .

شكل رقم (٩٢) : نص إنشاء منبر الجامع العمرى بقوص (٥٥٠هـ / ١١٠٠م) .

شكل رقم (٩٣) : نص تأسيس الجامع العتيق بسوهاج (٥٢٩هـ / ١١٣٤م) .

شكل رقم (٩٤) : نص تأسيس الجامع الغمري بالمحلة الكبرى من عصر بدر الجمالي .

شكل رقم (٩٥) : نص تأسيس جامع سيدى عبد الله الشريف بدمياط .

شكل رقم (٩٦) : نص تأسيس كرسى بدير سانت كاترين .

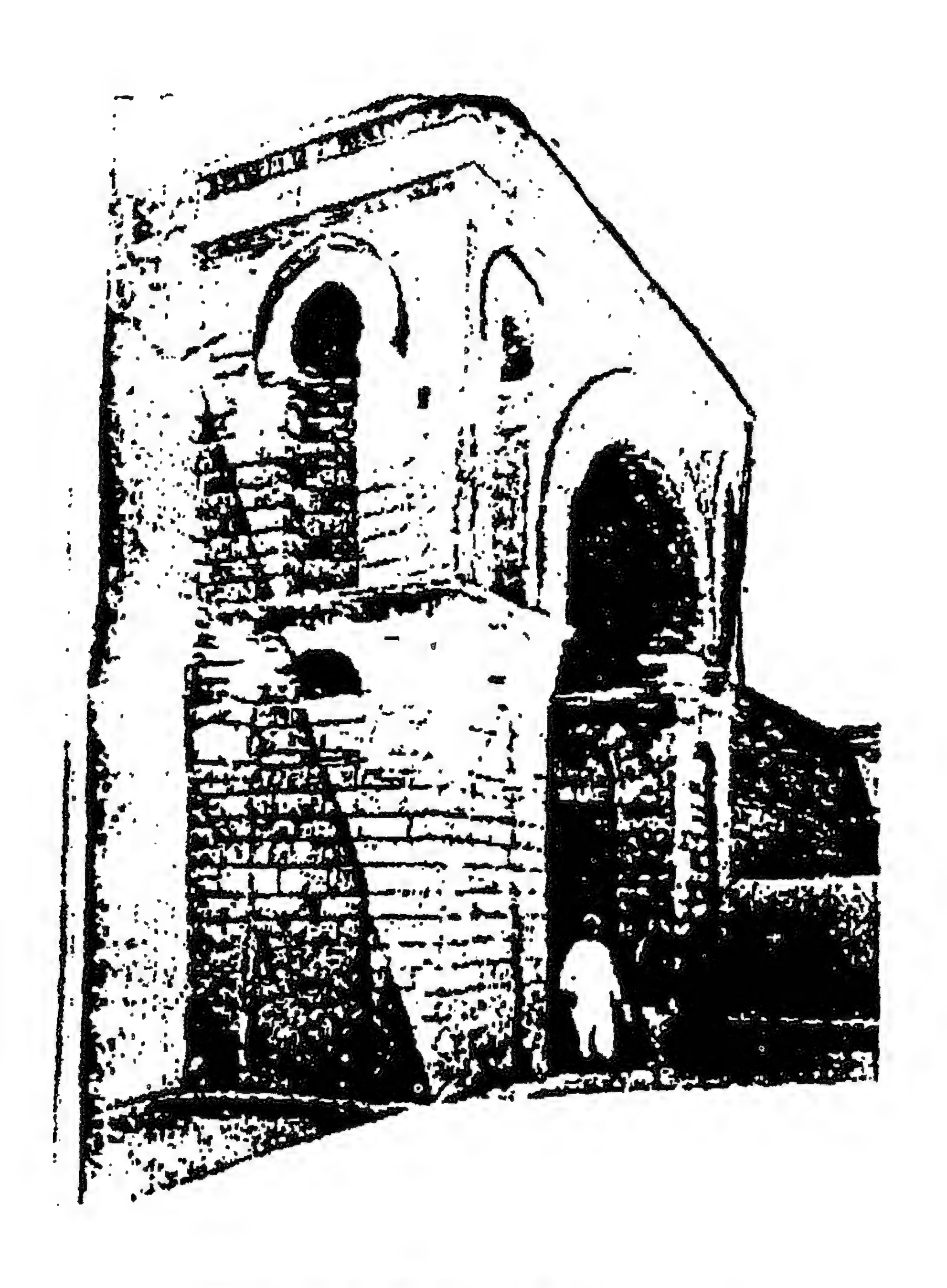
شكل رقم (٩٧) : نص إنشاء منبر بجامع دير سانت كاترين .

شكل رقم (٩٨) : أ - نص تأسيس مسجد باسم الحسن بن عبد الله بن محمد بن سلسلة البزاز (٤٠٢هـ / ١٠١١ - ١٠١٢م) .

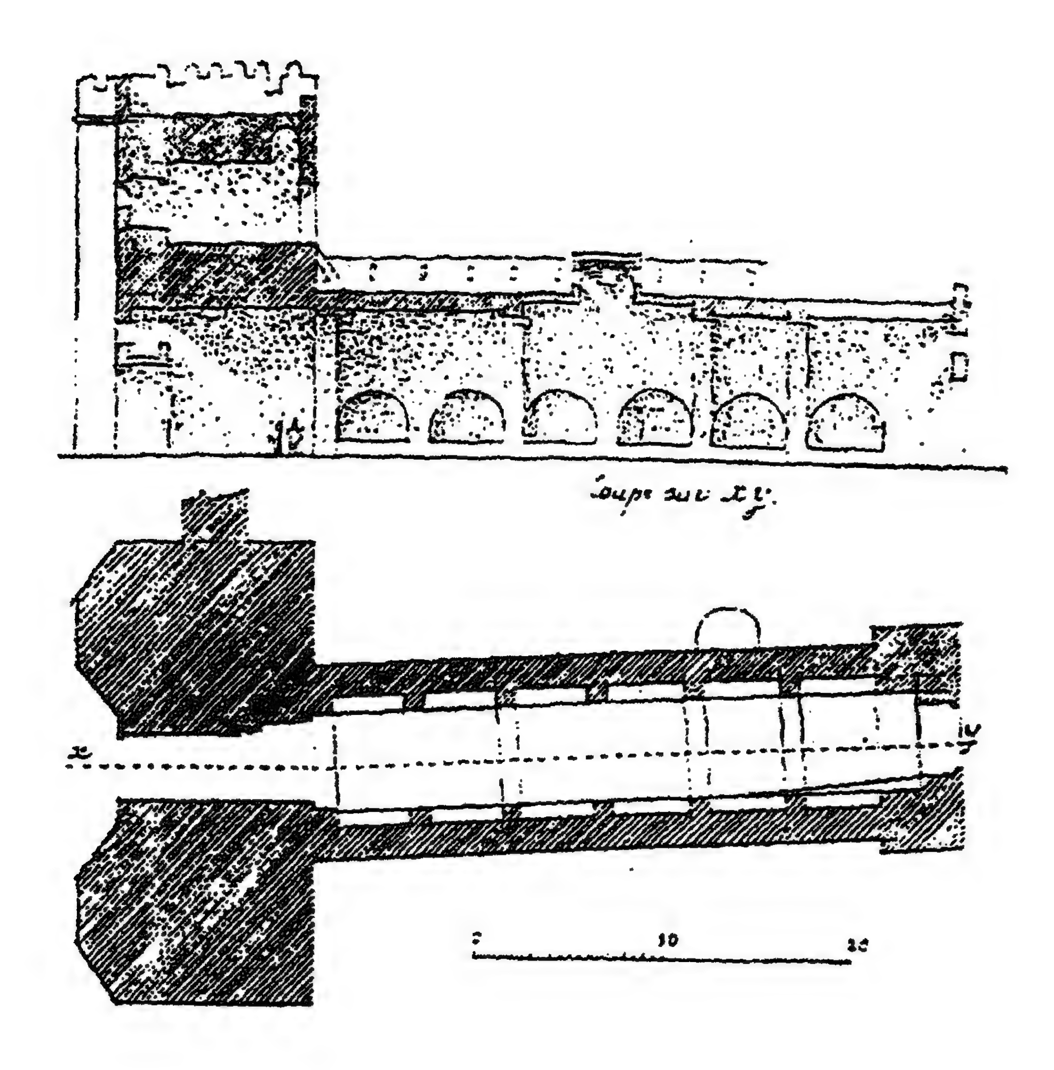
ب - نص تأسيس مكان رؤيا من حوالى النصف الأول من القرن (٦هـ / ١٢م) .

شكل رقم (٩٩) : نماذج من زخرفة العقود المتقاطعة .

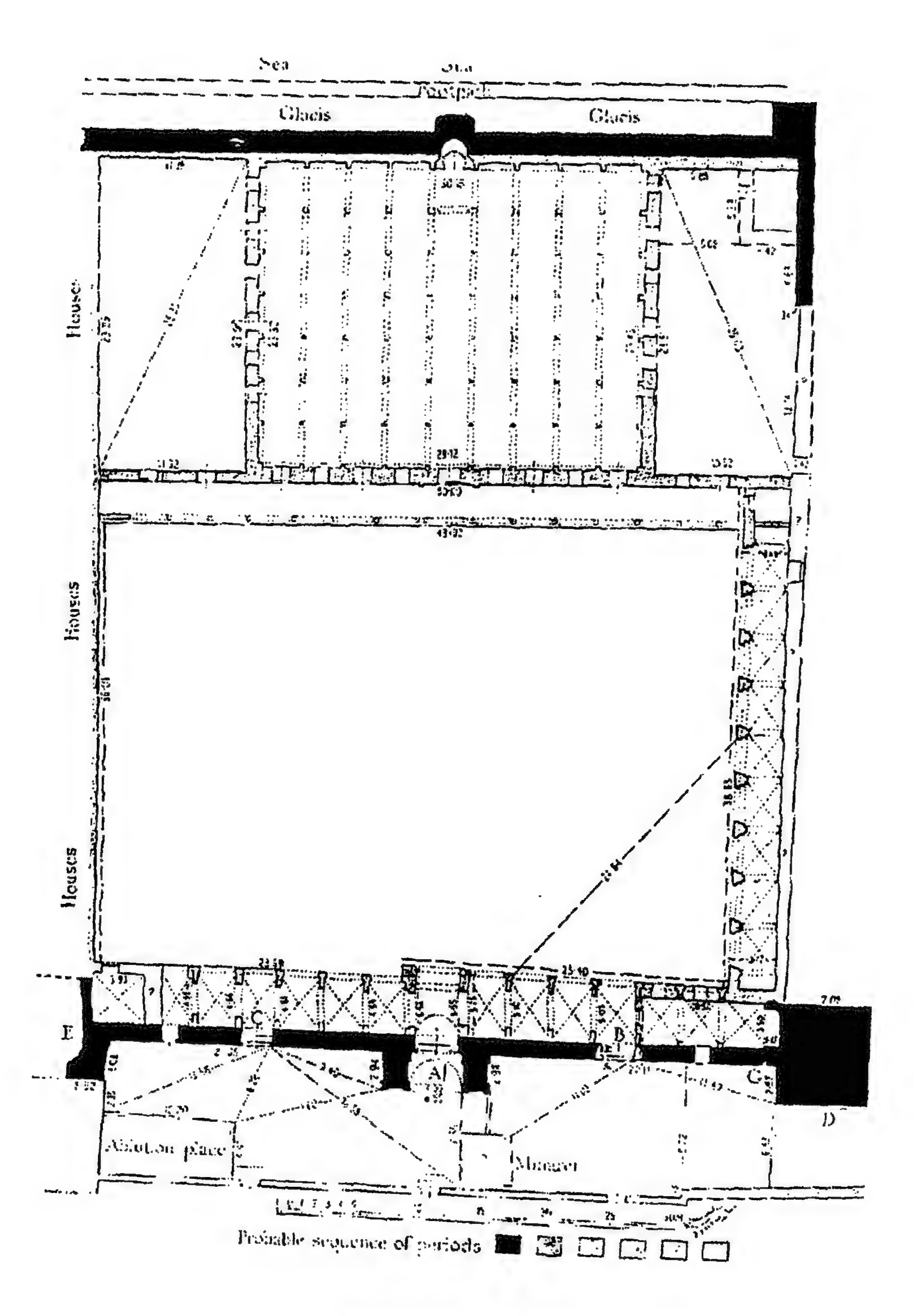
شكل رقم (١٠٠) : القاهرة الفاطمية فى عهد صلاح الدين الأيوبى .



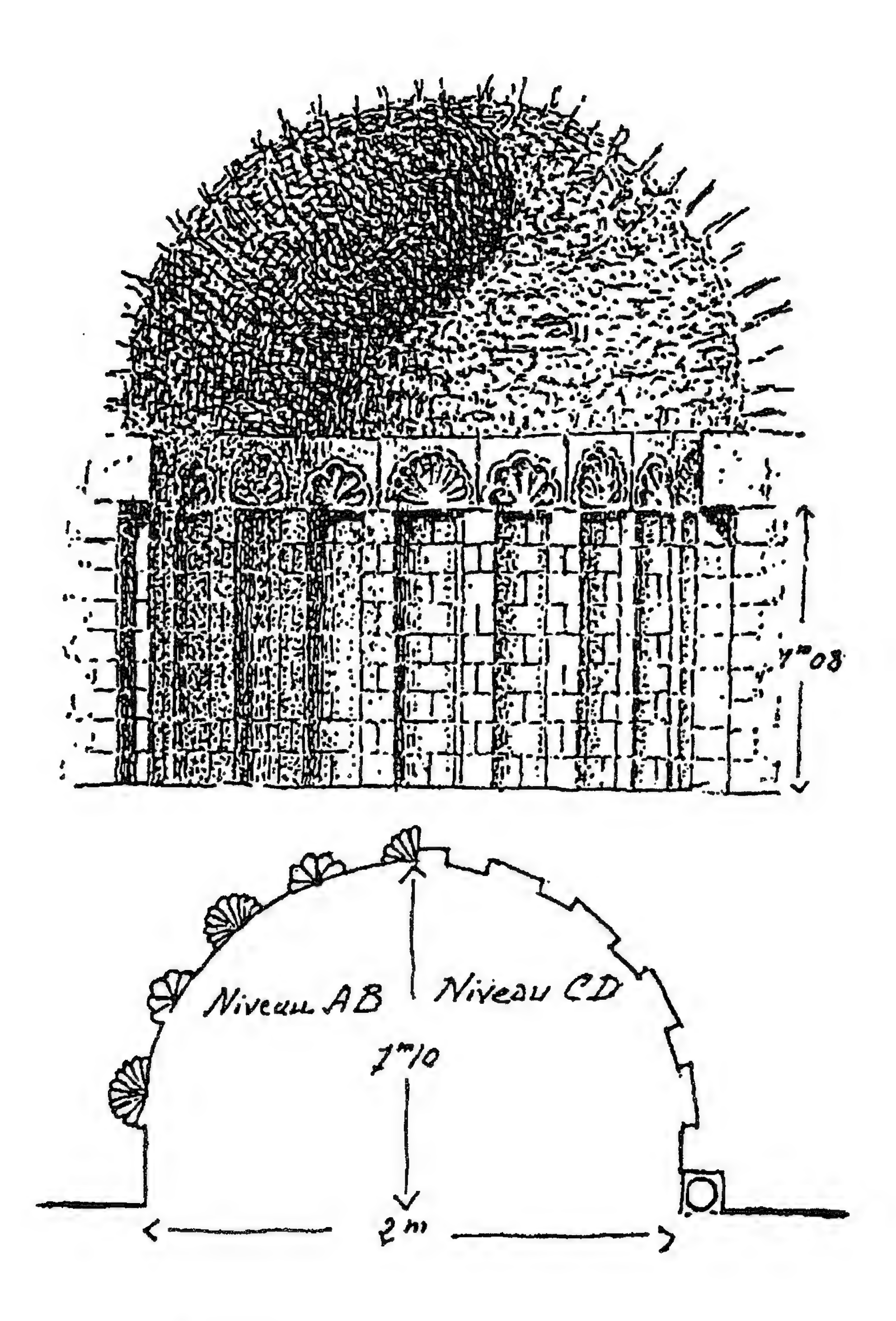
شكل رقم (١) : مدخل مدينة المهدية عن كريسويل .



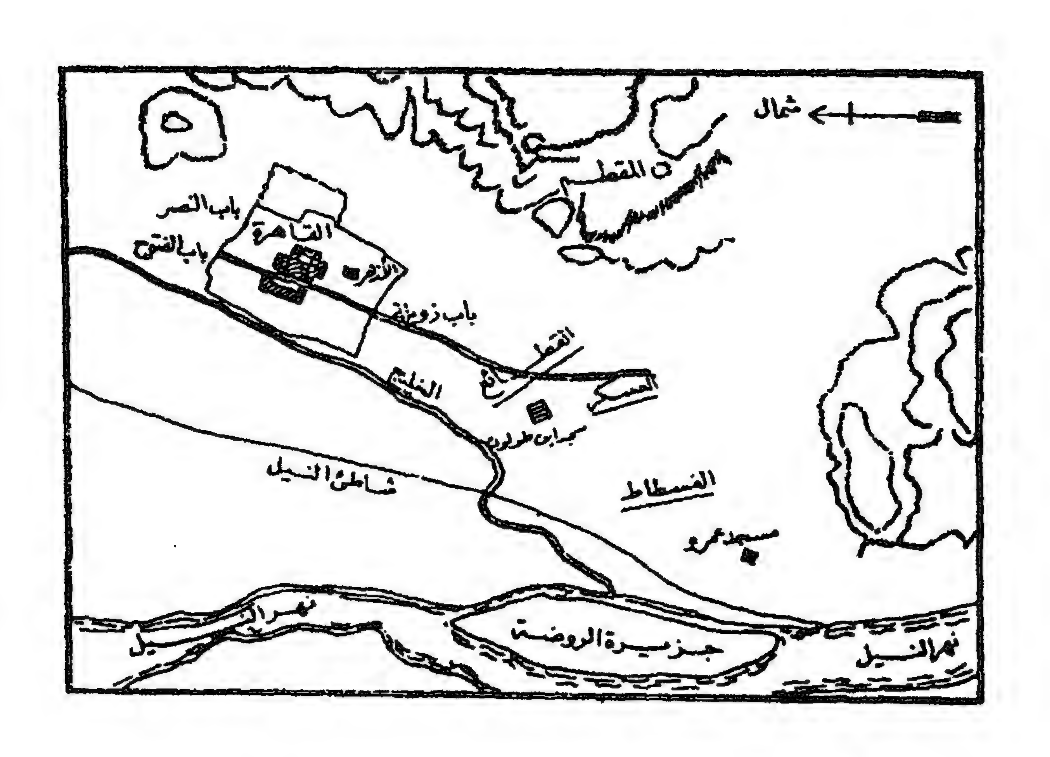
شكل رقم (٢) : مسقط أفقى لسقيفة الكحلة (مدينة المهدية) ،
قطاع رأسى لنفس السقيفة .



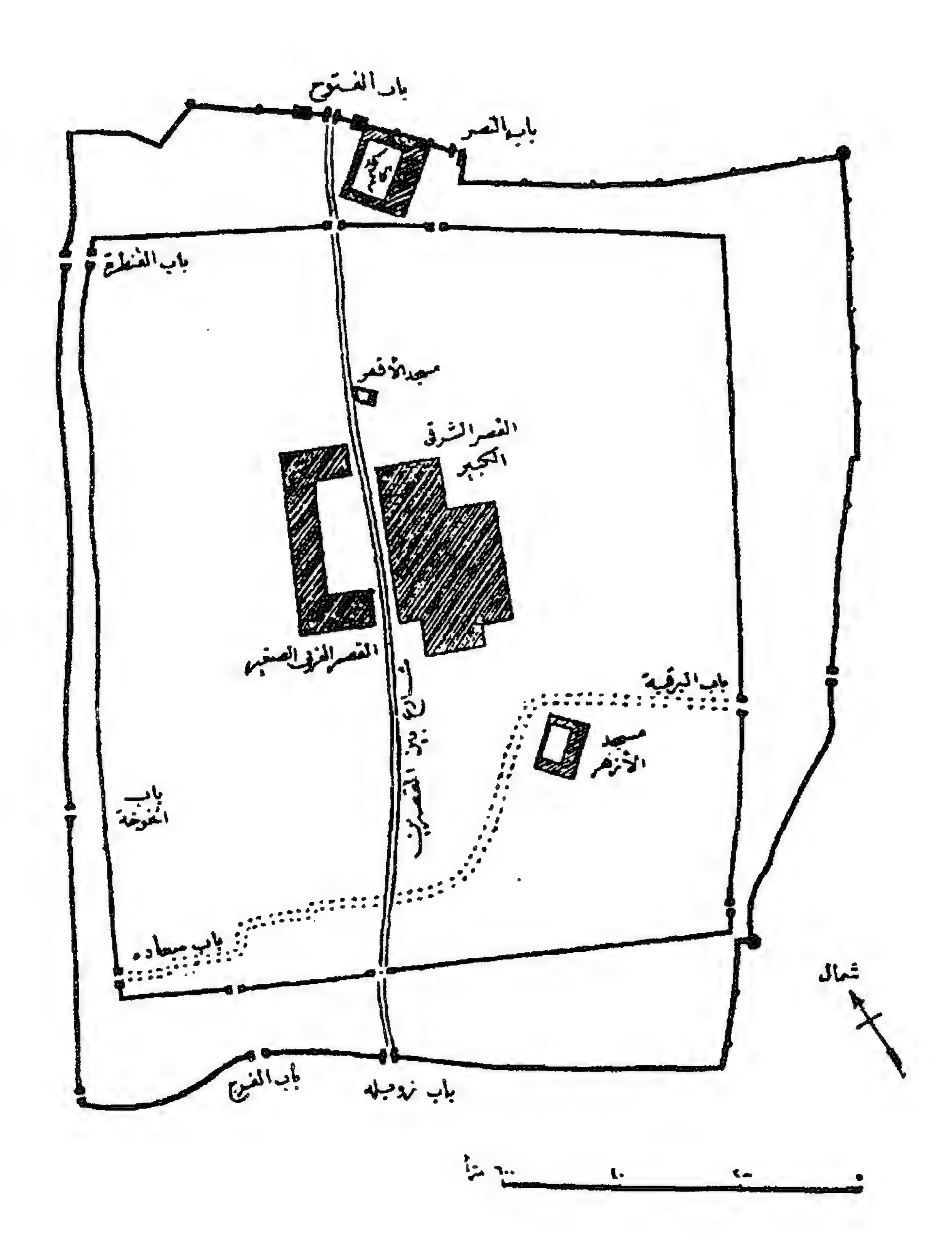
شكل رقم (٣) : مسقط أفقى لجامع المهدية عن كريسويل .



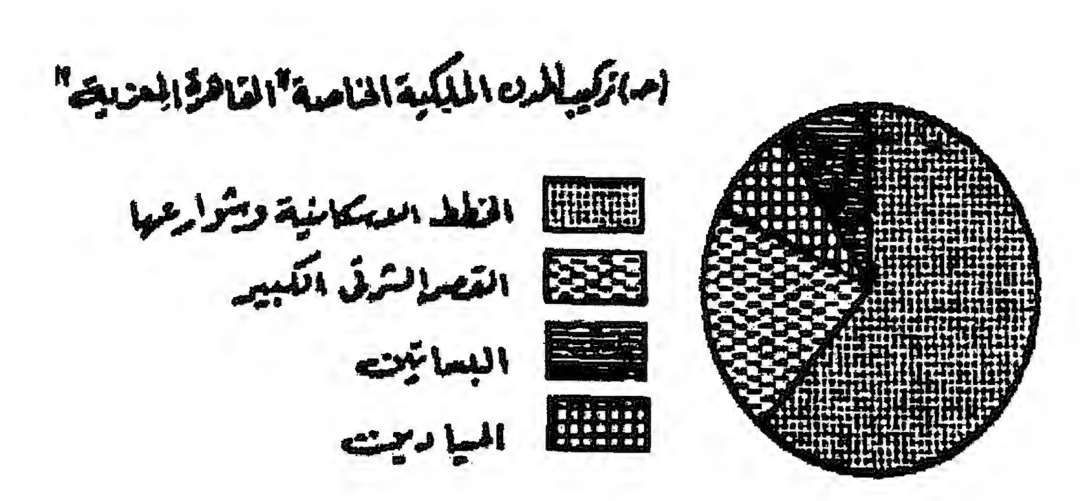
شكل رقم (٤) : رسم توضيحى لمحراب جامع المهدية .



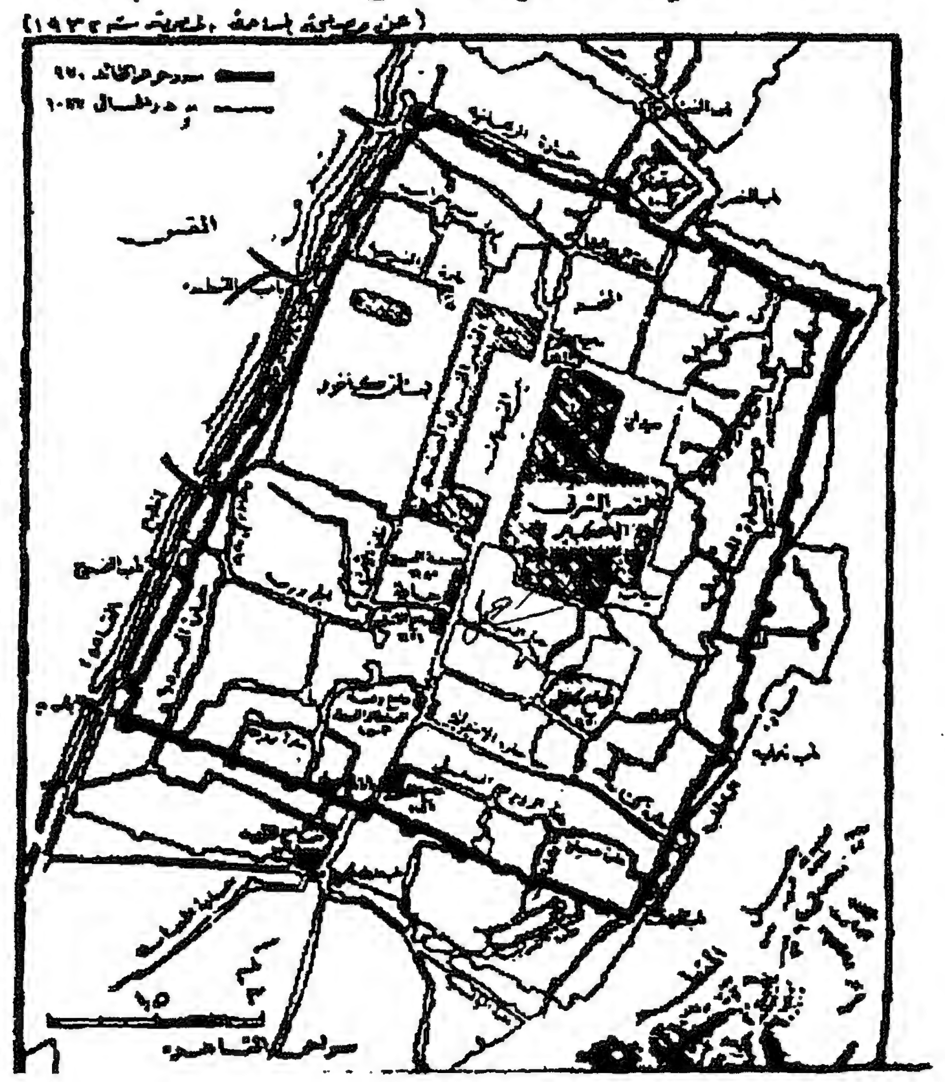
شكل رقم (٥) : موقع مدينة القاهرة بالنسبة لعواصم مصر الإسلامية قبلها .



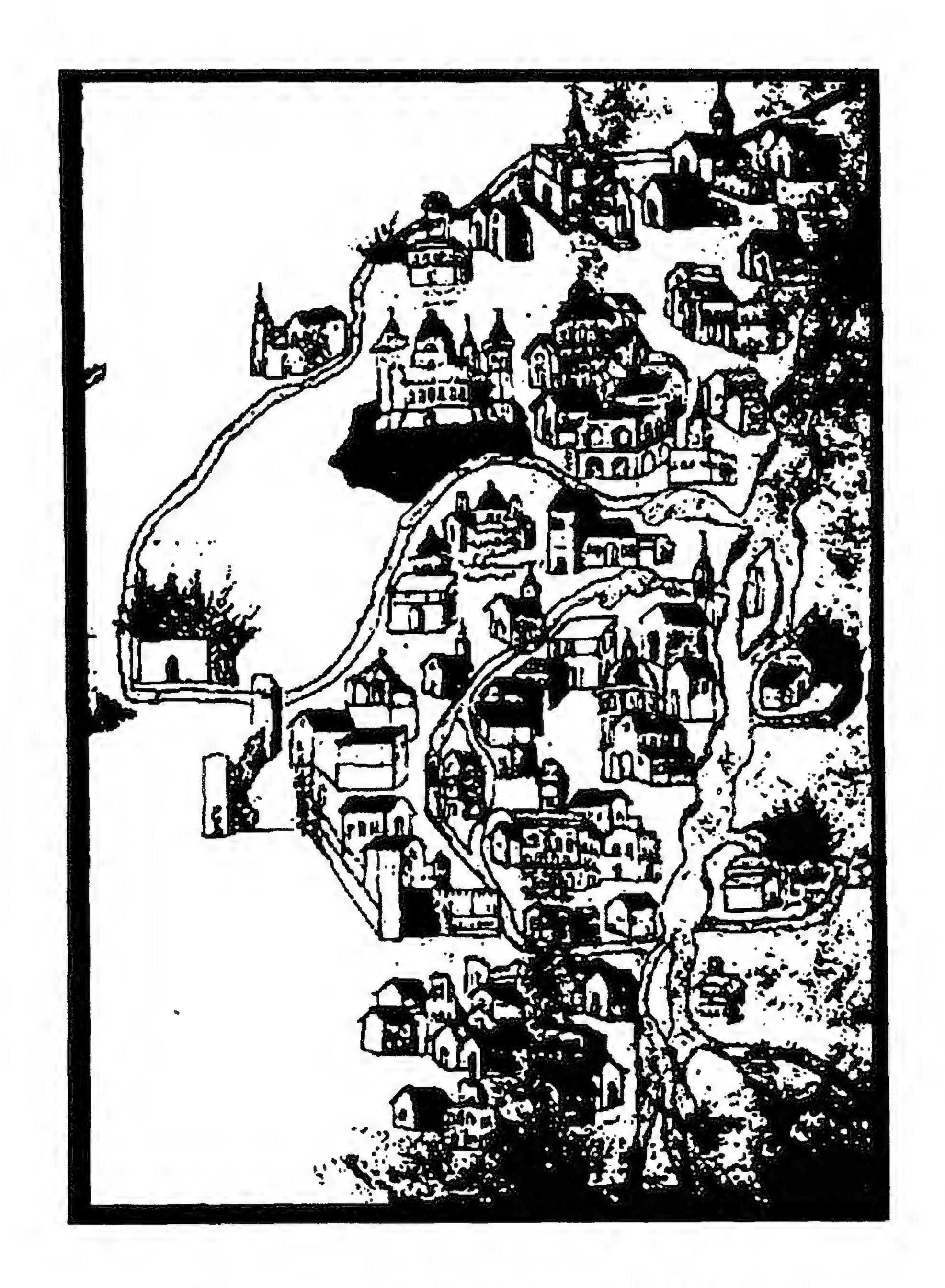
شكل رقم (٦) : رسم تخطيطى لمدينة القاهرة .



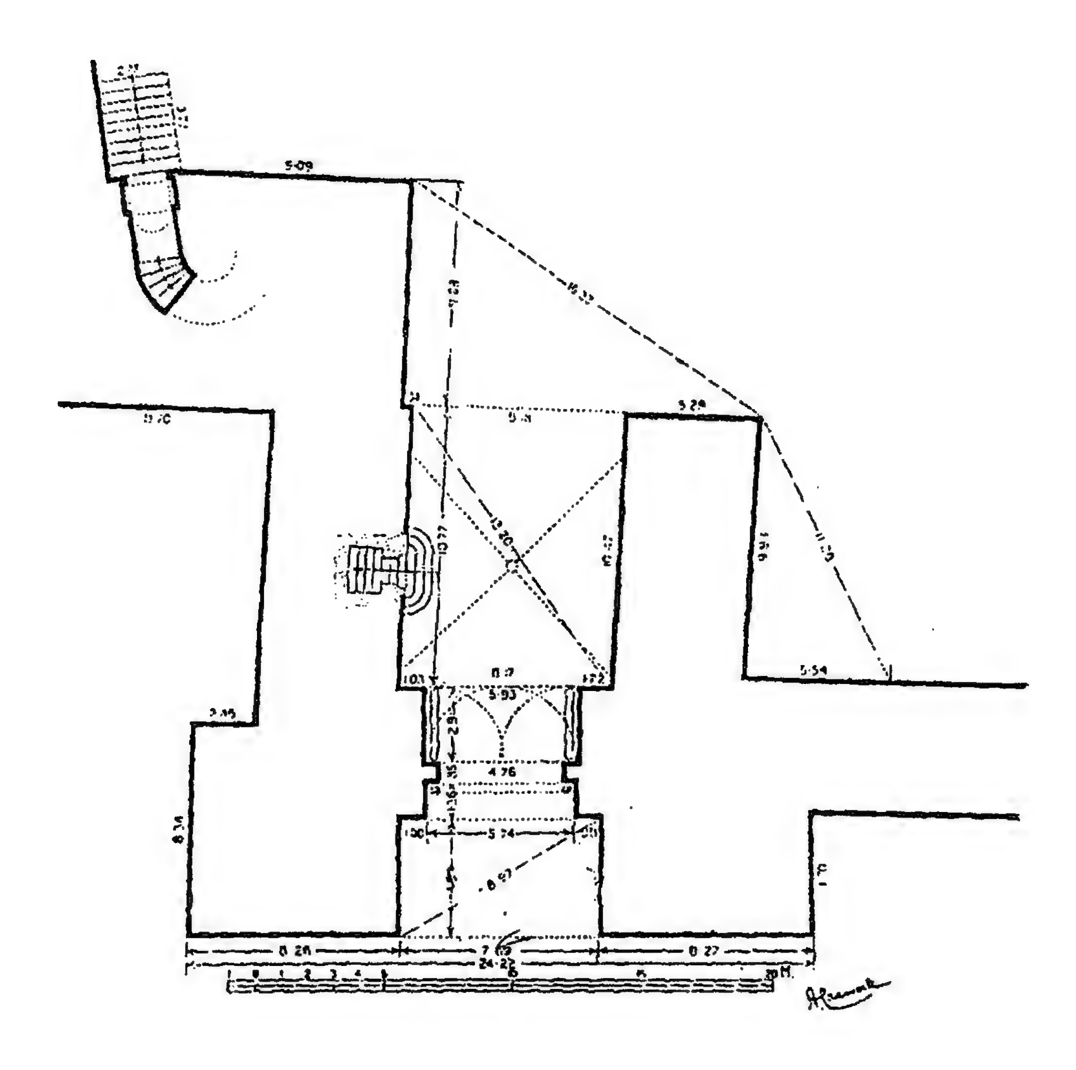
شكل رقم (٧) : تركيب مدينة القاهرة الملكية . (عن فتحي مصلحي) .



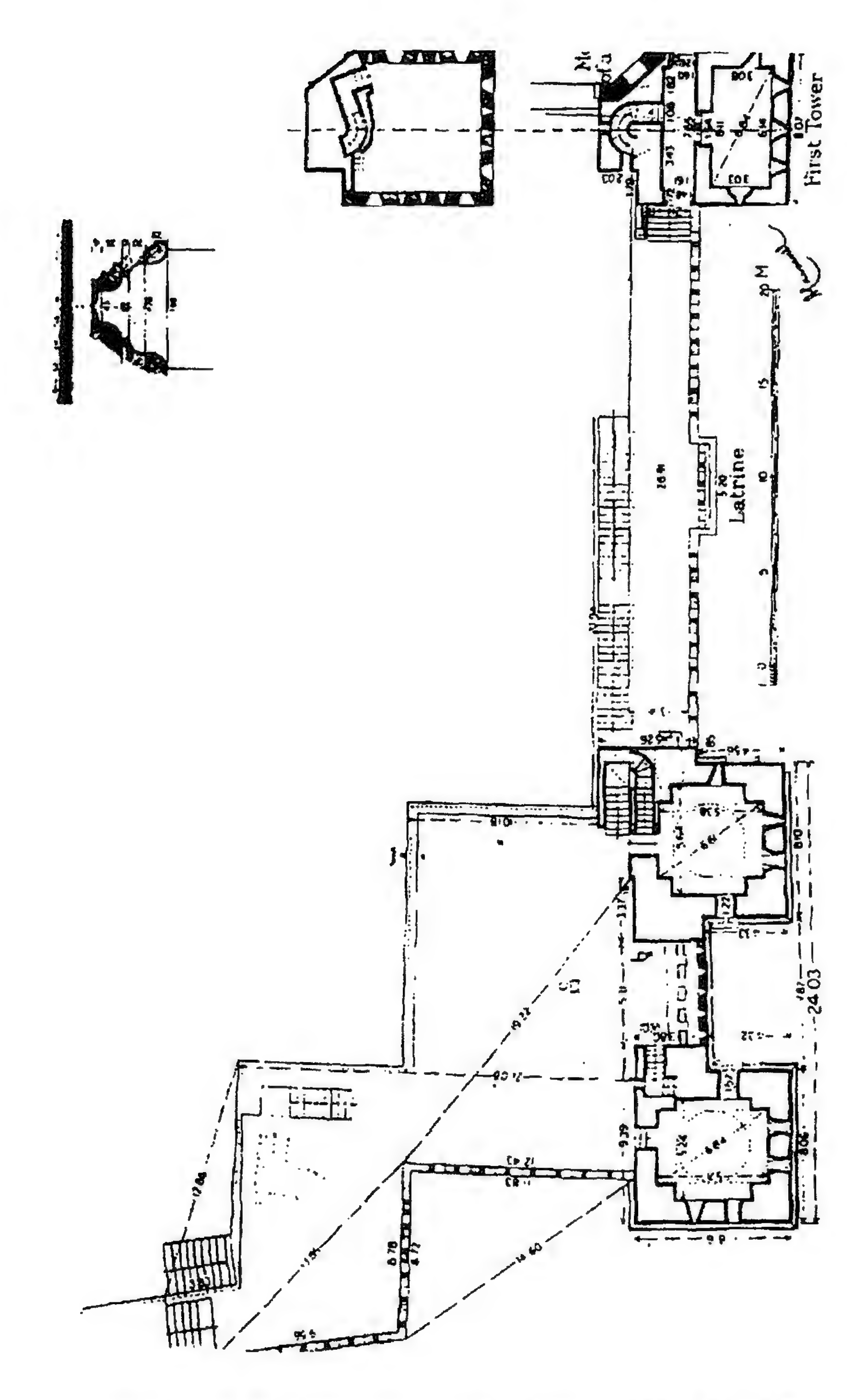
شكل رقم (٨) : رسم تخطيطى لحارات القاهرة .



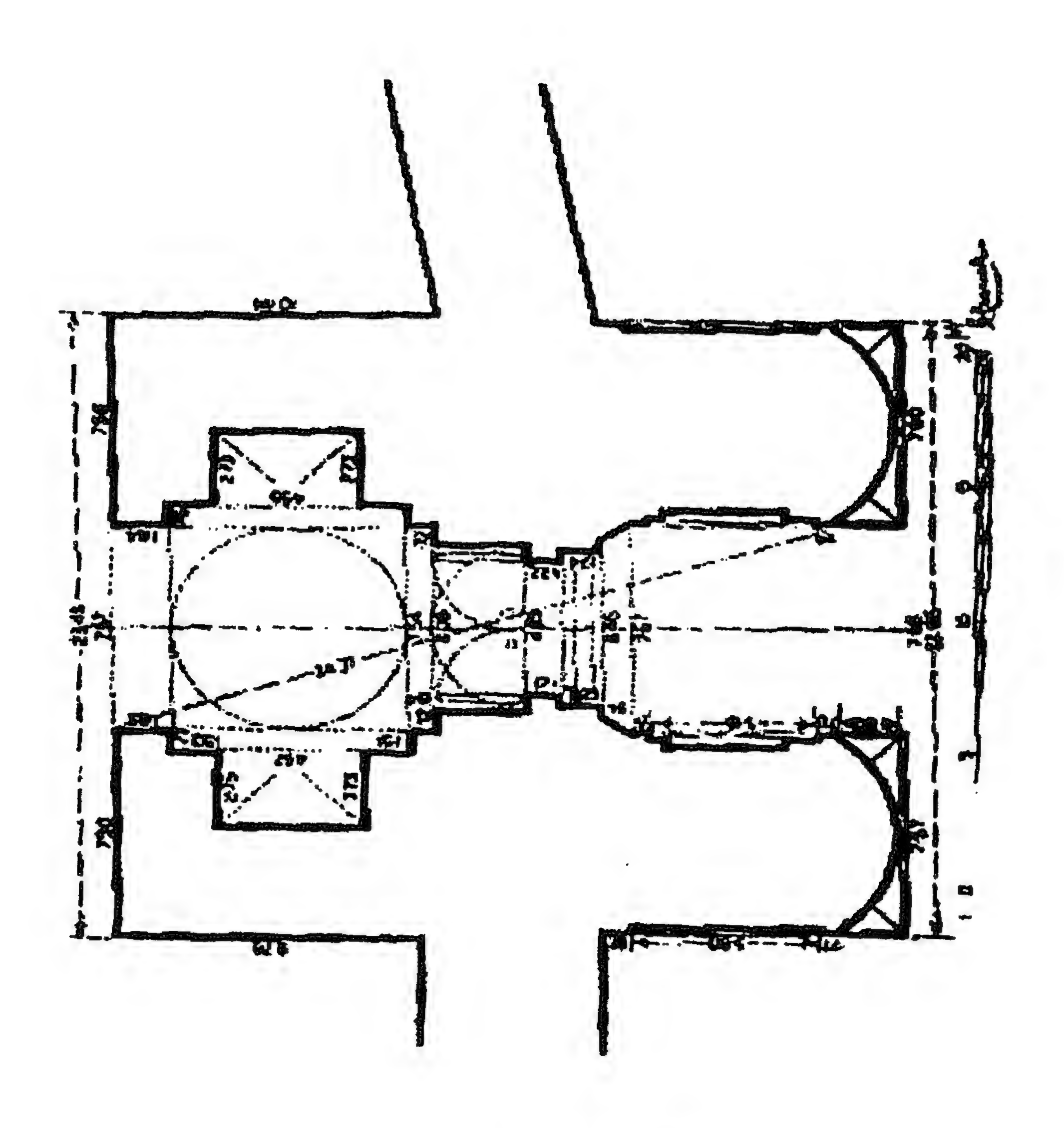
شكل رقم (٩) : أقدم رسم عمل لمدينة القاهرة ومنشأتها .
(عن عبد الرحمن زكى) .



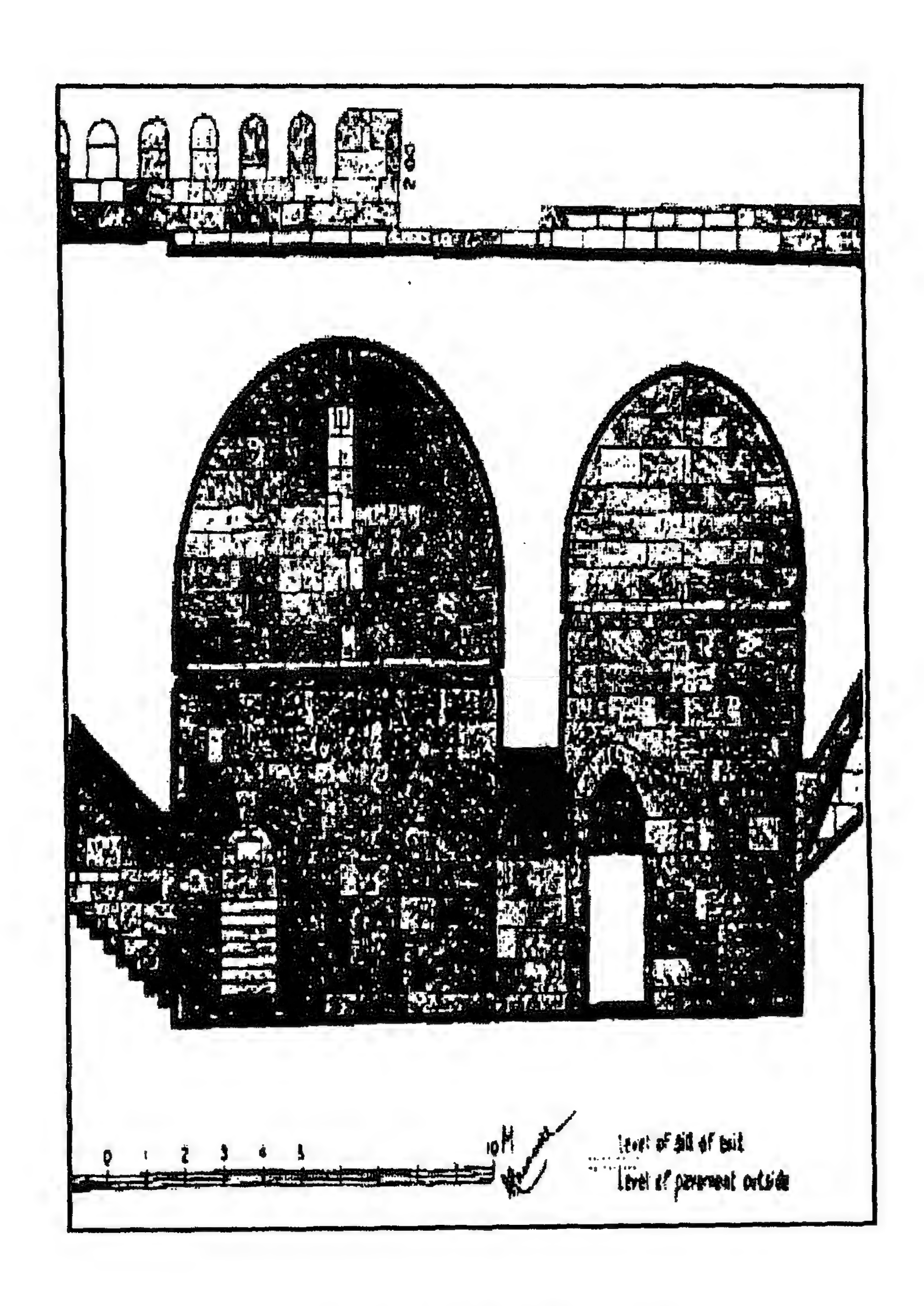
شكل رقم (١٠) : مسقط أفقي لباب النصر.



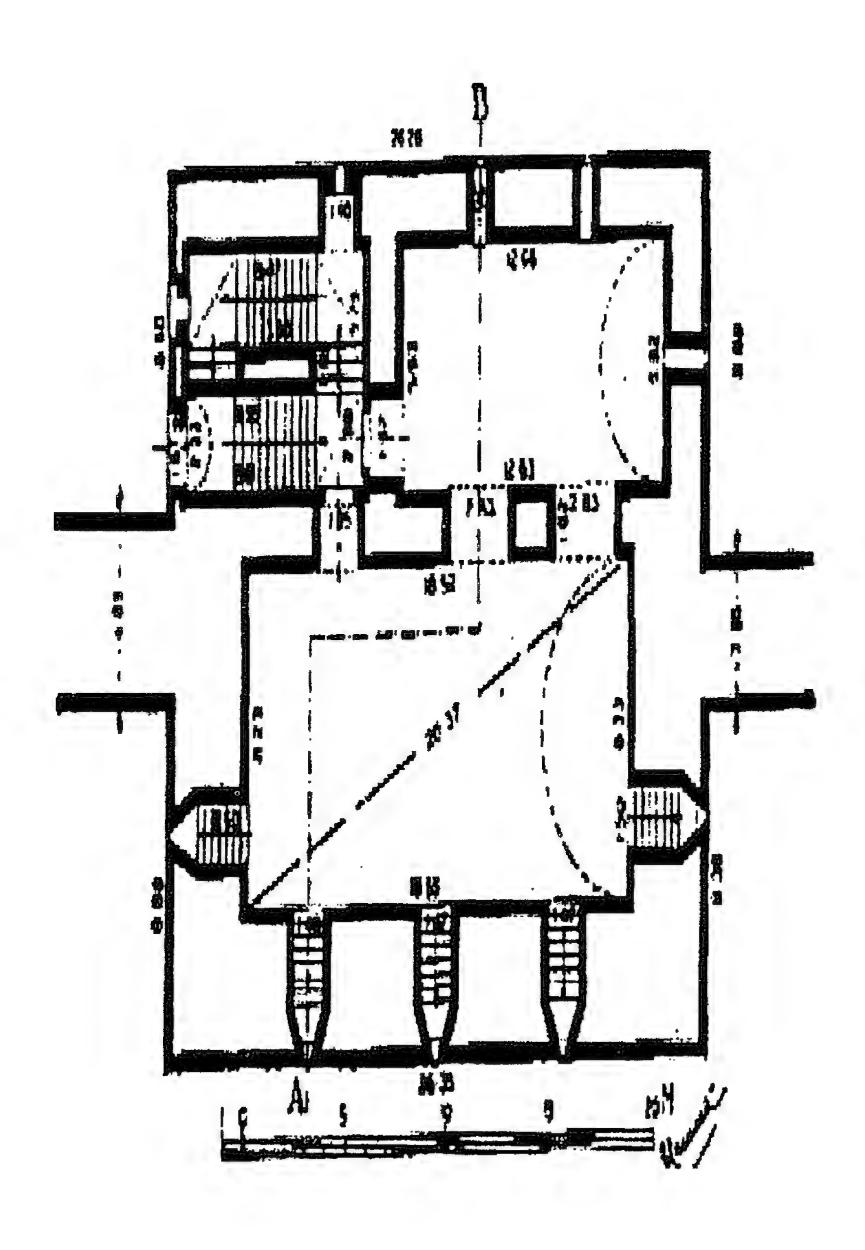
شكل رقم (١١) : المستوى العلوى لباب النصر والجزء الذى يليه غربى السور الشمالى .



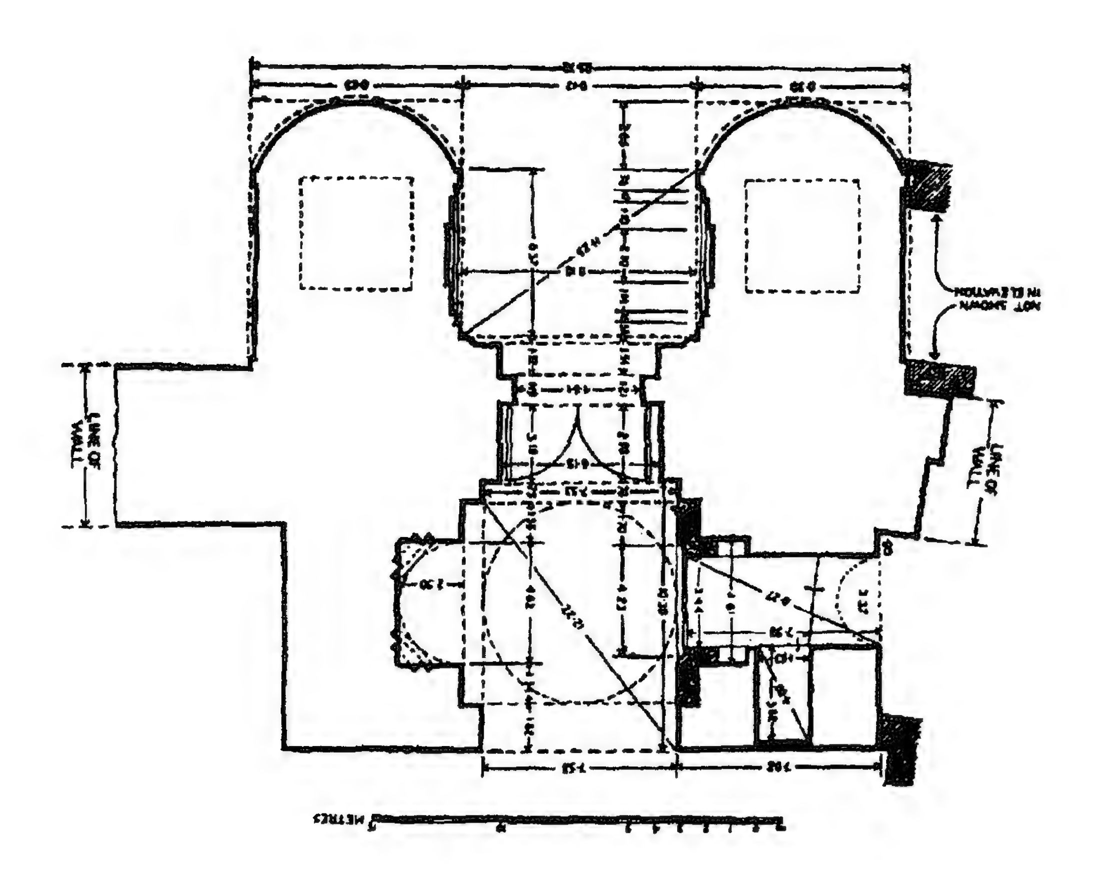
شكل رقم (١٢) : مسقط أفقى لباب الفتوح .



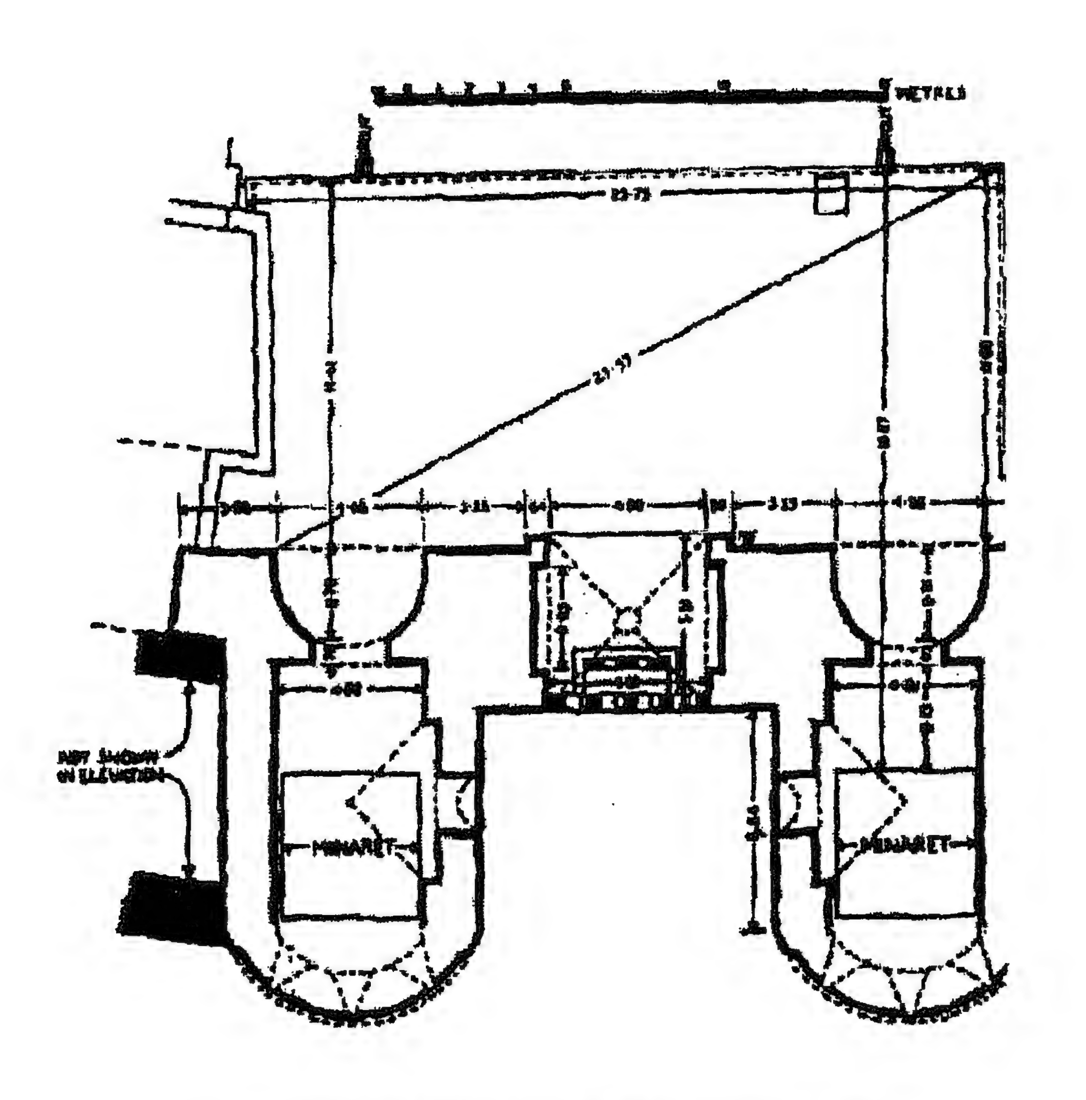
شكل رقم (١٣) : قطاع فى باب الفتوح .



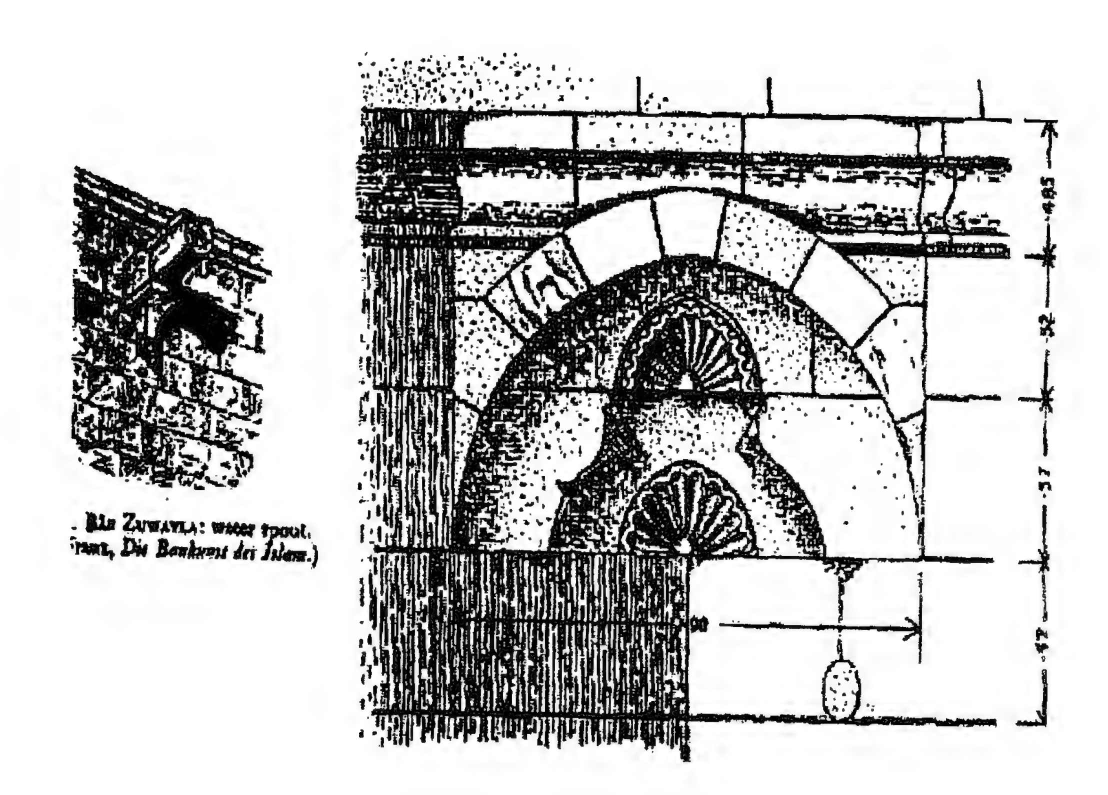
شكل رقم (١٤) : مسقط أفقى للبرج الذى يقع غرب باب الفتوح .



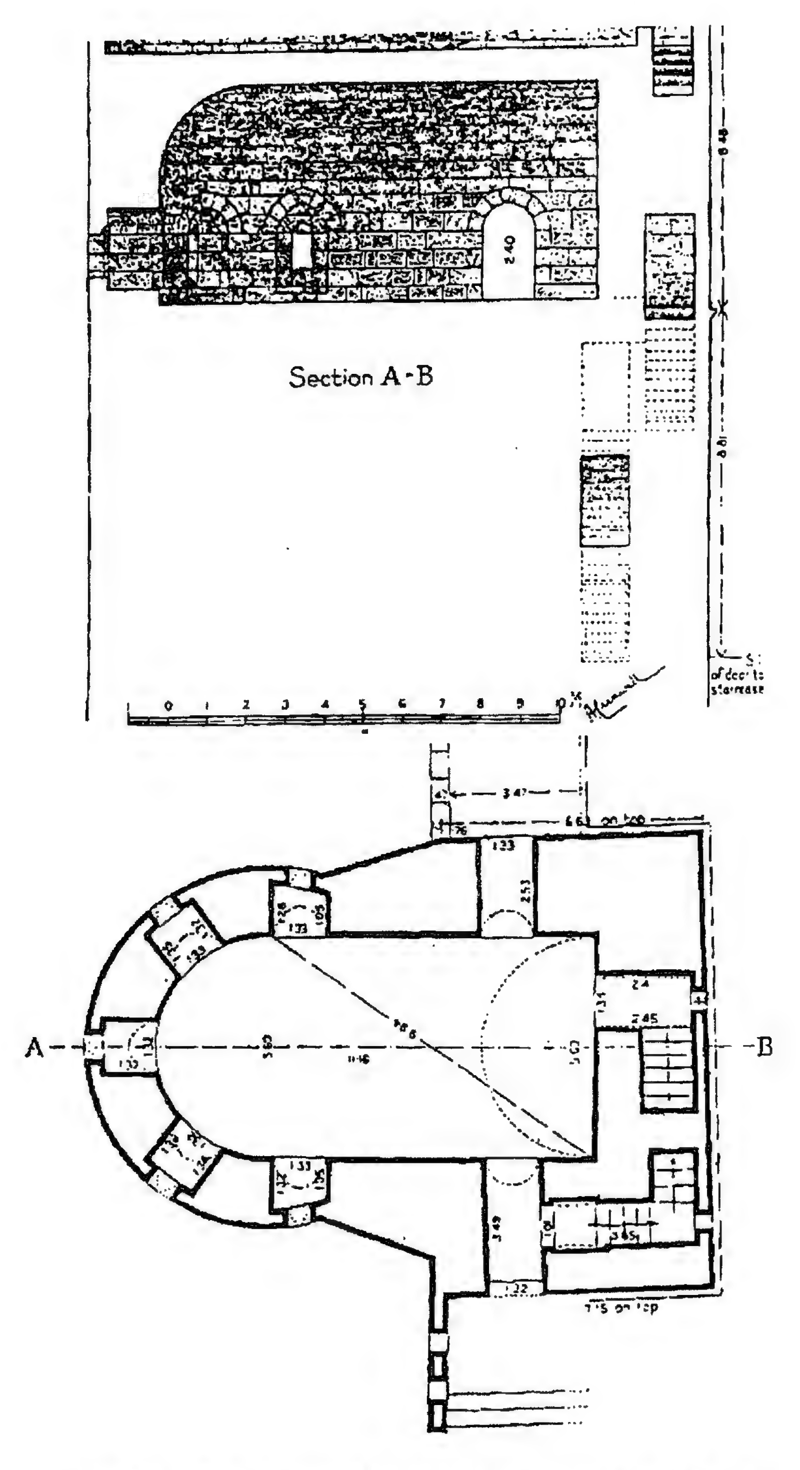
شكل رقم (١٥) : رسم تخطيطى يوضح باب زويله . (المستوى الأول) .



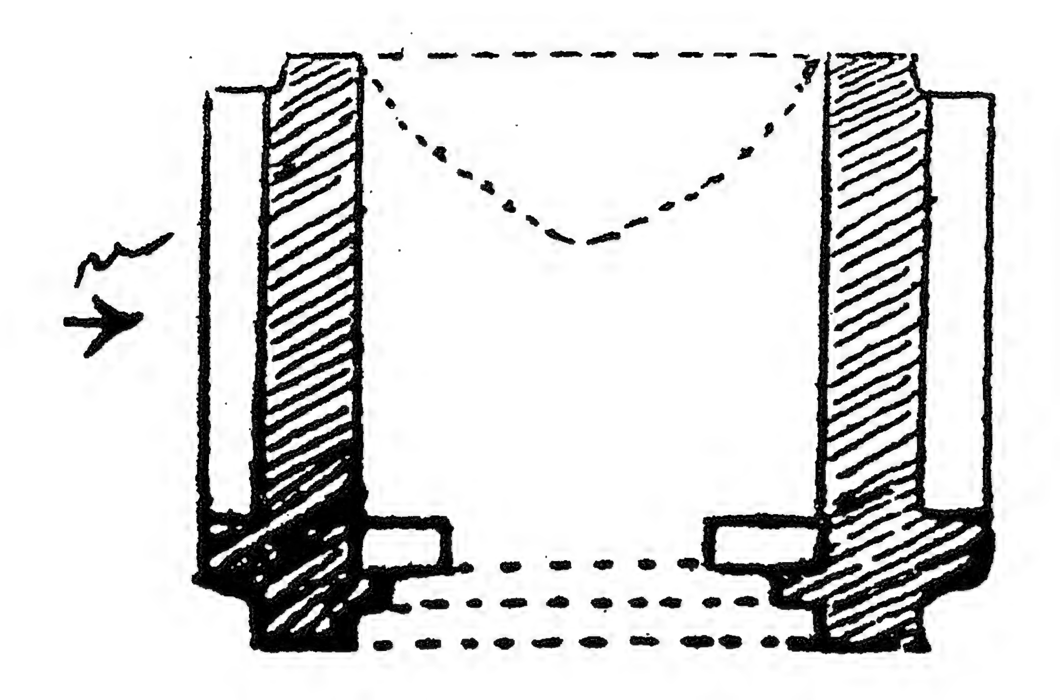
شكل رقم (١٦) : مسقط أفقى لباب زويله (المستوى الثانى) .



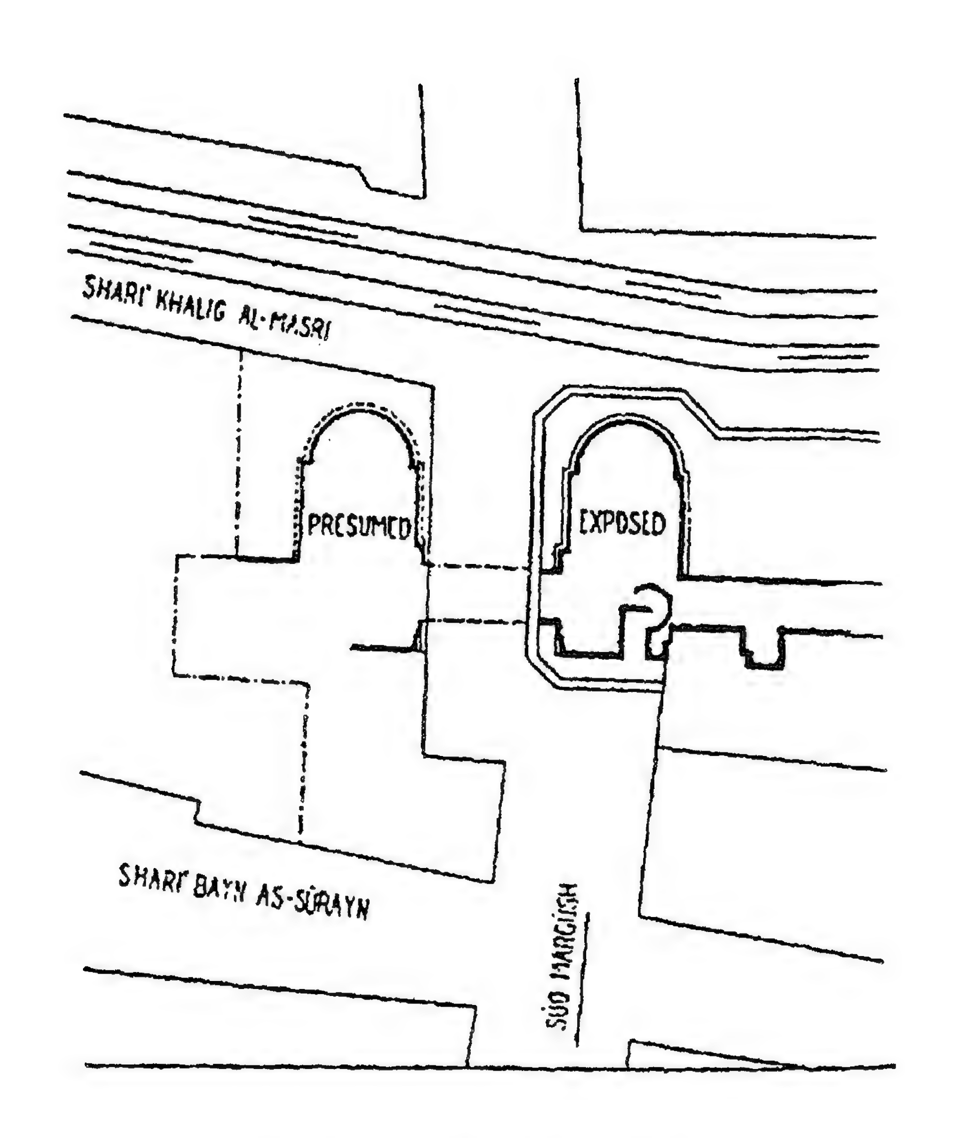
شكل رقم (١٧) : بعض الزخارف والتكوينات المعمارية الموجودة على باب زويله .



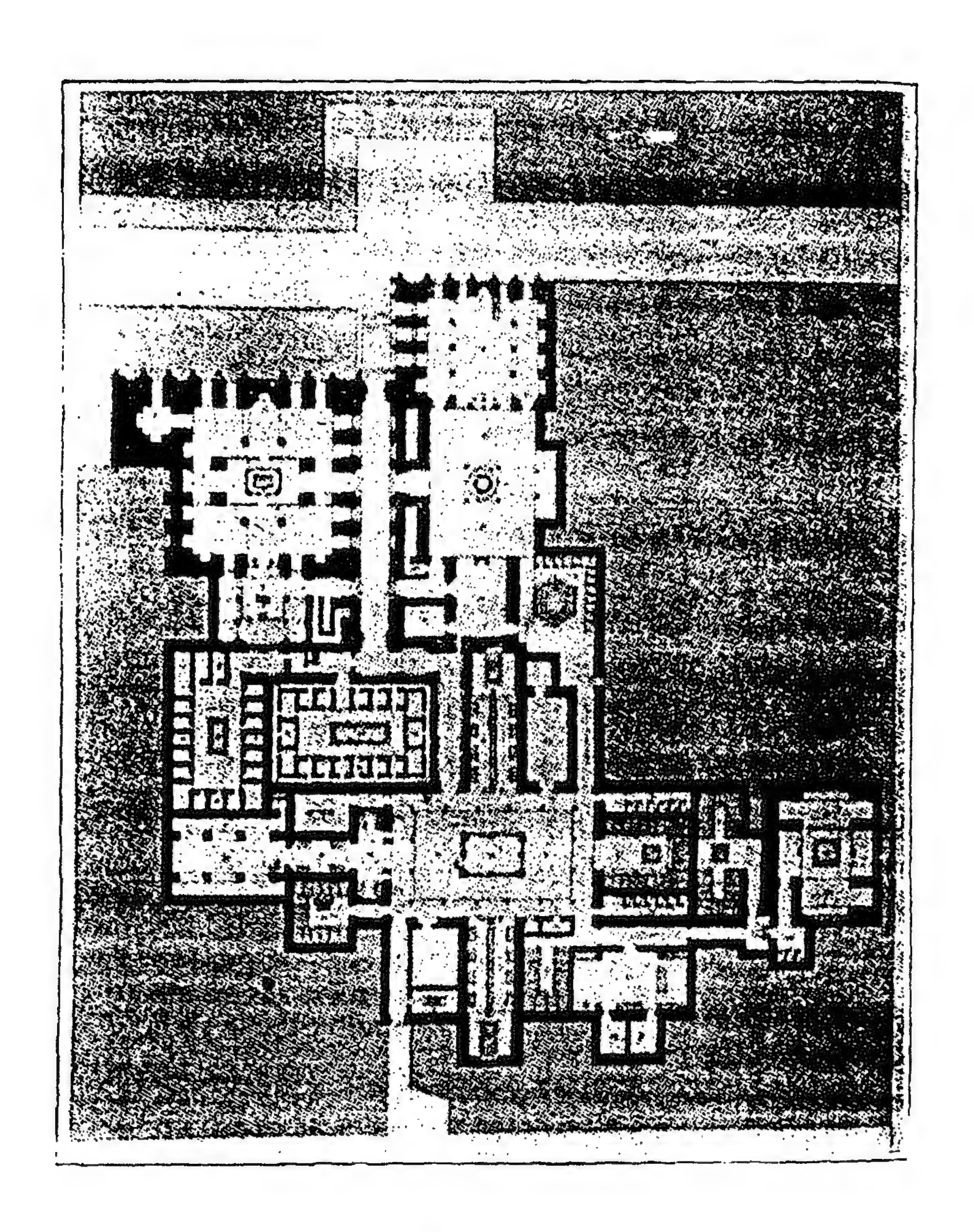
شكل رقم (١٨) : برج مستدير من الأمام بسور القاهرة الشمالى .



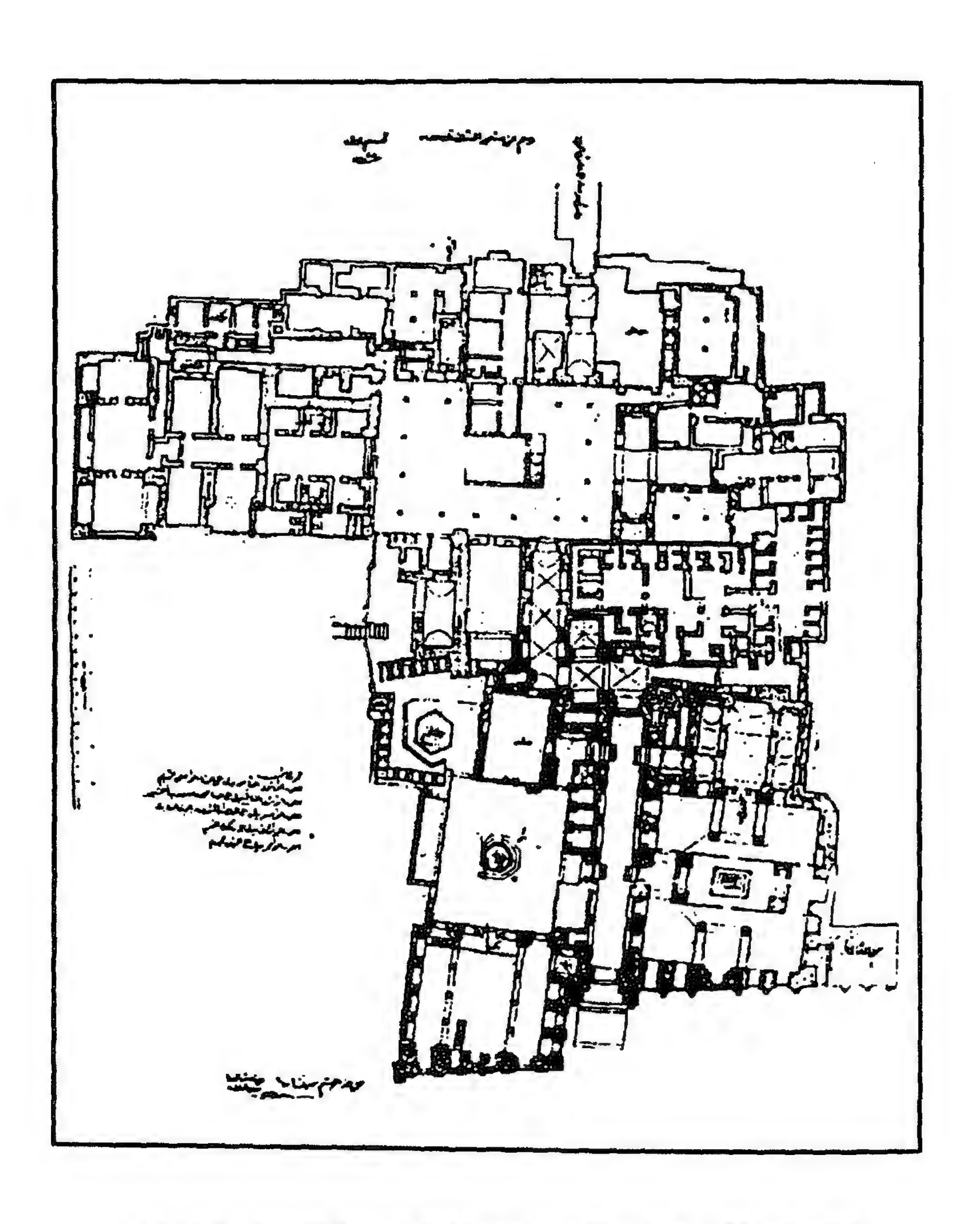
شكل رقم (١٩) : مسقط أفقى لباب التوفيق .



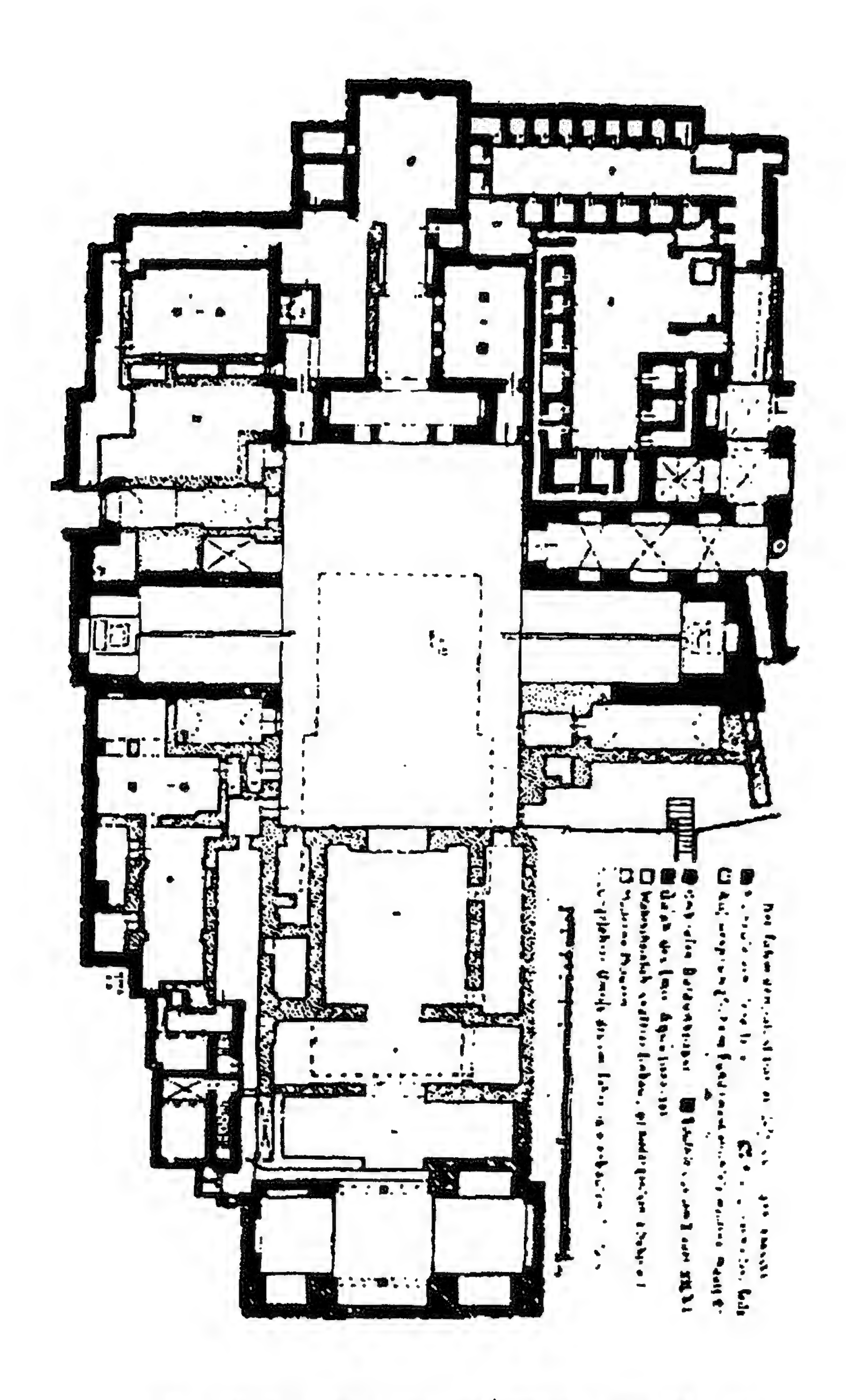
شكل رقم (٢٠) : مسقط أفقى لباب القنطرة .



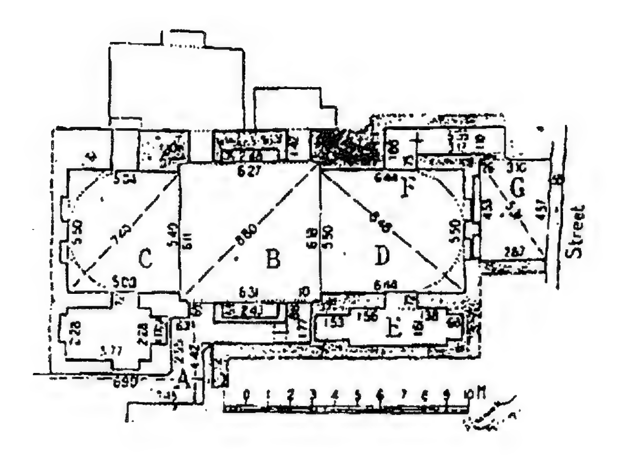
شكل رقم (٢١) : مسقط أفقى لمجموعة المنصور قلاون
بشارع المعز لدين الله الفاطمي .



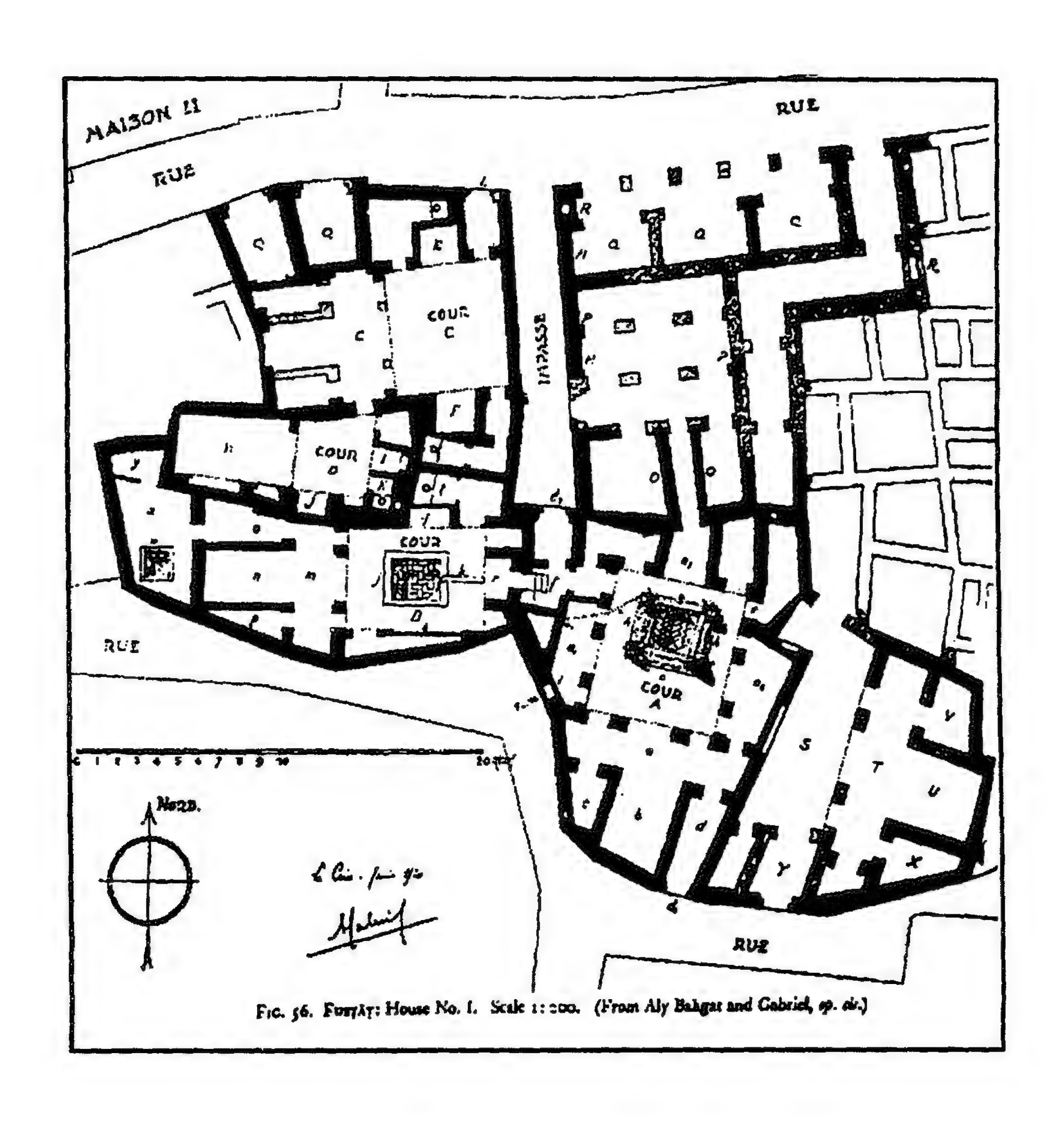
شكل رقم (٢٢) : مسقط أفقى لمجموعة المنصور قلاوون عن كريسويل .



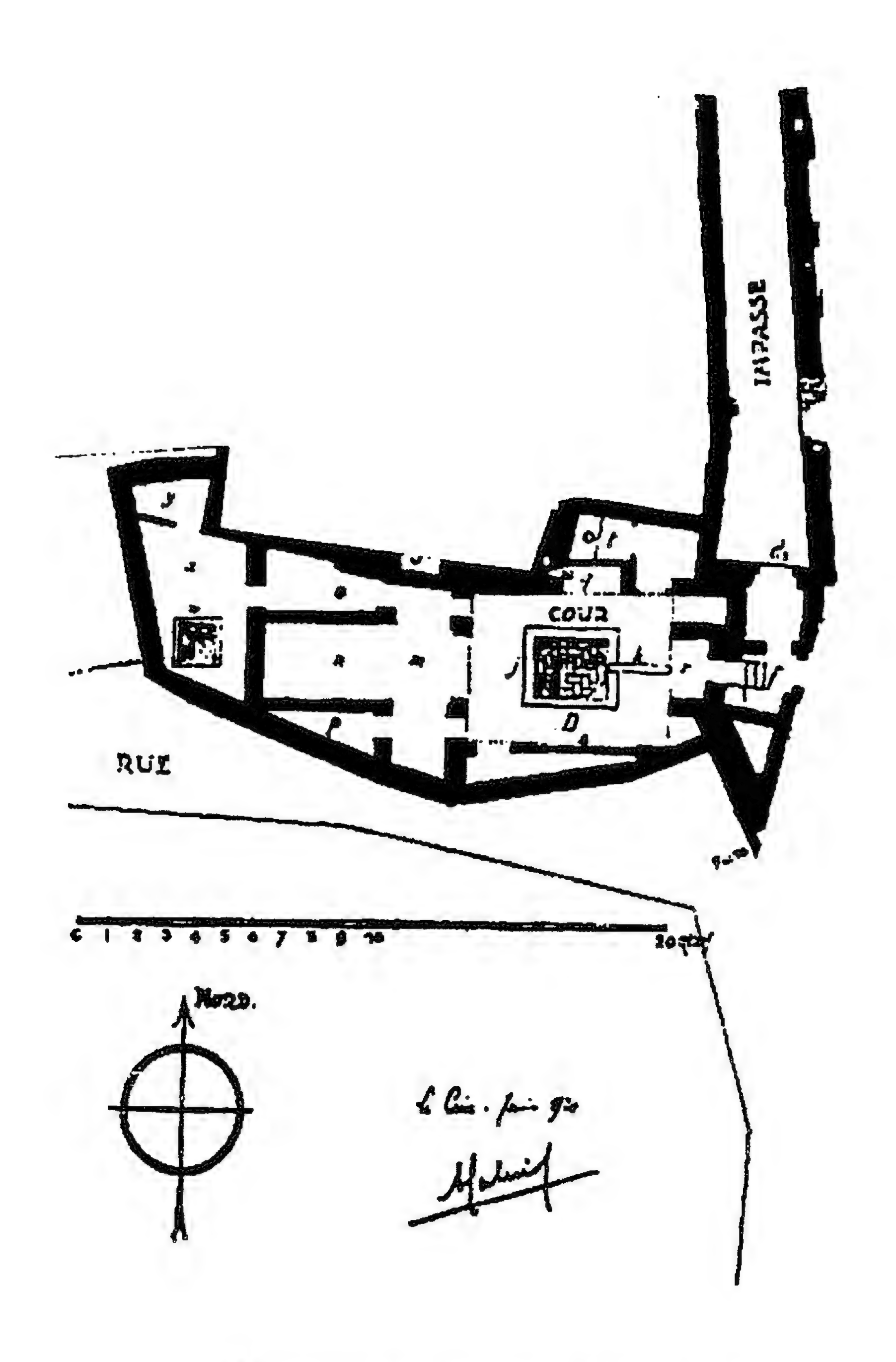
شكل رقم (٢٣) : مسقط أفقى لبقايا القصر الفاطمي الغربي .



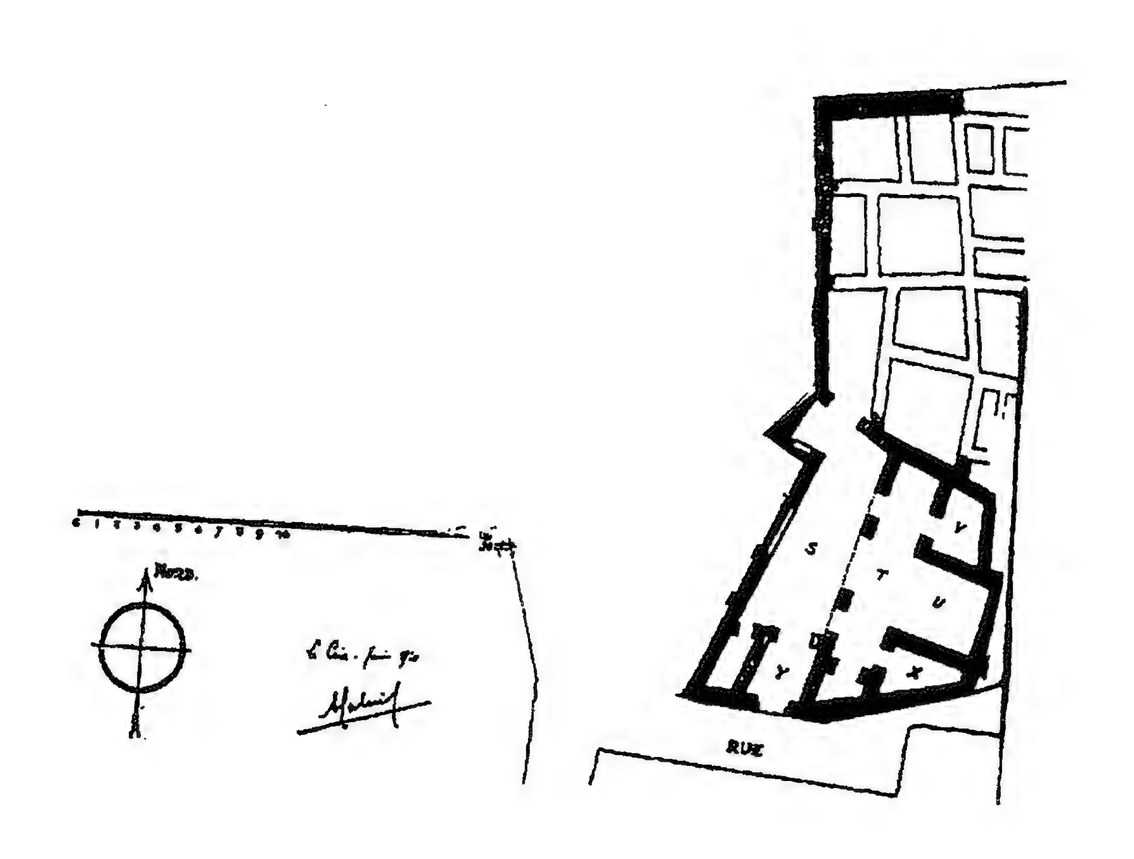
شكل رقم (٢٤) : مسقط أفقى وقطاع رأسى لقاعة الدردير.



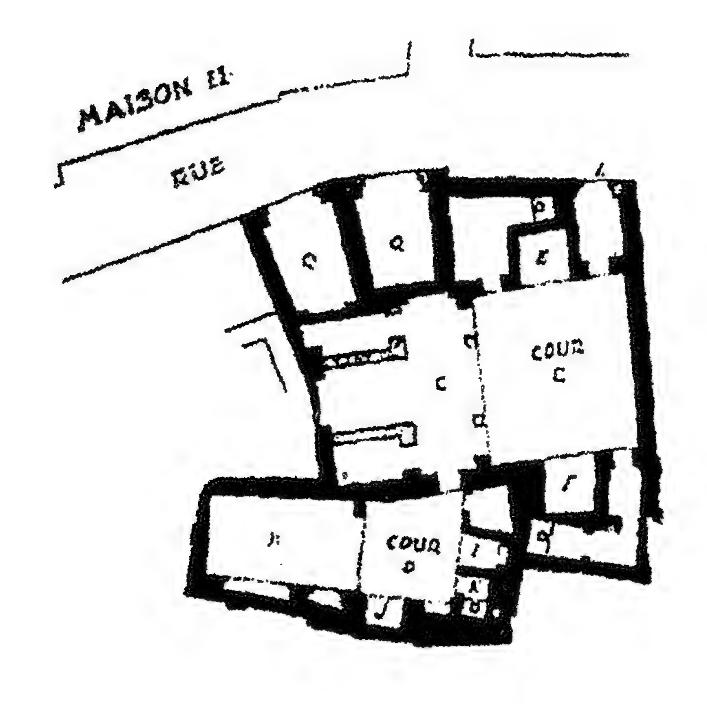
شكل رقم (٢٥) : مسقط أفقى لمنازل الفسطاط . (الدار الأولى) .

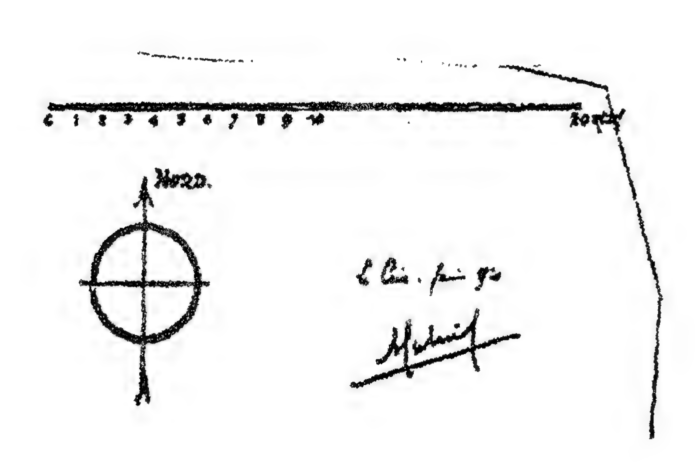


شكل رقم (٢٦) : منازل الفسطاط . (الدار الأولى) .

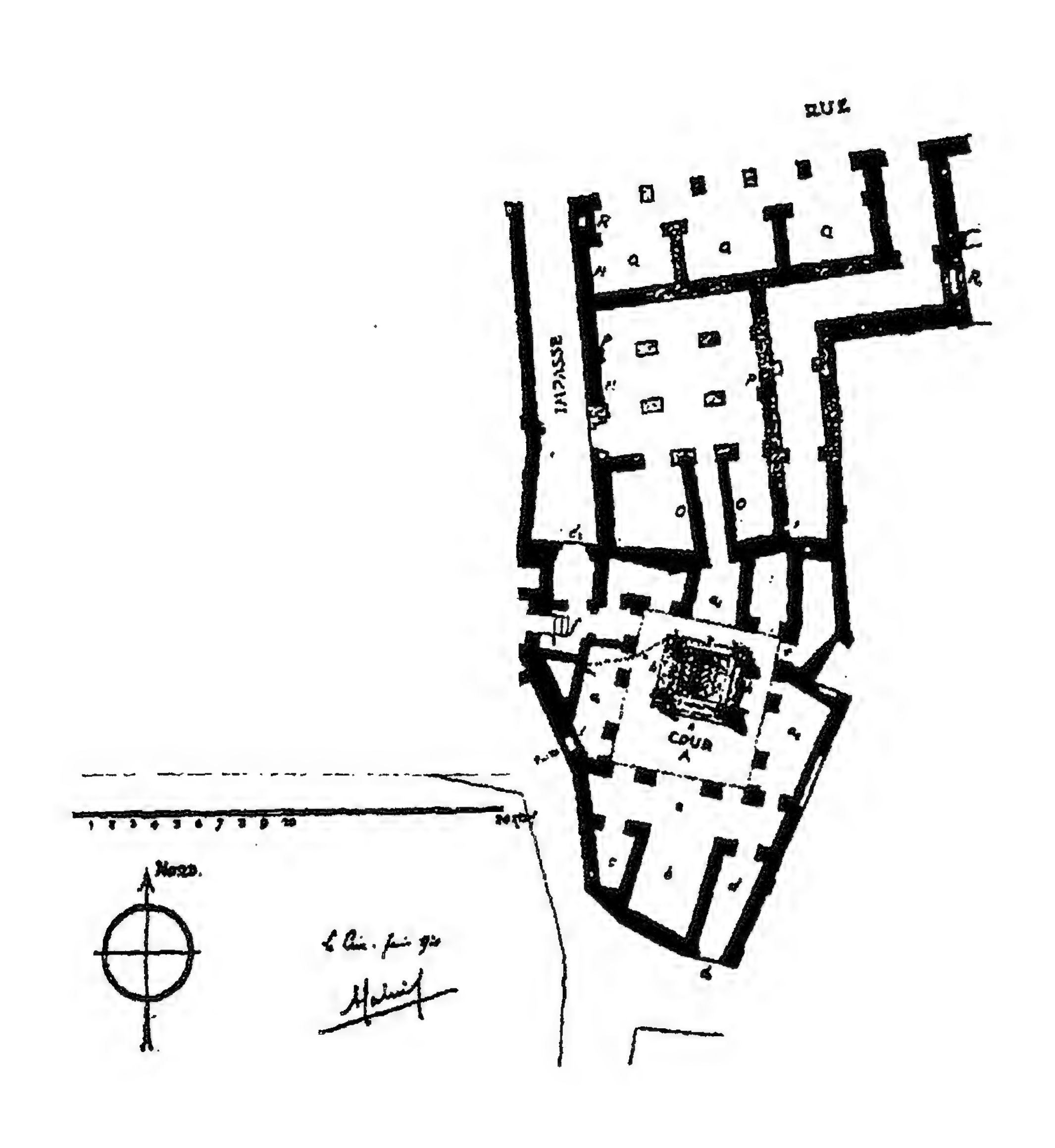


شكل رقم (٢٧) : منازل الفسطاط . (الدار الأولى) ١/أ .

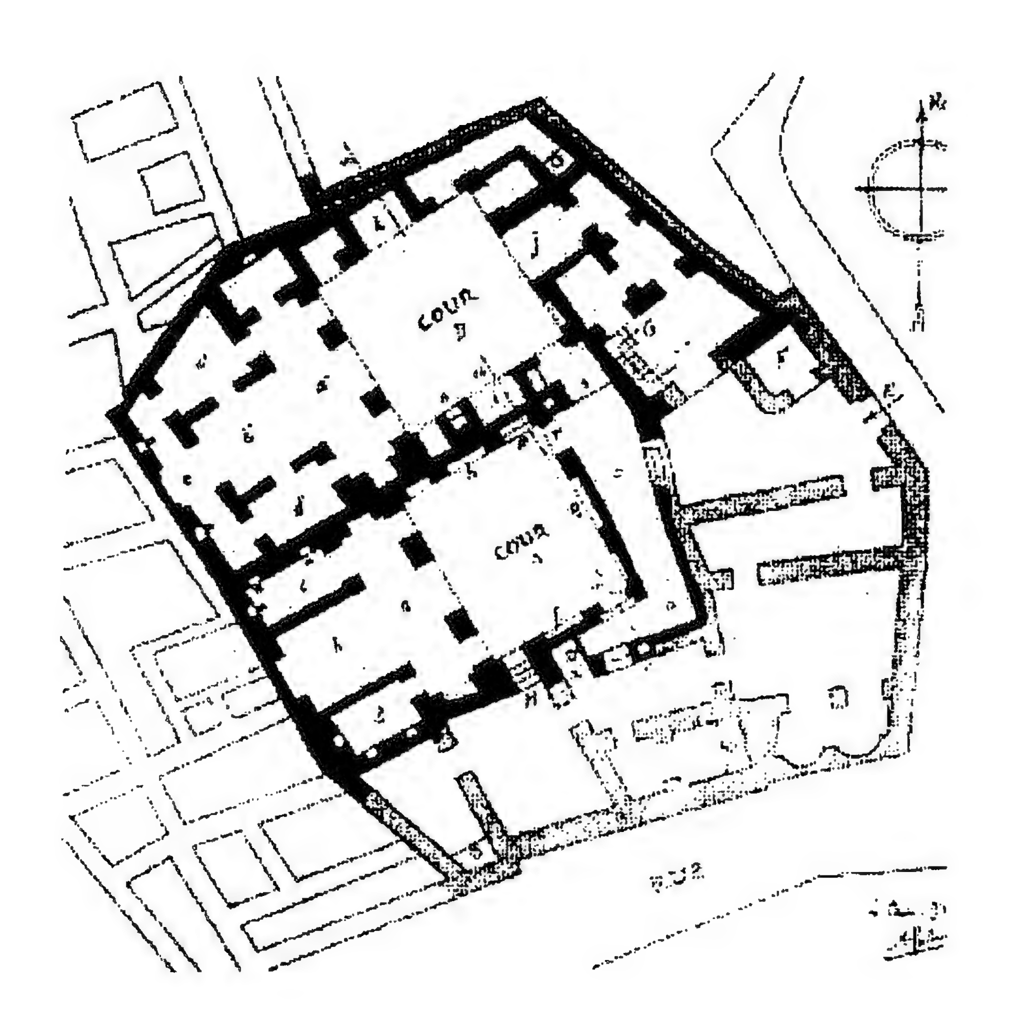




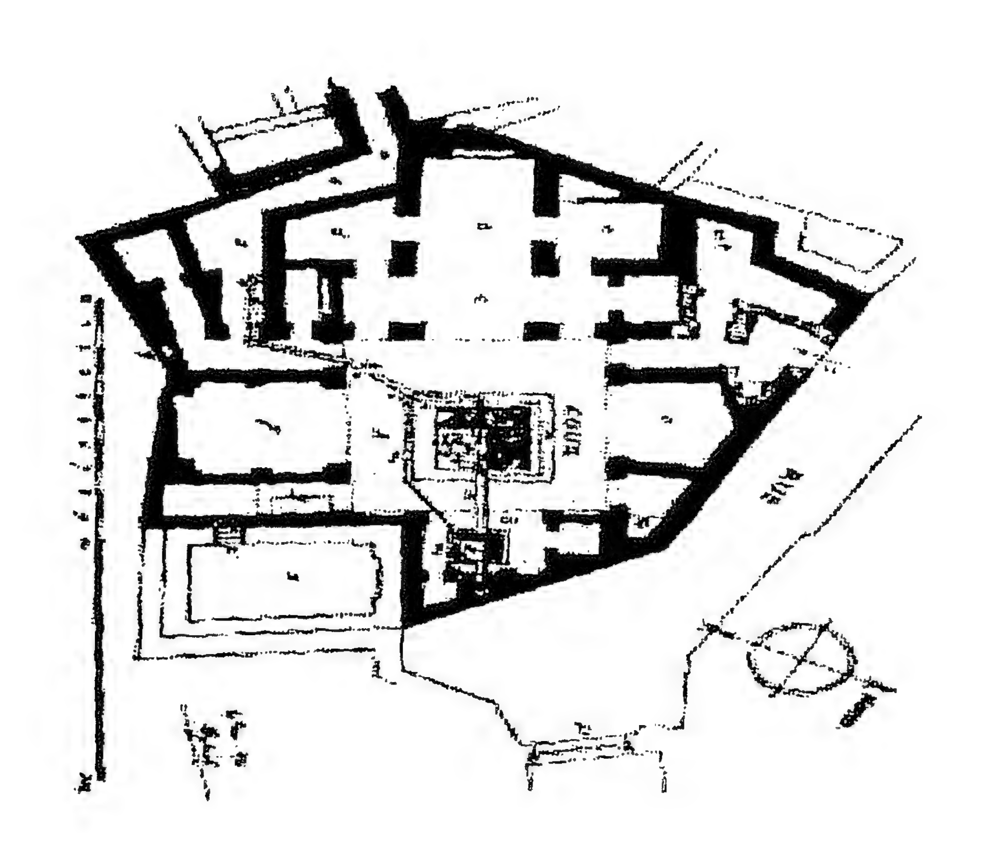
شكل رقم (٢٨) : منازل الفسطاط . (الدار الأولى) ١/ب .



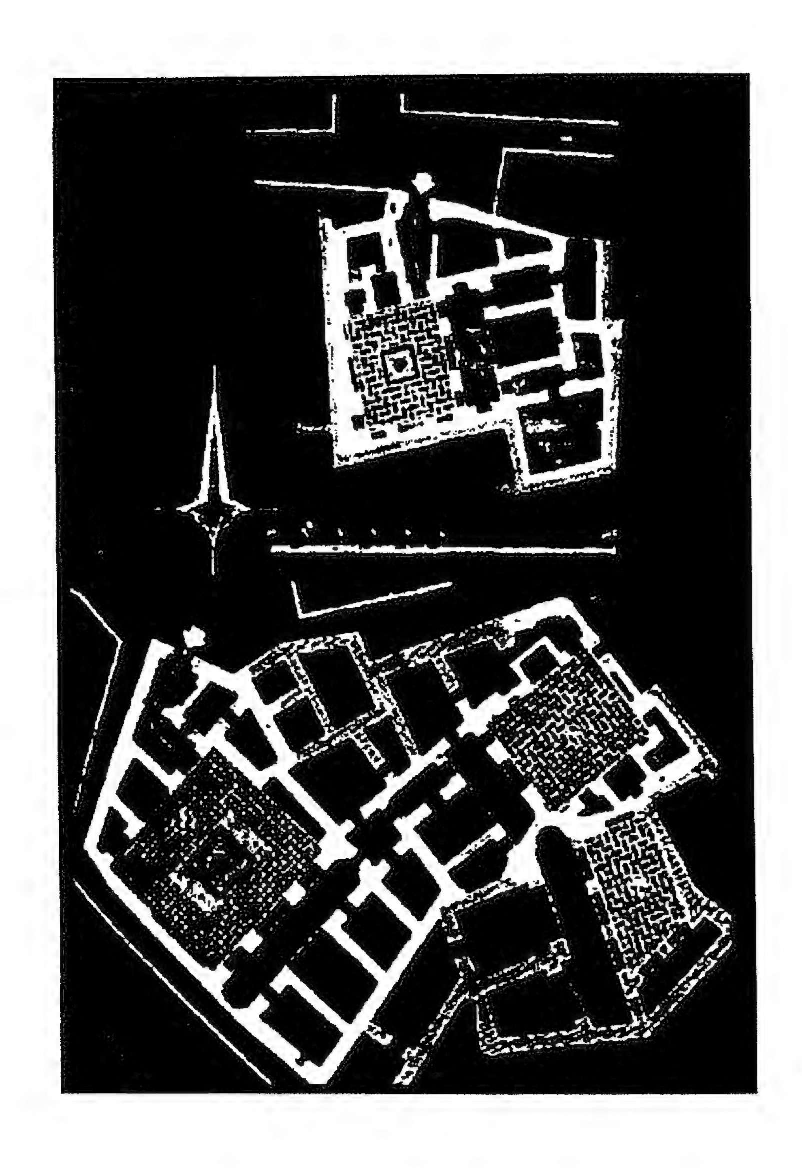
شكل رقم (٢٩) : منازل الفسطاط . (الدار الأولى) ١/ج .



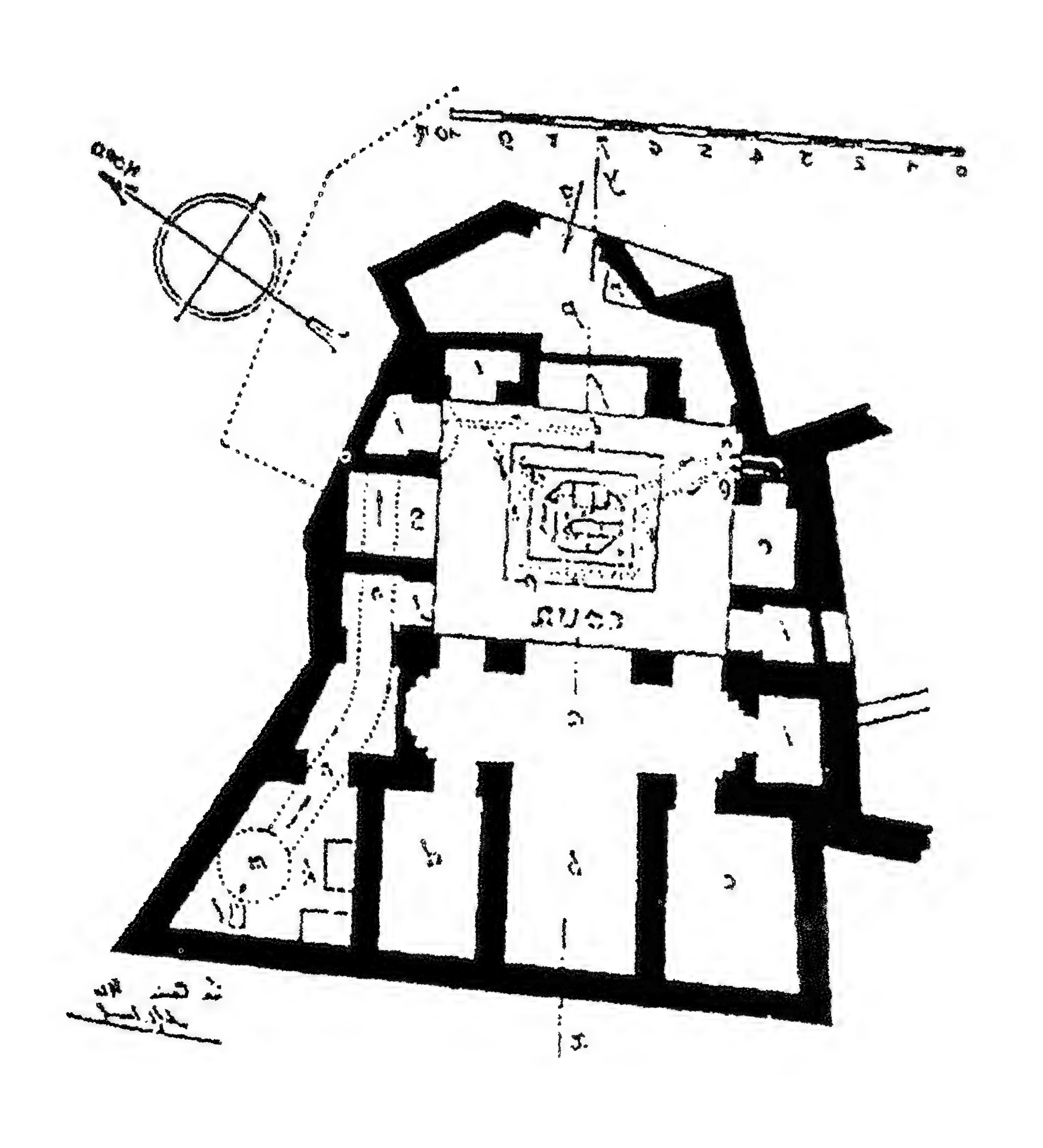
شكل رقم (٣٠) :منازل الفسطاط . (الدار الثانية) .



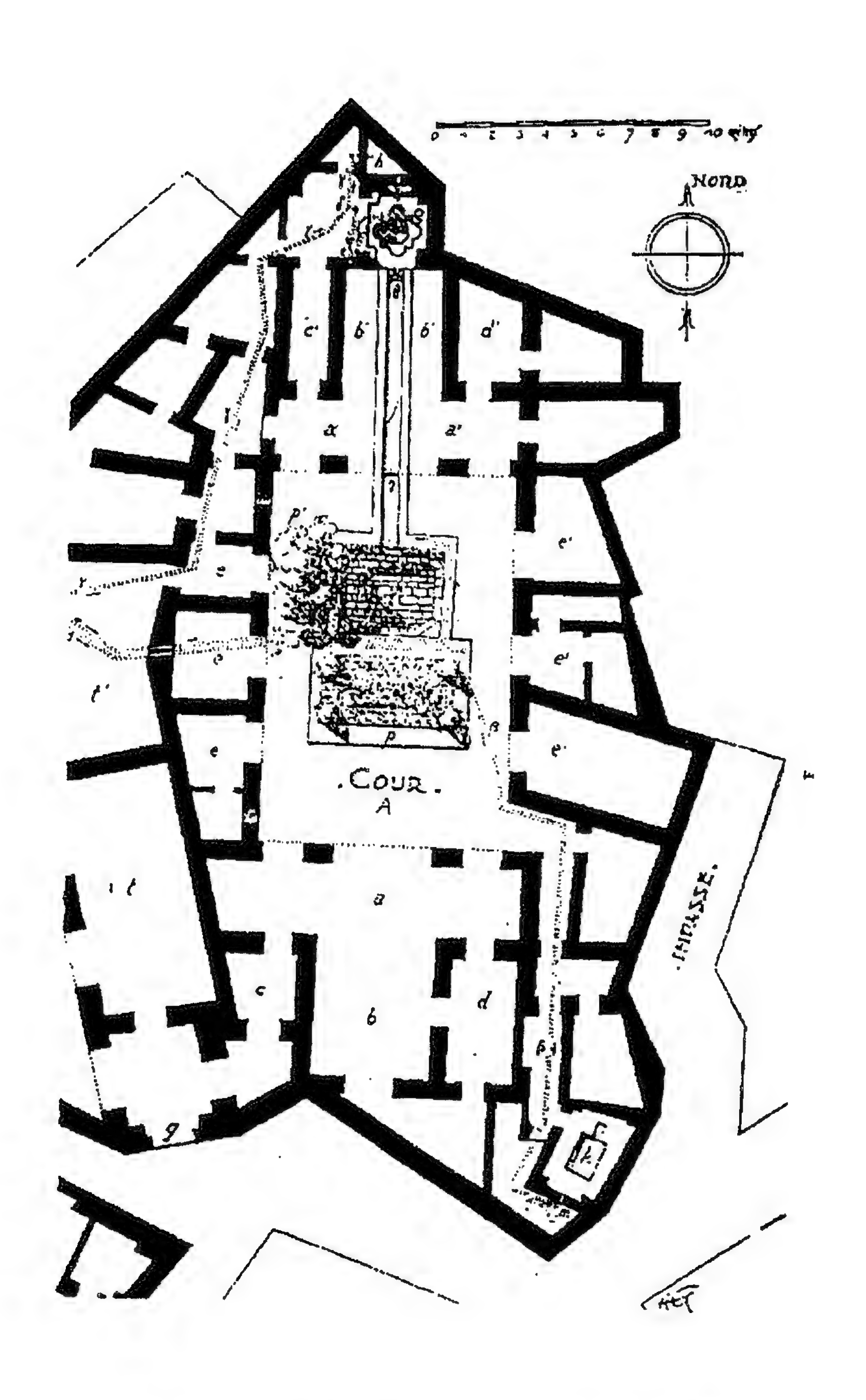
شكل رقم (٣١) : منازل الفسطاط . (الدار الثالثة) .



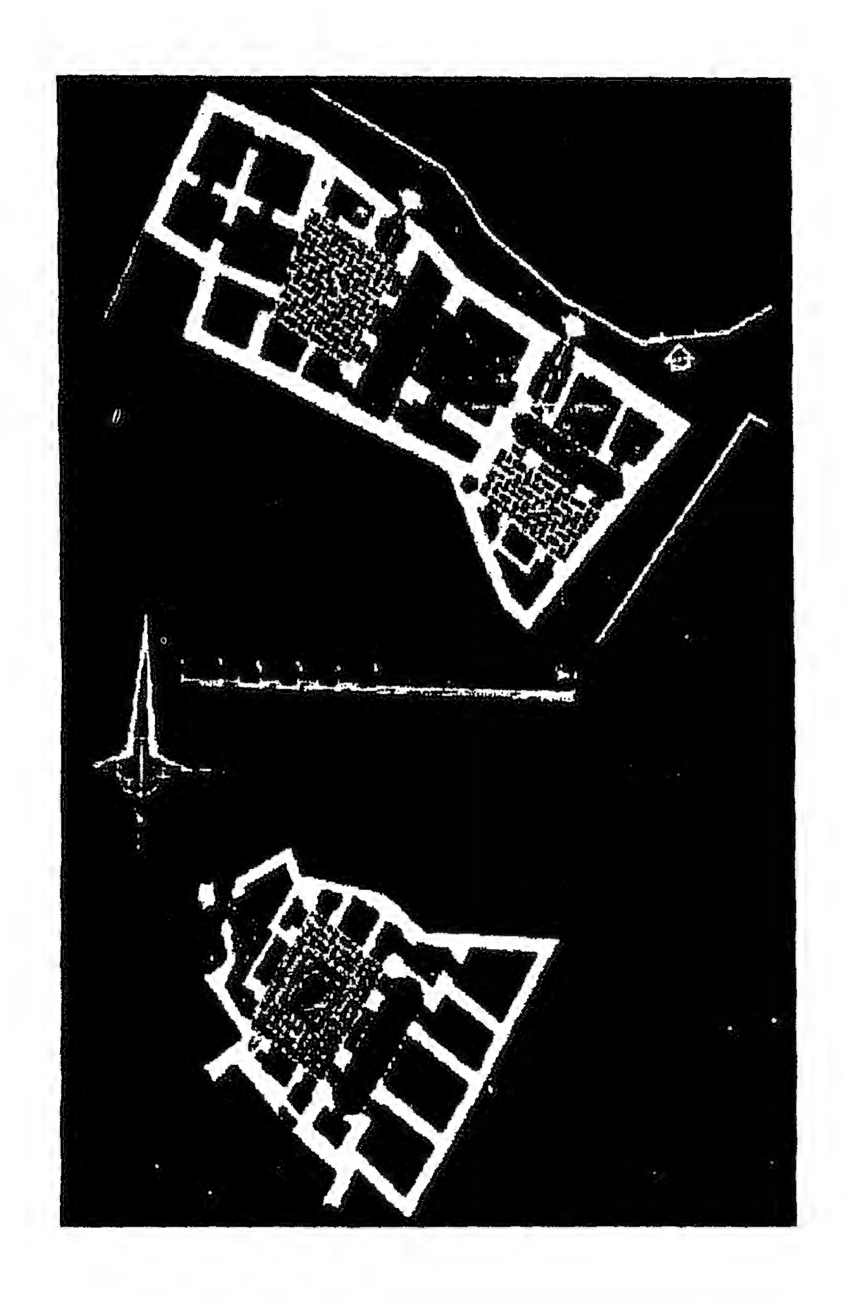
شكل رقم (٣٢) : منازل الفسطاط . (الدار الرابعة والخامسة) .



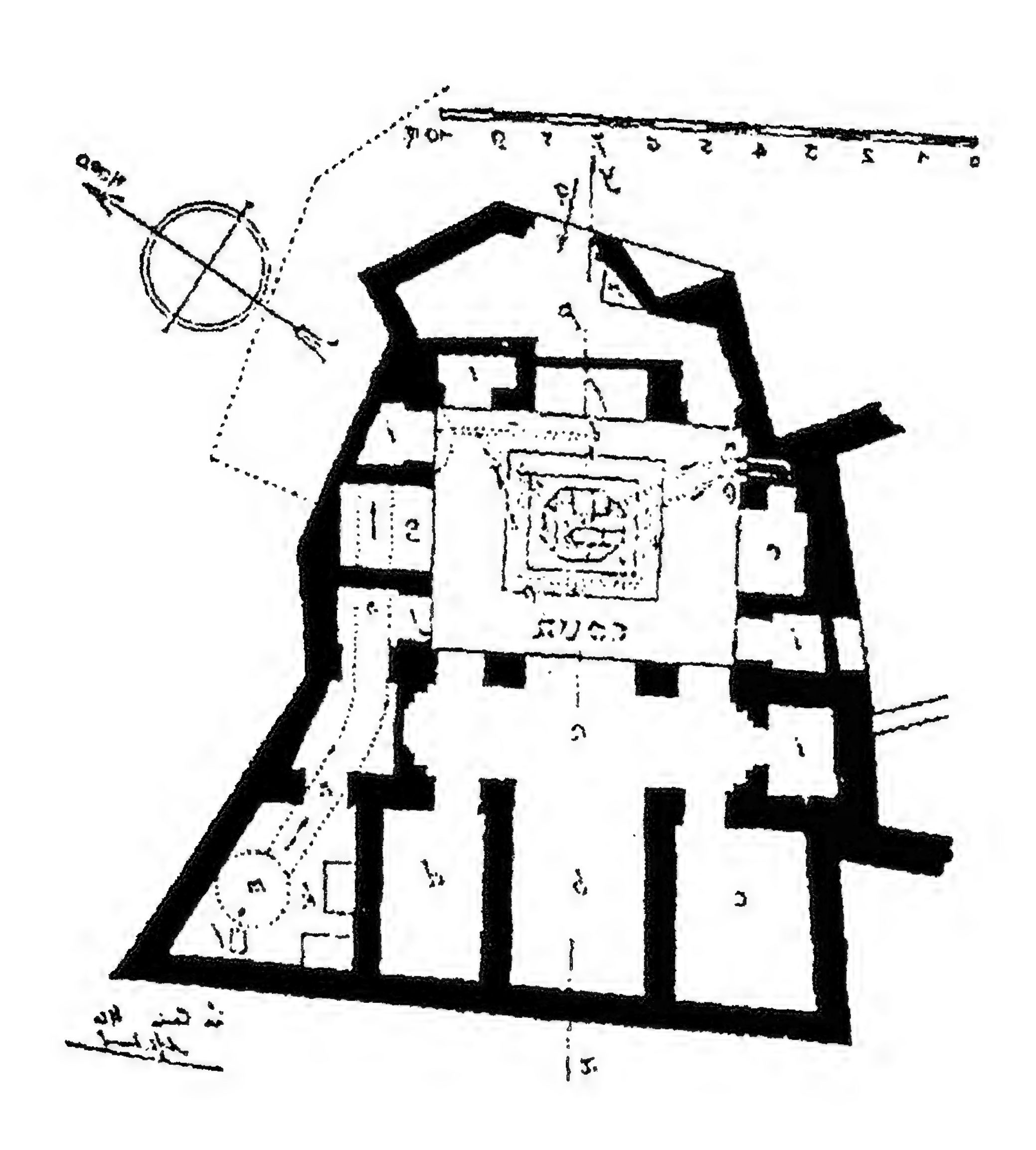
شكل رقم (٣٣) : منازل الفسطاط . (الدار الخامسة) .



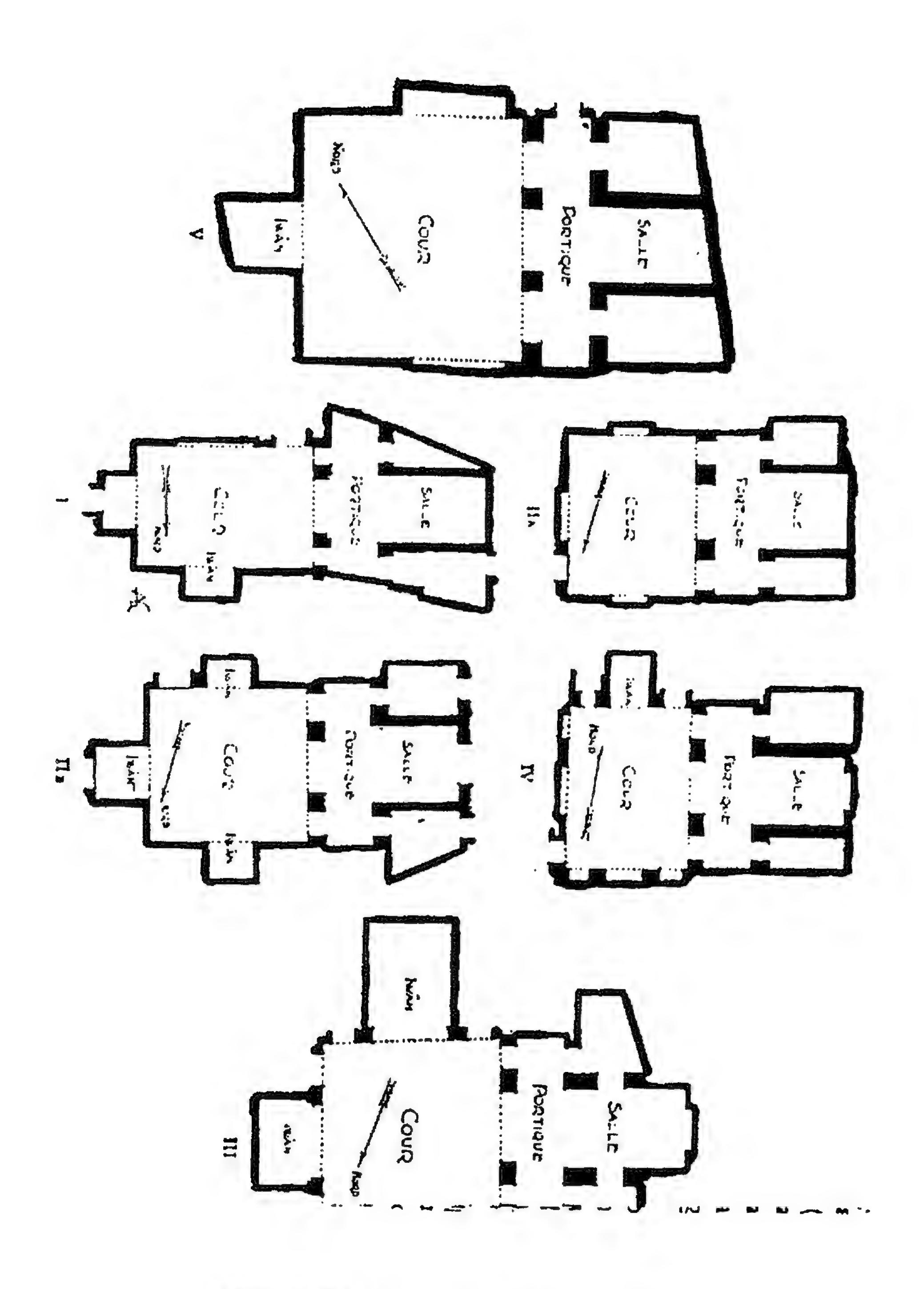
شكل رقم (٣٤) : منازل الفسطاط . (الدار السادسة) .



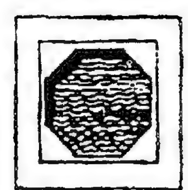
شكل رقم (٣٥) : منازل الفسطاط . (الدارالسابعة والثامنة) .



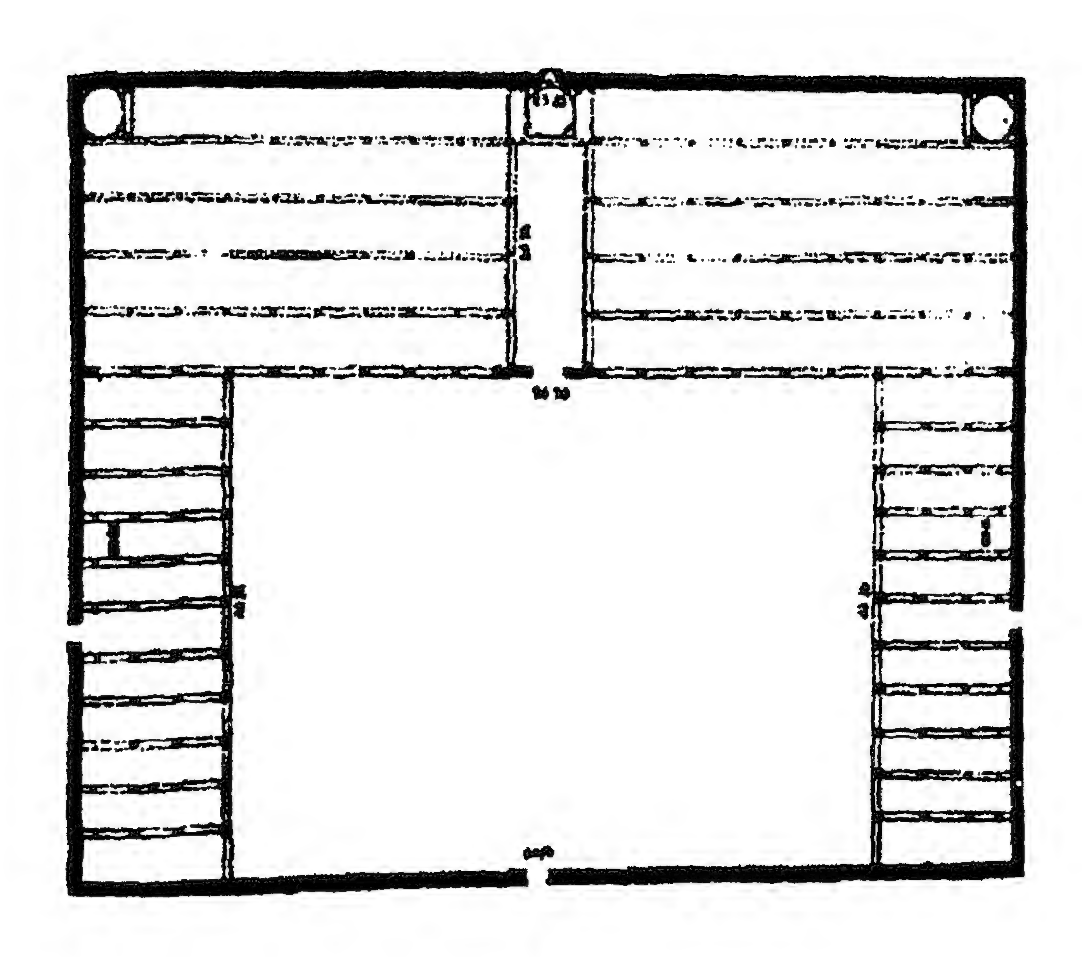
شكل رقم (٣٦) : منازل الفسطاط . (الدار الثامنة) .



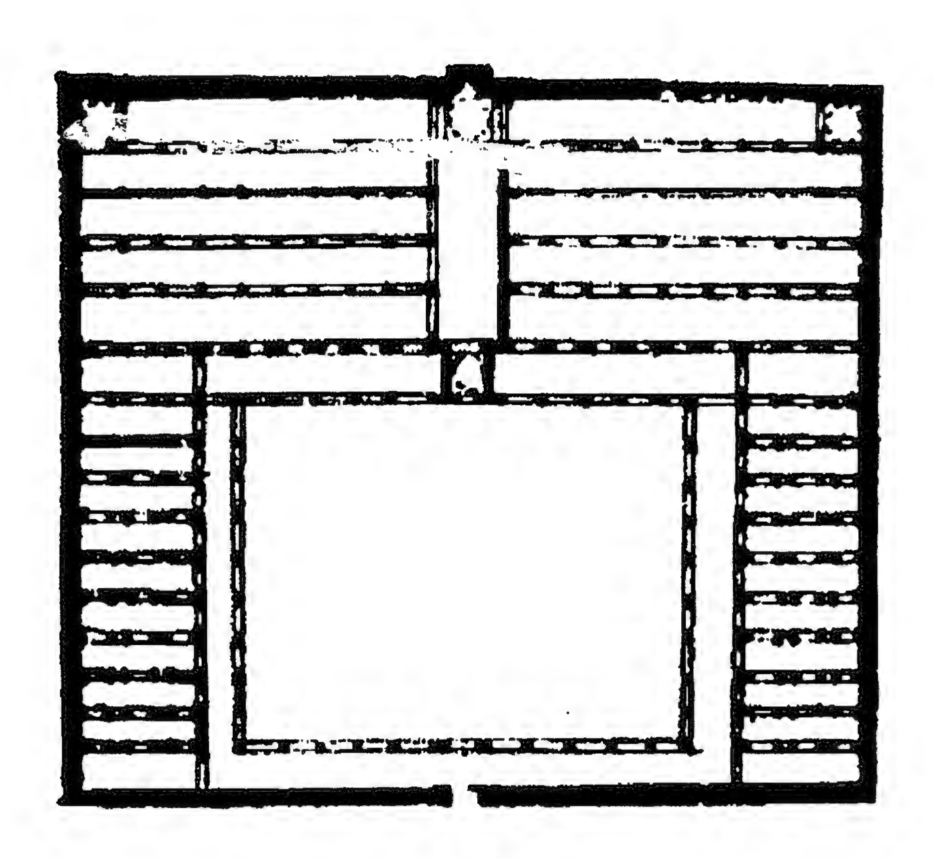
شكل رقم (٣٧) : بيوت الفسطاط . (توجيه الصحن) .



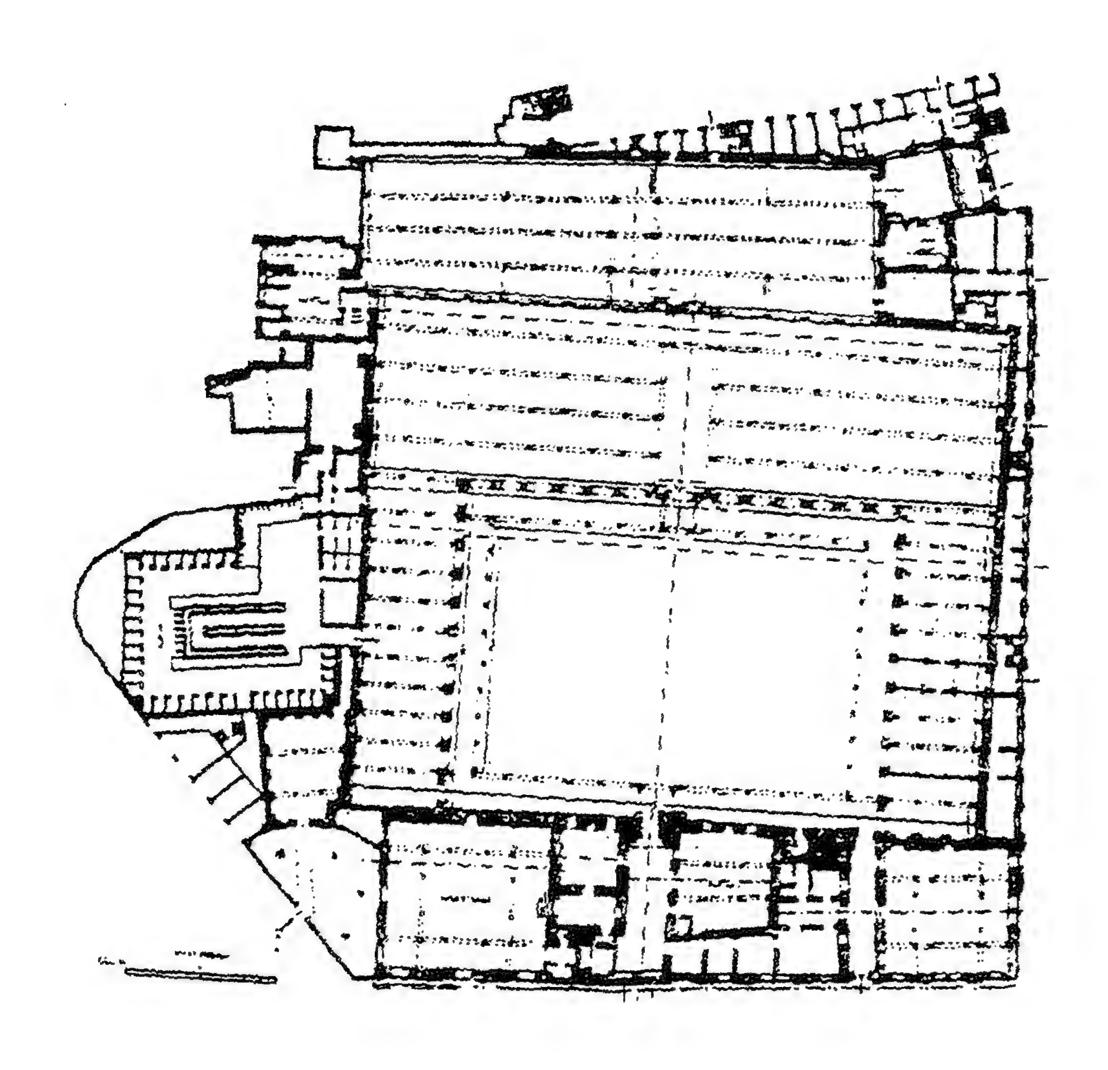
شكل رقم (٣٨) : البيت الطولونى الأول بمدينة العسكر.



شكل رقم (٣٩) : مسقط أفقى للجامع الأزهر (قبل زيادة الحافظ) .



شكل رقم (٤٠) : مسقط أفقى للجامع الأزهر بعد زيادة الحافظ .

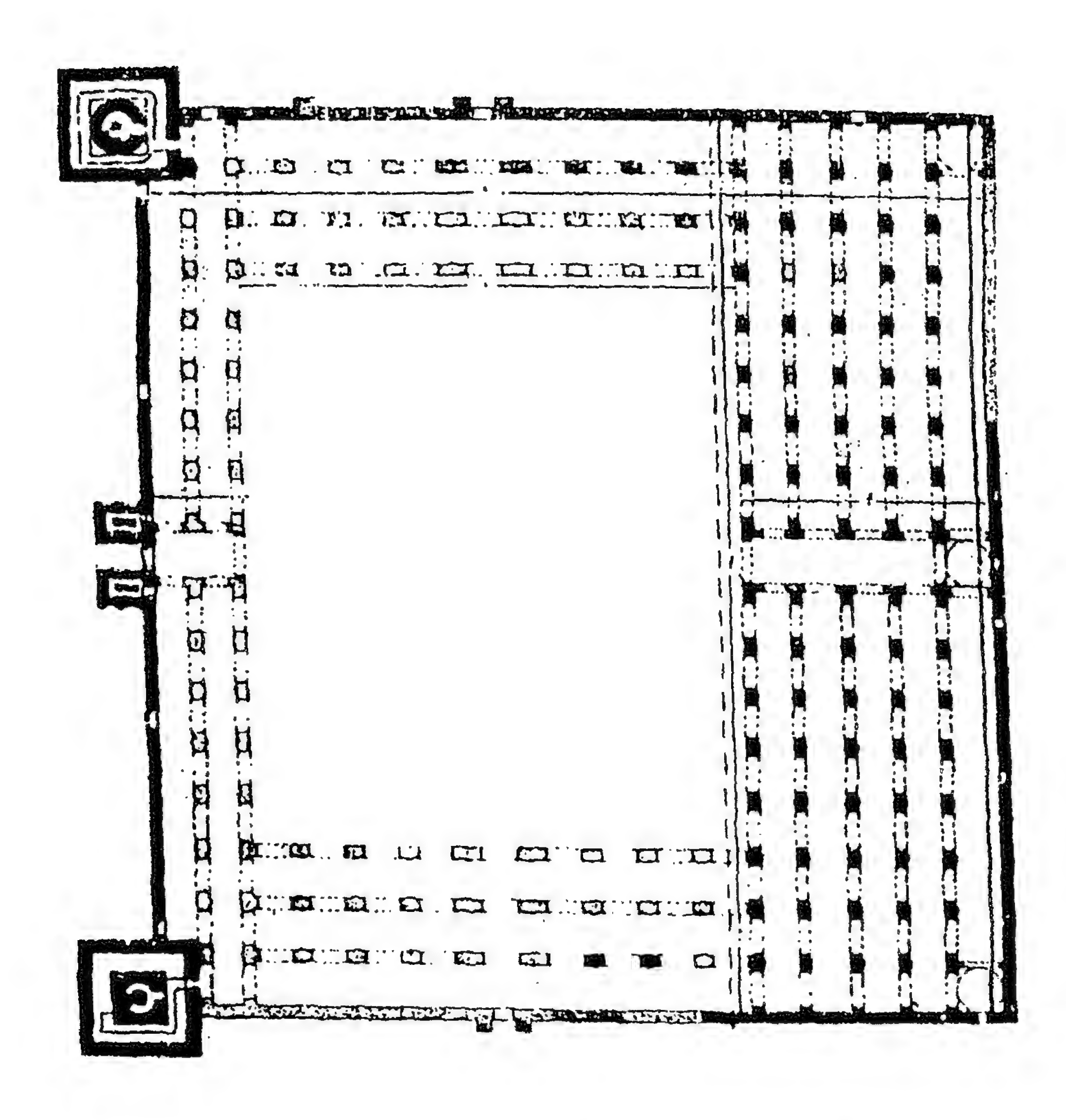


شكل رقم (٤١) : مسقط أفقى للجامع الأزهر ، والزيادات المعمارية التى تمت به منذ إنشائه حتى العصر العثمانى .

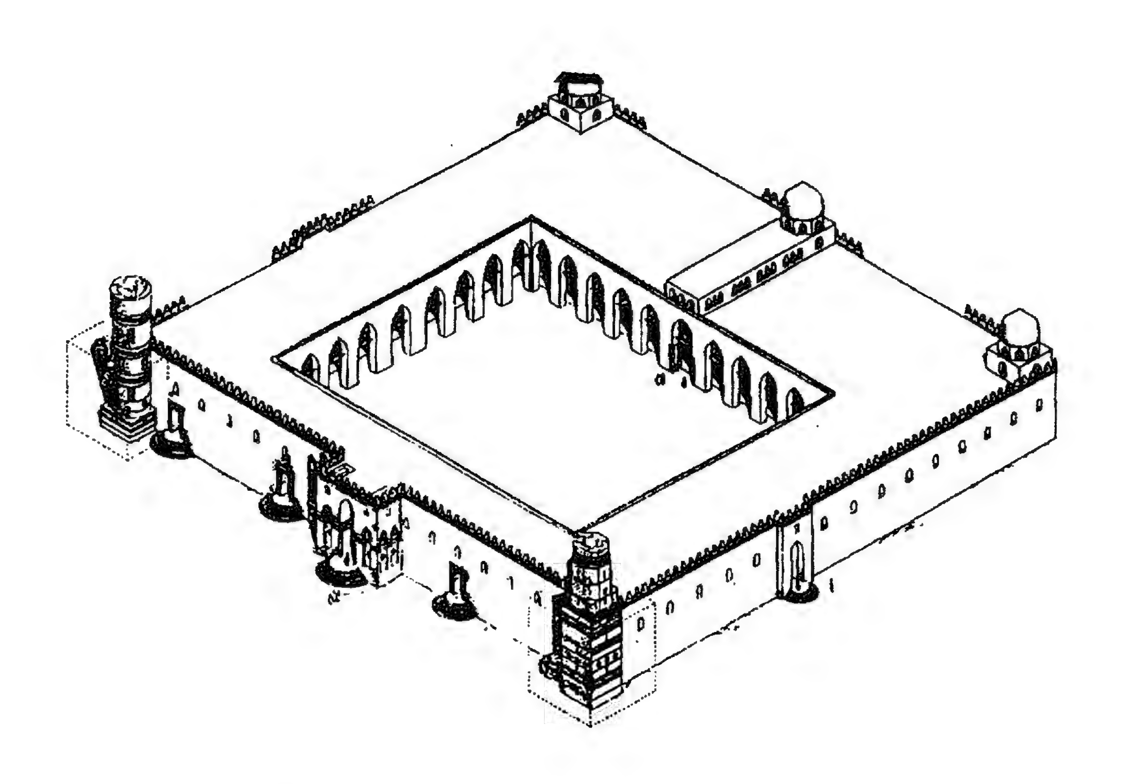


شكل رقم (٤٢) : زخارف المحراب بالجامع الأزهر.

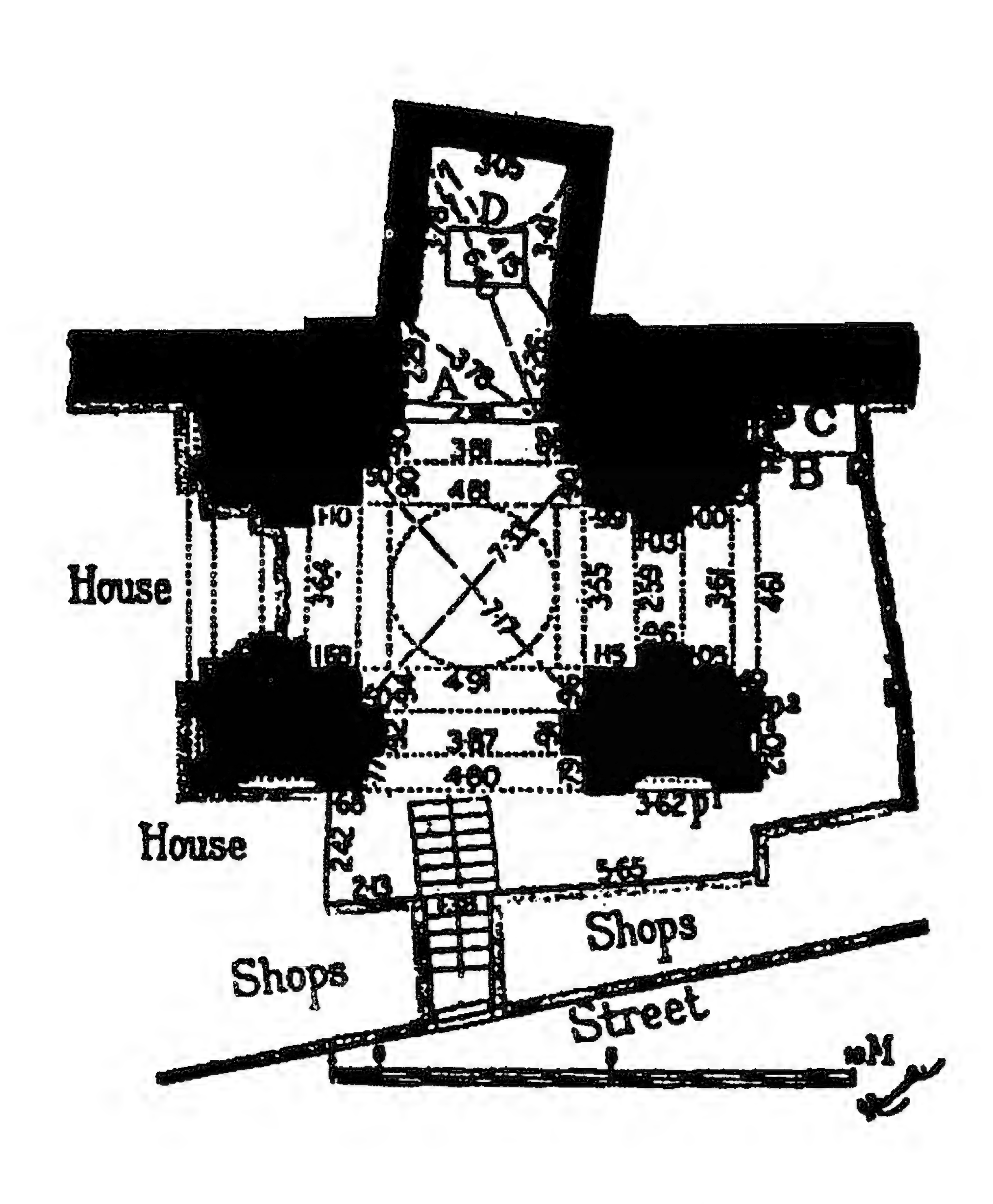
شكل رقم (٤٣) : نص إنشاء محراب الآمر بأحكام الله ، المعمول للجـامع الأزهـر
المحفوظ حالياً بمتحف الفن الإسلامى بالقاهر برقم سجل ٤٢٢ .



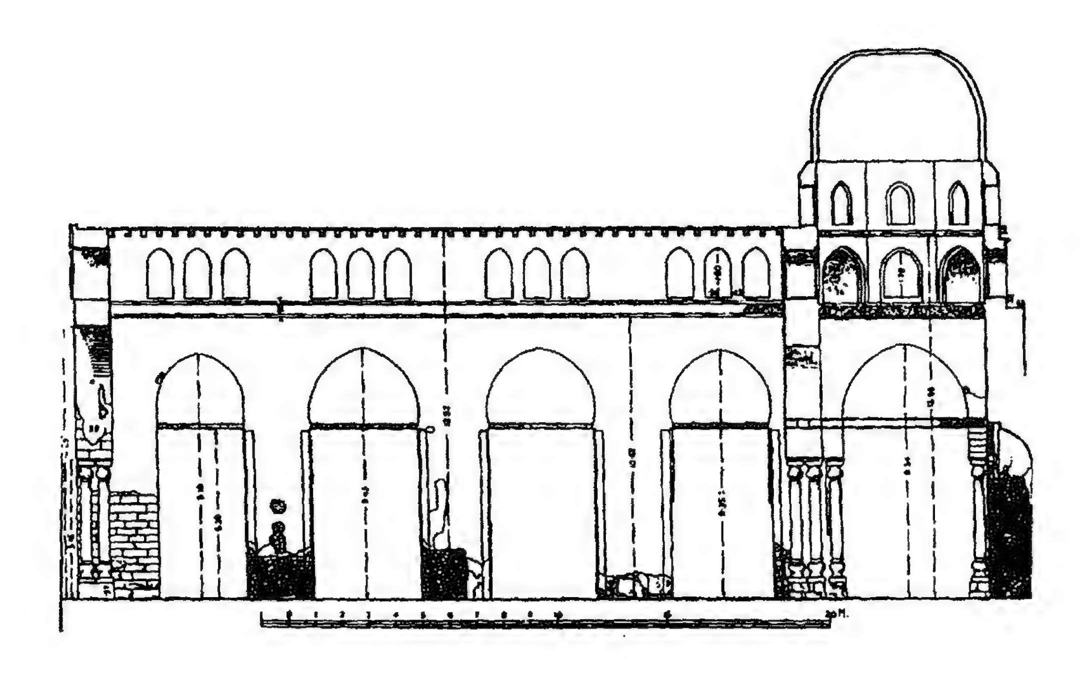
شكل رقم (٤٤) : مسقط أفقى لجامع الحاكم بأمر الله .



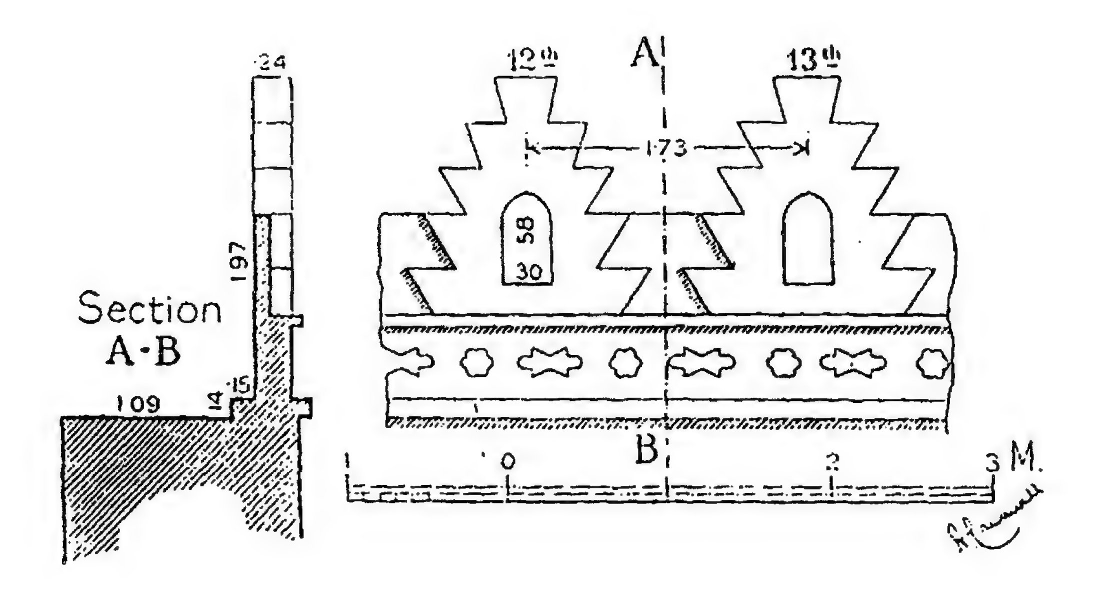
شكل رقم (٤٥) : منظر عام لجامع الحاكم بأمر الله .



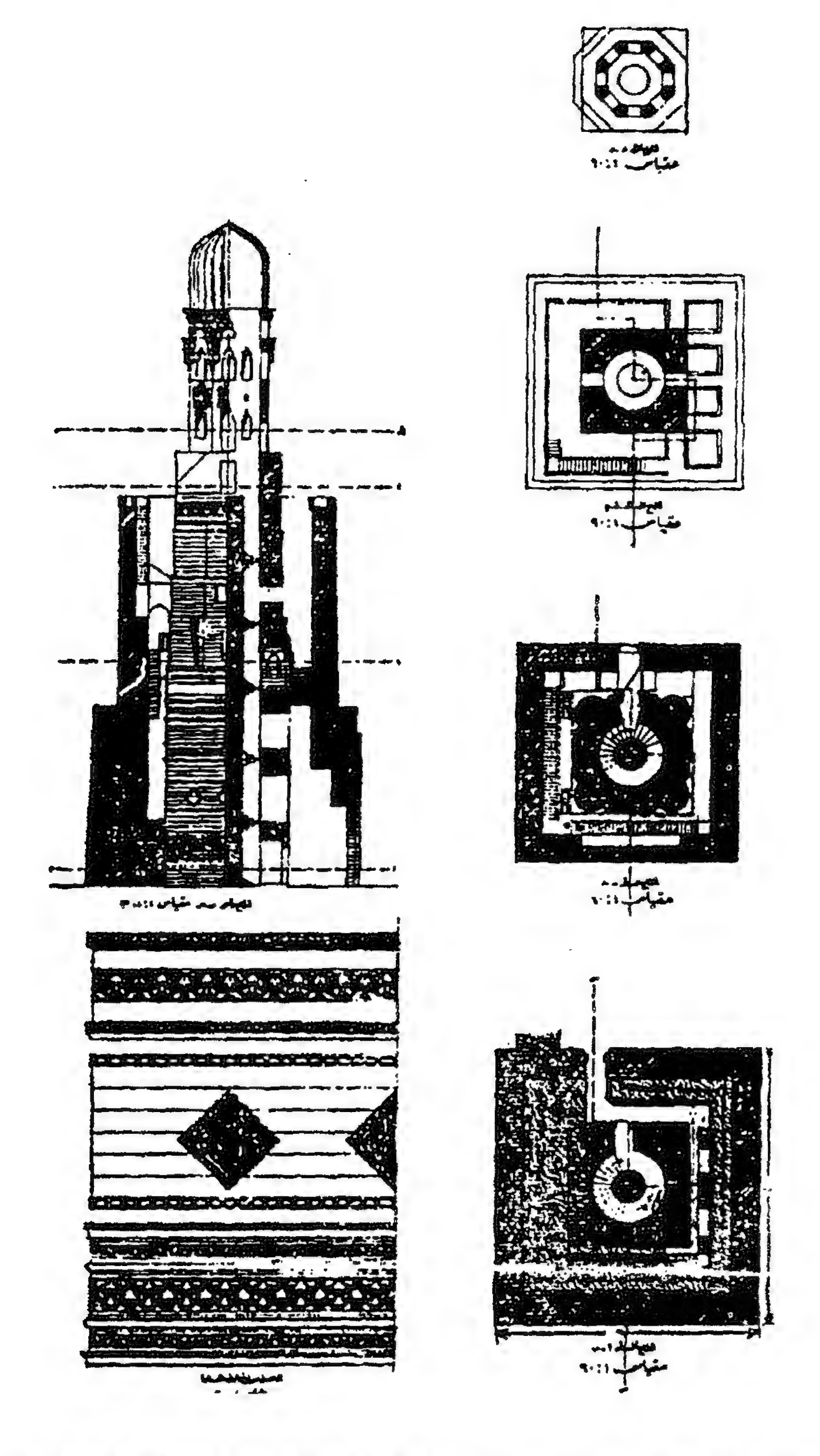
شكل رقم (٤٦) : مسقط أفقى لمدخل زياده جامع الحاكم بأمر الله .



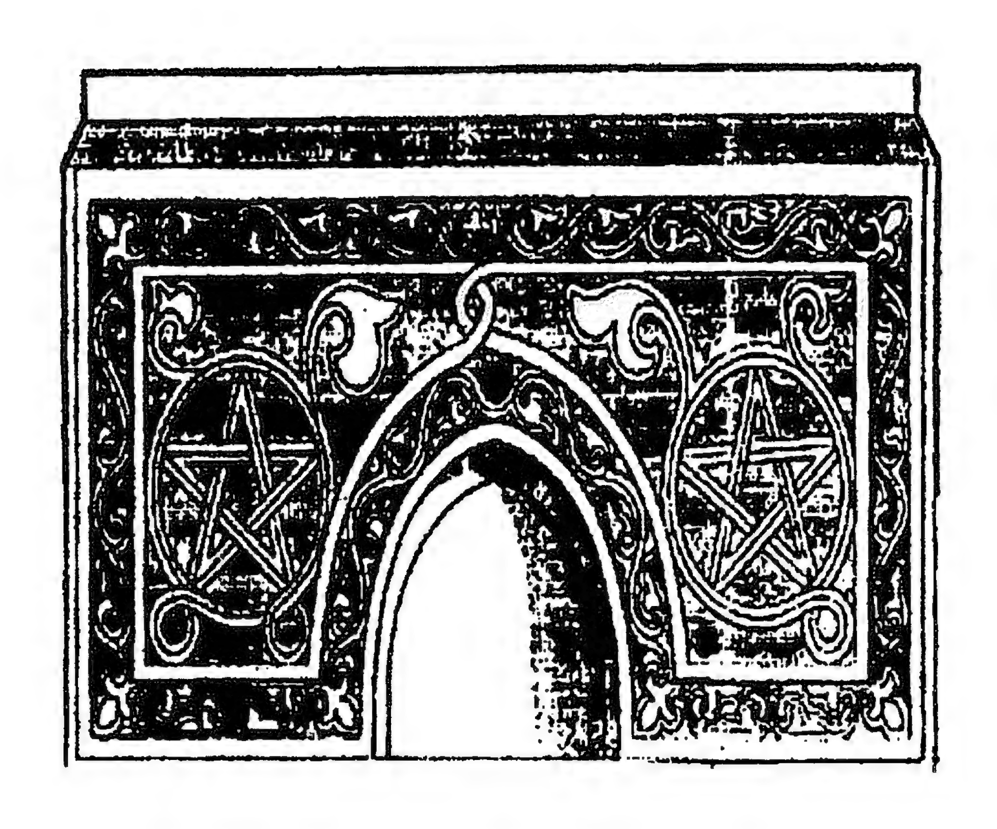
شكل رقم (٤٧) : قطاع يبين المجاز القاطع بجامع الحاكم بأمر الله .



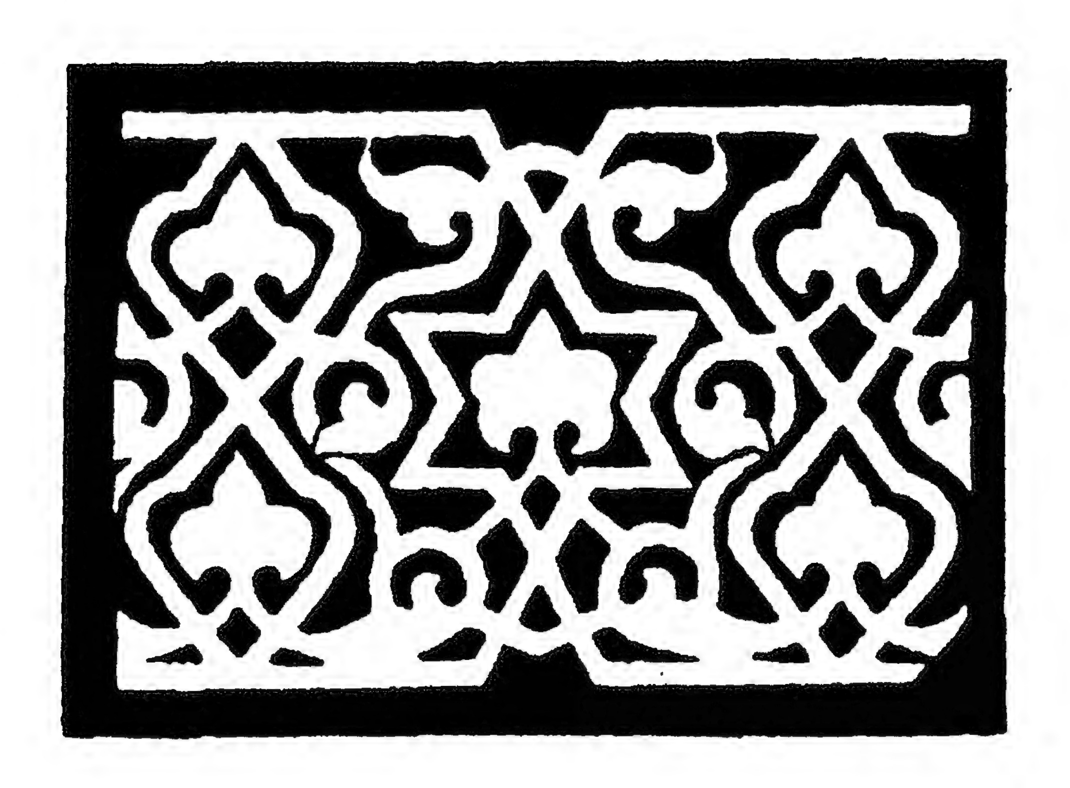
شكل رقم (٤٨) : الشرافات المدرجة بالواجهة الشمالية الغربية لجامع الحاكم بأمر الله .



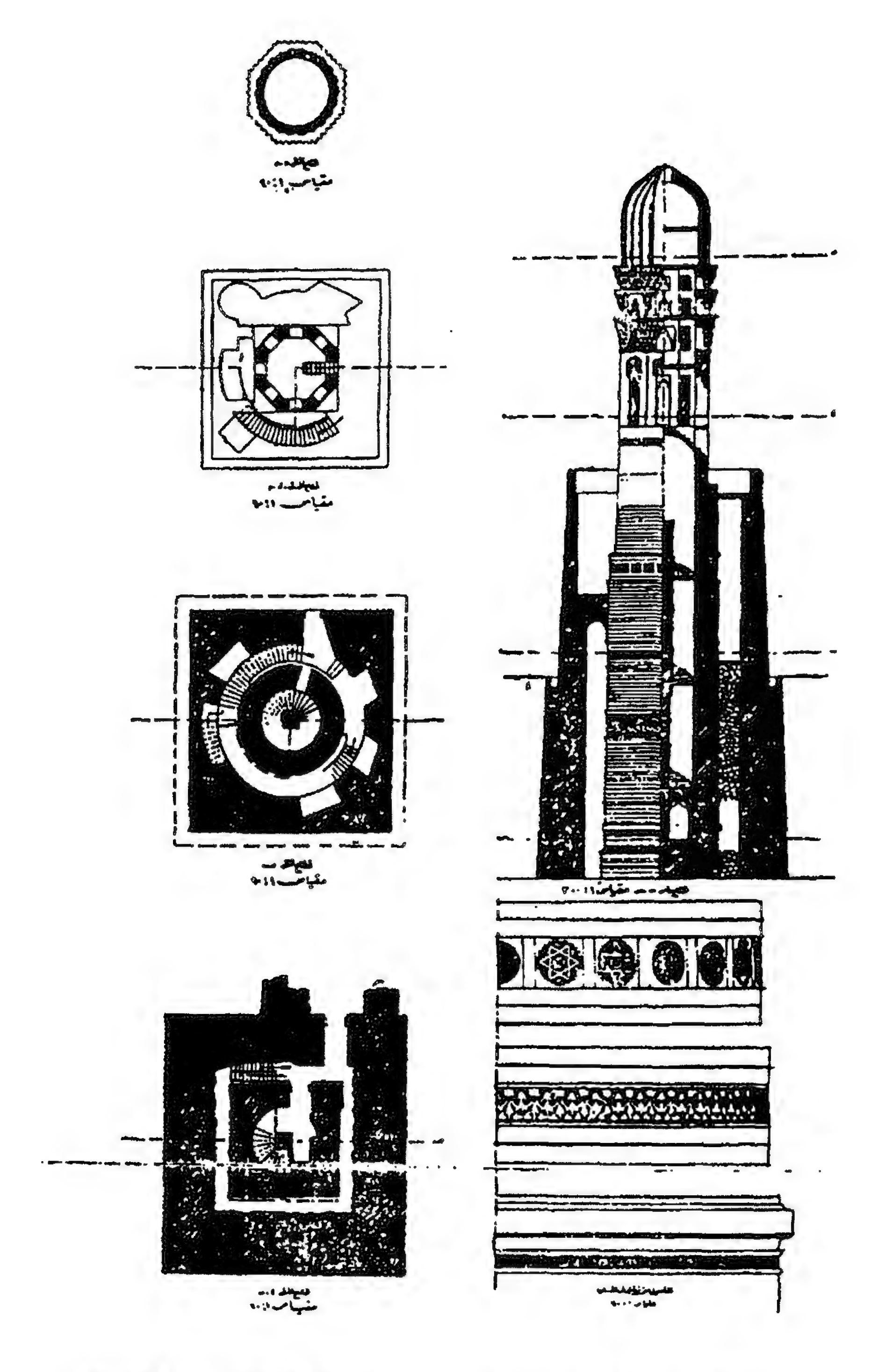
شكل رقم (٤٩) : قطاع رأسى لمئذنة جامع الحاكم بأمر الله (الغربية) .



شكل رقم (٥٠) : النجمتان الخماسيتان على المئذنة الغربية بجامع الحاكم بأمر الله .



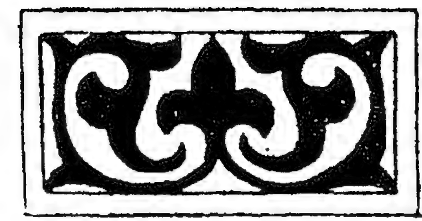
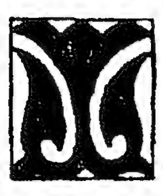
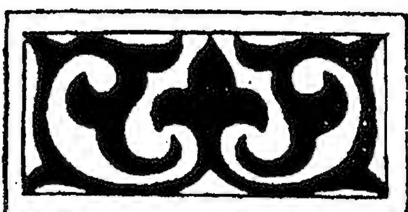
شكل رقم (٥١) : شريط من زخارف نباتية على مئذنة جامع الحاكم بأمر الله الغربية .



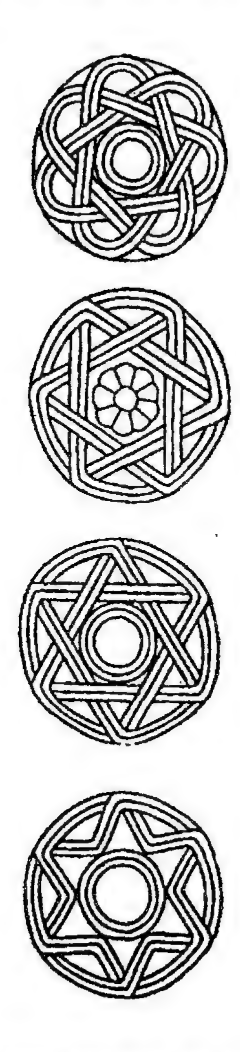
شكل رقم (٥٢) : قطاع رأسى لمئذنة جامع الحاكم بأمر الله الشمالية .



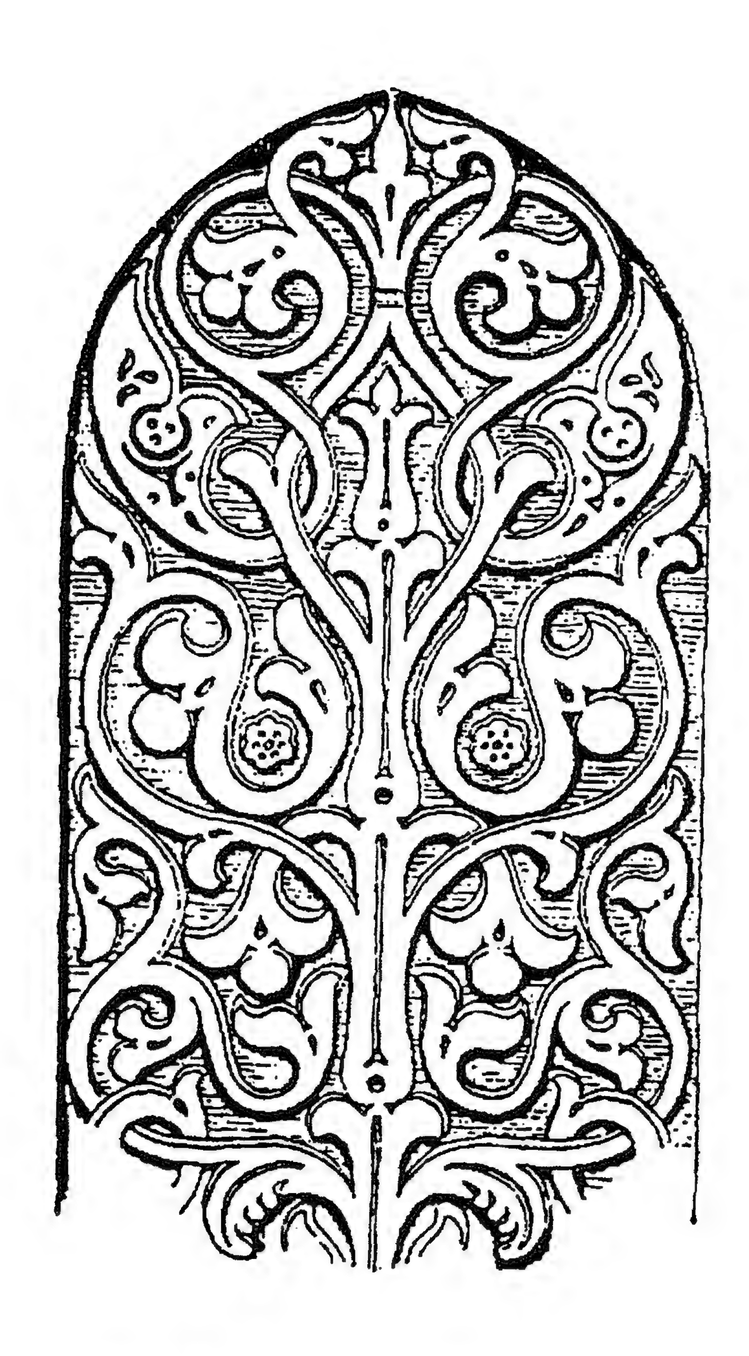
شكل رقم (٥٣) : لفظ الجلالة (الله) داخل شكلين خماسيين متقاطعين ، على المئذنة الشمالية لجامع الحاكم بأمر الله . (عن محمود مرسى) .

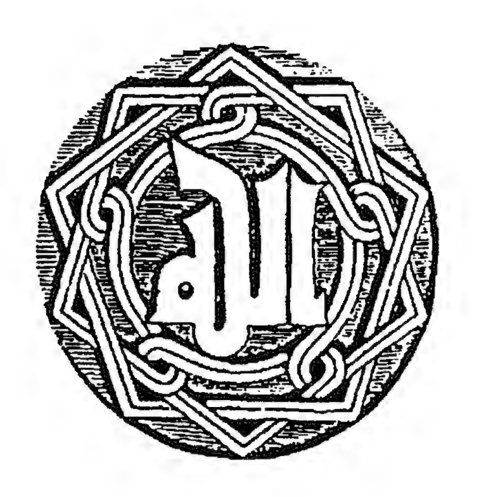
شكل رقم (٥٤) : زخارف نباتية على مئذنة جامع الحاكم بأمر الله .



شكل رقم (٥٥) : زخارف هندسية على المئذنة الشمالية لجامع الحاكم بأمر الله .
(عن محمود مرسى) .

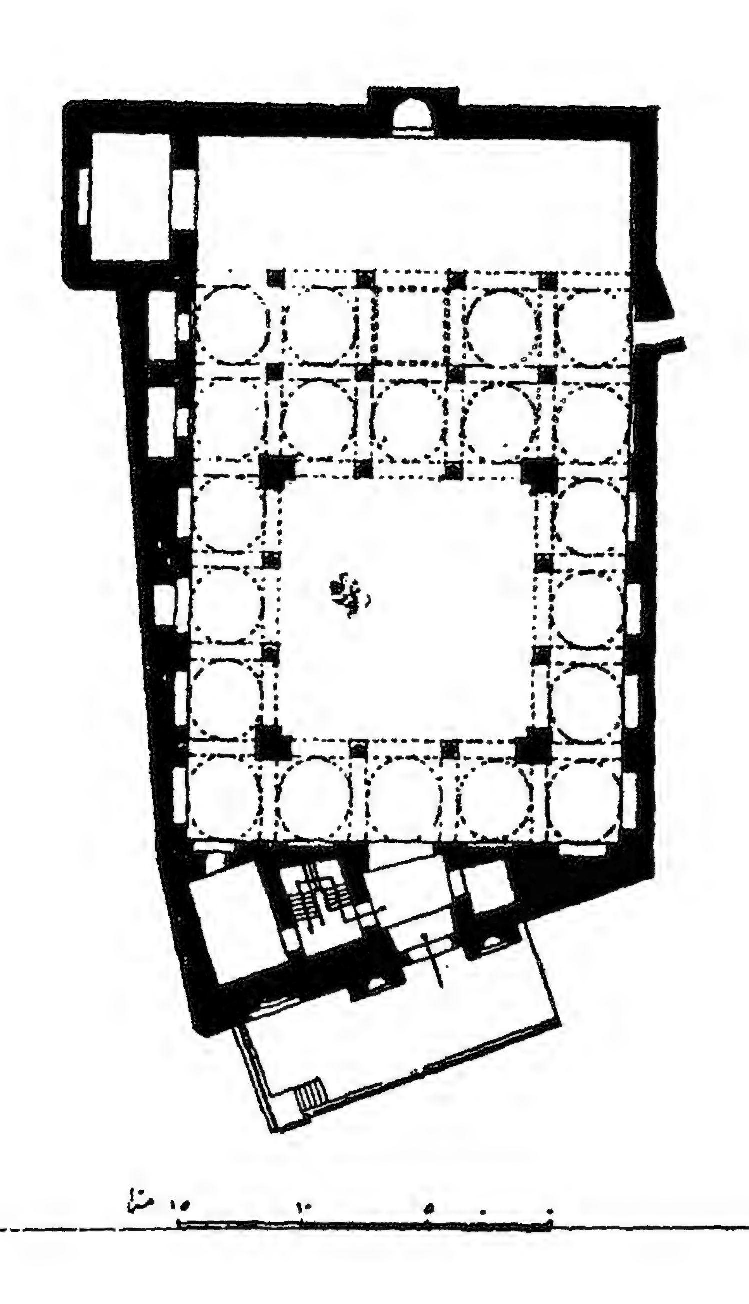


شكل رقم (٥٦) : زخارف جصية بالقبة التى فى نهاية المجاز القاطع بجامع الحاكم بأمر الله .

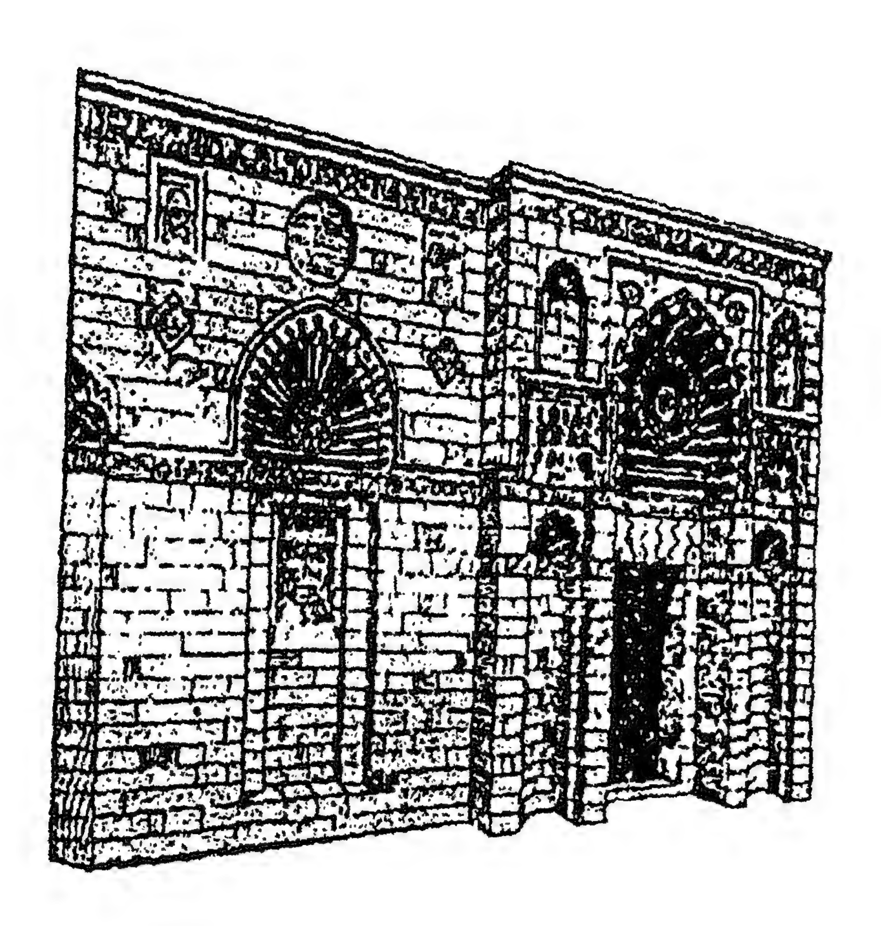




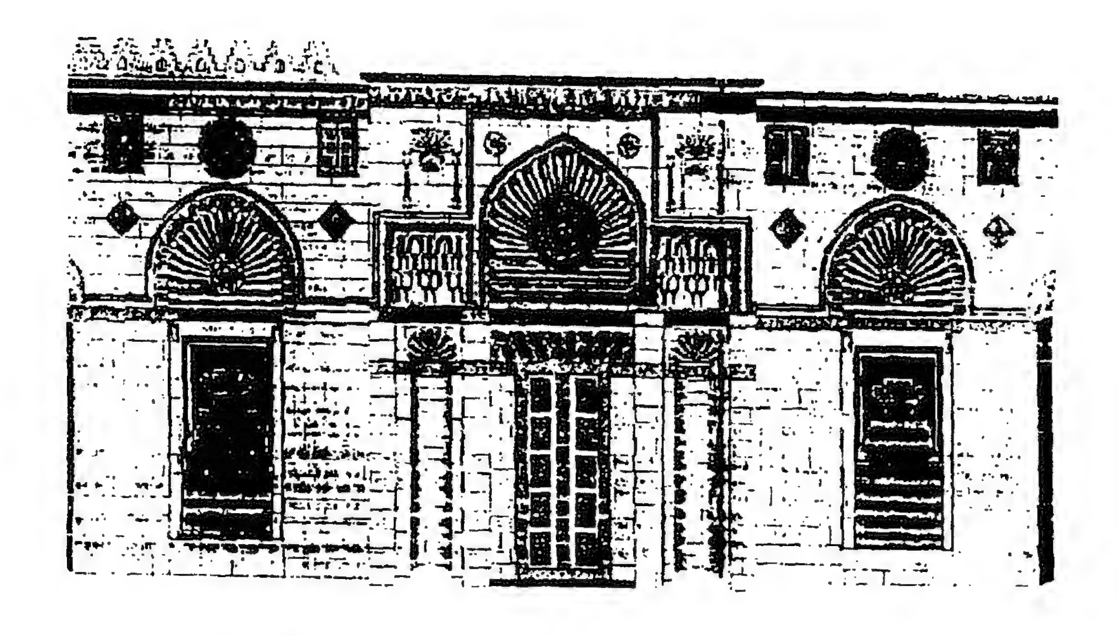
شكل رقم (٥٧) : زخارف على المئذنة الشمالية لجامع الحاكم بأمر الله .
(عن محمود مرسى) .



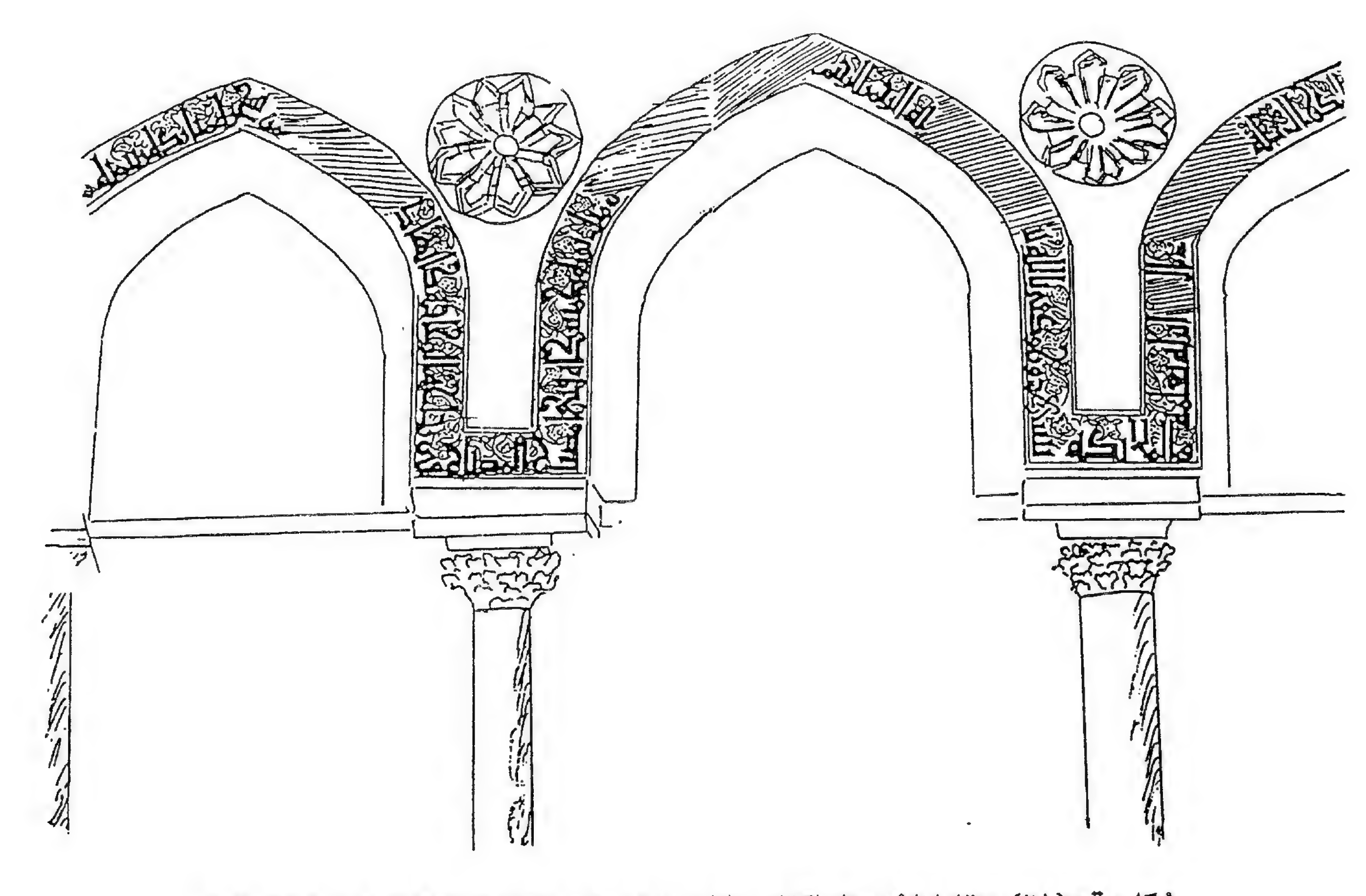
شكل رقم (٥٨) : مسقط أفقى للجامع الأقمر.



شكل رقم (٥٩) ، قسم من واجهة الجامع الأقمر.



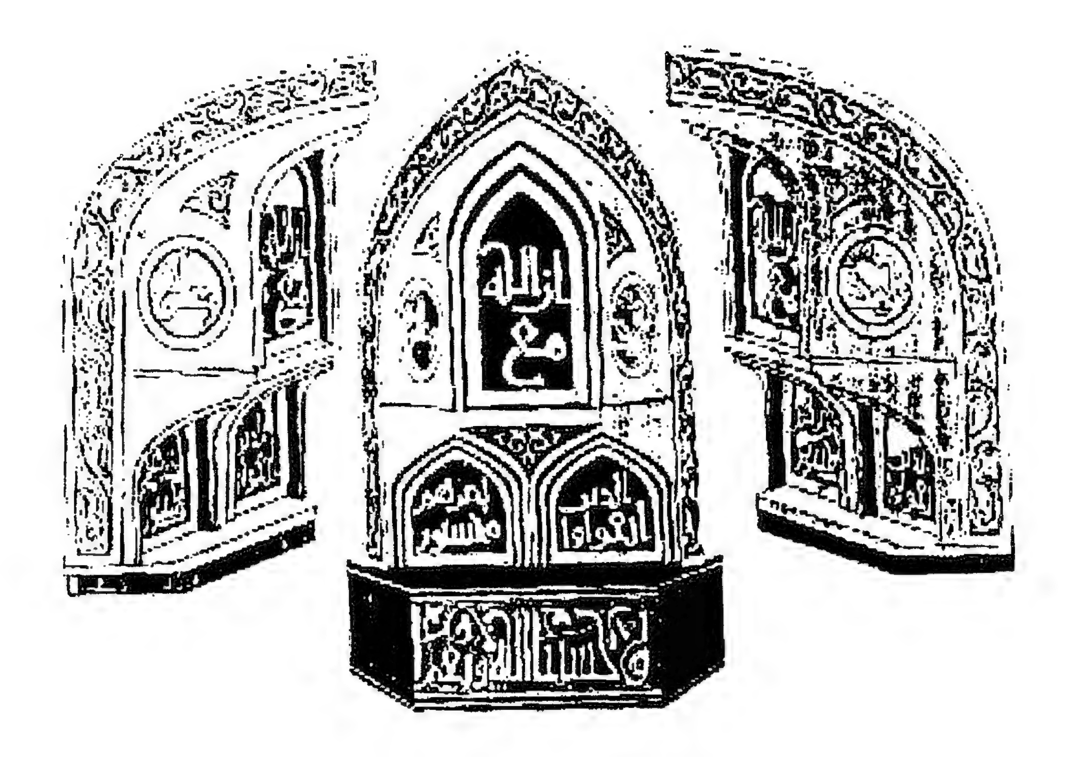
شكل رقم (٦٠) : الواجهة الشمالية الغربية الرئيسية للجامع الأقمر.



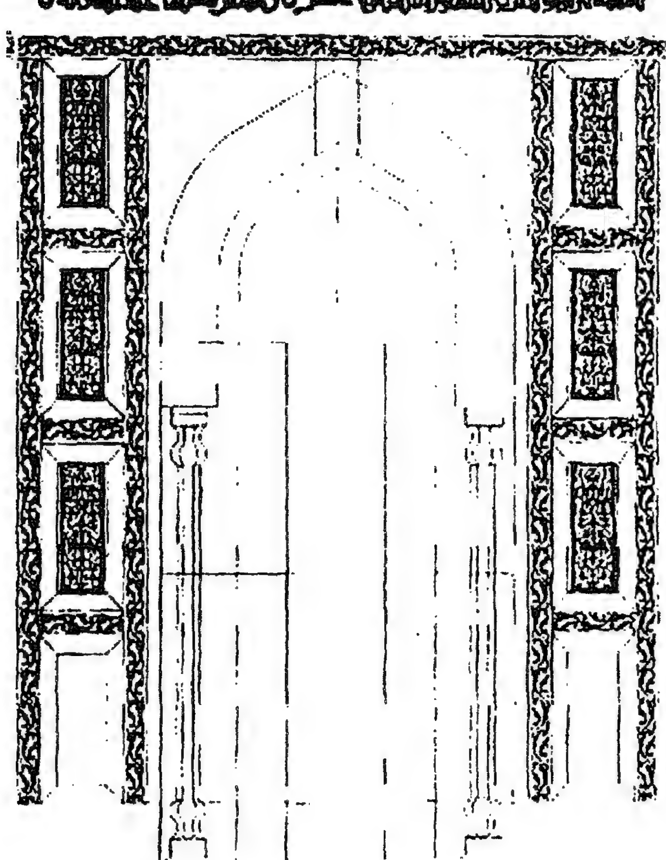
شكل رقم (٦١) : بقايا الشريط الكتابي الذي يدور حول عقود البائكة الشمالية الشرقية التي تطل على صحن الجامع الأقمر.



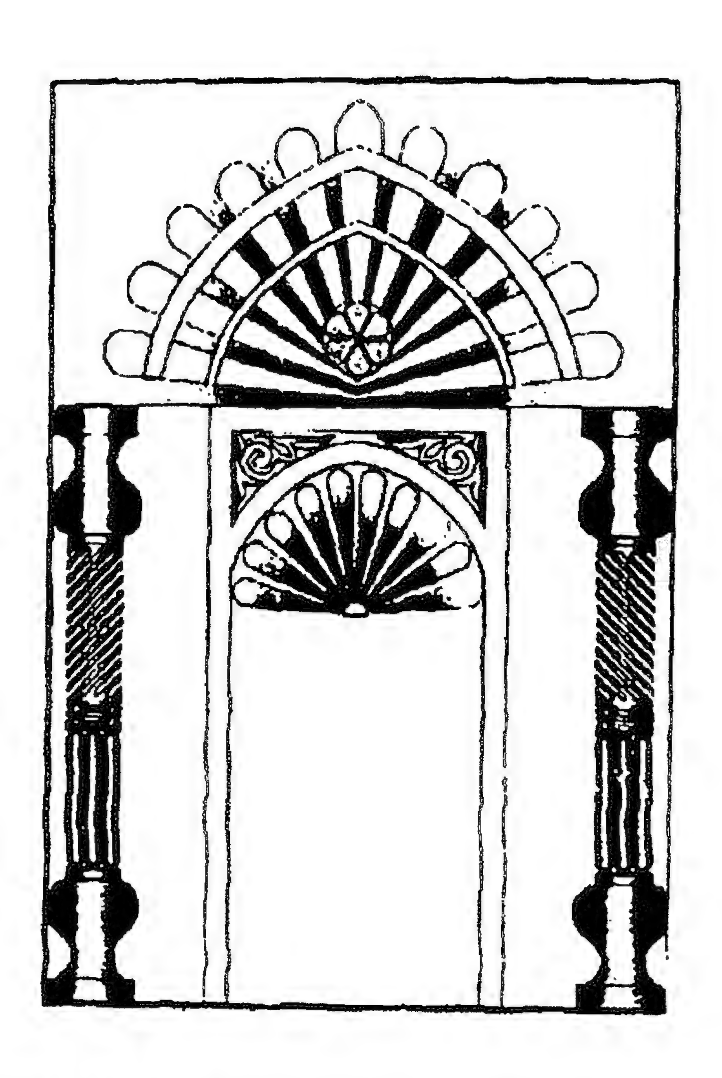
شكل رقم (٦٢) : شهادة التوحيد واسم كل من «محمد وعلي» ورسم المشكاة بواجهة الجامع الأقمر. (عن محمود مرسى).



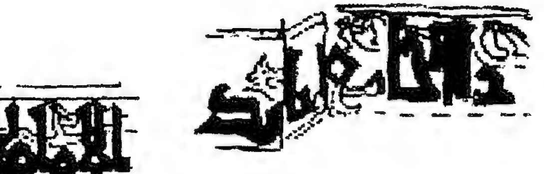
شكل رقم (٦٣) : النص الكتابى المسجل على مقرنصات الشطف الموجود بالركن الشمالي بواجهة الجامع الأقمر . (عن محمود مرسى) .



شكل رقم (٦٤) : محراب الآمر بأحكام الله بالجامع الأزهر.



شكل رقم (٦٥) : زخارف على هيئة محراب بواجهة الجامع الأقمر.



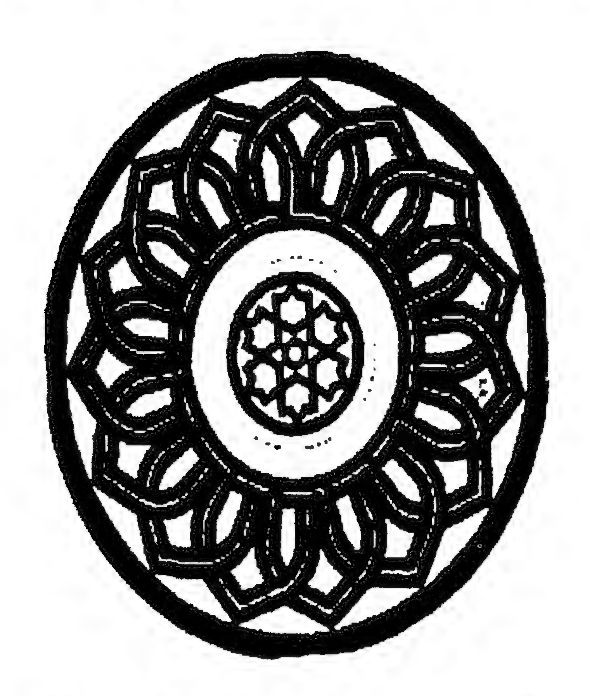




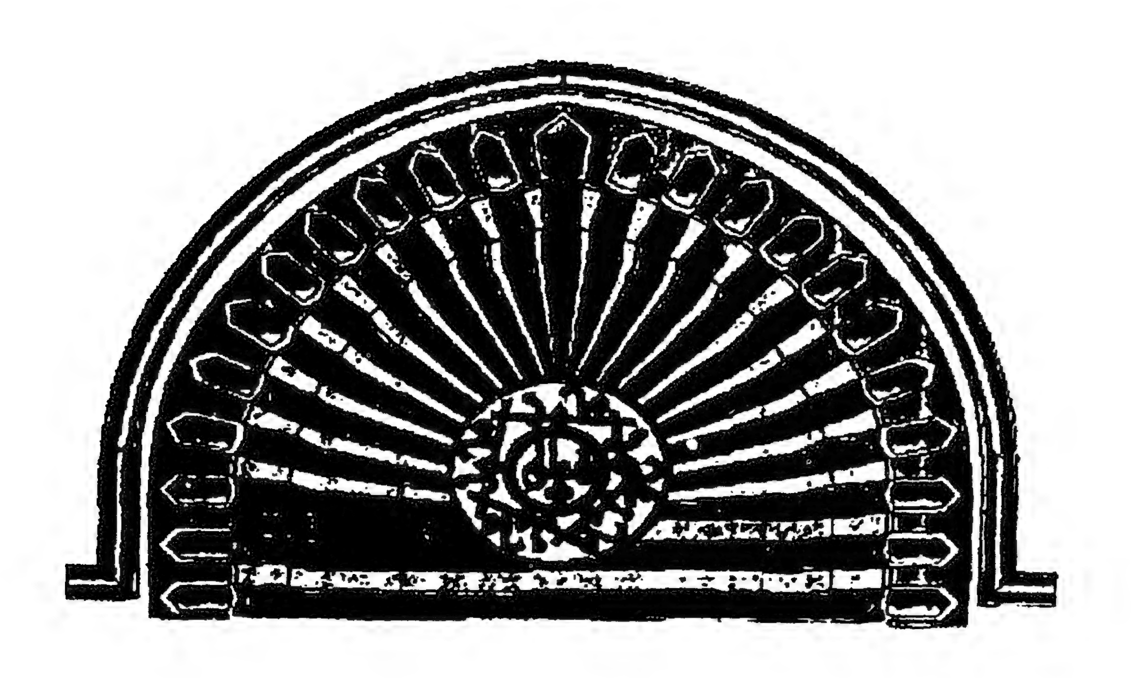
شكل رقم (٦٦) : تفريغ لنص تأسيس الجامع الأقمر .



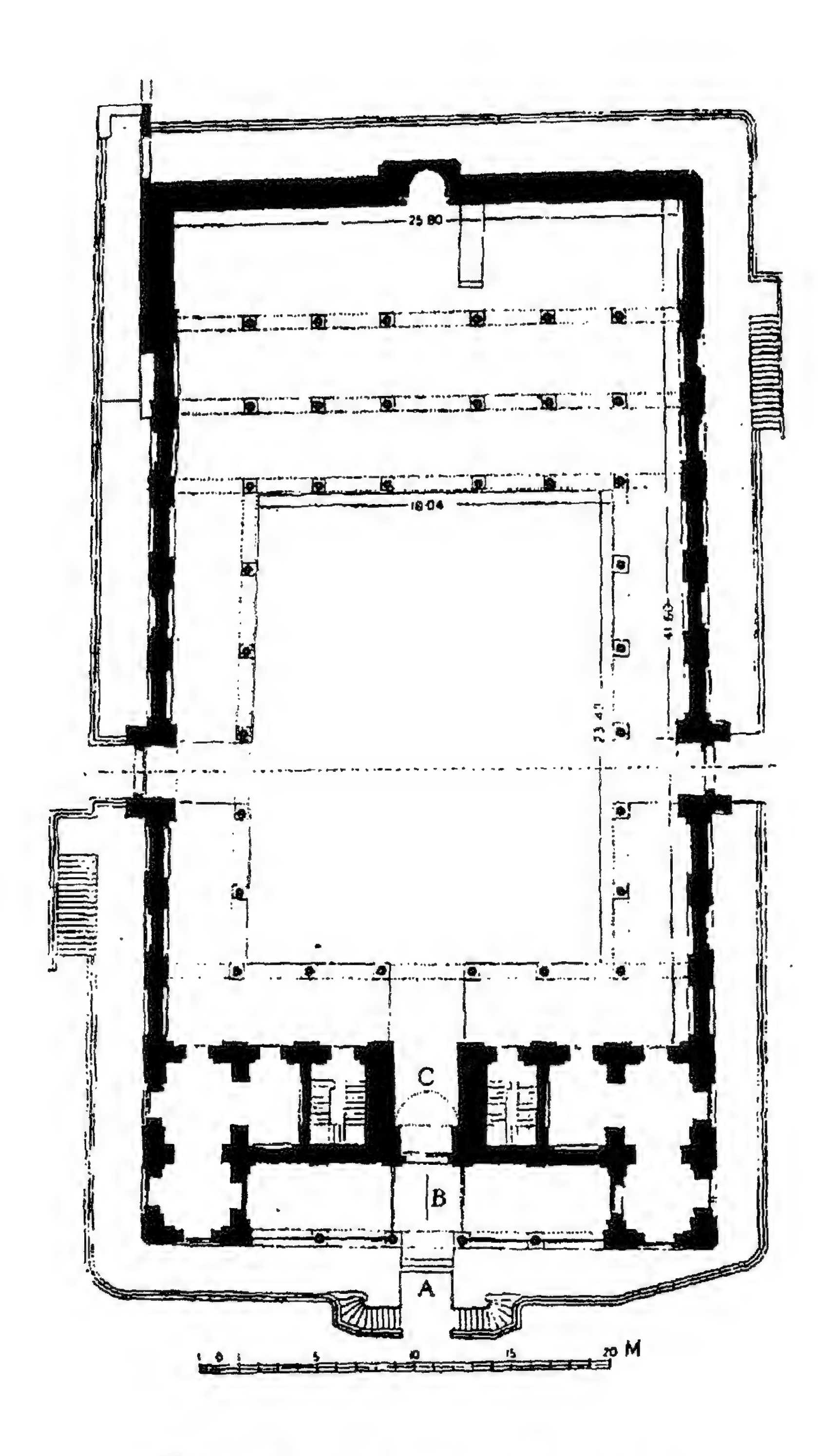
شكل رقم (٦٧) : زخارف كتابية ونباتية تعلو مدخل الجامع الأقمر.



شكل رقم (٦٨) : زخارف على هيئة عقود متقاطعة على واجهة الجامع الأقمر.

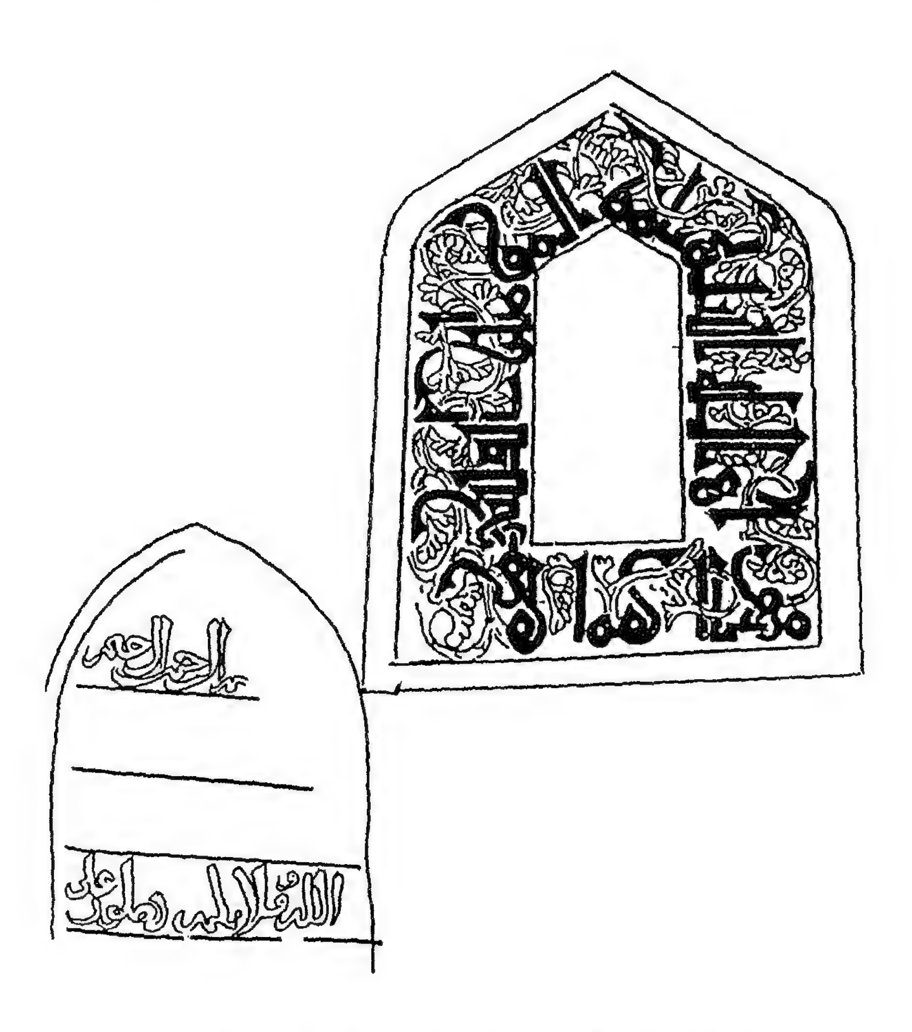


شكل رقم (٦٩) : زخارف أشعاعية على واجهة الجامع الأقمر.

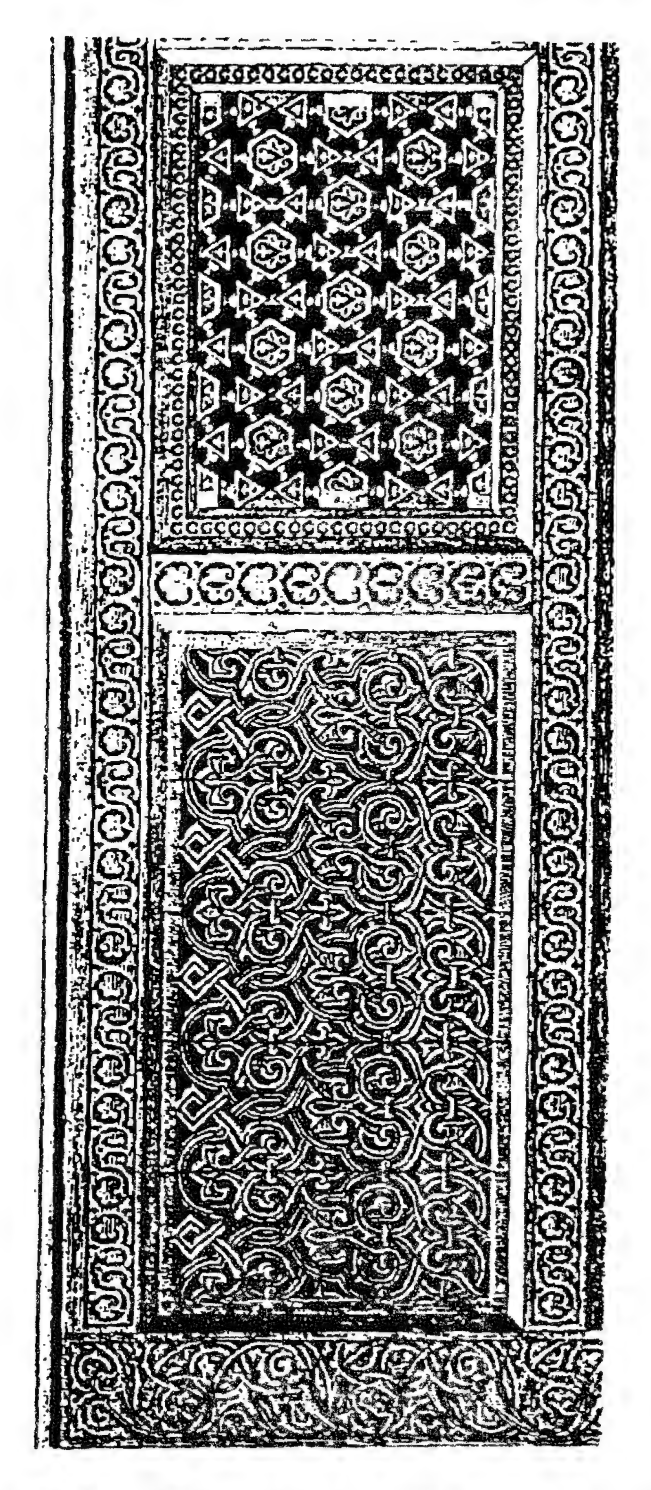


شكل رقم (٧٠) : مسقط أفقى لمسجد الصالح طلائع .

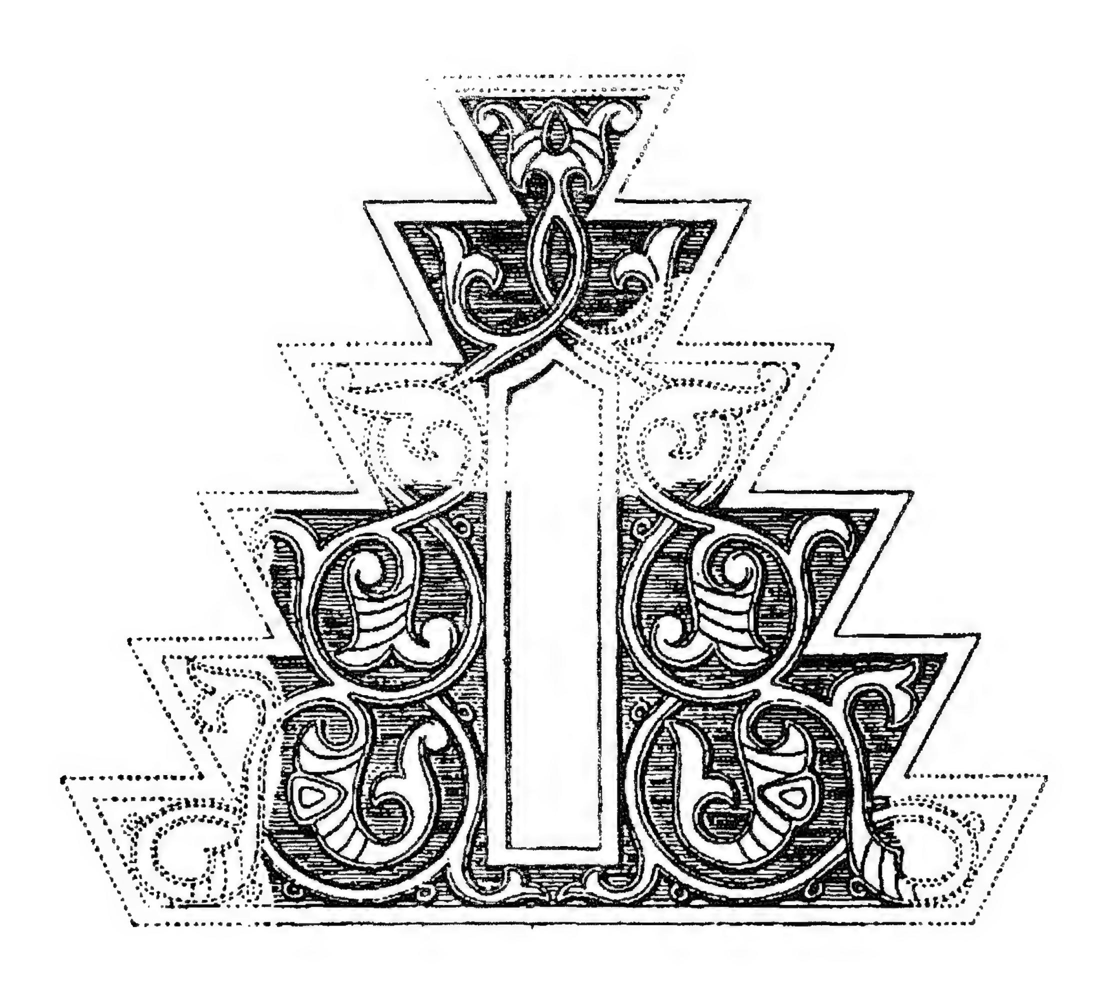
شكل رقم (٧١) : نص تأسيس مسجد الصالح طلائع الموجود على الواجهة الشمالية .



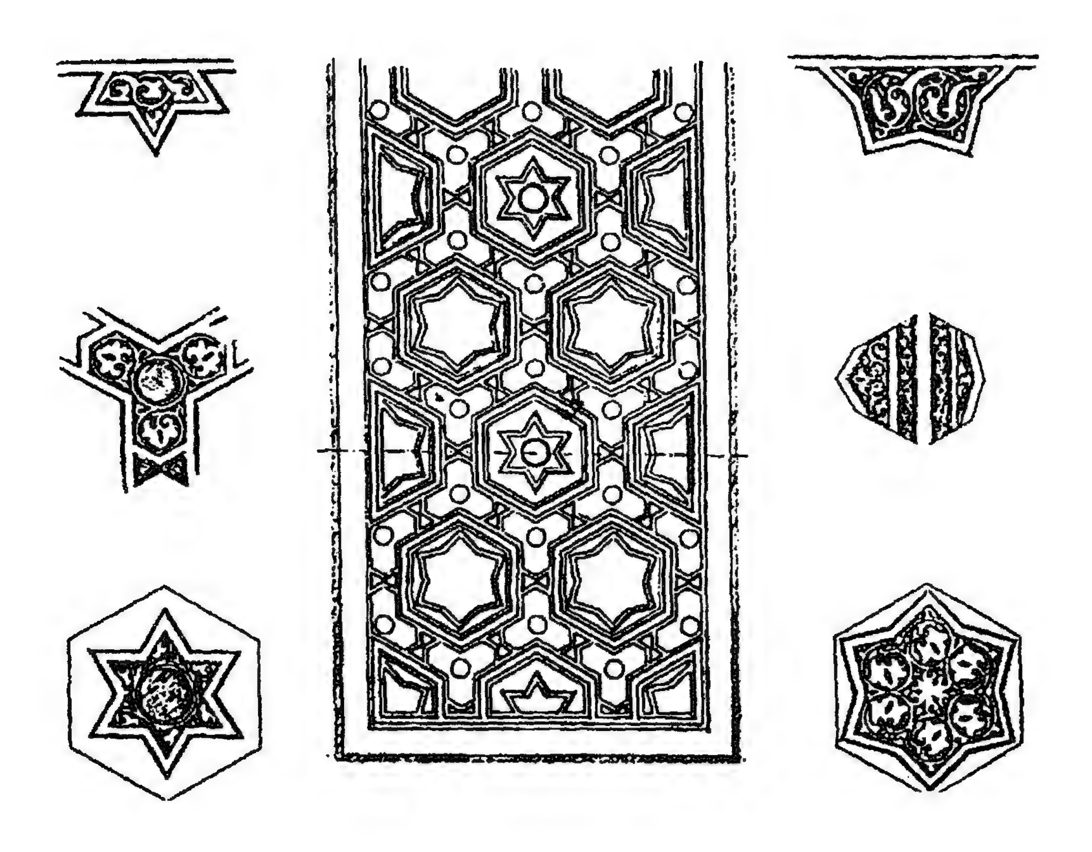
شكل رقم (٧٢) : نماذج من الكتابات بمسجد الصالح طلائع .



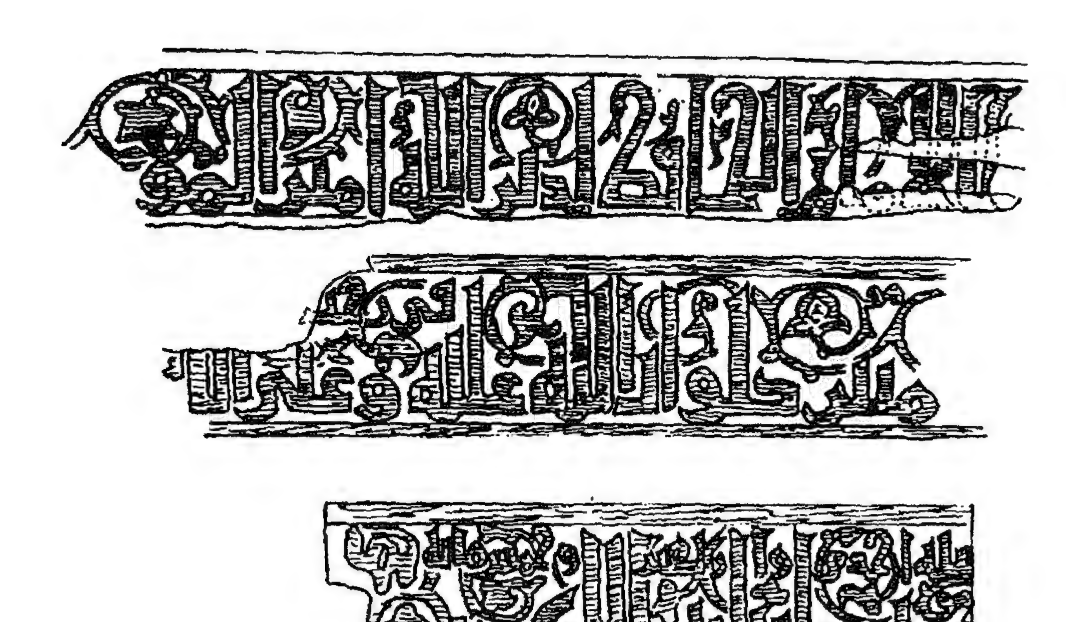
شكل رقم (٧٣) : زخارف نباتية وهندسية بالحجاب الخشبي بمسجد الصالح طلائع .



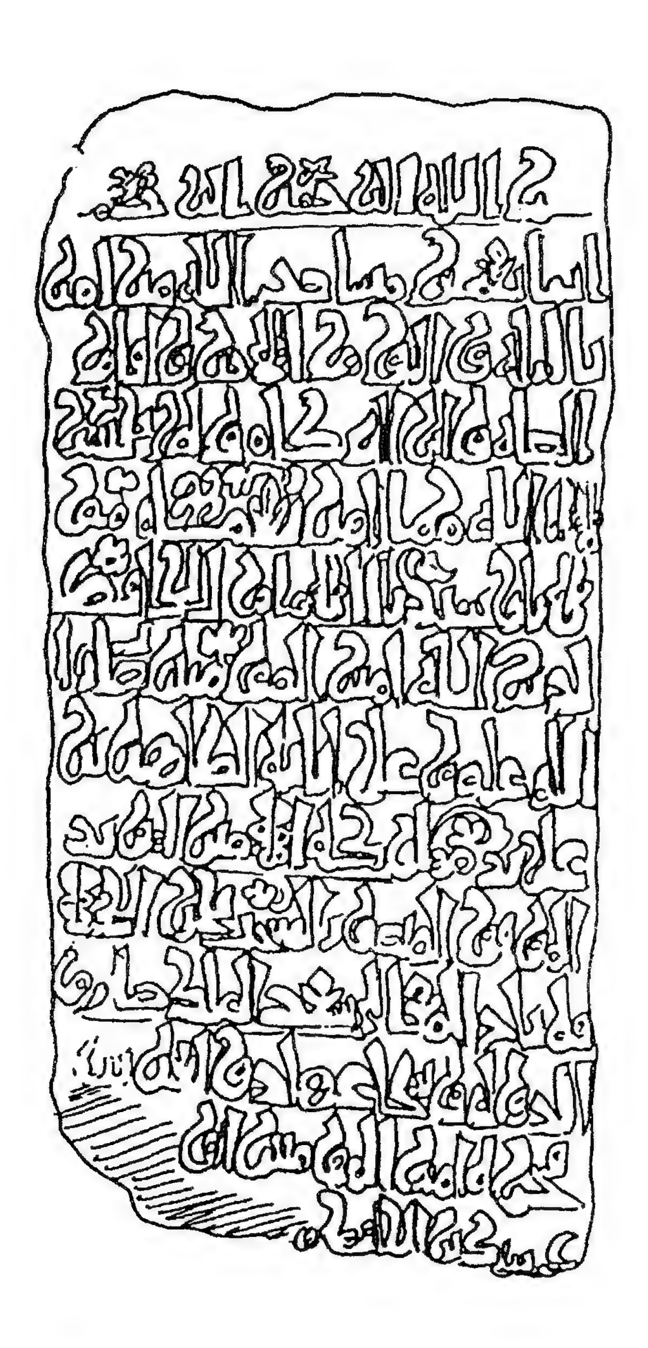
شكل رقم (٧٤) : عنصر الشرافات بمسجد الصالح طلائع .



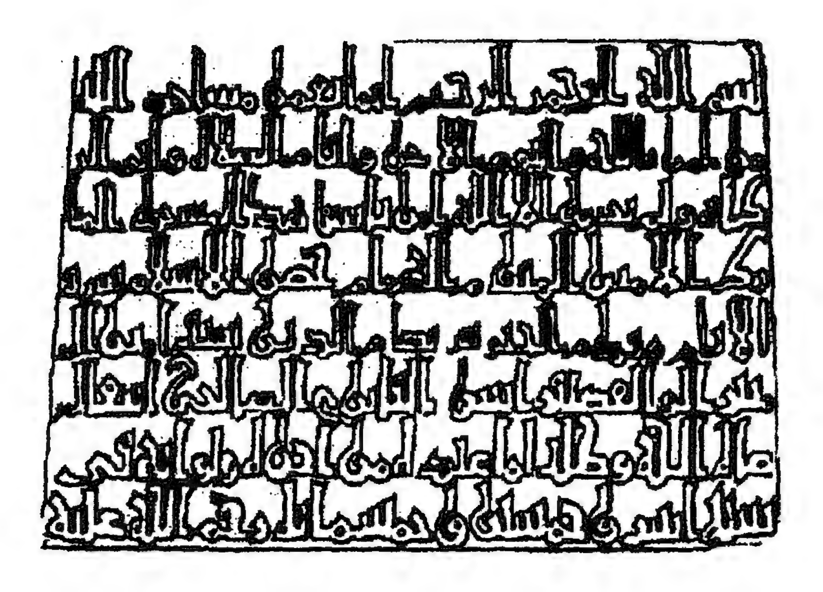
شكل رقم (٧٥) : جزء من زخارف السقف بمسجد الصالح طلائع .

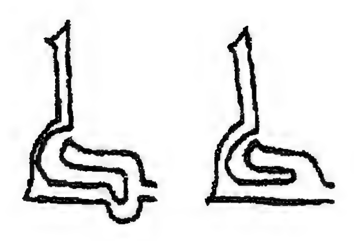


شكل رقم (٧٦) : نص تأسيس على شريط خشبي باسم الحافظ لدين الله مؤرخ سنة (٥٤١هـ - ١١٤٦م) ، محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهــرة برقم سجل ٤١٣٨ .

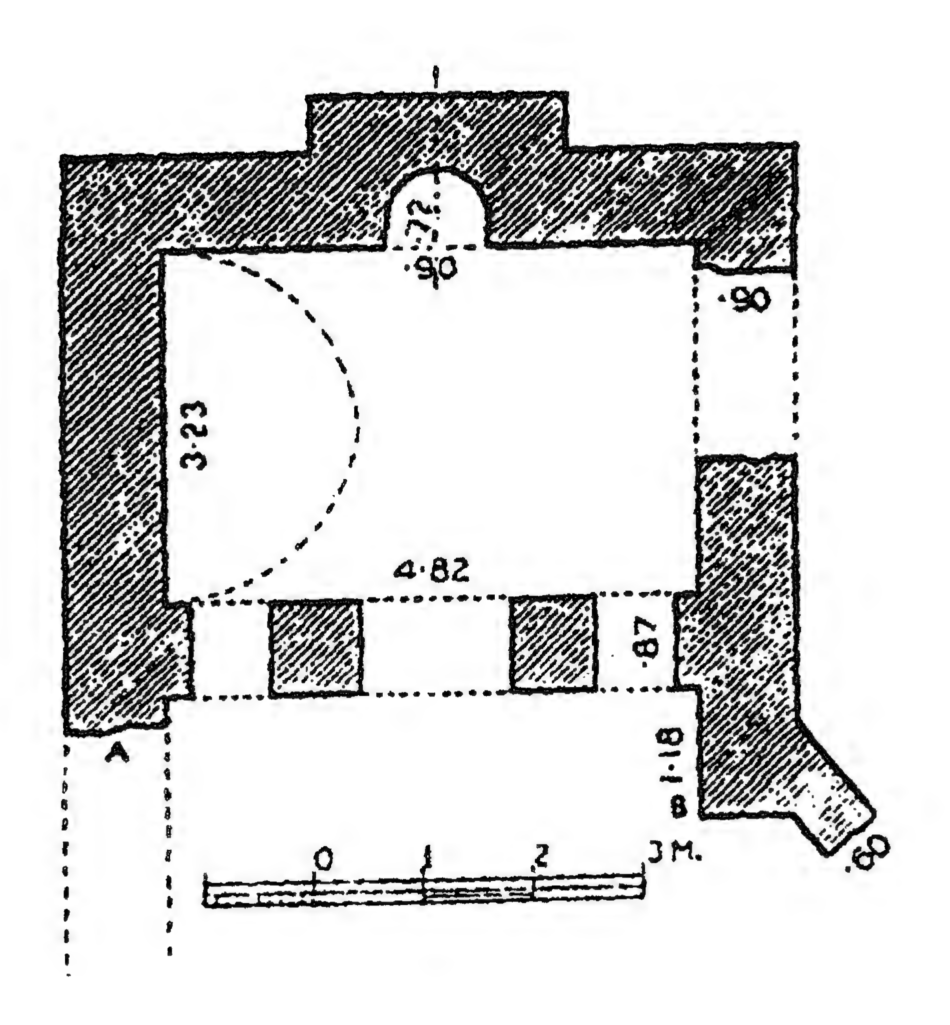


شكل رقم (٧٧) : نص تأسيس باسم الحافظ لدين الله والأمير كمشتكين الحافظي مؤرخ حوالى سنة (٥٤٤هـ - ١١٤٩م) محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهـــرة برقم سجل ٤١ .





شكل رقم (٧٨) : نص تأسيس مسجد الأمير أبى الغضنفر أسد الفائزي (٥٥٢هـ/١١٥٧م) .

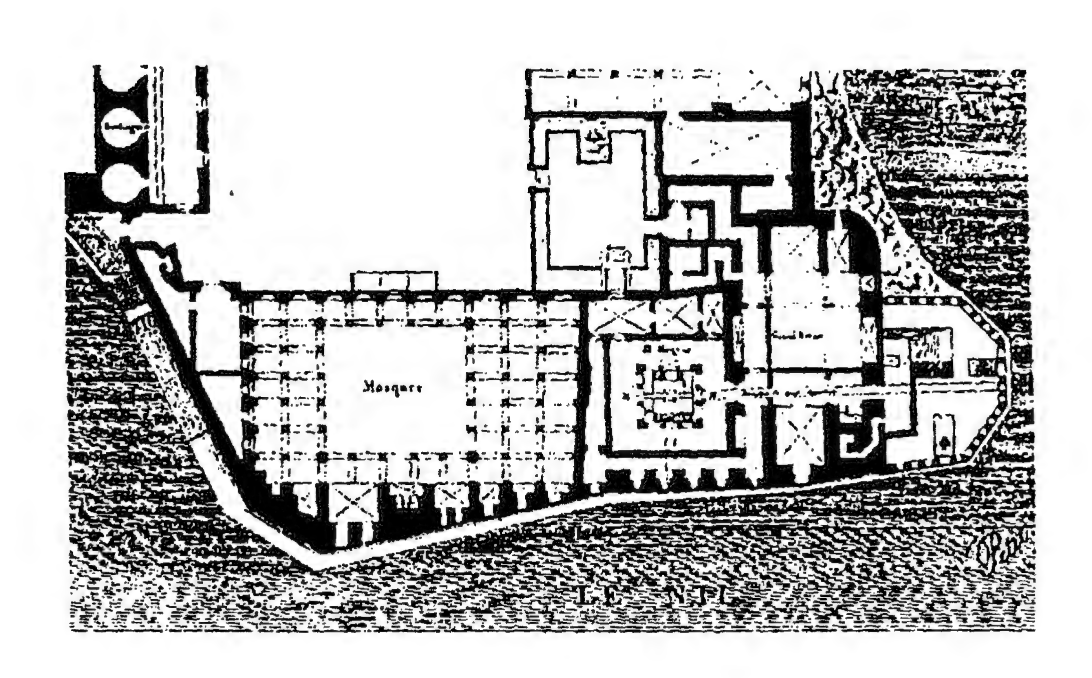


شكل رقم (٧٩) : مسقط أفقى لمسجد اللؤلؤة .

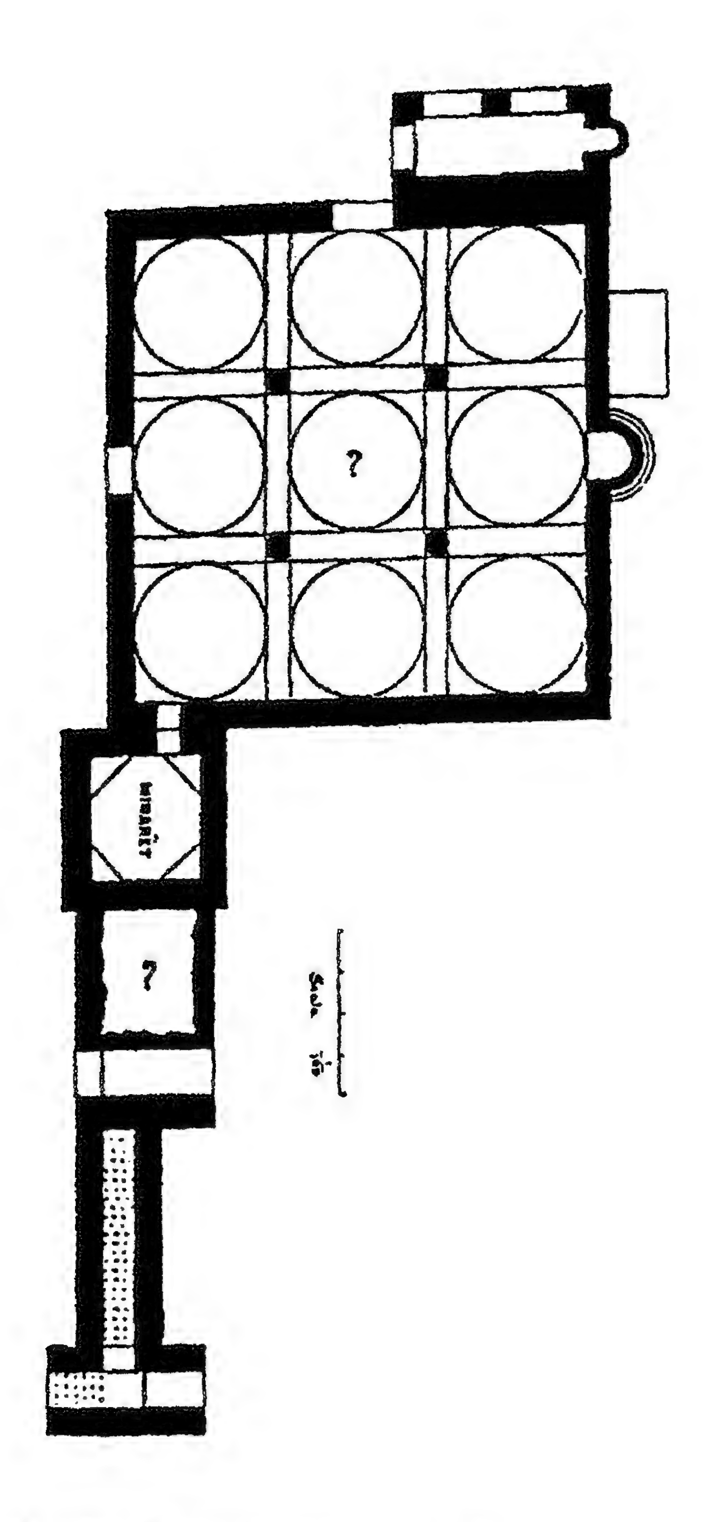
شكل رقم (٨٠) : نص تأسيس جامع المقياس .

شكل رقم (٨١) : نص التأسيس الثانى لجامع المقياس الذى كان مثبتاً على واجهة جامع المقياس الشرقية .

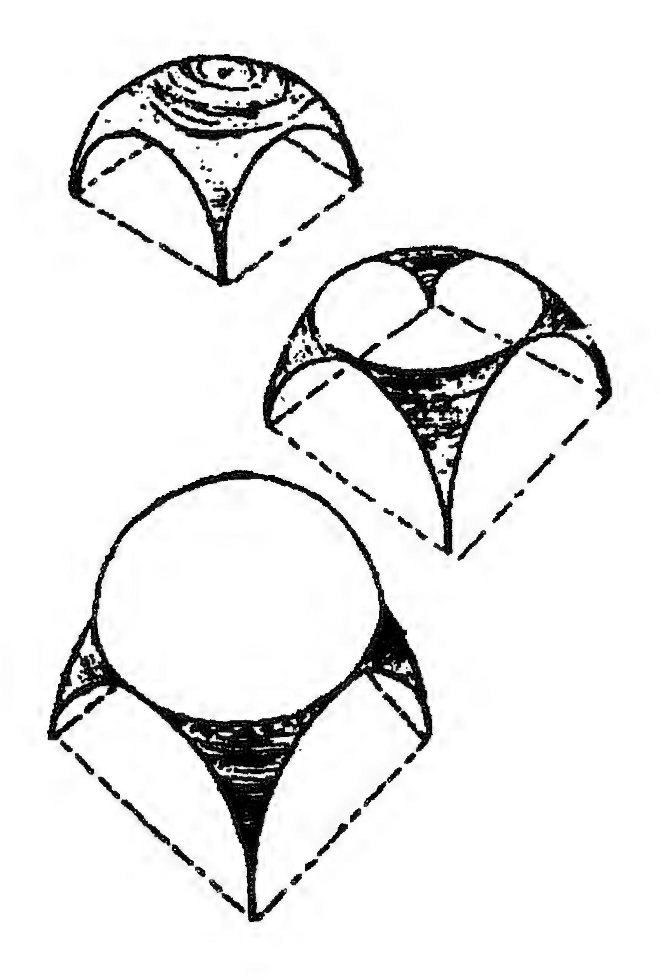
شكل رقم (٨٢) : نص التأسيس الثالث لجامع المقياس الذى كان مثبتاً على واجهة جامع المقياس الغربية .



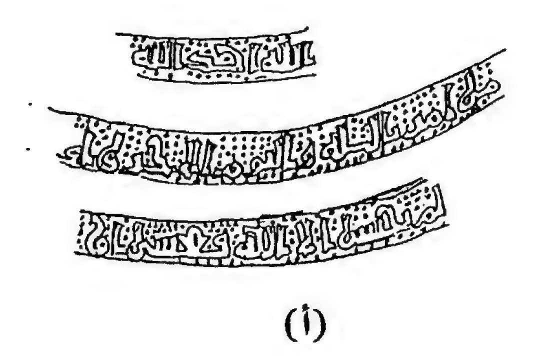
شكل رقم (٨٣) : مسجد بدر الجمالي بجزيرة الروضة .



شكل رقم (٨٤) : مسقط أفقى لمسجد (ضريح) السبعة وسبعين ولى بأسوان .



شكل رقم (٨٥) : رسم توضيحى لمناطق الانتقال ببعض القباب الضحلة .



(أ)



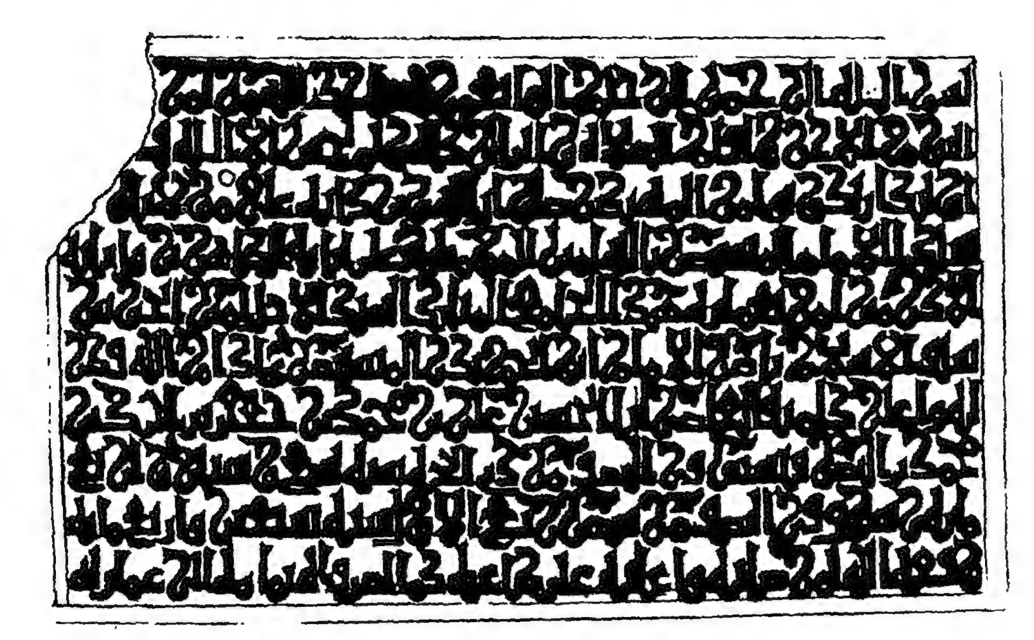
(ب)

شكل رقم (٨٦)

أ - جزء من الشريط الكتابى الذى يدور حول رقبة القبة الفاطمية التى تقع أمام خانقاة بيبرس الجاشنكير، حوالى القرن ٥هـ / ١١م).

ب - نص تأسيس مسجد الأمير أبو منصور خطلخ (٤٩١هـ / ١٠٩٨م).

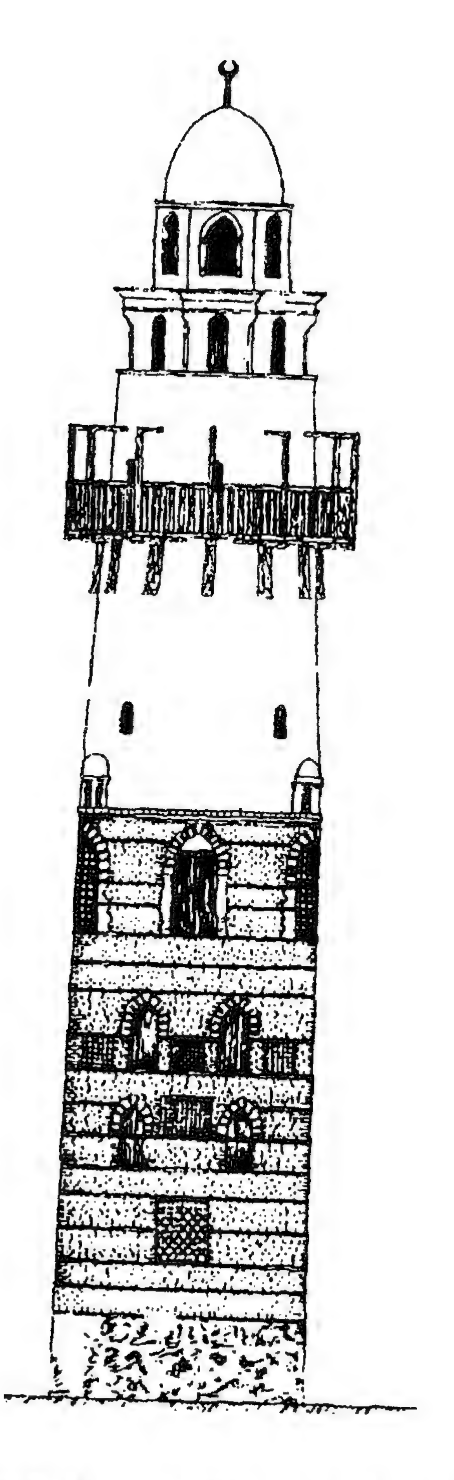
شكل رقم (٨٧) : نص تأسيس مسجد الأمير أبو منصور قسطة (٥٣٥هـ / ١١٤١م) .



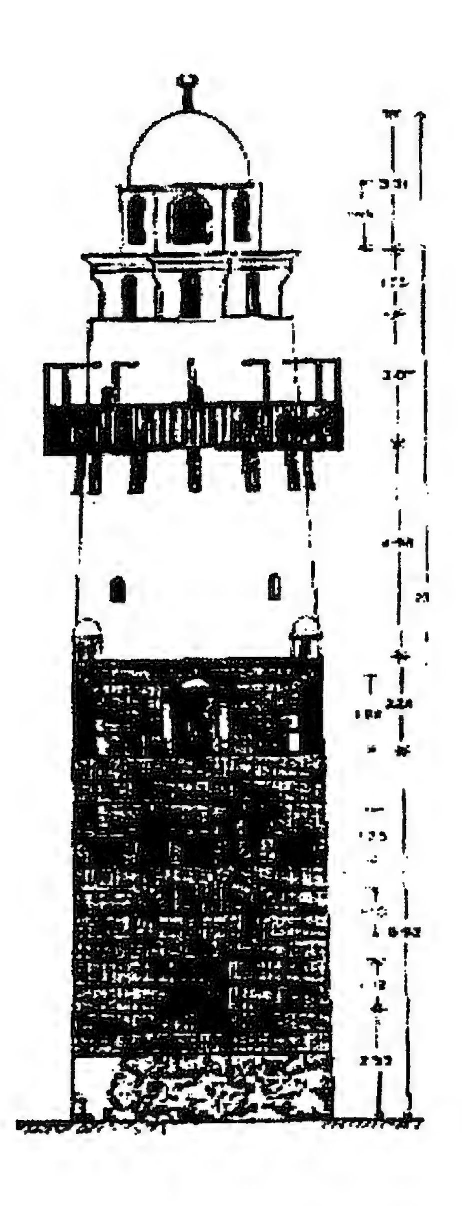
شكل رقم (٨٨) : نص تأسيس الجامع العتيق بإسنا (٤٧٠هـ / ١٠٧٨م) .



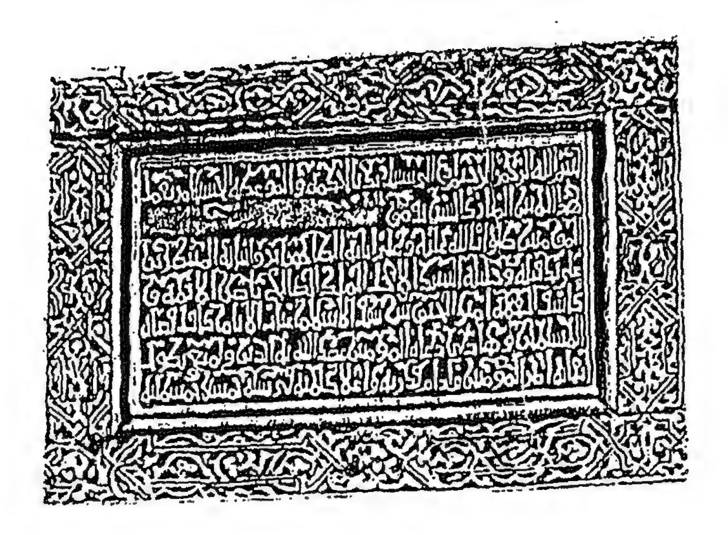
شكل رقم (٨٩) : نص تأسيس مئذنة الجامع العتيق بإسنا (٤٧٣هـ / ١٠٨١م) .

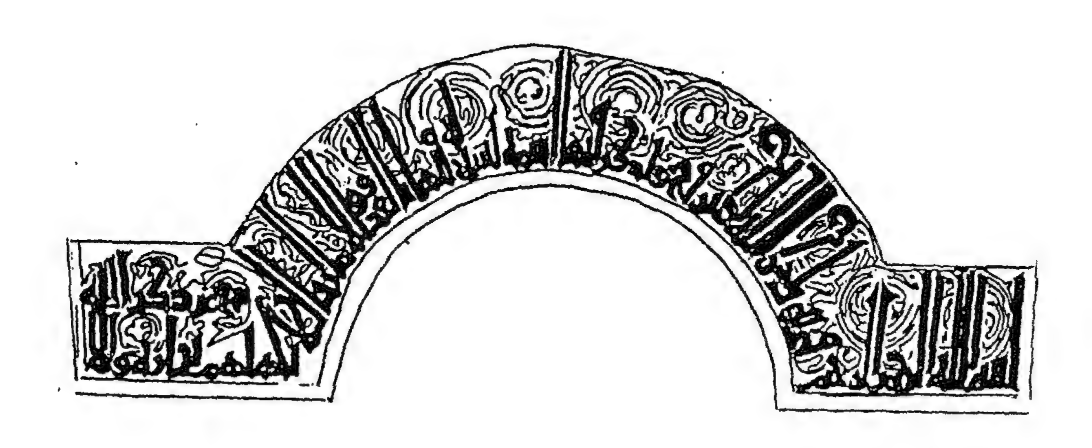


شكل رقم (٩٠) : منارة الجامع العمري أو العتيق باسنا .



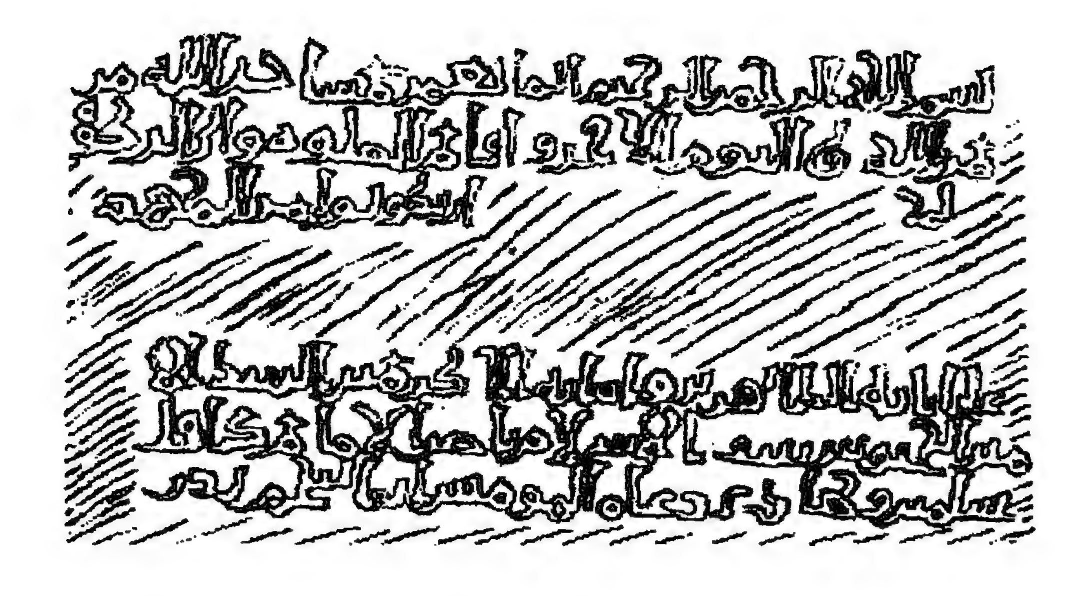
شكل رقم (٩١) : منارة الجامع العمري أو العتيق بإسنا .



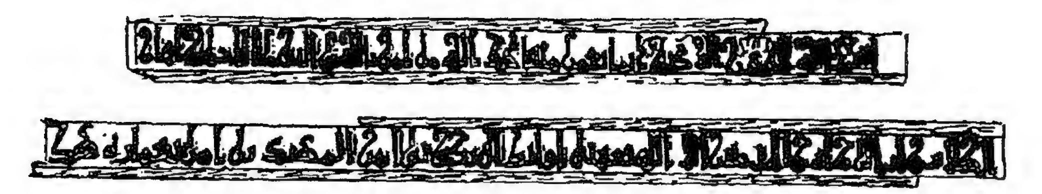


شكل رقم (٩٢) : نص إنشاء منبر الجامع العمرى بقوص (٥٥٠هـ / ١١٠٠م) .

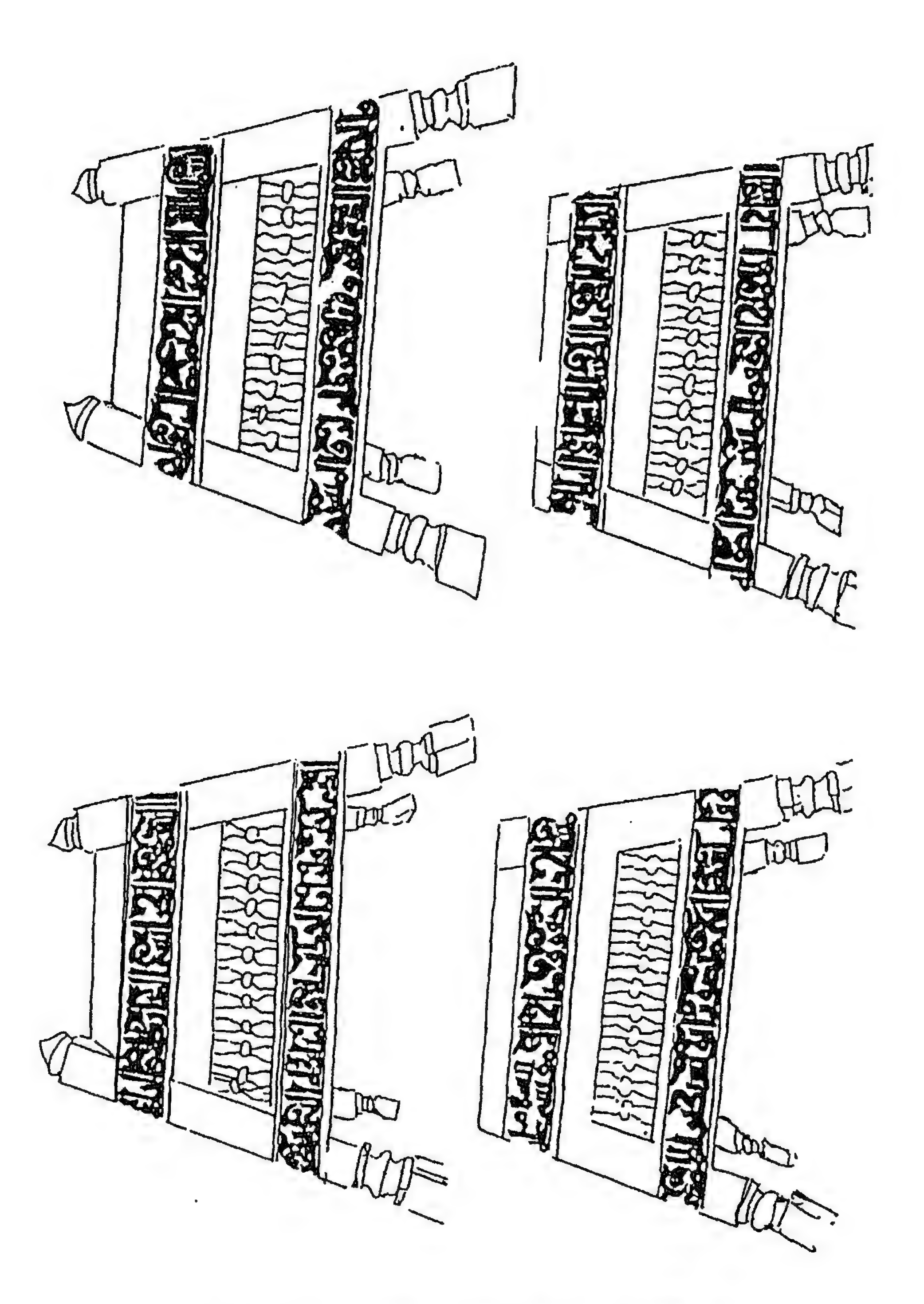
شكل رقم (٩٣) : نص تأسيس الجامع العتيق بسوهاج (٥٢٩هـ / ١١٣٤م) .



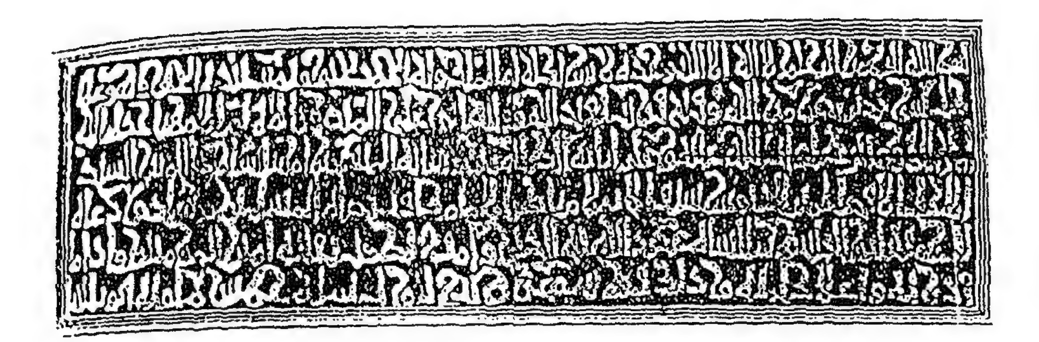
شكل رقم (٩٤) : نص تأسيس الجامع الغمري بالمحلة الكبرى من عصر بدر الجمالي .



شكل رقم (٩٥) : نص تأسيس جامع سيدى عبد الله الشريف بدمياط .



شكل رقم (٩٦) : نص تأسيس كرسى بدير سانت كاترين .



شكل رقم (٩٧) : نص إنشاء منبر بجامع دير سانت كاترين .

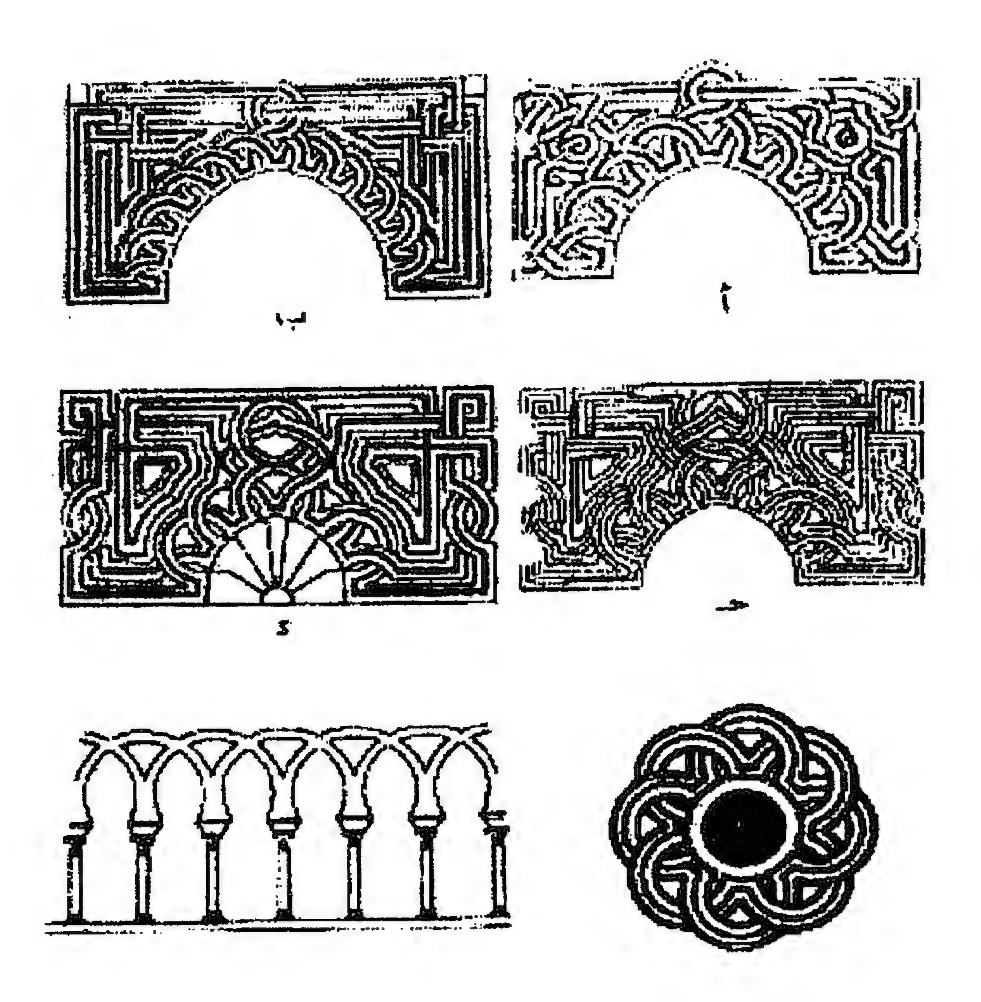
(أ)

(ب)

شكل رقم (٩٨)

أ - نص تأسيس مسجد باسم الحسن بن عبد الله بن محمد بن سلسلة البزاز (٤٠٢هـ / ١٠١١ - ١٠١٢م) .

ب - نص تأسيس مكان رؤيا من حوالى النصف الأول من القرن (٦هـ / ١٢م) .



شكل رقم (٩٩) : نماذج من زخرفة العقود المتقاطعة .

بيان باللوحات

لوحة رقم (١) : تبين منظر عام لباب النصر .

لوحة رقم (٢) : تبين منظر عام لباب الفتوح .

لوحة رقم (٣) : تبين منظر عام لباب زويلة .

لوحة رقم (٤) : تبين الدخلة ذات العقد المفصص بالبرج الغربي لباب زويله من الجانب المطل على رحبة المدخل .

لوحة رقم (٥) : تبين بقايا أحد دور الفسطاط .

لوحة رقم (٦) : تبين منظر عام للجامع الأزهر من الخارج .

لوحة رقم (٧) : تبين منظر عام للجامع الأزهر من الخارج .

لوحة رقم (٨) : تبين القبة التى تتقدم المجاز القاطع بالجامع الأزهر (قبة الحافظ) .

لوحة رقم (٩) : تبين المحراب الفاطمي بالجامع الأزهر .

لوحة رقم (١٠) : تبين واجهة المدخل البارز الرئيسى لجامع الحاكم .

لوحة رقم (١١) : تبين قطاع من الواجهة الغربية لجامع الحاكم ، وباللوحة تظهر إحدى المئذنتين .

لوحة رقم (١٢) : تبين قطاع من الواجهة الغربية لجامع الحاكم ، وباللوحة تظهر المئذنة الشمالية .

لوحة رقم (١٣) : تبين الجانب الأثرى القديم من الواجهة الرئيسية الغربية للجامع الأقمر .

لوحة رقم (١٤) : تبين الركن الشمالى الغربى للجامع الأقمر من الخارج ، وما به من مقرنصات .

لوحة رقم (١٥) : تبين واجهة الرواق الجنوبى المطلة على صحن الجامع الأقمر .

لوحة رقم (١٦) : تبين الواجهة الغربية الرئيسية لمسجد الصالح صلائع .

لوحة رقم (١٧) : تبين المدخل الجنوبى لمسجد الصالح طلائع .

لوحة رقم (١٨) : تبين واجهة رواق القبلة بمسجد الصالح طلائع .

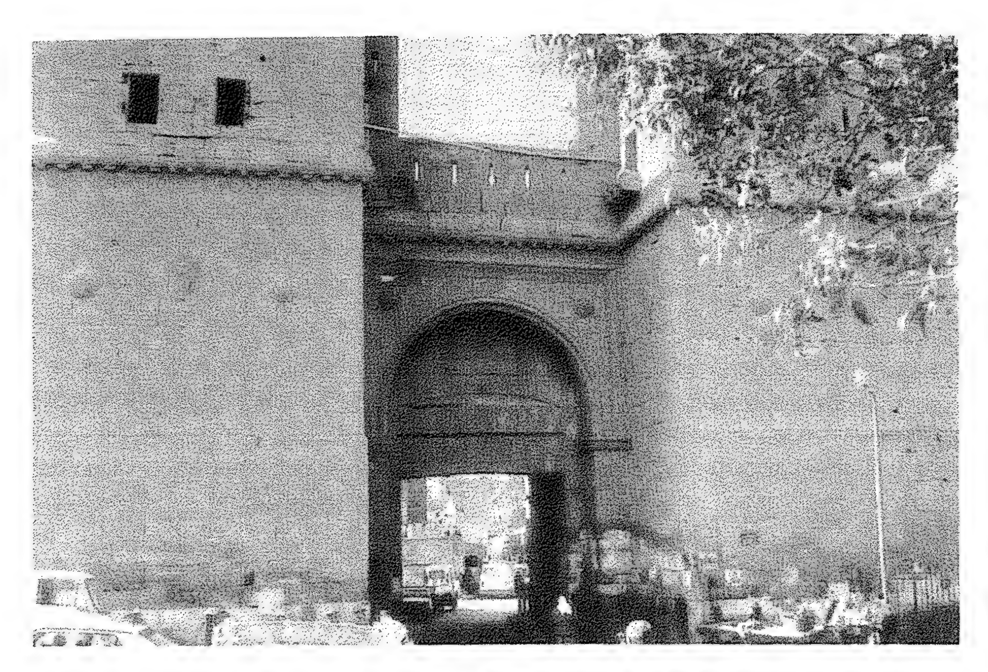
لوحة رقم (١٩) : تبين بقايا مسجد اللؤلؤة .

لوحة رقم (٢٠) : تبين صحن الجامع العمرى بقوص .

لوحة رقم (٢١) : تبين رواق القبلة بالجامع العمرى بقوص .

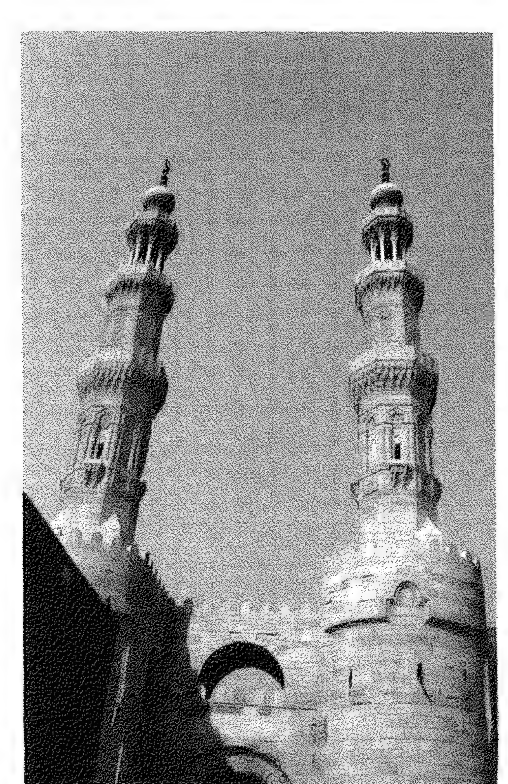
لوحة رقم (٢٢) : تبين محراب الجامع العمرى بقوص .

لوحة رقم (٢٣) : تبين زخارف طاقية محراب الجامع العمرى بقوص .

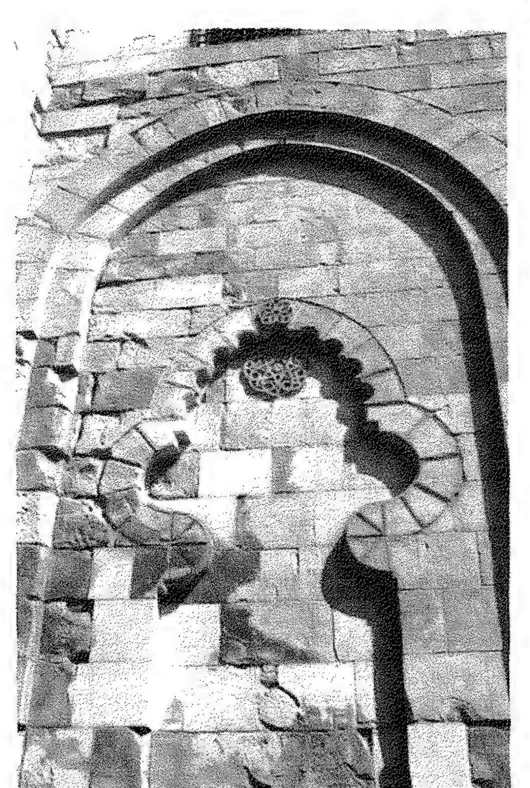


لوحة رقم (١) : تبين منظر عام لباب النصر .

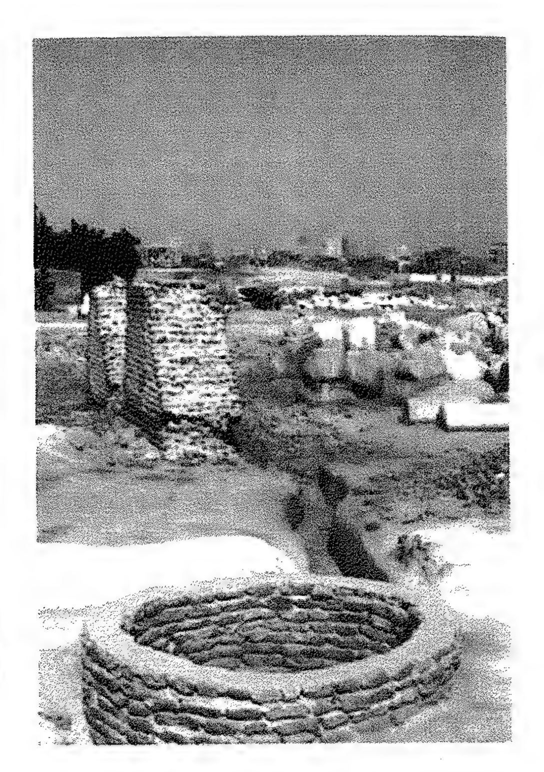
لوحة رقم (٢) : تبين منظر عام لباب الفتوح .



لوحة رقم (٣)
تبين منظر عام لباب زويلة .

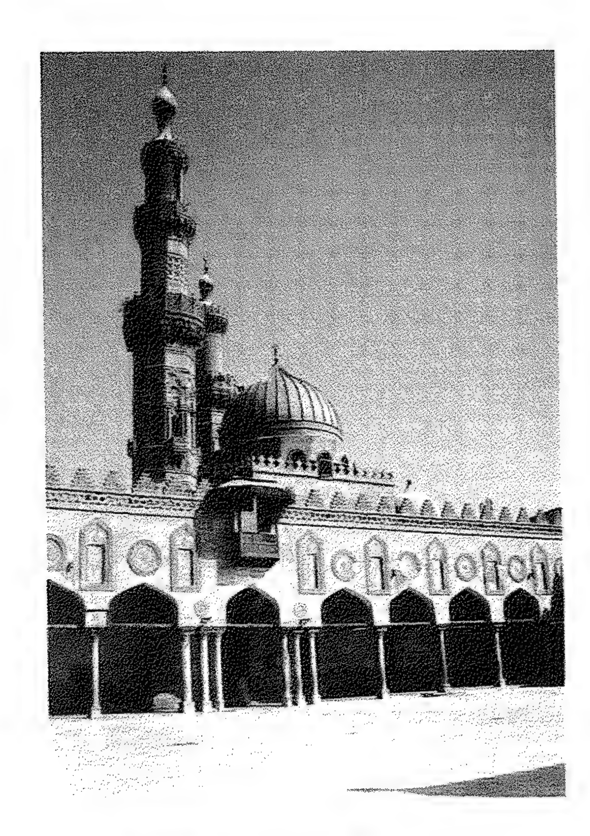


لوحة رقم (٤)
تبين الدخلة ذات العقد المفصص بالبرج الغربي لباب زويله من الجانب المطل على رحبة المدخل .

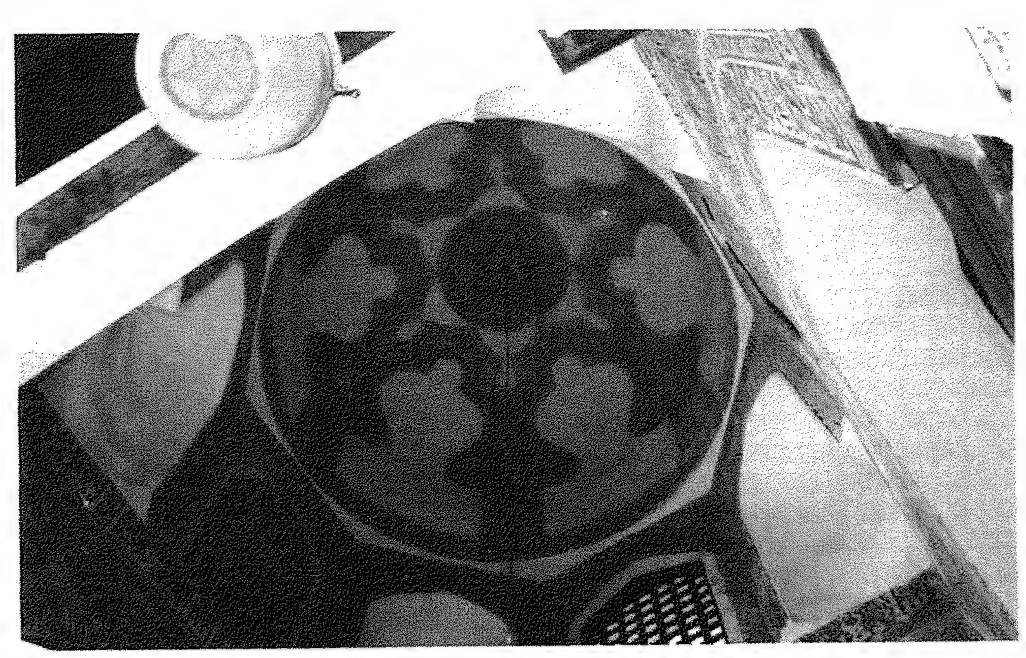


لوحة رقم (٥)
تبين بقايا أحد دور الفسطاط .

لوحة رقم (٦) : تبين منظر عام للجامع الأزهر من الخارج .



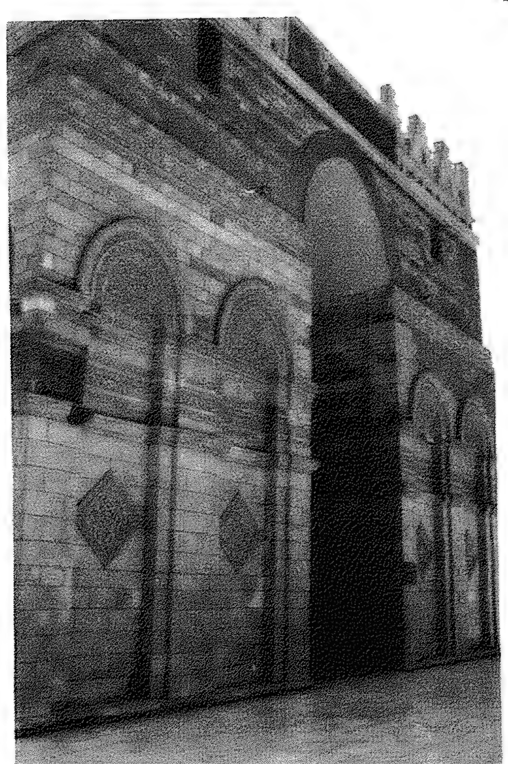
لوحة رقم (٧)
تبين منظر عام للجامع الأزهر من الخارج .



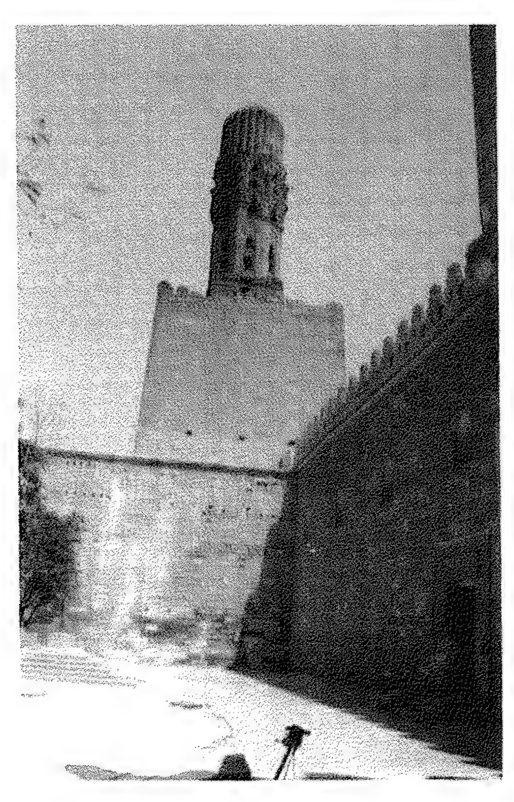
لوحة رقم (٨) : تبين القبة التى تتقدم المجاز القاطع بالجامع الأزهر (قبة الحافظ) .



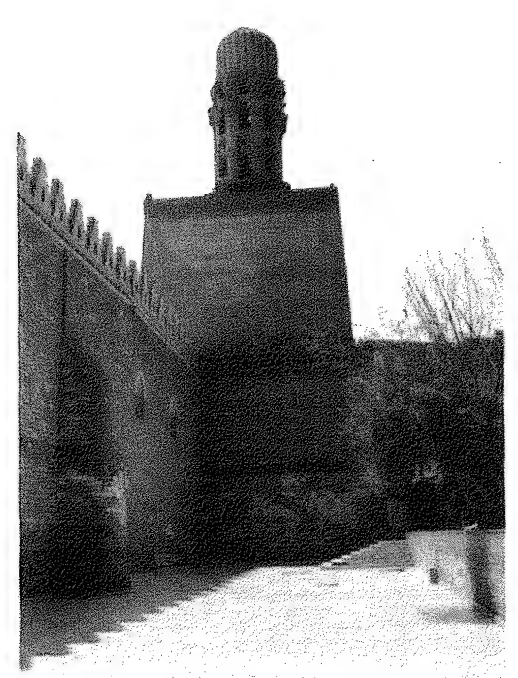
لوحة رقم (٩) : تبين المحراب الفاطمي بالجامع الأزهر.



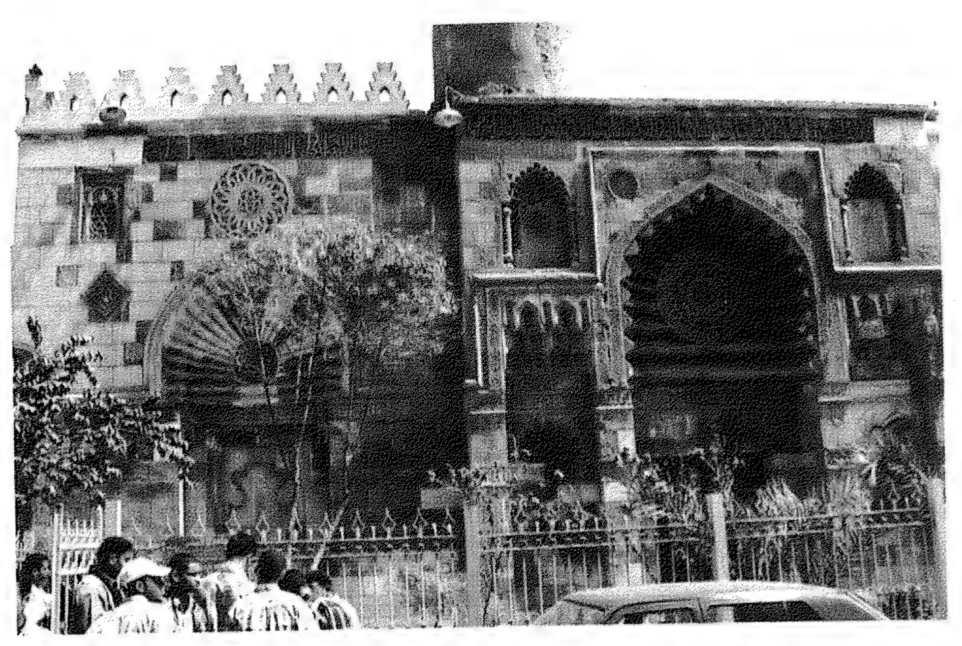
لوحة رقم (١٠) : تبين واجهة المدخل البارز الرئيسى لجامع الحاكم.



لوحة رقم (١١) : تبين قطاع من الواجهة الغربية لجامع الحاكم ، وباللوحة تظهر إحدى المئذنتين .



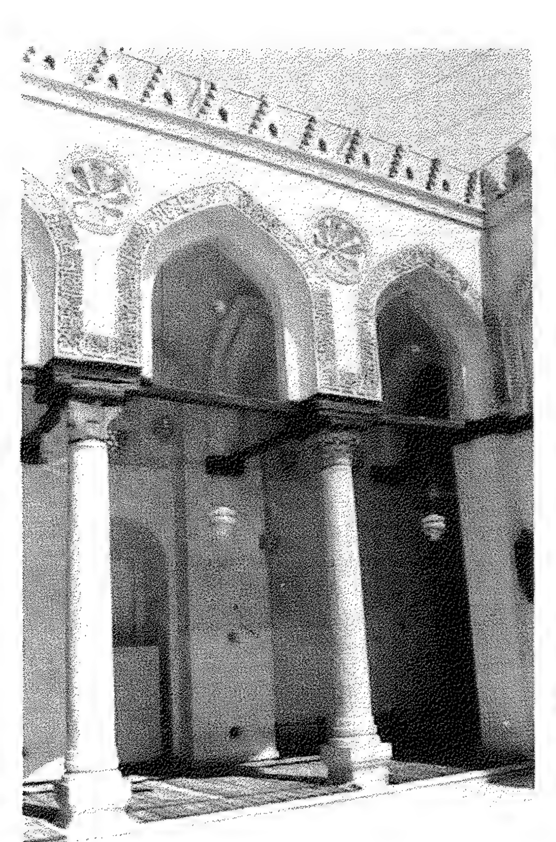
لوحة رقم (١٢) : تبين قطاع من الواجهة الغربية لجامع الحاكم ، وباللوحة تظهر المئذنة الشمالية .



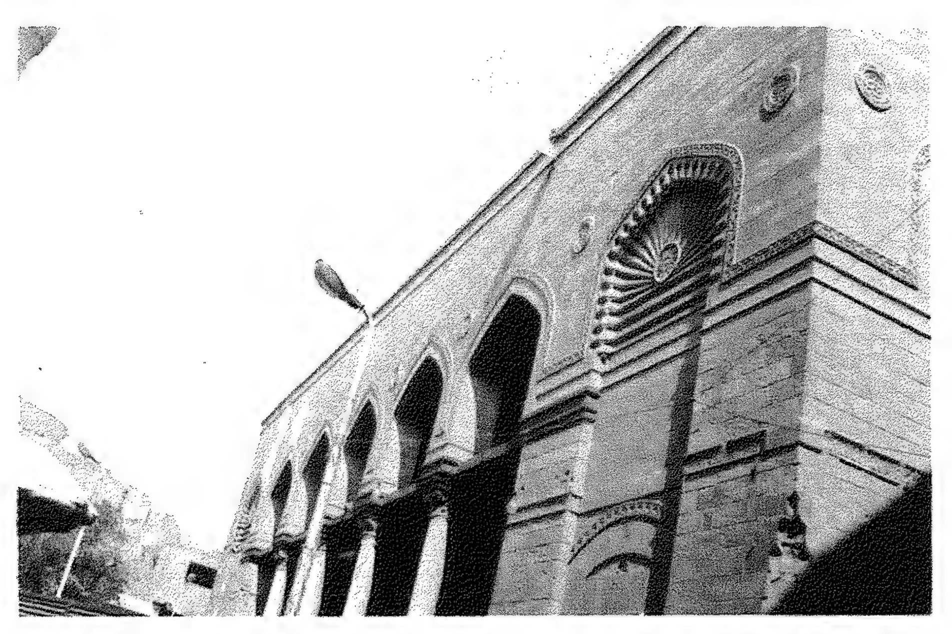
لوحة رقم (١٣) : تبين الجانب الأثرى القديم من الواجهة الرئيسية الغربية للجامع الأقمر .



لوحة رقم (١٤) : تبين الركن الشمالى الغربى للجامع الأقمر من الخارج ، وما به من مقرنصات .



لوحة رقم (١٥) : تبين واجهة الرواق الجنوبى المطلة على صحن الجامع الأقمر.

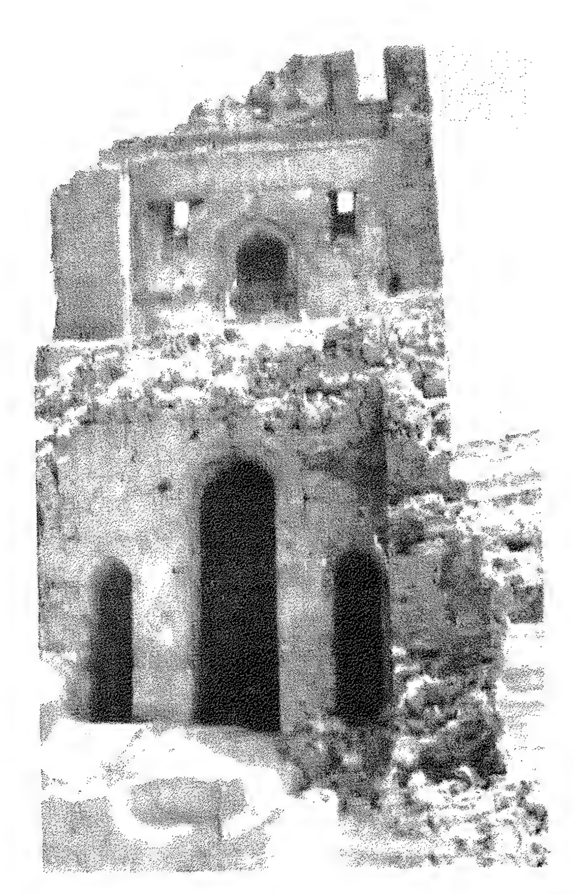


لوحة رقم (١٦) : تبين الواجهة الغربية الرئيسية لمسجد الصالح صلائع .

لوحة رقم (١٧) : تبين المدخل الجنوبى لمسجد الصالح طلائع .



لوحة رقم (١٨) : تبين واجهة رواق القبلة بمسجد الصالح طلائع .



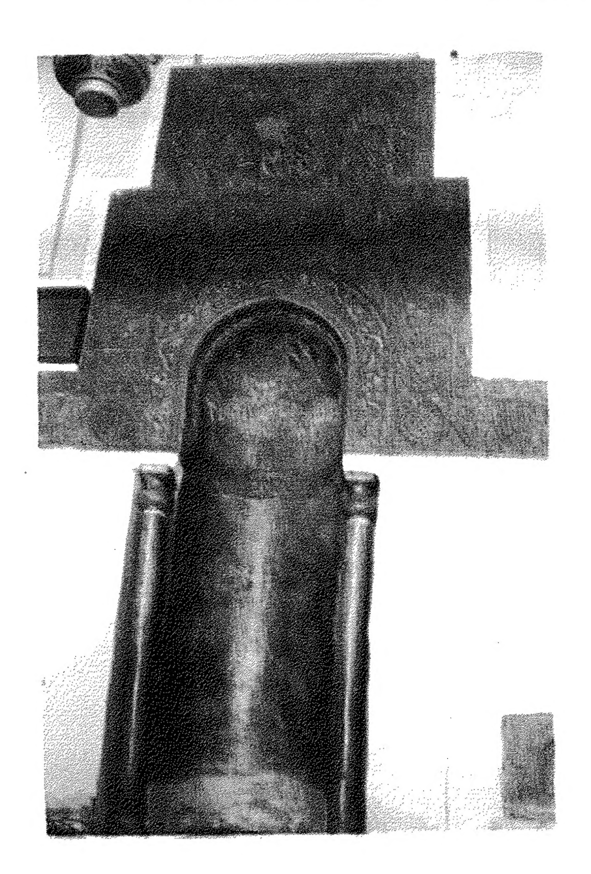
لوحة رقم (١٩) : تبين بقايا مسجد اللؤلؤة .



لوحة رقم (٢٠) : تبين صحن الجامع العمرى بقوص .



لوحة رقم (٢١) : تبين رواق القبلة بالجامع العمرى بقوص .



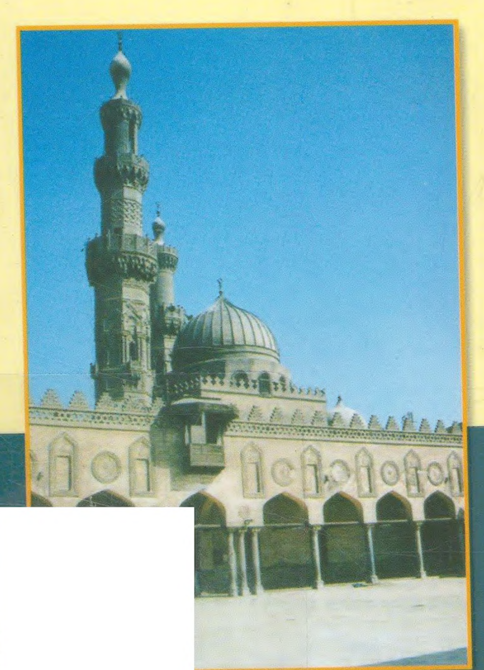
لوحة رقم (٢٢) : تبين محراب الجامع العمرى بقوص .

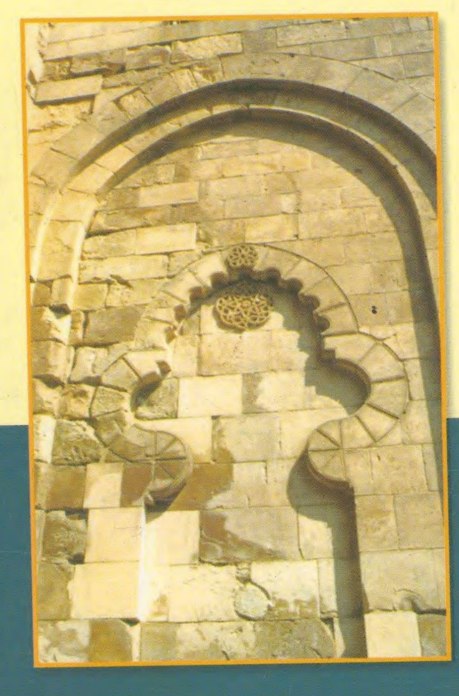


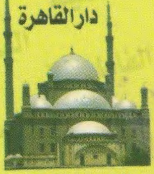
لوحة رقم (٢٣) : تبين زخارف طاقية محراب الجامع العمرى بقوص .











١١٦ شارع محمد فريد - القاهرة
ت: ٣٩٢٩١٩٢